بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد

أسماء اللّه الحسنى في ضوء القرآن والسنة

للفقير لعفو ربه

محمد بن ابراهيم التويجري

الطبعة الثانية

١٤٣٣ هـ - ė ¤¢£¤

- محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري ، ١٤٣٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

كتاب التوحيد في ضوء القرآن والسنة .

٩٤٧ صفحة

١٧×٢٤ سم

ردمك : ٧-٥٦٩٢-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١ –التوحيد ٢- الأسماء والصفات أ.العنوان

ديوي ٢٤١ ٢٠٣٧/ ١٤٣٢

رقم الإيداع : ٧٣٠٢/ ١٤٣٢

الطبعة الثانية

طبعة مزيدة ومنقحة

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

جوال المؤلف : ٠٥٠٨٠١٣٢٢٢ - ٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢

البريد الإلكتروني : Mb_twj@hotmail.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المـقـدمـة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء/ ١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧٠-٧١].

أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ،وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

إن الفقه في الدين أفضل الأعمال وأحسنها ، وأزكاها وأشرفها ، وأعظمها وأجلّها ، وأنفعها وأكبرها ، وأعلاها وأنفسها.

فهو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة أنبيائه ورسله، ومعرفة وعده ووعيده ، ومعرفة ثوابه وعقابه ، والعمل بموجب ذلك ظاهراً وباطناً ، قولاً وعملاً وسلوكاً .

ومن اكتملت له هذه المعارف العالية فقد بلغ النصاب ، واجتمعت له الحكمة وفصل الخطاب ، ونطق بالتوحيد قلبه ولسانه وجوارحه : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة/ ٤] .

إن الإنسان جسد وروح ، فإذا خرجت الروح فسد الجسد .

والدنيا كالجسد روحها الدين ، فإذا خرج منها الدين فسدت حياة الخلق ، وصار الناس كالبهائم والسباع ، كل يرتع فيما يشتهي بلا حد ولا قيد ، ولا أمر ولا نهي .

وهذا ما يحصل في العالم الآن ، فشواهد الانحلال الخلقي ، والهزال الروحي، والضعف الإيماني ، والخواء الفكري ، والفساد الاجتماعي ، والاضطراب الأمني ، ظاهر ساطع في معرض البشرية لا يحتاج إلى دليل .

وقد ظهر في زماننا أقوام استخلفهم الشيطان على نقض عرى الإسلام ، وجنَّدهم لهدم بنيانه، وإبطال شرائعه.

فظهرت أقوال وأفعال جمعت إلى الكفر والكذب إفراط الجهل والحسد ، والجرأة على الرب ورسله ودينه وأوليائه بلا خوف ولا حياء .

وهذا أمر عظيم يعرق له الجبين ، وتتفطر له الأكباد ، وينذر بعقوبة عاجلة ؛ لما فيه من الكفر والسفاهة والوقاحة ، وعدم الحياء والخوف من الجبار .

وهذا الوباء العظيم يزداد يوماً بعد يوم ، ويفتح له الأبواب كثيرمن شياطين الإنس والجن في مشارق الأرض ومغاربها .

فقد زج أعداء الإسلام بأمهات الدواهي في بلاد المسلمين ، وغرسوا في عقولهم ما يفسد حياتهم ، ليزدادوا بعداً عن دينهم ، ويتناحروا فيما بينهم ، ويهلك بعضهم بعضاً بالحديد والنار بعد التراشق بالكلام ، وهذا ما حصل ويحصل كل يوم .

فلا بد من صد هذا الوباء الخطير ، وكشف هذه الأقنعة الخرقاء التي رفرفت على عقول المسلمين بالباطل المموه والشر المزخرف.

ولا بد من هتك غاشية البلاء والفساد الذي عم وطم ، وإزالة الغطاء عن مسارب الهلاك الخفي الذي غرسه العدو الماكر بيننا فأنبت كل مُر وشر وفتنة .

فقد زاد الأمر سوءاً ، وضرب سهم الباطل قلب الأمة المسلمة حتى صار أكثر العالم الإسلامي منبع الضلالة ، ومنجم الجهالة ، ومعرض الرذيلة ، ومسرح الظلم ، وميدان القتل، وسجن الرعب والخوف ومركز الفقر ، ومصدر الفتن والنهب والسلب .

وتم ذلك كله بعد أن سَوّق لنا العدو أخبث ما في سوقه ، وأنجس ما في بلاده ، فاجتمعت الخبائث والنجاسات في أعز إنسان وأعز مكان .

فما أشد صولة الباطل على بلاد المسلمين ، فقد استباح أنفسهم وأموالهم وديارهم بغير حق، ونزفت جراحات الألم في كل مكان ، وانتشرت الفتن بين الخاص والعام.

وصار هذا الوباء العظيم قبلة يتوجه إليه الرجال والنساء والأطفال في أنحاء الأرض .

ولا ينكر ما حصل إلا جاهل أعماه حُمقه وشهوته ، أو مكابر أعماه منصبه وشهرته، أو حاسد أعماه كفره وحقده ، أو منتفع أعماه حرصه وطمعه .

إن وزر الضلال والإضلال لا يمحوه إلا صدق الصلاح والإصلاح بكمال التوحيد والإيمان والتقوى ، وإغلاق أبواب الشرك والشرور والفجور .

نعوذ بالله من كل سوء وظلم ، ومن دعوى السفلة والجهلة ، ومن مسخ القلب والعقل ، ومن طَمْس السمع والبصر ، وفساد الفكر والذوق .

إن السبيل للنجاة من تلك الدواهي لايمكن إلا بتفريغ الإناء من الهوى ليدخل الهدى ، وغسل درن الشرك والمعاصي ليدخل نور التوحيد والطاعات ، وتنقية السنة من البدعة والشوائب ليظهر الحق صافياً .

إن الدنيا لا تصلح إلا بالدين ، والإنسان لا يصلح إلا بالإيمان ، والإيمان لا تظهر ثمراته إلا بكمال التوحيد والإيمان والتقوى .

والناس صنفان : إما صالح ومصلح ، وإما فاسد ومفسد ، ولكلٍ راية وغاية .

ولا ريب أنه إذا صلح الإنسان صلح العالم ، وإذا فسد الإنسان فسد العالم .

وتوحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله هو سبيل النجاة والفلاح ، وهو الدرس الأول والدرس الحق الذي يجب أن يتعلمه كل إنسان، وكل مسلم قبل كل شيء ، ليعبد الله بمقتضاه ، ويسعد في دنياه وأخراه.

ومن أجل توحيد الله ﷻ خلق الله السموات والأرض ، وخلق الشمس والقمر، وخلق الليل والنهار ، وخلق الإنس والجان ، وخلق الجنة والنار ، وخلق جميع الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فالتوحيد أساس كل عمل ، ومفتاح كل خير ، ومن صدق الله في طلبه أعطاه الله إياه، واستعمله بمقتضاه ، ورضي عنه وأرضاه .

ومن عرف الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وعرف أفعاله الجميلة ، وخزائنه العظيمة، وعرف دينه وشرعه ، وعرف وعده ووعيده ، وعرف أنبياءه ورسله ، وعرف كلماته المنزلة ، وعرف أقداره الحكيمة ، فقد نال متين العلم وصفوته ، وذاق طعم الإيمان وحلاوته .

وإذا عرف ذلك كله وحَّدالله بأسمائه كالسميع والبصير،والعليم والقدير،والكريم والرحيم وغيرها من الأسماء الحسنى .

ووحَّده بصفاته كالسمع والبصر ، والعلم والقدرة ، والعزة والرحمة ، والرأفة والحكمة وغيرها من الصفات العلى .

ووحَّده بأفعاله كالخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، والتصريف والتدبير وغيرها .

ووحَّد الله بأفعال العباد ، فلا يدعو إلا الله ، ولا يكبر إلا الله ، ولا يتوكل إلا على الله ، ولا يحب إلا هو، ولا يخاف إلا منه ، ولا يرجو إلا إياه ، ولا يعبد إلا هو ، ولا يستعين إلا به .

ووحَّد رسوله ﷺ بالاتباع ، فيطيعه فيما أمر ، ويُصِّدقه فيما أخبر ، ويجتنب ما نهى عنه وزجر ، ولا يعبد الله إلا بما شرع .

وبقدر تلك المعارف الربانية والأعمال المرضية يمتلئ القلب بالتوحيد الخالص، والإيمان الكامل ، وينشرح الصدر بالأنوار الإلهية ، وتنقاد الجوارح للعمل الصالح الذي يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

وإذا غلب نور التوحيد والإيمان شهوات النفس ورغباتها سار الإنسان إلى ربه على الصراط المستقيم ، على مطية الجسد الصالح إلى السكن الصالح .

وبهذا تكمل للعبد جميع أنواع التوحيد ، فيذوق طعم الإيمان ، ويجد حلاوة التوحيد ، ولذة العبادة ، وحسن الطاعة لمولاه الحق .

وأبواب المعارف كلها ، وأبواب التوحيد كلها ، وأركان الإيمان كلها ، لا يمكن للعبد تحصيلها إلا من طريقين لا ثالث لهما :

أحدهما : النظر في الآيات الكونية ، **والثاني** : التدبر في الآيات القرآنية .

فمن وفقه الله لحسن النظر والتدبر في هذا وهذا فقد أدرك من العلم أحسنه وأنفعه وأكمله ، وأخذ من أوله وآخره ، وظاهره وباطنه ، وغيبه وشهادته .

وإذا اكتمل هذا النصاب ، واجتمع للعبد معرفة كتاب الرب ، ومعرفة سنة سيد الخلق ، صار ربانياً يُعلّم ويتعلم ، ويسمع ويطيع ، ويركع ويسجد لربه الواحد الأحد لا شريك له .

إن من عرف أن ربه هو الحق عرف أن دينه حق ، وأن رسله حق ، وأن كتبه حق ، وأن وعده حق ، وعمل بالحق ، ونال الثواب الحق من الملك الحق : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٣٠] .

والله ﷻ هو الملك الحق المبين الذي جميع ما في الكون ملكه ، وجميع المخلوقات خاضعة لأمره ، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته، وشاهدة بوحدانيته.

هو الواحد الأحد الذي جعل جميع النفوس تأكل من فضله ، وجعل جميع القلوب مخاطبات بوحيه،وجعل جميع المخلوقات دالة على عظمته،مسبحة بحمده،شاهدة بتوحيده : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

إن نهاية العلم كمال التوحيد ، ونهاية العمل كمال التقوى ، وهذا مراد الرب من خلقه .

والمقصود من العلم والتفكر والعبادات والأوامرأن يأتي اليقين على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فإذا جاء ذلك في قلب العبد جاء اليقين على كلام الله وأحكامه وأوامره ، ثم جاء اليقين على وعده ووعيده ، ثم جاء كمال الحب لله ، والذل له ، والتعظيم له ، والتعظيم لأمره ، والعمل بشرعه ، وهذا هو التوحيد الذي يريده الله من جميع خلقه .

ومن اكتملت له أركان اليقين الثلاثة وحَّد ربه بأسمائه وصفاته ، ووحَّده بأفعاله ودعائه ، ولم يلتفت لأحد سواه ، وأقبلتْ نفسه على الطاعات ، وسارعتْ إلى الخيرات ، ونفرتْ من المعاصي والمنكرات ، وصار هذا الإنسان عبداً لربه لا لهواه ، فرضي الله عنه وأرضاه ، وأسعده في دنياه وأخراه .

والتوحيد هو مقصود الرب من خلقه ، ولهذا فطر عليه جميع المخلوقات ؛ لأنه أحب شيء إليه ، وهو حق الله على جميع عباده كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾

[الذاريات / ٥٦ – ٥٨] .

وهذا التوحيد له صورة ولفظ ، وطعم وحلاوة ، وحقيقة وثمرة ، وثواب وكرامة .

وبين التوحيد الصوري والتوحيد الحقيقي كما بين السماء والأرض، والمطلوب من التوحيد أعلاه لا أدناه ، وحقيقته لا صورته .

فالتوحيد الحقيقي هو رؤية الواحد الأحد ﷻ ، وعدم الالتفات إلى أحد سواه .

توحيد ينطق به اللسان .. ويطمئن به القلب .. وتعمل به الجوارح .. وتدمع به العين .. ويقشعر منه الجلد .. ويوجل به القلب .. وتذوق به الروح حلاوة الذكر والعبادة .. ويذوق به الإنسان طعم السمع والطاعة للملك الحق ﷻ .

وهذا التوحيد هو الذي أرسل الله به الرسل وأنزل به الكتب وشرع من أجله الدين : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل/ ٣٦].

واعلم أن التوحيد الفطري من الرب يزيده إيمان كسبي من العبد، ويحصل ذلك بالنظر في الآيات الكونية ، وتدبر الآيات القرآنية.

وبهذا التوحيد الخالص للرب الواحد الأحد يجيب الله دعاء السائلين ، ويفرج كرب المكروبين ، ويعز المؤمنين ، وينصر الموحدين ، ويرد كيد المعتدين ، ويفتح أبواب البركات ، وينزِّل الهدايات ، ويكرم المؤمنين بالجنة ورضاه ، ويقيهم من النار وسخط الجبار .

وفي هذا المجموع القيم الذي بين يديك بينت بفضل الله التوحيد ، وأقسامه ، ودلائله ، وثماره ، وآثاره في الدنيا والآخرة وبينت أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، وكيفية توحيد الله بها ، والاعتبار بها ، والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها .

وذلك كله في ضوء القرآن والسنة الصحيحة .

وقد جمعت فيه من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى وغذاء القلوب ما تَقَرّ به العيون ، وتسعد به النفوس ، وتطمئن به القلوب .

وعرضت فيه المسائل العلمية الغيبية بما شهدت به أنوار الأدلة الشرعية من القرآن والسنة الصحيحة ، سالمة من الأهواء الشخصية ، بريئة من العصبية المذهبية .

وهذا جهد مقل ، قليل الألفاظ ، عزيز المعاني ، حلو الطعم ، سهل الفهم ، دون إيجاز مخل ، أو إطناب ممل .

وقد عرضته بفضل الله وعونه بتحقيق واف ، يثمر كمال التوحيد والإيمان والتقوى ، ويقلب ليل المسائل المشتبهة نهاراً ، ويكشف النقاب عن جمالها ، ليستبين سبيلها، ويشرب الناس من عذب مائها .

وهذا الكتاب تحرير موجز مؤكد بنقل يقطع العذر ، ويزيل الشك والريب ، ويحقق التوحيد الخالص ، والإيمان الصادق ، والعمل الصالح بإذن الله ﷻ .

جاء بفضل الله وحده حسن الجسم والرسم ، سهل اللفظ والفهم ، زكي الرائحة والطعم ، متين الفقه والعلم.

فهو قريب ملتئم ، سهل منسجم ، مشرق بالنور ، قرة للعيون ، ممتع للأسماع والأبصار والبصائر والعقول والقلوب .

جمعت فيه بين القول والنقل ، والمعقول والمحسوس ، يَسْبح في فلك التوحيد والشريعة ، ويحطم الشرك والبدع والرذيلة ، ويقيم بنيان الحق والسنة والفضيلة بإذن الله.

وبعد جمع هذا الكتاب من بساتين العلم والمعرفة جاء مكتمل المباني ، غزير المعاني ، له خمسة أبواب تصلك بالواحد الأحد الذي يغنيك عن كل أحد ، وكلها مفتوحة بين يديك ، وهي :

الأول: كتاب التوحيد .

الثاني : توحيد الله بأسمائه وصفاته .

الثالث : فقه التعبد بأسماء الله الحسنى .

الرابع : أسماء الله الحسنى بين معرفتها ، وتوحيد الله بها ، والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها.

الخامس : جزاء أهل التوحيد .

وهذا الكتاب المقصود منه بيان التوحيد والإيمان بالله ﷻ ، وترغيب الخلق في لزوم الصراط المستقيم ، ودعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه ، وبشارة المؤمنين بما أعد الله لهم من الجنات ، وإنذار كل من خالف هدي الله ورسوله بالنار : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب/ ٧١].

أسأل الله ﷻ أن يجعله غذاءً نافعاً للعقول ، وقوتاً للقلوب ، ومحركاً للقلوب والجوارح إلى أجلِّ مطلوب ، ومثيراً لساكن العزمات إلى روضات الجنات، ورب البريات .

كما أسأله ﷻ أن يجعله نوراً للسائرين ، ومناراً للتائهين ، ومصباحاً للمتعبدين ، وقرة عين للموحدين ، وروضة للمتعلمين .

وقد ذكرت في هذا المصنف بفضل الله من الآيات البينات ، والبراهين الساطعات ، والدلائل الواضحات ، ما يملأبإذن الله القلوب بالتوحيد والإيمان واليقين ، ويشرح الصدور للعبادات والطاعات ، ويحرك الألسنة بالذكر والحمد والشكر ، ويوجه الناس إلى رب الناس ، ويصرف القلوب عن التعلق بالمخلوق .

فدونك مورداً عذباً صافياً ، لم تكدره العصبية ، ولم تَشبه الحميَّة ، مبني على قواعد الشريعة المحكمة ، متوج بنصوص الوحي المنزلة .

إذ لا بد للمسلم الذي يرجو الفلاح والنجاة من علم متين بحقائق الدين ، يميز به بين الحق والباطل ، وبين العالي والسافل ، وبين الغالي والرخيص ، وبين الحسن والقبيح .

وهذا الدين لا ريب لمن آمن به ، وعمل به ، وذب عنه ، وصبر على كل أذى في سبيله ، وبذل وترك كل شيء من أجل تحصيله ونشره .

أسأل الله الكريم أن يجعلني وإياكم والمؤمنين والمؤمنات من هؤلاء ، لا ضد هؤلاء .

ويولد هذا المولود بفضل الله بين ملايين السباع التي تنهش البشر ، وألوف الأفاعي التي تلسع المسلمين ، ومئات السهام التي ترشق أهل الإيمان ، لتهدم بنيان الدين ، وتقوض أركانه ، ولن يفلحوا ولن يستطيعوا ذلك أبداً ، فإن الله لا غالب له : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢﴾ [التوبة / ٣٢] .

هو سبحانه الملك القادر وحده الذي ينصر أولياءه ويظهر دينه على الدين كله بالأسباب ، وبدون الأسباب ، وبضد الأسباب : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة/ ٣٣].

ويدخل هذا المصنف بفضل الله سوق الدنيا عزيزاً معلماً ، ومرشداً وهادياً ، ومبشراً ومنذراً .

ممتع للقارئ والسامع ، مشتمل على بدائع الفوائد ، ومحيط بأمهات المسائل وأحسن الجواهر ، فليطلبه من أراد التوحيد النقي الخالص ، ومن رغب في زيادة الإيمان والعمل الصالح في ضوء القرآن والسنة.

وهذا فضل الله بين يديك مبسوطاً ، لك غنمه ، وعلى كاتبه غرمه .

أبوابه لك مفتوحة ، وكنوزه مطلوبة ، وثماره لك مجلوبة ، فاقطف من ثماره ما شئت.

هو أغلى ما أملك ، وأحسن ما جمعت ، وأحلى ما رأيت ، وأنفس ما أهديت .

وهو هدية المسلم لأخيه المسلم ، فاقبله قبلك الله في مجموعة الفائزين ، وغفر الله لنا ولك وللمسلمين ، وجمعنا جميعاً في جنات النعيم .

واعلم غفر الله لنا ولك أن الكلام عن الرب العظيم عظيم لانهاية له ، والحديث عن الكبير كبير لا حد له ، والأمر أكبر من أن يُحاط به ، وأوسع من أن يوقف على خفاياه، لكن أول العلم قطرة ، ومن استهدى فسيُهدى ويُعطى .

وإذا كانت الألفاظ قوالب المعاني ، والإشارة تغني عن العبارة ، فقد حرصنا على جمع الثمار الطيبة من أحسن بساتين العلم والمعرفة ، وقطفنا منها ما يغني اللبيب عن الإسهاب والتطويل ، وما يملأ قلبه بالتوحيد والإيمان واليقين.

وقد يمتد بنا طلق الكلام أحياناً حرصاً منا على إفادة البيان ، والتوضيح بالبرهان ، وسقي العطشان.

فنسأل الله في هذا وهذا إصابة الصواب إلى سواء الحكمة وفصل الخطاب ، وأن نكون قد وفقنا لجمع ما لذ وطاب من غذاء العقول ، وقوت القلوب .

أما وقد حلَّ بك هذا الضيف ، بعد أن ساقه الله من محرره إلى قارئه ، ليتم أمره ، وتحق كلمته ، ويتحقق مراده من خلقه فاستعن بالله ، واقرأ وتدبر ، واشكر وتزود ، واستغفر واصبر : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه/ ١١٤].

أسأل الله أن يهدينا وإياكم سواء السبيل ، وأن يجعلنا هداة مهتدين ، وشمساً ينور الله بها قلوب العالمين ليسيروا إلى ربهم على صراط مستقيم.

واعلم أن أكثر الناس سفيه في صورة حكيم ، وجاهل في صورة عالم ، وفقير في صورة غني ، فاصبر واصطبر على ما تراه وتسمعه ، واعتصم بحبل الله وحده، واقطع ما سواه من الحبال ، وكن بالناس رؤوفاً رحيماً ، ناصحاً شكوراً ، تَرضى ويَرضى الله عنك ، ويُرضي الناس عنك.

وإياك ومن تفرقت بهم سبل الجهالات ، وتنوعت بهم طرق الضلالات ، من كل شيطان ضارٍ في صورة إنسان بار ، ومن كل لئيم في صورة كريم ، ومن كل خائن في صورة أمين ، وغيرهم ممن شغله الشيطان بالضلال والإضلال .

وحق هؤلاء عليك الدعاء لهم بالهداية ، ودعوتهم إلى من أمرك بالصبر على أذاهم .

نعوذ بالله من كل سيء وما أساء به، ومن دعوى السفلة والجهلة،ومن مسخ العقل والقلب ، ومن طمس السمع والبصرومن شر كل حاسد إذا حسد.

وإياك وفرطات القول بلا علم ، فما خرج منك لا يمكن رده ، وما نثرت لا يمكن جمعه ، وما كسرت لا يمكن جبره.

وإياك وقرصنة الكلام ، وقرض الأعراض بالمقراض ، فإن الله سميع بصير .

وقدِّم ما يحبه الله على ما تحبه النفس ، وتزود ليوم المعاد بأحسن زاد من التوحيد والإيمان ، والعلم والعمل ، ترافق النبيين في جنات النعيم : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾[النساء/ ٦٩] .

ولتكن همتك عالية في الفقه في الدين ، والاقتداء بجميع سنن سيد المرسلين .

وإن قعدت بك الهمة عن ركوب المعالي ، ولم تطق الجوع والسهر من أجل تحصيل الجواهر ، فقد جمع الله لك ما تحب ، فخذه من كتابنا الجامع ، والمختصر الشامل : (**مختصر الفقه الإسلامي**) .

وإن كنت فارساً يطوف في الديار ، ويركب البحار ، ويتحمل الأسفار ، فزادك الذي يغنيك عن السؤال خذه من بستان المعارف من كتابنا المفتوح : (**موسوعة فقه القلوب**) أربعة مجلدات.

وإن أردت الإمامة في الدين ، ولبس ثياب المتقين ، وحمل رسالة سيد المرسلين ، فخذ ذلك من جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الزخرفة ، وانظر في كتابنا المرسل (**موسوعة الفقه الإسلامي**) خمسة مجلدات .

وإن غرتك الدنيا بزينتها ، وألهبتك الصحاري بحرها وسمومها ، وأزعجتك العواصف بشدتها وغبارها،وأظلم عليك الليل بسواده،وأجلب عليك الشيطان بخيله ورَجِله، فدونك بستان التوحيد والإيمان ، فيه من كل زوج بهيج ، وتوحيد وتكبير وتحميد للرب المجيد .

تطمئن به القلوب ، وتزكو به العقول ، ويصفو به التوحيد ، ويزيد به الإيمان ، وتحسن به الأخلاق ،وتقوى به الأعمال بإذن الله عز وجل ، وهو كتابنا هذا : (**كتاب التوحيد**) .

أسأل المولى القدير أن يجعل هذا المجموع الثمين من الكتاب والسنة خالصاً لوجهه الكريم ، وسفيراً للرب بين الخلق أجمعين .

تطمئن به قلوبهم ، وتنشرح به صدورهم ، ويزيد به إيمانهم ، وتستقيم به جوارحهم ، وتصلح به أعمالهم ، وتحسن به أخلاقهم .

كما أسأله ﷻ أن يجعله نوراً يهتدي به من ضل الطريق ، ويسقي به بستان التوحيد في القلوب ، ويجتث به جرثومة الشرك ، ويدفع به وباء الكفر والمعاصي ، وينبت به شجرة التوحيد الخالص ، وثمارالإيمان الصادق،ويسقي به حدائق الطاعات والأخلاق الحسنة.

كما أسأله سبحانه أن يعفو عن خطئي وجهلي ، وأن يغفر لي ولوالدي وأهل بيتي ولكل من قرأه أو سمعه ، أوكتبه أوعلَّمه ، أونشره أوانتفع به ، ولجميع المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

كما أسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، أن يرزقنا جميعاً التوحيد الخالص ، واليقين الكامل ، والإيمان الصادق ، والعمل الصالح ، والاستقامة على الدين ظاهراً وباطناً حتى نلقاه ، إنه سميع قريب مجيب .

وصلى الله وسلم على إمام الموحدين ، وسيد الأنبياء والمرسلين ، وقدوة الناس أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أ جمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

كتبه الفقير إلى مولاه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

المملكة العربية السعودية / بريدة

جوال : ٠٥٠٨٠١٣٢٢٢ - ٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢

البريد الإلكتروني : Mb_twj@hotmail.com

موقعنا على الأنترنت (هذا الإسلام) hatha-alislam.com/index

الباب الأول

كتاب التوحيد

ويشتمل على ما يلي :

١ – فقه التوحيد
٢ – أقسام التوحيد
٣ – دلائل التوحيد
٤ – حقيقة التوحيد
٥ – فضائل التوحيد
٦ – شروط كلمة التوحيد
٧ – أركان التوحيد
٨ – كمال التوحيد
٩ – لوازم التوحيد
١٠ – مكان التوحيد
١١ – قيمة التوحيد
١٢ – أصل التوحيد
١٣ – أهل التوحيد
١٤ – إيمان أهل التوحيد
١٥ – ثواب أهل التوحيد
١٦ – نواقض التوحيد

قال الله تعالى :

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾

[الإخلاص / ١ – ٤]

كتاب التوحيد

• فقه التوحيد :

التوحيد: هو إفراد الله ﷻ بما يختص به ، وما يجب له.

فما يختص بالله: أن يعتقد المسلم أن الله واحد لا شريك له ولا مثيل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص/ ١-٤] .

وما يجب له: التوحيد والإيمان ، وطاعة الله وعبادته وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل/ ٣٦] .

• أقسام التوحيد :

التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب قسمان:

الأول: توحيد المعرفة والإثبات.

وهو توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله كالخلق والرزق والإحياء والإماتة.

فنثبت لله ﷻ ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات والأفعال على ما يليق بجلاله ، إثباتاً بلا تكييف ولا تمثيل ، ولا تشبيه ولا تعطيل.

وننفي عن الله ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ على حد قوله سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى/ ١١] .

فهو السميع الذي ليس كمثله شيء في السمع ، القوي الذي ليس كمثله شيء في القوة.

ويسمى هذا التوحيد توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد الرب بأفعاله.

الثاني: توحيد القصد والطلب.

وهو إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادة التي شرعها كالدعاء ، والصلاة ، والصدقة ، والتوكل ، والمحبة ، والخوف ، والرجاء والاستعانة والاستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادات القلبية والبدنية والمالية ، وذلك أعظم ما أمر الله به وهو مراد الله من خلقه : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة/ ٥] .

فالله وحده هو الحق المستحق للعبادة وحده لا شريك له، ومن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغيره فهو مشرك كافر: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ

﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ [المؤمنون / ١١٧] .
ويسمى هذا التوحيد توحيد الألوهية والعبادة أو توحيد الرب بأفعال العباد من صلاة ودعاء وغيرهما .
وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات مستلزم لتوحيد الألوهية والعبادة.
فمن أقر بأن الله وحده هو الرب الخالق الرازق الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى لزمه أن يقر بأنه لا يستحق العبادة إلا الله الخالق الرازق وحده لا شريك له.
فلا يدعو إلا الله وحده، ولا يستغيث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يخاف إلا منه ، ولا يرجو إلا إياه، ولا يعبد إلا هو، ولا يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغيره: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس / ٣] .
وتوحيد الألوهية مستلزم لتوحيد الربوبية.
فكل من عَبَد الله وحده دون سواه لابد أن يكون قد اعتقد وعلم أن الله وحده ربه وخالقه ورازقه ومالكه ورب كل شيء : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ٦٥﴾ [مريم / ٦٥] .
وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات هو الأصل، إذ لابد لكل عبد أن يعرف معبوده بأسمائه وصفاته وأفعاله قبل العبادة ، ثم يعبده إذا عرف كمال جلاله وجماله،وكمال قدرته وعلمه ، وكمال غناه وكرمه ، وكمال رحمته وإحسانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾[الأنعام / ١٠٢ - ١٠٣].
ولايغلط أو يقصر في توحيد الألوهية والعبادة إلا من لم يعط توحيد الربوبية حقه من المعرفة.
بل توحيد العبادة إنما هو ثمرة ، بل أعظم ثمار توحيد الربوبية، وما وقع فيه الشرك إلا بسبب الجهل بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات.
ولا ريب أن دوام الذكر والدعاء وحسن العبادة ، والصبر والتوكل ، والخوف والرجاء ، والمحبة والاستعانة والإنابة والرضا والتسليم ، وغير ذلك من أنواع العبادات من ثمرات

معرفة توحيد الربوبية: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد / ١٩] .

وتوحيد الربوبية مركوز في الفطر ، ولهذا أقرَّ به أكثر الخلق ، لشدة ظهوره في الملك والملكوت ، ولم ينكره إلا شواذ الخلق في الظاهر لا في الباطن كما قال فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ﴾[النازعات/ ٢٤-٢٦].

ولهذا أنكرت الرسل على من أنكر وجحد وجود الرب ﷻ ؛ لأن وجوده أبين وأظهر وأوضح من الشمس التي لا تخفى إلا على الأعمى:﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[إبراهيم/ ١٠].

والنظر والتفكر في الآيات الكونية والآيات الشرعية يزيد هذا التوحيد ويقويه ، ويملأ القلب بالنور .

وتوحيد الألوهية والعبادة كفر به وجحده أكثر الخلق ؛ لأن الشياطين صرفت الناس عن معرفة الله بأسمائه وصفاته الى علوم الدنيا ، واجتالتهم عن دين رب العالمين إلى اتباع الشهوات وعبادة غير الله ، فوقعوا في الكفر والشرك والمعاصي.

ومن أجل هذا أرسل الله الرسل وأنزل الكتب رحمة بعباده ، لرد الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وتَرْك عبادة ما سواه ، ببيان أسماء الله وصفاته وأفعاله ليعبدوه وحده لا شريك له بما شرعه على ألسنة رسله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل / ٣٦] .

واعلم أن توحيد الربوبية أساس توحيد الألوهية، ولكنه لا يكفي للدخول في الإسلام حتى يقترن به توحيد العبادة، فهما متلازمان في حياة كل مسلم، هذا مبني على هذا، ولا يُقبل هذا إلا بهذا ، ولا يصلح عملٌ إلا بهذا وهذا.

توحيد الربوبية توحيد الرب بأفعاله ، وتوحيد الألوهية توحيد الرب بأفعال العبد : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام/ ١٠٢].

والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله.

فمن استسلم لله وحده فهو مسلم، ومن استسلم لله ولغيره فهو مشرك، ومن لم يستسلم لله فهو كافر مستكبر: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

ومن استسلم لله ظاهراً وباطناً فهو مؤمن، ومن كفر بالله ظاهراً وباطناً فهو كافر، ومن أسلم ظاهراً وكفر باطناً فهو منافق أخطر من الكافر، وأشد عذاباً منه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء/ ١٤٥] .

والكفر أعظم من الشرك ؛ لأنه جحد للرب بالكلية ، والشرك أخف منه ؛ لأنه تنقُّص للرب ، وكل منهما يطلق على الآخر ، وكل منهما نجس وقبيح ، وكل منهما ظلم كبير وعظيم ، وكل منهما في النار ، وكل الكفار والمشركين مخلدون في النار .

١ – قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٦٤–٦٥] .

٢– وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٢] .

- **دلائل التوحيد :**

دلائل توحيد الرب لا تعد ولا تحصى ولا يحيط بها أحد ، فهي أكثر من أن تحصر ، وأشهر من كل بيِّن.

فكل القرآن ، بل كل سورة في القرآن ، بل كل آية في القرآن ، بل كل ذرة في الكون ، دالة على وحدانية الله ﷻ ، شاهدة بعظمته وجلاله وجماله ، وجميع آياته ومخلوقاته مبينة كمال أسمائه وصفاته ، ناطقة بعظيم كرمه وإحسانه، مقررة كمال رحمته بعباده ، شاهدة بعظمة ملكه وسلطانه وحسن أحكامه وأوامره.

العرش والكرسي ، والسموات والأرض وما فيهما من المخلوقات الكثيرة ، والآيات العظيمة ، والخلق والأمر ، والتدبير والتصريف ، كل ذلك شاهد لله بالوحدانية ، والأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة .

ودال على عظمة الله وكبريائه ، وجلاله وجبروته ، وكمال علمه وقدرته ، وعظمة ملكه وسلطانه.

ودال على كمال رحمة الله ، وسعة حلمه ، وعظيم كرمه ، وكمال غناه ، وجزيل إحسانه ، وعظيم عفوه، وسعة مغفرته ، وكمال رأفته.

وكل شيء في الكون شاهد لربه بالوحدانية ، وشاهد على نفسه بالضعف والعجز والفقر والحاجة إلى ربه.

ودلائل التوحيد ظاهرة في كل شيء ، بل هي أبين من كل شيء ، فكل ذرة في الكون، وكل آية في القرآن ، وكل تدبير وتصريف ، كل ذلك شاهد لله العلي الكبير بالوحدانية، والأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٠٣)﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

ودلائل التوحيد تراها الأبصار والبصائر والعقول مبسوطة في الآيات الكونية والآيات القرآنية.

ولما كانت دلائل وحدانية الله لا نهاية لها ، ويستحيل على الأبصار والعقول الإحاطة بها ، فحسبنا هنا أن نجمع أصولها ، ونشير إلى أمهاتها من الآيات الكونية والآيات الشرعية ، من الوحي المنزل الذي فيه تبيان كل شيء.

وهذه إشارة إلى أصول دلائل التوحيد من كتاب الواحد الأحد جل جلاله :

دلائل الخلق .. دلائل التدبير .. دلائل الجلال .. دلائل الجمال .. دلائل الإنعام .. دلائل النظر والتفكر .. دلائل القرآن والشرع.

الأول : دلائل الخلق والإيجاد :

١ - قال الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٥٤)﴾ [الأعراف/ ٥٤].

٢ - وقال الله تعالى : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا (١٢)﴾ [الطلاق/ ١٢].

٣- وقال الله تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٦٣) قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ (٦٤)﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٤].

٤ – وقال الله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

٥ – وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس/ ٣].

الثاني: دلائل التدبير والتصريف في الكون :

١ – قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة/ ١٦٤].

٢ – وقال الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦-٢٧].

٣– وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأنعام/ ٩٥-٩٦].

٤ – وقال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٩٩].

٥ – وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الروم/ ٤٠].

الثالث: دلائل صفات جلال الرب :

١ - قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

٢ - وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

٣ - وقال الله تعالى : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩ ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

٤ - وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣ ﴾ [الرعد/ ٢-٣].

٥ - وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣ ﴾ [الرعد/ ١٢-١٣].

الرابع: دلائل صفات جمال الرب :

١ - قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤ ﴾ [إبراهيم/ ٣٢-٣٤].

٢ - وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٦٥ ﴾ [الحج/ ٦٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ [الفرقان/ ٤٨-٥٠].

٤- وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النحل/ ١٠-١٣].

٥- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر/ ٤١].

الخامس: دلائل الإنعام والإحسان:

١- قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٤-١٨].

٣- وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

٤- وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠].

٥- وقال الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾﴾ [المائدة/ ٣].

السادس: دلائل النظر والتفكر:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٠-١٩١].

٢- وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٠].

٤- وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].

٥- وقال الله تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾﴾ [نوح/ ١٣-١٨].

السابع: دلائل القرآن والشرع:

١- قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٨٩﴾﴾ [الإسراء/ ٨٨-٨٩].

٢- وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء/ ٨٢].

٣- وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٢٣].

٤- وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس/ ٣٤-٣٥].

٥- وقال الله تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٨٤-٩٠].

- **حقيقة التوحيد :**

حقيقة التوحيد ولبابه أن يرى الإنسان ربه ملك الملوك يخلق ويرزق، ويعطي ويمنع ، ويأمر وينهى، ويفعل ما يشاء وحده لا شريك له : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

ويرى الأمور كلها من الله ، رؤية تقطع الالتفات إلى غيره من المخلوقات ، ويعبد الله وحده بما شرع مع كمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن / ١٣] .

والتوحيد ألذ شيء وأجمله وأحسنه وأطيبه ، والشرك أنجس شيء وأقبحه وأقذره وأخبثه ، والتوحيد أطيب الطيبات ، والشرك أخبث الخبائث.

والتوحيد حق الله وحده لا شريك له ، فلا يجوز صرفه لغيره : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠].

والتوحيد أحق الحق وأعدل العدل ، والشرك أبطل الباطل وأظلم الظلم: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان / ١٣] .

ولهذا فإن الله يغفر من الذنوب ما شاء إلا الشرك لمن مات عليه ، لشدة خبثه ونجاسته كما قال

سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء / ٤٨] .

• فضائل التوحيد :

١ - قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام / ٨٢] .

٢ - وقال الله تعالى : ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد / ٢١] .

٣ - وقال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة / ٢٥] .

٤ - وعن عبادة بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال : « مَنْ شَهِدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجنةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، أَدْخَلَهُ الله الجنةَ عَلى مَا كَانَ مِن الْعَمَلِ » متفق عليه[1].

٥ - وعن جابر ﷺ قال : أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، مَا المُوجِبَتَانِ ؟ فَقَالَ: « مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا دَخَلَ الجنةَ ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ » أخرجه مسلم[2].

٦ - وعن عثمان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله دَخَلَ الجَنَّةَ ». أخرجه مسلم[3].

• شروط كلمة التوحيد :

لابد للعبد أن يعلم أن هذه الكلمة حق، وأن ما دلت عليه هو الحق ، ويُصدِّق باطنه بظاهره ، وسره بعلانيته ، وأقواله بأفعاله ، ولن يعبد الله حقاً إلا من عرفه حقاً بأسمائه وصفاته وأفعاله.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٤٣٥)، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨).

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٩٣) .

(٣) **أخرجه مسلم** برقم (٢٦) .

ويشترط لتحقيق كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ثمانية شروط:

الأول: العلم المنافي للجهل كما قال سبحانه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد / ١٩] .

الثاني: اليقين المنافي للشك كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾ [الحجرات / ١٥].

الثالث: القبول المنافي للرد كما قال سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾ [النساء / ٦٥] .

الرابع: الانقياد المنافي للترك كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾ [الحشر / ٧] .

الخامس: الصدق المنافي للكذب كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾ [التوبة / ١١٩] .

السادس : الإخلاص المنافي للشرك كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ [البينة/ ٥].

السابع: الاستقامة المنافية للانحراف كما قال سبحانه : ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ ﴾ [هود / ١١٢] .

الثامن: المحبة المنافية للبغض كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴾ [البقرة/ ١٦٥] .

• أركان التوحيد :

الله ﷻ هو الواحد الأحد الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وليس كمثله أحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤ ﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

فالله ﷻ واحد لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه واحد لا شريك له في أفعاله : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

وهوسبحانه واحد لا شريك له في الملك : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك / ١] .

وهو سبحانه واحد لا شريك له في الحُكم : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف/ ٤٠].

وهو سبحانه واحد لا شريك له في العبادة : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف / ١١٠] .

- **كمال التوحيد :**

التوحيد لا يتم ولا يكمل إلا بعبادة الله وحده لا شريك له واجتناب عبادة ما سواه كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل / ٣٦] .

وشهادة التوحيد للرب ﷻ شهد بها كل مخلوق، وكل أحد، وكل ذرة في الكون: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وشهادة التوحيد لله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أعظم الشهادات وأكبرها وأجلّها.

ولهذا شهد بها الله ﷻ ، وملائكته ، وأولو العلم كما قال سبحانه : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران / ١٨].

- **لوازم التوحيد :**

التوحيد يقوم على أصلين عظيمين هما :

شهادة أن لا إله إلا الله .. وشهادة أن محمداً رسول الله.

فشهادة أن لا إله إلا الله تقتضي من العبد ما يلي :

أن يحب الله ، ويحب ما يحبه الله ويفعله ، ويبغض ما أبغض الله ويتركه ، ولا يحب إلا في الله، ولا يبغض إلا في الله ، ولا يعطي إلا لله ، ولا يمنع إلا لله ، ولا يرجو إلا الله ، ولا يخاف إلا الله ، ولا يعبد إلا الله ، ولا يستعين إلا بالله ، ويفعل الطاعات ، ويجتنب جميع المعاصي ،

ويأمر بما أمر الله ورسوله به ، وينهى عما نهى الله ورسوله عنه : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

وشهادة أن محمداً رسول الله تقتضي من العبد ما يلي:

طاعة الرسول ﷺ فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وحبه وتوقيره ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع : ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف / ١٥٨].

• مكان التوحيد :

اعلم أن محل السمع في الأذن ، ومحل البصر في العين ، ومحل الكلام في اللسان ، ومحل العقل في القلب ، وكلها تصب في القلب العلوم ، وتملؤه بالتوحيد والإيمان الذي يحرك القلوب والجوارح بالطاعة والعبادة حسب تلك المعارف لربها الواحد الأحد ، المالك لكل أحد ، القادر على كل أحد ، الغني عن كل أحد ، المحيط بكل أحد ، الرحيم بكل أحد.

والبصر في العين كالبصيرة في العقل،هذا يبصر المرئيات،وذاك يبصر المعقولات،والبصر أعظم وسيلة للبصيرة في تقوية التوحيد : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف / ١٨٥] .

ومحل التوحيد في القلب اعتقاداً ، وفي اللسان قولاً ، وفي الجوارح عملاً .

وجزاء التوحيد في الدنيا سعادة وأمناً ، وفي الجنة ثواباً ورضواناً : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢] .

وكمال التوحيد وتمامه أن يعلم العبد أن الخلق والأمر في الكون كله بيد الله لا بيد غيره.

فلا يرى نفعاً ولا ضراً ، ولا بسطاً ولا قبضاً ، ولا حركة ولا سكوناً ، ولا هداية ولا ضلالاً ، ولا ظلمة ولا نوراً ، ولا حياة ولا موتاً إلا ويعلم أن ذلك كله الله خالقه ، وهو على مقتضى العدل والإحسان، والحكمة والرحمة: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

• قيمة التوحيد :

التوحيد والإيمان أعظم نعمة أنعم الله بها على من يشاء من عباده.

والتوحيد جوهرة ثمينة نفيسة ، وهو أعظم شيء في خزائن الله ، فيجب على من أكرمه الله به أن يشكر ربه ، ويستفيد منه ، ويحفظه من الدنس والشرك والسرقة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة/ ٣] .

والتوحيد كرامة خاصة من الرب الكريم يؤتيه الله من يعلم أنه يصلح له ويزكو به، ويمنعه من يعلم أنه لا يصلح له ولا يزكو به : ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾[الأنعام/ ٣٩].

والتوحيد به صلاح القلوب والأبدان ، وصلاح الأقوال والأعمال، وصلاح الدنيا والآخرة.

فالقلب إذا صلح بالمعرفة والتوحيد والإيمان صلح الجسد كله بالطاعة والتسليم لرب العالمين، ثم صلحت حال العبدظاهراً وباطناً ، فرضي عنه ربه، وأسعده في دنياه وأخراه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[يونس/ ٦٢ – ٦٤] .

وإذا فسد القلب بالجهل والكفر والشرك فسد الجسد كله بالمعاصي والطغيان والفجور: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾[القصص / ٤].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، ألا وَهِيَ القَلْبُ » متفق عليه[(١)].

فالتوحيد أعظم شيء عند الله ، وأعظم شيء يجب على العبدلله ، ومن أجله خلق الله الخلق ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وخلق الجنة والنار ، وقبول الأقوال والأعمال وعطاء جزيل الثواب كل ذلك مبني عليه.

ولعظمة التوحيد ومحبة الله له ومحبته لأهله وحّد الله ﷻ نفسه في الأسماء والصفات والأفعال ،

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ، ومسلم برقم (١٥٩٩) واللفظ له .

فلا شريك له في ذلك : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

ووحَّد نفسه في الألوهية ، فأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وقَبِل ما كان خالصاً له وحده ، وأبطل كل عمل أشرك الإنسان معه فيه غيره : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥ ﴾[الزمر/ ٦٥].

ووحَّد نفسه في الشريعة بالأمر والنهي والتحليل والتحريم ، فلا شَرْع إلا ما شرعه الله وحده لا شريك له، وما سواه مردود غير مقبول : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥ ﴾ [النساء/ ١١٥].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:« مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه[1].

ووحَّد نفسه في الملك والخلق والأمر ، فهو مالك الملك كله ، وله الخلق والأمر كله : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤ ﴾ [الاعراف / ٥٤] .

ومن أجل ذلك خلق الله الكون كله ليُعرِّف عباده بوحدانيته وأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ ليوحدوه ويعبدوه ويعظموه ويحبوه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢ ﴾ [الطلاق / ١٢] .

• أصل التوحيد :

التوحيد الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوحيده بذلك ، وإفراده بالعبادة التي شرعها بواسطة رسله.

فالله خالق كل شيء ، وبيده أمر كل شيء ، وله ملك كل شيء ، وعنده خزائن كل شيء.

خلق الكائنات وحركاتها.. وخلق العباد وأفعالهم .. وخلق الثواب والعقاب .

فهو الذي وفق العبد للإيمان والعمل ثم أثابه عليه ، ووفقه للتوبة ثم قَبِلها منه، ووفقه للدعاء ثم أجابه : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٧ ﴾ [الحجرات / ١٧] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨).

وما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون أبداً ، ولا يكون شيء في ملكه إلا بإذنه ومشيئته وعلمه .

والله وحده تفرّد بالخلق والأمر ، والملك والسلطان ، والهداية والإضلال ، والإنعام والإحسان ، والأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة/ ١٦٣].

وجميع أفعال الله وأحكامه وقعت منه سبحانه على وجه الحكمة والعدل والرحمة والإحسان فهو الهادي الذي يهدي من يشاء بفضله ، ويضل من يشاء بعدله ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [النحل / ٩٣] .

والله ﷻ رؤوف بالعباد ، يهدي إليه من جاهد للوصول إليه ، ولم يَطْرد عن بابه ولم يُبعد عن جنابه من يليق به التقريب والهدى والإكرام: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

وإنما طرد من لا يليق به إلا الطرد والإبعاد والإهانة بعد قيام الحجة عليه ببيان الحق له، وترغيبه فيه، وتحذيره من الباطل، وترك بعد ذلك الاختيار له : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه/ ١٢٣ – ١٢٦] .

- **أهل التوحيد :**

أهل التوحيد هم كل من وحَّد الله بأسمائه وصفاته .. ووحَّد الرب بأفعاله من الخلق والرزق والتدبير..ووحَّد الله بعبادته وحده لا شريك له.

وهؤلاء هم صفوة الله من خلقه ، وأهل الصفات التي يحبها الله ، والتي دعاهم إلى التعبد له بها.

وأهل هذه الصفات الجمالية هم جلساء الخالق يوم القيامة: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الواقعة / ١٠ – ١٦] .

فأهل الصفات الإيمانية الكاملة لهم في الجنة نعيم كامل ، ورضوان من الله كامل : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة / ٧٢] .

• إيمان أهل التوحيد :

يجب على كل مسلم أن يؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وأن يُحسن عبادة ربه بما شرعه .

عن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال لجبريل ﷺ حين سأله عن الإيمان : « أَنْ تُؤْمِنَ بالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » قَال صَدَقْتَ ، قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ ، قَال: « أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لمَ تكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَراكَ » متفق عليه[1].

فيؤمن المسلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويثبت له من الأسماء والصفات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ، وينفي عنه ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ .

ويؤمن بخلقه سبحانه لكل شيء ، المتضمن كمال علمه وقدرته ومشيئته وحكمته ، ويؤمن بنفوذ أمره في كل شيء ، وعموم ملكه لكل شيء .

ويؤمن بشرعه المتضمن عبادته وحده بما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال التي بينها في كتابه، وشرعها رسول الله ﷺ في سنته .

ويؤمن بملائكته الذين يسبحون بحمده ، ويعملون بأمره ، ويستغفرون لخلقه.

ويؤمن بكتبه التي أنزلها على رسله لبيان الحق ، والعمل به ، ودعوة الناس إليه.

ويؤمن برسله الذين أرسلهم إلى عباده بالحق للعمل به والدعوة إليه.

ويؤمن باليوم الآخر الذي يُجازي فيه الله عباده المؤمنين بالجنة ، ويُعاقب الكفار بالنار.

ويؤمن بقضائه وقدره المتضمن كل خير ورحمة وحكمة وإحسان ، مع دوام السمع والطاعة والاستغفار في كل حال: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة / ٢٨٥] .

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٥٠) ، ومسلم برقم (٨) واللفظ له .

• ثواب أهل التوحيد :

الله ﷻ واحد لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ولهذا استحق أن يُعبد وحده لا شريك له ؛ لِمَا له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى.

وذلك يستلزم أن يكون هو المعبود الحق الذي تألهه القلوب ، وتخضع له ، وتحبه غاية الحب، وتعظمه وتكبره ، وتسبحه وتقدسه ، وتحمده وتشكره : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر / ٢٤].

وإذا عرفت القلوب ذلك أثمر لها في الدنيا ما يلي:

التوكل على الله وحده .. والإنابة إليه .. والسكون إليه .. والطمأنينة بذكره .. وتعظيمه وإجلاله .. وخوفه ورجاؤه .. وخشيته وتقواه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن / ١٣] .

ويثمر لها كذلك محبة الله ومحبة ما يحب.. والصبر على ما يحب..والأنس بالله .. والتلذذ بطاعته.. ورحمة خلقه .. والتسليم لحكم الله .. والتوجه إليه في كل حال..وعدم الالتفات إلى ما سواه .. ودوام ذكره وشكره وحسن عبادته وتقواه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق/ ٢–٣] .

أما ثواب أهل التوحيد في الآخرة فهو أن الله يكرمهم يوم القيامة بثمان كرامات وهي :

دخول الجنة ..ورؤية الرب ﷻ .. والقرب منه .. وسماع كلامه .. والفوز برضوانه .. والنجاة من النار .. والتلذذ بنعيم الجنة .. والخلود في دار النعيم في ملك كبير.

١- قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة/ ٧٢] .

٢- وقال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة / ٢٢ – ٢٣].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤–٥٥] .

٤- وقال الله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس / ٥٨] .

٥- وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان/ ٢٠ – ٢٢].

اللهم إنا نسألك الفوز بالجنة والنجاة من النار ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

• نواقض التوحيد :

التوحيدضدالشرك،كماأن الحق ضدالباطل،والتوحيدله نواقض كماأن الوضوء له نواقض.

وإذا انتقض التوحيد بطل العمل ؛ لأن التوحيد هو الأصل ، والعمل فرع له ، وإذا فسد الأصل فسد الفرع : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٥-٦٦] .

فيجب على المسلم تجريد التوحيد لربه العظيم ، واجتناب ما يبطله أو يكدر صفاءه .

ونواقض التوحيد كثيرة ، ويمكن حصر أصولها فيما يلي :

١ – الكفر بالله ﷻ.

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [المائدة/ ٥].

٢ – الشرك بالله ﷻ.

قال الله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء/ ٤٨] .

٣– النفاق ، بأن يُظهِر الإسلام ويُبطِن الكفر.

قال الله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ [النساء/ ١٤٥-١٤٦].

٤ – الردة ، بأن يرتد الإنسان عن الإسلام طوعاً.

قال الله تعالى :﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١٧].

٥- البدعة ، بأن يبتدع في الدين ما ليس منه من البدع المكفرة.

قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام/ ١٤٤].

٦- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم الشفاعة فهو كافر.

قال الله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس/ ١٨].

٧- من لم يكفِّر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم فهو كافر.

قال الله تعالى : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة/ ٤].

٨- من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه فهو كافر .

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران/ ٨٥].

٩- من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به ، أو استهزأ بشيء مما جاء به الرسول ﷺ فهو كافر.

قال الله تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة/ ٦٥-٦٦].

١٠- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر.

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء/ ١١٥].

١١- من أعرض عن دين الله تعالى ، لا يتعلمه ولا يعمل به .

قال الله تعالى :﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة/ ٢٢].

١٢- مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين .

قال الله تعالى :﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران/ ٢٨].

١٣- السحر ، ومنه الصرف والعطف ، فمن فعله أو رضي به فهو كافر .

قال الله تعالى :﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة/ ١٠٢].

البـــاب الثاني

توحيد الله بأسمائه وصفاته

ويشتمل على ما يلي :

١ - حكم العلم بأسمــــاء الله الحسنى

٢- أســمـاء الله وصفاته كلها حسنى

٣- عدد أســـــمـاء الله الحسنى

٤- إثبات أســــمـاء الله الحسنى

٥- أركان الإيمان بأسماء الله وصفاته

٦- دلالة أســــمـاء الله الحسنى

٧- أقسام أســــمـاء الله الحسنى

٨- حكم التسمي بأسماء الله الحسنى

قال الله تعالى :



﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ



وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾

[محمد / ١٩]

توحيد الله بأسمائه وصفاته

• حكم العلم بأسماء الله الحسنى:

العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله أشرف العلوم على الإطلاق، وأعظم أبواب التوحيد، وأزكى العلوم وأعلاها وأحسنها وأعظمها وأفضلها وأوجبها ؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم وهو الله ﷻ : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨ ﴾ [المائدة/ ٩٨].

وهذا العلم أشرف ما صُرفت فيه الأنفاس.. وخير ما سعى في تحصيله الأكياس.. وهو عماد السير إلى الله .. والباب الأعظم لمعرفته ونيل محابه ورضاه.. وهو الصراط المستقيم لكل من أحبه الله واجتباه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد/ ١٩] .

والإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أساس بنيان الدين وهو من الدين بمنزلة الرأس من الجسد ، ومتى كان الأساس راسخاً حمل البنيان ، والأقوال والأعمال بنيان الدين ، وسقفهُ الأخلاق الحسنة.

وأساس كل ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وتوحيده بها ، ومتى كان الأساس قوياً حمل البنيان، وإذا تهدم شيء من البنيان سهل تداركه.

وإن كان الأساس غيروثيق لم يحمل البنيان،وإذا تهدم شيء من الأساس سقط البنيان كله.

وعلى قدر إحكام الأساس يكون علو البنيان : ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦ ﴾ [الزمر/ ٦٥-٦٦] .

وأوثق أساس يَبني عليه العبد بنيانه مركب من أمرين:

معرفة الله وتوحيده بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.. وتجريد الانقياد لله ورسوله.

والقرآن كله بيان لهذا الأساس ،وترسيخ له، ودعوة إلى إتقانه ، والعمل به ، فهو الغاية التي خلق الله الخلق من أجلها كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨ ﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

وقد أمرنا الله ﷻ أن نتعلم هذا العلم الشريف ونعتني به ونعمل بمقتضاه ؛ لعظم شأنه ، وعلو مقامه ، وكثرة بركاته وخيراته فقال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ [البقرة/ ٢٣١].

وقد ذكر الله سبحانه في القرآن كثيراً من أسمائه وصفاته وأفعاله ، وأظهرها في آياته ومخلوقاته ؛ لِيُعرِّف عباده بها ، ليعبدوه بموجبها ، ويدعوه بها .

وأسماء الله وصفاته وأفعاله أحب شيء إلى الله ، وهي أفضل شيء في القرآن وأعظمه وأحسنه ؛ لأنها صفات الخالق العظيم ﷻ : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فيجب علينا تعلم هذا العلم الشريف ؛ لأنه أساس التوحيد، وأعظم أركان الإيمان، وأعظم أصول الدين، وعليه تُبنى بيوت الإسلام الرفيعة، ومنازله العالية ، وصفاته الحسنة الجميلة .

ولن تستقيم حال البشرية أبداً إلا بمعرفة ربهم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعبادته وحده لا شريك له، والعمل بدينه وشرعه الذي به سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس/ ٦٢ - ٦٤].

اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين ، ومن حزبك المفلحين ، وثبتنا على الصراط المستقيم حتى نلقاك يا أرحم الراحمين.

• أسماء الله وصفاته كلها حسنى :

أسماء الله وصفاته كلها حسنى ، وهي بالغة في الحسن والجمال كماله ومنتهاه ، فلا أحسن منها بوجه من الوجوه : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/٨].

فأسماء الله ﷻ أحسن الأسماء ، وصفاته أحسن الصفات ، وأقواله أحسن الأقوال ، وأفعاله أحسن الأفعال ، ومخلوقاته أحسن المخلوقات ، وأحكامه أحسن الأحكام ، وشرائعه أحسن الشرائع ، وكتبه أحسن الكتب، ورسله أحسن الرسل، وأوامره أحسن الأوامر ، وثوابه أحسن الثواب.

وأسماء الله كلها حسنى؛ لأنها تدل على صفات الكمال والجلال والجمال لله ﷻ .

فهي أسماء مدح وحمد وثناء ، وأسماء تمجيد وتعظيم وإجلال ، وأسماء رحمة ولطف وإحسان: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء/ ١١٠].

والله ﷻ لجلاله وجماله وعظمته وكبريائه وإحسانه وإنعامه لا يُسمى إلا بأحسن الأسماء، ولا يوصف إلا بأحسن الصفات، ولا يُحْمد إلا بأحسن المحامد، ولا يُعبد إلا بأحسن العبادات :

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢ – ١٠٣] .

- **عدد أسماء الله الحسنى :**

أسماء الله الحسنى وصفاته العلى كثيرة ليس لها حصر، ولا تحد بعدد معين، ولا يحيط بعلمها إلا الرب الذي تسمى بها واتصف بها ﷻ وتقدست أسماؤه.

وأسماء الله كلها حسنى، ولهذا أمرنا الله بمعرفتها والتعبد بها، ودعاء الله بها ، وتوحيده بها.

وأسماء الله ﷻ من حيث العلم بها ثلاثة أقسام :

منها ما استأثر الله بعلمه، فلم يُطْلع عليه أحداً من خلقه.

ومنها ما علّمه الله بعض خلقه ، ولم ينزله في كتابه.

ومنها ما بيّنه الله في كتابه، أو سماه به رسوله ﷺ في سنته .

ولله ﷻ من الأسماء الحسنى تسعة وتسعون اسما، من أحصاها وحفظها وعمل بمقتضاها ، ودعا الله بها أدخله الجنة.

وقد أحصينا بفضل الله منها في هذا المجموع المبارك أكثر من مائة وستة أسماء ، ذكرناها مقرونة بالأدلة الشرعية من القرآن والسنة.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم معرفتها، وحفظها ، وفهمها، والتصديق بها، ودعاء الله بها ، وحسن التعبد لله بها .

١ – قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف / ١٨٠] .

٢ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً، مِائَةً إِلَّا وَاحِداً ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجنةَ » متفق عليه[1].

٣– وعن أبي هريرة رضي الله عنه –في حديث الشفاعة– أن النبي ﷺ قال: « ثُمَّ يَفْتَحُ الله عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِه

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٢) ، ومسلم برقم (٢٦٧٧) .

وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي » متفق عليه [1].

٤ – وعن عائشة رضي الله عنها قالت : فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد ، وهما منصوبتان ، وهو يقـول: « اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثناءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » أخرجه مسلم[2].

٥ – وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجِلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي ، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحاً » .

قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ ؟ قَالَ : « أَجَلْ ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ » أخرجه أحمد[3].

• إثبات أسماء الله الحسنى :

أسماء الله وصفاته توقيفية، فنثبت لله ﷻ من الأسماء والصفات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسوله ﷺ في سنته ، وننفي عن الله من الأسماء والصفات ما نفاه عن نفسه في كتابه ، أو نفاه عنه رسوله ﷺ في سنته.

فلا نتجاوز القرآن والحديث ،ولا نقول على الله بلا علم ،ولا نعمل إلا بما أنزل الله ، ولا نقول على الله غير الحق : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [النحل / ١١٦ – ١١٧] .

وأسماء الله وصفاته وأفعاله الواردة في القران والسنة نؤمن بها كلها، ونعبده بموجبها.

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٢٧٣٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٧) .

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٨٦).

(٣) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم(٤٣١٨) ، انظر السلسلة الصحيحة رقم (١٩٩) .

وأسماء ربنا أحسن الأسماء ، وصفات ربنا أحسن الصفات ، وصفات ربنا أوسع من أسمائه، وأفعاله أوسع من أسمائه وصفاته، وأسماؤه وصفاته وأفعاله كلها دالة على ذاته وجلاله وجماله.

فكل اسم من أسماء الله الحسنى نشتق منه صفة له، فالله سمى نفسه (الخالق ، الرزاق ، المصور) ووصف نفسه بأنه يخلق ويرزق ويصور.

وليس كل صفة يؤخذ منها اسم لله ﷻ ، فالله وصف نفسه أنه (يرسل وينزل ويكشف ويقلّب ويشاء ويريد) ولا يُسمى (بالمرسِل والمنزِل والكاشف والمقلِّب والشائي والمريد)لأنه لم يسم به نفسه وإنما وصف به نفسه، فنصفه بذلك، ولا نسميه به.

وليس كل فعل يؤخذ منه صفة لله ، فالله أخبر أنه (يمكر ويكيد ويخدع وينسى ويفتن)ونحو ذلك، فلا يوصف الله بذلك إلا مقروناً بسببه، ولا يسمى به كذلك فلا يُقال (الماكر والفاتن) ، بل يُقال يمكر الله بمن مكر بأوليائه، ويكيد من كاد أولياءه، ويخدع من يخادعه ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء / ١٤٢] ، وينسى مَنْ نسيه ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾ [التوبة / ٦٧] ، ويُزيغ من زاغ عن الحق ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف / ٥] .

وهكذا في باقي الأفعال المماثلة لا يوصف الله بها إلا مقروناً بسببه.

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد / ١٩] .

- **أركان الإيمان بأسماء الله وصفاته :**

الإيمان بأسماء الله وصفاته له ثلاثة أركان:

الأول : تنزيه خالق السموات والأرض عن مشابهة المخلوقين في الذات والأسماء والصفات والأفعال.

الثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله من الأسماء والصفات.

الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية أسماء الله وصفاته وأفعاله.

فكما لا نعلم كيفية ذاته سبحانه لا نعلم كيفية أسمائه وصفاته وأفعاله كما قال سبحانه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى / ١١] .

- **دلالة أسماء الله الحسنى :**

أسماء الله ﷻ كلها مترادفة في الدلالة على الذات، متباينة في الدلالة على الصفات، لدلالة كل اسم منها على معنى خاص مستفاد منه كالعظيم والكبير والعزيز والخالق والرزاق والكريم وغيرها من الأسماء الحسنى.

فكل أسماء الله الحسنى تدل على ذات الله، وتدل على صفات متعددة للرب كالخلق والتصوير، والعلم والقدرة، والرزق والكرم وهكذا: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[الإسراء / ١١٠] .

فأسماء الله الحسنى أعلام وأوصاف.

فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات ، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني من صفات الجلال والجمال .

فالحي القيوم، والسميع البصير، والعزيز العليم وغيرها من الأسماء الحسنى ، كلها أسماء لمسمى واحد هو الله ﷻ .

لكن للحي معنى خاص ، وللقيوم معنى خاص ، وللسميع معنى خاص.

فالحي يدل على صفة الحياة، والسميع يدل على صفة السمع، والعليم يدل على صفة العلم ، والرزاق يدل على صفة الرزق وهكذا.

وأسماء الله الحسنى كما أنها متعددة ، فهي كذلك متفاضلة في المعاني، وفيها اسم الله الأعظم الذي أخفاه الله ﷻ في أسمائه الحسنى ليتعبَّد الخلق بجميع أسمائه الحسنى ، ويدعونه بها: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف / ١٨٠] .

وعن بريدة ﷺ قال : سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ، فقَالَ رَسُوْل الله ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى » أخرجه الترمذي وابن ماجه[١].

---

(١) **صحيح/** أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٥) ، وهذا لفظه ، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٧).

• أقسام أسماء الله الحسنى :

١ – أسماء الله الحسنى من حيث معانيها أربعة أقسام :

الأول : الأسماء الدالة على صفة ذاتية للرب ﷻ .

والصفة الذاتية : هي كل صفة لا تنفك عن الذات، ولا تعلُّق لها بالمشيئة.

ومن هذه الأسماء: الحي القيوم..السميع البصير.. العليم الخبير.. القوي العزيز.. العلي الكبير.. وأمثالها.

الثاني : الأسماء الدالة على صفة فعلية للرب ﷻ .

والصفة الفعلية: هي كل صفة تتعلق بالمشيئة، إن شاء الله فَعَلها وإن لم يشأ لم يفعلها.

ومن هذه الأسماء: الخالق، الرزاق، التواب، العفو، الغفور، الرحيم .. وأمثالها.

فالخالق يخلق إذا شاء، ويكرم إذا شاء ، ويرزق من يشاء ، ويتوب على من يشاء ، ويرحم من يشاء ويغفر لمن يشاء : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الفتح / ١٤] .

الثالث: الأسماء الدالة على التقديس والتنزيه للرب عما لا يليق بجلاله وعظمته.

ومن هذه الأسماء: القدوس، السلام، السبوح .. وأمثالها.

فهو سبحانه السلام من كل نقص وعيب وآفة ، القدوس السبوح المنزه عن جميع النقائص والعيوب ، المنزه عن كل ما ينافي صفات كماله وجلاله وجماله، المنزه عن الضد والند ، والكفو والمثل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى / ١١] .

الرابع: الأسماء الدالة على جملة أوصاف عظيمة حسنى للرب ﷻ .

ومن هذه الأسماء: العظيم، الحميد، المجيد، الملك، الصمد .. وأمثالها.

فالعظيم من له كمال العظمة في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، والحميد يدل على كثرة حمده، وكثرة الحامدين له، وكثرة ما يُحمد عليه.

والمجيد يدل على عظمة صفاته وكثرتها وسعتها ، وعلى عظمة ملكه وسلطانه، وتفرده بالجلال والجمال والكمال.. وهكذا .

٢ – أسماء الله الحسنى من حيث دلالتها قسمان:

الأول: الأسماء الدالة على صفة ذاتية لازمة.

وهي كل اسم لا يتعدى أثره فاعله، ولا يجاوزه إلى المفعول به.

ومن هذه الأسماء:

الواحد، الأحد ، العلي ،العظيم ، الكبير ، الوتر، الأول ، الآخر، الظاهر، الباطن وأمثالها.

فما كان من هذه الأسماء فإنه يتضمن أمرين:

ثبوت ذلك الاسم لله ﷻ .. وثبوت الصفة التي تضمنها.

فالواحد مثلاً يتضمن إثبات الواحد اسماً لله ، وإثبات الوحدانية صفة له، والعظيم يتضمن إثبات العظيم اسماً لله، وإثبات العظمة صفة له .. وهكذا في بقية الأسماء.

الثاني: الأسماء الدالة على صفة فعلية متعدية من الخالق إلى المخلوق، ومن الفاعل إلى المفعول ، ومن المَلِك إلى المملوك.

ومن هذه الأسماء: الخالق، البارئ، المصور، العفو، الغفور، الكريم، الرحيم ، التواب، الرزاق، السميع، البصير، الرب، الفتاح، اللطيف.. وأمثالها.

وما كان من هذه الأسماء فإنه يتضمن ثلاثة أمور:

ثبوت ذلك الاسم لله.. ثبوت الصفة التي تضمنها.. ثبوت حكمها ومقتضاها.

فالرحيم مثلاً يتضمن إثبات الرحيم اسماً لله ﷻ ، وإثبات الرحمة صفة له، وإثبات مقتضاه وهو أن الله يرحم من يشاء .. وهكذا في بقية الأسماء من هذا النوع.

• حكم التسمي بأسماء الله الحسنى:

أسماء الله الحسنى مختصة به وحده لا شريك له ، فله سبحانه الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فلا شريك له ، ولا سَمِيَّ له ، ولا مثيل له ، ولا شبيه له ، هو الملك الذي ليس كمثله أحد في الملك ، هو القادر الذي ليس كمثله أحد في القدرة : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه / ٨] .

فهو الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص / ١-٤] .

أما تسمية البشر بأسماء الله فعلى وجهين:

الأول: ما كان من أسماء الله عَلَماً مختصاً به مثل اسم الله، الخالق، البارئ، المصور، القيوم، الرحمن .. وأمثالها.

فهذه لا يجوز تسمية غيره بها ؛ لأن مسماها خاص بالله لا يقبل الشركة، فلا يجوز إطلاقه إلا على الله وحده لا شريك له.

الثاني: ما كان من الأسماء الحسنى له معنى كليٍّ يتفاوت الحكم فيه بين أفراده كالملك، والعزيز، والعلي، والكبير، والرحيم، والكريم، والحكيم، والسميع، والبصير .. وأمثالها.

فهذه الأسماء وأمثالها تُطلق على الخالق وعلى المخلوق، ولكلٍ حُكمه ومعناه ، فيجوز التسمي به ، ولا يلزم من ذلك التماثل ، فالله هو العزيز الأعلى ، والمخلوق عزيز أدنى وهكذا .

فما يضاف إلى الخالق منها يليق بعظمته وجلاله، وما يضاف إلى المخلوق منها يليق بالمخلوق وضعفه ونقصه كما هو مذكور في القرآن.

- **أسماء الله الحسنى من حيث معانيها ستة أقسام:**

الأول : الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانيته مثل :

الله ، الإله ، الواحد ، الأحد ، الحق ، الحي ، القيوم ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، وأمثالها من الأسماء الحسنى.

الثاني : الأسماء الدالة على الملك والقدرة مثل :

الملك ، العزيز ، الجبار، المهيمن ، القهار ، القادر ، القوي ، المقدم والمؤخر وأمثالها .

الثالث : الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد مثل :

الخالق ، البارئ ، المصور ، الرزاق ، الوهاب ، الكريم ، البَرّ ، المقيت ، وأمثالها .

الرابع : الأسماء الدالة على العلم والإحاطة مثل :

السميع ، البصير ، العليم ، الخبير ، الرقيب ، الشهيد ، الحفيظ ، المحيط وأمثالها.

الخامس : الأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة مثل :

الرب ، الرحمن ، الرحيم ، الرؤوف ، الحليم ، الحميد ، الشكور ، الودود ، الولي ، النصير ، القريب ، المجيب ، العفو ، الغفور ، التواب وأمثالها .

السادس : الأسماء الدالة على الهداية والبيان مثل :

الهادي ، المبين ، الوكيل ، الكفيل وأمثالها .

وجميع أسماء الله الحسنى واحدة في الدلالة على الذات ، متعددة المعاني والصفات : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

- **أسماء الله وصفاته من حيث وصف الله بها أربعة أقسام :**

الأول : ما هو كمال على الإطلاق ، فهذا يسمى الله به ويوصف ، وهو جميع أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن والسنة مثل :

الله ، الرحمن ، الرحيم ، السميع ، البصير ، الغني ، الغفور ، الكريم ، الحكيم ، الحليم ، العليم ،القدير ، وأمثالها .

الثاني : ما هو صفة كمال ، لكن قد ينتج عنه نقص .

فهذا يوصف الله به كما ورد في القرآن ولا يسمى به مثل : (المريد،المتكلم،الشائي) فيوصف الله بأنه يتكلم ، ويريد ، ويشاء على سبيل الإطلاق ، ولا يسمى بذلك ؛ لأن الكلام والإرادة والمشيئة قد تكون بخير أو بشر ، بصدق أو كذب ، بعدل أو بظلم ، بحق أو بباطل .

الثالث : ما لا يكون كمالاً عند الإطلاق ، ولكن هو كمال عند التقييد .

فهذا لا يسمى الله به ، لكن يوصف الله به مقيداً كما ورد في القرآن مثل :

الخداع ،والاستهزاء ، والمكر ، والكيد ، والانتقام ، فلا نسمي الله به ، فنقول : الله ماكر مخادع على سبيل الإطلاق ، لكن نَصِفه به مقيداً كما ورد فنقول : الله يمكر بمن يمكر به وبرسوله ، ويخادع من يخادعه ورسوله ، ويستهزئ بمن يستهزئ به وبرسوله وأوليائه وهكذا .

الرابع : ما يتضمن النقص على سبيل الإطلاق .

وهذا لا يسمى الله به أبداً ، ولا يوصف به أبداً ، مثل :

الخائن ، العاجز ، الضعيف ، الأعور ؛ لأن الله له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، فلا يجوز أن يوصف الله بصفة عيب أو نقص مطلقاً : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

البـــاب الثالث

فقه التعبد بأسماء الله الحسنى

ويشتمل على ما يلي :

١ - حكمة خلق الإنسان

٢ - فقـه أعمـال القلـوب

٣- التعبد لله بأسمائه الحسنى .. ويشمل :

١ - أركـان التعبـد بأسمـاء الله وصفـاته

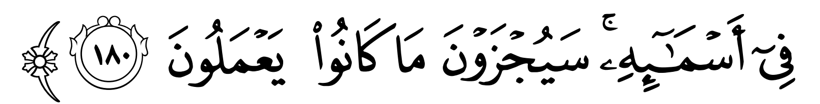
٢ - طرق الوصول إلى التعبد بأسمـاء الله وصفاته

٣- مراتب المؤمنين في التعبد بأسماء الله وصفاته

٤ - آثـار التعبد لله بأسمـــائه وصفــاته

٤ - فقه التعبد لله بأسمائه الحسنى

قال الله تعالى :


﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾

[الأعراف / ١٨٠]

فقه التعبد بأسماء الله الحسنى

١ - حكمة خلق الإنسان

الله ﷻ خلق المخلوقات كلها ليظهر قدرته لعباده، ويعرِّفهم بأسمائه وصفاته ، عن طريق آياته ومخلوقاته ، وأرسل رسله بكتبه لبيان الحق الذي يعبدونه به، والشرع الذي يتقربون به إليه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق / ١٢] .

وقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وكرَّمه أحسن تكريم ، ثم جعله خليفة في الأرض ليعمرها بشرعه الحكيم : ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وركّب الله خلق هذا الإنسان من ثلاثة أشياء:

جسد مادي .. ونفس حيواني .. وروح ملكي.

فجسد الإنسان يخلقه الله في بطن الأم، وفي نفس الإنسان بحار الشهوات، وفي روح الإنسان بحار الطاعات، والجسد علبة لهما، ومطية للغالب منهما.

والشهوات ليس لها حد .. والطاعات ليس لها حد.

وأوامر الدين كلها في مقابل شهوات النفس ، وهذ هو محل الابتلاء في الإنسان .

فالإنسان أما أن يترك الشهوات بسبب الطاعات ، أو يترك الطاعات بسبب الشهوات ، ولا يمكن الجمع بينهما كما لا يمكن الجمع بين الماء والنار : ﴿وَنَفۡسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

والله سبحانه خلق الدنيا لقضاء حاجات الإنسان، وتكميل محبوبات الرحمن ، وخلق الجنة لتكميل شهوات الإنسان ، ورؤية الرحمن ، وملأ الدنيا بمحبوباته من أنواع العبادات ، وملأ الآخرة بمحبوبات الإنسان من أنواع الشهوات.

والله يريد تكميل محبوباته في الدنيا ، والنفس تريد تكميل محبوباتها من الشهوات في الدنيا ، وهذا محل الابتلاء في الإنسان : ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٍ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ

﴿ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان / ٢ – ٣] .

فالطاعات من الرب ، والشهوات من النفس، والإنسان إما أن يكون عبداً للرب ، أو يكون عبداً للنفس ، ولهذا احتاج إلى مُذكِّر ، فأرسل الله الرحيم الرسل إلى خلقه ، وأنزل عليهم الكتب ؛ ليعرف الإنسان ربه وما يريد منه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢].

والله سبحانه يريد من الإنسان في الدنيا تكميل الإيمان والطاعات ، وقضاء حاجاته الضرورية من الأكل والشرب ونحوهما ، ثم الله يكمِّل للإنسان محبوباته وشهواته في الجنة: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة / ٧٢] .

وقد خلق الله هذا الكون العظيم ليُعرِّف عباده بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ليوحدوه .

وأرسل الرسل وأنزل الكتب ليُعرِّفهم بمحبوباته من التوحيد والإيمان وأنواع الطاعات ، وجزاء ذلك من النعيم المقيم في الجنة : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل/ ٣٦].

ولكن الشيطان أسر أكثر نفوس الخلق ، وزين لهم الشهوات ، وثقَّل عليهم الطاعات: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ/ ٢٠].

فجعل الشيطان الشهوات ضرورات ، وشَغَلهم بها عن الطاعات ، وجرهم من مجالس الذكر إلى مجالس الغفلة: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ ﴾ [مريم / ٥٩ – ٦٠] .

فالشيطان يريد من كل إنسان أن يكون معه في النار، والله يريد الإنسان لنفسه ، ولهذا أمره بعبادته وحده وتَرْك عبادة ما سواه من الهوى والدنيا والشيطان ليسعد برضوانه والجنة : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يس/ ٦٠– ٦٤].

واعلم أن الجسد علبة الإنسان وظرفه ، والروح حقيقة الإنسان ولبه ، والجسد إذا كانت فيه الروح كان حياً له قيمة ، ولذلك يكون ملكاً ووزيراً ، وتاجراً وصانعاً ، وعالماً وعابداً ، وداعياً ومعلماً.

فإذا خرج صاحب الجسد وفرغ الجسد من الروح صار الجسد لا قيمة له ولا عمل له ، ولذلك يتعفن في الحال ويُدفن في التراب الذي خلقه الله منه ، أما الروح فلا تموت ، بل تبقى الروح الطيبة منعَّمة ، وتبقى الروح الخبيثة معذبة.

وقد جعل الله الدنيا إناءً للدين ، فلا قيمة للدنيا إلا بالدين ، ولا قيمة للإنسان إلا بالإيمان والأعمال الصالحة ، فإذا ترك الإنسان الدين صار لا قيمة له في الدنيا ولا في الآخرة: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢ ﴾ [الإسراء / ٧٢] .

وقد وهب الله كل إنسان عقلاً يميز به بين ما ينفعه وما يضره، ويتعرف به على خالقه، وما يجب له من العبودية: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ١٨٥ ﴾ [الأعراف / ١٨٥] .

وإذا لم يستعمل الإنسان هذا العقل مع الوحي فإنه يضل ويشقى في الدنيا والآخرة ، وتكون حياته أضل من البهائم التي ترتع في الشهوات غافلة عما ينتظرها من الذبح : ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩ ﴾ [الأعراف / ١٧٩] .

وقد جعل الله لكل إنسان حياتين:

حياة في الدنيا تنتهي في أي لحظة.. وحياة في الآخرة تبدأ في أي لحظة.. وأرشده إلى ما ينفعه ويسعده فيهما باتباع الدين الحق الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه .

فالحياة الأولى كالقطرة ، والثانية كالبحر، والأولى فانية ، والثانية باقية ، والأولى محل العمل ، والثانية محل الثواب أو العقاب ، ومن وفقه الله آثر الباقية على الفانية: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤ ﴾ [العنكبوت / ٦٤] .

وكل إنسان يسعى إلى تحصيل السعادة بما يملك حسب علمه وفهمه ، ولكنه لا يمكن أن يحصل على السعادة أبداً إلا عن طريق الذي خلقه وبيَّن له أسباب السعادة في الدنيا والآخرة ، وذلك بكمال الإيمان والتقوى ، وإشاعة ذلك في العالم كله : ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾ [البقرة/ ١٣٨].

ولتحصيل تلك السعادة في الدنيا والآخرة لابد للإنسان أن يؤمن بربه .. ويعبده بما شرع .. ويخترق حاجز الكفر والشرك إلى جنة التوحيد والإيمان .. ويخترق حاجز المخلوقات إلى رؤية الخالق وحده .. ويخترق حاجز الدنيا إلى الآخرة .. ويخترق حاجز تكميل الشهوات إلى تكميل أوامر الله .. ويخترق حاجز العادات والتقاليد إلى سنن وآداب الإسلام .. ويخترق جهد جَمْع الأموال والأشياء إلى جهد الإيمان والأعمال الصالحة وجَمْع الناس على الإيمان والحق بإشاعة الحق في العالم كله : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت / ٣٣] .

وبهذا فقط لا بغيره تحصل للإنسان السعادة والفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة: ﴿وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ٣﴾ [العصر / ١ –٣].

وإذا فهمت هذا فاعلم أن صلاح القلب يتم بثلاثة أمور:

التخلية .. ثم التزكية .. ثم التحلية.

فنجتهد لنُخْلِي ونفرِّغ قلوبنا من حب الدنيا، والتعلق بغير الله ؛ لتكون صافية قابلة للتزكية بالتوحيد والإيمان ومكارم الأخلاق : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات/ ١٥].

ثم تأتي التزكية بأن نعيش في بيئة الإيمان والصدق والأعمال الصالحة ، حيث لا نرى ولا نسمع ولا نقول ولا نعمل ولا نحب إلا ما يحبه الله ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة/ ١١٩] .

ونجافي بيئة الشرك والمعاصي التي تفسد تلك البيئة الصالحة : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾ [الأنعام/ ٦٨].

ثم تأتي التحلية بالفضائل بعد التخلي من الرذائل ، وذلك بالعلم والإيمان، ليدخل التوحيد ويخرج الشرك ، ويحل العلم بدل الجهل، وتأتي فينا الطاعات بدل المعاصي، وتظهر فينا

الأخلاق الحسنة بدل الأخلاق السيئة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[الجمعة/ ٢].

وإذا دخل نور الإيمان في القلب ظهرت آثاره على الجوارح بالقول الحسن، والعمل الحسن ، والخلق الحسن ، ثم نال المؤمن الثواب الحسن :﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[يونس / ٢٦].

وبهذا يكون كمال الإيمان والتقوى الذي أمرنا الله به، ويهتم العبد بأعماله لا بشهواته، وبآخرته لا بدنياه ، فيعبد ربه كما أمره، وهو يرزقه كما وعده: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾[الطلاق / ٢ – ٣].

وقد خلق الله في العالم نورين لمعرفة الأشياء ورؤيتها، والتمييز بين أنواع المخلوقات من الجماد والنبات والحيوان والناس وغيرهم.

وهذان النوران هما:

نور خارجي: وهو نور الشمس والقمر والنجوم والمصابيح.

ونور داخلي: وهو نور العين في الإنسان والحيوان.

ولا يمكن أن تحصل الرؤية إلا باجتماع هذين النورين معاً ، ومتى فُقد أحدهما عُدمت الرؤية للأشياء.

ولكن بهذين النورين لا نستطيع أن نميز بين الإيمان والكفر، ولا بين الحق والباطل ، ولا بين الخير والشر، فالإيمان والأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة لا تظهر بهذين النورين.

فجعل الله الرحيم بعباده لمعرفة ذلك نورين آخرين هما:

نور أنزله الله من السماء وهو القرآن فيه هدى ونور .. ونور آخر أمرنا الله أن نجتهد بالنظر في الآيات الكونية والشرعية ليأتي في قلوبنا ، وهو نور التوحيد والإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت/ ٦٩].

ولا يمكن أن تحصل الهداية للعبد إلا بهذين النورين معاً: نور الإيمان .. ونور القرآن .

ومن أراد الله هدايته هداه إليه بهذين النورين: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥] .

وعلامة نور الإيمان في القلب أن يرى العبد ربه ملكاً عظيماً ، وإلهاً كريماً ، بيده كل شيء ، وغيره ليس بيده شيء ، ثم يعبده وحده بموجب هذه المعرفة : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

وإذا تزين القلب بنور الإيمان والقرآن تزين الجسد بصالح الأعمال والأخلاق ، وأبصر الحق من الباطل ، وعرف الخير من الشر ، وأحب الطاعات ، وأبغض المعاصي، وأقبل على عبادة ربه ، وأعرض عما سواه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

ومن ليس عنده نور الإيمان لا يستفيد من نور القرآن ، ومن قرأ القرآن بدون نور الإيمان فقد جعله قراطيس ولم يستفد منه ، وكان عليه حجة: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء/ ٨٢] .

٢ - فقه أعمال القلوب

معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله والتعبد له بموجب تلك المعرفة أعظم أعمال القلوب ؛ لأنها تثمر للعبد تحقيق التوحيد ، وتخلّص قلبه من كل شائبة شركية أو بدعية ، وتطهر نفسه من كل دنس ومعصية، وتحرك قلبه وجوارحه بعبادة ربه بما يحبه الله ويرضاه : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج/ ٣٢].

واعلم أن مقصود جميع العبادات والأذكار والأوامر أن يأتي في قلب المؤمن اليقين على الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فإذا جاء اليقين على الله وأسمائه وصفاته جاء اليقين على قوله وقول رسوله ﷺ ، ثم جاء اليقين على وعده ووعيده ، ثم جاءت من العبد العبادة التي يريدها الله ويحبها.

وإذا جاء اليقين بأركانه الثلاثة عظَّم العبد ربه وأحبه وذل له ، فأقبلت نفسه على الطاعات ، ونفرت من المعاصي ، وسارعت إلى فعل الخيرات : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

وأعمال القلوب أشد وجوباً من أعمال الجوارح، وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم؛ لأنها واجبة في كل وقت ، لا تنفك عن العبد ما دام حياً .

فلا يدخل أحد في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه بالتوحيد والإيمان .

ولا يتميز المؤمن من المنافق إلا بما في القلب من الإيمان أو الكفر .

وبين عمل القلب وعمل الجوارح تلازم، فلا ينفع أحدهما بدون الآخر، والأصل هو القلب، والبدن فرع له ، مطيع لأمره ، والتكليف عليهما معاً .

فلو تمزق القلب بحب الله والخوف منه ولم يتعبد الجسد بشرائع الإسلام الظاهرة لم ينفعه ذلك، ولو قام الجسد بشرائع الإسلام الظاهرة وليس في قلبه حقيقة الإيمان لم ينفعه ذلك: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠] .

وزيادة الأعمال الصالحة وحُسْنها سببه زيادة الإيمان في القلب ، ونقص الأعمال الظاهرة وثِقلها سببه النقص في أعمال القلب الباطنة.

ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تقرن بين عمل القلب وعمل الجوارح ، وتثمر التعبد للملك الحق بأحسن ما شرع مع كمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ .

فالتعبد باسم الله العليم يبعث على التقوى ، وحفظ القلب والجوارح من المعاصي، والمسارعة إلى ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق.

واعلم أن سير كل أحد على الشواهد، فمن لا شاهد له يقصده فلن يصل إلى مبتغاه أبداً، والله مقصود ، والجنة موعود : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

وأعظم الشواهد الدالة على الملك الحق سبحانه أسماء الله وصفاته المشهودة في أفعاله ومخلوقاته ، وهي كُوى تنظر منها البصائر إلى عالم الملك والملكوت : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾ [آل عمران / ١٩٠- ١٩١] .

فتشاهد القلوب ربها وأسماءه وصفاته من خلال آياته ومخلوقاته ، ثم تعامله بما يليق بجلاله وجماله من التعظيم والحب له ، والخوف والخشية منه ، والذل والانكسار بين يديه.

ثم تأمر الجوارح أن تعامله بما يليق بجلاله من أنواع العبادات والأذكار والطاعات : ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾ [الزمر/ ٩].

وهذه المعارف من أجلّ المعارف ؛ لأنها تثمر التوحيد الخالص الصافي من كل شائبة ، والإيمان الذي يملأ القلب بحب الله وتعظيمه، والتوكل عليه ، والتسليم لأمره وحده ، فلا إرادة فيه لما حرم الله ، ولا كراهية عنده لما أمر الله ، وتلك حقيقة لا إله إلا الله : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد/ ١٩] .

٣- التعبد بأسماء الله الحسنى

• أركان التعبد بأسماء الله وصفاته:

للتعبد بأسماء الله وصفاته ثلاثة أركان:

الأول: الإيمان بأن الله وحده له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى.

فمن سار إلى الله باسم من أسمائه الحسنى وصل إليه، ومن تعلق بصفة من صفاته العلى أخذت بيده حتى تدخله عليه بكمال الحب والتعظيم والذل له.

فحياة القلوب بمعرفته ومحبته وتعظيمه، وحياة الجوارح بالتقرب إليه بعبادته بما شرع، وحياة اللسان بدوام ذكره وشكره ، و الثناء عليه ، والدعوة إليه.

ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم روافد الإيمان، وأفضل السبل لزيادة الإيمان ، وذوق حلاوته ، وأيسر الطرق للوصول إلى حقيقة التوحيد وصدق العبودية : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

وأحب عباد الله إليه وأكرمهم عليه أهل هذه المعرفة ؛ لأنهم في رياض معرفته حاضرون، وإلى جلاله وجماله ناظرون ، وبأوامره الملكية الشرعية يعملون.

إنْ نظروا إلى صفات جلاله هابوه .. وإنْ نظروا إلى صفات جماله أحبوه .. وإنْ نظروا إلى شدة نقمته خافوه .. وإنْ نظروا إلى سعة رحمته رجوه وأنابوا إليه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨] .

الثاني: عبادة الله بما تقتضيه أسماؤه الحسنى، وصفاته العلى.

فمن أيقن أن الله هوالأول فوّض الأمور كلها إليه،وتوكل عليه وحده،ولم يلتفت إلى غيره.

ومن أيقن أن الله هو الآخر أيقن أن الأمور كلها أولها وآخرها بدأت منه وترجع إليه ، فلم يلتفت لأحد سواه.

وهذان الاسمان يوجبان للعبد الاضطرار إلى الله ، ودوام الافتقار إليه ، فهوالأول المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة، وهو الآخر الذي ينتهي إليه كل شيء.

ومن أيقن أن الله هو الظاهر قصَده وصمد إليه في جميع حوائجه.

ومن أيقن أن الله هو الباطن عَلِم قربه منه فاستحيا منه ؛ لكثرة نعم الله عليه ، وكثرة معصيته له ، وأحبه وخاف منه ورجاه ؛ لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد / ٣] .

وهكذا التعبد في بقية الأسماء الحسنى .. فكراً ويقيناً وتعبداً وذكراً وسؤالاً وحمداً.

الثالث: الاتصاف بموجب تلك الأسماء والصفات.

فالله سبحانه يحب أسماءه وصفاته، ويحب أن يتصف الإنسان بموجبها.

فالله شكور يحب الشاكرين .. عفو يحب العافين .. رحمان يحب الرحماء .. مؤمن يحب أهل الإيمان .. وهكذا في بقية الأسماء.

وما كان من أسماء الله وصفاته كمالاً في حقه، نقصاً في حق المخلوق ، لأنه لا يليق بالعبد ، فلا يجوز الاتصاف بموجبه ؛ لأنه مختص بالله كاسم الله الجبار والمتكبر وأمثالهما.

• طرق الوصول إلى التعبد بأسماء الله وصفاته :

للتعبد بأسماء الله وصفاته طرق كثيرة أصولها أربعة:

الأول: إحصاء أسماء الله الحسنى بِعدِّها، وحفظها ، وفهم معانيها ، والتعبد لله بموجبها ، ودعاء الله بها.

فالعلم بها وسيلة إلى التعبد بها ، وفهم معانيها وسيلة إلى معاملة الرب بمقتضاها وثمراتها من الحب لله ، والخوف منه ، والرجاء له ، والتوكل عليه ، والاستعانة به : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٢-٧].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً ، مِائَةً إِلَّا وَاحِداً ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجنةَ » متفق عليه[1].

الثاني: النظر والتفكر في آيات الله الكونية.

فجميع المخلوقات في السموات والأرض دالة على عظمة الله ، وناطقة بتوحيده ، ومسبِّحة بحمده،وشاهدة بأسمائه الحسنى وصفاته العلى،عالمة أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٢) ، ومسلم برقم (٢٦٧٧) .

له ، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس / ١٠١] .

الثالث: التفكر في نعم الله التي لا تُعد ولا تحصى .

وهذا الباب يدخل منه كل أحد إلى محبة الله ، فإن نعم الله على عباده كثيرة مشهورة ليس لها حد ، وكلما عرف العبد نعمه ازداد حباً لله وشكراً له: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

الرابع: التدبر والتفكر في الآيات الشرعية وما فيها من الأخبار الصادقة،والعلوم العظيمة ، والأحكام العادلة،والشرائع الحسنة: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء/ ٨٢].

وهذا باب عظيم يُطْلع العبد على كمال عظمة الله ، وكمال رحمته بعباده ، وكمال أوامره وعلمه وأحكامه، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله ، وصدق وعده ووعيده.

• مراتب المؤمنين في التعبد بأسماء الله وصفاته :

الناس يتفاوتون في التعبد لله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى بحسب معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة ثوابه وعقابه، وبحسب تفاوتهم في الذكر والغفلة ، والإيمان والتقوى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩].

فالناس متفاوتون في التعبد لله بحسب ما يُفتح لهم من مشاهد الإيمان والمعرفة بأسماء الله وصفاته وأفعاله ، وأوامره وأحكامه ، والعمل بموجب ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد/ ٢٨].

فمنهم من يأخذ من ذلك بنور ضعيف .. ومنهم من يأخذ كالشمعة .. ومنهم من يأخذ كالقنديل.. ومنهم من يأخذ كالكوكب .. ومنهم من يأخذ كالقمر .. ومنهم من يأخذ كالشمس نوره يشع بين الخافقين : ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٦٣].

ومن شرح الله صدره بنور الإيمان أراه في ضوء ذلك النور حقائق أسماء الله وصفاته وأفعاله ، وأراه حقائق العبودية وما يصححها وما يفسدها: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام / ١٢٢] .

فيرى المؤمن في ضوء ذلك النور المبين ربه العلي العظيم الرحمن مستوياً على عرشه العظيم ، أكبر من كل شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه/ ٥].

ويرى السموات السبع والأرضين السبع في كف ربه الكبير كالخردلة في كف العبد .

ويرى السموات والأرض وما فيهما وما عليهما وما بينهما من الخلائق تسبح بحمد ربها الملك الحق ، وتشهد بتوحيده ، وتدل على كمال أسمائه وصفاته ، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

ويرى عرش ربه الرحمن محيط بجميع ملكه، ويرى رحمته وسعت كل شيء، ويرى علمه محيط بكل شيء ، والله محيط بكل شيء : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

فلوأن جميع الناس مع كافة المخلوقات في السموات والأرض قاموا صفاًواحداً ما أحاطوا بالجبار العلي الكبير جل جلاله ، بل هو المحيط بكل محيط.

ويرى ربه في جماله فوق كل جميل في العالم العلوي والسفلي.

فلو اجتمع جمال الخلائق كلهم في شخص واحد منهم ، ثم أُعطي الخلق كلهم مثل ذلك الجمال ، لكانت نسبته إلى جمال الرب سبحانه دون نسبة سراج ضعيف إلى ضوء الشمس ، فلا نسبة بين الخالق والمخلوق أبداً لا في الذات ولا في الأسماء والصفات : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

ويرى قوة ربه أعظم من كل قوة في الكون.

فلو اجتمعت قوى الخلائق كلها من العرش والكرسي والسموات والأرض والجبال والبحار

وغيرها في شخص واحد ، ثم أُعطي كل منهم مثل تلك القوة ، لكانت نسبتها إلى قوته سبحانه دون نسبة قوة البعوضة إلى قوة حملة العرش العظيم : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

ويرى علم ربه وسع كل شيء ، فلو اجتمع علم الخلائق كلهم في شخص واحد ، ثم أُعطي الخلائق كلهم مثل ذلك ، لكانت نسبته إلى علم الله أدنى من نقرة عصفور من البحر .. وهكذا في سائر أسمائه وصفاته : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

فهذا أول مشاهد المعرفة المغذية للقلب ، ثم يرتقي منه إلى مشهد فوقه لا يتم إلا به ، وهو مشهد الإلهية: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة/ ١٦٣].

فيشهد ربه إلهاً عظيماً يأمر وينهى ويحكم ويقضي ، متجلياً بأمره ونهيه ، صادقاً في وعده ووعيده ، كريماً في ثوابه ، عدلاً في عقابه ، له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

ثم يعبده بهذه المعارف النورانية بما يحبه ويرضاه حتى يلقاه .

ثم تنكشف له في ضوء هذا النور أحوال اليوم الآخر وما فيه من الحشر والحساب ، والصراط والميزان ، والجنة والنار : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

فإذا رأى ذلك علم عظمة ربه وكفايته له ، ورحمته به ، وبره به ، وإحسانه إليه ، وحلمه عليه ، فأوجب له ذلك كمال العبودية لله بالحب والتعظيم والذل له والتقرب إليه بما شرعه وأمر به : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ [الشورى/ ١٠].

ثم لا يزال يتقرب إلى ربه العظيم بكل محبوب إليه بحسب رُقِيّه في هذه المعارف ، والله يؤتي فضله وعلمه من يشاء وهو الحكيم العليم : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩] .

• آثار التعبد لله بأسمائه وصفاته :

معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله مثمرة لجميع الخيرات والبركات العاجلة والآجلة .

ومن أعظم آثارها وثمراتها في حياة كل مسلم ما يلي :

١ – عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له :

والعبادة بأنواعها أجلّ ثمرات العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فمن عرف ربه بالملك والجبروت ، والعظمة والكبرياء ، وعرفه بالغنى والإحسان ، والرحمة واللطف ، وعرفه بالعلم والإحاطة ، والقوة والقدرة ، وعرف أنه السميع البصير ، تضرع إليه بالذكر والدعاء ، وتوجه إليه بالحمد والثناء: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

٢ – محبة الله ﷻ :

ومحبة الله قوت القلوب ، وشفاء الصدور ، وقرة العيون ، ومن أحب الله أحبه الله ورضي عنه وأرضاه، وتقبل منه وهداه : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد/ ٢٩].

فإذا اجتمع للعبد معرفة داعي الإحسان والإنعام إلى داعي جلال ربه وجماله فذلك : ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

ولا يتخلف عن محبة من هذا شأنه إلا أردأ القلوب وأخبثها: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

وكمال العبودية ثمرة المحبة، والمحبة لله ثمرة معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وإنعامه وإحسانه .

ومحبة الله تجذب العبد لطاعة ربه وفعل ما يرضيه ، واجتناب معاصيه ، وتحرك القلب واللسان والجوارح إلى عبادة الله واتباع رسول الله ﷺ والإعراض عما سوى ذلك : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران / ٣١].

٣– التعظيم والذل لله ﷻ :

فإذا شهد العبد عظمة ربه أفاض ذلك على قلبه الذل والانكسار بين يدي العزيز الجبار.

وأكمل الخلق عبودية أكملهم ذلاً لربه ، وتعظيماً له ، وحباً له .

وأكثرهم سجوداً لربه أكملهم معرفة بأسمائه وصفاته وأفعاله.

ومن سجد هذه السجدة القلبية سجدت معه جميع الجوارح واكتملت عبوديته.

ومن أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية لربه المَلك العزيز الجبار : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

وجميع أبواب الطاعات عليها زحام إلا باب الذل والافتقار إلى الله، فهو أقرب الأبواب وأوسعها ولا مزاحم فيه لقلة الداخلين منه .

فادخل منه إلى ربك الملك الحق يأخذ بيدك إليه ، وتكن عبده بين يديه.

٤ - الخوف والخشية :

فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف ، وكان له أشد خشية : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر / ٢٨] .

٥ - اليقين والطمأنينة بالله ﷻ :

فإذا عرف العبد ربه العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى امتلأ قلبه إيماناً ويقيناً ، ونوراً وإشراقاً ، ومحبة لله وتعظيماً له ، وانتفى عنه كل ريب وشك : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد/ ٢٨].

وإذا تيقن القلب نزلت فيه السكينة وحلت فيه الطمأنينة فزاد إيمانه وحسنت عبادته:

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٤﴾ [الفتح / ٤] .

٦- الرضا عن الله ﷻ :

فمن عرف ربه بعدله وإحسانه وحلمه ورحمته وحكمته ، وعرف أسماءه الحسنى وصفاته العلى، أثمر له ذلك الرضا بحكم الله وأقداره ، والتسليم لأمره ونهيه، لعلمه بأن تدبير الله أحسن من تدبيره ، وأحكام الله خير من هوى نفسه ، وثواب الله أعظم من عمله ، ورحمة الله أرجى من أعماله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة/ ٧-٨] .

٧- التوكل على الله وحده :

فمن عرف ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله سكن إليه، وتوكل عليه وحده في جميع أموره؛ لعلمه بكمال كفايته وقيامه بشأن خلقه كلهم إيجاداً وإمداداً وتدبيراً : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وكلما كان العبد بالله أعرف كان إيمانه بالله أعظم ، وكان توكله على ربه أقوى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

٨- إخلاص العمل لله ﷻ :

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أخلص له العمل؛لعلمه بكماله وغناه عن كل ما سواه، وشدة حاجة الخلق إليه : ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

ولا يشرك أحد مع الله غيره في عمل إلا لجهله بأسماء الله وصفاته وأفعاله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ » أخرجه مسلم [1].

٩- التوبة والإنابة إلى ربه :

فمن عرف ربه العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى سارع إلى طاعته ، وتاب إليه من معصيته ؛ لعلمه بكمال حبه لعبده ، ورحمته به، وفرحه بتوبته:﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء/ ٢٧ – ٢٨].

١٠ – حلاوة العبادة :

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته كانت قرة عينه في مناجاة ربه والأنس به ، وليس في الدنيا نعيم يشبه نعيم الجنة إلا هذه المعرفة ، ولا حلاوة تشبه حلاوة الجنة إلا عبادة الله بهذه المعرفة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥) .

وكلما ازداد العبد معرفة بربه ازداد إيماناً وحباً وتعظيماً وحمداً لربه، ووجد حلاوةً ولذةً في كل ما يحبه ربه ويرضاه ، واستأنس بربه ، واستوحش من كل ما يشغله عنه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

وعَنْ أَنسٍ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الْإِيمَانِ ، مَنْ كَانَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ المرءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله ، وأَنْ يكْرَهَ أَنْ يَعُودَ في الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنقَذَهُ الله مِنْهُ كَمَا يكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّارِ » متفق عليه [1].

١١ - السعادة في الدنيا والفوز بالجنة والنجاة من النار :

فمن عرف ربه العظيم جل جلاله عَبَده بما يحبه ويرضاه ، ثم الله يثبته على دينه في الدنيا ، ويسعده بالأمن والهداية : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ٨٢].

أما في الآخرة فيكرمه بدخول الجنة ، ورؤية الله سبحانه ، والقرب منه ، وسماع كلامه ، والفوز برضوانه ، والتلذذ بنعيم الجنة ، والخلود في دار المتقين ، والنجاة من نار الجحيم : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة / ٧٢] .

وغير ذلك من الثمرات والحسنات ، والخيرات والبركات.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٦) ، ومسلم برقم (٤٣) واللفظ له .

٤ - فقه التعبد لله بأسمائه الحسنى

العلم بالله وأسمائه الحسنى وصفاته العلى أشرف العلوم على الإطلاق.

فمعرفة ربنا بأسمائه وصفاته وأفعاله أجلّ علوم الدين وأزكاها وأحسنها وأعظمها ، وعبادته بها أحسن الأعمال، وحمده وتمجيده وتكبيره وتعظيمه والثناء عليه بها أشرف الأقوال : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد/ ١٩].

وعبادة الله والدعوة إليه أحسن الأقوال والأعمال التي يتقرب بها العبد إليه ، وينال أعظم ثوابها بعد القدوم عليه: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت / ٣٣] .

وعلى هذه الأصول العظيمة قامت دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فالله ﷻ أرسل رسله إلى خلقه بثلاثـة أمور:

تعريف الخلق بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ليعبدوه وحده لاشريك له ، ويتركوا عبادة ما سواه .. وتعريفهم بالطريق الموصل إليه وهو عبادة الله وحده بالدين الذي شرعه..وتعريفهم بما لهم بعد الوصول إليه في دار كرامته من النعيم الذي أجلّه رؤيته ورضاه عنهم: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ ﴾[النحل/ ٣٦] .

وكلما كانت معرفة العبد بربه أعظم كانت محبته وخشيته وعبادته له أتم وأكمل؛ لأن معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تملأ القلب بالإيمان ، وتقوّي محبة الله وتعظيمه في القلب ، وتثمر أنواع العبادات والطاعات ، وعظيم الأجروالثواب: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾[الزمر / ٩] .

وكلما كان العبد بالله أجهل كان من الله أبعد وإليه أكْره ومن بين خلقه أخسر : ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر/ ١٤-١٦].

وحياة الإنسان بحياة قلبه وروحه ، ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره ، ومحبته ، وتوحيده ، وعبادته وحده لا شريك له ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء : ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

ومن لم يدخل جنة المعرفة في الدنيا لم يدخل جنة الزخرفة في الآخرة : ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء/ ٧٢] .

فألذ شيء وأحلاه في الدنيا والآخرة معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وذِكْره وحمده وعبادته بما شرع ، وتلك أعظم تجارة رابحة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الصف/ ١٠-١٢].

فهل يليق بالعاقل أن يخرج من الدنيا وما ذاق أطيب ما فيها، بل عاش فيها عيش البهائم، وانتقل منها انتقال المفاليس ، وغادر الدنيا وهو محروم من أحسن ملاذها، فخسر دنياه وأخراه ، وقدم على ربه بما يسخطه عليه: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف/ ١٠٣ – ١٠٦].

إن معرفة الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وأفعاله الحميدة أجلّ المعارف على الإطلاق ، وأفضل العطايا من الله لعبده ؛ لأنها روح التوحيد، ولب الإيمان ، وزبدة اليقين: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩] .

ومَنْ فتح الله له هذا الباب انفتحت له أبواب الدين كلها:

أبواب التوحيد الخالص.. وأبواب الإيمان الكامل .. وأبواب الإحسان .. وأبواب التقوى .. وأبواب العمل الصالح .. وأبواب الخُلق الحسن ..وأبواب الأجر العظيم: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة/ ٤] .

وأحسن السبل إلى هذه المعرفة النظر في الآيات الكونية والنظر في الآيات الشرعية ، فذلك أعظم مفتاح لمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، واستحضار معانيها ، وتحصيلها في القلوب، حتى تتأثر القلوب بآثارها ، وتتصف بصفاتها.

وإذا امتلأ القلب بهذه المعارف جاء فيه حب الله وتعظيمه والذل له وحسن عبادته، ثم انقادت الجوارح معه في فعل كل طاعة لله ، وتَرْك كل معصية لله : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

فتعرَّف إلى ربك العظيم بالنظر في آياته ومخلوقاته تعرف ربك بأسمائه وصفاته ، ويزيد إيمانك ، وتحسن عبادتك ، وتعظم أجورك.

فمعرفة أسماء العظمة والمجد والكبرياء والجبروت والجلال تملأ القلب تعظيماً لله ، وإجلالاً له ، وتكبيراً له ، وتعلقاً به.

ومعرفة أسماء الجمال والبر والجود والإحسان واللطف والرحمة تملأ القلب حباً لله ، وشوقاً له ، وثناء عليه ، وحمداً له ، وحياءً منه.

ومعرفة أسماء العزة والقهر والقوة والقدرة والحكمة تملأ القلب خضوعاً لله ، وخشوعاً له، وخوفاً منه ، وانكساراً بين يديه .

ومعرفة أسماء الغنى والكرم والإحسان تملأ القلب افتقاراً إلى الله ، واضطراراً إليه ، والتوكل عليه ، والاستعانة به ، وعدم الالتفات إلى غيره.

ومعرفة أسماء العلم والخبرة والمراقبة والإحاطة تملأ القلب مراقبة الله في كل حال ، وإحسان العبادة لله ، وحراسة الخواطر عن الأفكار الرديئة والإرادات الفاسدة.

وجميع هذه المعارف تزيد الإيمان في القلب ، وتثمر للعبد كمال التعظيم لله ، والذل له ، والحب له ، والحياء منه ، وتعلق القلب به ، والشوق إليه ، والرجاء له ، والخوف منه ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، والأنس به ، والفرار من الخلق إليه ، وتوحيده وإخلاص العمل له ، وحسن عبادته ، ودخول جنته: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

وكلما قويت هذه المعرفة استنار القلب بنور العلم والإيمان، ورأى بهذا النور عظمة ربه وجلاله، وإنعامه وإحسانه، ولطفه ورحمته، فعَظُم إقباله على ربه، واستسلامه لشرعه ، ولزومه لأمره، وبعده عن نهيه ، وتجريده لتوحيده ، وأُنسه بمناجاته.

والله ﷻ يحب أسماءه الحسنى وصفاته العلى، ويحب ظهور آثارها في خلقه.

فهو واحد يحب التوحيد وأهله .. عليم يحب العلم وأهله .. جميل يحب الجمال وأهله .. مؤمن يحب المؤمنين .. شكور يحب الشاكرين .. كريم يحب أهل الكرم .. بَرٌّ يحب أهل البر .. عفو يحب أهل العفو .. رحيم يحب أهل الرحمة .. تواب يحب التوابين : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

فالله ﷻ يريد منا تحصيل الصفات التي يحبها ، ومن رحمته أرسل الرسل لدعوة الخلق لتحصيل هذه الصفات التي هي مراد الله من خلقه ، وتوحيده وعبادته بموجب ذلك .

وهو سبحانه الكريم الذي يهب لعباده هذه الصفات، ويجازيهم بالثواب العظيم بحسب ما فيهم من هذه الصفات التي يحبها، ويرغّبهم في التعبد بها بقوله سبحانه: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران / ١٣٣ – ١٣٤] .

والله ﷻ حكيم عليم لا يفعل ولا يشرّع من الأحكام إلا ما هو مقتضى أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى.

فأفعاله سبحانه كلها دائرة بين العدل والإحسان، والحكمة والرحمة.

وأخباره كلها حق وصدق .. وأوامره ونواهيه كلها عدل وحكمة ورحمة وإحسان .. هو الحكيم الذي يأمر بكل خير.. وينهى عن كل شر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل/ ٩٠] .

وهذه المعارف الإلهية تورث العبد قوة في الإيمان ، وزيادة في اليقين ، وحمداً للرب ، وصدقاً في التوكل على الله ، ورغبة في عبادته وطاعته: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ

مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[آل عمران/ ١٦٤].

والله ﷻ يحب أسماءه وصفاته،ولهذا أظهرآثارها في جميع مخلوقاته في السموات والأرض، وفي الدنيا والآخرة،ويحب كذلك ظهورآثارها فيمن اصطفاه من خلقه وهوآدمﷺ وذريته.

وقد خلق الله ﷻ آدم ﷺ على صورته أسماء وصفات.

موصوفاً بأسماء العبودية من ذل وخضوع، وضعف وعجز، وفقر ومسكنة.

وموصوفاً بصفات الربوبية من كبر وجبروت ، وعزة وقوة ، ومشيئة وإرادة.

فمن علم الله أنه يصلح للهداية والجنة تولاه فكفاه شر نفسه ، وهداه لاستعمال أسماء الربوبية وصفات الألوهية وفق ما يحبه الله ويرضاه مع ربه ومع أولياء الله وأعدائه.

فينسخ عن عبده المؤمن أسماء وصفات الربوبية مع ربه، ويوجهها منه إلى أعدائه ، ثم يوجهه بصفات الألوهية والعبودية إليه ، ويستعمله بها بين يديه من الحب والتعظيم والذل لله ، والخوف والرجاء والتوكل وغير ذلك من سمات العبودية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ : « خَلَقَ الله عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً » متفق عليه[1].

فسبحان الملك الحق الرحيم بعباده الذي تعرَّف إلى خلقه بجميع أنواع التعرفات، ودلّهم عليه بأنواع الدلالات ، وفتح لهم إليه جميع الطرقات ، ثم عرَّفهم بالصراط المستقيم الذي يسيرون عليه ، وأمرهم بسلوكه إليه : ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنفال/ ٤٢].

ولله الحمد كثيراً على أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الحميدة ، ونعمه العظيمة ، ودينه الحق: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

وله الحمد كثيراً أنْ نَهَج لنا سبيل معرفته بما كشف لنا عن حقيقة عجزنا عن بلوغ كُنهه ، فأكمل خلقه معرفة به أعلمهم بأنه لا نهاية لمعرفته، ولا إحاطة لأحد بأسمائه وصفاته، ولا إدراك لأحد لكنهه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٦) ، ومسلم برقم (٢٨٤١) ، واللفظ له.

﴿ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٠٣ ﴾ [الأنعام / ١٠٢ – ١٠٣] .

ولله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً أنْ رَفَع لنا أعلام الهداية إلى توحيده ، وعليِّ وجوده ، وعظمة جبروته ، وسعة رحمته ، وكثرة نعمه ، وعظيم فضله ، وعموم إحسانه ، وعظيم بره ، وكمال قدرته ، وسعة علمه ، ولطيف حلمه .

وذلك بما نصبه سبحانه من آثار صنعه ، وبما أشهدنا من عظمة مخلوقاته، وبما نراه كل يوم من بدائع مخلوقاته، وعظيم آياته في ملكوته : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣ ﴾ [فصلت / ٥٣] .

ولله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء كل شيء أنْ جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وأنار لنا الدليل على الإلهية والعبودية بما فطر القلوب على الوله له، والحب له، والتعظيم له ، والأنس به ، والتلذذ بعبادته: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠ ﴾ [الروم / ٣٠] .

وهو سبحانه الملك الحق المبين الذي خلق كل شيء بالحق، وأنزل كتبه بالحق، وأرسل رسله بالحق ، وأكرم عباده بالدين الحق: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝٦٢ ﴾ [الحج/ ٦٢].

وهو سبحانه الأول الذي ليس قبله شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء، الظاهر الذي ليس فوقه شيء، الباطن الذي ليس دونه شيء: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ [الحديد / ٣] .

وهو سبحانه القوي الذي له القوة التي لا ترام .. العزيز الذي له العزة التي لا تضام .. الجبار الذي له الجبروت الذي لا يسامى.. الحاكم الذي له السلطان الذي لا يُغلب .. المَلك الذي لا نهاية لمُلكه.. الكريم الذي لا نهاية لكرمه .. الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ ﴾ [الحشر/ ٢٣].

وهو سبحانه الخالق القادر الذي أبدع جميع المخلوقات، البارئ الذي برأ جميع البريات، المصور الذي صوَّر جميع المصوَّرات، الجميل الذي أحسن كل شيء خَلَقه ، الحكيم الذي أحكم الخلق والأمر.

له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وله المثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر / ٢٤] .

وهو سبحانه الملك القادر على كل شيء ، القاهر الذي قهر كل شيء، القادر الذي لا يعجزه شيء، الواحد الأحد ، المحيط بكل أحد ، القوي الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، الكبير الذي له الكبرياء في السموات والأرض: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر / ٦٧] .

وهو سبحانه العليم بكل شيء، الذي يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار ، وعدد ذرات الرمال، وعدد ورق الأشجار، وعدد المخلوقات، وعدد الكلمات ، والأقوال ، والأفعال ، والأنفاس، والأرواح : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة/ ٦-٧] .

وهو سبحانه علام الغيوب ، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، السميع البصير العليم بكل ذرة في ملكه العظيم، لا تواري منه سماء سماءً، ولا أرض أرضاً، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، ولا ليل ما في ظلمته: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس / ٦١] .

فسبحان الملك الحق العليم بخفيّات الأمور،الخبير بما تكنه الصدور، البصير بمحجوبات الغيوب: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

وهو سبحانه الحي القيوم الذي كل شيء قائم بأمره، خاضع لسلطانه، الحي الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، العلي الذي كل شيء دونه ، الحكيم الذي أحكم الأمور، الخبير الذي أتقن كل شيء صنعه،

الفتاح الذي بيده مقاليد الأمور كلها، الرزاق الذي جميع الخلائق تأكل من خزائن رزقه، القريب الذي يسمع ويرى دبيب النملة السوداء ، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة / ٢٥٥].

فسبحان عالم الغيب والشهادة، العليم الذي لا ينسى مَنْ ذَكَره، ولا يخيب من رجاه، ولا يرد من دعاه ، ولا يعذب من والاه.

هو سبحانه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء ، الرحمن الذي خلق الرحمة في كل راحم، وخلق الإحسان في كل محسن: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر / ٢٢].

وهو سبحانه الكبير وحده لا شريك له، ذو العزة والجبروت والملكوت والكبرياء والجلال والعظمة ، له الحمد كله في الدنيا والآخرة على أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، ونعمه السابغة ، وإحسانه العظيم ، ودينه القيم : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية / ٣٦ – ٣٧].

وهو سبحانه القوي القادر الديان فلا يُدان ، الملك الحق فلا تُضرب له الأمثال.

له الملك كله ، وله الخلق والأمر كله، وله الحمد والشكر كله، وبيده الخير كله.

له ﷻ الأمر النافذ فلا يُبدل القول لديه .. وله الحجة البالغة فلا تتوجه الحجج عليه .. وله الربوبية المطلقة فكل الخلائق مفتقرون إليه ، وله خزائن كل شيء فجميع المخلوقات مضطرة إلى ما لديه: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر / ٢١] .

هو الملك الحق الذي خضعت المخلوقات لعظمته،وذل الأقوياء لجبروته،وخشعت الأصوات لهيبته ، وجميع المخلوقات في السموات والأرض مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ، وخاضعة لأمره : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢–٨٣] .

فسبحان من دل عباده بأفعاله على صفاته ، ودلهم بصفاته على أسمائه ، ودلهم بأسمائه وصفاته وأفعاله على ذاته: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه / ٨].

إن معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وظهور آثارها في حياة المسلم تجارة رابحة، بل هي أعظم التجارات التي لا تخطر أرباحها العظيمة بالبال.

ومن أرباحها الكبرى في الدنيا:

امتلاء القلب بالتوحيد .. وانشراح الصدر بالإيمان .. وطمأنينة القلب بذكر الله .. والأنس بالله .. ودوام ذكره وشكره .. وحسن عبادته .. وطاعة الله ورسوله .. ومحبة الله ورسوله ودينه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

أما أرباحها في الآخرة فهي:

دخول جنة الفردوس .. والنظر إلى وجه ربنا الكريم .. والقرب من الرب .. وسماع كلامه .. والفوز برضاه .. والنجاة من سخطه وعذابه.. والخلود في نعيم الجنة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ ﴾[الكهف / ١٠٧ –١٠٨].

فما أعظم بركات وأرباح العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فهو الجالب لتعظيم الرب ومحبته..الفاتح لباب الطاعات والقرب..الواقي من المعاصي والذنوب .. الدافع للشك والريب .. المعين على الصبر.. السلوان في المصائب .. الحرز الحامي من الشيطان .. المحرك للبذل والعطاء والإحسان: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد / ١٩] .

فلا إله إلا الله ، لا يحصي ثمار هذه المعارف إلا هو، ولا يذوق حلاوتها إلا من علمها ، واتصف بها، وعبَد الله بمقتضاها ، ودعا الخلق إلى معرفتها والتعبد لله بموجبها.

وكل اسم من أسماء الله الحسنى يقتضي آثاره من الخلق والأمر.

فاسمه المَلك يقتضي مُلكاً وتصرفاً، واسمه الخالق يقتضي خلقاً ومخلوقاً، واسمه الرزاق يقتضي رزقاً ومرزوقاً.

واسمه التواب يقتضي توبة تُقْبل، واسمه الغفار يقتضي جناية تُغفر.

واسمه الحكيم يمنع ترك الإنسان سدىً مهملاً ، لا يؤمر ولا يُنهى ولا يحاسب.

واسمه السميع يقتضي مسموعاً من مخلوقاته، واسمه البصير يقتضي مبصرات يبصرها.

وهكذا الشأن في جميع أسماء الله الحسنى.

وكل اسم من أسماء الله الحسنى له تعبد خاص به ، لا يتحقق إلا بمثل هذا النظر والتدبر في الآيات الكونية والشرعية ، والتفكر في كل اسم وما يقتضيه: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق / ٦ – ٨] .

وأكمل الناس عبودية لله من تعبَّد بجميع أسماء الله وصفاته ، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر ، ولا عبودية صفة عن عبودية صفة أخرى.

فلا يحجبه مثلاً التعبد باسم الله القوي القادر عن التعبد باسمه الرحيم الحليم، ولا التعبد باسمه البَرّ اللطيف عن التعبد باسمه العظيم الجبار .. وهكذا.

ولا يحجبه التعبد بصفة العطاء عن التعبد بصفة المنع، ولا التعبد بصفة القبض عن التعبد بصفة البسط .. وهكذا : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر / ١٧ – ١٨].

وهذه طريقة الكُمَّل من السائرين إلى الله جل جلاله بأحسن ما يحبه ويرضاه.

وقد أمرنا الله عز وجل بالدعاء والتعبد لله بأسمائه وصفاته بقوله : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف / ١٨٠] .

والدعاء بها يتناول ثلاثة أمور:

دعاء السؤال والطلب .. ودعاء الحمد والثناء .. وحسن التعبد لله بالاتصاف بها.

فدعاء السؤال ياغفار اغفر لنا ، يا رزاق ارزقنا ، يالطيف الطف بنا ونحو ذلك .

ودعاء الحمد والثناء : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٢ – ٧].

وحسن التعبد لله بالاتصاف بالصفات التي يحبها من الإيمان والصدق والصبر والعفو والرحمة والحكمة والحلم والعدل والإحسان ونحو ذلك.

وقد فتح الله عز وجل لعباده أبواب معرفته والتبصر في أسمائه وصفاته وأفعاله.

فدعا عباده في القرآن إلى معرفته من طريقين ، وكل منهما باب واسع في معرفة الرب العظيم والإله الحميد وهما:

الأول: النظر والتفكر في مخلوقاته المشهودة في ملكه العظيم، فهي أدل شيء على ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس/ ١٠١].

الثاني: النظر والتفكر والتدبر في آياته المتلوة في القرآن العظيم: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد/ ٢٤].

وكل اسم من أسماء الله ﷻ وكل صفة من صفاته له عبودية خاصة، هي من مقتضياتها، ومن موجبات العلم بها.

فالمسلم إذا علم تفرد الرب ﷻ بالخلق والأمر، والنفع والضر، والعطاء والمنع، والإحياء والإماتة، أثمر له ذلك عبودية التوكل على الله باطناً، ولوازم التوكل ظاهرا: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩].

وإذا علم العبد بجلال الله وعظمته وكبريائه وعلوه على خلقه أثمر له ذلك عبودية الخضوع لربه، والاستكانة إليه، والمحبة له، والإقبال على طاعته، والبعد عن معصيته: ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يونس/ ٦].

وإذا علم أن الله سميع بصير عليم لا يخفى عليه مثقال ذرة، ويعلم السر وأخفى، وعلم رقابته لكل شيء، وشهوده له، أثمر له ذلك عبودية الإقبال على ما يحبه الله ويرضاه، وأثمر له خشية الله ومراقبته في كل حال، وحفظ قلبه ولسانه وجوارحه عن كل مالا يُرضي الله ﷻ: ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء/ ١٠٧-١٠٩].

وإذا علم العبد أن ربه غني كريم، برّ رحيم، واسع المغفرة، عظيم الإحسان، أثمر له ذلك عبودية الرجاء والطمع فيما عند الله، وإظهار افتقاره إليه، وإنزال جميع حوائجه به، وحُسن التوكل عليه، وعدم الركون إلى غيره: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن/ ١٣].

وإذا علم العبد بعدل الله، وشدة انتقامه وعقوبته، وغضبه وسخطه على من عصاه، أثمر له ذلك عبودية خشية الله، والخوف منه، والبعد عن كل ما يغضبه ويسخطه: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة/ ٩٨].

وإذا علم بجلال الله وجماله وكماله أوجب له ذلك عبودية خاصة ، هي كمال الحب له ، وكمال التعظيم له ، وشدة الشوق إلى لقائه : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٧ ﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

فالعبودية التي يحبها الله راجعة بجميع أنواعها إلى مقتضيات أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى، معرفة وتعبداً ، ودعاءً وسؤالاً ، وحمداً وشكراً.

فيجب علينا لنذوق طعم الإيمان وحلاوة اليقين ولذة العبادة أن نعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله لنستفيد من آثارها وثمارها ، وذلك باستفراغ الوسع في معرفتها، وحسن التعبد لله بها، وتوفير كل همة في طلب رضاه ، والتقرب إليه بالنوافل بعد أداء الفرائض، ونشر الحق بين الخلق، والصبر على كل أذى في سبيله ، وما يتذكر إلا من ينيب : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر/ ١-٣].

ولمحبة الله ﷻ لأسمائه وصفاته أمر عباده بعبادته بموجبها ، واجتناب ضدها.

فأمرهم بالتوحيد والإيمان ، والعفو والإحسان، والرحمة والمغفرة، والكرم والحلم .. وأمثال ذلك من الصفات المحمودة ، ووعدهم على ذلك السعادة في الدنيا ، والجنة والرضوان في الآخرة : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٧٢ ﴾ [التوبة/ ٧٢].

ونهاهم عن ضدها من الشرك والكفر،والشدة والإساءة،والقسوة والظلم،والبخل والسفه وأمثال ذلك من الصفات المذمومة ، وتوعد من اتصف بذلك بالشقاء في الدنيا ، والنار وسخط الجبار في الآخرة : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٦٨ ﴾ [التوبة/ ٦٨].

وأحب عباد الله إليه من اتصف بالصفات التي يحبها كالإسلام والإيمان والكرم والتقوى .

وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يبغضها كالكفر والشرك والنفاق والفجور والفسق.

ويستثنى من أسماء وصفات الرب ما لا يليق بالعبد أن يتصف به كصفات الكبر والعظمة والجبروت ؛ لأنها مختصة بالملك الجبار فلا تليق بالعبد ، ولا تحسن منه أمام ربه وأوليائه ؛ لمنافاتها رتبة العبودية والذل للملك الجبار ﷻ ، وإنما يستعملها مع أعدائه من

الكفار : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾ [الفتح/ ٢٩].

ولما كان العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم أبواب التوحيد ، وأول العلوم ، وأشرف المعارف، لأنه أساس العبودية ، والعلم به يدعو العبد إلى محبة الله وتعظيمه وتوحيده وخشيته وتقواه ، وإخلاص العمل له ، ولوجوب معرفة الرب العظيم والإله الكريم الرحيم.

ولتحصل للعبد معرفة المعبود قبل العبادة .. ومعرفة المطاع قبل الطاعة .. ومعرفة المسؤول قبل السؤال.. ومعرفة الآمر قبل الأوامر.

فتستقر في القلوب عظمة الرب وجلاله، وتمتلئ بمحبته وإجلاله، وتطمئن بذكره وعبادته، وتنشرح الصدور لامتثال أوامره، وتخشع القلوب لهيبته، وتلهج الألسن بذكره وحمده ، وتنقاد الجوارح لطاعته وعبادته.

ويجتمع باطن الإنسان وظاهره على طاعة مولاه، ويتفق سر الإنسان وعلانيته على حسن الثناء على ربه ، وحمده وشكره ، والافتقار إليه، والانكسار بين يديه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد/ ٢٨].

لهذا أمرنا الله أولاً بمعرفته قبل كل شيء ، فمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم العلوم نفعاً، و أحسنها ثمرة ، وأحلاها طعماً، وأزكاها تربية، وأفضلها علماً، وأنفسها قيمة، وأرفعها درجة ، وأعلاها مرتبة : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

وبهذا العلم يعرف الناس ربهم ، وتقوم الحجة البالغة على الناس ، ويسجد الناس بالتعظيم والمحبة لرب الناس : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد/ ١٦- ١٧] .

وحظ كل مسلم من هذا العلم العظيم بعد توفيق الله وعونه بقدر همته ، وقوة مجاهدته ، وطول مثابرته ، وصدق توكله ، ودوام صبره ، وشدة افتقاره لربه ، ولزوم تقواه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٨٢].

والله أعلم حيث يجعل رسالته ، ويهب علمه وحكمته وهدايته: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾ [الأنعام/ ٧٥] .
ولأهمية معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى قمنا بعون الله بإحصاء ما تيسر منها حسب الإمكان، والتعرف على آثارها ومسالكها في العالم العلوي والسفلي ، مع بيان كيفية التعبد لله بها، وذكره ودعائه بألفاظها ، لحمل النفوس على موافقة ربها فيما يحبه ويرضاه من الإيمان والتقوى ، وليعبد المسلم ربه على بصيرة من أمره بعد أن كان على بينة من ربه، دون خروج عن حكم الشريعة بغلو أو تقصير أو ابتداع ، فتعلَّم ذلك تبصر: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١﴾ [الرعد/ ١٩-٢١].
وتلك درجات المقربين العالية ، يصلها من زكى نفسه بمعرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله، ومعرفة دينه وشرعه ، وفرَّغ قلبه من الشُبه والآثام، وهيَّأ نفسه للعلم بها، والتفكر في معانيها، والتعبد لله بها: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾[فاطر/ ١٨].
وأعظم التزكي يتم بكمال الإيمان والتقوى بمعرفة أسماء الله وصفاته ، وفعل ما يجب له من أنواع العبادة: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾[الأعلى/ ١٤ - ١٩].
واعلم رحمك الله أن كل ما تقدم إنما هو صورة التوحيد وألفاظه وأقسامه وثمراته وصفات أهله ، ومفاتيح أبوابه ، وكل ذلك لا بد من معرفته، وكل ذلك يشير إلى جنة الإيمان، وينير لك طريق الهداية ، ويفتح لك أبواب العلم بالتوحيد.
أما حقيقة التوحيد ، وحقيقة الإيمان ، وحقيقة اليقين ، وحقيقة الإحسان ، وحلاوة العبادة ، ولذة المناجاة ، فلن تذوق شيئاً من طعم ذلك حتى تدخل مع تلك الأبواب إلى بستان التوحيد الأعظم ، وتجني بعون الله من ثماره ماشئت ، وذلك بالنظرفي ملكوت السموات والأرض ، وتدبرآيات القرآن العظيم ، ونقل ما في السطور إلى القلوب .
وبهذا وهذا فقط ترى الملك الحق بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ذو العظمة والجبروت والملكوت والكبرياء والجلال والإكرام يفعل ما يشاء .. ويخلق ما يشاء .. ويرزق من يشاء .. ويأمر بما يشاء .. ويحكم بما يشاء .. ويعطي من يشاء .. ويمنع من يشاء .. ويرحم من يشاء .. وينتقم ممن يشاء.. ويعز من يشاء .. ويذل من يشاء.. لا راد لقضائه .. ولا معقِّب لحكمه .. ولا إله غيره .. ولا رب سواه : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ

﴿وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [الملك / ١-٢] .

وقد فتح الله لك هذه الأبواب العظيمة فاستعن بالله وادخل جنة المعرفة بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى يفتح لك الفتاح العليم يوم القيامة أبواب جنات الزخرفة مع أهل التوحيد والإيمان : ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٩ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ٥١ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ٥٢ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٥٣ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ٥٤﴾ [ص/ ٤٩-٥٤].

وفوق ذلك يرضى الله عنك ، ويرضيك ، ويسترضيك : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة/ ٧٢] .

وكلما دخلت باباً من أبواب أسماء الله الحسنى وصفاته العلى رأيت نوراً جديداً ، وامتلأ قلبك توحيداً وإيماناً ويقيناً ، وزدت لربك حباً وتعظيماً ، وتسبيحاً وتحميداً ، وذكراً وشكراً.

فواصل المسير لتصل إلى ربك العظيم ، وتسلم وجهك إليه ، وتناجيه وتدعوه بأحب الأسماء إليه، وتعبده كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك : ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢﴾ [لقمان/ ٢٢].

وهاهي أبواب التوحيد مفتوحة بين يديك ، متوجة باسم الله الأعظم ، فادخل أعظم جنات المعرفة تعلم وتغنم ، وتسعد وتؤجر ، وقل: اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم.

« بسم الله الرحمن الرحيم » .. بسم الله خير الأسماء .. بسم الله رب الأرض والسماء .. بسم الله الأول قبل الأشياء .. بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء.

بسم الله افتتحت أسماء ربي الحسنى ، وعليه توكلت ، الله ربي ولا أشرك به أحدا ، وأحمده وأشكره وأستعينه وأستغفره ، وهو المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود / ٨٨] .

الباب الرابع

أسماء الله الحسنى بين معرفتها ، وتوحيد الله بها ، والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها

ويشتمل على ما يلي :

١ - الله .. الإله
٢ - الرب
٣ - الرحمن .. الرحيم
٤ - الملك .. المليك .. المالك
٥ - الواحد .. الأحد
٦ - الصمد
٧ - الأول .. والآخر
٨ - الظاهر .. والباطن
٩ - الحق
١٠ - المبين
١١ - الحي
١٢ - القيوم
١٣ - السميع
١٤ - البصير
١٥ - العلي .. الأعلى .. المتعال
١٦ - الكبير .. المتكبر
١٧ - العظيم
١٨ - القوي
١٩ - المتين
٢٠ - القاهر .. القهار
٢١ - العليم .. العالم .. العلام
٢٢ - القدوس
٢٣ - السلام
٢٤ - المؤمن
٢٥ - المهيمن
٢٦ - العزيز
٢٧ - الجبار
٢٨ - الخالق .. الخلاق
٢٩ - البارئ
٣٠ - المصور
٣١ - الغني
٣٢ - الرزاق .. الرازق
٣٣ - الكريم .. الأكرم
٣٤ - الحميد

بقيـة أسمـاء الله الحسنى

٣٥- المجيد

٣٦- الولي .. المولى

٣٧- الناصر .. النصير

٣٨- القادر .. القدير .. المقتدر

٣٩- اللطيف

٤٠- الخبير

٤١- الحكيم .. الحاكم .. الحكم

٤٢- الشكور .. الشاكر

٤٣- الحليم

٤٤- العفو

٤٥- الغفور .. الغفار .. الغافر

٤٦- الودود

٤٧- البر

٤٨- الرؤوف

٤٩- القريب

٥٠- المجيب

٥١- المستعان

٥٢- التواب

٥٣- الرقيب

٥٤- الشهيد

٥٥- الواسع

٥٦- المحيط

٥٧- الحسيب .. الحاسب

٥٨- المقيت

٥٩- الحفيظ .. الحافظ

٦٠- الكافي

٦١- الكفيل

٦٢- الوكيل

٦٣- الفتاح.. الفاتح

٦٤- الوهاب

٦٥- الهادي

٦٦- الصادق

٦٧- الوارث

٦٨- الوِتر

٦٩- السبوح

٧٠- الطيب

٧١- الجميل

٧٢- النور

٧٣- الرفيق

٧٤- الشافي

٧٥- الحيي

٧٦- الستير

٧٧- المقدم .. والمؤخر

أسماء الله الحسنى

الله .. الإله

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨] .

وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٤﴾ [الزخرف/ ٨٤].

الله عَلَم على ذات الله ، وعَلَم على أسمائه وصفاته.

عَلَم على المَلك ، وعَلَم على الخالق ، وعَلَم على الرب ، وعَلَم على العزيز، وعَلَم على الرحمن: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾ [الحشر/ ٢٢- ٢٣].

هو الإله العظيم الذي لا أعظم منه ، حارت في عظمة ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله الألباب والعقول ، والمُلك ملكه ، والخلق له ، والأمر كله بيده :﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فسبحان من لا نهاية لعظمته ، ولا نهاية لجلاله ، ولا نهاية لجماله ، ولا نهاية لقوته ، ولا نهاية لعلمه ، ولا نهاية لرحمته ، ولا نهاية لمُلكه.

لا يُعطي ولا يمنع إلا الله وحده لا شريك له ، ولا يُعِز ولا يُذِل إلا الله وحده لا شريك له ، ولا يحيي ولا يميت إلا الله وحده لا شريك له : ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

وإذا عرفت هذا فاعلم أن أصول أسماء الله الحسنى ثلاثة ، وهي :

الله، والرب، والرحمن ، وبقية أسماء الله الحسنى تدور عليها وترجع إليها.

فاسم الله متضمن لصفات الألوهية ، واسم الرب متضمن لصفات الربوبية ، واسم الرحمن متضمن لصفات البر والإحسان.

وقد جمع الله هذه الأسماء الثلاثة في أعظم سورة في القرآن وهي الفاتحة فقال ﷻ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [الفاتحة / ٢ – ٣] .

واسم الله أصل لجميع أسماء الله الحسنى، وسائر الأسماء الحسنى مضافة إليه كما قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤ ﴾ [الحشر / ٢٤] .

فاسم الله مستلزم لجميع معاني أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

ولهذا كان أكثر الأسماء وروداً في القرآن، وأضيفت الأسماء الحسنى إليه ، واقترنت به عامة الأدعية والأذكار كسبحان الله، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر وغيرها.

فالله هو الاسم الأعظم للرب ، وجميع الأسماء الحسنى تعود إليه ، وجميع القلوب مفطورة على التوجه إليه، والإقرار بعظمته، والحب له ، والفزع إليه ، والذل له ، والافتقار إليه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

والله ﷻ هو الإله المحبوب المودود ، المطاع المعبود ، الحي القيوم الذي تألهه القلوب وتحبه وتفزع إليه ؛ لما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾ [طه/ ٨].

فسبحان الله العظيم ، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ، الإله الذي له من الأسماء الحسنى والصفات العلى ما يستحق به أن يوله ويعبد لأجلها، الذي يألهه أهل السماء وأهل الأرض: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨٤ ﴾ [الزخرف / ٨٤] .

وعباد الرحمن يألهونه ويعبدونه بحسب معرفتهم به: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩ ﴾ [محمد / ١٩] .

واعلم وفقك الله أن كلمة التوحيد (**لا إله إلا الله**) هي الدين كله.

فمن أجلها خلق الله الخلق، وخلق السموات والأرض ، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع، وخلق الجنة والنار، ونصب الصراط والميزان.

ولا إله إلا الله أحسن ما نطق به اللسان،وأعظم ما وقرفي القلب،وأفضل ما تَعَبَّد به الخلق.

ولا إله إلا الله أقوى من كل شيء، وأعظم من كل شيء ، وأثقل من كل شيء.

فلو أن السموات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما عليهن وما بينهن وضعت كلها في كفة ، ووضعت لا إله إلا الله في كفة ، لرجحت بهن لا إله إلا الله.

ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة لفَصَمَتْهن لا إله إلا الله.

ولو جاء العبد يوم القيامة بقراب الأرض خطايا ومعه لا إله إلا الله ، وبلغت سيئاته تسعة وتسعين سجلاً ، كل سجل على مد البصر، ثم وضعت في الميزان لمالت بهن لا إله إلا الله ، وطاشت السجلات.

ومن كان في قلبه مثقال ذرة من لا إله إلا الله أنجاه الله من النار، وأعطاه جنة سعتها وعظمتها مثل الدنيا عشر مرات.

عَنْ عَبْدِ الله بِنْ مَسْعُود ﵁ قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الجنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْ النَّارِ رَجُلٌ يخْرُجُ حَبْواً ، فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ : ادْخُل الجنَّة ، فَيَقُولُ: رَبِّ ، الجَنَّةُ مَلأَى ، فَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ،فكُلُّ ذَلِكَ يُعِيدُ عَلَيْهِ:الجَنَّةُ مَلأَى ، فَيَقُولُ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشْرَ مِرَارٍ » متفق عليه[1].

واعلم أنه ما قال (**لا إله إلا الله**) على الحقيقة التامة سوى الله ﷻ؛لعلمه بنفسه،وكبر شهادته ، ثم الملائكة لأنهم أقرب خلقه إليه ، ثم الأنبياء والرسل لأنهم أعرف الخلق بالله ، ثم العلماء لأنهم ورثة الرسل ، ثم عامة المؤمنين: ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** (١٨) ﴾[آل عمران / ١٨] .

فلا إله إلا الله العلي العظيم، وسبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته.

ما ذُكِر اسم الله ﷻ على قليل إلا كثَّره ، ولا عند كرب إلا كشفه ، ولا عند خوف إلا أزاله ، ولا عند هَمٍّ إلا فرَّجه ، ولا عند ضِيق إلا وسَّعه: ﴿ **ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ** (٦٢) ﴾[غافر/ ٦٢] .

وما تعلق بالله ضعيف إلا أفاده القوة ، ولا ذليل إلا أناله العزة ، و لا مغلوب إلا أيده ونصره ، ولا تعلَّق به مضطر إلا كشف ضره ، ولا جاهل إلا علَّمه ، ولا مريض إلا شفاه ، ولا فقير إلا أغناه.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٥١١)، واللفظ له ، ومسلم برقم (١٨٦) .

هو الإله الحق الذي خضعت الرقاب لعظمته، وخشعت الأصوات لهيبته، وفطر القلوب على تعظيمه ومحبته والذل له: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢].

هو الله الذي خلق جميع المخلوقات ، ودبر جميع الكائنات ، وقدر جميع المقادير ، وأنعم بجميع الأرزاق : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[يونس / ٣] .

وكل من تولاه الله إيجاداً وولاية فهو المؤمن المرضي، ومن لم يتوله الله فهو منسوب إلى الله إيجاداً ، ثم هو منسوب إلى الشيطان الذي تولاه.

فالله ﷻ ولي المؤمنين ، يواليهم بالنصروالعزوالنعم والثواب ؛ لأنهم يوالونه بالإيمان والطاعة والعبادة ، والشيطان ولي الكافرين ، يواليهم ويغريهم بالشهوات ، ويزين لهم الكفر والمعاصي ؛ لأنهم يوالونه بالطاعة ومعصية الله: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾[البقرة/ ٢٥٧] .

هو الله وحده المعبود بحق ، الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له.

هو وحده الذي يزيل الغمة ، ويكشف الكربة ، ويعطي النعمة ، ويفعل ما يشاء : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر/ ٦٥].

ومن أيقن أنه لا إله إلا الله عَبدَه وحده ، وخافه وحده :﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة/ ١٦٣] .

وعبادة الله لا تسمى عبادة إلا مع كمال الحب لله ، وكمال التعظيم له ، وكمال الذل له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام/ ١٠٢] .

• التعبد لله ﷻ بهذا الاسم الكريم :

اعلم وفقك الله لطاعته أن المنعم بجميع النعم هو الله وحده لا شريك له، ودافع جميع النقم هو الله وحده لا شريك له: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل/ ٥٣] .

وتذكَّر أيها العبد أنك كنت معدوماً فأوجدك الله ﷻ ، وكنت جائعاً فأطعمك الله ، وكنت فقيراً فأغناك الله، وكنت صغيراً فكبرك الله، وكنت عرياناً فكساك الله ، وكنت ضالاً فهداك الله، وكنت جاهلاً فعلَّمك الله ، فلله الحمد والشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

قال الله ﷻ في الحديث القدسي: « يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فتنفعوني.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِركُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْأَنَ أَولَكُمْ وآخِركُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ .

يَاعِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ الله ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » أخرجه مسلم[1].

وتذكر رحمك الله أن الله حين أوجدك كرّمك ، وفضَّلك على كثير من مخلوقاته كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠] .

فأعطاك الله السمع الذي تسمع به الأصوات وتميز به بين الحَسَن والقبيح من الكلام لتسمع به ما يحبه الله ورسوله من القرآن والذكر والعلم وغير ذلك.

وأعطاك البصر الذي تبصر به المخلوقات والآيات الدالة على عظمة أسماء الله وصفاته.

وأعطاك العقل الذي تميز به بين الخير والشر، وتعرف به الحق من الباطل ؛ لتعبد من يستحق العبادة بما شرعه من الحق .

وأعطاك اللسان الذي يترجم عما في القلب لتستعمله في ذكره وشكره والدعوة إليه.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

وأعطاك الجوارح لتطيع بها ربك ، وتشكر الذي خلقك وعلَّمك وهداك ، وتخدم نفسك: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل/ ٧٨] .

وتذكَّر رحمك الله أن الإله الحق ناداك من قبضة اليمين ، وأقطعك في الغيب وسام المسلمين والمؤمنين ، والصالحين والمحسنين، وشرح صدرك لعبادته دون غيره: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحجرات/ ١٧].

فقل الحمد لله الذي عصمك عن عبادة العبيد ، وأعتق قلبك عن الذل لرق العبيد ، ووجِّه وجهك إلى الله العلي الكبير: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية/ ٣٦–٣٧].

واضرع إلى الإله الحق الذي عصمك من السجود للصنم، وقضى لك بقَدم الصدق في القِدم، وأحاطك بأجزال المنة في دنياك، وسله أن يتم عليك النعمة في أخراك وقل: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف/ ١٥] .

ثم اسمُ بسرِّك إلى الأفق المبين حباً لمن سمَّاك من المسلمين ، وجعلك من المؤمنين، وجُدْ بالرضى من قلبك لما قضاه ربك لك في السراء والضراء ، وفي الشدة والرخاء.

فهو الرب الرحمن الرحيم ، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه ، الخبير بمصالح عباده ، الكريم في عطائه ، اللطيف في تدبيره .

وتوكل على الله وحده تغنم وتسلم وتؤجر ، ولا تتعلق بغيره فَتُوْكل إليه وتخسر وتشقى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن/ ١٣].

واعلم رحمك الله أن من علامات الرضى سرور العبد بالمقدور في جميع الأمور.

فلا تذم شيئاً قدَّره الله، ولا تضجر من مرارة المقادير وتوالي المكاره، ولا تتمنى البلاء ،بل سل الله العفو والعافية ، ولا تسأم من التكاليف، ولا تكره المكاره والمصائب إذا نزلت : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[البقرة / ٢١٦] .

فاستسلم لقضاء ربك العليم الحكيم فإنه أرحم بك من نفسك.

واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فالله قادر قاهر لاراد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، وما شاء الله كان ، ومالم يشأ لا يكون أبداً.

وبهذا يرضى القلب ويسلم ، ويسكن العقل ويستسلم ، وتغتبط النفس بحلاوة التدبير ، وحسن التصريف ، والرضى بما يحبه الله ويرضاه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

وأكثِرْ من الاستغفار على فقدان الأدب عند فعل الطاعات ، وسوء الأدب عند فعل السيئات، الذي سببه الجهل بأسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

واعلم رحمك الله أن الله خلقك على معاني الأسماء والصفات ، وهيأك لمعرفته لمحبته لك ، وفرحه بقربك ، ورحمته بك ؛ لأنه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء ، الرحيم الذي لا أرحم منه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢] .

فإذا استعملك الله ﷻ في طاعته ، وبغّض إليك معصيته، فقد اجتباك لنفسه ، وخصك بمزيد عنايته، واستنقذك من شر نفسك: ﴿ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى/ ١٣] .

فإنْ رقى بك الكريم إلى أنْ كتب الإيمان في قلبك باليقين التام والعلم النافع فقد أفلحت ، فارغب إليه في تحقيق العبودية له وحده ، يصطفيك ويربيك تربية خاصة .

فيجعلك من بين خلقه عالماً خاشعاً ، رحيماً لطيفاً ، شاهداً للحق ، مشاهداً للرب ، مراقباً للحق ، مبيناً للحق ، عاملاً بالحق ، قائماً على العهد ، حافظاً للغيب ، عاملاً بما يرضيه : ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء/ ١١٣].

ويجعلك عفواً غفوراً، بَرّاً شكوراً، صادقاً صبوراً، حليماً حكيماً، محسناً كريماً، طيباً طاهراً ، إلى غير ذلك من الأسماء والصفات التي يحبها، يستعملك الإله الحق فيها على شاكلة العبودية، فيحبك الله ، ويحبك الناس ، وتربح وتسعد في الدنيا والآخرة: ﴿ قُلۡ إِنَّ

ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران / ٧٣ – ٧٤] .

وبهذا يكون الله معك ، يحفظك ويرعاك، يذكرك إذا ذكرته، ويجيبك إذا دعوته، ويعطيك إذا سألته، ويحبك إذا أطعته ، ويزيدك إذا شكرته : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

واعلم أن أحب الخلق إلى الله أحسنهم تعبداً له بمعاني أسمائه وصفاته ، على سنن التعبد له بالإيمان والإحسان ، والعلم والعدل ، والعفو والصفح ، والرفق واللطف ، والكرم والبر ، والصدق والصبر ، والحلم والستر ، والرحمة والمغفرة : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

ثم أتركهم منازعة لله في معاني صفات الربوبية كالكبرياء ، والعظمة ، والجبروت ، والعلو ، والقهر ونحو ذلك من نعوت التعالي والجلال والكبرياء ، فإنّ انتحال ذلك يُخرج العبد عن شاكلة العبودية، وبمفارقة العبد شاكلة العبودية يفسد ويهلك ، ويضل ويخسر : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٥–١٧].

ثم أشدهم حباً لرسول الله ﷺ ، وتحققاً في الاقتداء به ، والعمل بما جاء به ، فكن من هؤلاء تنال أعظم الكرامات : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة/ ٢٢].

ومن كمال حب الله دوام ذكره في القلب بالفرح به ، والشوق إليه ، والأنس بمناجاته ، والسكون إليه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨–٢٩].

وعلامة الأنس بالله إيثار الخلوة به، وبث الشكوى إليه، وحسن الثناء عليه، والانكسار بين يديه ، وشدة الحياء منه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾[الملك / ١٢] .

فاجعل أيها الحبيب رأس مالِك اليقين ، وزادك الفقر ، وقُوْتك التفكر ، ولباسك التقوى ،

ومطيتك الصدق ، ومصباحك الإحسان ، ودولتك حسن الخلق : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

واترك التكلف والدعوى في جميع أحوالك ، فذلك أبلغ لك فيما تريد ، وأقرب لعون الله لك ، واقصد الإله الحق ، واتخذه وحده إلهاً يغنيك عن كل ما سواه : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب / ٤٨].

واعلم أنه ليس الشأن أن تحب الله فقط ؛ بل الشأن كل الشأن أن تحب الله ، ويحبك الله ، ثم ينشر الله محبتك بين أهل السماء والأرض.

ولا يحبك الله إلا إذا آمنت به ، واتبعت رسوله ﷺ فيما جاء به: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران / ٣١] .

واعلم أن (**لا إله إلا الله**) أول علم يحتاجه الإنسان: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩] .

وبكلمة (**لا إله إلا الله**) أمسك الله السموات والأرض أن تزولا، وأمسك السماء أن تقع على الأرض ، وحصل للعباد الإسلام والإيمان، وبها عُمرت الدنيا والآخرة، ومن أجلها خلق الله الخلق ،وخلق الجنة والنار، ومن أجلها أُنزلت الكتب، وأُرسلت الرسل، وشُرعت الأحكام.

وهي الموجبة للجنة ، وضدها موجب للنار ، فأكثِرْ من قولها فلا شيء يوازيها ، كلما مرت بسيئة محتها ، وكلما مرت بشبهة أحرقتها ، وكلما مرت بنار أطفأتها : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢].

وإذا ابتليت بالخروج عنها أو عن معنى من معانيها فقد ظلمت نفسك ، فبادر بالتوبة والرجوع إليها ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات / ١١].

واعلم أنه بـ(**لا إله إلا الله**) تُفتح للعبد أبواب الطاعة المفضية به إلى جنة الآخرة ، وتُطْلَق له جوارحه التي يستعملها لطلب مرضاة ربه، وتُغلق عنه أبواب النار التي جوارحه هي الشوارع إليها.

فلا قول أنفع من قائلها ، ولا عمل أزكى من عمل أهلها، ولا ثواب أكثر من ثوابها ، وبها تستفتح أبواب الجنة : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ

أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾ [الطلاق/ ١١].

وعَنْ عُمَر بن الخطَّاب رضي الله عنه أَن النَّبِي ﷺ قال : « ما مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتوضَّأُ فَيُبْلِغُ أَوْ فيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَأَنَّ محمَّداً عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيةُ ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » أخرجه مسلم [(١)].

ولا إله إلا الله رأس الدين ومِلَاكه ، وقوامه وسلطانه ، وسراجه وموضع مداره.

وهي أفضل العلم وأزكاه ، وأعظمه وأكبره ، وأحسنه وأكمله ، وأطيبه وأصفاه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وهي الكلمة الطيبة ، والشجرة الطيبة ، وجميع الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة كلها فروع لها ، وثمرة من ثمارها.

فمتى زَكَتْ زكَت القلوب والأعمال ، ومتى وَهَتْ وَهَت القلوب والأعمال : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم / ٢٤ – ٢٥] .

ومدار صلاح القلوب والأبدان وفسادها على وجودها أو عدمها.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « أَلَا وَإِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ القَلْبُ » متفق عليه [(٢)].

ولا إله إلا الله أفضل الشهادات وأعلاها وأعدلها ، وأحسنها، شهد الله بها على نفسه ، وملائكته ، وأولو العلم : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران / ١٨] .

وهي لمن قالها عالماً وموقناً بها مصفية للروح من الكدر ، مروِّحة للقلب من وهج الشكوك ، منبتة لأطيب الأعمال ، وأحسن الأخلاق ، مورثة لأعظم الأجور : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣٤) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ، ومسلم برقم (١٥٩٩) .

كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

فأكثِر من قول: « لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ،لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ،لَا إِلَهَ إِلَّا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» أخرجه مسلم[1] .

وبـ (**لا إله الا الله**) تنال أعظم الحسنات ، وتفوز بأعلى الدرجات : ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٥٩].

فاعبد ربك الإله الحق وحده لاشريك له ، وأخلص له الدين والقول والعمل تفوز برضاه.

واعلم أن كل ما سوى الله من العرش والكرسي ، والسموات والأرض ، وما فيهما وما بينهما ، والشمس والقمر ، والجبال والبحار ، وكل نبات وحيوان ، وكل صغير وكبير ، وكل مخلوق ، كل أولئك عبيد مماليك للإله الحق، شاهدون لربهم بالوحدانية، قائمون له بالعبودية: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج / ١٨] .

فسبح بحمد ربك العظيم مع كافة المخلوقات ، فهو أهلٌ أن يُكبَّر ويُمَجَّد ، وأهلٌ أن يُعبد ويُحمد : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

« سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ ، عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» أخرجه مسلم[2].

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، بسم الله خير الأسماء ، بسم الله رب الأرض والسماء أستدفع كل مكروه أوله سخطك ، وأستجلب كل محبوب أوله رضاك يا مولاي .

﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الأنبياء/ ٨٧] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٩٤) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦) .

« أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ محمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، رَضِيتُ بِالله رَبّاً ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً ، وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً » أخرجه مسلم [1].

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ مِلْءُ السموات وَمِلْءُ الْأَرْضِ ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالمَجْدِ ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ» أخرجه مسلم[2].

اللهم إني أُشهدك وكفى بك شهيداً ، وأُشهد جميع خلقك ، وأُشهد جميع سكان سماواتك وأرضك ، أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك.

اللهم اغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

سبحان الله وبحمده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٨٦) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٧١) .

الـرب

قال الله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة / ٢] .

الله ﷻ هو رب العالمين ، ورب كل شيء ، وخالق كل شيء ، ومالك كل شيء ، ومقدر كل شيء ، ومدبر كل شيء : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

وهو سبحانه الرب العظيم الذي له السؤدد والعزة والعظمة والعلو والكبرياء والجبروت والملكوت : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية / ٣٦ – ٣٧] .

وهو سبحانه الرب الذي أصلح خلقه ورباهم بنعمه ، الكافل لهم ، القائم بمصالحهم ، المواليهم بنعمه ، الكثير الخير والإحسان : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام/ ١٦٤].

هو الرب العظيم الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، الرب العظيم الذي يربي عباده بنعمه المادية والروحية فله الحمد : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢-٧].

هو سبحانه الرب الكريم الذي يمد أجسامنا وعقولنا وجوارحنا وقلوبنا بما تحتاج إليه من الأقوات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر/ ٣].

هو الرب الخالق الرازق الذي منه نعمة الإيجاد ، ومنه نعمة الإمداد ، ومنه نعمة الهداية.

خلق الإنسان ولم يكن شيئاً من قبل،وأمَدَّه بالنعم التي لا تُعد ولا تُحصى ، ثم هداه إليه.

من أطاعه كافأه ، ومن عصاه أدَّبه ، ومن دعاه استجاب له ، ومن استغفره غفرله : ﴿ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء/ ٧٧-٨٢].

وهو سبحانه الرب الحافظ لكل شيء ، القريب من كل شيء ، الرقيب على كل شيء ، البصير

بكل شيء، السميع لكل شيء ، العليم بكل شيء ، الذي له جميع الأسماء الحسنى ، وله جميع الصفات العلى ، وله المثل الأعلى ، لا إله غيره ، ولا رب سواه : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فسبحان ربك رب العزة عما يصفون ، هو الرب الذي له الخلق والأمر، والرحمن الذي استوى على عرشه العظيم ، وتفرد بتدبير ملكه الكبير ، وتولى تربية خلقه في كل حال : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

هو الرب الحي القيوم رب السموات والأرض ومن فيهن ، ورب كل شيء.

فالخلق كله له ، والرزق كله منه ، والتدبير كله بيده ، ومصير الأمور كلها إليه.

ومراسيم التدبير كلها نازلة من عنده ، تنفذها وتقسمها ملائكته بأمره .

بالعطاء والمنع ، والبسط والقبض ، والرفع والخفض ، والتحريك والتسكين ، والإحياء والإماتة: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦ – ٢٧].

وهو سبحانه الرب القوي العزيز الكريم الذي يكشف الكروب ، ويرفع البلاء ، ويجيب المضطر، ويغيث الملهوف ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن/ ٢٩].

وهو الرب القادر الذي بحكمته يخلق ويرزق ، ويبسط ويقبض ، ويعز ويذل ، ويكرم ويهين ، ويرحم من يشاء ، ويعذب من يشاء.

وهو الرب الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه ، القادر الذي لا يعجزه شيء ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لأمره ، ولا مبدل لكلماته: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس/ ٣].

وهو سبحانه الرب الملك الحق رب العرش العظيم ، لا إله غيره ، ولا رب سواه ، خالق كل شيء ، عليم لا يعزب عن علمه شيء ، ولا يخرج عن تقديره شيء ، ولا يفلت من ملكه مثقال

ذرة في السموات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون / ١١٦] .

وهو سبحانه الرب الذي لا إله إلا هو، مالك الملك والملكوت، وملك الملوك، قيوم الدنيا والآخرة، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم .

كل شيء خَلقه، وكل شيء سواه عبْده، وهو رب كل شيء: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ [الشورى / ١٠] .

وهو سبحانه الرب الرحمن الرحيم الذي رحمته وسعت كل شيء، وعلمه وسع كل شيء، واسع الفضل، واسع المغفرة، واسع الرحمة : ﴿ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر/ ٧].

يرحم من يشاء من خلقه بما يشاء من فضله وإنعامه وإحسانه وإكرامه .

ثم خص أولياءه بإتمام نعمته وإحسانه وخاصة رحمته، فأنشأ الإيمان والمعرفة في قلوبهم، وغذاهم بتذكيرهم بعظمته وجلاله وجماله وأسمائه وصفاته، وتعريفهم بدينه وشرعه، وثوابه وعقابه : ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٦].

فسبحان الرب الرحمن الرحيم الذي علاقته بالعوالم التي خلقها علاقة رحمة وعطاء، وعلاقة تربية وإمداد وعناية وإكرام : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن/ ٧٨].

هو الرب الكريم الذي خلقك في أحسن تقويم، وهداك إليه وساقك إلى طاعته، وأعانك على عبادته، وألقى في قلبك محبته، وحبَّب إليك الإيمان وزيَّنه في قلبك، وكرَّه إليك كل ما يضرك، وصد عنك من يضلك : ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء/ ١١٣].

واعلم أن تربية الرب جل جلاله لعباده نوعان:

الأولى: تربية عامة، وهي تربية الرب ﷻ لكل مخلوق مؤمناً كان أو كافراً، بَرّاً كان أو فاجراً، إنساناً كان أوحيواناً أو نباتاً أو جماداً، تربية حكيمة بالخلق والتدبير، والعطاء والمنع، والإحياء والإماتة، والبسط والقبض كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ

﴿كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [الزمر/ ٦٢] .

الثانية: تربية خاصة لأوليائه المؤمنين، حيث رباهم فوفقهم للإيمان به، وغذاهم بمعرفته، وأعانهم على عبادته، و حبب إليهم طاعته، وكره إليهم معصيته: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝٧﴾ [الحجرات/ ٧].

والله ﷻ هو الرب الحق والإله الحق الذي أحسن كل شيء خَلَقه، وأحسن كل شيء حُكماً، وأحسن كل شيء تقديراً وتدبيراً: ﴿ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٦ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝٧﴾ [السجدة/ ٦-٧].

هو الرب المحسن إلى جميع خلقه بما أسبغ عليهم من النعم الظاهرة والباطنة في الدنيا والآخرة: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

كل المخلوقات له .. وكل النعم منه .. وكل خير من لدنه.. وكل الخزائن عنده.

هو الرب حقاً، الإله حقاً، المحسن حقاً، الكريم حقاً، الملك حقاً.

قوله الحق، وفعله الحكمة، وتدبيره العدل، وعطاؤه الفضل، وجزاؤه القسط.

فسبحان الرب المحسن إلى جميع خلقه، الذي لا تبلغ الأوهام تعداد نعمه، ولا تطمع العقول في إحصاء خلقه وفضله وإحسانه: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١٨﴾ [النحل/ ١٧ - ١٨] .

فهل يليق بمن لديه مسكة من عقل أن يتخذ رباً سواه أو يعبد إلهاً غيره: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٧١﴾ [الأنعام/ ٧١].

والله سبحانه هو الرب الكريم الذي غَمَر الخلق جميعاً بإحسانه وإنعامه، بَرّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، الذي لا يخلو موجود من إحسانه طرفة عين: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل/ ٥٣] .

هو سبحانه الملك العزيز الجبار، ذو الجلال والإكرام، الذي كل جلال وجمال في العالم فمن

أنوار ذاته وآثار صفاته .

هو ذو الجلال الذي جل قدره ، وعظم في قلوب العارفين به ، الذي عظم قدره ، وتنزه عما لا يليق به : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان الرب العظيم الذي جل في علو صفاته ، وتعذر على الخلق أن يحيطوا بأسمائه وصفاته ونعوت جلاله وجماله ، وعظمته وكبريائه ، وملكه وملكوته : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

هو سبحانه الرب العظيم الذي يربي عباده لمصلحتهم بصفات الجلال والجمال ، وله سبحانه صفات جلال ، وصفات جمال ، وصفات ظاهرها جلال وباطنها جمال ، وصفات ظاهرها جمال وباطنها جلال .

فإذا أعطى الله العبد عطاءً حسناً فهذا شيء جميل ، لكن إذا لم يكن مع هذا العطاء شكر واستقامة فسيكون بعده عقوبة وتأديب بالجلال .

وإذا أوقع الله الضر والبلاء بإنسان فهذا جلال ، فإذا أفضى به هذا البلاء إلى التوبة والاقبال على الله فهذا جمال : ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٦٨].

فسبحان ربنا ما أعظمه وما أرحمه بخلقه ، يسوق إليهم النعم ليُقبلوا بها عليه ويطيعوه ، فإذا انصرفوا عنه أرسل إليهم مصيبة تردهم إليه : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٧].

هو سبحانه الحكيم الذي منع ليعطي ، وقبض ليبسط ، وخفض ليرفع ، وجعل هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء ، وجعل بلاء الدنيا سبباً لعطاء الآخرة ، وجعل عطاء الآخرة عوضاً من بلوى الدنيا : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر/ ١٠].

فسبحان الرب الكريم الحكيم الذي يأخذ ليعطي ، ويبتلي ليجزي : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

هو سبحانه الرب العظيم وحده لا شريك له ، له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، مرة يكاشف القلوب بأسماء جلاله ، ومرة يكاشفها بأسماء جماله.

فإذا تجلى على عبده باسم الجلال امتلأ القلب خوفاً وخشية ، وإذا تجلى الله على عبده باسم الجميل امتلأ القلب محبة وفرحة : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

فسبحان من يقلب هذا القلب البشري بين السرور والطمأنينة ، وبين الخوف والخشية ، وذلك كله لمصلحة العبد : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج/ ٦٥].

واعلم أن كل إنسان قريب من الله يدرك أنه بعد كل افتقار عطاء من ربه ، وبعد كل كبر منه تأديب من ربه ، فالمفتقر إلى الله يَنْعم باسم الجميل ، والمعتد بنفسه يعاقب بصفة الجلال : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وربنا حكيم عليم قد يحوج الإنسان لعبد لئيم فيرده هذا اللئيم ليعرف مقدار إحسان ربه إليه.

واعلم أن هؤلاء الناس الذين يُهانون ويذلون ويسوق الله إليهم من الشدائد ما لا يطيقون هم غالباً عصاة هان أمر الله عليهم فهانوا على الله ، فسلط عليهم بذنوبهم من يهينهم ليعودوا إلى ربهم ويحسنوا الظن به : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٢٩].

ومن أصر على معصيته واستكباره أخذه الله أخذ عزيز مقتدر : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزخرف/ ٥٥].

وربنا عزيز كريم يغار على عبده المؤمن فيجله ويكرمه ، ولا يذله ولا يهينه ولا يحوجه إلى لئيم ، بل للمؤمن الكرامة والأمن دائماً : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ٨٢].

أما هؤلاء الطغاة والأشرار الذين يذلون الناس فهم عصى بيد الله ينتقم بهم ممن عصاه ، ثم ينتقم منهم ويسلطهم على من أساء من عباده ، فإذا تابوا كفهم الله عنهم : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء/ ١٢٣].

فسبحان الرب العظيم الذي بيده مقاليد الأمور ، الرحيم الذي يربي عباده بما يصلحهم ليسعدوا في دنياهم وأخراهم.

فمن أطاعه ظاهراً وباطناً أكرمه ، ومن لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة/ ٢٧].

ربنا ﷻ هو القوي العزيز الذي ينتقم من كل ظالم استشرى شره ، ويعاقب كل مجرم مهما علا وتجبر : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود/ ١٠٢].

هو العزيز الجبار الذي يقصم ظهور الطغاة ، وينزل العقوبة بالعصاة لعلهم يتوبون إليه : ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام/ ٤٣].

واعلم أن الإنسان إذا عرف عظمة ربه خشي نقمته وخاف عقوبته فأطاعه ولم يعصه ، ومن خاف ربه دله الخوف على كل خير : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

فسبحان من عرَّف العباد بعظمته ليهابوه ، وعرَّفهم بنعمه ليشكروه : ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر/ ٤٩-٥٠].

هو الملك الحق الحكيم الذي يربي عباده بما يصلحهم فينتقم بعقوبة تردع صاحبها عن أن يعصي الله ﷻ ، ويعاقب ليوقف الباغي والمجرم والظالم عند حده ، ويحفظ من سواه من أذاه : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الدخان/ ١٦].

هو الرب الرؤوف الرحيم بخلقه ، لا يقصم ظهور الطغاة ولا ينكل بالجناة ولا ينتقم من العصاة إلا بعد الإعذار والإنذار والإمهال : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾﴾ [الطلاق/ ٨-٩].

هو الرب الرحمن الرحيم ، لا يبطش بالمجرم من أول مرة ، بل يمهله ليتوب إلى ربه ، فإن لم يستجب انتقم الله منه ، وأراح الناس من شره : ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ [المائدة/ ٩٥].

فسبحان ربنا الكريم الرحمن الذي ينتقم ممن عصاه ليصلحه ويوصله إلى أبوابه ، ويدخله إلى أبواب رضاه وطاعته : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

واعلم أنه إذا غضب ربنا ﷻ فإنه لا يغضب لنفسه ولا يغضب على خلقه ، بل يغضب على أعمالهم السيئة التي سوف تشقيهم ، فيعاقبهم ليعيدهم إلى الأعمال الحسنة التي ترضيه وتسعدهم: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر / ٢٢].

هو الرب العظيم والإله الكريم الذي يرسل رسله بالآيات والإنذارات ، فمن لم ينتفع بالإنذارات سلط عليه العقوبات : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف / ٥٥].

وسنة الله جارية في كل زمان ومكان أن من أعرض وطغى وتجبر أمهله الله ليتوب ، فإن تاب وأناب وإلا أخذه الله بذنبه : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

واعلم أن ربنا ملك قادر على كل شيء ، إذا رحم رحم حيث لا شقاء ، وإذا بطش بطش حيث لا نجاة : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج/ ١٢-١٦].

واعلم رحمك الله أن الواجب على المؤمن أن يعرف ربه بأسمائه وصفاته ليعظمه ويطيعه ، ويعرف نعمه وإحسانه ليحبه ويشكره ، ويعرف شدة بطشه وانتقامه ليخاف منه ويحذر معصيته : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٩٨].

والمؤمن حقاً من عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، فاجتمع في قلبه تعظيم ربه عن طريق الآيات ، ومحبة ربه عن طريق النعم ، وخوف ربه عن طريق النقم والعقوبات : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

فسبحان ربنا العظيم الكبير المتعال الذي إذا تجلى على مخلوقاته بصفة الجلال أرعب الألباب بصواعق وزلازل وخسوف وبراكين وعواصف ، ففي ثوان معدودة أبنية تهدمت ، وحرائق اشتعلت ، وأنفس قتلت ، وخلائق شردت ، وعواصف عصفت ، وبحار فاضت .

وبحسب الذنب تكون العقوبة ، وبحجم المعصية تكون شدة الانتقام : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود/ ١٠٢].

وإذا تجلى بصفة الجمال أخذ الألباب بنعم وأرزاق وأمن وعافية وطمأنينة وبركات وخيرات وأزواج وأولاد وأموال: ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٠].

وإذا عرفت هذا فاعلم أنه لا يتطاول على عباد الله إلا الجاهل بربه العظيم ، ولابد أن يُري الله فيه الناس يوماً يسوؤه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [السجدة/ ٢٢].

فإن أمهله الله ولم تر عقوبة الله له فاعلم أن الله سيعاقبه بعقاب أليم يوم القيامة : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٤٢].

وكفاك نصراً عليه إذا ظلمك أنه في معصية الله وأنت في طاعة الله : ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الزخرف/ ٤١-٤٣].

فسبحان الرب الحي القيوم العزيز الرحيم ، هو الأول بلا بداية ، وهو الآخر بلا نهاية ، من توجه إليه أشهده الباقيات والفانيات ، وهداه للعمل بالباقيات الصالحات وتَرْك الفانيات : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

وسبحان الغني الكريم المالك لكل شيء ، الذي عنده خزائن كل شيء ، الغني الذي لا يحتاج إلى شيء ، وما سواه يحتاج إلى كل شيء ؛ لأنه فاقد لكل شيء ، فالإنسان فقير يحتاج الى السمع والبصر والعقل والعلم والعافية والرزق والهدى ، والله وحده هو الذي أوجدها فيه وأنعم عليه بها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر/ ١٥].

وهو سبحانه الرب الملك الحق الذي أحسن إلى كل مخلوق بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد ، ونعمة الهداية لما ينفعه ، وللإنس والجن بنعمة الدين ، وللمؤمن مع ذلك بنعمة الهداية ودخول الجنة: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات/ ١٧] .

وهو سبحانه الرب المحسن إلى الخلق كلهم بصنوف النعم ولو غفل عن ذلك الغافلون، و جحد فضله الجاحدون، وأعرض عن شكره الكافرون: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ

﴿ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [غافر/ ٦١ -٦٢].

ومن إحسان الرب الكريم وفضله على الإنسان أنْ أخرجه من عدم، وصوَّره في أحسن صورة ، وهي صورة آدم أحسن صور العالم: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [غافر/ ٦٤] .

ومن إحسانه إلى الإنسان أنْ خلقه ربه بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلَّمه أسماء كل شيء ، وأسجد له ملائكته، وطرد ولعن من استكبر عن السجود له: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأعراف/ ١١] .

ثم أخرج الله الشيطان من الجنة إلى الأرض ، وأمهله بعد لعنته إلى يوم القيامة: ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحجر/ ٣٤ – ٣٥].

ومن إحسان الرب ﷻ إلى الإنسان أنْ خلقه في أحسن صورة، وأنعم عليه بفصاحة اللسان، وحسن السمع والبصر وتمام العقل: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل/ ٧٨].

ومن أعظم إحسان الرب إلى الإنسان أن أرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب ، وهداه للإسلام ، وعلمه كتابه ، ويسر له الدين ، وأعانه على عبادته والعمل بما علم ، ووفقه لنشر ما علم بين عباده ، وزين له كل عمل صالح ، وبغَّض إليه كل عمل سيء: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٦٤] .

ونعم الله على الإنسان لا يمكن عدها ولا إحصاؤها في النفس والمال والرزق والولد والعافية والدين والأمن والعناية والتكريم : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

فسبحان الله كيف يعصي الإنسان ربه بنعمه ويعرض عنه بقلبه وبدنه مع عظيم إحسان ربه إليه، وجزيل إنعامه عليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار/ ٦–٨].

وكيف يتعلق الإنسان بالفقير العاجز ويعرض عن الرب الغني القادر: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج / ٤٦].

واعلم وفقنا الله وإياك لحسن معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله أن شأن ربنا عظيم، وملكه عظيم ، وجماله وحسنه وإحسانه عظيم لا تحيط بذلك جميع عقول العالمين.

فلو صوَّر ربنا العالم العلوي والسفلي على أحسن صورة رجل واحد، ثم جمع له جميع عقول العالمين من الملائكة والإنس والجن وجميع ما خلقه الله ﷻ ، ثم ضاعف ذلك العقل والتمييز أضعاف ما خلقه من أعداد الخلائق، ثم ضاعف ذلك أضعافاً مضاعفة، ثم كشف له ربه عن حقائق الأمور، وأظهر له خفي المستور، وأعلمه عواقب المآل، وأطلعه على حكمته وخفيِّ بره في مسالك تدبيره في العالم، لم يزدد بذلك إلا إيماناً ويقيناً ، ولم يعلم من حسن ربه وإحسانه وعظمة أسمائه وصفاته إلا ما أطلعه عليه عالم الغيب والشهادة: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام / ٥٩] .

فسبحان الله ، لا يعصيه إلا من جهل أسماءه وصفاته ، ولم يقدر الله حق قدره: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر / ٦٧] .

وسبحان ربنا الحق الذي خلق الحُسْن في العالم كله ، وعَمَّ بإحسانه جميع مخلوقاته ، وأوصل بره وإحسانه إلى جميع عباده ، البديع الذي أبدع الحسن والزينة في العالم كله تبصرة وذكرى لعباده : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق / ٦-٨] .

بل النفوس عاجزة عن معرفة ما أعد الله لأوليائه من النعيم في الجنة فكيف تحيط بأسمائه وصفاته، وأفعاله وإحسانه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾
[الأنعام / ١٠٢-١٠٣] .

فسبحان ربنا العظيم الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد ، ولا معقب لحكمه.

يرفع ويخفض .. ويعطي ويمنع .. ويبسط ويقبض.. ويعز ويذل .. ويحيي ويميت.

يرفع من يشاء بجوده وفضله، ويخفض من يشاء بحكمته وعدله، وهو العليم الخبير بمن يستحق هذا وهذا: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النجم/ ٣٢].

واعلم أنه لا بد للعبد من البلوى التي تميز المؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب، والطيب من الخبيث: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٢-٣].

والمرفوع المكرَم في الدنيا والآخرة مَنْ رَفَعه ربه بتوفيقه وأكرمه بتصديقه وهداه إلى سواء طريقه مَنْ كان وحيث كان: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة/ ١١].

والمخفوض حقاً والخاسر حقاً من انقطع عن ربه، وأسره عدوه فتحَكَّم في قلبه وجوارحه وحياته فحُرِم التوفيق، وأدركه الخذلان، وصار من حزب الشيطان: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الكهف/ ١٠٣-١٠٦].

وقد أقسم الله بربوبيته على أنه الحق وأن دينه الحق فقال سبحانه: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الذاريات/ ٢٣].

وسبحان الله كيف ينصرف المشركون عن عبادته وحده وهم يشهدون أنه لا رب غيره، ولا خالق سواه، فكما أنه لا رب غيره فلا إله سواه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الزخرف/ ٨٧].

فسبحان ربي العظيم الذي ربى جميع العالمين بنعمه، وخلقهم بقدرته، وأوجدهم بمشيئته، وصوَّرهم بإرادته، وأعطى كل شيء خلقه اللائق به، ثم هدى كل مخلوق لما خُلق له، وأغدق على عباده نعمه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وتبارك الله رب العالمين ، ذو الجلال والإكرام، المتفرد بالعظمة والجلال والإنعام والإحسان والتصريف والتدبير على مدى الدهور والأزمان: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن / ٧٧- ٧٨].

هو سبحانه الرب العظيم الذي يدبر الأمر كله في ملكوته كله .

يدبر الأمر في عالم الجماد والنبات والحيوان ، وعالم الإنس والجن والملائكة ، ويدبر الأمر في العالم العلوي والعالم السفلي ، ويدبر الأمر في الدنيا والآخرة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

يدبر سبحانه الرياح .. ويدبر المياه .. ويدبر الذرات .. ويدبر النطفة في الأرحام .. ويدبر النجوم في السماء .. ويدبر الكائنات في الكون .. ويدبر الكلام في اللسان .. ويدبر الإبصار في العين .. ويدبر السمع في الأذن : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس/ ٣١-٣٢].

فسبحان الرب الحكيم الذي بيده التصريف والتدبير الحكيم ، يدبر الأمر كله ، ويوفق بين أوائل الأمور وعواقبها ، ويصل المقدمات بالنتائج في ملكه العظيم.

فهذا نهار جاء بعده ليل ، وهذا حر جاء بعده برد ، وهذه حبة صارت شجرة ، وهذه شجرة أخرجت ثمرة ، وهذه نطفة صارت إنساناً ، وهذا الإنسان صار سميعاً بصيراً عاقلاً عالماً.

وهذا زواج والنتائج سكينة وبنين وبنات ، وهذا عمل بشري والنتائج تجارة رابحة أو خسارة فادحة : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [السجدة/ ٥-٦].

فسبحان الملك الحق الذي يدبر الأمر في جميع ملكه وملكوته .

هو الرب العظيم الذي بيده التدبير المادي ، فهو الذي يمد خلقه في العالم كله بما يحتاجون من الهواء والماء والنور والطعام والشراب وغيرها من النعم : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وهو الرب العظيم الذي بيده التدبير الروحي ، فهو الذي يهدي عباده إلى الحق ، ويوصلهم إليه بما شاء : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [الليل/ ١٢-١٣].

فأحياناً يبعث إلى الكافر من يدعوه ، وأحياناً يبعث إلى العاصي من ينصحه ، وأحياناً يبعث إليه من يضغط عليه ، وأحياناً يسوق إليه شدة ، وأحياناً يجمعه بمن يعطف عليه ، وأحياناً يرزقه من فضله كي يستحي منه ، وأحياناً يقتر عليه ليفر إلى الله ، وأحياناً يبتليه بمرض ثم يشفيه ليبين له فضله عليه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس/ ٣].

هو سبحانه الرب الكريم الذي يدبر الأمر وحده لا شريك له.

يعطي هذا مالاً ، ويعطي هذا علماً ، ويعطي هذا ذكاءً ، ويعطي هذا جاهاً ، ويعطي هذا خُلقاً ، ويعطي هذا جمالاً ، يعطي كل واحد ما ينفعه ويناسبه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النحل/ ٥٣-٥٤].

فسبحان الرب الحكيم في خلقه وأمره ، الذي يدبر الأمر كله بالحكمة ، فيعطي الإنسان المناسب الشيء المناسب ، بالقدر المناسب ، من النوع المناسب ، في الوقت المناسب : ﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٣٠].

هو سبحانه الملك القادر على كل شيء ، وكل ما يقع في الكون من خلق أو أمر أو حركة أو سكون أو حياة أو موت فهو واقع بإرادة الله ومشيئته ؛ لأنه وحده الرب الذي يدبر الأمر كله في العالم كله : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران/ ١٥٤].

فسبحان من يدبر الأمر كله في الكون كله .

أرسى الأرض بالجبال .. ورفع السماء بلا عمد .. وملأ الشمس بالنور بلا حطب .. وأنبت الحب في الثرى .. وأمسك الطير في الفضاء .. وأطعم الأسماك في ظلمات البحار .. وسخر كل شيء من المخلوقات للإنسان : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الرعد/ ٢-٣].

وسبحان الملك الحق الذي ينطق كل شيء في ملكه بتوحيده وحمده ، ويشهد بحسن تدبيره وتصريفه وجمال خلقه وإبداعه وتصويره : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو سبحانه الرب العظيم القادر الكريم الذي خلق الإنسان وأمده بالرزق ، وأرسل إليه الرسل ، وأنزل إليه الكتب ليسير في الدنيا على هداه ، ثم يبعثه يوم القيامة للحساب والجزاء : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

هو الرب الحي الذي جعل في الحياة والموت آيات وعبر ، الحي الذي يبعث كل ميت للحشر والحساب والجزاء : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ (٧) ﴾ [الحج/ ٥-٧].

هو سبحانه الرب الكريم الذي بعث الأنبياء والرسل لهداية الخلق إلى ما يسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) ﴾ [النحل/ ٣٦].

هو الرب القادر الذي يلهم الإنسان حركاته وسكناته مكافأه له أو تأديباً له ، ويقلب قلوب العباد كيف شاء لمصلحة العبد .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :« إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يَصْرِفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ اصْرِفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ » أخرجه مسلم[١] .

واعلم أن الله ﷻ خلق كل إنسان مختاراً فيما يريد.

فمن اختار طريق الحق وطاعة ربه شرح الله صدره للإسلام إكراماً له وإعانة له على طاعة ربه.

ومن اختار طريق الباطل أو المعاصي أو الشهوات فإن الله يعينه على البعد عنه بأن يجعل صدره ضيقاً حرجاً ليتركه : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) ﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٠٥) .

فما أعظم رحمة الله بعباده وما أبره بهم ، وما أشد رأفته وعنايته بهم ، فهو الرب الرؤوف الرحيم الذي جعل قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء ، ليعينهم على الخير ويبعدهم عن الشر : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥].

هو الرب الحكيم الرحيم الذي أمر ونهى ، وأعطى الإنسان حرية الاختيار ، فإذا اختار الطاعة أعانه وضاعف له الأجر ، وإذا اختار المعصية لم يتركه الرحيم حتى يموت عليها ، بل يؤدبه ببعثه إلى عمل يستحق عليه عقوبة شديده ، ليعود إليه بعدها : ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأنعام/ ١٤٧].

فسبحان ربي العظيم الذي بيده الأمر كله ولا يفعل إلا ما يصلح عباده ، فلو أن إنساناً أدى زكاة ماله فإكراماً له وشكراً له يبعثه لشراء صفقة رابحة تعوض له ضعف ما دفع أو أكثر : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ/ ٣٩].

ولو أن إنساناً بخل بزكاة ماله فتأديباً له وتذكيراً له لعله يتوب يبعثه الله إلى صفقة خاسرة تأكل ما بخل به من الزكاة : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران/ ١٨٠].

فمن أعطى مما أعطاه الله أعطاه الله خيراً منه ، ومن بخل بما وجب عليه أو أخذ ما يحرم عليه أخذه الله منه : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة/ ٢٧٦].

فسبحان الرب الحكيم الرحيم الذي يكافئ على حسن الاختيار ، ويؤدب على سوء الاختيار.

هو الرب القادر الذي بعث الأولاد من الأرحام كما بعث النبات من الأرض ، ويوم القيامة يبعث الأموات إلى الحياة الأبدية ، وهناك تظهر الأرباح والخسائر : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٨٥].

والموحد حقاً من توكل على ربه وحده ، فلا يرى مع الله أحداً لا نفسه ولا غيره ، فيتوجه إلى ربه في كل شيء : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

هو سبحانه الرب العظيم الذي يبعث من يشاء إلى عليات الأمور ، ويرفع عن القلوب وساوس الصدور ، ويسمو بالأفعال عن الشرور : ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة/ ٧٤].

• التعبد لله ﷻ باسمه الرب :

اعلم وفقك الله أن أول التعبد باسم الرب ﷻ طلب علمه ، ومعرفة مسالكه في العالم العلوي والسفلي، واستعلام سبل مجاريه في المخلوقات كلها خلقاً وتدبيراً ، وتصويراً وتقديراً ، وإعداداً وإمداداً : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[يونس/ ٣].

فانظر ترى ربك العظيم وحده يفعل ما يشاء، والخالق يخلق ما يشاء، والمصور يصوِّر ما يشاء، والرازق يرزق من يشاء، والهادي يهدي من يشاء، والرحمن يرحم من يشاء، والقهار يقهر من يشاء، والقادر ينفذ ما يشاء، والحكيم يحكم ما يشاء، والناصر ينصر من يشاء، والغفار يغفر لمن يشاء: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[مريم/ ٦٥] .

واعلم أن ربك هو الرحمن الرحيم الذي خلق الإنسان مختاراً ليكافئ المحسن ، ويعاقب المسيء.

من تقرَّب إليه بالطاعة شرح صدره ، وألقى الطمأنينة في قلبه ، وييسِّر أمره.

ومن عصى ربه ألقى في قلبه الضيق والكآبة والحيرة ليعود إليه : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه / ١٢٣- ١٢٦] .

ومن شعر أن ربه يراقبه ويحاسبه على أفعاله ، ويعاقبه سريعاً على كل قول أو فعل لايرضيه ، فليعلم أنه في عز العناية الإلهية ، وأن فيه خيراً كثيراً ، وأن الله يؤهله لرحمته ، ويربيه ليرقيه ، ويكفِّر عنه سيئاته: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾[آل عمران/ ١٤٠-١٤١].

ومن ارتكب المعاصي والكبائر ولم يحاسبه ربه ولم يعاقبه فليعلم أنه خارج العناية الإلهية ؛ لأن الله علم فيه انحرافاً شديداً وإصراراً على معصية الله واستكباراً عن طاعة ربه فَوَكَله إلى نفسه ونسيه كما نسيه : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ

﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧﴾ [التوبة/ ٦٧].

فسبحان الرب الرؤوف الرحيم الذي يسوق الشدائد والمصائب لمن عصاه ليحمله على التوبة من أجل أن يتوب إليه : ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢١﴾ [السجدة/ ٢١].

فمن علم الله فيه خيراً جعله ضمن العناية الإلهية فرباه وأكرمه وأدَّبه بما يكون سبباً لرحمته بالنعم الظاهرة والباطنة : ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

ومن علم الله أنه لا يصلح لدار كرامته متَّعه في الدنيا بشهواته ، فإن لم يشكر عاقبه ، فإن أصرَّ أهلكه: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٥﴾ [الأنعام/ ٤٣- ٤٥].

والرب عز وجل إذا أحب عبده عجَّل له العقوبة إذا عصاه ، وابتلاه بالنعم والمصائب ، فإن صبر اجتباه ، وإن شكر زاده ، وإن عصاه أدَّبه : ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ [إبراهيم/ ٧].

ومن أحبه ربه جعل له واعظاً من نفسه ، وحبَّب إليه طاعته ، وكرَّه إليه معصيته ، وجعل حوائج الناس إليه : ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

والإنسان كالمريض إن كان فيه أمل في الشفاء حماه الطبيب مما يضره ، وأعطاه ما ينفعه ، وإن كان لا أمل في شفائه قال له : كل واشرب ما شئت ؛ لأنه لا أمل في شفائه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

فتعلَّم ذلك كله ، وتَعَبَّد بذلك لربك التعبد كله، وأفرده بما هو أهله، والزم قدرك، واعرف نفسك ، فهو الرب وأنت العبد، وهو الخالق وأنت المخلوق ، وهو الغني وأنت الفقير ، وهو القوي وأنت الضعيف: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٤﴾ [غافر/ ٦٤].

أفرِد ربك العظيم بما تفرد به من الكمال، وما اختص به من نعوت التعالي والكبرياء، وما توحَّد به من العظمة والملكوت والجلال والجبروت: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر / ٢٣] .

وألزِم نفسك شاكلة العبودية لربك العظيم ، وذل الافتقار إليه في جميع الأوقات، ووال ربك بالتوحيد والإيمان وحسن العبادة ، وأكثِر من ذكره وحمده وشكره ، واستغفره من كل تقصير ، فذلك شرفك وسبيل فلاحك في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [آل عمران / ٥١].

واعلم أن معرفة العبد بربه ، وشهوده انفراده بالربوبية من الخلق والأمر والملك والرزق والتدبير ، وأن ما شاء كان، ومالم يشأ لا يكون، وأن مقاليد الأمور كلها بيده، كل ذلك يوجب تعلق القلب بالرب وحده، والتوجه إليه، والاستعانة به، وتفويض الأمور كلها إليه، وعدم الالتفات إلى ما سواه ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

فقف رحمك الله بين يدي ربك العظيم عابداً حامداً خاشعاً ذاكراً وكن مع خلقه داعياً ومعلماً ومحسناً ومربياً ، تكن بذلك من المفلحين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج/ ٧٧].

ربِّ نفسك على حب ما يحبه الله وافعله ، وبغض ما يكرهه الله واجتنبه ، وخذ بها إلى سبيل الرشاد ، وربِّ سواك بالنصح والتوجيه وحسن التربية والتعليم تَصلح وتُصلح وتربح وتؤجر : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر/ ١-٣].

واعلم أن الله ﷻ يحب أسماءه الحسنى وصفاته العلى، ويحب ظهورها في خلقه، ولهذا أخبرنا الله بها ودعانا للاتصاف بها وعبادته بموجبها والثناء عليه بها.

فهو الرب الكريم الذي يحب الكرم وأهل الكرم ، الشكور الذي يحب الشكر وأهل الشكر، العفوّ الذي يحب العفو وأهل العفو ، فكن أنت كذلك.

ومقصود خلق الإنسان في هذه الحياة تحصيل الصفات التي يحبها الله ، والاتصاف بها ، وعبادة الله بموجبها ، ودعاء الله بها ، ودعوة الناس إليها كما قال سبحانه : ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟

﴿ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

فكن ربانياً متصفاً بالصفات الحسنى التي يحبها الله يحبك الله ويحبك الخَلق من الإسلام والإيمان ، والإحسان والكرم ، والعفو واللطف ، والرفق والحلم ، والرحمة والحمد وغيرذلك من الأسماء الحسنى والصفات العلى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

واعلم أن ربك العظيم هو الذي جعلك خليفة في الأرض ، فيجب عليك أن تدبر أمورك وتقوم بشئون الخلافة حسب توجيه ربك في كل حال : ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٢].

فالله يدبر الكون ومن فيه ، ويدبر كل من دونه ، وقد جعلك خليفة في الأرض ، ووكلك أن تدبر من دونك من الخلق بالصفات التي يحبها : ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود/ ١١٢].

فإذا وكلك الله بأسرة فكن لها مدبراً رحيماً حكيماً ، وإذا وكلك الله بطلاب علم فكن لهم مدبراً لطيفاً ومربياً رحيماً ، وإذا كنت حاكماً فيجب عليك أن تدبر أمر رعيتك بما أمرك الله ورسوله به ، وإن كنت عالماً فيجب عليك أن تدبر أمر عباده بالشرع : ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة/ ٤٩-٥٠].

وعن ابن عمررضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » متفق عليه(١).

فالله وحده هو رب العالمين الذي يدبر الأمور كلها ، وأنت خليفة في الأرض وكلك الله بتدبير أمور الناس حسب الشرع والله شهيد عليك : ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود/ ١٢٣].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٩٣) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٨٢٩).

واعلم رحمك الله أن أبواب معرفة الله وتعظيمه ومحبته كثيرة، وأعظم هذه الأبواب باب الافتقار إلى الله، فكلما افتقرت إلى الله رفعك الله إلى أعلى المراتب، وخصك بكل مكرمة، وحفظك من كل سوء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

وكلما ازداد توحيد العبد ازداد إخلاصه لربه، وكلما زاد إيمان العبد زادت طاعته لربه، وحسنت عبادته، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تعلق به وحده ولم يلتفت إلى غيره: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

فالأمن كله متعلق بالتوحيد، والخوف كله متعلق بالشرك: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢].

وبقدر ما يبتعد الإنسان عن التوحيد يكون الرعب والخوف: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ [الأنفال/ ١٢-١٣].

فسبحان الرب الكريم القادر الذي رقَّى الناس من الصغر إلى الكبر، ومن الجهل إلى العلم، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن المعاصي إلى الطاعات، وهذه نشأة أخرى ومنَّة كبرى من ربنا العظيم: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

فابعث قلبك ليحيا بمعرفة الله، وابعث نفسك بالأعمال المطابقة للقرآن والسنة، واشغل قلبك كله بطاعة الله بما يرضي الله تفوز برضاه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة/ ١٠٠].

واعلم رحمك الله أن الله مع المحسنين، ويحب الإحسان والمحسنين، ويحسن إلى خلقه بما لا يحيط به غيره، فأحسِن بما أعطاك ربك من الخير إلى عباده، وأنفق عليهم مما وهبك من العلم والمال وحسن الخلق ولا تخالف أمر ربك تكن ربانياً: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص/ ٧٧].

وأحسِن عملك كله لربك يحبك الله ويثيبك بأحسن منه: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ

﴿ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾ [البقرة / ١٩٥].

أحسِن في علمك ونظرك وتفكرك ، واصرفه في معرفة ربك بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة دينه وشرعه ، ومعرفة وعده ووعيده : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد/ ١٩] .

وأحسِن صلاتك لربك إذا صليت .. وأحسِن صيامك إذا صمت .. وأحسِن شهادتك إذا شهدت .. وأحسِن خُلقك مع الله وعباده .. وأحسِن في أمورك كلها، فإن ربك يحب الإحسان والمحسنين، ويجزل لهم الأجر والثواب: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥ ﴾ [النساء / ١٢٥] .

واعلم أن أعظم الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ولتكن من المحسنين مع الرب ومع الخلق .

أحسِن عبادتك لربك ، وأحسِن إلى الجاهل بالتعليم له ، وأحسِن إلى الفقير بالصدقة عليه ، وأحسِن إلى غيرك بالهدية له ، وأحسن إلى السفيه بالحلم عليه ، وأحسِن إلى أئمة المسلمين وعامتهم بالنصيحة والموعظة الحسنة ، وأحسِن إلى الكفار بالدعوة إلى الله : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل/ ١٢٥] .

ومن أحسنَ بالخير والعمل الصالح أحسن الله إليه بأحسن منه: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦ ﴾ [يونس / ٢٦] .

واعلم أن عطاء الرب جل جلاله دائر بين العدل والإحسان.

فالعدل هو ما يفعله الرب بحكم المُلك والربوبية.

والفضل والإحسان ما يفعله جل جلاله بحكم الإحسان والرحمة والامتنان: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٦٥ ﴾ [الحج / ٦٥] .

واعلم أن الإحسان أحب إلى الله من العدل .. والعطاء أحب إليه من المنع .. والثواب أحب إليه من العقاب .. والعفو أحب إليه من الانتقام .. والرحمة أحب إليه من القسوة.

فكن محسناً كما أحسن الله إليك ، وخذ من الأسماء أحسنها ، ومن الصفات أجملها ، وخذ من الأقوال والأعمال أفضلها و أحسنها، وخذ من العلوم أزكاها وأشرفها، تكن من المحسنين

المقربين الفائزين : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الواقعة/ ١٠– ١٤] .

واعلم أن كل إحسان من العبد قبله ومعه وبعده إحسان من الرب الكريم : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن / ٦٠] .

فأحسِنِ التوحيد والإيمان والإخلاص والعمل، وتوكل على ربك الذي بيده مقاليد الأمور، وإليه يرجع الأمر كله: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود / ١٢٣] .

واعلم أن من رفع نفسه إلى كل خير بالتوحيد والإيمان وصعد بها في مراقي الطاعات ورفعها عن كل دنس وسفل رفعه الله في الدنيا والآخرة: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور/ ٥٥].

واعلم أن العزة والذلة كلاهما بيد الله ، فهو مالكهما في الدنيا والآخرة ، يعز من يشاء بطاعته ، ويذل من يشاء بمعصيته: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يونس/ ٦٥].

وعز الدنيا وذلها معرَّضان إلى التحول في الآخرة إلى ضدهما: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الإسراء / ٧٢] .

وأعز العز وأرفعه يناله العبد من ربه بالإيمان واليقين والتقوى والزهد ، والانقطاع إلى ذي العزة والجبروت ، والغناء به عن كل ما سواه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون / ٨] .

وأذل الذل يصيب العبد بسبب الكفر والشرك والمعاصي والفجور : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٢].

فسبحان الملك الحق الذي يفعل ما يشاء ، لا إله غيره ولا رب سواه وهو على كل شيء قدير.

يعز بأسباب الذلة..ويذل بأسباب العزة .. وينفع بأسباب المضرة .. ويدمر بأسباب المنفعة ..

وينجي بأسباب الهلاك .. ويهلك بأسباب النجاة .. ويحيي بأسباب الموت .. ويميت بأسباب الحياة : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

وسبحان الرب الحكيم العليم الذي يقدم من شاء إلى الأعمال الصالحة والدرجات العالية ، ويؤخر من شاء إلى ضد ذلك : ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٣٩].

واعلم رحمك الله أن إيمانك بالله رباً يستلزم إخلاص العبادة له، وكمال الذل بين يديه، مع كمال الحب والتعظيم له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام / ١٠٢] .

واعلم بأن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً فقد ذاق طعم الإيمان، ورضي بما يأمره به ربه وبما ينهاه عنه، وبما يقسمه له وبما يقدره عليه، وبما يعطيه إياه وبما يمنعه عنه ، وبما يختاره له: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء/ ٦٥].

وعَن الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رضي الله عنه أَنهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:« ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِالله رَبّاً ، وَبالْإِسْلَامِ دِيناً ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً » أخرجه مسلم [1].

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[آل عمران/ ٥٣].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[الفرقان/ ٧٤].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران/ ٨].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة / ٢٨٦] .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة / ٢٠١].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤) .

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ أَنتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرضِ ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرضِ وَمَنْ فيهِنَّ .
أَنْتَ الحَقّ ، وَقَوْلُكَ الحقّ ، وَوَعْدُكَ الحقّ ، وَلِقَاؤُكَ الحقّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ.
اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » متفق عليه [1].

اللهم رب السموات السبع ، ورب الأرضين السبع ، ورب العرش العظيم ، أنت ربنا ورب كل شيء ، ارحم ذل مقامنا بين يديك ، واغفر ذنوبنا ، ويسر أمورنا ، وخذ بأيدينا إلى ما يرضيك عنا ، وأدخلنا الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين.
اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين السبع وما أقلت ، ورب الرياح وما ذرت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لنا جاراً من شر خلقك أجمعين .
عز جارك ، وجل ثناؤك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك ، ولا رب سواك .

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) ، واللفظ له ، ومسلم برقم(٧٦٩).

الرحمن .. الرحيم

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢].

الله ﷻ هو الرحمن الرحيم بجميع مخلوقاته، الرحمن الرحيم الذي لا أرحم منه.

هو الرحمن الرحيم الذي رحمته وسعت كل شيء، وكل رحمة في العالم فمن آثار رحمته: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر/ ٧] .

والله ﷻ هو الرب الرحمن الرحيم الذي بطن بذاته ، وظهر بصفاته ، واستعلن بأسمائه ، وتجلى بأفعاله، وله الحمد كله على ربوبيته وألوهيته ورحمته: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢-٣].

هو الرحمن الرحيم الذي استوى على أعظم المخلوقات وهو العرش بأعظم الصفات وهي الرحمة ليعلم عباده أنه الرحمن الرحيم الذي يحب أن يرحم جميع خلقه كما قال سبحانه : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه/ ٥] .

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الله أظهر من أسمائه الحسنى ما أظهره لآدم ﷺ يوم علَّمه الأسماء كلها.

فإذا كان يوم القيامة أظهر منها قدراً زائداً على مقدار ما أظهره من قبل ، على مقدار عظمة ذلك اليوم العظيم بالإضافة إلى يوم الدنيا.

ثم يُظهر لسيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ في دار القرار منها قدراً زائداً على ما أظهره من قبل ، على مقدار زيادة تلك الدار على ما قبلها .

ثم يُظهر الرحمن الرحيم لعباده وأوليائه في الجنة من أسمائه المحجوبة والمكنونة مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٧] .

فسبحان الرب الرحمن الرحيم الذي كتب بمقتضى هذا الاسم على نفسه الرحمة ، في كتاب وضعه عنده فوق العرش (أن رحمتي سبقت غضبي): ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٤].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « إِنَّ الله لمَّا قَضَى الخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحمَتِي سَبقَتْ غَضَبِي » متفق عليه[1].

فكان هذا الكتاب العظيم المبارك عِقداً لجميع العالم أعلاه وأسفله؛ ليمتلئ الكون كله بالرحمة والأمن والعفو والمغفرة والحلم والصفح والأناة والتوبة والإحسان وحسن المعاملة وغيرها من آثار رحمته : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر / ٧] .

فسبح بحمد ربك العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، الذي حجب ذاته وجلاله وجماله عن خلقه بحُجُب النور التي لو كشفها لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، فَيُهلك كبرياؤه كل كبير، وعظمته كل عظمة، وعزته كل عزة، وكرمه كل كرم، وقدرته كل قدرة، وقهره كل قهر، فكان لا يقوم له شيء لولا رحمته السابقة باحتجابه عن خلقه: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر / ٦٧] .

وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ : قَامَ فِينا رَسُولُ الله ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: « إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » أخرجه مسلم[2].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه الله ويرضاه أن جميع ما في العالم العلوي والسفلي من حصول المنافع والخيرات والبركات والمحاب والمسار والنعم فمن آثار رحمة أرحم الراحمين.

كما أن جميع ما صُرف عن العباد من المصائب والمكاره والمضار والمخاوف والنقم والآلام فمن آثار رحمة الرحمن الرحيم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج / ٦٥] .

فسبحان الله وبحمده لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا هو: ﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر / ٢] .

ومن رحمته ﷻ أن أوجد العالم كله متواشج الأرحام ، ومتقارب الأصول.

فجعل برحمته الأعلى يعطف على الأسفل، وجعل الأسفل يتعلق بالأعلى.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٤٢٢)، ومسلم برقم(٢٧٥) واللفظ له .

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (١٧٩) .

وأفقر الخلائق كلها بعضها إلى بعض ، فأفقر الأعلى إلى الأسفل ليؤدي إليه ماله عنده ، وأفقر الأسفل إلى الأعلى ليقبل منه ما به وجوده ، ثم أفقر الكل إليه إظهاراً لكمال غناه : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس / ٦٨] .

وقد خلق الرحمن الرحيم مائة رحمة، وأنزل منها رحمة واحدة إلى الأرض ، لتكون سبيلاً للتعاطف والرأفة والرحمة والمودة والحنان والسكن والتربية والنسل بين المخلوقات كلها من الإنس والجن والحيوان وغيرهم.

فعاش في تلك الرحمة أهل الأرض كلهم ، وتناسلوا وتعاطفوا وتم عليهم أمر ربهم : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:« إِنَّ لله مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالهَوَامِّ ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا ، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعاً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » متفق عليه [1].

ورفع الرحمن الرحيم سبحانه أهل الإيمان درجة في ذلك، فتعاطفوا وتراحموا وتحابوا وتوادوا من أجل الرحمن، فتم لهم أمرهم أوله وآخره، وعاجله وآجله: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح / ٢٩] .

وعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى » متفق عليه [2].

فإذا أراد الله فناء هذه الدنيا وأهلها قبض عنهم معنى اسمه الرحمن حتى لا يبقى في الأرض مسلم، وأذن بإقامة القيامة على شِرار الخلق فمقتهم وقبض الرحمة التي أنزلها إلى الأرض فيومئذ: ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحج / ٢].

ثم يضيف الرحمن الرحيم تلك الرحمة إلى ما أمسك عنده لتكون مائة رحمة ، يرحم بها عباده يوم القيامة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج / ٦٥] .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٠٠) ، ومسلم برقم (٢٧٥٢) ، واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ، ومسلم برقم (٢٥٨٦) واللفظ له .

فسبحان الرب الرحيم الذي يربي جميع مخلوقاته باسم الربوبية، ويوصل إلى جميعهم برحمته من إحسانه ورزقه ولطفه بما سبق لهم مقدراً عنده ، ثم يقطع ذلك عنهم بموتهم واحداً واحدا : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [السجدة/ ٦].

فإذا كان يوم القيامة خص برحمته أهل طاعته ، وصرفها عن أعدائه أهل معصيته : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم/ ١٥-١٦].

واعلم أن الرحمن الرحيم خلق الرحم، والرحم مشتقه من الرحمة ، والرحمة صفة الرحمن ﷻ.

ولما خلق الله الرحم أنزلها إلى الأرض فتعلقت بالعرش مستعيذة بالله من القطيعة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الله خَلقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ: نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ » متفق عليه [1].

فما أعظم ثواب صلة الرحم، وما أشد عقاب من قطعها .

وصلة الرحم تزيد في طول العمر، وبسط الرزق.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » متفق عليه [2].

فما أعظم رحمة الرب لعباده، فقد ملأ الرحمن العالم كله برحمته ، وملأ الكون بنعمه ، وملأ الجو بهوائه، وهو أرحم بالعباد من أنفسهم ، وأرحم من الأم الشفيقة بولدها.

فعلينا أن نملأ الزمان والمكان بذكره وحمده وشكره ؛ ليذكرنا في نفسه، ويزيدنا من فضله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر/ ٩٨-٩٩].

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ مِلْءُ السموات ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالمَجْدِ ، لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ » أخرجه مسلم [3].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٩٧٨)، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٥٤).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٦)، ومسلم برقم (٢٥٥٧) .

(٣) **أخرجه مسلم** برقم (٤٧٨) .

واعلم رحمنا الله وإياك أن رحمة الله نوعان:

رحمة عامة لعموم الخلق بما يسر لهم من سبل العيش وأنواع الإحسان كل بحسبه : ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الروم/ ٥٠].

ورحمة خاصة بالمؤمنين بما يسَّر لهم من الهداية والإكرام كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأحزاب / ٤١–٤٤].

فكل رحمة في السماء والأرض من إنعام عام ، وإحسان وإكرام ، وإدرار أرزاق ، وما هذا سبيله فذلك كله عن رحمة الرحمن العامة: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر/ ٧].

وما كان من الرحمة في معاني الديانة ، ومعاني العناية من أجلها ، فذلك من رحمة الولاية الخاصة كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس / ٥٨] .

وهذه الرحمة وتلك الرحمة كلاهما بيد الله يعطيها من يشاء ، ويمنعها من يشاء ، وهو الفتاح العليم: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر / ٢] .

ومتى عَرِيت رحمة الولاية من الرحمة العامة غلب على ذلك اسم الابتلاء والامتحان كما قال سبحانه: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء / ٣٥] .

ومتى عَرِيت الرحمة العامة من رحمة الولاية غلب على ذلك معنى المكر والاستدراج، نعوذ بالله من عقوباته كما قال سبحانه: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [التوبة / ٨٥].

فسبحان الملك الحق الذي حكم كل شيء عافية وبلاء ، ورحمة وانتقاماً ، وبسطاً وقبضاً، وغنىً وفقراً: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة / ١٢٠] .

هو الرحمن الرحيم البصيربما يُصلح عباده ، الذي إذا أراد أن يداوي مخلوقاً عاصياً يعلم كيف يداويه ويعالجه ويصلحه ليسعدفي دنياه وآخرته: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

والله رؤوف بالعباد، غني عنهم ، لم يبتليهم أو يضيق عليهم أو يُفقرهم إلا حباً لهم، ورحمة بهم ، ودفعاً لهم إلى باب عبوديته : ﴿ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء / ١٤٧] .

فسبحان الكريم الرحمن الرحيم الذي كلماته لا نفاد لها، وخزائنه لا نهاية لها، ويده بالليل والنهار سَحّاء بالعطاء: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [لقمان / ٢٧] .

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً.
يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ »أخرجه مسلم(١).

واعلم وفقك الله لكل خير أن الله كما خلق الخلق خلق صفاتهم ، فأوصافنا وصفاتنا بيده ومن عنده،يوفق إليها من يشاء،وييسرها لمن يشاء،ويمنعها من يشاء،وهو العليم الخبير.

وجميع الصفات من قبيل الأعطيات والهبات من الكريم الوهاب، وهي من آثار أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

فالإسلام من اسمه السلام ، والإيمان من اسمه المؤمن ، والهداية من اسمه الهادي ، والرحمة من اسمه الرحمن ، والمغفرة من اسمه الغفار ، والحلم من اسمه الحليم ،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

والهبة من اسمه الوهاب ، والجمال من اسمه الجميل ، والكرم من اسمه الكريم ، والشكر من اسمه الشاكر، والتوبة من اسمه التواب ، وهكذا في بقية الأسماء والصفات: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة / ٢].

يحلِّي بهذه الصفات من يحب من عباده ويزينهم بها ؛ ليرفع مقامهم ودرجاتهم : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

أما الكفار والمشركون فلهم أسماء بضد ذلك مما يكرهه الله ويسخطه ، وينزه نفسه عنه كالظلم والفساد والمكر والبغي : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل / ٩٠].

فتلك هبات وعطايا من الرب الرحمن الرحيم منزلة من عند الله ، يهبها الرحمن لمن يشاء من عباده حسب علمه وحكمته ، وحسب طلب العبد وسؤاله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

فسل ربك الرحمن الرحيم أن يهبها لك ، ويدلك على عباده الذين اختارهم لتقفوا آثارهم،وتسلك سبيلهم : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الفرقان/ ٦٣– ٦٨].

وبهذه الصفات يُخرِج الرحمن الرحيم نسل المسلمين والمؤمنين ، والمتقين والمحسنين ، والمهتدين والصالحين ، والصادقين والذاكرين والعابدين ويبعث بها من في القبور المظلمة : ﴿ وَتَرَى

ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج / ٥-٧] .

وأنواع رحمته ﷻ لا يحصيها إلا هو،وأعظم وأجلّ أنواع رحمته هي هداية خلقه بواسطة كتبه ورسله إلى ما يحبه ويرضاه من الدين القيم : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس / ٥٨] .

وجميع النعم المخزونة في السموات والأرض ، وجميع النعم الظاهرة والباطنة، وجميع النعم في الدنيا والآخرة، كل ذلك من آثار رحمة الله التي لا يحيط بها أحد : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل / ٥٣] .

وهو سبحانه الرحمن الرحيم الذي يعطي عباده النعم الكثيرة ، ويعفو عن التقصير في شكرها ، ويتجاوز عنهم لضعفهم : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

ومَنْ هداه الله إلى الصراط المستقيم فقد رحمه بفضله وإحسانه العام والخاص.

ومن آثار رحمة الله في الدنيا ما يَسَّر للمؤمنين من الهداية إلى الحق ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه للناس، والنصح للخلق ، والإحسان إليهم: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

فسبحان الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، فحيثما كان خلقه كانت رحمته، الرحمن الذي رحمته سبقت غضبه ، ورحمته عَمَّت جميع مخلوقاته.

وظهرت آثار رحمته في ملكه ومخلوقاته ظهوراً لا يُنكَر، حتى امتلأت برحمته أقطار السموات والأرض ، وامتلأت بها قلوب المخلوقات ، حتى حَنَت بها المخلوقات بعضها إلى بعض، وحَنَت بها البهائم على أولادها ، وحَنَت بها الطيور إلى أوكارها.

فسبحان من جميع الخلق قاعدون على موائد نعمه ، عبيد خاضعون لربوبيته ، شاهدون بوحدانيته : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان / ٢٠] .

هو سبحانه الرحمن الرحيم الذي شهد الكون كله بكمال علمه وقدرته ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وسعة رحمته وفضله : ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الروم/ ٥٠].

فهذه السموات العظيمة ، وهذه الأرض الواسعة ، وهذه الجبال الشامخة ، وهذه البحار العميقة ، وهذا الفضاء الكبير ، وهذا النور العظيم ، وهذا الهواء اللطيف ، كل ذلك وغيره من آثار قدرة الله ورحمته : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح/ ١٣-٢٠].

وهذه المياه العذبة ، والعيون المتفجرة ، والأنهار الجارية ، والبحار العظيمة ، والسحب المتراكمة ، والأمطار النازلة ، كل ذلك وغيره من آثار رحمة أرحم الراحمين : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الزمر/ ٢١].

وهذه الأرض المستقرة كم مواليدها في كل يوم من نباتات وأشجار؟ وهذه البقاع الواسعة ، وهذه السهول الخصبة ، والأعشاب المختلفة ، والنباتات المتنوعة ، والفواكه الطيبة ، والثمار الزكية ، كل ذلك وغيره من آثار رحمة أرحم الراحمين : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٤١].

وهذه الطيور في السماء ، وهذه الحيوانات في الأرض ، وهذه الأسماك في البحر ، كل ذلك من آثار رحمة أرحم الراحمين بعباده : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [النحل/ ٥-٧].

وهذه الشمس المضيئة ، وهذا القمر المنير ، وهذه النجوم العظيمة ، وهذا النور العظيم الذي

ملأ كل شيء ، كل ذلك وغيره أثر من آثار رحمة أرحم الراحمين : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد/ ٢].

فما أعظم رحمة الرحمن الرحيم بخلقه ، وإذا كانت هذه بعض آثار رحمته الواحدة في الدنيا فكم تكون كامل رحمته؟ وكم تكون رحمته لعباده في الآخرة ؟ وكم يكون إكرامه لأوليائه؟ :

﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

وظهرت آثار رحمته على بني آدم خاصة ، حيث خلق أباهم آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلَّمه أسماء كل شيء ، وأسكنه الجنة ، وجعل ذريته خلفاء الأرض ، وأرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب ، وكرَّمهم على غيرهم ، وزودهم بالعقول والأسماع والأبصار : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾[الرحمن/ ١-٤].

ومن رحمته أن أكرم بني آدم بجميع أنواع الكرامات : ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء/ ٧٠].

هو الرحمن الرحيم الذي تفضَّل على عباده بالخلق والإيجاد ، وأمَدَّهم بالطعام والشراب ، وامتن عليهم بالعافية والأمن والأموال والأولاد وأصناف النعم.

فهذه رحمته العامة لكل الخلق ، أمَّا رحمة الله الخاصة فهي الدين القيم الذي خصك به وشرح صدرك للإسلام ، وملأ قلبك بالإيمان وحبَّبه لك ، وأعانك على حسن عبادته ، وأجزل لك الأجر والمثوبة على ما هداك إليه : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾ ﴾[المائدة/ ٣].

فسبحان الرحمن الرحيم الذي ظهرت آثار رحمته في أمره وشرعه ظهوراً تشهده الأبصار والبصائر ، ويعترف به أولو الألباب والعقول : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحشر/ ٢٢].

فدينه الحق كله نور ورحمة وهدى وشفاء ، موصل إلى أجَلِّ رحمة وكرامة في الجنة ، ومقرب

إلى أعظم مقصود ومطلوب وهو الرحمن الرحيم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر / ٥٤ – ٥٥] .

• التعبد لله ﷻ باسمه الرحمن :

اعلم وفقنا الله وإياك لطاعته أن آثار رحمة الرحمن الرحيم مبسوطة في الكون كله ، لا تخلو منها ذرة في العالم العلوي والسفلي ، ولا في الدنيا والآخرة.

فسل الرحمن الخبير الحق أن يرشدك إلى معرفة أسمائه وصفاته ، وآياته ومخلوقاته ، ونعمه وآلائه : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الفرقان/ ٥٩].

واعلم أن رحمة الله تُنال بالإحسان ، فأحسِن إلى نفسك بحملها على طاعة الله ، وكفها عن معصية الله ، وتجميلها بما يحبه الله من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف / ٥٦] .

وأحسِن إلى غيرك ببذل الخير والمعروف له ، وارحمه بما أقدرك الله عليه من ضال تهديه ، أو جاهل تعلمه ، أو فقير تطعمه ، أو عار تكسوه ، أو سفيه تحلم عليه ، أو شديد تصبر عليه ، أو ضعيف تواسيه: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾ [البلد/ ١١– ١٨].

واعلم أن رحمة الله وسعت كل شيء فارحم رحمك الله كل مخلوق من إنسان و حيوان، ومؤمن وكافر، وبَرّ وفاجر، فما أرسل الله نبيك ﷺ إلا رحمة للعالمين،وأنت من أتباعه في الإيمان والأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء / ١٠٧] .

واعلم أن الله عرَّفك باسمه الرحمن الرحيم لتتصف بالرحمة ، وترحم خلقه.

فارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ، ومن لا يرحم الناس لا يرحمه الله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَبَّلَ رَسُولُ الله ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَليٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقرعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِساً ، فَقَالَ الْأَقرعُ: إِنَّ لي عَشَرَةً مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَداً،فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ ﷺ ثُمَّ قَالَ: « مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ » متفق عليه (١).

واعلم أن الرحمن الرحيم سبحانه شرع لنا من الفرائض والنوافل والواجبات والسنن ما يقربنا إليه، فتقرَّب بذلك إلى ربك ؛ لتنال رحمته، فكلما زاد قرب العبد من ربه وعظمت طاعته لمولاه زاد نصيبه من رحمة ربه : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٢] .

وحرَّم الله علينا الكفروالشرك والكبائر والقتل بغير حق والمعاصي والفواحش والآثام وكل ما يبعدنا عنه وكل ما يؤذي ويضر خلقه رحمة بنا : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٣٣].

فابتعد عن كل ما نهى الله ورسوله عنه ؛ لتسلم من شره ، وتنجو من عقوبته ، وتنال أجر تركه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر/ ٧] .

واعلم رحمك الله أن دين الله كله رحمة وحكمة وعدل وإحسان ؛ لأنه من الرحمن الرحيم : ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فصلت / ١ – ٣] .

وإذا أدخلك الرحمن الرحيم في رحمته فجعلك مسلماً فارحم الناس أجمعين ، وعرِّفهم بأرحم الراحمين ، وادعهم إلى سلوك الصراط المستقيم يرضى الله عنك ، ويزيد حسناتك : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨].

ارحم الخلق أجمعين ، وأكرِم المتقين ، واخفض جناحك للمؤمنين، وأعرض عن الجاهلين : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٩٩–٢٠٠] .

وارحم المساكين ، وعَلِّم الجاهلين ، ودُل العباد على ربهم الرحمن الرحيم، وخالق الناس بخلق حسن ، واذكر ما أنعم الله به عليك من النعم : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٧)، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣١٨).

رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى/٦-١١].

واعلم أن الله خصك برحمته لترحم نفسك وترحم عباده، وتعبد الرحمن بموجب أسمائه وصفاته.

واعلم أن الرحمن الرحيم ليس كمثله أحد في الرحمة، وخزائن الرحمة كلها عنده، وهو أرحم بالخلق من أنفسهم، فسله أن يتم نعمته عليك في الدنيا والآخرة، فإنه غني كريم يجيب السائلين، ويعطي الطالبين، ويهدي الضالين، ويتوب على التائبين: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وارحم خلقه الذين انقطعوا عنه أو لم يعرفوه، حَبِّبه إليهم ببيان أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وعرِّفهم بجزيل نعمه وسعة رحمته ليحبوه ويطيعوه، ويؤمنوا به ويعبدوه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت / ٣٣].

وحبِّبهم إلى ربهم بدعوتهم إليه وذكر آلائه ونعمه ليدخلوا في دينه، ويعملوا بشرعه، ويدخلوا في رحمته ويسعدوا بمحبته باتباع رسوله ﷺ: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران / ٣١].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف / ٢٣].

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الكهف / ١٠].

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [المؤمنون / ١٠٩].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر / ١٠].

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثيراً، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْني إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه[1].

اللهم ياسريع الإجابة والرضى، يا واسع الرحمة والعطاء، اغفر لمن لا يملك إلا الدعاء، وارحم مَنْ رأس ماله الرجاء، فإنك فعال لما تشاء، يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر،والسلامة من كل إثم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، يا أرحم الراحمين.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له.

الملك .. المليك .. المالك

قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة/ ١].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾[القمر/ ٥٤- ٥٥].

وقال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة/ ٢ -٤].

الله ﷻ هو الملك الحق الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون / ١١٦].

وهو سبحانه الملك الغني عن كل ما سواه ، المالك لكل شيء في العالم العلوي والعالم السفلي، الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن وما بينهن وما فوقهن من العرش العظيم، والكرسي الكبير، والملائكة والروح وما لا يعلمه إلا هو.

وهو سبحانه الملك العظيم الذي يملك السموات السبع، والأرضين السبع، وما فيهن وما بينهن من شمس وقمر.. وكواكب ونجوم.. وليل ونهار.. وسحب ورياح .. وملائكة وأرواح.. وإنس وجن.. وحيوان وطير.. وجماد ونبات.. وتراب وماء.. وبحار وأنهار.. وسهول وجبال، وغير ذلك مما لا يمكن إحصاؤه أو الوقوف على آحاده: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾[المائدة / ١٢٠].

وهوسبحانه الملك العزيز الجبار،ملك الملوك، ومالك الملك ، الذي يملك جميع الملوك والمالكين وما يملكون كله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران / ٢٦].

وهو سبحانه الملك القادر الذي ينفذ أوامره الملكية في ملكه العظيم متى شاء ، كيف شاء ، على من شاء ، من غير مشارك ولا ممانع ، خلقاً وإيجاداً ، وعطاءً ومنعاً ، وحياة وموتاً ، وتصريفاً وتدبيراً : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك/ ١-٢].

والكون كله مملكة واحدة لمالك واحد هو الله وحده لا شريك له : ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر/ ١٣-١٤].

فسبحان مالك الملك والملكوت ، كل شيء وقع أراده الملك ﷻ ، وكل شيء أراده الملك فلابد أن يقع : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٠٧].

واعلم أن الله إذا أعطى الملك لأحد أعطاه الهيبة فصار كل الناس يخافونه ، وإذا أراد نزعه من أحد ألغى هيبته فصار كل الناس يجترئ عليه ويكشر في وجهه حتى يسقطه ويخلعه : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

فمن أراد العزة والغنى والفوز والنجاة في الدنيا والآخرة فليتصل بالملك الحق الذي كل ما سواه مُلك له وعبد له : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة/ ١٢٠].

فسبحان الملك الكريم الحق الذي يدعو عباده ليكونوا ملوكاً في الدنيا والآخرة ، الحي الذي يدعوهم ليكونوا أحياء سعداء لا يموتون أبداً ، العزيز الذي يدعو عباده إلى الدين الحق الذي إذا آمنوا به ثم أرادوا شيئاً أعطاهم إياه : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥].

واعلم أنك إن أطعت الملك ﷻ كنت في معية الملك في الدنيا والآخرة ، وإذا أطعت الغني كنت في معية الغني ﷻ ، وإذا أطعت القوي كنت في معية القوي ﷻ.

وإذا أطعت الصغير كنت في معية الصغير ، وإذا أطعت الفقير كنت في معية الفقير ، وإذا أطعت الضعيف كنت في معية الضعيف : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

واعلم أن الله ﷻ هو الملك الذي خلق كل شيء بأمره ، وخلق الإنسان بيده ، وسخر له ما في السموات وما في الأرض من المياه والرياح والجماد والنبات والحيوان وغيرها ليستعين بذلك على طاعة من خلقه ويشكره : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٠].

فالإنسان لما قَبِل حَمْل الأمانة وهي الدين الحق كَرَّمه ربه وسخر له ما في السموات وما في الأرض ، فكل شيء مسخر للإنسان ، والمسخَّر له أكرم من المسخَّر ، فالجبال والبحار والتراب والحديد وغيرها مما لا يحصيه إلا الله كلها مسخرة للإنسان.

فسبحان من خلق الإنسان وسخر له جميع الثمار فجعل طعمها طيباً ، وشكلها جميلاً ، ورا ئحتها عطرة ، ومذاقها حلواً ، وملأها بالمنافع : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٤١].

وتسخير الله للكون له وجهان :

تسخير تعريف يجلب الإيمان ويزيده .. وتسخير تكريم يوجب الشكر لمن سخره .

فسبحان من سخر لنا كل شيء في كل حال ، فصفة التسخير تدور معنا في كل ثانية من حياتنا : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٢-٣٤].

وهو ﷻ الملك الغني الذي يملك كل شيء، وعنده خزائن كل شيء، وبيده كل شيء ، ينفق كيف يشاء ، ويعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ، ولا ينقص ما عنده مثقال ذرة : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر/ ٢١].

وهو سبحانه الملك العظيم القوي القادر الذي لا يعجزه شيء ، القاهر لكل شيء، النافذ أمره في ملكه، الذي لا يغلبه شيء ، الذي يتصرف وحده في جميع المخلوقات بلا ممانعة ولا مدافعة: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٣-٢٤] .

هو الملك القادر الذي يدبر الأمر .. ويصرِّف الأقدار .. ويقلِّب الليل والنهار .. ويفعل ما يشاء .. لا راد لقضائه .. ولا معقب لحكمه .

يعز ويذل.. ويكرم ويهين.. ويعطي ويمنع.. ويرفع ويخفض.. ويأمر وينهى.. ويعفو وينتقم.. ويثيب ويعاقب.. ويحيي ويميت : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٧٨-٨٠].

هو الملك الذي يرسل الرسل إلى أقطار مملكته، ويحكم عباده بأمره وشرعه، ويَعُمّهم بفضله ورحمته: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)﴾ [الحديد/ ٢٥].

وهو سبحانه الملك القدوس السلام ، الرحمن الرحيم ، اللطيف بعباده ، المتودد إليهم بنعمه وإحسانه ، المشفق عليهم مما يضرهم : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٦٥)﴾ [الحج / ٦٥].

وهو سبحانه الملك الحق المبين الذي يحكم وحده بين الخلق يوم القيامة، ومن رحمته بالخلق أنه مالك يوم الدين وحده ؛ لأنه الملك الذي يحكم بالعدل والإحسان، ويعفو ويصفح، ويغفر ويستر: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا (٢٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦)﴾ [الفرقان / ٢٥-٢٦] .

وإذا حكم الله بين العباد فلا ظلم ولا جور ولا خوف ، بل عدل وإحسان: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧)﴾ [غافر / ١٧] .

ومن أطاع ربه الملك القدوس في الدنيا، وعاش في الدنيا عبداً له، فاز بقرب الملك الحق يوم القيامة، ومَلَّكه ربه من النعيم ما لا يخطر بباله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥)﴾ [القمر / ٥٤-٥٥] .

الله أكبر .. ما أعظم ملكه ، وما أعز سلطانه ، وما أعظم كرمه ، وما أوسع حلمه على من عصاه .

فلله الحمد على ملكه العظيم، وله الحمد على فضله الكبير، وله الحمد على رحمته الواسعة، وله الحمد على نعمه السابغة ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١)﴾ [سبأ/ ١] .

فسبحان الملك القدوس ، ذي العزة والجبروت والملكوت ، كثير الخلائق والممالك والمماليك، واسع الرزق والمغفرة ، جميل الإكرام والإحسان ، عظيم الملك والقدرة والسلطان: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا

ﭐلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

والله وحده جل جلاله هو الملك الذي ملك الملك والملكوت، وله ملك السموات والأرض، وله ملك الدنيا والآخرة ، وله ملك عالـَم الغيب والشهادة : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾﴾ [طه / ١١٤].

فـ « لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه[1].

واعلم وفقك الله لمعرفته أن الله هو الملك الحق المبين وحده لا شريك له.

وملك الله جل جلاله لمخلوقاته من ثلاث جهات .

الأولى : مُلك الخلق والإيجاد ، والإمساك والإبقاء .

فالله وحده خالق كل شيء ، ومالك كل شيء ، وممسك كل شيء ، والمبقي لكل شيء :﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢- ٦٣].

الثانية : مُلك التصريف والتدبير ، والتحريك والتسكين .

فالله وحده هو الملك القوي القادر الذي يتصرف في ملكه كيف شاء بإرادته ومشيئته ، لا راد لأمره ، ولا مالك غيره ، ولا مالك فوقه ، وكل ملك دونه مملوك له ، خاضع لأمره : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦–٢٧].

الثالثة : مُلك النفع والضر .

فالله وحده هو خالق المخلوقات ، المالك لها ، المتصرف فيها كيف شاء ، فيجعل بقدرته النافع ضاراً، والضار نافعاً، وينجي بأسباب الهلاك، ويهلك بأسباب النجاة، ويعز بأسباب الذلة، ويذل بأسباب العزة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك / ١] .

فسبحان الملك الحق الذي يدبر ملكه العظيم في العالم العلوي والسفلي، ويتصرف في الملك والملكوت بما شاء على مقتضى حكمته ورحمته، وكل يوم هو في شأن:

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٨٤٤) ، ومسلم برقم (٥٩٣).

يُمَلّك مُلْكاً .. ويعز ذليلاً.. ويذل عزيزاً.. ويذهب بدولة.. ويأتي بأخرى.. ويداول الأيام بين الناس .. ويفعل ما يشاء .. ويحكم ما يريد : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢-٨٣] .

يرفع أقواماً .. ويضع آخرين.. وينصر مظلوماً.. ويأخذ ظالماً.. ويجيب داعياً.. ويعطي سائلاً.. ويفرج كرباً.. ويكشف غماً.. ويغفر ذنباً.. ويجبر كسيراً.. ويشفي مريضاً.. ويغني فقيراً.. ويفقر غنياً.. ويُؤمِّن خائفاً.. ويخيف آمناً.. ويقيل العثرات.. ويستر العورات.. ويقضي الحاجات: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن / ٢٩] .

وملكوت الله ﷻ حُسن مَلكته لما يملك بحسن التدبير، وجميل الإحسان، وحُسن الخَلق، وبديع الإتقان، وعجيب الحفظ، وإتقان الصنع: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان / ١-٢].

وبمعرفة حقيقة الملكوت يحصل للعبد علم اليقين.

وبمعرفة حقيقة المُلك تحصل له المشاهدة، وهي عين اليقين التي تثمر للمرسلين والمؤمنين حق اليقين ، وكمال التعظيم، وكمال الحب، وكمال الذل للرب ﷻ : ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم / ٥٨] .

والخلق في معرفة الملك والملكوت متفاضلون ؛ لأنهم في النظر متفاوتون، وفيما قسم الله لهم من أنوار الهداية مختلفون: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد / ١٩ - ٢٢].

والعقل كالبصر يدرك ما أقدره الله عليه، ويقف عاجزاً عما طواه الله عنه، ولولا إمداد الله له ما قام لشيء، فالعالم أوسع منه، والمُلك أكبر منه، والملكوت أعظم منه : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء/ ٨٥] .

وإنما عَظُم قدر العقل بالإيمان الذي به صار الإنسان حياً ، فانضافت إليه صفات لم توجد فيه من قبل، فعقل الغيب، وقويت فيه القوة الباصرة والسامعة والعاقلة ، واهتدى بإيمانه إلى ربه ،

وحق له النصر ممن آمن به وصدقه ، واستنار له طريق العلم والعمل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢].

فهو ينظر في الملك والملكوت بالنور، ويسمع بالنور ، ويتكلم بالنور ، ويمشي بالنور: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .

وعلى قدر كمال العقل وقوة نور الإيمان تكون رفعة العبد وعلو منزلته عند ربه، والله يختص برحمته من يشاء: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة/ ٢٢].

واعلم رحمك الله أن كل داخل في الملك والملكوت بنظره وفكره وإيمانه لا يرى منه إلا ما أذن الله له في رؤيته ، ولا يصف منه إلا ما أذن الله له في و صفه ، ولا يعلم منه إلا ما أذن الله له في علمه: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

والناس درجات في العلم والعمل والصفات ، والكل مُدبر ، ولا يستطيع أحد تقدماً ولا تأخراً إلا بإذن الملك المقدم والمؤخر ، العليم بكل شيء : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [الأنعام/ ١١١].

فسبحان الملك العظيم القادر الحكيم الذي يسوق المقادير التي قَدَّرها قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، ويحبسها في مواقيتها فلا تتقدم ولا تتأخر : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعلى/ ١-٣].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « كَتَبَ الله مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْض بِخَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الماءِ » أخرجه مسلم (١) .

أحصى المَلك الحق كل ذرة في ملكه، وكل كلمة، وكل حركة، وكل فعل ، وكل نفس.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣) .

أحصى كل شيء في كتابه، وجرى به قلمه، ونفذ فيه حكمه: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر/ ٤٩ – ٥٣] .

الله ﷻ هو الملك الحق، وكل ماسواه عبد لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله.

والملك الحق هو الله وحده لا شريك له لأمور :

الأول: أن الله وحده له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وصفات الجلال والجمال من كمال القوة والقدرة ، وكمال العزة والعظمة، وكمال الكبرياء ، وكمال العلم المحيط ، وكمال الحكمة في الأمور ، ونفوذ المشيئة والإرادة ، وكمال الرحمة والإحسان ، والحكم العام في الدنيا والآخرة : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٣].

الثاني: أن جميع الخلق في العالم العلوي والسفلي مماليكه وعبيده ، وكلهم فقراء إليه ، وكلهم مضطرون إليه في جميع أمورهم وأحوالهم : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم/ ٩٣-٩٥].

الثالث: أن الله وحده هو الملك الحق الذي له الخلق والأمر ، يقضي في ملكه بما يشاء ، ويحكم فيه بما يريد ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه.

وله الحكم في ملكه العظيم تقديراً ، وشرعاً ، وجزاءً.

فجميع الأحكام القدرية تجري على مقتضى قضائه وقدره من خلق وأمر، وإعداد وإمداد، وإحياء وإماتة ، وتصريف وتدبير : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

وله ﷻ جميع الأحكام الشرعية على خلقه، حيث أنزل كتبه، وأرسل رسله، وشرع شرائعه، وأمر خلقه بلزوم دينه وشرعه، وحذرهم من تركه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل/ ٣٦] .

وله ﷻ جميع الأحكام الجزائية على أعمال العباد خيرها وشرها في الدنيا والآخرة ، فيثيب بفضله المطيعين له ، ويعاقب بعدله العاصين له: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة/٦ – ٨] .

وبعد الحساب يكون الجزاء على الأقوال والأعمال والأخلاق : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء/١٣-١٤] .

وكل هذه الأحكام تابعة لعدله وحكمته ورحمته، وكلها من معاني ملكه وآثار رحمته فله الحمد : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

واعلم أن هذا المَلك العظيم والرب الكريم والإله الرحيم هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له فلا تعبد إلا إياه ، ولا تتعلق بأحد سواه : ﴿ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم/ ٦٥] .

وكل المخلوقات كبيرها وصغيرها عاليها وسافلها مماليك لله ، لا تملك مثقال ذرة من الخلق والأمر، وهي لم تكن شيئاً حتى تفعل شيئاً ، فلا يجوز لأحد أن يصرف لها من العبادة مثقال ذرة : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [النحل/١٧-٢١] .

فما أجهل من يتعلق بالعبيد المخلوقين العاجزين ، ويدعوهم من دون الله ، وهم لا يملكون شيئاً ، ولا يسمعون شيئاً ، ولو سمعوا ما استجابوا : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر/ ١٣-١٤].

واعلم هداك الله لما يرضيه أن ربك هو الملك المالك لكل شيء ، وعظمته وكبرياؤه لا يقوم لها شيء ، وملكه وملكوته أعظم من كل شيء.

خلق ﷻ الأرض وجعلها محيطة بمن فيها، فلا يستطيع أحد الخروج منها .

وخلق سبحانه السموات السبع وجعلها محيطة بالأرضين السبع ، وخلق فيهما وبينهما وفوقهما من الخلائق التي تسبح بحمده ، وتدل على عظمته ، وتشهد بتوحيده ما لا يحصيه ولا يعلمه إلا هو: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور/ ٤١].

وخلق سبحانه الكرسي وجعله محيطاً بالسموات والأرض ، والسموات السبع والأرضون السبع بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، سبحانه ما أعظمه : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة/ ٢٥٥] .

وخلق الله ﷻ العرش العظيم وجعله محيطاً بالكرسي ، والكرسي وما أحاط به بالنسبة للعرش الكريم كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، فسبحان الله ما أعظم ملكه وسلطانه.

خلق الله العرش العظيم بقدرته ، وأمسكه بقوته ، واستوى عليه برحمته ، وجعله محيطاً بجميع مخلوقاته ، والله العلي العظيم الكبير مستو عليه ، محيط به ، وهو الغني عنه ، لا يحتاج إليه سبحانه ليحمله ، بل العرش وما دونه محتاج إلى ربه الذي خلقه وأمسكه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

فسبحان الملك العزيز الجبارالذي خلق السموات السبع والأرضين السبع، وأمسكها بقدرته وقوته، فليس لها علائق من فوقها، ولا دعائم من تحتها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر/ ٤١] .

وسبحان الرب العلي الكبيرالذي خلق العرش العظيم ورفعه فوق مخلوقاته ، فهو سقف العالم كله ، وأمسكه بقدرته ، واستوى عليه برحمته: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٥ –٨].

والله ﷻ مستو على عرشه العظيم، يرى كل ذرة في ملكه العظيم، ويسمع كل شيء في كونه الكبير، ويعلم كل شيء في العالم العلوي والسفلي: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس/ ٦١] .

ربنا مَلِك عظيم ، قوي عزيز ، خلاق عليم ، غني كريم ، غفور رحيم ، قادر قاهر.

يدبر الأمر.. ويخلق ويرزق .. ويعز ويذل .. ويحكم ما يريد .. ويفعل ما يشاء .. ويهدي من يشاء .. ويضل من يشاء .. ويرحم من يشاء .. ويعذب من يشاء .. ويحكم بالعدل .. ويحسن إلى خلقه..ويتودد إليهم بنعمه..ويجيب من دعاه .. ويعطي من سأله .. ويغفر لمن استغفره : ﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) ﴾ [الرحمن / ٢٩] .

فسبحان الملك الحكيم القدوس السلام الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن، وأظهر لنا من السموات واحدة وأخفى ستاً ، وأظهر من الأرضين واحدة وأخفى ستاً، حتى يترك القرآن موضع بيان للرسول ﷺ،ويترك القرآن والسنة موضعاً للنظر والتفكر من البشر، الذي يصلون منه إلى العلم بالرب وآياته ومخلوقاته ، فإذا عرفوه أحبوه ثم عبدوه وحده لا شريك له : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢) ﴾ [الطلاق / ١٢] .

وأنزل سبحانه من الوحي المحكم والمتشابه وأخبر بالغيب والشهادة ؛ ليدل به على كمال علمه ، ويظهر به مقدار جهل الخلق، وقصور علم البشر، ويبتليهم بما تجهله نفوسهم، ولا تدركه عقولهم، ولا تراه أبصارهم، وليدل به على أنه سبحانه وحده له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى: ﴿ ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ﴾ [السجدة/ ٦-٧].

واعلم أن ما لا يدركه الإنسان بنور البصر ، ولا يحصِّله بنظر العقل ، يدركه بنور الوحي والإيمان ، ومن استهدى فسيُهدى ويُعطى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

ولهذا أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وشرع الشرائع ، ليضيف للعباد علوماً تسعدهم في دنياهم وأخراهم: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١٦٤) ﴾ [آل عمران / ١٦٤].

ثم اعلم رحمك الله أن الآخرة لما كانت أكبر من الدنيا ، والدنيا قطعة من الآخرة غير أنها صغير من كبير ، وقليل من كثير ، وفانية من باقية ، نقل منها إلى هذه ما يُذَكِّر بتلك ، ثم وسمها بما يُزهِّد الإنسان فيها فقال : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ

وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد/ ٢٠] .

ولعظمة جنة النعيم وسعتها وحسنها وأبديتها مدحها الله، ورغَّب فيها عباده ، وجعل أسباب الوصول إليها أسهل، وطرق تحصيلها أيسر، رحمة من ربك الملك الكريم الرحمن فقال سبحانه : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة / ٧١- ٧٢] .

ولشدة عذاب جهنم وضيقها وظلمتها وأبديتها ذمها الله ، وحذر منها ، وحرم علينا الأعمال التي تكون سبباً في دخولها رحمة بنا ، وتوعد من عصاه بدخولها : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة / ٦٨] .

فسبحان الملك الحق الذي يملك كل مخلوق، الرحمن الذي رحمته وسعت كل شيء، العزيز الذي قهر بعزته الجبابرة، القادر الذي لا يعجزه شيء، القوي الذي له القوة كلها ، الخالق الذي خلق كل شيء ، الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد.

وسبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ، والمجد والجلال .

سبحان الله ما أكبر ملكه.. وما أكثر مماليكه.. وما أعظم سلطانه.. وما أوسع رحمته.. وما أحسن أسمائه وصفاته.. وما أجمل كرمه وإحسانه.. وما أشد بطشه وانتقامه.. وما أجدره من عبيده بأحسن التحيات ، وما أولاه بأزكى الصلوات والطيبات من الأقوال والأعمال : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾[يونس/ ٣- ٤].

واعلم نوَّر الله بصرك وبصيرتك أن الخالق سبحانه قد جمع في ظاهر المخلوقات وباطنها معاني عالم الغيب والشهادة، ليستدل العاقل بالمخلوق على الخالق ، وبالصغير على الكبير ، وبالعاجز على القادر ، وبالفقير على الغني ، وبالفاني على الباقي ، وبالمملوك على المَلك : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ

﴿لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢٣].

ومتى تعذَّر عليك هذا العلم، وأُقفل دونك باب النظر، وحُجب عنك باب الفكر، فاعلم أنك تعيش مع الصور دون المصوِّر، وترى النعم دون المنعم، وتتعلق بالمخلوق دون الخالق ، وهذا أعظم الحرمان، وأكبر الخسران ؛ لأنك عرفت العبيد، ولم تصل إلى الملك الذي يملك كل العبيد: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد/ ١٩].

فأعد النظر والتدبر ، وأكثِر من التوبة والاستغفار لعلك تهُدى فترقى ثم تُعطى : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].

واعلم رحمنا الله وإياك أن ربنا هو الملك الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

هو سبحانه الرب الذي لا أول له ولا آخر، هو أول الأولين، وآخر الآخرين.

هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء وكل ما سواه له أول وآخر : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/ ٣].

فسبحان الملك الحق الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه، الملك العظيم الذي يدبر ملكه، ويُحسن إلى جميع عباده على مدى الدهور والأزمان.

هو الملك الرحمن الرحيم الذي أرسل الأنبياء والرسل إلى كل أمة، وبعثهم إلى عباده برسالاته، وأنزل كتبه بشرائعه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل/ ٣٦].

واعلم أن الله ﷻ عرَّف جميع مخلوفاته في العالم العلوي والعالم السفلي وكل ذرة في ملكه في الأزل بعظمته وكبريائه فأقرَّتْ بتوحيده، وأذعنتْ لعظمته ، وسبَّحتْ بحمده ، ورهبتْ من خشيته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان من استجابت جميع المخلوقات لإرادته ، وأذعنت لطاعته: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد/ ١٥].

يا حسرة على العباد ، أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه من جهلهم بربهم ، وعصيانهم له ، وتعلقهم بغيره : ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (16)﴾ [الرعد/ ١٦].

ولما كان من كمال حكمة الملك العلام خَلْق الأضداد ، خَلَق المجبور والمختار وهو الإنسان ليعلم من يأتي إليه ويؤمن به وهو قادر ألا يؤمن ممن يكفر به، ويفر منه.

ولهذا رمى سبحانه الروح بالنفس .. ورمى العقل بالهوى .

وقابَل العلم بالجهل .. والإيمان بالكفر .. والصدق بالكذب .. والحق بالباطل .. والذكر بالنسيان .. والأوامر بالشهوات .. والهداية بالضلالة.. والدنيا بالآخرة.

فقابَل ابتلاءً وامتحاناً كل صفة محمودة بضدها مذمومة فَضَلَّ عن الحق من شاء الله أن يضل ، واهتدى إليه من شاء الله أن يهتدي ، وأعرض عن ذكره من شاء الله أن يعرض : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26)﴾ [البقرة/ ٢٦] .

فكل أحد يختار ويعمل على شاكلته حسب فطرته الأولى حين أقرَّ لربه العظيم بالربوبية والوحدانية: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ﴾ [الأعراف/ ١٧٢].

ولكن الرب البر الرؤوف الرحيم عطف على الإنسان بعظيم فضله ، وعَذَره بكريم رحمته ، فأرسل إليه الرسل وأنزل عليه الكتب بالحق من عنده، وسَنّ له السنن، وشرع له الشرائع ، وبيَّن له الحق من الباطل،وبصَّره بآياته الكونية وآياته الشرعية : ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (138)﴾ [آل عمران/ ١٣٨].

فوجد المؤمن مرتقى سهلاً فارتقى ، وتاب إلى ربه وأناب ، وعاد إلى فطرته الأولى ، وهداه ربه الكريم إلى صراطه المستقيم : ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

فإنْ عثر بزلة تبعده عن ربه أقال الكريم عثرته بالتوبة، وقَبِل معذرته وغفر له زلته : ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (39)﴾ [المائدة/ ٣٩].

أما الكافر فَضَلَّ وأعرض عن هدى ربه وكذَّب رسله ، ولم ينتفع ببصره ولا بصيرته، واتبع هواه

وشهوات نفسه، فخسر وضل وأضل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف/ ١٠٣-١٠٥].

فما أعظم رحمة الله بعباده، حيث قرن شهادة التوحيد التي أخذها عليهم في بدء الخلق، بشهادة الرسالة المتجددة على مدى القرون، حتى ختمها ببعثة سيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٢].

وختم الرسالات برسالة سيد الخلق ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة/ ٣٣].

واعلم رحمك الله أن الملك الحق كما يرسل الرياح مبشرات بالماء والغيث، ومنذرات بالصواعق والعذاب، كذلك يرسل الرسل إلى عباده مبشرين بالثواب لمن أطاعه، ومنذرين بالعقاب لمن عصاه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ﴾ [البقرة/ ٢١٣].

والرسول الذي يحمل الرسالة بما فيها من العلم والهدى بمنزلة السحب التي تحمل الماء والغيث للخلق: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى/ ٢٨].

والماء الذي ينزله الله من السماء يغسل الأرض ويطهرها وينبت فيها من كل زوج بهيج، وكذلك الوحي الذي ينزله الله إلى عباده يغسل الذنوب ويطهر النفوس من السيئات، وينبت في النفوس التوحيد والإيمان، والأخلاق الكريمة، والأعمال الصالحة.

والمَلك الحق يمتن على عباده بهذا وهذا؛ لكمال رحمته، وإحسانه إلى عباده.

فقال سبحانه في الماء: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج/ ٥].

وقال في الوحي: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة/ ٢].

ومَثَل بقاع الأرض مَثَل المكلفين من الإنس والجن، ومَثَل أوديتها مَثَل القلوب تحمل على قدرها، وتسيل بما فيها على قدر سعتها، وتحمل مع الماء الغثاء والزبد كما تحمل

القلوب مع العلم الشبهات والوساوس: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الرعد / ١٧].

ومثل نبات الأرض من الماء من ثمر وشوك وحلو ومر مثل أعمال القلوب من العلم الوارد عليها ، فالطيب يخرج الأعمال الطيبة ، والخبيث يخرج الأعمال الخبيثة : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٢٤-٢٦].

فسبحان من جعل آية إنزال الماء إلى الأرض آية على إرسال الرسل إلى أهل الأرض، وجعل اختلاف البقاع بالنبات بعد نزول الماء دليلاً على اختلاف أعمال المكلفين بعد نزول الوحي ، حيث ظهر منهم المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي.

فإذا عاش من عاش في الدنيا، واهتدى من اهتدى، وضل من ضل، ثم مات الجميع، أعاد الله الكون بكامله مرة أخرى ؛ إظهاراً لكمال قدرته: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[الأنبياء / ١٠٤].

ثم يَمِيْز المَلك الحق الخبيث من الطيب فيجعل الطيب كله في الجنة، ويجعل الخبيث كله في النار: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[السجدة/ ١٨-٢٠].

واعلم أن الله هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الجميلة والمثل الأعلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

هو الملك الكريم الرحيم القادر على كل شيء ، الذي يقبض ليبسط ، ويمنع ليعطي ، ويبتلي ليصطفي ، ويذل ليعز : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم/ ٢٧].

هو سبحانه الملك الذي ابتدع خلق هذا الكون العظيم على غير مثال سابق .

فسبحان الملك القادر الذي إبتدأ العباد بالفيض والإمداد والإبداء ، وأظهر جميع الخلائق من العدم

الى الوجود : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١١٧].

هو سبحانه الملك القوي القادر الذي يعيد الخلق بعد الحياة الى الموت ، ثم يعيدهم بعد الموت الى الحياة الأبدية : ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٢٠].

هو الملك القادر الذي لايعجزه شيء ، بدأ الخلق كله ، ثم يفنيه كله ، ثم يعيده كله : ﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الروم/ ١١].

هذا والله هو الهدى والحق المبين ، بيَّنه العظيم ، وأحكمه الحكيم بآياته ومخلوقاته : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الجاثية / ٦].

فلله الحمد لربنا الملك الكريم الذي خلق الخلق ، وقسم الأرزاق ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، رحمة وهداية لعباده على مدى القرون ، ثم ختم الأنبياء والرسل بسيدهم وأفضلهم محمد ﷺ ، وختم الأمم بأمته ﷺ : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

ولله الحمد على عظيم إحسانه لآدم ﷺ وذريته ، فقد هيأ السكن قبل أن ينزل فيه الساكن؛ إكراماً له ، وعناية بمن خلقه بيده: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وقد خلق الله جميع المخلوقات بأمره النافذ، وخلق آدم ﷺ بيده، وكفله في أول أمره، وأسكنه الجنة، وكفاه السعي على نفسه فيها بقوله : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ [طه / ١١٨-١١٩].

وعلَّم سبحانه آدم ﷺ الأسماء كلها ؛ لأنه بمنزلة الطفل المكفول الذي ينبغي أن يُعلَّم الأسماء أول شيء،ثم يُدرَّج بعد في التربية والمعرفة: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٣١ - ٣٢].

ولكي يتدرب آدم ﷺ على طاعة مَنْ خلَقه ويحذر معصيته أباح الله له الأكل من جميع أشجار الجنة إلا شجرة واحدة ؛ ليذوق مرارة المعصية، وحذره من عدوه إبليس ، وعلَّمه كيف يتوب إذا عصى: ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة / ٣٥].

ثم أكل من الشجرة ، ثم تاب من معصيته ، ثم تاب الله عليه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه / ١٢١-١٢٢].

وقد ربى الله آدم ﷺ في الجنة ؛ لأنه سيجعله خليفة في الأرض هو وذريته: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة / ٣٠].

ثم أخرج الملك الحق آدم ﷺ وزوجه من الجنة كما يخرج الولد من كفالة أبيه، ويُوْكل إلى سعيه بعد بلوغ رشده ، ومعرفة ما ينفعه وما يضره : ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف/ ٢٤-٢٥].

وسهل له ربه أسباب التعلم، ويسر له مسالك المعيشة في الأرض، ولطف به كما يُلطف بالمكفول الذي درج ليقوم على نفسه : ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأعراف / ١٠].

ثم لم يزل التكليف يشتد على سنن التدريج على أمة بعد أمة حتى انتهى إلى بني إسرائيل.

ثم جاء الله بخاتم الأنبياء محمد ﷺ فصَرَفه عن تلك الشدة إلى الحنيفية السمحة التي في زمان إبراهيم ﷺ ، فكان ذلك بمنزلة المكلف حال الشيخوخة رفَّه الله عنه وخفف عليه بعد الشدة والتثقيل لضعفه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل / ١٢٠-١٢٣].

وبنو إسرائيل تفرقوا واختلفوا ولم يؤدوا الأمانة فاستبدلهم الله بهذه الأمة ، والمفلحون من أهل الكتاب هم : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٧].

فاستقرت الرسالات كلها واجتمعت المحاسن كلها وصارت ديناً كاملاً جاء به خاتم الأنبياء ﷺ من ربه لجميع البشرية إلى يوم القيامة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

فهذا ورب السماء والأرض هو الدين الحق الذي لا يقبل الله بعد نزوله سواه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران/ ٨٥].

- **التعبد لله ﷻ باسمه الملك:**

اعلم أسعدك الله في الدارين أنك عبد الملك العزيز الجبار، ومملوك ملك الملوك، مالك العالم العلوي كله، ومالك العالم السفلي كله، ومالك الدنيا والآخرة، لا إله لك غيره، ولا رب لك سواه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وربك هو الملك الحق القوي الذي لا يعجزه شيء، الغني الذي عنده خزائن كل شيء، الكريم الذي يعطي كل شيء، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، الحفيظ الرقيب الذي لا يفوته شيء، السميع البصير العليم الذي لا يخفى عليه شيء.

وأنت أكرم الخلق عليه، خلقك بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلَّمك الأسماء، وأعطاك من صفاته، وفضَّلك على كثير من خلقه، ودعاك إلى عبادته وحده، لتفوز برضوانه وجنته: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وأنت عبده، وليس لك عمل إلا امتثال أوامره، وتكميل محبوباته، إنْ أطعمك فاشكره، وإذا أمرك فأطعه، وإن ابتلاك فاصبر لحكمه، وإن أذنبت فاستغفره.

فالزم طاعته، وتقرب إليه بما شرع، واعبده بما يحبه ويرضاه تفوز برضاه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

وإذا علمت أن ربك هو الملك وحده لا شريك له لزمك أمران:

الأول: الإيمان بقضاء الله وقدره، فلو قضى عليك مرضاً أو فقراً أو بلاء فلا تعترض، لأنك ملكه يتصرف فيك كما يشاء كما يتصرف في الشمس والقمر والسحب والرياح وغيرها.

الثاني: الرضا بشرعه وقبوله والقيام به، لأنك ملكه وعبده، فإذا أمرك فأطعه، وإذا نهاك فأطعه.

ومقتضى العبودية التامة أن تخضع لشرعه كما أنك خاضع لقضائه وقدره: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [الحديد/ ١-٢].

واعلم أن ربك هو الملك الغني عن كل ما سواه، وأنت الفقير إليه، الذي يربح عليه: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ ﴾ [العنكبوت/ ٦].

هو الملك الحق الذي بيده الملك، القادر على كل شيء، الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، فَجِدّ رحمك الله في طلب مرضاة ربك الملك العزيز الوهاب، وتعرّف على أسمائه وصفاته، وسارع إلى ما يحبه ويرضاه: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٦٢ ﴾ [التوبة/ ٦٢].

وتفرَّغ لعبادة ربك الكريم والخلوة به والوقوف بين يديه خاشعاً ذليلاً مسبحاً بحمده، خاصة في الثلث الأخير من الليل حين ينزل ربنا إلى السماء الدنيا لِيقرُب من عباده المؤمنين؛ إكراماً لهم، ومحبةً لهم، ورحمةً بهم: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾ [الزمر/ ٩].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُوني فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُني فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُني فَأَغْفِرَ لَهُ » متفق عليه [1].

واعلم أن الملك جل جلاله مَلَّكك جوارحك وأوقاتك فاتق الله فيهما بالمواظبة على عبادة ربك العظيم، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، والزم بيئة الإيمان، وأحسِن إلى الناس، وازهد فيما في أيديهم يحبك الله والناس: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾ [الكهف/ ٢٨].

واقنت لربك العظيم، ولا يصرفنك عن وجهتك أقوال الغافلين، وإشارات المستهزئين، وكلام السفهاء، فإن الأعمى لا يدرك فضل الضوء، والأصم لا يعرف قدر الصوت: ﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢ ﴾ [الرعد/ ١٩-٢٢].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

واعلم أن النفس تستثقل هذه المعالي ، وتستصعب الأعمال الصالحة ؛ لأنها مُوْلَعة بحب الشهوات، تريدك عبداً لها لا عبداً لربك، وهي مجبولة على ذلك ؛ لأنها حيوانية تشتهي.

فإذا لزَّها العقل..وأحاط بها الإيمان..وساقها الخوف..وقادها الرجاء..وأسَرَها الحزم.. سارعت إلى ربها .. وانقادت لطاعته .. واطمأنت بأوامره .. وصدقت بوعده ووعيده: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

وكلما وجدت الباب مغلقاً دونك في أي عمل صالح ، ورأيت السبيل إليه حَزناً ، فاعلم أن ذلك من آثار ذنوب لم تحسن التوبة منها،وذِكرٍ لم يُصحب بفكر، وأَسْرٍ من عدوك لم تحس به ، وغفلة حبستك عن الذاكرين : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

فاسأل ربك الكريم وتضرع إليه ، وتب إليه من جميع الذنوب التي حبستك عنه ، ودع كل فعل لا يرضاه عنك : ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة / ٣٩].

وتبرأ إلى ربك من حولك وقوتك وعلمك، وقل بلسانك وقلبك :لا حول ولا قوة إلا بالله: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة / ٣٢].

واعلم نَوَّر الله قلبك بالإيمان والتقوى أن الذي أغلق الباب دونك عنده مفاتحه فألق دلوك في الدلاء، ومد يديك إليه بالدعاء تنال حظك من العطاء: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وإياك والعجز والكسل والركون إلى الدعة والراحة ، واحذر العُجب والكبر والرياء ، فذلك سبب كل خيبة وحرمان وشقاء وخسران: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر / ٦٠].

وأقبل رحمك الله على طاعة مولاك بقلبك ولسانك وجوارحك ، وسارع إلى ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق تكن من الربانيين المفلحين : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ

﴿وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٦] .

واحمد الله الذي هداك للإسلام وحبَّب إليك عبادته وخصَّك بمزيد إحسانه وفضله:

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[يونس/ ٥٨].

واحذر أيها العبد معصية ربك فهو الملك العزيز الجبار، وأنت عبده الذليل الضعيف، وإياك أن تستعمل ما أنعم به عليك في معصيته، واعلم بأنه يراك ويسمعك في خلوتك وجَلْوتك فاعبده كأنك تراه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

والزم باب الملك الكريم وتعرَّض لِتُحَفه وعطاياه، وتيقن أنه أقرب إليك من نفسك، وما دعاك لسؤاله إلا ليعطيك من نواله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات/ ١٥-١٩].

وتيقن أيها العبد أنه من المحال أن تتوكل على ربك، وتعمل بطاعته، ثم يُسْلمك ويخذلك، بل سيفضي بك من ذلك إلى معرفته والقرب منه وحسن عبادته.

ثم يفضي بك من ذلك إلى حياض واسعة ، ثم إلى أنهار جارية ، ثم إلى بحار عذبة صافية من معرفته ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

واعلم أن المَلك من الناس هو الذي يحكم ولا يَملك ، والمالك هو الذي يَملك ولا يحكم ، والله سبحانه مَلك ومالك ، فهو مالك يملك كل شيء ، ومَلك يملك التصرف في كل شيء ، وإليه مصير كل شيء : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

واعلم أن كل شيء فيك أو لك أو عندك هو مُلك لله في يدك ، سمح الله لك أن تتصرف فيه في حياتك ثم يعود إليه : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم/ ٤٠].

فسبحان الملك الحق الذي استغنى بذاته عن كل موجود، واحتاج إليه كل موجود.

واعلم أن كل مخلوق مفتقر إلى ربه في خلقه وبقائه، وفي تدبيره وإمداده، وفي حركته وسكونه: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

واعلم أن المَلك الحقيقي من البشر هو الذي يملك هواه ولا يملكه هواه، ويملك نفسه ولا تملكه نفسه، ويستعمل ما آتاه الله في طاعة مولاه لا في معصيته: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف/ ١٠١].

واعلم أنك إذا ملكت نفسك وهواك وشهواتك وجوارحك واستعملت ذلك في طاعة الله فأنت ملك، وإذا قادتك نفسك وهواك وشهواتك وجوارحك إلى معصية الله فأنت مملوك لمملوك، وشتان بين المَلك والمملوك، ولن ينفع الإنسان مُلك العالم كله إذا لم يملك نفسه، وكل إنسان إما أن يكون عبداً لله أو عبداً لعبد الله: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

واعلم أن المُلك الذي يهبه الله لعباده نوعان:

مُلك يؤتيه الله من يشاء من عباده، وهذا مُلك زائل.

ومُلك حقيقي، وهو أن يملك الإنسان نفسه عن الهوى والمعاصي بعون الله، ويَحْملها على الإيمان والطاعات بفضل الله.

والمؤمن من أعظم ملوك الدنيا والآخرة، فمن كان مؤمناً مستقيماً مالكاً لهواه وشهواته فقد وعده الله في الدنيا بالخلافة في الأرض: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور/ ٥٥].

وأما في الآخرة فهو مَلك من ملوك الدار الآخرة في مُلكٍ كبير في مقعد صدق عند مليك مقتدر: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان/ ٢٠-٢٢].

فسبحان الملك الذي يدور بحكمه الفلك ، وسبحان الملك الحق الذي يُمَلِّك من يشاء من عباده مُلك الدنيا ، أو مُلك الآخرة ، أو مُلك الدنيا والآخرة : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

واعلم رحمك الله أنك كلما شربت من هذه الأنهار العذبة الصافية ازددت إيماناً ويقيناً، وكلما ازددت شرباً طهر عقلك وقلبك ولسانك وجوارحك من كل دنس ، وامتلاء قلبك بالإيمان والتقوى ، وتجملَتْ جوارحك بالطاعات ، وتزينت روحك بأحسن الأخلاق: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢ ﴾ [الرعد/ ١٩-٢٢] .

وإذا علمت ذلك أعانك الله على العمل به ، والدعوة إليه ، وسررت به وحققت أمر الله فيك بطاعته في جميع الأوقات والأحوال : ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾ [الأنعام/ ١٦١- ١٦٣].

وبهذا تنال محبة الله ورضوانه فيأخذك منك إليه، ويشغلك بأحسن الأعمال لديه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت / ٣٣].

واعلم رحمك الله أنك إن كنت تعلم أنك عبد مملوك لملك عظيم قادر سميع بصير رحيم كريم ، ثم تبارزه بالمعاصي ، فاعلم أنك عبد سوء يأكل من نعم سيده ، ويسكن في ملكه ، ويعصي أمره ، ويطيع عدوه ، ومن عميت بصائرهم لم تنفعهم أبصارهم : ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦ ﴾ [الحج/ ٤٦].

فسلِّم الأمر كله لله، ولا تعترض على شيء من أقداره وأحكامه، فهو الحكيم العليم بكل شيء ، واعلم بأن الإيمان الكامل والتسليم الكامل يولِّد اليقين الكامل، وتلك حقيقة التوحيد الكامل فسلِّم تسلم وتسعد : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

﴿ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء / ٦٥].

فالزم رحمك الله ذلك إن استطعت، واطلبه بدوام الاتصال بمن يملكه ويهبه: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الحديد/ ٢١].

واعلم أن كمال الإيمان واليقين يحصل للعبد بدوام الذكر والتذكر، وموالاة الفكر والتفكر، ولزوم النظر والاعتبار في المُلك والملكوت، وذلك طريق الإيمان، وقوام التوحيد: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يونس / ١٠١].

واعلم رحمك الله أن من تفكر ولم يتطهر فهو مبعد ممقوت، ومن تطهر ثم فكر أدرك ما يحب بعون الله بقدر ما بذل من جهده: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ [الأعلى / ١٤-١٧].

واعلم أيها الإنسان أن الله خلقك في هذه الدنيا مختاراً، فإما أن تعيش عبداً لمولاك، وإما أن تعيش عبداً لهواك، وأنت مملوك لربك من جميع الجهات.

فإن عشت في الدنيا عبداً لمولاك المَلك القدوس جعلك يوم القيامة في مُلك عظيم عند ربك العظيم: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

وإن عشت عبداً لهواك خسرت دنياك وأخراك: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ٣٦ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾ [النازعات/ ٣٤ – ٤١].

فزمَّ نفسك أيها العبد على سهر الليل مع مولاك الكريم في حنادس الظلمات تجد الأنوار الغائبات، ولذة الأنس بمناجاة مولاك، واصدق ترى العَجَب: ﴿ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ١٠٥ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗاۤ ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ﴾ [الإسراء/ ١٠٥-١٠٩].

واعبد ربك كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وذلك دأب الأنبياء والصالحين: ﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ [الذاريات/ ١٧ – ١٨].

واعلم أنك لن تجد طعم مناجاة مولاك إلا بعد معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة إنعامه ولن يصرفك عن خدمة جسدك إلا علمك بسرعة فنائه، ولن يمنعك عن التشمير للدنيا إلا بعد

بسرعة زوالها، ولن تستحلي الصبر في ذات الله إلا بعد معرفتك بربك العظيم وما يجب له ، وما سيكرمك به : ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه/ ١٣٠-١٣٢].

واعلم وفقك الله لحسن العمل أن الملك ﷻ ملَّكك جوارحك لتستعملها في طاعته فأد الأمانة، ولا تستعملها في معصيته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المائدة/ ٣٥].

ورزَقك الرزاق من رزقه لتستعين به على طاعته وعبادته فكل واشكر وأحسن الى الخلق : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١٧٢].

واعمل رحمك الله لمُـلكٍ دائم لا يفنى، في جوار ملك كريم رحيم.

واعلم رحمك الله أن الملك الحق ﷻ يتصرف في ملكه بالعدل والإحسان في كل عطاء وحرمان ، ونصر وخذلان ، وفي كل رفع وخفض.

فإذا ولّاك المَلك الحق ولاية فارفع من يستحق الرفع ، واخفض من يستحق الخفض، وأكرِم من يستحق الإكرام ، وأهن من يستحق الإهانة ، واقهر من يستحق القهر ، واجبر من يحتاج إلى الجبر ، وقم بإغاثة المكروب ، ونصر المظلوم ، وإطعام الجائع ، وكسوة العريان ، وإعانة المحتاج : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء/ ٥٨].

فمن فعل ذلك ابتغاء وجه الله أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وكان من أهل البر والإحسان ، ونال من ربه المغفرة والجنة : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

واعلم أيها الإنسان أن الخلاق العليم خلقك من تراب ، ثم من ماء مهين ، وأنت عورة ، خرجت من عورة ، ودخلت في عوره ، ثم خرجت من عورة ، وبعد الحياة سوف تموت ، وبعد الموت سوف تبعث وتحاسب ، فاذكر البداية والنهاية لتعرف من أنت ومن تعبد وما

ينتظرك بعد الموت : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

واشكر الملك الكريم الذي بدأك بالإحسان إليك حياً ، وأمدك بنعمه الظاهرة والباطنة ، وهداك للإسلام ، ثم يعيدك إليه ليكرمك يوم القيامة بما لا تحسن أن تصفه جزاء إيمانك به وعبادتك له : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [طه/ ١٥-١٦].

واعلم أن كل آت قريب ، وكل حي سيموت ، وأن مَنْ جمع الجواهر الثمينة مَلَك بها السلع النفيسة، وأن من دخل باب العبودية في الدنيا فُتحت له أبواب القصور الملكية في الآخرة: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان/ ٢٠ – ٢٢].

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥٣] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

« لَا إِلَهَ إِلَّا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » أخرجه مسلم[1].

« اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ.

أَنْتَ الحَقُّ،وَوَعْدُكَ الحَقُّ،وَقَوْلُكَ الحَقُّ،وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ،وَالجَنَّةُ حَقٌّ،وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ . اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » متفق عليه[2].

اللهم يا مالك الملك أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، يا أرحم الراحمين.

اللهم يا من له الملك كله ، وبيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار ، لا إله إلا أنت .

---

(١) **أخرجه مسلم** برقم (٥٩٤).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١١٢٠)، ومسلم برقم (٧٦٩) ، واللفظ له.

الواحد .. الأحد

قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة/ ١٦٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص / ١ - ٤] .

الله ﷻ هو الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

هو الواحد الأحد الذي لا قسيم له، هو الواحد الأحد الذي لا شريك له في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وملكه وسلطانه ، فلا إله غيره ، ولا رب سواه : ﴿ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٤].

هو الرب الواحد الأحد الذي لا شريك له ولا مثيل له ولا شبيه له ولا نظير له ﷻ وتقدست أسماؤه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى / ١١] .

والمؤمن حقاً من يرى أن الله وحده بيده الخير ، وبيده كل شيء ، وغيره ليس بيده شيء ، وهذا هو التوحيد المطلوب من البشر ، توحيد الرب بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوحيد الله بأفعال العبد من صلاة ودعاء وذكر وغيرها : ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

ومن خرج عن هذا التوحيد وقع في آلام وهموم لا تُحتمل ، وفتح أبواب شقاء لا نهاية لها.

والتوحيد الذي فيه الفوز والنجاة ألّا ترى مع الله أحداً ، فتعبده وحده ولاتلتفت إلى أحدسواه،وأن ترى كل شيء في أقداره وأحكامه ينتهي إلى خير: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[آل عمران/ ٢٦].

والله ﷻ هو الواحد الأحد الذي ليس له شريك.

واحد في ذاته لا شريك له .. واحد في أسمائه وصفاته وأفعاله لاشريك له .. واحد في ألوهيته لا شريك له : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة/ ١٦٣].

والتوحيد أن تؤمن بالله رباً وإلهاً واحداً لاشريك له ، وتتيقن أن الله وحده بيده كل شيء وغيره ليس بيده شيء ، فتعبده وحده لاشريك له.

واعلم أن نهاية العلم التوحيد ، والتوحيد أفضل ما تعلَّمه العبيد ، وأوجب شي على المخاليق.
والتوحيد مأخوذ من اسم الله الواحد ، وهو قسمان :

الأول : توحيد الربوبية ، وهو توحيد الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

بأن تؤمن أن الله واحد لا شريك له ولامثيل له في أسمائه وصفاته وأفعاله،واحدلاشريك له في ملكه وخلقه وتدبيره وأمره : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

الثاني: توحيد الألوهية وهو توحيد الله بأفعال العباد .

بأن تؤمن أن الله وحده هو المستحق للعبادة وحده لاشريك له ، وتعبده بما شرع ، ولا تعبد معه أحداً غيره : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

ولابدلأهل التوحيد من هذا وهذا؛ لأن الدين علم وعمل ، ورؤية وعبادة ، وعقيدة وسلوك.

واعلم أن الباب الوحيد للطمأنينة هو التوحيد ، وأكبر مصادر الشقاء هو الشرك :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد/ ٢٨].

فمن رأى أمره بيد ربه الملك الرحيم اطمأن ، ومن رأى أمره بيد غيره من المخاليق تَعذَّب وشقي: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

فسبحان الواحد الأحد الذي تناهى في عظمته وسؤدده فلاشريك له ولا مثيل ، الواحد الذي يكفيك من الكل، والكل لا يكفي من الواحد ، الأحد الذي يحتاجه كل أحد ، الواحد الذي لايحتاج إلى أحد:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة/ ١٦٣].

فلا تجعل مع الله إلهاً آخر، تطيع الله مرة وتطيع المخلوق مرة ، فالله واحد أحد لا ثاني له، لاشريك له ، لامثيل له ، هو الغني وحده لاشريك له :﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل/ ٥١-٥٣].

فاعبدالواحدالأحدالذي بيده جميع الأموروحده لاشريك له : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود/ ١٢٣].

ودلائل وحدانية الرب ﷻ شائعة في مخلوقاته في السموات والأرض، وشواهدها ظاهرة، ورسومها بينة ناطقة : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/ ٦-٨] .

هو سبحانه الواحد الأحد الذي يفعل ما يشاء وهو الحكيم العليم في خلقه وأمره.

الملك ملكه ، والخلق خلقه ، والأمر أمره.

أظهر المخلوقات وأخفى نفسه .. وأظهر الدنيا وأخفى الآخرة .. وأظهر قيمة الأموال والأشياء وأخفى قيمة الايمان والأعمال الصالحة .. وأظهر الأجساد وأخفى الأرواح .. وأظهر سنته وأخفى قدرته.

وله في كل ذلك الحكمة البالغة ، والحجة الظاهرة ، والعلم المحيط ، والتدبير الحكيم : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة/ ٤-٧].

ومن رحمة الواحد الأحد أن بسط لعباده دلائل التوحيد ، وكشفها لهم ، وبيَّنها لهم في كل مخلوق صغير وكبير، وبثها في جميع عوالم الجماد والنبات والحيوان والإنسان ؛ لعظم حاجة العباد إلى توحيد ربهم ، وتوقف فلاحهم ونجاتهم عليه ، فإذا عرفوه عبدوه وحده ، ولم يشركوا به غيره من الأرباب: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يوسف / ٣٩] .

فسبحان من كشف دلائل وحدانيته للمعتبرين وأبانها للناظرين وأظهرها للمتأملين ، ليصلوا بذلك إلى تحقيق التوحيد ، ويشهدوا أن الله هو الحق المبين وحده لا شريك له ، ثم يحبوه ويطيعوه : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠١-١٠٢].

فالتوحيد يصحب الخلق في أنفسهم وفيما هو محيط بهم من المخلوقات العجيبة والآيات العظيمة في السموات والأرض : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ

﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ (٣٢)﴾ [يونس/ ٣١-٣٢].

وشهادة التوحيد (لا إله إلا الله) أعظم شهادة شهد الله بها لنفسه، وشهدت بها ملائكته، وشهد بها أولو العلم من خلقه كما قال سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (١٨)﴾[آل عمران/ ١٨] .

والتوحيد والوحدانية من الحق العظيم الذي خلق الله به السموات والأرض وما فيهن وما بينهن: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ (٣٩)﴾ [الدخان/ ٣٨- ٣٩].

واعلم أن الذي بيده الملك والخلق والأمر هو الله وحده لا شريك له.

والإنسان ببصره يرى ظلمة أقوياء يفعلون ما يقولون فيقتلون ويظلمون ، فيقول أين الله ؟ وأحياناً يرى أفعال الله في مخلوقاته من زلازل وخسوفات وعواصف جلية صارخة فيقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وهؤلاء وهؤلاء كلهم من جند الله أرسلهم بحكمته ليربي ويؤدب بهم من عصاه لعلهم يتوبون إليه ، والحياة لا تستقيم إلا بالعدل ، فإذا شاع الظلم بين الناس عاقب الله الظالم الصغير بالظالم الكبير رحمةً به ليتوب ، ثم انتقم من الظالم الكبير .

وهذا وهذا كله امتحان لضعاف الإيمان الذين يتأثرون بفعل المخلوقات ، ولا يرون فعل الله في مخلوقاته ؛ لأن الله في كل الأحوال هو الفعال وحده لا شريك له ، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ، وجميع المخلوقات عصي بيد الله يؤدب بها من يشاء ، ويبتلي بها من يشاء ، ويرسلها على من يشاء ، ويهلك بها من يشاء : ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٥٦)﴾ [هود/٥٦] .

فإذا أصابتنا شرور من جهة المخلوقات تضرعنا إلى من أرسلها ليرفعها كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٤٣)﴾[الأنعام/ ٤٢ –٤٣] .

فسبحان من يسلِّط أولياءه على أعدائه ، ويسلط أعداءه على أوليائه ، ثم يجعل العاقبة للمتقين : ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (١٧) وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ (١٨)﴾[الأنعام/ ١٧ –١٨] .

وسبحان من يعلم أنه واحد ، ويعلمنا أنه واحد ، ويأمرنا أن نعلم أنه واحد : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

فبنو اسرائيل لما نقضو العهد وقتلوا الأنبياء سلط الله عليهم فرعون ليتوبوا ، فلما اشتد طغيان فرعون أرسل الله إليه موسى ﷺ ، فلما أصر فرعون على كفره وظلمه أغرقه الله وجنوده وجعلهم عبرة لكل ظالم : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الزخرف/ ٥٤-٥٦].

واعلم علم اليقين أن جميع مجاري حكمة الله في الدنيا والآخرة جارية على سنن الواحد القهار في دوائر محكمة ، وعلى ذلك أحكم الله خلقه وأمره في السماء والأرض ، وما عليهما ، وما فيهما ، وما بينهما : ﴿ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٤].

فسيَّر بذلك الشمس والقمر والنجوم، وأرسل الرياح، وأنزل الغيث ، وأجرى الأنهار، وسخَّر البحار، وأرسى الجبال، وفجَّر العيون وأنبت النبات، وسخر الليل والنهار، وأعقب الحر بالبرد ، والنور بالظلام ، كل ذلك فِعْل الواحد القهار: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [ص/ ٦٥ – ٦٦].

فكل مخلوق وكل أمر وكل تدبير إنما صدر عن أمر الواحد الأحد وحده لا شريك له، من كبير وصغير ، وعال وسافل ، وظاهر وباطن ، ومتحرك وساكن .

فسبحان من إليه وحده يرجع الأمر كله ، وإليه تصير الأموركلها : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود/ ١٢٣].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن كل سورة في القرآن ، بل كل آية في القرآن ، داعية إلى توحيد الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله ، شاهدة بذلك ، داعية إلى عبادته وحده لا شريك له : ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهذا هو التوحيد العلمي الخبري.

وإما دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه، فهذا هو التوحيد الإرادي الطلبي.

وإما خبر عن إكرام الله لأهل توحيده وعبادته في الدنيا والآخرة ، فهذا جزاء أهل توحيده.

وإما خبر عن عذاب أهل الشرك في الدنيا والآخرة ، فهذا خبر عمن خرج عن حكم التوحيد : ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢﴾ [هود/ ١-٢].

فسبحان من نزّل القرآن تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى بكل خير : ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل/ ٨٩] .

فلينظر الإنسان إلى ملكوت السموات والأرض ، فسيرى ببصره ويعرف ببصيرته أن خالقها واحد لا شريك له ، فليعبده وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

ولينظر الإنسان إلى نفسه مم خُلق ؟ ثم كيف صار ؟ ليعرف عجائب صنع ربه الواحد الأحد في قطرة ماء مهين: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠﴾ [الطارق/ ٥-١٠].

فسبحان من بسط دلائل توحيده وعظمته في ملكوت السموات والأرض ، ودعانا للاعتبار بها ، وأعطانا الأبصار والبصائر التي نعرف الله بها : ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝١٠١﴾ [يونس/ ١٠١] .

فتفكر رحمك الله في مخلوقات ربك الواحد الأحد، وانظر إلى عالم النبات والشجر تجده أمماً وقبائل مختلفة الأشكال والألوان والأحجام والطعوم والثمار والأعمار والمنافع.

وكلها تشهد بأن خالقها ومبدعها واحد لا شريك له : ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١﴾ [النحل/ ١٠-١١].

ثم انظر رحمك الله كيف يعود كل نبات وحيوان وإنسان إلى أصل واحد.

فالبشرية كلها تعود إلى أصل واحد هوآدم ﷺ ، وكل نوع من الحيوان يعود إلى أصل واحد ، وكل نوع من النبات يعود إلى أصل واحد : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١﴾ [النساء/ ١] .

فسبحان من خلق هذه الأصول ، ثم أتبعها بالفروع واحداً تلو الآخر : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ ۖ لَآ إِلَٰهَ

إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وكل هذه المخلوقات تشهد بأن خالقها ربك الواحد الأحد لا شريك له ، الذي له الخلق والأمر وحده لا شريك له : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾[لقمان/ ١٠-١١] .

فسبحان من خلق هذه العوالم والأمم والقبائل التي لا يحصيها ولا يعلمها إلا هو، وجعل نسلها وتكاثرها مستمراً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[يونس/ ٣] .

ثم تدبر كيف يعود كل حي من نبات وحيوان وإنسان إلى أصل واحد إذا قُطع مات ، فالإنسان والحيوان يعود إلى أصل واحد هو الرأس إذا قطع مات ؛ لأن جميع أجزاء البدن مربوطة بالرأس .

وجميع أجزاء النبات ترجع إلى أصل واحد هو الجذر، فإذا قُطع مات النبات.

هذا مربوط بأسفله ، والإنسان والحيوان مربوط بأعلاه : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١١].

والإنسان من جهة قوامه وبقائه يرجع إلى واحد وهو الرأس .

ومن جهة التدبير يرجع إلى واحد وهو القلب ، ولهذا لم يقصد الله بخطابه في القرآن من ابن آدم إلا قلبه الذي عليه مدار صلاحه وفساده وحركة جوارحه: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء/ ١٩٢- ١٩٥].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » متفق عليه [1].

فالقلب إذا فقد التوحيد فسد ، كما أن الجسد إذا فقد الرأس فسد، والنبات إذا فقد الجذر فسد ، ولا يسعد البشر في الدنيا والآخرة أبداً إلا أن يكونوا موحدين : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ، ومسلم برقم (١٥٩٩) .

واعلم أن سنة الله في الوحدانية سارية في المخلوقات كلها.

فكل نبات وحيوان وإنسان يرجع إلى أصله، وأهل البيت الواحد لابد لهم من واحد يرجع أمرهم إليه هو بمنزلة الرابط لهم.

والبيوت الكثيرة تجمعها بلدة واحدة ، والقرى والمدن تجمعها دولة واحدة ، والدول المختلفة والعوالم المختلفة تجمعها أرض واحدة : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام/ ٣٨] .

وهكذا السموات السبع وما فيها من العوالم التي لا يعلمها ولا يحصيها إلا من خلقها من أعظم دلائل الوحدانية : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد/ ٢].

ثم يرجع الجميع إلى الخلاق العليم ، الرب الواحد الأحد الخالق لها ، الجامع لها، الحاكم عليها ، الممسك لها، الذي له الخلق والأمر وحده لا شريك له ، و إليه المصير والمنتهى: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية / ٣ - ٦].

فسبحان الواحد الأحد الصمد الذي خلق كل واحد ، وخلق كل أحد ، ولم يكن له كفواً أحد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١ - ٤].

سبحانه هو الواحد الأحد الذي أحاط بكل واحد وأحد ، القوي الذي ليس كمثله أحد في القوة ، الرحيم الذي ليس كمثله أحد في الرحمة ، العزيز الذي ليس كمثله أحد في العزة : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

هو العظيم وحده لا شريك له ، والعرش العظيم وما دونه كحبة خردلة في قبضته ، هو الأول قبل كل أحد ، الآخر بعد كل أحد ، الظاهر فوق كل أحد، الباطن دون كل أحد ، العلي الأعلى القريب الرقيب على كل أحد: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو الواحد الأحد لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

رفيع الدرجات ، ذو العرش المجيد ، الفعال لما يريد ، رب كل أحد، وقاهر كل أحد، لا نهاية لعلوه ، ولا فوق لسموه ، ولا نفاد لكلماته وأوامره ، ولا نهاية لكرمه وإحسانه: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١٠٩-١١٠].

فسبحان الواحد الأحد الذي بكلماته التامات يفعل ما يشاء.

يخلق ويرزق ، ويعز ويذل ، ويعطي ويمنع ، ويرحم وينتقم ، ويكرم ويهين ، ويحيي ويميت : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران / ٢٦] .

هو الواحد الأحد المحيط بكل شيء ، العليم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس/ ٦١] .

له الحمد كله ، ومنه الفضل كله ، خلق عباده حنفاء على التوحيد ديناً واحداً قيماً لا عوج فيه، ثم تفرقوا واختلفوا فرحمهم بإنزال الكتب وإرسال الرسل الذين يدعونهم إلى الرجوع إلى أصلهم الذي فطرهم الله عليه وهو التوحيد: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [البقرة / ٢١٣] .

فالله الواحد الأحد يريد منا أن نكون أمة واحدة ندين بدين واحد هو الإسلام ، ونعبد رباً واحداً لا شريك له ، ونتبع رسولاً واحداً هو محمد ﷺ ونعمل بكتاب واحد وهو القرآن : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٥٢] .

فسبحان من أحكم هذا الكون العظيم بالتوحيد، وأنزل أوامره الكونية والشرعية شاهدة بالتوحيد ، داعية إلى التوحيد الذي لا فلاح ولا نجاة لأحد إلا به : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

وتذكيراً بالتوحيد ومحافظة عليه أمرنا الواحد الأحد أن نجتمع في الصلاة على إمام واحد ، ويجتمع أهل البلد في صلاة الجمعة على إمام واحد، ونجتمع في السفر على إمام واحد ، ونجتمع في الحج على إمام واحد وأمرنا أن نجتمع في أمور ديننا ودنيانا على إمام واحد يكون أفضلنا وأشرفنا وأتقانا وأمرنا بطاعته في غير معصية الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء/ ٥٩].

وذلك كله تنبيهاً على فضل الواحد وشرفه،وليدل عباده على وحدانيته ، ولينبههم على أن ذلك وسيلة للمراد الأكبر منهم وهو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾[الروم/ ٣٠].

فالتوحيد هو مقصود الرب الأعظم من خلقه : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾ [التوبة/ ٣١].

واعلم رحمك الله أن جزاء أهل التوحيد الجنة ورضوان الله .

فالتوحيد مفتاح الجنة ، والموحدون سكانها ، أعدت لهم قصورها ، وفتحت لهم أبوابها ، وتساووا في الخلود فيها ، ألا تراهم على طول رجل واحد ، وشكل واحد ، وعمر واحد ، وعلى قلب رجل واحد ، وعلى خُلق رجل واحد ، وهم إخوة في الدنيا والآخرة .

أصفياء لا غل في صدورهم ، ولا غش في قلوبهم ، ولا عيب في أبدانهم، ولا تباغض ولا تحاسد بينهم: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧ ﴾ [الحجر / ٤٧] .

قد تباعدت عنهم كل معاني الفرقة ، وانفردوا جميعاً بمعاني الوحدانية ، وجوار الواحد الأحد : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥ ﴾ [القمر / ٥٤ – ٥٥] .

ثم قصورهم وجمالهم وحُسنهم بَعْدُ على قدر ارتقائهم في درجات التوحيد ، والإيمان ، والعمل الصالح : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٤ ﴾ [الواقعة/ ١٠–١٤] .

فأسلم واستسلم لربك الواحد الأحد وقف بين يديه مخبتاً منكسراً تنال بشراه بالجنة والرضوان : ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ﴾ [الحج / ٣٤] .

• التعبد لله ﷻ باسمه الواحد :

اعلم أن توحيد الرب ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوحيده بربوبيته ، وتوحيده بألوهيته ، وتوحيده بعبادته ، أول العلوم وأعظمها وأشرفها ، وأعظم واجب يجب على العباد معرفته والشهادة لله به ، والعمل بمقتضاه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد/ ١٩].

وأعظم من شهد بالتوحيد لنفسه الرب ﷻ ثم ملائكته ثم العلماء كما قال سبحانه : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ ﴾ [آل عمران/ ١٨].

سبحانه هو الواحد الأحد لا شريك له، المُلك كله في قبضته ، والخزائن كلها بيده ، والكون كله باق بمشيئته، وجميع المخلوقات خاضعة لأمره: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

هو الجبار في ملكه العظيم، عالم الغيب والشهادة الذي يدرك المخلوقات والذرات كلها على اختلافها بصفة من صفاته: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩ ﴾ [الرعد/ ٩].

حجب سبحانه ذاته بالصفات ، وحجب الصفات بالأفعال ، وكشف العلم بالإرادة ، وأظهر الإرادة بالحركة والتدبير والاختلاف : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣ ﴾ [الرعد/ ٢-٣].

وأخفى سبحانه قدرته في سنته ، وأظهر قدرته في أفعاله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢ ﴾ [النحل/ ١٠-١٢].

هو الواحد الأحد العليم بكل شيء ، الذي لا يشغله شأن عن شأن ، لا إله غيره ، ولا رب سواه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢ – ١٠٣] .

فسبحان الله الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد، الذي خلق كل أحد ، الذي لا تراه العيون في الدنيا ، ولا تدركه العقول ، ولا تكيِّفه الأوهام : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم / ٦٥].

فات العقول إدراكه ، وفات الألسن وصفه ، وفات الأبصار الإحاطة به .

هو الواحد الأحد ليس لذاته كيف ، ولا لأسمائه كيف ، ولا لصفاته كيف ، ولا لأفعاله كيف ، له وحده الأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى / ١١] .

هو الواحد القهار الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر / ٤] .

هو الواحد الذي خلق وحده جميع المخلوقات، وقارب بين المتباعدات، وباعد بين المتقاربات ، وحبب بين المتباغضات، وألف بين المتفاوتات ، وطاوع بين المتعاصيات ، وحرَّك الساكنات، وسكَّن المتحركات، وجمَّد السائلات ، وأسال الجامدات ، وقهر جميع المخلوقات : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر / ٤].

جعل لكل شيء بداية ونهاية ، وجعل لكل مخلوق حداً وعملاً لا يخرج عنه أبدا ، فكلٌّ يعمل بخاصته من موضع حده المحدود له : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس/ ٣٧-٤٠].

والكل يشهد لله بالوحدانية، ويسبح بحمد ربه العظيم: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

واعلم وفقنا الله وإياك لطاعته أن معرفة حقيقة التوحيد تُطلب بالمداومة على الاستدلال بالآيات الكونية والآيات القرآنية على الوحدانية.

فما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، وما أرسل رسله وأنزل كتبه إلا بالحق ، وأحق الحق أن يُعرف جل جلاله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويُدان له بالتوحيد والعبادة وحده لا شريك له كما قال سبحانه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق / ١٢] .

وقال سبحانه في توحيد العمل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

وإذا علمت أن ربك العظيم واحد لا شريك له في أسمائه وصفاته وأفعاله فحقق التعبد لله بالتوحيد عملياً في أقوالك وأفعالك، وحقق توحيد رسوله ﷺ بالاتباع: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النور/ ٥٢].

فإن كنت توقن بأن الله خلقك وحده ورزَقك وحده وقام بأمرك وحده لم يشرك في ذلك أحداً فاعبده وحده، ولا تشرك في عبادته أحداً: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠].

وكما وحَّدك ربك بصفاتك، وتكفل برزقك، ورباك بنعمه، وخصك بالإكرام والإحسان، وأخلص لك ذلك كله وحده، فأخلص له العبادة والشكر وحده لا شريك له تكن من الفائزين: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة/ ٥].

واحذر أن تتعبد لسواه بأعضاء وحواس وقوى ونعم أنعم الله بها عليك وحده لتستعملها في طاعته وعبادته وحده، فتُحْرم من الجنة، وتدخل النار: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٢].

واعلم أن مرجعك إلى الله وحده، وسيجازيك يوم القيامة بما عملت في الدنيا من خير أو شر، فاختر لنفسك ما يسرك في القيامة أن تراه: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

فاعبد الله مخلصاً له الدين، واعلم أن الله عنك غني، لا يقبل إلا عملاً خالصاً له وحده لا شريك له، وعلى ما يرضاه هو لا على ما تحبه أنت دونه: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود/ ١١٢].

فلا قيمة للأعمال مهما عظمت إذا ذهب توحيدها: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٥].

واستعن بالله في جميع أمورك؛ لأن جميع الحاجات بيد الرب الواحد الأحد، وهي وغيرها مستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته فوراً: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

واعلم أن من أسقط الدعوى مع ربه ﷻ ، وجعل مكانها التفويض والتسليم والتوكل ، عصمه ربه مما يكره ، واختار له ما يسُرّه ، ودفع عنه ما يضره : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾ [التغابن/ ١٣].

ومن تبرأ من حوله وقوته أيده ربه بالمعونة ، ويسر له أموره : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣ ﴾ [الطلاق/ ٢-٣] .

وهذا هو الموحد الذي استبدل الشرك بالتوحيد ، والظلم بالعدل والجهل بالعلم كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ٧٣ ﴾ [الأحزاب/ ٧٢-٧٣].

وإذا مَنّ الله عليك بالتوحيد وكنت من الموحدين فاعلم أن أحسن ما تقوم به دعوة الخلق إلى توحيد الله ، فإن الله ختم النبوة بمحمد ﷺ ، وكلّف أمته بما جاء به من الدعوة إلى التوحيد والإيمان والتقوى ، وأنت بفضل الله منهم : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

﴿ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥ ﴾ [الممتحنة / ٤ – ٥] .

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣ ﴾ [آل عمران / ٥٣] .

« اللَّهُمَّ إِنِي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » أخرجه الترمذي وابن ماجه [1].

اللهم يا واحد يا أحد ، يا من يكفي من كل أحد ، ولا يكفي منه أحد ، أنت الواحد القهار لا شريك لك اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .

سبحانك أنت الأحد الذي ليس كمثله أحد ، وأنت الواحد الذي لم يكن له كفواً أحد.

يا أحد من لا أحد له ، ويا سند من لا سند له ، انقطع الرجاء إلا منك ، فاغفر لنا وارحمنا ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، يا أرحم الراحمين .

---

(١) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٥) ، وهذا لفظه ، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٧).

الصمد

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص / ١ – ٤] .

الله ﷻ هو الصمد الذي صمدت إليه جميع المخلوقات ، وقصدته كل الكائنات، المقصود عند الحوائج ، المقصود إليه عند الرغائب ،السيد المطاع الذي لا يقضى دونه أمر .

هو الواحد الأحد الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق، الكامل في السؤدد والشرف والغنى والكرم، مالك الحاجات، ومفرج الكربات ، ومجيب الدعوات : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[النمل/ ٦٢].

هو الصمد الذي تقصده جميع الخلائق عند النوائب والكريهات، وتستغيث به إذا مسها الضر والمشقات، وتضرع إليه عند الشدائد والكربات: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

هو سبحانه الأحد الصمد الحي الذي لا يموت ، الأول فليس قبله شيء ، والآخر فليس بعده شيء ، الغني عن كل أحد ، القادر على كل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد .

لم يتقدمه والد كان عنه، ولم يتأخر عنه ولد يكون عنه ، وليس كمثله شيء ، هو الواحد الأحد الصمد الذي له وحده الأسماء الحسنى، و الصفات العلى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص/ ١–٤].

وهو سبحانه الملك الأحد الصمد السيد الذي كمل في سؤدده ، العظيم الذي كمل في عظمته ، الغني الذي كمل في غناه ، القوي الذي كمل في قوته ، الرحمن الذي كمل في رحمته ، الجبار الذي كمل في جبروته ، العليم الذي كمل في علمه ، الحكيم الذي كمل في حكمته ، لا إله غيره ، ولا رب سواه : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠١–١٠٢].

فسبحان الأحد الصمد الذي تصمد جميع المخلوقات إليه ، وتتوجه إليه ، وتخضع لعظمته وهيبته ، وتسرع إلى إرادته ، وتقف ذليلة صاغرة بين يديه : ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ

﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود/ ٥٦].

نسأل الله الهداية لما يرضيه والتسديد إلى محابه، فإنه لا حول لنا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة/ ٢-٧].

فاصمد إلى ربك العظيم، واقصد بنفسك إليه، وتوجَّه إليه، وفرِّغ قلبك من ذكر كل شيء إلى ما قصدت إليه وهو ربك الكريم: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر/ ٦٥-٦٦].

ثم اطلب حوائجك من ربك الأحد الصمد، وأعظمها قدراً طلب معرفته بأسمائه وصفاته، والعلم بآياته ومخلوقاته، ومعرفة حكمتها، والحق الذي خلقها به، ينشرح صدرك بالإيمان، ويمتلئ قلبك بالتوحيد وتبرأ لسانك من الشرك وأهله: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾ [الأنعام/ ٧٨ - ٧٩].

ثم أطلق بصرك في ملكوت السماوات والأرض، وانظر إلى الشمس والقمر والنجوم، وانظر إلى الجماد والنبات والحيوان، وانظر إلى السحب والجبال والبحار والذرات، لتعلم عظمة ربك وعظمة ملكه وسلطانه، وتعلم أن ما تعلمه من مخلوقات الله بالنسبة لما لا تعلمه كالذرة بالنسبة للجبل: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر/ ٦٧].

ثم اجمع العالم كله في عقلك تراه كسفينة صغيرة مشحونة في بحر عظيم واسع، والواسع العظيم الكبير قاهر له، محيط به: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ثم أعد النظر متفكراً في ملكوت العالم العلوي والسفلي تراه قائماً بأمر ربه، يمسكه الله بقدرته، ويحركه بقوته، يطيع من خلقه، ويصمد لمن هداه، ويشهد بتوحيده، ويسبح بحمده: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٤١ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٤٢﴾ [النور/ ٤١ - ٤٢].

ثم أعد النظر تبصر الملكوت ببصيرتك قائماً لمن توجه إليه ، صامداً لمن أقبل عليه ، خاشعاً لربه ، مستسلماً لأمره ، لا يتحرك من ذاته ، ولا يعمل من تلقاء نفسه ، بل بإذن ربه القوي العزيز : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد/ ٢] .

ثم أعد النظر مرة أخرى ترى الكون بأجمعه متحداً بين يدي الواحد الأحد الصمد، وكل ما فيه سامع مطيع لربه ، خاشع لعظمته ، مستجيب لأمره ، مسرع إلى إرادته : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج/ ١٨].

كلٌّ يسبح ربه بلغته في جهته ، ويحمده في مقامه ، ويوحده في عبادته ، كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه وعمله من العرش العظيم إلى أصغر ذرة تحت الأرض.

كلٌّ يسبح ربه ويحمده ويوحده ويكبره بألسنة شتى ، على عدد الخلائق كلهم من صغير وكبير ، وعال وسافل ، ورطب ويابس ، وناطق وصامت : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة/ ١].

كلٌّ عابد لله في إسلامه إليه، مصلياً في جميع أحواله لديه، ومسجده موضع قيامه بين يديه ، قبلته العرش الكريم ، والبيت المعمور ، والبيت العتيق ، ومعبوده العلي العظيم : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور / ٤١] .

فابكِ يا عبد الله على جهلك وتقصيرك وقلة حيائك ، وأكثِر من الحمد والاستغفار : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه/ ١١٤].

وسل الله المزيد من فضله، وسارع إلى الخيرات، وابكِ على الغفلة التي قطعتك عن ربك، والجهل الذي حجبك عن تسبيح مولاك، وتقدم بنفسك إلى صفوف العابدين المسبحين بحمد ربهم في كل حين: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

- **التعبد لله ﷻ باسمه الصمد :**

اعلم أن ربك هو الواحد الأحد الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق ، الذي تصمد نحوه

القلوب بالرغبة والرهبة ؛ لكثرة خصال الخير فيه ، وكثرة الأوصاف الحميدة له : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥].

هو الغني القادر الذي كل شيء له، وكل شيء خزائنه بيده: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس / ٦٨] .

فداوم على طاعة مولاك الصمد، واصمد إليه في جميع أمورك، ولا تلجأ إلا إليه، ولا تصرف عبادتك إلا له، ولا تطلب حاجتك إلا منه، ولا تستعين إلا به، ولا يكون توكلك إلا عليه ، ولا تلتفت إلى أحد سواه : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود / ١٢٣] .

واصمد إليه بوجهك وقلبك وبدنك، واسأله ما شئت من خيري الدنيا والآخرة ، فهو وحده الغني الكريم الذي بيده خزائن كل شيء : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر/ ٢١].

والزم عبادة ربك الصمد ، وإن اعترض دون ذلك معترض من هوى أو غيره فكابده ، واصطبر على ما به أُمرت ، تنال به ما وعدك ربك : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم / ٦٥] .

وإياك أن تتوجه بشيء من أمرك إلى سواه ، وخذ بالأسباب المشروعة وقلبك معلق بالله وحده لا شريك له : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن / ١٣] .

وتوكل على الله وحده، وإلا حرمك بركة هذا الاسم الكريم، وخيَّب آمالك ، وأبطل رجاءك : ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يونس/ ١٠٥-١٠٦].

واعلم رحمك الله أنه لا يصحبك في أخراك إلا عملك في دنياك.

فأحسِن العمل، وأحسن إلى نفسك ، وأحسن إلى الناس ، وحاسب نفسك ، وانتظر الارتحال إلى دار مقرك ، والقدوم على مولاك العليم الخبير: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحشر / ١٨] .

وإذا أقامك الله مقاماً تكون فيه ملجأً للملهوف وغياثاً للمكروب في جاه أو رئاسة أو ذات يد ، فصدقت وبررت وأحسنت فقد أخذت من مقتضى هذا الاسم العظيم بحظ وافر، وكنت من

المفلحين المتقين : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾

[البقرة/٣– ٥] .

وتوجه في جميع أمورك إلى ربك الصمد وحده ، ولا تسأل الفقير المحتاج ، وقف بباب الملك الصمد ، قاضي الحاجات كلها للخلائق كلها يعطيك مرغوبك ، ويغفر ذنوبك.

وتقرب إلى ربك العظيم بما يحب يكرمك يوم تلقاه بما تحب : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٧﴾ ﴾ [الفتح / ١٧] .

وتوسل إلى ربك عند سؤاله بما تعرفه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى ، واقصده في بيوته ، واعتكف في مواطن محابه يكرمك بالخلود في قصور جناته: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص / ٧٧] .

واجعل نفسك مقصوداً من قبل الناس للمنافع والخيرات ، معيناً لهم على قضاء حوائجهم ابتغاء مرضاة الله : ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء/ ١١٤].

أنفق من علمك على جاهلهم ، وأنفق من مالك على فقيرهم ، وأكرم أشرافهم ، وأحسن إلى ضعفائهم ، وأصلح فيما بينهم ، فأحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ابتغاء وجهه ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه :﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة/ ٢].

واعلم أن أحب الأعمال إلى الله بعد التوحيد سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه ديناً ، أو تزيل عنه هماً .

فافتح قلبك ووقتك وبيتك ومالك للناس يحبك الله والناس ، وتفوز بمغفرة الذنوب وجنة الخلود : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤] .

﴿ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [الممتحنة / ٤] .

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل/ ١٩].

« اللَّهُمّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه (١).

« اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجِلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي »أخرجه أحمد (٢).

اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وطهر أعمالنا من الرياء ، وطهر ألسنتنا من الكذب ، وطهر أعيننا من الخيانة ، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

اللهم أغننا بحلاك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، يا أرحم الراحمين .

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢)، واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩).

(٢) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٤٣١٨)، انظر السلسلة الصحيحة رقم (١٩٩) .

الأول .. والآخر

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[الحديد/ ٣].

الله ﷻ هو الأول فليس قبله شيء، لم يزل كذلك أولاً، ولا يزال كذلك أبداً.

له سبحانه أولية الشرف والسؤدد ، وله أولية الجلال والجمال ، وله الأولية في المراتب والمعالي كلها ؛ لأنه العظيم الذي له جميع الأسماء الحسنى بحقائقها ، وجميع الصفات العلى بكمالها : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه/ ٨].

هو سبحانه الخالق الأول ، الرزاق الأول ، المحبوب الأول ، المطلوب الأكبر ، المبتغى الأعلى ، الكبير الذي إليه المنتهى : ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم/ ٤ – ٥] .

وهو سبحانه الأول قبل الأشياء ، الباقي بعد فناء الأشياء ، الذي كتب كل أول وآخر ، وخَلق كل أول وآخر ، ومَلَك كل أول وآخر ، وأعطى كل أول وآخر .

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولَ الله ﷺ : « كَانَ الله وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ ، وَكَتَبَ في الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ » أخرجه البخاري [(١)].

هو سبحان أول الأولين فلا شيء قبله ، وهو آخر الآخرين فلا شيء بعده .

وهو سبحانه الأول الذي ابتدأ خلق كل شيء ، الأول الذي أول الأول من المخلوقات ، والآخر الذي أخَّر الآخر من المخلوقات ، وهو إله الأولين والآخرين ، ورب الخلق أجمعين .

هو الأول بلا بداية ، وهو الآخر بلا نهاية ، ليس كمثله شيء في جميع ما يوصف به من كل شيء يليق بجلاله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١] .

هو الأول والآخر في الأسماء الحسنى ، الأول والآخر في الصفات العلى ، الأول والآخر في الجلال والجمال ، الأول والآخر في الانعام والاحسان ، الأول والآخر في العدل

---

(١) **أخرجه البخاري** برقم (٣١٩١) .

والاحسان ، الأول والآخر في الايجاد والإمداد ، الأول والأخر في التصريف والتدبير :
﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد/ ٣].

هو الأول والآخر في القوة ، الأول والآخر في العلم ، الأول والآخر في الملك ، الأول والآخر في الرحمة ، هو الأول بلا ابتداء ، الآخر بلا انتهاء .

هو الأول في العظمة والكبرياء ، الآخر في العظمة والكبرياء ، هو الأول في الجلال والجمال ، الآخر في الجلال والجمال .

هو الأول بإحسانه ، الآخر بإحسانه ، هو الأول برحمته ، الآخر برحمته .

هو الأول والآخر في الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨] .

- **التعبد لله ﷻ باسمه الأول والآخر :**

اعلم وفقنا الله وإياك لمعرفته أن الأول الذي ليس قبله شيء هو الله الذي لا إله إلا هو ، هو الأول الذي ابتدأ الخلق بالنعم، وأرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب.

وهو الأول قبل كل شيء ، الأول الذي أول الأول من كل مخلوق ، الآخر بعد كل شيء ، الآخر الذي أخر الآخر من كل مخلوق : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠١-١٠٢].

وهو المقدم والمؤخر في خلقه وأمره ، في ملكه وملكوته ، لا مقدم لما أخر ، ولا مؤخر لما قدم .

فسبحان الأول والآخر الذي أحاطت أوليته وآخريته بكل شيء من المخلوقات والمكان والزمان ، فما من أول إلا والله قبله ، وما من آخرإلاوالله بعده:﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٣﴾[الحديد/ ٣].

فأحاطت أوّليته وآخريّته ﷻ بالأوائل والأواخر ، والأعوام والقرون ، والمكان والزمان والدنيا والآخرة. .

وإذا عرفت أن ربك هو الأول قبل كل شيء، وعرفت سبقه بالخلق والفضل والإحسان كل شيء وجب عليك إفراده وحده بالتوحيد ، والتعظيم له، والذل له ، والمحبة له ، والتوكل

عليه وحده ، وعبادته وحده ، وعدم الالتفات إلى أحد سواه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزخرف/ ٦٤] .

وإذا علمت أن ربك هو الأول والآخر، وإليه ترجع الأمور ، وإليه المنتهى ، فاجعله غاية مرادك ، وأرضه بأقوالك وأفعالك، وتقرب إليه بحسن عبادته ، وافعل ما أمرك به، واجتنب ما نهاك عنه ، فالله ورسوله أحق من ترضيه : ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [التوبة / ٦٢] .

وافعل الأسباب ولا تركن إليها ، وتجرد من التعلق بالأسباب إلى التعلق بالأول الذي منه الإعداد والإمداد ، وفضله وإحسانه سابق على الوسائل والأسباب: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

وأنت في دار الأسباب ومأمور بفعل الأسباب المشروعة فافعلها تؤجر عليها، لكن لا تركن إليها، وتعلق بالأول قبلها ، والآخر بعدها ، فالتعلق بالعزيز عزة ، والتعلق بالغني غنىً ، والتعلق بالأول والآخر سبحانه تعلق بالحي الذي لا يموت: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق / ٣] .

وكن أول الناس في فعل الخيرات، وسابقهم فيما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق : ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد/ ٢١] .

ولتفوز بالجنة والرضوان كن الأول في التوحيد ، وكن الأول في الإيمان ، وكن الأول في العبادات ، وكن الأول في الأعمال الصالحة ، وكن الأول في الأخلاق الحسنة : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

ولتسعد في الدنيا والآخرة كن الأول في الدعوة الى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الشرع : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

وإذا علمت أن الله هو الأول في الإحسان فكن الأول في الإحسان إلى الخلق : ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ ﴾ [القصص / ٧٧].

وابتعد عن كل ما يؤخرك ويحبسك ويحرمك من فضل الله مما نهى الله عنه : ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ٣٨ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ٣٩ ﴾ [الإسراء / ٣٦-٣٩].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ ﴾ [آل عمران / ٨].

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ ﴾ [البقرة / ٢٠١] .

« وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ المُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمحْيَايَ وَمماتي لله رَبِّ الْعَالمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنْ المُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ الملِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَنْتَ رَبِّي ، وَأَنَا عَبْدُكَ ، ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا ، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ .

وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا ، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالخَيْرُ كُلُّهُ في يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ ، تبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ » أخرجه مسلم [١].

« اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنْ الْفَقْرِ» أخرجه مسلم [٢].

اللهم أنت الأول قبل كل شيء ، وأنت الآخر بعد كل شيء ، اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم ألقاك يا أرحم الراحمين .

اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ، وأوله وآخره ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ، وأوله وآخره .

أنت المستعان ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٣) .

الظاهر .. والباطن

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/ ٣] .

الله ﷻ هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء ، العلي فوق مخلوقاته ، الغالب لما سواه ، الظاهر في آياته ومخلوقاته بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

فلا أعلى منه ﷻ ، ولا أقوى منه، ولا أبين منه ، هو الظاهر المحيط بكل شيء ، الظاهر فوق كل شيء ، المالك لكل شيء ، القادر على كل شيء، القريب من كل شيء : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس / ٣] .

هو الظاهر القاهر الغالب الفعال لما يريد ، هو الظاهر المهيمن النافذ أمره ، الدائم بره ، الشديد بطشه ، الذي إذا أراد شيئاً كان ، وإذا لم يرد شيئاً لا يكون أبداً : ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف/ ٢١] .

هو الظاهر المبين الذي لا يخفى على أحد ؛ لكثرة البراهين الدالة عليه ، وكثرة الدلائل التي تشير إليه ، البادي الظاهر بكثرة الأدلة عليه : ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ [إبراهيم/ ١٠] .

فسبحان الله الظاهر ظهوراً أبين من كل بيِّن ، الذي لا ترى ذرة في الكون إلا وهي شاهدة بوحدانيته ، ناطقة بتوحيده : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الروم/ ٢٢-٢٤] .

واعلم أن حب الدنيا ، وحجب المخلوقات ، وحجب الشهوات ، حجبت الظاهر المبين ، فإذا

أزيلت تلك الحجب صحت الرؤية بنور الإيمان .

هو سبحانه الباطن المحجوب عن عين الرأس ، الظاهر لعين القلب ، الباطن عن الأبصار فلا تراه، الظاهر للبصائر فقامت تعبده كأنها تراه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣] .

هو الظاهر الباطن العليم بكل ظاهر وباطن ، الخالق لكل ظاهر وباطن ، البصير بكل ظاهر وباطن .

هو الباطن الذي لا أحد يدرك كنهه ، الذي حجب الكفار عن معرفته ورؤيته ، وحجب المؤمنين عن رؤيته في الدنيا ، العزيز الذي بطن عن كل من لم يؤمن به ولم يطعه.

هو الباطن في حقيقة ذاته فلا تدركه العقول ، ومع شدة ظهوره احتجب عن إدراك الحواس والأبصار: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد/ ٣] .

فسبحان الظاهر بآياته ومخلوقاته ، الظاهر بذاته ، الذي تجلى لعباده من غير أن يروه ، وأراهم نفسه من غير أن يتجلى لهم.

فالله ظاهر إن طلبته عن طريق العقول ، باطن إن طلبته عن طريق الحواس .

هو الظاهر الباطن الذي أسبغ على خلقه النعم الظاهرة والباطنة : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٠] .

فسبحان الظاهر الباطن الذي احتجب عن خلقه بنوره ، وخفي عليهم بشدة ظهوره : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [النور/ ٣٥] .

والله ﷻ هو الظاهر بآياته الشاهدة بوجوده ، الباطن عن عقول لم تعرفه : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٨٤-٨٩].

وهو سبحانه الظاهر للقلوب بحكم البرهان، الباطن عن العيان فلا تدركه الأبصار: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم/ ٢٢] .

وهو سبحانه الظاهر فيما أظهره من المخلوقات والآيات ، الباطن فيما أبطنه من مخلوقاته وآياته : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وهو سبحانه الأول فليس قبله شيء ، والآخر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء.

وهذه الأسماء الحسنى الأربعة جمعت أركان التوحيد بأجمعه،أوله وآخره،وظاهره وباطنه.

فأحاطت أوليته وآخريته بجميع الزمان ، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بجميع المكان : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/ ٣].

فسبحان الظاهر الذي ظهر في كل مخلوق خَلَقه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى.

وسبحان الباطن الذي احتجب عن العيون والأبصار، ورفع ذاته عن العقول والأفكار، فلم يتخيله عقل ، ولم يتصوره وَهْم: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٣] .

وسبحان الظاهر الباطن الذي أحاط بكل ظاهر وباطن ، العليم بالظواهر والبواطن ، فما من ظاهر إلا والله فوقه ، وما من باطن إلا والله دونه محيط به ، وهو أقرب إليه من نفسه .

فسبحان العلي الأعلى مع علوه سبحانه على عرشه هو قريب من خلقه، محيط بهم ، عليم بهم ، الباطن عنده ظاهر، والغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك / ١٣ – ١٤] .

- **التعبد لله ﷻ باسمه الظاهر والباطن :**

اعلم وفقك الله أن الله الظاهر فوق خلقه أظهرك من العدم إلى الوجود ، وأظهر لك المخلوقات ، ووهبك السمع والبصر والعقل ، وساق إليك الرزق ، وأظهر لك الدين : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف/ ٩].

فأظهِرْ لربك الكريم كل عمل كريم من الإيمان والعمل الصالح ، والخلق الحسن ، تسعد في دنياك وأخراك ، ويحبك الله ، ويحبك الناس : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

وإذا عرفت أن ربك العظيم هو الظاهر القاهر فوق عباده يدبر أمورهم ، ويرى ذواتهم ، ويسمع أقوالهم ، وينظر إلى أعمالهم ، فتوجه بقلبك إليه ، وقف بالذل بين يديه وأخلص العبادة لربك السميع العليم وحده دون سواه ، فإنه يسمعك ويراك ، فأحسِن له القول والعمل : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء/ ٢١٧ – ٢٢٠] .

واعلم أن من حجب عنك علم ماهو أولك وآخرك ، وما ظاهر أمرك وباطنه ، قد جعل لك سبيلاً إلى معرفة مَنْ الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، والغني والقادر وهذا خير لك وأنفع وأبقى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد / ١٩] .

واعلم أن كل شيء منك له أول وآخر وظاهر وباطن من الأنفاس والخطرات والأقوال والأفعال والحركات ، والله محيط بذلك منك ، ومحصيه عليك ، وسائلك عنه : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر/ ٤٩ – ٥٣] .

فبادر رحمك الله بالتوبة مما سلف من الذنوب الظاهرة والباطنة ، وبادر إلى طاعة مولاك ، وصِل أول عملك بآخره ، وآخره بأوله ، وظاهره بباطنه ، وباطنه بظاهره ، وخُصّ به العليم بسرائر باطنك : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الشورى / ٢٥] .

وزيِّنْ ظاهرك وباطنك للذي زيَّنك بالإيمان وجمَّلك بالأخلاق : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الفرقان / ٥٨].

وأظهِرْ ما أمرك الله بإظهاره من العبادات ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله،والصبر في سبيل الله ، وحسن الأخلاق ، يدخلك في رحمته ، ويباهي بك ربك ملائكته ، ويقتدي بك الغافل عنه : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة/ ٧١].

وأبطِنْ ما أمرك الله بإسراره من الأعمال الصالحة ، ونوافل العبادات ، والأدعية والأذكار ، والزكوات والصدقات ، ولتكن عبادتك في السر أقوى منها في العلانية تكن من المخلصين

الفائزين : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

واقتد في ظاهرك وباطنك بمن أرسله الله رحمة للعالمين ﷺ في نيته وأقواله وأفعاله وأخلاقه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١].

واعلم بأن الله عليم بأمورك في الحالين؛ لأنه ﷻ يستوي عنده السر والعلانية، والبادية والخافية: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك/ ١٤].

وزك نفسك بالإيمان والتقوى، وطهر قلبك من الوساوس المهلكة، والشكوك المردية، وزينه بالإيمان واليقين: ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [فاطر / ١٨].

وإنْ ضاق صدرك بأحد يقول فيك مالا يرضيك ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر / ٩٨ – ٩٩] .

وإنْ شَغَلك الشيطان بالوساوس والشكوك وغيرها فقل: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد / ٣] .

واستعذ بالله من شره وكيده ووساوسه : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٠٠].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان/ ٧٤].

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ » أخرجه مسلم[1].

اللهم يا عالم الخفيات ، ويا رفيع الدرجات ، يا سابغ النعم ، ويا دافع النقم ، أسألك عافية أقوى بها على طاعتك ، وعبادة أستحق بها جزيل مثوبتك.

اللهم يا من أظهر الجميل ، وستر القبيح ، أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٣) .

الحق

قال الله تعالى : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾
[المؤمنون/ ١١٦] .

الله ﷻ هو الرب الحق الذي تفرد بالبقاء والملك الدائم، الجامع للخير والمحامد كلها، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٥-٨] .

هو سبحانه الحق الذي لا شك فيه و لا ريب، هو الحق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، هو الحق الذي جاء بالحق، وحكم بالحق، ونصر الحق، لا إله غيره، ولا رب سواه : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس/ ٣٢] .

وهو سبحانه الملك الحق، المعبود بحق، ولا معبود بحق سواه، وكل معبود سواه باطل : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج/ ٦٢] .

وهو سبحانه الحق الذي أنزل الكتاب بالحق، وأرسل الرسل بالحق، وحكم خلقه بالحق، وحكم بينهم بالحق : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة/ ٣٣].

والحق من أعظم أسماء الله الحسنى، وإليه تنتهي جميع الأحكام والعلوم قاطبة : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه/ ١١٤] .

فسبحان الملك الحق المبين الذي لا تستطيع العقول الخروج عن حكمه، ولا تستطيع الأبدان الخروج عن ملكه وأمره، ومتى رامت ذلك سلبها التوفيق، وعزلها عن مرادها، وقهرها بأمره، فأسرعت إلى مراده : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

وهو سبحانه الحق الذي أظهر بصفاته أنه الحق ، وأودع الحق والتوحيد في قلوب العارفين ، وجعله سفيراً بينه وبين عباده ، مؤدياً عنه شهادة الحق بأنه الحق ﷻ : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد/ ١٩].

وأنار سبحانه قلوب المؤمنين بالحق فرأت الحق وأحبته ، وعظمته وأطاعته، وخرت ساجدة بالحق للحق ﷻ : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر / ٩] .

فسبحان الكريم الحق الذي أرسل رسله بالحق ، ليعم جميع المكلفين بالحق، وينير الطريق للسالكين إليه، ويقطع جدل المخاصمين فيه، ويدحض حجج المعاندين للحق: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية/ ٢٢].

ولما كان من كمال الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى أن يكون له حب وبغض ، ورضى وسخط ، اقتضى ذلك أن يكون له أمر ونهي ، ومأمور ومنهي ؛ لأنه ملك يأمر وينهى كما يشاء ، بما شاء ، متى شاء: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/ ٢٣].

ولما كان لابد من إبلاغ أوامر الملك إلى خلقه من جنسهم أرسل برحمته الرسل بالحق ، وأنزل الكتب بالحق ، فمن قَبِل الحق أحبه الحق ، واستعمله فيما يحبه ويرضاه : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[التوبة/ ٣٣] .

ومن رد الحق أبغضه الحق سبحانه وخذله، فاستعمله الشيطان فيما يبغضه الحق ويكرهه فأحبط الله عمله : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد / ٢٨] .

وكان من تمام الحكمة والحُكم بالحق أن يثيب الله المحسن ويعاقب المسيء كما قال سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم/ ٣١] .

فكل ما أمر الله ورسوله به وكل ما أحبه الله ورسوله فهو الحق ، وثوابه الجنة ورضوان الرب ، وكل ما نهى الله ورسوله عنه وكل ما أبغض الله ورسوله فهو الباطل ، وجزاؤه النار

وسخط الرب : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ ﴾ [النساء / ١٧٠] .

واعلم أن كل طاعة يفعلها العبد من الرحمن ورضوانه، وكل معصية من النفس والشيطان : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء / ٧٩ – ٨٠] .

وقال سبحانه عن الشيطان : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر/ ٦].

ولا يترك عبادة الحق سبحانه إلى عبادة ما سواه إلا أعمى القلب ، سفيه العقل : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس/ ٣٥].

واعلم أن كل طاعة ومعصية ، وكل خير وشر ، وكل حق وباطل ، كل ذلك لا يقع من العباد إلا بإذن الله ومشيئته وعلمه ، لكن الله يحب الحق والخير والطاعات ، ويأمر بذلك ويرضى به ، ويكره الباطل والشر والمعاصي ، وينهى عنه ولا يرضاه : ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٧].

والرسل والكتب تبين للناس هذا وهذا ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير / ٢٧ – ٢٩] .

وقال سبحانه : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف / ٢٩ – ٣٠] .

فسبحان الملك الحق والإله الحق الذي ملأ أركان الوجود كلها بعظمته وجلاله، ورحمته وإحسانه، وشمل أقطار الكون كلها بحكمته وقدرته وعلمه، وقهر جميع المخلوقات لطاعته وعبادته وحده لا شريك له ؛ لأنه وحده الحق ، وكل معبود سواه باطل: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج / ٦٢] .

وهو سبحانه الملك الحق الديان الذي يجازي عباده بما عملوه من الحسنات والسيئات.

فما أحسن من مسلم أو كافر إلا وقع أجره على الله في الدنيا أو في الآخرة ، وما أساء من مسلم أو كافر إلا جازاه ربه بما أساء : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء/ ١٢٣-١٢٤].

فاعمل ما شئت كما تدين تدان : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

فكل شيء له ثمن ، وكل عمل له جزاء ، وكل حسنة لها ثواب ، وكل سيئة لها عقاب : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت/ ٤٦].

فسبحان الديان الذي يجازي بكل عمل ، ولا يضيع عنده عمل : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

وهو سبحانه الملك الحق الذي يحكم بين عباده يوم القيامة بالحق والعدل والإحسان، الديان الذي يحاسب الأولين والآخرين على أعمالهم ، ثم يجازيهم على ما قدموا في حياتهم الدنيا من أعمال إنْ خيراً فخير ، وإنْ شراً فشر : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة / ٦ –٨] .

وهو سبحانه الحق الكريم الذي يضاعف الحسنات ، ولا يظلم أحداً مثقال ذرة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[النساء/ ٤٠].

وهو سبحانه الديان ، مالك يوم الدين ، مالك يوم الحساب والجزاء على الأعمال، وله الحمد على العدل والرحمة والإحسان: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢-٤].

وهو سبحانه الحق الديان الذي يجازي كلاً بعمله ، ويقتص للمظلوم من الظالم، ومن السيد لعبده ، ومن القوي للضعيف : ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفرقان/ ٢٦].

وإذا حكم الله يوم القيامة فلا ظلم ولا جور ولا تأخير : ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾ [غافر / ١٧] .

فسبحان الملك الحق الذي أحصى جميع أعمال عباده، ثم يحكم الديان بينهم يوم القيامة بالعدل والإحسان ويوفيهم جميعاً أجورهم ، ويزيدهم من فضله: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران / ٣٠].

وعن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ قَالَ الْعِبَادُ عُرَاةً غُرْلاً بُهْماً » قَالَ : قُلْنَا : وَمَا بُهْماً؟ قَالَ « لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كما يسمعُهُ مَنْ قَرُبَ : أَنا المَلِكُ ، أَنا الدَّيَّانُ » أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد [(١)].

وهو سبحانه الملك الحق الذي يضع الموازين يوم القيامة ؛ إظهاراً لعدله بين خلقه: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء / ٤٧] .

واعلم رحمك الله أن الديان الحق سوف يحاسبك على جميع أعمالك، فحاسب نفسك في الدنيا ما دمت تستطيع فأنت في دار المُهْلة والعمل قبل أن تموت وترى العمل ، ولا تستطيع التوبة والندم: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران / ١٠٦ – ١٠٧].

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة للخلق : « يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُم أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدْ الله ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» أخرجه مسلم [(٢)].

والله عز وجل هو الملك الحق الذي يُحِق الحق ويُبطل الباطل، ويحكم بين عباده بالعدل والإحسان، ويأمرهم بالعدل والإحسان والفضائل ، وينهاهم عن الظلم والبغي والرذائل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل/ ٩٠] .

وهو سبحانه الحق الذي لا أعدل منه ولا أقسط منه ، فهو الذي عَدَل في حكمه وأمره ، وعَدَل

---

(١) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (١٦٠٤٢)، وهذا لفظه ،وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٩٧٠).

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٥٧٧) .

وأحسن في ثوابه وعقابه ، الذي يأمر بالقسط ويحب أهله كما قال سبحانه: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات/ ٩] .

فتبارك الله رب العالمين الذي ما من شيء خَلَقه إلا وهو موزون بميزان العدل والقسط ، وتعالى الله عن الإهمال والمجازفة ، وتنزه الله عن الحيف والجور: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾[النساء/ ٤٠].

واعلم أن كل شيء في خزائن الحق سبحانه موزون بقدرٍفي نوعيته وكميته،ومكانه وزمانه، وصورته: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ [الحجر / ٢١] .

والله ﷻ هو الحق الذي عَدَل في جميع أفعاله، وعَدَل في جميع أحكامه.

فهو الحق ، وقوله الحق، وفعله الحق ، ودينه الحق.

يبسط ويقبض .. ويعطي ويمنع .. ويرفع ويخفض .. ويعز ويذل .. ويقدِّم ويؤخر.. ويكرم ويهين .. ويحيي ويميت .. ويهدي ويضل .. ويعافي ويبتلي.

هو الحق الذي لو عذب أهل سماواته وأراضيه كان ذلك بحكم العدل ، ولو نَعَّم أهل سماواته وأراضيه كان ذلك بحكم الفضل: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ۝١١٦﴾ [المؤمنون/ ١١٦].

فسبحان الملك الحق المبين ، الذي كل ما نراه ومالا نراه من مخلوقاته فهو الحق، وكيفما كان فعله فهو الحكمة، وكيفما صرَّف حكمه وتدبيره فهو العدل والرحمة : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٧٣﴾ [الأنعام/ ٧٣].

فافهم الحق ، فإن لم تفهم فابك على الجهل ، واستغفر لذنبك حتى يُفهمك من منعك أن تفهم ، فافهم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ۝١١٤﴾ [طه / ١١٤] .

- **التعبد لله ﷻ باسمه الحق :**

اعلم وفقك الله لمعرفته وطاعته أن معرفة الحق ﷻ من أعظم العلوم وأشرفها وأنفسها.

وبإصابة الحق في الاعتقاد والقول والعمل تنال شرف الدنيا والآخرة، وتسعد بدخول الجنة، والنجاة من النار ، ورضوان الرحمن.

وباتباع مَنْ أمر بالحق تنال معرفته، وتشرف بحسن عبادته، وبمعرفته ﷻ بأسمائه وصفاته تحبه،

وتعظمه، وتسكن إليه، وتذوق حلاوة الإيمان به، ولذة مناجاته.

فاجتهد رحمك الله في طلب معرفته، والاعتذار عن التقصير في حقه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

واعرف الحق العظيم الذي خلق الله به كل شيء، وأقام به كل شيء، ونفذ به حكمه وتدبيره، وعدله وإحسانه، وفضله ورحمته: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٤].

بالحق أضل الله وهدى، وبه أمر ونهى، وبه أبعد واصطفى، وبه ابتلى وعافى، وبه أمات وأحيا، وبه خذل ونصر، وبه حمد نفسه، وبه أظهر كمال قدرته وعلمه في ملكه وملكوته: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفت الملك الحق بأسمائه وصفاته وأفعاله فاعلم أنك عبده، وللملك على عبيده حقوق كثيرة تقابل إنعامه عليهم وإحسانه إليهم، وتليق بجلاله وعظمته: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

واعلم أن حق الله سبحانه لازم لك أيها العبد في ظاهرك وباطنك، وفي أولك وآخرك، فهو الذي خلقك وصورك، وأنشأك ورباك، وهداك وحفظك من الآفات، نعمه عليك سابغة ظاهرة، وفي جميع أمورك وأحوالك شائعة.

فاعبده وحده لا شريك له، واجتنب عبادة ما سواه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

وحقه عليك في كل نعمة جاد بها عليك واجب فأطعه واعبده، ولا تشغلك نعمه عليك عن عبادته وطاعته: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

واعلم أن لله الحمد وحده أن هداك للإسلام، وأذن لك بذكره، وسمح لك بعبادته، وأقامك في طاعته، وأعانك على ذكره وشكره وحسن عبادته؛ لتنال بذلك المزيد من

فضله، وتسعد برضوانه والقرب منه: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات / ١٧] .

واعلم أن الذي يثقل في الميزان يوم القيامة هو الحق ، والذي يخف فيه هو الباطل ، فثقِّل ميزانك بالإيمان والطاعات ، وإلا خف بضد ذلك من المعاصي والسيئات : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة / ٦–٨] .

وأقم اليوم ميزانك ، وأعط القسط من نفسك لربك فهو أهل أن يُعبد ويطاع ، ووفّ قسطه وحقه حسب طاقتك ، وأجر ذلك كله عائد عليك : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج / ٧٨].

واستغفر الحق سبحانه لما عجزت عنه، واعتذر له من ضعفك عن القيام بحقه، واطلب منه العفو والمغفرة عن جرأتك على معصيته وهو يراك: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء / ١١٠] .

وكن قائماً بالحق والقسط والعدل في حق نفسك وفي حق غيرك ، وعليك بالعدل والإحسان في جميع أمورك ، وفي أقوالك وأفعالك ، واستفرغ كل أوقاتك في ذلك.

واعلم أنه ليس لك هناك إلا ما قدمته هنا ، وبميزانك اليوم يوزن لك غداً إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٤٧].

وسبح بحمد ربك القائم بالقسط والعدل في خلقه وأمره ، واصبر على ما أصابك ، وإنْ ظلمك الخلق فاعدل وأحسن ؛ لتنال عبودية الصبر والإحسان: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يوسف/ ٩٠] .

وسبح بحمد الحق الذي خلقك في أحسن تقويم، وزودك بالسمع والبصر، وخصك بالعقل والفكر، ويسر لك العلم والعمل ، فنعمه عليك لا تُعد ولا تحصى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا

نَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى / ٦-١١] .

وإياك أن تشغل قلبك وجوارحك في غير طاعة ربك فأنت عبده ، وليس لك إلا امتثال أمره: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[مريم/ ٦٥] .

فمن حق الحق عليك سبحانه الوفاء بعهده ، وأن تطيعه ولا تعصيه ، وأن تذكره ولا تنساه ، وأن تشكره ولا تكفره ، وأن ترجوه ولا ترجو أحداً سواه ، وأن تخافه ولا تخاف أحداً سواه : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [المائدة/ ٧] .

ومن حقه عليك أن تعرفه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى لتدعوه بها ، وتعبده بالاتصاف بها ، وتُعلِّم الناس دينه كما أمر : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران / ٧٩] .

ومن حقه سبحانه عليك أن تُجِلّ مقامه وجلاله ، وعظمته وكبريائه ، وأن تشفق من غضبه وسخطه ومقته، وأن تفر من عدوه إليه، ومن معصيته إلى طاعته: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح/ ١٣-٢٠].

ومن حقه عليك أن تعرف إحسانه إليك ، وفضله عليك ، وتودده إليك ؛ لتشكر الحق على جزيل عطائه وإحسانه ، وتنال المزيد من فضله: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم / ٧].

ومن حق الحق عليك أن تنظر في ملكوته العظيم ، وإبداعه العجيب ، و تتصفح حكمته في خلقه ، وقدرته في صنعه ؛ لتعظمه وتحبه وتشهد له بوحدانيته : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس / ١٠١] .

ومن حقه سبحانه عليك أن تنظر في كلامه العظيم ، وتتلو كتابه الكريم ؛ لتعرف الخالق الحق بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتفهم مراده منك ، ومرادك منه : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد/ ٢٤].

ومن حقه سبحانه عليك أن تُظهر حقه عليك في جميع أحوالك ظاهراً وباطناً ، في إسلامك وإيمانك، وفي صدقك وإخلاصك، وفي جميع أقوالك وأفعالك وأحوالك: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦١ – ١٦٣].

واعلم وفقك الله لطاعته أن حق الله عليك في باطنك أربعة أقسام :

الأول: حق الله على القلب : بأن يؤمن بالله ، ويصدق به ، ويقر بأن الله لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ولا أحد مثله ، له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى، وله الخلق والأمر وحده لا شريك له : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس/ ٣].

الثاني : حق الله على العقل : بأن يعرف الرب ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويعرف ما أنزل في كتبه، وما أرسل به رسله من أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، ويعرف ملائكته وكتبه ورسله وقضائه وقدره ، ليكمل إيمانه بمعرفة الحق ، وما أمر به الحق ، ويسجد مع الساجدين لربهم الحق : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد/ ١٦-١٧]

الثالث: حق الله على الروح ، وهو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ﴾ [الزمر/ ٢-٣].

الرابع: حق الله على النفس ، ويحصل بالخضوع والخشوع للعزيز الجبار، والافتقار إليه ، والانكسار بين يديه ، والصبر على طاعته، والصبر عن معصيته، والصبر على أقداره، والرغبة إليه ، والمحبة له، والرجاء له ، والخوف منه ، وحسن عبادته، والنصح لعبادته، والرحمة لخلقه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ

أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون/١-١١].

فهذه صفات أولياء الله فالحق بهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

واعلم رحمك الله أن الملك الحق يملك نفسك وروحك وجسدك، ويملك سمعك وبصرك وعقلك، ويملك وقتك ومكانك ولسانك.

فارغب إلى الحق سبحانه أن يستعمل لسانك بذكره وشكره، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، ويستعمل جميع جوارحك بطاعته وحسن عبادته، ويستعمل عقلك في التفكر في آياته ومخلوقاته وسل ربك أن يجعل لك الأرض مسجداً، والحياة مربحاً، والاستقامة منهجاً: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء/ ٨٠-٨١].

واعلم أن أحق الحق أن تعلم أنك عبد للحق سبحانه فتؤمن به وتوحده، و تعمل بالحق الذي أنزله، وتدعو إلى الحق الذي أمرك بإبلاغه لخلقه، وما سوى ذلك باطل وخسران فلا تلتفت إليه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١ – ٣].

وتفكر في ملك ربك العظيم وتدبر آياته وآلائه ترى بقلبك الخالق فوق الخلائق، والمصور يُصور الصور، والحي يحيي ويميت، وترى الخالق يخلق، والرازق يرزق، والرحمن يرحم، والعليم يُعلِّم، والمَلك يدبر: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج/ ٥ – ٧].

وإذا عرفت ربك بأسمائه وصفاته وأفعاله فاعبده كما يليق بجلاله وعظمته، واشكره على إحسانه وفضله، فهو الحق الواحد الأحد الصمد وحده لا شريك له: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

واعلم أن الحق سبحانه يسمع ويرى كل شيء ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في ملكه العظيم الواسع ، فتب إلى ربك العظيم من التقصير في أداء حقوقه وحقوق عباده ، وتب إليه من انتهاك حرماته ، وتجاوز حدوده : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور/ ٣١].

واعلم أن كل شيء يقربك إلى مولاك الحق فهو حق ، وكل شيء يبعدك عنه فهو باطل.

والحق منصور أبداً لأنه حق فتمسك به ، والباطل مخذول أبداً لأنه باطل فاجتنبه : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء/ ٨١] .

والقرآن هو الحق الذي أنزله الحق ليحكم بين الناس بالحق : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [النساء/ ١٠٥].

وإذا عرفت الحق فيجب عليك إبلاغه للبشرية : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف / ٢٣] .

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

« اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، أَنْتَ الحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ .

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » متفق عليه [1].

اللهم أنت أحق من عُبد ، وأحق من شُكر ، وأرأف من ملك ، وأجود من سُئل ، وأرحم من رحم ، فاغفر لنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١١٢٠) ، ومسلم برقم (٧٦٩) ، واللفظ له .

المبيــن

قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النور/ ٢٥].

الله ﷻ هو الحق المبين نفسه بما أظهر من دلائل وجوده وقدرته ووحدانيته في ملكه وملكوته ، المبين للأبصار و البصائر شواهد الوحدانية ، وآيات الربوبية ، وعلوم الإلهية : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج/ ١٨].

وهو سبحانه المبين الذي يوضح الحق ويظهره ويكشفه لعباده بإقامة البراهين عليه ، ليفصل به الحق من الباطل، ويرحم به من شاء من عباده: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل/ ٨٩] .

وهو سبحانه الحق المبين الذي بيَّن لعباده أسماءه وصفاته ، وأفعاله في مخلوقاته ، ليعرفوه ، فإذا عرفوه عظموه وأحبوه ثم عبدوه وأطاعوه وحده لا شريك له : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق / ١٢] .

وهو سبحانه الحق المبين الذي أعطى أنواع البيان للإنسان نطقاً وإشارة وكتابة : ﴿ الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن / ١ – ٤].

وهوسبحانه الحق المبين الذي بيَّن بوحيه المنزل ورسوله المرسل ﷺ كل مايصلح به العباد في الدنيا والآخرة : ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٨].

فسبحان الملك الحق المبين ، والإله الحق المبين، البيِّن أمره في الوحدانية والعظمة، والجلال والكبرياء ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى في السموات والأرض : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج/ ٦٢].

وسبحان الملك الحق المبين الذي بيَّن لخلقه سبيل الرشاد ، وكشف لهم الصراط المستقيم ليسلكوه إليه ، ووضَّح لهم الأعمال الصالحة التي ينالون بها الثواب ، وكشف لهم الأعمال

السيئة التي يستحقون بها العقاب ؛ لأنه الكريم الرحيم الرؤوف بعباده : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[النساء/ ٢٦] .

واعلم أن الخلق لما قَصُرت أفهامهم عن إدراك كنه بارئهم مع ما فرضه عليهم من وجوب معرفته،بيَّن لهم سبحانه أسماءه وصفاته بما أظهره من المخلوقات العظيمة ، والآيات الكريمة ، الدالة على معرفة ذاته وأسمائه وصفاته : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢ – ١٠٣].

فسبحان من بيَّن أسماءه الحسنى وصفاته العلى في جميع مخلوقاته العلوية والسفلية وأوامره الكونية والشرعية التي تدل على كمال علمه وقدرته ، وتشهد بوحدانيته : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٤].

أبان سبحانه كل شيء خَلَقه بما خصه به من الصفات، وأنزل كتابه المبين مبيناً لمراده من خلقه، وأرسل رسله لبيان ما في كتابه، حتى أظهر الحق من الباطل، وبين التوحيد من الشرك ، وبين الخالق من المخلوق ، والقادر من العاجز: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل/ ٤٤].

فانظر وتفكر في هذا الكون العظيم ، تجده كله أعلاه وأسفله مشيراً بأجزائه وجملته إلى أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى.

والأسماء والصفات تشير إلى الملك الحق المبين ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/ ٦ – ٨] .

وإذاعرفت هذا عرفت المَلك الحق المبين،وماذا يجب له من التوحيد،والتعظيم،والعبادة.

وإذا تبين لك الطريق ، واستبان لك السبيل: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم/ ٣٠] .

- **التعبد لله ﷻ باسمه المبين :**

اعلم هداك الله لمعرفته أن الله هو الحق المبين، بيَّن نفسه بما أظهره من أسمائه وصفاته في مخلوقاته وآياته ، وبيَّن ما يحب وما يكره، وما يرضيه وما يسخطه ، وما يقبله وما لا يقبله .

فعليك بمعرفة ربك بأسمائه وصفاته ، وعبادته بموجبها ، وإحسان العبادة للذي خلقك وهداك : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد / ١٩] .

وعليك بمعرفة ما تَقرَّب به إلى مولاك وتنجو به من عذابه من أمره ونهيه، وحلاله وحرامه ، ووعده ووعيده، ومواعظه وأحكامه وأخباره.

فقد بيَّن ذلك كله في كتابه الكريم ، وسنة رسوله الأمين : ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل/ ٨٩] .

ثم اعمل بما علمت، وبيِّنه للناس ، وأحسِن إليهم كما أحسن الله إليك ، وعلِّمهم كما علَّمك الله ، تكن من الربانيين: ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران/ ٧٩].

واعلم أن الله بيَّن في كتابه مراده من عباده ، وبيَّن رسوله ﷺ أحسن ما يتقربون به إلى ربهم، فبيِّن أنت لخلقه ذلك ، وعلِّم عباده مما علَّمك الله ، وثواب ذلك عائد عليك ، عسى أن تحشر في زمرة العلماء تلو الأنبياء ، شاهداً على الناس مع الشهداء بالحق المبين: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة / ١١].

وإذا وهبك الله نعمة العلم بأسمائه وصفاته ، والعلم بدينه وشرعه ، وحلاله وحرامه ، وثوابه وعقابه ، فبيِّنه للناس ، واعبد ربك بمقتضاه تفوز برضاه : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

وإياك وكتمان العلم إنْ وجدت له سائلاً ، أو ألفيت له طالباً ، أو تبينت له موضعاً ، فكاتم البينات من العلم والهدى ملعون في كتاب الله لعناً مضاعفاً ، ويُلجم بلجام من نار يوم القيامة إن لم يتب ويصلح ويبين : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ

لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٩– ١٦٠] .

اللهم أرنا الحق حقاً ، وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، يا أرحم الراحمين.

﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ﴾ [طه/ ٢٥ – ٢٨].

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُبِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، وَالهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ.

اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ،وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ،وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لهَا » أخرجه مسلم [(١)].

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا .

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا برحمتك يا أرحم الراحمين .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢) .

الحي

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

الله ﷻ هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، هو الحي الذي حياته كاملة ليست مسبوقة بعدم ، ولا يلحقها زوال، ولا يعتريها نقص أو عيب.

فهو الحي الذي تستلزم حياته جميع صفات الكمال من السمع والبصر ، والعلم والقدرة، والكرم والرحمة ، والإرادة والمشيئة ، وغير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العلى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه / ٨] .

هو الحي القيوم بذاته ، وكل حي سواه فهو حي لا بذاته ، بل بإمداد الله له بالحياة ، فإذا قطع عنه الحياة صار جثة هامدة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [غافر/ ٦٨].

هو سبحانه الحي القيوم الذي لا يموت أبداً ، هو الحي الذي ليس لحياته موت ولا فناء ولا زوال ، هو الحي الذي عنده خزائن الحياة والأحياء ، هو الحي الذي وهب الحياة لكل حي : ﴿ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

واعلم أن الله وحده لا شريك له دائم الحياة ، دائم البقاء ، دائم الملك : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥].

أما الانسان وغيره من الأحياء فلابد أن يموت إظهاراً للحي الذي لا يموت من الحي الذي يموت ، واعلاماً بالحي الذي يملك الحياة والموت : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ [النجم/ ٤٢-٤٤]

وحياة الإنسان دائمة ، والموت معبر لانتقال هذا الحي من دار إلى دار : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الحج/ ٦٦]

هو الحي الذي لا إله إلا هو له المُلك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

هو الحي القيوم الذي يهب الحياة لكل حي ، خالق الحياة في كل شيء من مخلوقاته ، الذي أعطى كل مخلوق حياة تخصه : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢ ﴾ [الملك/ ١-٢].

فسبحان من أجرى أمره بالحياة والموت على جميع مخلوقاته ، وتفرد بالحياة التي لم يسبقها عدم ، ولا يلحقها زوال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

هو الحي الذي يحيي الخلق من العدم ، ويحيي الخلق بعد الموت ، ويحيي القلوب بمعرفته والاتصال به : ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ ﴾ [الحديد/ ٢].

واعلم أن كل إنسان حي الذات ميت الصفات ، فإذا آمن بالله أحيا الله قلبه بالإيمان ، وأحيا روحه بالأخلاق الحسنة ، وأحيا جوارحه بالأعمال الصالحة.

فالمؤمن حي القلب ، إذا ذكر ربه وقرأ القرآن دمعت عينه ، واقشعر جلده ، يحب ربه ، ويعظم مولاه ، ويسبح بحمده ، ويدعوه ويذكره ، ويطيعه ويعبده : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٢٢ ﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

فسبحان الحي القيوم الذي كل شيء وكل حي وكل ميت وكل ما في عالم الغيب والشهادة عبد له ، يسبح بحمده ، ويشهد بوحدانيته : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤ ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

هو الملك الحي القادر الذي أحيا كل شيء بسره الذي لم يُطلع عليه أحداً من خلقه ، أحيا عالم الجماد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان ، وعالم الإنسان ، وعالم الملائكة ، وعالم الجن ، وعالم الطيور، وعالم الأسماك ، وعالم الذرات : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١١٦ ﴾ [التوبة/ ١١٦].

فسبحان من أحيا العوالم العظيمة بسره ، وغمر جميع المخلوقات بوافر بره ، فكل مخلوق يسكن في فلكه ، ويستطعم من رزقه ، ويسبح بحمده : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ومَنْ هذا شأنه ، وهذه أسماؤه ، وهذه صفاته ، هو الذي يستحق أن يطاع ويُعبد ، ويُركع له

ويُسجد، ويُذكر ويُحمد: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

أما الحي الذي يموت أو الميت أو الجماد ، فكل هؤلاء وجميع المخلوقات لا يستحقون شيئاً من العبادة ؛ لأنهم من العبيد الفقراء الذين لم يكونوا شيئاً ، ثم خلقهم الله ، وكلهم عبيده وتحت قهره وسلطانه : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [النحل/ ١٧-٢١] .

بل المستحق للعبادة وحده هو الحي الذي لا يموت العليم بكل شيء ، فأخلص له العبادة : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الفرقان/ ٥٨] .

فسبحان الحي القيوم الذي خلق الحياة في كل حي فصار حياً ، الحي الذي يملك خزائن الحياة والأحياء ، الحي الذي يحيي ما شاء بما شاء.

أحيا الأرض بالنبات، وأحيا الأجساد بالأرواح، وأحيا القلوب بالإيمان: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [يس/ ١٢] .

واعلم وفقك الله لمعرفته وعبادته أن الحي القيوم من أعظم أسماء الله الحسنى ، وعليهما مدار جميع الأسماء الحسنى ، وجميع صفات الله راجعة إليهما ، ويرجى أن يكونا هما اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب.

فالحي جامع لصفات الذات كالسمع والبصر والعلم والقدرة وغيرها .

والقيوم جامع لصفات الأفعال كالخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، والتصريف والتدبير، والعفو والرحمة وغيرها : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢] .

فسبحان الحي القيوم القائم بنفسه ، المقيم لخلقه خلقاً ، ورزقاً ، وتدبيراً.

وسبحان الحي القيوم الذي خلق الحياة والأحياء، الذي يحيي ويميت، الذي خلق كل شيء، وأحكم صنع كل شيء، وأحاط علمه وقدرته بكل شيء: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣] .

هو سبحانه الحي القيوم الذي يحيي كل ميت، ويميت كل حي، فليس يميت الحي قاتله ، ولا يحيي الحي تاركه ، بل الله وحده الذي يحيي ويميت ؛ لأنه وحده الذي يملك الحياة والموت: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ ﴾ [ق/ ٤٣] .

وهو سبحانه الحي الذي خلق الحياة في كل حي ، وخلق الموت في كل ميت: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ ﴾[التوبة/ ١١٦].

فسبحان الحي القيوم الذي يحيي الأرض بالنبات ، ويحيي الأجساد بالأرواح ، ويحيي القلوب بالإيمان ، ويحيي الجوارح بالأعمال الصالحة : ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الروم/ ٥٠].

وسبحان الحي القيوم الذي قهر عباده أبراراً أو فجاراً بالموت : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ ﴾ [النساء/ ٧٨] .

وأعلم أن الذي يملك الحياة هو الذي يملك الموت وحده لا شريك له : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [غافر/ ٦٨].

فالله يحيي ويميت ليعلم الناس أن الله وحده هو القادر على التصرف بالإحياء والإماتة متى شاء.

والله وحده هو الذي يحيي ويميت ، وهو الذي خلق الموت والحياة ، وقد وكل قبض الأرواح إلى ملك الموت كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السجدة/ ١١].

- **التعبد لله ﷻ باسمه الحي :**

اعلم أن مقاليد الأمور كلها بيد الحي القيوم وحده لا شريك له.

فاسأله أن يرزقك الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ، وأن يحيي قلبك بالإيمان ، ويحيي جسدك بالأعمال الصالحة ، ويُلبسك لباس التقوى : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة / ٤] .

وإذا خصك الحي القيوم بهذه النعمة فأحياك ونوَّر قلبك بالإيمان فهو يريد منك أن تكون عبداً حياً قائماً بين يديه بالعبادة ، وقائماً بين خلقه بالدعوة إلى الله ، والإحسان إليهم ، وإصلاح ذات بينهم، وهذا مقام الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣].

واشكر الحي القيوم على إحسانه، واحمده على هدايته، ولولا ذلك لكنت من الأموات الخاسرين: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

والزم باب العبودية للحي القيوم فإنه يراك ويسمعك ، ولا تمل فتقعد عن العمل ، فتُحرم مما تحب ، فالطالب إذا عرف قدر ما يطلب هان عليه قدر ما يبذل فيه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم/ ٣٠] .

واعلم نوَّر الله قلبك بالإيمان أن حياة القلوب أعظم من حياة الأبدان ، فحياة القلوب بالتوحيد والإيمان بالله والعمل الصالح من أعظم الهبات التي يخص الله بها من يعلم أنه يزكو بها: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٤] .

وهذه الحياة أعظم نعم الله على عباده في الدنيا والآخرة ؛ لأنها تكشف عن البصر غطاءه، وتزيل عن السمع وَقْره، وترفع عن القلب أكِنَّته : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

وبالنظر والتفكر يبصر العقل حقائق المخلوقات، وينظر إلى آيات ربه، ويبصر شواهد وحدانيته، ويسمع شهادة الشاهدين بالوحدانية ، فيستجيب لربه الحي القيوم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢٤] .

وبهذه الحياة الطيبة ، والكلم الطيب ، والعمل الطيب ، والخلق الطيب ، تطيب النفوس ، وتنشرح الصدور ، وتطمئن القلوب ، وتنجلي عنها ظلمات الشرك والشبهات ، وتنفتح لها طرق الخير ، وأبواب البر ، فتشرق بنور ربها ، فترى الحق حقاً ، والباطل باطلاً : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد/ ٢٨].

واشكر نعمة الله عليك بالتوحيد والإيمان بالجهد في إحياء القلوب الميتة الغافلة عن ربها ، لعل الله أن يجعلك سبباً لحياتها وهدايتها وكسب أجرها : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

واعلم أن بيان الحق والعمل به ونشره والدفاع عنه أمر لازم : ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ

﴿ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنفال/ ٤٢].

واعلم أنه إذا خالط الإيمان بشاشة القلوب،ومازج نوره لحم الإنسان ودمه،صار حياً حياة أخرى.

فأبصر بعد العمى .. وسمع بعد الصمم .. ونطق بعد البكم .. وذَكَر بعد الغفلة .. وأطاع ربه بعد المعصية : ﴿ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

واعلم أيها الحبيب أنك إن حييت هذه الحياة في الدنيا لم تمت أبداً إلا موتة النقلة من دار الدنيا إلى الدار الآخرة ، ثم تصير إلى حياة النعيم أبد الآباد في مُلك لا تستطيع أن تتوهمه ، فكيف تستطيع أن تصفه: ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

فإذا غارت النجوم ، ونامت العيون ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، فقم لمناجاة ربك الحي القيوم راكعاً وساجداً ، فإذا طلع الفجر فقل يا حي يا قيوم هذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فإن قبلت مني ليلتي فأنت الكريم ، وإن رددتها فأنت الغفور الرحيم : ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩].

فالزم رحمك الله باب الحي القيوم ، وقم بين يديه راكعاً وساجداً ، وباكياً وخاشعاً ، ولا تمل ولا تضجر حتى يفتح لك الفتاح العليم كل خير تصلح به حياتك في الدنيا والآخرة : ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر/ ٢].

واعلم أن من اتصل بالحي أحيا قلبه وروحه ولسانه وجوارحه بما يحبه ويرضاه ، وصرف عنه ما يضره وما لا ينفعه .

واعلم أن من أراد الحياة حقاً ، والسعادة حقاً ، والفوز حقاً ، فليتصل بربه عن طريق طاعته : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧١].

وكل من لم يتصل بربه الحي القيوم فهو ميت ، وحياته حيوانية لا آدمية : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [فاطر/ ١٩-٢٢].

ومن عاش لهواه وشهواته غافلاً عن ربه فإن الله لا يعبأ به ولا بعمله : ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف/ ١٠٥].

فاجعل حياتك لربك الذي جئت منه ، وتسكن في ملكه ، وتأكل من رزقه ، ثم تعود إليه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦٢-١٦٣].

وأكثر من ذكر هادم اللذات ، وبادر إلى التوبة ، فإنك بعد الموت سوف ترجع إلى ربك ، وسوف يجازيك بما عملت : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٨١].

ومن طاب قلبه طاب عمله ، وطاب مقامه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل/ ٩٧] .

وإنْ حُرِمت هذه الحياة في هذه الدار بقيْتَ فيها قليلاً بحياة تضاهي حياة البهائم والأنعام ، ثم تموت بعدُ موتة الكفر التي كنت فيها،ثم يبعثك ربك لا لإكرامك،بل ليجازيك بسوء أفعالك : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ [طه/ ٧٤-٧٥].

واعلم أن خشية الله إنما تحصل للعبد بالعلم النافع، وقوة اليقين، وكمال الإيمان، وحقيقة التوحيد، وذلك يثمر كل عمل صالح، وثواب من الرب جزيل، ونعيم من الكريم دائم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢] .

واعلم أن صلاح قلبك هو المراد منك وعليه مدار أمرك ففرِّغه لما أُمرت به ، واطلب صلاحه بكمال الإيمان والتقوى ، فجميع طرقك إلى ربك مفتقرة إليه ، ولا يتم شيء بينك وبين ربك إلا به ، فاملأه بالإيمان تجني منه أحسن الثمار والأعمال والأخلاق : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

﴿ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « أَلَا وَإِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ » متفق عليه [١].

واعلم أن الله حي قيوم فاعبده وحده لا شريك له ، ولا تعلق قلبك بغيره ، فالله يغار إن رأى قلبك مع غيره ، فلا تشغلك محبة غيره عنه.

ومن ضايقك فإنما ألهمه الله لتفك ارتباطك معه ، وتفر منه إلى ربك الحي القيوم : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

وتوجه بعبادتك للحي القيوم الذي يراك حين تقوم، وأخلص جميع أعمالك له، ولا تشرك معه فيها أحداً ، فإنك قادم عليه وراجع إليه ، فاختر ما يحبه ويرضاه تسعد ولا تشقى : ﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴿١١٢﴾ ﴾ [طه/ ١١١-١١٢] .

﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [نوح/ ٢٨].

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ » متفق عليه [٢].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم [٣].

« يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ ، وَلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ » أخرجه النسائي في الكبرى [٤].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ، ومسلم برقم (١٥٩٩) .

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له.

(٣) **أخرجه مسلم** برقم (٢٧٢٠) .

(٤) **صحيح**/ أخرجه النسائي في الكبرى برقم (١٠٤٠٥)، انظر السلسلة الصحيحة رقم (٢٢٧) .

القيــوم

قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) ﴾ [آل عمران / ٢] .

الله ﷻ هو الحي القيوم، القائم الدائم الذي لا يزول، القائم بنفسه ، الذي لا يحتاج في قيامه ودوامه إلى أحد.

وهو سبحانه القيوم الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع مخلوقاته، الذي افتقرت إليه جميع المخلوقات، فلا قيام لها إلا بإقامة الحي القيوم لها.

فهو الحي القيوم الذي خلقها ، وأحياها ، وأقامها ، ورزقها ، وحفظها وأبقاها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) ﴾ [فاطر / ١٥] .

وهو سبحانه الحي القيوم القائم بنفسه ، القيم لغيره ، القائم على كل شيء في بقائه وفنائه ، وحركته وسكونه ، ونفعه وضره.

هو القيوم الذي به قيام كل شيء ، الباقي الذي لا يزول ، القائم بنفسه ، القائم على كل نفس، القائم بالقسط : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) ﴾ [آل عمران/ ١٨].

هو القيوم الذي خلق المخلوقات كلها ، القائم بتدبير المخلوقات كلها من الجمادات والنباتات والحيوانات والبشر والجن والملائكة والأفلاك : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣) ﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

هو الحي القيوم القائم بتصريف الأحوال ، القائم برزق العباد وخلق أرزاقهم في كل حين ، فهم نائمون غافلون والأمطار تهطل ، والأنهار تجري ، والجذر ينمو ، والأشجار تثمر ، والأرض تنبت : ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢) ﴾ [عبس/ ٢٤-٣٢].

هـو الحـي القيـوم الـذي لا يقـع في الكـون شيء إلا بـأمره وإذنـه ومـشيئته مـن زلـزال أو إعصارأومطر أو فيضان ، أو غرق أو حرق أو هدم ، أو وباء أو مرض ، أو سلم أو حرب ، أو

حيـــاة أو مـــوت ، أو نـــصرٍ أو هزيمـــة : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فسبحان الحي القيوم الذي كل كل مخلوق وكل شيء وكل ذرة ملكه .

الكل شاهد أمام ربه ، ومستجيب لمشيئته ، ومسرع إلى إرادته ، وشاهد بوحدانيته ، ومسبح بحمده : ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود/ ٥٦].

وهو سبحانه القائم على كل نفس بما كسبت رقابةً وخلقاً ورزقاً وعلماً وتدبيرا.

وهوسبحانه القائم على الصراط المستقيم الذي هوالحكمة والعدل والإحسان ، الباقي بعد فناء كل شيء : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن/ ٢٦-٢٧].

فسبحان الحي القيوم الذي كل شيء قائم به،مستسلم له،خاضع لعزته، متصاغر لكبريائه، متذلل لعظمته، مسبح بحمده ، مطيع لأمره : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٤].

وهو سبحانه قيوم السموات والأرض،القائم للخلائق بجميع معاني وجودها،الحافظ لها، المصرف أحوالها، الحاكم لها ، الرحيم بها ، المالك لها وحده لا شريك له: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٨].

سبحانه حي قيوم لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، وكيف ينام وهو سبحانه القائم بجملة الخليقة ، وتدبير أمورها جملة وتفصيلا: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢] .

وقيام كل شيء بأمره ، وبقاء كل شيء بإذنه ، من صغير وكبير ، وعال وسافل ، فلو رفع عنه أمر البقاء لزال وانعدم فورا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر / ٤١] .

خلق سبحانه جميع المخلوقات ، وأبدعها على غير مثال سابق، وجعلها مظهراً لأسمائه وصفاته، شاهدة بتوحيده ، مسبحة بحمده، ثم سوف يفترق الجمع ، وتزول الآثار، ويبقى الله وحده لا شريك له: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[القصص/ ٨٨] .

فسبحان القائم بنفسه ، القائم بخلق الخلق ، القائم بقسمة أرزاقهم ، وتصريف أحوالهم ، وحشرهم وحسابهم: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم/ ٩٣-٩٥].

وهو سبحانه الحي القيوم الذي لكمال حياته وقيوميته لا تأخذه سنة ولا نوم، القائم بنفسه فلا يحتاج إلى غيره : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ ﴾ [آل عمران/ ٢] .

مالك الملك ، الذي لكمال ملكه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه.

العالم بكل شيء ، الذي لكمال علمه لا يعزب عنه مثقال ذرة .

سبحانه ما أعظم قدرته ، وما أعظم تدبيره لملكوته: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ۝٢٥ ﴾ [الروم/ ٢٥] .

هو القادر على كل شيء ، الذي لكمال قدرته خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض وما بينهما ، وخلق الدنيا والآخرة، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذنه وعلمه وإرادته .

وهوالسميع لكل صوت،الذي لكمال سمعه لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وهو البصير بكل شيء ، الذي لكما ل بصره لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٢٩ ﴾ [البقرة/ ٢٩] .

فسبحان الحي القيوم القائم على هذا الكون العظيم بكلياته وجزئياته في كل وقت، القائم على كل نفس بما كسبت : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥ ﴾ [مريم/ ٦٥] .

ومَنْ هذه صفاته ، وهذا خلقه ، وهذا ملكه ، وهذه قدرته ، هو وحده المستحق للعبادة وحده دون سواه ، وأهل أن يعبد ويطاع وحده لا شريك له : ﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ۝٣٣ ﴾ [الرعد/ ٣٣] .

واعلم وفقك الله لمعرفة حكمته أن الله لم يوجِد المخلوقات لمحض الفناء ، بل لتُعْرف عظمته وقدرته وعلمه ، وأسماءه وصفاته وأفعاله : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ۝١٢ ﴾ [الطلاق / ١٢] .

ولما أرى ﷻ الألباب والعقول عظيم قدرته على الإيجاد، ولطيف حكمته في إتقان

الصنع، وجميل فضله وإحسانه في العطاء، استأثر الحي القيوم بالملك والبقاء ؛ إظهاراً لعزة الربوبية ، وعظمة الملك والملكوت والجبروت.

ثم أفنى الحي القيوم الذي لا يموت تلك المخلوقات تفرقة بين عزته وذلتهم ، وبقائه وهلاكهم ؛ لأنه الملك الحي الذي لا يموت ، وهم المماليك والعبيد له، يفعل بهم العليم القدير ما يشاء: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج/ ١٨].

ثم هو ﷻ خلق المخلوقات العظيمة إظهاراً لكمال قدرته وقوته وعظمته ، ثم يفنيهم ويعيدهم تكميلاً لحكمته في خلقه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم/ ٢٧].

فسبحان الحي القيوم الذي ما شاء أبقاه إلى أمد، فإذا قطع عنه أمر البقاء أفناه.

وأمره ماض في كل مكان وزمان ، وكل موجود سواه فان : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣] .

وكل ما أريد به وجهه باق، وفاعله مكرَم غير مهان، ومالم يُرَد به وجهه فضائع، وفاعله باق في الهوان: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزخرف/ ٤٣-٤٤].

- **التعبد لله ﷻ باسمه القيوم :**

اعلم وفقك الله لما يرضيه أن مفتاح التعبد بكل اسم من أسماء الله الحسنى طلب علمه ، وفهم معناه، ومعرفة مجاريه في العالم العلوي والسفلي، وتتبع آثاره في المخلوقات حتى تبلغ درجة اليقين في الإيمان : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

واعلم أن من حق ربك عليك أن تعرف أسماءه الحسنى ، وصفاته العلى ، وتبصر القائم على كل نفس ، الذي قام كل شيء به ، وترى الحي القيوم الذي لا ينام أبداً.

فإذا عرفت ذلك قمت بين يدي ربك خاشعاً ذليلاً بالمحبة والتعظيم، وقضيت أوقاتك في طاعته،

واستعملت جوارحك في عبادته : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر / ٩] .

فسبحان من كل شيء له عابد، ولعزته خاضع ، ولرحمته راج ، ولإحسانه محتاج: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران / ٨٣] .

فارغب إلى مولاك الكريم بالقيام بحسن الطاعة، ودوام العبادة ، تنال الأجر الكبير: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧١].

واعلم رحمك الله أنك للبقاء خُلقت ولم تخلق للفناء ، وإنما تُنقل من دار إلى دار لتجزى بعملك، ثم تستقر في دار القرار حسب ما عملت في الجنة أو النار : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم/ ١٤-١٦].

فاعقل رحمك الله من أنت؟ وعبدُ من أنت؟ ولِمَ خُلقت؟ وما الذي يريد ربك منك؟ .

وإذا عرفت أن ربك هو الحي القيوم، وإليه تنتهي الأمور ، وعنده خزائن الأجور ، فاعمل له بكل جهد ، ولا تستبق منك باقية في العمل له بطاعته، فقد أعد الله لك بقاءً كريماً لا فناء بعده : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة / ٧٢] .

وقد أهّلك مولاك الكريم لأمر عظيم ، ومقام كريم ، وملك لا يفنى إن أطعته وعملت بما يحب : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر / ٥٤-٥٥] .

فأرضه بدوام ذكره وشكره وحسن عبادته ، فسيرضيك ويسترضيك : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾[الروم / ٦] .

وإن رغبت عنه وجعلته وراء ظهرك فاعلم أنك لابد باق في عذاب أليم لا يبيد ولا يفنى ، ولا يموت فيه الإنسان ولا يحيا: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

[هود/ ١١٢-١١٣] .

وتيقن أيها المسلم أن الخلود في الجنة العالية خير من الخلود في النار الحامية.

والبقاء غداً في النعيم المقيم خير من البقاء في العذاب الأليم : ﴿ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٠] .

والبقاء في جوار الرحمن ورضوانه خير من البقاء في النار وسخط الرب سبحانه : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة/ ١٨ – ٢٠] .

واعلم أن الله ﷻ ركَّب الإنسان على أربع صفات هي :

العقل .. والهوى .. والعفة .. والشهوة .

فالعقل يغالب الهوى ، والهوى يغالب العقل ، والعفة تغالب الشهوة ، والشهوة تغالب العفة : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان/ ٢-٣] .

وقد جعل الله لك بواسطة العقل والعفة وصدق اللجوء إلى الله سلطاناً على نفسك.

فإن كنت من حزب الله ، وقمت بطاعته ، واشتغلت بعبادته ، زادك معونة ، وأجزل لك المثوبة ، ونصرك على عدوك : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد/ ١٧].

وإنْ جَنَحْت إلى شهواتك،وآثرت هواك، وأبيت إلا مُضياً في مخالفة ربك ، وَكَلك إلى نفسك، وتخلى عن نصرته لك،ونسيك كما نسيته ، فتولاك الشيطان ، واستعملك فيما يسخط الرحمن.

فتنبه لنفسك ، وكن مع الصادقين ، واذكر ربك مع الذاكرين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر/ ١٨-١٩] .

واعلم حفظك الله أن الحكمة في الأمور هي سلَّم المؤمن إلى نجاته ، ومعراجه إلى ربه ، ومنال رضوانه ، فمن عَدِمها أو عَدِم العمل بها عَدِم القرب من ربه.

ومن لم يكن حكيماً محباً للحكمة التي أرسل الله بها رسله ، وأنزل بها كتبه ، وخلق بها خلقه ، لم يزل ينزل سفلا في أموره كلها: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ

﴿ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ١٢٧ ﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٧].

فسل ربك الكريم أن يرزقك الحكمة فإنه : ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩ ﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

وتوجه إلى ربك الكريم في جميع أمورك ، واضرع إليه أن يستعمل جوارحك في طاعته على ما يحبه ويرضاه، لا على ما تحبه وتهواه، واستقم له كما أمرك يكرمك بما وعدك.

واسأل ربك أن يعينك على ذكره وشكره وحسن عبادته ، وأن يغفر ذنوبك ، ويستر عيوبك، ويقطع عنك ما يقطعك عن طاعته ، ويصدك عما يصدك عن سبيله ، وقل : اللهم ﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥ ﴾ [الأحقاف/ ١٥].

واعلم أن الله يحب أسماءه وصفاته، ويحب أن يتحلى بها عباده على ما يحبه ويرضاه.

ويحب الحق ، والعمل بالحق ، والدعوة إلى الحق ، فعليك بدوام طاعته ، ولزوم سبل محابه ، ولا يصدنك عنه من أعرض عنه: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ ﴾ [الإنسان / ٢٤-٢٦] .

واعلم أن الله كما داوم عليك بإحسانه، وتابع عليك إنعامه، فداوِم أنت على ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته، ليديم عليك ذلك، ويزيدك من نعمائه: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧ ﴾ [إبراهيم / ٧] .

فكن قائماً على نفسك بحملها على طاعة الله ، واجتناب معصيته ، واستعمل جوارحك فيما يحبه ربك ويرضاه من العبادة ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى الخلق بالعلم والمال والبدن ، ومن أحسن في الدنيا أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة : ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠ ﴾ [الرحمن/ ٦٠].

وتوكل على الحي القيوم ، فلا ترى لنفسك ناصراً غيره ، ولا لعلمك معلماً غيره ، ولا لعملك شاهداً غيره ، ولا لرزقك خازناً غيره : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ ﴾ [التغابن/ ١٣].

واعلم أن من وقف لك ظالماً لك ، ثم انصرف عنك وأحسن إليك ، فالله نصرك به وسمح له أن يحسن إليك ، وألهمه قضاء حاجتك ، إما أنه خاف منك ، أو استحيا منك ، أو عطف عليك ، فاشكر من سلبه عداوته لك ، وسخره لقضاء حاجتك : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل/ ١٩].

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ .

أَنْتَ الحَقُّ،وَقَوْلُكَ الحَقُّ،وَوَعْدُكَ الحَقُّ،وَلِقَاؤُكَ الحَقُّ،والجَنَّةُ حَقٌّ،وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ. اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » متفق عليه [1].

اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضى ، وأسألك القصد في الفقر والغنى.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩).

السميع

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة / ١٢٧] .

الله ﷻ هو السميع الحق الذي يسمع جميع أصوات أهل السموات والأرض من جميع الجهات في آن واحد.

وهو السميع العليم الذي يسمع الأصوات كلها ، باللغات كلها ، في الأوقات كلها ، من المخلوقات كلها ، في آن واحد من كلها.

وهو السميع الذي يسمع كل شيء ، ولا يعزب عن إدراكه شيء وإن خفي ، سواء كان صوت نفس ، أو حديث نفس ، أو خاطر نفس .

هو السميع الذي يسمعك سواء جهرت أو أسررت ، فلا ترفع صوتك فإنه يعلم السر وأخفى ، خواطرك مكشوفة له ، وظاهرك وباطنك معلوم له.

قد استوى في سمعه خفيّ القول وظاهره، وسره وجهره: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

وهو السميع العليم الذي لا تشتبه عليه اللغات ، ولا تختلف عليه الأصوات ، ولا يُشغله سَمْع عن سَمْع : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى / ١١] .

فسبحان السميع البصير الذي يسمع جميع الأصوات من كل جهة، ومن كل مخلوق ، وبكل لغة، وفي كل وقت ، يسمع ذلك كله في آن واحد.

فيحمد كل شاكر .. ويغفر لكل مستغفر .. ويجيب كل سائل .. ويفرج كل مكروب .. وينصر كل مظلوم .. ويثيب كل محسن .. ويعاقب كل مسيء: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن/ ٢٩].

وهو السميع الذي يسمع جميع الأصوات في كل مكان وفي كل زمان في آن واحد.

يسمع تسبيح الملائكة كلهم ، ويسمع تسبيح الذرات والجمادات كلها ، ويسمع تسبيح النباتات والأشجار، ويسمع تسبيح الطير والحيوان ، ويسمع تسبيح الإنس والجن ، ويسمع

تسبيح كل مسبح في السموات والأرض: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور/ ٤١].

ويسمع ﷻ أصوات الرياح والعواصف، ويسمع أصوات الرعد والصواعق، ويسمع أصوات البحار والأنهار، ويسمع أصوات المياه والنيران، ويسمع جميع أصوات الجماد، والنبات، والحيوان، والإنس، والجن، والذرات: ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٣].

يسمع الكل في آن واحد، ولا يشغله سمع عن سمع، لأنه السميع العليم بكل شيء: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى/ ١١].

فسبحان السميع البصير الذي وسع سمعه الأصوات كلها.

فلو قام الإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات، ثم سألوا ربهم حاجاتهم في لحظة واحدة، وكلٌّ تحدَّث بلغته، لَسَمِعهم أجمعين، دون أن يختلط عليه سائل بسائل، أو لغة بلغة، أو صوت بصوت، أو حاجة بحاجة: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس/ ٦١].

بل يسمعهم ﷻ كلهم، ويقضي حاجاتهم جميعاً في لحظة واحدة، ولا ينقص ما أعطاهم من خزائنه شيئا: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن/ ٢٩].

فسبحان الغني الكريم الذي يعطي كل سائل، ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة مع كثرة الإنفاق.

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِركُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ في مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي لَوْأَنَ أَوَلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً.

يا عبادَي لو أنَ أَوَّلَكُمْ وآخِركُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُوني فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ » أخرجه مسلم (١).

هو السميع المجيب الذي يسمع نداء السائلين، ويسمع استغاثة المستغيثين، ويجيب دعاء

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

المضطرين : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل/ ٦٢].

هو السميع البصير الذي يراك ويسمعك في كل حال ، يراك حين تقوم وتنام ، ويراك حينما تأكل أوتشرب ، ويسمعك إذا أمرت أو نهيت ، أو سألت أو دعيت ، أو استغفرت أو حمدت ، أو ضحكت أو بكيت : ﴿ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٤].

هو السميع الذي يسمع كل ناطق وصامت ، ويسمع كل متحرك وساكن ، لا يشغله سمع عن سمع ، ولا يشغله دعاء عن دعاء ، ولا تشغله إجابة عبد عن عبد : ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن/ ٢٩].

يسمع كل نجوى ، ويكشف كل بلوى ، ويعلم خافية الأعين وما تخفي الصدور.

هو السميع الكريم الرحيم الذي يجيب من دعاه عند الاضطرار ، ويكشف محنته عند الافتقار ، ويرحم ضعفه عند الانكسار ، ويقبل زلته عند الاعتذار ، ويغفر زلته عند الاستغفار : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل/ ٦٢].

فسبحان السميع العليم البصير الذي يكشف بسمعه جميع حالات مخلوقاته وتنكشف بسمعه كمال صفاته ، وتنكشف له المسموعات انكشافاً تاماً في جميع ملكوته ، وإذا سمعت قوله فاعبده وحده لا شريك له : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

واعلم أنه لابد للإنسان أن يعلم أن ربه سميع عليم ليسمعه ما يحبه ويرضاه ، ويجتنب ما يسخطه ويبغضه : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٤٤].

وتوكل على السميع العليم وحده يغنيك عن كل أحد : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنفال/ ٦١].

واعلم أن الله يسمع ويرى ويثيب ويعاقب ، فإن كنت ترجو لقاءه فاعبده وحده لا شريك له : ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٥].

• التعبد لله ﷻ باسمه السميع :

إذا علمت أن الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم يسمع جميع أصوات الخلق في السموات

والأرض في آن واحد فأسمِعه ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأذكار ، والحمد والثناء ، والدعاء والدعوة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب / ٧٠-٧١] .

واعلم وفقنا الله وإياك لطاعته أن الله خلق لك السمع لتسمع به كلامه، وتفهم مراده، وتشكر إحسانه: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣ ﴾ [الملك/ ٢٣].

والناس مختلفون في الاستجابة لاختلاف السامع والمسموع.

فرب سامع خير من مريد شر كان عنه نجاته ، ورب سامع شر من مريد خير كان عنه هلاكه : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢ ﴾ [الإسراء/ ٨٢] .

واعلم أن من عرف أن ربه هو السميع البصير لم ينطق لسانه إلا بما يرضيه ، ولم تتحرك جوارحه إلا بما يحبه ، واستحيا من ربه في كل حال ، وراقب مولاه في كل قول أو فعل ، وحاسب نفسه على أقواله وأفعاله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ [الحشر/ ١٨].

واعلم أن الله لم يخلق الأذن للإنسان إلا ليسمع بها ما ينفعه من القرآن والعلم والخير ، فلا يليق به أن يسمع بها ما يضره ويسخط ربه من الإفك والبهتان والغيبة والنميمة وكل كلام سيء ، فاسمع قول الحق واحذر ما سواه : ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾ [الإسراء/ ٣٦].

واعلم رحمك الله أن السميع البصير الذي يسمع دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، سميع لأقوالك ، عليم بأحوالك ، شاهد لأفعالك.

فلا يسمع منك إلا ما يسرك يوم تلقاه من ذكرٍ له ، وتسبيح بحمده ، وشهادة بوحدانيته ، وتلاوة لكتابه آناء الليل وآناء النهار: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ ﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٢].

وأسمِعه ما يحبه ويرضاه من الدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت/ ٣٣].

وهذا وحده هو طريق النجاة والفلاح: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران / ١٠٤].

وإذا عرفت أن ربك هو السميع العليم فاحفظ نفسك أن يسمع منك ما يغضبه ويسخطه ، واحفظ لسانك من الكذب والغيبة والنميمة، و شهادة الزور ، والسب والشتم، وصنه عن الاستهزاء والسخرية بالناس، وفاحش الكلام وغير ذلك من الكبائر والصغائر : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) ﴾ [الحجرات/ ١١].

فكل ذلك سوف تحاسب عليه ، وتعاقب عليه ، فبادر إلى التوبة منه : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ﴾ [آل عمران/ ١٨١].

وأكثر من الدعاء بهذا الاسم العظيم فحريّ أن يستجيب الله لك ، وتوسل إلى الله به كما دعا به إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام فاستجاب الله لهما : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) ﴾ [البقرة/ ١٢٧] .

وكما دعت به امرأة عمران فاستجاب الله لها: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) ﴾ [آل عمران / ٣٥] .

وإذا نزغك الشيطان لتفعل سوءاً فاستعذ بالله منه ؛ ليدفع السميع العليم عنك شره: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) ﴾ [فصلت / ٣٦] .

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) ﴾ [آل عمران/ ١٩٣– ١٩٤].

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) ﴾ [البقرة/ ٢٨٥] .

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً ، وَفِي بَصَرِي نُوراً ، وَفِي سَمْعِي نُوراً ، وَعَنْ يَمِينِي نُوراً ، وَعَنْ يَسَارِي نُوراً،وَفَوْقِي نُوراً،وَتَحْتِي نُوراً،وَأَمَامِي نُوراً،وَخَلْفِي نُوراً،وَعَظِّمْ لِي نُوراً » أخرجه مسلم [(١)].

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي ، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي ، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي ، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي ، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي» أخرجه الترمذي والنسائي [(٢)].

---

(١) **أخرجه مسلم** برقم (٧٦٣) .

(٢) **صحيح/** أخرجه الترمذي برقم (٣٤٩٢) وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم(٥٤٥٥) .

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبداً ما أبقيتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا يا سميع الدعاء.

اللهم ياسميع الدعاء ، يا سامع كل صوت ، يا واهب السمع لكل سامع أسألك أن تهبني سمعاً أسمع به كل ما تحبه وترضاه إنك أنت العزيز الكريم.

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا إلى النار مصيرنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا ، يا أرحم الراحمين .

البصـير

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾ [غافر/ ٥٦].

الله ﷻ هو السميع البصير الذي أحاط سمعه وبصره وعلمه بكل أحد، ولا يحيط به أحد، ولا يدركه أحد: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

هو البصير الحق الذي يبصر كل شيء وإن دق وصغر، البصير الذي يبصر ويعلم جميع المخلوقات والمبصرات، والخفيات والنيات.

وهو سبحانه البصير الذي يبصر جميع ما في السموات وما في الأرض، وما عليهن وما بينهن، من صغير وكبير، وساكن ومتحرك، وناطق وصامت، وشاهد وغائب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحجرات/ ١٨].

ويبصر ﷻ ما تحت الأرضين السبع كما يبصر ما فوق السموات السبع: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه/ ١١٤].

ويرى سبحانه ما في جوف البحار المظلمة من المخلوقات والذرات كما يرى عرشه الذي هو مستو عليه: ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ [الملك/ ١٩].

وهو البصير الذي يبصر دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، ويرى مجاري القوت في أعضائها، ويرى جريان الدم في عروقها، ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة، كما يرى العرش العظيم: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٣﴾ ﴾ [سبأ/ ٣].

فسبحان الملك الحق المبين الذي يسمع ويرى كل ذرة في ملكه العظيم، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وليس له شبيه ولا مثيل في ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى/ ١١].

هو البصير الذي يبصر الأشياء كلها، البصير الذي يبصر المبصرات كلها، البصير الذي يرى المخلوقات كلها، البصير الذي يدرك الحقائق كلها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحجرات/ ١٨].

فسبحان البصير العليم بكل شيء ، البصير الذي يعلم المقاصد والنيات ، ويعلم سر الأقوال والأعمال ، ويعلم الأسرار والخفيات ، ويعلم ما في القلوب من الإرادات والنيات ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور : ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

هو البصير الذي وسع بصره جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي.

البصير الذي يرى كل ذرة ، وكل نية ، وكل حرف ، وكل رقم ، وكل خاطرة ، وكل خافية ، وكل ظاهر ، وكل باطن : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك/ ١٩].

وإذا عرفت هذا فاعلم رحمك الله أنه لما عسر على أبصار الخلق أن تدرك قرص الشمس في رابعة النهار، لامتناعها بشعاع ضيائها عن إدراك قرصها ، و هي خلق من خلقه سبحانه لا يدركها البصر، فكيف يدرك البصير الصغير ببصره الضعيف البصير الكبير سبحانه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٣] .

وكما لا تدركه الأبصار ﷻ كذلك لا تدرك كنهه البصائر، ولا تحيط بشيء من علمه إلا بما شاء: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

واعلم بأن كلام الله مسموع بالآذان،مفهوم بالأفهام،يُسْمعه من يشاء من عباده كما قال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء/ ١٦٤].

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « مَامِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ » متفق عليه (١).

لكن لا يدرك البشر كيفية كلام الرب سبحانه، وإنما يدركون أمره ونهيه تعالى أن يتكلم بكلامه أحد ، أو يعرف كيفية كلامه أحد ، أو يدركه بصر ، أو يحيط به شيء : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١] .

ومن آمن بربه في الدنيا وعبده كأنه يراه ، وسمع كلامه بواسطة كتابه الذي أنزله ، وعمل بما فيه ، فإنه يراه سبحانه في الآخرة عياناً ، ويسمع كلامه دون واسطة : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٣) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠١٦) .

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

فسبحان الإله الحق المبين الذي خلق الأشياء كلها، ودبرها أحسن تدبير.

خلق سبحانه الخلق لا من شيء بحكمته، وابتدعهم من غير حاجة لهم بقدرته، وأحاط بكل شيء عِلْمه، ورزَقهم من كل شيء بكرمه، ليدل على وحدانيته، وكمال قدرته، ويَرى خلقه آثار صُنعه، وعجائب حكمته، ونفوذ تدبيره في ملكه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وليعرف الخلق ما توحد به من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى، وما اختص به من القدرة، وما انفرد به من الملك والجلال والكبرياء، والعظمة والعزة، والتصريف والتدبير: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وإذا عرف الناس ربهم بأسمائه وصفاته أحبوه وعظموه، ثم عبدوه وأطاعوه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

● التعبد لله ﷻ باسمه البصير:

اعلم هداك الله لمعرفته أن الله بصير بالعباد، يعلم أفعالهم، ويقسم أرزاقهم، بصير بمن يستحق الهداية ممن لا يستحقها، بصير بمن تصلح حاله بالغنى، وبمن تفسد حاله بالغنى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء/ ٣٠].

وإذا علمت أن الله بصير بالعباد كلهم، يرى أعمالهم، ويسمع كلامهم، فعليك بالخضوع والذل له، وإحسان عبادته، ودوام المراقبة له، ولزوم طاعته، والبعد عن معصيته، فإنه يراك وإن لم تكن تراه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس/ ٦١].

واعلم أن الله أعطاك البصر لتبصر به مُلك ربك الكبير، ومخلوقاته العظيمة، ونعمه السابغة، وتقديراته النافذة، وآياته المنزلة؛ ليزيد نور الإيمان في قلبك، ويَعْظم جلال الرب في نفسك: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

واعلم يقيناً أن البصير الحق ﷻ يراك في جميع أحوالك فتزين له بالتقوى، وتقرب إليه بما يحب ويرضى من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء/ ٣٦] .

وأحسِن عبادة ربك العظيم ، والزم ذكره ، وسبح بحمده ، واشكر نعمه، واصبر على بلائه ، وقم بين يديه عابداً، وقم بين خلقه داعياً ومحسناً ، واشكره أنْ جعلك في قبضة اليمين فضلاً منه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾[التغابن/ ٢] .

وإياك أن يراك الله مصراً على معصيته ، فما كفر به أحد إلا من جهله بربه ، وجهله بأمره ، وجهله بنفسه ، وما قَدَر الله حق قَدْره من عصاه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾[يونس/ ٧-٨] .

فأبصِر رحمك الله مواضع النجاة ومواطن الهلاك ، وتعرَّف على ذلك من كتاب ربك العظيم، وسنة نبيك الكريم : ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

واعلم أن من علم أن الله يبصره ويراه عبد ربه كأنه يراه ، وأحبه وتولاه ، وخافه ورجاه ، واستحيا منه ، وتلذذ بمناجاته ، وسارع إلى طاعته ، وفر من معصيته : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾[الملك/ ١٢].

واعلم أن الله أكرمك بنعمة البصر لتبصر به المخلوقات العظيمة والآيات الكونية الدالة على عظمة ربك العظيم ، وتنظر به إلى آياته الشرعية الدالة على كمال علمه وعدله وإحسانه : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[الأعراف/ ١٨٥-١٨٦].

فتدبر القرآن ففيه الأخبار الصادقة ، والأحكام العادلة ، والأخلاق الحسنة ، والمؤمن حقاً من كان صمته فكراً ، ونطقه ذكراً ، ونظره عبرة: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء/ ٨٢].

واعلم أن البصير الذي خلق فيك السمع والبصر والعقل يبصرك في جميع أحوالك فأطعه ولا تعصه ، ولا تجعله أهون الناظرين إليك : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

واتق الله أن يكون السميع البصير القادر على كل شيء أهون الناظرين إليك.

واعلم أن من أخفى عن غير الله ما لا يخفيه عن الله فقد استهان بنظر القادر القاهر إليه : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

فاستح من الله على قدر قربه منك ، واشكره على قدر نعمه عليك ، وخف منه على قدر قدرته عليك، وأحبه على قدر إحسانه إليك : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد/ ١٦].

فيا من عصيت الملك الجبار في ملكه وسلطانه في خلوتك ، إن كنت ظننت أنه لا يراك فقد كفرت ، وإن كنت علمت أنه يراك فقد اجترأت ، فتب إلى ربك فإنه غفور رحيم ، وزين باطنك بالمراقبة ، وزين ظاهرك بالمحاسبة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر/ ١٨].

وإذا أردت أن تعصي ربك فاعصه في مكان لا يراك فيه ، أواخرج من سلطان ملكه ، وهذا وهذا محال حتى في الخيال : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾ [الحديد/ ٤-٥].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

« اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ ، كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » أخرجه مسلم [1].

اللهم أنت البصير بعيوبي ، الخبير بذنوبي ، المطلع على سري ، وبيدك زمام أمري ، اجعل في قلبي نوراً حتى أعبدك كأني أراك .

اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي ، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي واستر عيوبي ، ورضني بما قسمت لي يا أرحم الراحمين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦) .

العلي .. الأعلى .. المتعال

قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج / ٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾ [الأعلى/ ١].

وقال الله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٩].

الله ﷻ هو العلي الأعلى الذي علا فوق كل شيء بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

هو الأعلى الذي أحاط علمه بكل عال وسافل من مخلوقاته، ووسع ملكه كل شيء في ملكوته : ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٦-٨] .

وهو ﷻ العلي الأعلى بذاته وأسمائه وصفاته ، تعالى عن كل صفة لا تليق بجلاله ، وتعالى أن يشبهه أحد من خلقه ، وتعالى أن يشبه أحداً من خلقه ، وتعالى أن يدرك أحد كماله ، وتعالى أن يحيط بجلاله وجماله وسلطانه أحد : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى/ ١١].

هو العظيم المتعالي عن إفك الأفّاكين ، وافتراء المفترين ، وتوهم المتوهمين ، ووصف الجاهلين ، لا إله إلا هو : ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٩٢].

هو العلي الأعلى الذي علا فلا تُدرك ذاته ، ولا تُتصور صفاته.

هو العلي الذ ي تاهت الألباب أن تحيط بجلاله ، وعجزت العقول عن أن تحيط بجماله ، وعجزت الأبصار أن تدرك ذاته : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

هو العلي الأعلى الذي كل شيء تحت قدرته وقهره وسلطانه ، هو العلي المتعالي عن الأضداد والأنداد : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم/ ٦٥].

فسبحان العلي العظيم الذي علا بذاته وأسمائه وصفاته عن مدارك خلقه ، الأعلى الذي علت عن الإدراك ذاته ، وكبرت عن التصور صفاته : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

واعلم أن الله كبير قبل أن نكبره ، وعظيم قبل أن نعظمه ، وخالق قبل أن يخلقنا ، ورازق قبل أن يرزقنا : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١١٦].

والله أكبر مما نعرف ، وأعظم مما نعرف ، وأقوى مما نعرف ، وأجمل مما نعرف ، فمهما عرفنا من قوته فهو أقوى ، ومهما عرفنا من رحمته فهو أرحم : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

فسبحان من لا بداية ولا نهاية لعظمته وكبريائه وجلاله وجماله : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥].

وهو سبحانه العلي الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه:

له علو الذات .. وعلو الصفات .. وعلو القدر .. وعلو القهر.

فهو العلي بذاته على جميع مخلوقاته ، الأعلى الذي استوى على أكبر وأعظم مخلوقاته وهو العرش العظيم بأعظم الصفات وهي الرحمة كما قال ﷻ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه/ ٥].

وهو العلي علو قدر، فهو العلي العظيم بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨] .

وهو العلي علو قهر، فهو العلي القاهر فوق عباده، الذي قهر كل شيء، الذي دانت له المخلوقات بأسرها، فلا يتحرك ولا يسكن شيء إلا بإذنه وعلمه وإرادته: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٤] .

وهو سبحانه الكبير المتعال عن كل نقص وعيب وسوء، رفيع الدرجات، المستحق لأعظم درجات التعظيم والمدح والثناء الذي: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الشورى/ ٤-٥].

وهو سبحانه العلي الأعلى ، الذي جعل أولياءه هم الأعلون في الدنيا والآخرة ، وجعل لهم الجنة في السماء في أعلى عليين: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ ﴾ [الغاشية / ٢ – ١١] .

وأصحاب عليين هم جلساء الرحمن على منابر من نور ، في أرفع الدرجات علواً وسمواً في مقعد الصدق عند الملك الحق: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤– ٥٥].

وجعل سبحانه الكفار والمكذبين في سجين في أسفل سافلين ، وهي مقر سجنهم تحت الأرض،خالدين فيها لا يخرجون منها أبدا : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [المطففين/ ٧].

فسبحان العلي الأعلى الذي علا وملك وقهر كل شيء ، المتعال الذي له الخلق والأمر وحده لا شريك له.

أكرم من أطاعه ورفعه في أعلى عليين، وأهان من عصاه في أسفل سافلين : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [التين/ ٤–٨] .

والله ﷻ هو العلي الأعلى ذو المعارج الذي تعرج الملائكة والروح إليه صعودا: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ ﴾ [المعارج / ٣– ٤] .

وهو العلي الأعلى الذي ينزل الملائكة بالروح من أمره: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ [النحل / ٢] .

فسبحان العلي الذي جعل لكل روح معراجا، ولكل عمل معراجا، ولكل أمر معراجا.

وسبحان العلي القدير الذي يملك التصريف والتدبير، الذي خلق المعارج والمنازل، فأمْره نازل أبدا، وصاعد أبدا، لا إله إلا هو العلي العظيم: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الحديد / ٤].

هو العلي العظيم الذي خلق الملائكة، وعَمر بهم السموات السبع، وجبلهم على السمع والطاعة أبدا ، وسماهم الملائكة لفعلها ؛ لأنها تملك الملكوت ، وتجيد ملكه ، وتدبر الأمر بإذن ربها ، وتبلغ الوحي إلى الرسل ، كلٌّ مطيع ربه لا يعصيه ، وكلٌّ متوحد بعمله لا يتعداه إلى سواه : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم / ٦] .

وهم مجبولون على الطاعة لربهم، ومنزلتهم في طاعتهم لربهم كالحواس الخمس في بني آدم ، لا معصية عندها لحاملها ، ولا تحاسد بينها في مراتبها.

كلٌّ متوحد بعمله ، مع التسبيح والتقديس لربهم العلي العظيم.

فمنهم القائم أبداً، ومنهم الراكع أبداً، ومنهم الساجد أبداً ، ومنهم الذاكر أبداً ، ومنهم القائم بأمره أبداً: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ ﴾[الأنبياء/ ١٩ – ٢٠] .

فسبحان العلي بذاته وأسمائه وصفاته، العليم الذي لا تخفى عليه ذرة من ملكه.

- **التعبد لله ﷻ باسمه العلي :**

اعلم رحمك الله أن مفتاح التعبد بأسماء الله الحسنى طلب علمها ، وفهم معانيها ، فتوجه إلى ربك الكريم ، واسأله أن يطلعك على أعلى درجات ذلك، فإنه جل جلاله العلي الأعلى ، المتعالي بالمجد والمحامد والسناء والبهاء ، والأسماء الحسنى ، والصفات العلى: ﴿ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧ ﴾ [الروم/ ٢٧] .

وإذا عرفت أن ربك هو العلي العظيم فعظِّمه بقلبك ولسانك وجوارحك، ووحِّده بأسمائه وصفاته وأفعاله، ونزهه عن كل مالا يليق بجلاله، واعبده بما شرعه وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

وإذا عرفت ذلك وأبصرته بقلبك فارجع النظر إلى نفسك تنكشف لك حقيقتها، ويتبين لك ضعفها ، وسفال درجتها ، ومقدار جهلها : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾ [يوسف/ ٥٣].

واعلم أن الله وحده هو العلي العظيم ، والنفس البشرية مفطورة على حب الأعلى والأكمل والأحسن ، وفيها تطلُّع إلى من له الكمال المطلق ، وهي تسعى تريد الأعلى والأحسن ، وفيها فراغ لا يملؤه إلا معرفة العظيم الأعلى ، الله ذو الجلال والإكرام.

فإذا عرفته اطمأنت به ، ورضيت بتدبيره ونالت ثوابه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

واعلم أن من عرف الله حقاً عرف أنه عبده حقاً فعبده حقاً : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد/ ١٩].

فسبحانه من رب ما أعظمه ، وسبحانه من إله ما أكرمه ، له ما في السموات وما في الأرض ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ ﴾ [الحشر/ ٢٢].

هو العلي الأعلى في ذاته وأسمائه وصفاته ، القوي الذي كل الكون أثر من آثار أفعاله وقدرته وإرادته : ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ [الشورى/ ٣-٤].

وإذا عرفت أن ربك هو العلي الأعلى بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله فاخضع له يرفعك ، وتذلل له يعزك ، وافتقر إليه يعطك ، واستغفره يغفر لك ، واستنصره ينصرك : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

واعلم أن فوق كل ذي علم عليم ، وفوق كل كبير أكبر ، وفوق كل غني أغنى ، وفوق كل كريم أكرم ، فكن مع العلي يرفعك ، وكن مع القوي يقويك ، وكن مع الهادي يهديك : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

وتذلل رحمك الله لمولاك ، وتواضع لربك العظيم الكبير المتعال ، وتخلَّق بمعالي الأمور ، وكن سبباً لرفع الناس من الأسفل إلى الأعلى من الأقوال والأعمال والأخلاق ، ورفعهم من الشرك إلى التوحيد ، ومن الرذائل إلى الفضائل ، واسبق ما سواك إلى ما يرضي مولاك : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء/ ١٢٥].

وتقرَّب إلى ربك العلي الأعلى بكمال الخشوع والخضوع ، والإكثار من الركوع والسجود ، مستشعراً عجزك وضعفك،وصغر قدرك،وسفال منزلتك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج / ٧٧] .

وإياك والعلو والتعالي، وحب ذهاب الصيت والذكر بين الناس : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان/ ١٨-١٩].

والزم التواضع في جميع أمورك لتنال رحمة الله: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص/ ٨٣] .

ثم راجع العمل فيما بينك وبين الله بطلب معالي الأخلاق والأعمال ، والتحلي بمقتضى أسمائه وصفاته ، على ما يحب من ذلك ويرضاه : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وسارع إلى الخيرات ، وتفرغ للباقيات الصالحات ، ونافس في أعلى الدرجات من ذلك تنال أعلى الدرجات: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد/ ٢١].

وارض رحمك الله باليسير من عطائه يرضى عنك باليسير من العمل.

واعْلُ بهمتك صُعُداً إلى التقرب إلى الله والتَّعبد له بمعاني أسمائه وصفاته ، ليكون ذلك وصفاً لك عنده ، فإنه سبحانه يحب معالي الأخلاق والأعمال ويكره سفاسفها : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل/ ٩٠].

وارغب إلى ربك أن يرفع ذكرك عنده ، ويعلي درجاتك، وأن يرزقك حسن عبادته، ودوام ذكره، لتكون مع الصفوة المختارة في الرفيق الأعلى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء/ ٦٩ — ٧٠].

وسبح بحمد ربك العظيم ، وسبح باسم ربك الأعلى، فكل المخلوقات تسبح بحمده، وتطيع أمره: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان ربي الأعلى العلي المتعال الذي يصعد إليه كل الكلم الطيب والعمل الطيب من الذكر، والدعاء ، والعمل الصالح : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر/ ١٠].

هو العلي العظيم ، القوي القادر الذي يدبر الأمر في السماء والأرض.

فيرحم هذا ، ويغيث هذا، ويعطي هذا ، ويمنع هذا، وينصر هذا ، ويخذل هذا، ويشفي هذا ، ويفرج كرب هذا، ويعز هذا ، و يذل هذا ، ويأمر هذا ، وينهى هذا: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن/ ٢٩].

فاحرص رحمك الله ألا يصعد منك إلى ربك إلا ما يحبه ويرضاه.

وانظر إلى ما تمليه على الملائكة الكرام الكاتبين، وما تجالس به رقيبك الحق المبين ، وما تُوْدعه في صحفك في ليلك ونهارك: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار/ ١٠-١٢].

واعبد ربك العظيم ، وأحسِن الاقتداء بالربانيين الطاهرين، وتأدب بآداب الملائكة المكرمين الذين: ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء / ١٩-٢٠] .

واستح من حفظتك الملازمين لك، ثم من الكرام الكاتبين لأعمالك.

واعلم أنه إذا كان يجب عليك الحياء من فعل قبيح أمام ملائكة رب العالمين، والاستباق إلى كل عمل صالح، فكيف لا تستحي من الملك العلي العظيم، والشاهد الكبير جل جلاله، فتعصيه بنعمه عليك وهو يراك: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر / ٦٧] .

بل كم من الشاهدين غيرهم لك أو عليك ، وكم الناظرين إليك ، وكم السامعين لك من الجن والأرواح والمخلوقات التي لايعلمها ولايحصيها إلا الله الذي أحصى كل شيء عددا ، وأحاط بكل شيء علماً .

وكفى بالله شهيداً لو كنت تخاف وتستحي ، وتعقل وتوقن : ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾ [البروج/ ٩] .

واعلم أن الله خلق الملائكة الكتبة والحفظة وغيرهم من جنود الله، وخلق الشياطين والعفاريت والمردة الذين يرونك من حيث لا تراهم.

وهؤلاء وهؤلاء من عالم الغيب ، ولهم آثار وأعمال وأحوال.

فالملائكة يُسَرّون بطاعتك، وتضايقهم معصيتك ، فيستغفرون الله لك : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر/ ٧] .

والشياطين يفرحون بمعصيتك، وتحزنهم طاعتك، فيكيدون لك ليجروك معهم إلى جهنم فاحذرهم: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٧].

فكل أحد معه قرينه من الملائكة، وقرينه من الجن، والكل ملازمون له : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الانفطار/ ١٠-١١].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « مَامِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الجِنِّ » ، قَالُوا : وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : « وَإِيَّايَ ، إِلَّا أَنَّ الله أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ »أخرجه مسلم [1].

واعلم أن للجن سلماً دون السماء الدنيا لاستراق السمع ، وهو في مقابلة المعراج للروح والملائكة ، فإذا استرقوا السمع أرسل الله عليهم شهباً تحرقهم كما قال الله عنهم: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن/ ٨-٩].

فلا إله إلا الله العلي العظيم الذي خلق جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، وبسط ملكه على جميع مماليكه، وأظهر لهم أسماءه وصفاته بآياته ومخلوقاته:

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾[الرعد/ ٩] .

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾[الفرقان/ ٧٤].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[البقرة/ ٢٠١].

« اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » أخرجه مسلم [2].

اللهم يا علي يا عظيم ، يا غفور يا ودود ، يا ذا العرش المجيد ، أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ملجأ كل خائف ، ومعطي كل سائل ، ومجيب كل مضطر ، ومفرج كل كرب ، وقاهر كل قاهر .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٤) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦).

الكبير .. المتكبر

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٩-٣٠].

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر / ٢٣].

الله جل جلاله هو الكبير المتعال الذي كل شيء دونه، الكبير الذي لا أكبر منه، الأكبر الذي كل ما سواه أصغر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر / ٦٧].

وهو سبحانه العلي الكبير، ذو العظمة والجلال والكبرياء، الكبير وحده لا شريك له، الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته، الكبير الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، الكبير الذي ليس كمثله شيء: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

فسبحان الرب الكبير الأكبر المتكبر ذو العظمة والكبرياء، والجلال والجبروت، الذي لا تُعرف معاني أسمائه وصفاته إلا ببصائر القلوب، وأما أبصار الرؤوس فإنما تقع على الأماكن والمخلوقات التي تدل على جلاله وجماله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو الكبير وحده لا شريك له، الكبير الذي له الكبرياء والعظمة، وله صفات الجلال والجمال، وبيده ملكوت كل شيء، الذي له الخلق والأمر، الذي جميع مخلوقاته شاهدة بوحدانيته، وخاضعة لأمره، ومستجيبة لمشيئته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

هو الكبير وحده لا شريك له ، هو الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته ، هو الكبير في ملكه وسلطانه ، هو الكبير وحده وكل ما سواه صغير : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٣٠].

هو سبحانه الكبير الذي كبر عن مشابهة المخلوقات ، فهو أكبر من أن يشبه خلقه ، وأكبر من أن يشبهه أحد من خلقه : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

هو سبحانه الأكبر وحده لا شريك له ، أكبر من جميع مخلوقاته ، أكبر من كل شيء ، أكبر مما عرفت ، أكبر مما تخيلت ، أكبر مما تظن ، أكبر مما تصور.

فمهما تصورت أو تخيلت ذاته أو صفاته فهو أكبر مما تظن أو تتصور ، وكل ما خطر ببالك من جلال الله وجماله وكبريائه فالله أكبر من ذلك : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

هو سبحانه الكبير ذو الكبرياء ، والكبرياء كمال الذات والأسماء والصفات ، وكما الذات هو كمال وجود الرب الحي القيوم الذي لم يسبقه عدم ، ولا يلحقه زوال : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

واعلم أن معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله من أعظم الواجبات : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

هو الكبير الذي ليس لكبريائه نهاية ، العظيم الذي ليس لعظمته نهاية ، الكريم الذي ليس لكرمه نهاية ، الحي الذي ليس لحياته نهاية ، العليم الذي ليس لعلمه نهاية.

هو الملك الكبير العظيم الذي لا يزول سلطانه ، العزيز الجبار الذي لا يجري في ملكه إلا ما يريد ، المتكبر الذي ليس لملكه زوال ، الملك الذي بيده الملك والإحسان والرحمة والغفران ، الكبير الذي له الملك كله ، وإليه يرجع الأمر كله : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود/ ١٢٣].

هو الكبير المتكبر الذي تكبر عن ظلم الخلق ، المتكبر الذي انفرد بالكبرياء والملك

والملكوت والعظمة والجبروت : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

فسبحان الكبير المتكبر المتعالي عن صفات الخلق ، الذي تكبر عن كل نقص ، وترفَّع عن كل عيب ، وتنزه عن كل ما لا يليق بجلاله : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٣].

واعلم أن الكبرياء لله أكمل من العظمة ؛ لأنه يتضمنها ، ويزيد عليها في المعنى ، فالكبرياء رداؤه ﷻ ، والعظمة والعزة إزاره ، والرداء أكبر من الإزار.

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ : « الْعِزُّ إِزَارُهُ ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ » أخرجه مسلم (1).

والله ﷻ هو الكبير الذي له الكبرياء في السموات والأرض، وله الحمد والمجد والثناء من جميع الوجوه، له الخلق كله، وله الأمر كله، وله الملك كله .

فلله الحمد والشكر، وله العز والمجد فاذكره وكبره كبيراً : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء/ ١١١] .

فسبحان الرب الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الذي من كبريائه وعظمته أن الأرض قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، ذلكم الله ربكم : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٩].

ومن كبريائه أن كرسيه وسع السموات والأرض ومن كبريائه أن نواصي جميع الخلق بيده: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٢ - ٦٣] .

ومن كبريائه وعظمته أن العبادات الصادرة من أهل السموات والأرض المقصود منها تكبيره وتعظيمه ، وإجلاله وتقديسه، وتحميده وتسبيحه، ولهذا كان شعار العبادات الكبار (الله أكبر) كالأذان والإقامة والصلاة والحج وغيرها : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء/ ١١٠-١١١].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠) .

• التعبد لله ﷻ باسمه الكبير :

اعلم وفقك الله لمعرفته وحسن عبادته أن كبرياء الله وعظمته وجلاله لا تحيط بها العقول ، ولا تتصورها الأفهام،ولا تدركها الأبصار والأفكار ، فالله أكبر وأعظم من ذلك كله : ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحج/ ٧٤].

واعلم أن معرفة الله ﷻ بحر لا نهاية له ، ومعرفة الإنسان عن ربه بل البشرية كلها لا تساوي بلل مخيط غمس في البحر : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

سبحانه لا إله إلا هو ، لا نهاية لعظمته وقوته وعلمه ، ولا نهاية لجلاله وجماله ، ولا نهاية لملكه وسلطانه ، فإذ تكبر فلأنه يعلم أن له وحده الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، ويعلم أنه الكبير وحده لا شريك له ، وأنه العظيم وحده ، وأنه الخالق وحده : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

واعلم أن المتكبر صفة كمال لله ﷻ ، والمتكبر صفة نقص للإنسان ، فسبحان العزيز الجبار المتكبر ، ورحم الله امرءاً عرف نفسه فوقف عند حده : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

والله ﷻ هو الكبير وحده لا شريك له ، والنفس البشرية مجبولة على حب الكريم ، ومفطورة على تعظيم الكبير ، والتعلق بالعظيم الذي كمل في جلاله وجماله ، وليس ذلك لأحد إلا لله العلي الكبير : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يجالس العلماء ، ويصاحب الحكماء ، ويخالط الكبراء في دينهم وعلمهم وأخلاقهم وتقواهم ليستفيد منهم : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف/ ٢٨].

والعاقل يكثر من صحبة من هو أكبر منه ليستفيد من علمه تارة ، ومن أدبه تارة ، ومن حكمته تارة : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨].

واعلم أن الكبير من الناس من عرف ربه الكبير حق المعرفة ، وعرف أحكامه الشرعيه ، وعبد ربه واتقاه بموجب تلك المعرفة : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

فالكبير من الناس من كان كاملاً في نفسه بالإيمان والتقوى مكملاً لغيره بالإيمان والتقوى ، عالم في نفسه معلم لغيره ، فمن سرى علمه وخُلقه وإحسانه إلى الناس فهو الكبير من الخلق ، الرابح من البشر : ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر/ ١-٣].

واعلم أن حمد الله نفسه، وإجلاله نفسه، وإكباره نفسه، وإعزازه نفسه، وإعلاءه نفسه، وتقديسه نفسه ، كل ذلك منه ﷻ حق وصدق وعدل لا ريب فيه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة/ ٢-٥] .

وصف نفسه ﷿ بما هو عليه من الجلال والجمال وبما هو أهله من التوحيد والعبادة : ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝١١٤ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١١٥﴾ [الأنعام/ ١١٤-١١٥].

هو العلي الكبير الذي مَلَك فرحم، وحَكَم فعدل ، وقدر فقهر، وسُئل فأعطى، وخلق فسوى ورزق الخلائق ، وفرَّج الكُرب ، وأغاث من استغاث: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر/ ٢٣-٢٤] .

قال ﷻ الحق وفَعَله ، وتفضل به على عباده وحده ، وصدق وعده .

وما استعبد به خلقه من ذلك فهو من إحسانه إليهم ، ومَنّه عليهم ، ونعمة أنعم بها عليهم ، فيجب عليهم شكرها ، والقيام بحقها : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

فحقت عليهم بذلك حسن عبادته بالقلوب والجوارح وحده ، تعظيماً لشأنه ، وشكراً له على إحسانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

وحق عليهم إشغال قلوبهم بحبه وتعظيمه وتكبيره ، وتفريغها من كل ما سواه وملئها بما يحبه ويرضاه ، وإشغال ألسنتهم بذكره وتكبيره وحمده وشكره : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

وذلك أوجب لهم القرب منه لقربهم من صفاته و طلبهم في ذلك سبل مرضاته في الاتصاف بصفاته: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤- ٥٥].

وأما خدمة الجوارح واستعمالها بوظائف الأعمال الصالحة فقد أوجب لهم بذلك الجنة ، والنجاة من النار، لإجهاد أنفسهم فيما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢] .

فالتعبد حقاً باسم الله الكبير يكون بالتصاغر لكبريائه، والانكسار بين يديه، والمسارعة إلى طاعته، وعدم الاستكبار عن أوامره، والحياء من معصيته، هذا في الباطن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك/ ١٢] .

وأما التعبد به في الظاهر فيكون بتكبيره وتعظيمه، وتوحيده وحمده وتسبيحه، وسجود الأعضاء له، وتمريغ الوجوه في التراب ذلاً بين يديه، وذرف الدموع حياء وصغاراً وخشوعاً

بين يديه، ومجانبة كل مكروه إليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج / ٧٧].

واعلم أن صفة الكبرياء لله من أعظم الصفات، ولهذا كان الكبرياء رداءه ﷻ، فكان استشعار صغر قدر النفس وضعفها في التعبد أمام ربها وافتقارها وذلها بين يدي ربها الكبير آثر شيء في العبادة، وأكثره غناءً، وأعظم قربة إلى الكبير سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون/ ٥٧-٦١].

ولهذا كان ثوابه يوم القيامة إكبار قدر العبد، وإكبار منزله، وإكبار نعيمه، وقربه من ربه الكبير الذي كبّره وعظمه في الدنيا، في مُلك كبير من المَلك الكبير ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ٢٠ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ٢٢﴾ [الإنسان / ٢٠ – ٢٢].

وكان عقابه ﷻ لمن كفر به المقت، والإعراض عنه، وإهانته، وتصغير قدره: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١﴾ [المؤمنون/ ١٠٨-١١١].

فصغَّر ﷻ أجسام المستكبرين عن عبادته، يطؤهم الناس بأقدامهم في المحشر إهانة لهم.

وكبَّر أجسامهم في النار لينالوا من العذاب أكبره وأشده: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤﴾ [الأنعام / ١٢٤].

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أوعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، يا أرحم الراحمين.

وإذا عرفت أن ربك هو الكبير المتكبر لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله فعليك أن تطيعه وتعبده، وتعرض عن كل ما سواه، وتُلزم نفسك التصاغر والتذلل للعزيز الجبار المتكبر: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم/ ٦٥].

واعلم أن من أطاع المخلوق وعصى الخالق فما قال الله أكبر بقلبه ، ومن ترك الصلاة واتبع الشهوات فما قال الله أكبر حقيقة ، ومن أرضى المخلوق وأسخط الخالق فما عرف قدر الأكبر : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج/ ٦٢].

وإياك أن تخالف أمره وتستكبر عن عبادته فتشقى في الدنيا والآخرة: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر/ ٦٠].

وما قَدَر الله حق قَدْره من كفر به، أو أشرك معه غيره، أو صرف العبادة لغيره ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل ، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً، ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً ، وترَكَ الخضوع والذل للرب العلي الكبير الخلاق العليم: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النحل/ ١٧-٢٢].

فاخضع لربك الكبير المتعال بتذلل وصغار وانكسار تكن من المصطفين المكرمين الأخيار :
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك/ ١٢] .

وكن كبيراً في توحيدك وإيمانك وأعمالك الصالحة ، وكن كبيراً في الصدق والصبر والإحسان ومكارم الأخلاق .

وإياك والكبر فإنه أصل أخلاق الشر كلها ، فلا يظهر منك في قول ولا فعل ولا في هيئة ولا في خُلق : ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان/ ١٧-١٩] .

واعلم رحمك الله أن الكبر منك منه ماهو محمود ومنه ما هو مذموم:

فالمحمود منه : التكبر على أعداء الله المعاندين ، والتكبر عن المعاصي والرذائل .

والمذموم منه: الاستكبار عن طاعة الله ورسوله، والاستكبار عن عبادة الله، والاستكبار

عن طاعة من تجب طاعته، و التكبر على الناس : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأعراف/ ٤٠-٤١].

واعلم أن تصاغرك بين يدي ربك شرفك عنده، وتصاغرك لمن تجب طاعته في الله طاعة لربك، وزَيْن لك عند الله وعند الناس وعنده : ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [السجدة/ ١٥].

وتصاغرك لذي دنيا لدنياه هَدْم لدينك، وتصغير لقدرك عند الكبير المتعال: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود/ ١١٢-١١٣].

واعلم أن مَنْ غَمَط الناس ازدراهم ، ومن ازدراهم رد الحق على قائله، و هذا أصل العصيان كله ، وعذابه أشد العذاب كله : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النحل/ ٨٨].

فإياك أن ترد الحق على قائله الذي أوصله إليك فتكون فيك الصفات التي لعن الله إبليس من أجلها كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة/ ٣٤].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ » قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ : « إِنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ ، الْكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ » أخرجه مسلم [1].

وإياك أن تنظر إلى أحد من خلق الله بعين الاستكبار والاستصغار والاستهزاء والاحتقار فذلك فسق وظلم يجب التوبة منه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات/ ١١].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١) .

وعليك بالتواضع والإحسان ، واحذر الفخر والعجب والبطر ، وجانب الكبر كله وما تولَّد منه تسلم وتغنم وتؤجر: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[لقمان/ ٢٢-٢٤].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران/ ٨].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف/ ٢٣].

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ » أخرجه مسلم [1].

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ مِلْءُ السموات ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالمَجْدِ ، لَا مَانِعَ لمِاَ أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لمِاَ مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ » أخرجه مسلم [2].

اللهم يا بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا ذا الجبروت والكبرياء ، يا ذا العزة التي لا ترام ، ارحم ضعفنا ، واجبر كسرنا ، واختم بالصالحات أعمالنا ، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، يا أرحم الراحمين .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .
(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٧١) .

العظيم

قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤ ﴾ [الشورى / ٣ – ٤] .

الله ﷻ هو العظيم وحده لا شريك له، العظيم الذي لا أعظم منه، العظيم لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، والمثل الأعلى.

هو الرب العظيم الذي خلق الخلائق كلها، ودبر الأوامر كلها: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٥٤ ﴾ [الأعراف / ٥٤] .

هو العظيم في ذاته، العظيم في أسمائه، العظيم في صفاته، العظيم في أفعاله، العظيم في ملكه وسلطانه، العظيم في خلقه وأمره، العظيم في دينه وشرعه، العظيم في ثوابه وعقابه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥ ﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

وهو سبحانه العظيم الذي تفرد بالعظمة والجلال والكبرياء ، وتوحد بالعزة والجبروت، والملك والملكوت : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٦ ﴾ [آل عمران / ٢٦] .

وهو سبحانه الإله العظيم الحق الذي يعظمه خلقه ويحبونه ويرجونه ويخافونه، الرب الذي يجب أن تكون جميع أنواع العبادة له، لكمال أسمائه وصفاته، وعظيم نعمه وإحسانه: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ ﴾ [يونس / ٣] .

وهو سبحانه العلي العظيم المستحق لنعوت الجلال والجمال والتعالي، الخالق لكل شيء، المالك لكل شيء، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، القاهر لكل شيء، القريب من كل شيء ، الحافظ لكل شيء ، الذي لا يعجزه شيء ولا يفوته شيء: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ۝١٢ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

له وحده الكمال المطلق من كل وجه، وله الملك المطلق من كل وجه ، وله الغنى المطلق من كل وجه ، وله الإحسان المطلق من كل وجه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٥-٨] .

وهو سبحانه العظيم الذي له الشرف والسؤدد ، والمجد والكبرياء ، العظيم الذي له العزة والغنى، والعلو والقهر، والإحسان والإنعام: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر / ٢٣ – ٢٤] .

فالعظيم اسمه ، والتعظيم حال المعظِّم له ، يعظمه عبده حين يشاهد معاني عُلاه وكبرياءه وعظمته ، فَيُجِلّ قلبه ربه إكباراً له ، وتعظيماً له ، وهيبة له ، ويتعلق به وحده دون سواه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى/ ١٠-١٢].

هو العظيم الذي خلق عظائم المخلوقات ، وصوَّرها كيف شاء ، ودبرها بأمره ، وأمسكها بقدرته ، وحركها بمشيئته ، وحكَمها بقهره : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

خلق العرش العظيم، والكرسي الكريم، والشمس والقمر ، والسموات السبع، والأرضين السبع، وما فيهن وما بينهن وما عليهن من الملائكة الكرام، والإنس والجان ، والجماد والنبات ، والطير والحيوان ، والنجوم والرياح ، والجبال والبحار: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

خلق العظيم سبحانه الكائنات بقدرته، ودحا الأرض بمشيئته، وأمسك السماء بقدرته، دون علائق من فوقها،ولا دعائم من تحتها،وإنما أمسكها بكمال قوته، وعظيم قدرته ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر / ٤١] .

فسبحان الرب العظيم الملك العزيز الجبار ، الكامل في الشرف والسؤدد مع سعة الملك ، وسعة العلم ، المتوحد بالجلال والجمال ، الذي يستحق التعظيم كله ، والتكبير كله ، والتحميد كله وحده لا شريك له: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠١-١٠٢].

واعلم أن العظيم ﷻ أودع ما شاء من مخلوقاته ضروب التغاير ودلائل الحدث وسمات النقص بما جعل فيها من انقيادها لخالقها ، وإذعانها لفاطرها ، وخضوعها لعظمته، شاهدة على نفسها أمام ربها بالفقر والعجز والحدوث : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج/ ١٨].

وشاهدة لربها بالتوحيد والغنى ، والعظمة والكبرياء ، والملك والملكوت : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج/ ٦٢].

ثم تأمل وفقك الله كيف وسم ربك العظيم تلك المخلوقات العظيمة بالنقص، وافتقار بعضها لبعض من جماد ونبات وحيوان وإنسان .

فأحوج الأسفل منها إلى الأعلى كما أحوج الأعلى إلى الأسفل، وسخر بعضها لبعض ، والروح من أمره يتخللها، وبأمره تجري مصالحها، ثم أفقر الكل إليه سبحانه: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم/ ٢٦-٢٧].

كلٌّ يعبد ربه العظيم باسمه ووصفه، منقاد لأمره، مسرع لإرادته، مسبح بحمده ، شاهد بتوحيده: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النور/ ٤١-٤٢].

فسبحان الرب العظيم الذي أظهرعظمته لعباده في عظيم ملكه ، وعظيم قدرته، وعظيم إرادته ، وعظيم كلامه ، وعظيم علمه ، وعظيم سلطانه ، و عظيم جبروته ، وعظيم خلقه ، وكل ذلك موجود من عظمة ذاته وأسمائه وصفاته : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

فما أعظم ما ترى من عظمة ربك وسلطانه وعظيم مخلوقاته ، وما أصغره في جنب ما لم تره ولا تعلمه : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه/ ١١٤].

واعلم أن الله هو العظيم وحده لا شريك له ، العليم الذي يعلم ما كان وما يكون وما سيكون : ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة/ ٦-٧].

سبحانه عظيم في قدرته لا يعجزه شيء ، عظيم في قهره لا يقف له شيء ، عظيم في علمه لا يعزب عنه شيء ، عظيم في سلطانه ، جبار في أفعاله : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

هو العظيم الذي خلق كل شيء ، العظيم الذي بيده كل شيء ، العظيم الذي بيده الملك والملكوت ، وبيده الأجساد والنفوس ، العظيم الذي بسط سلطانه على جميع مخلوقاته ، وله الكبرياء في السموات والأرض : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

هو العظيم الذي له الخلق والأمر كله ، العظيم الذي أمره نافذ في ملكه وملكوته على جميع مخلوقاته وعبيده في أي مكان وفي أي زمان : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس/ ٣].

أما سلطان الله على الإنسان فكله بيد الله ، وجميع أجهزته وأعضائه بيد الله ، وجميع حواسه بيد الله ، عقله بيد الله ، وقلبه بيد الله ، وسمعه وبصره بيد الله ، وأعصابه وعروقه بيد الله ، وأعصابه وجوارحه بيد الله ، ومعدته وكبده بيد الله ، فظاهر الإنسان وباطنه كله تحت ألطاف الله ورحمته ، فليطع ربه الذي خلقه وصوره وأكرمه وأطعمه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

فسبحان العظيم الذي خلق كل شيء وتكفل برزقه وحفظه ، العظيم الذي تعجز العقول عن إدراك كنه عظمته ، وتعجز الأبصار عن رؤيته : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

هو العظيم الذي لا أعظم منه ، العظيم الذي لا نهاية لعظمته ، فمهما عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله فهو أعظم وأكبر : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد/ ٣].

هو العظيم الذي ليس لعظمته بداية ولا نهاية ، وليس لعظمته أول ولا آخر : ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحج/ ٧٤].

هو العظيم الذي لا تهتدي العقول لوصف جلاله وجماله وعظمته وكبريائه على ما يليق بجلاله : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

فالله العظيم أعظم وأكبر من أن تدركه الأبصار ، أو تحيط به العقول ، أو تصفه الألسن : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

واعلم أن العبد إذا رأى عظمة ربه وكبريائه تلاشت عظمة نفسه ، وتصاغر أمام ربه ، فخشع قلبه لربه العظيم ، وتواضع لربه الكريم : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد/ ١٦].

واعلم أن من تواضع للعظيم عظَّمه ربه في نفوس خلقه ، ومن ذل للعزيز أعزه بين خلقه ، ورفع ذكره : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح/ ١-٤].

فأبصِر شرح الله صدرك ونوَّر قلبي وقلبك عظمة ربك بالنظر في ملكوت السموات والأرض ، فسترى العظيم الذي لا أعظم منه، وستعرف الكبير من الصغير، وتعلم الملك من العبيد ، وترى الغني من الفقير : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

واعلم أن أعظم من افتقر إلى ربه العظيم وتذلل له وخشع له هو سيد الخلق محمد ﷺ ، ولهذا أعزه الله ، وأعلى مقامه ، ورفع ذكره حياً وميتاً ، وأمرنا بالاقتداء به فقال سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١].

واعلم أن كل من كفر أو أشرك أو استكبر أو عصى فهو لم يؤمن بالله العظيم ، وإنما معه إيمان الفطرة ، ولو آمن بالله العظيم لذلت نفسه لله العظيم ، وخشع قلبه لربه

العظيم ، وانقادت جوارحه لطاعة ربه العظيم : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٨].

• التعبد لله ﷻ باسمه العظيم :

اعلم وفقك الله لحسن معرفته أن أولى العبادات وأرفعها قدراً وأنفعها ثمرة هو الإيمان الذي يحصل بالنظر والتفكر في أسماء الله وصفاته وأفعاله، وفي عظمة ملكوت السموات والأرض، وتدبر الآيات الكونية، والآيات القرآنية: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس / ١٠١] .

فإذا صح النظر أصاب القصد فأدرك القلب عظمة الرب العزيز الجبار برؤية مخلوقاته العجيبة، وآياته العظيمة، وكلماته الحكيمة: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢] .

فسبحان الله ما أعظم شأنه ، وما أعظم قدرته، جعل قلب الإنسان وبصره يتسع لمعرفة جملة المخلوقات العلوية والسفلية.

وهذا من أخص الشواهد على عظيم قدرته ، وعظيم كرمه وإحسانه، حيث هيأ لعباده سبل معرفته، ويسر لهم طرق الوصول إليه، ليروا عظمة ربهم في خلق العالم العلوي والسفلي، وخلق الدنيا والآخرة، وخلق الصغير والكبير، وخلق الذرة والجبل، والقطرة والبحر: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢ – ٦٣].

وإذا عرف العبد ذلك عَظُم قدر ربه عنده فعظَّمه وكبَّره وحمده وسبَّحه ووحَّده ، وآمن به، وآمن بكتبه ورسله، وعمل بشرعه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة/ ٩٥ – ٩٦].

فعظِّم ربك العظيم ﷻ ، وعظِّم قدره، وعظِّم أسماءه وصفاته، وعظِّم أمره، وعظِّم اطلاعه عليك، فإنه ينظر إليك أبداً حتى كأنه ما خلق أحداً سواك فاحذر غضبه وسخطه وأرضِه ولا تسخطه بقول أو فعل فإن أخذه أليم شديد : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر/ ٦-١٤].

فسبحان العظيم القادر على كل قادر ، القاهر لكل قاهر ، القاصم لكل ظالم .
وإذا عرفت العظيم فعظِّمه ، عَظِّم ملائكته ، وعظِّم كتبه ، وعظِّم رسله ، وعظِّم دينه ، وعظِّم مناسكه ، وعظِّم شعائره ، وعظِّم أولياءه ، وعظِّم حدوده ، وعظِّم حرماته تكن من المتقين : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج/ ٣٢].
وهذا التعظيم كله يأتي في القلب إذا عرف ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله وإحسانه.
فعلينا لتحصيل ذلك أن نكثر من مجالس الذكر التي تنزل فيها السكينة على القلوب فيزيد الإيمان ، ثم تزيد الطاعات وتنقص المعاصي ، ثم يحصل الفوز والنصر : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ [الفتح/ ٤].
وإذا زاد الإيمان بالله العظيم زاد الإيمان بكتابة العظيم ، وزاد العمل بدينه العظيم ، وزاد حب الله ورسوله الكريم ، ثم اطمأنت القلوب بذكر الله العظيم : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨].
واذا اطمأنت القلوب بالله العظيم عملت بشرعه الحكيم ، ونالت ثوابه العظيم في الدنيا والآخرة : ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر/ ٢٧-٣٠].
فالزم باب العبودية لربك العظيم،والزم الوقاروالسكينة والحياء بين يديه،واضرع إليه بخضوع وخشوع ، واسأله أن يرحمك ويعافيك ، ويعصمك مما يكرهه ويبعدك عنه : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٨-٧٩] .
وانكسر بين يدي ربك العظيم ، واسجد بين يديه متذللاً معتذراً مستغفراً عساه أن ينظر لضعفك، ويرحم فاقتك ، ويجبر كسرك ، ويغفر ذنبك ، و يصلح جميع أمورك ، و يهديك لما يرضيه ويرضيك: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [النساء / ٦٦ – ٦٨] .
واعلم أن المخلوقات كلها ، والعبادات كلها ، والأوامر كلها ، سرها وروحها تعظيم الرب الملك العزيز الجبار بأسمائه وصفاته، وعبادته بموجب أسمائه وصفاته، وتوحيده بأسمائه وصفاته: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

فاعرف ربك العظيم بأسمائه وصفاته ، والزم طاعته ، واحذر معصيته ، وأَحِلّ ما أَحَلّ الله ، واجتنب ما حرم الله تفوز برضاه : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب/ ٧١].

واعلم أن العظيم ﷻ شرع لك آداباً تتأدب بها عند مناجاته، فأمرك بالوضوء للصلاة ، والغسل من الجنابة ؛ إجلالاً لمناجاته ، والوقوف بين يديه، وإجلالاً لكلامه وكتابه أن تتلوه على غير طهارة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة/ ٦] .

وذلك عزمٌ منه عليك أن تطهر ظاهرك بالماء، وتطهر باطنك بالتوبة النصوح: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة/ ٢٢٢] .

ولا تقف بين يدي العظيم وأنت مشغول بسواه ، بل تجرد لعبادته وحده ، وفرِّغ قلبك لذكره ، واقطع العلائق عما سواه ، وأقبل عليه ولا تلتفت إلى الشواغل التي تلهيك عنه: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾ [الشعراء/ ٢١٧ – ٢٢٠] .

وراقب ربك العظيم في السر والعلانية، واشتغل بما يحبه ويرضاه قبل أن تلقاه.

واعلم أن نظر الرقيب سبحانه إليك سابق إلى نظرك للمحرمات، بل سابق إلى همك بالطاعة أو المعصية: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٣٥﴾ [البقرة/ ٢٣٥] .

واحرص أن يكون عملك كله خالصاً لوجه ربك العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى ، لِمَا يستحقه من عبادة وحب وتعظيم لذاته وجلاله وجماله ، راجياً لثوابه ، خائفاً من عقابه ، لا لثواب ترجيه فقط ، ولا لعقاب تتقيه فقط ، فتكون حينئذ كالمتطوع بعبادتك : ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

فربك كريم وخزائن كل شيء بيده ، وهو المستحق للعبادة لذاته ، وثوابه من جميل إحسانه ، وهذه درجة الأنبياء والصديقين : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ [البينة/ ٥].

وإلى هذه الدرجة انتهت عبادة العابدين: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ٤٢ ﴾ [النجم/ ٤٢].

ولَمَّا لم يكن لكل المؤمنين تناول هذه الدرجة فصَّلها لهم على درجات رأفة ورحمة بهم .

فعبد قوم ربهم العظيم لأجل مخافته .. وعبده آخرون لأجل رجائه .. وعبده آخرون لأجل جلاله .. وعبده آخرون لأجل جماله وإحسانه .. وعبده آخرون لذاته .. لأنه الإله الحق الذي يستحق من خلقه جميع أنواع العبادة وحده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣] .

وأكمل هؤلاء من عبد ربه بجميع هذه العبوديات التي تملأ القلب نوراً وسروراً .

وكلٌّ من هؤلاء يذوق من طعم الإيمان والعبادة مذاقاً لا تُحسن أن تتوهمه ، فكيف لك أن تصفه ، فسل ربك أن يذيقك حلاوته ، ويوصلك إلى حقيقته : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

وعَن الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: « ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِالله رَبّاً ، وَبِالْإِسْلَام دِيناً ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً » أخرجه مسلم [1].

وإياك أن تعظم نفسك أو تُجِلَّها ، أو تطلب لها ذلك عند الله وعند الناس .

فأنت العبد الفقير للملك الغني، فلا تطلب العلو بقولك وفعلك وهيئتك فتسقط من عين الله: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ ﴾ [لقمان/ ١٨].

واعلم أن من تعظيم الله جل جلاله معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومحبته ، والذل له ، وعبادته ، والتوكل عليه وحده لا شريك له : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد/ ١٩] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤) .

ومن تعظيمه ﷻ أن يطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُحَبَّ ويُكبَّر .

ومن تعظيمه ﷻ أن يخضع العبد لأوامره وشرعه وحكمه، ولا يُعترض على شيء من خَلْقه وأَمْره، وشرعه وقدره : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء/ ٦٥] .

ومن تعظيمه ﷻ تعظيم ما عظمه العظيم من الأماكن، والأزمان، والأقوال والأعمال، والأخلاق والأشخاص : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج/ ٣٢].

فسبحان الرب العظيم الذي كتابه أعظم الكتب، وكلامه أعظم الكلام ، العظيم الذي لا تفنى كلماته ولا تنفد: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [لقمان / ٢٧] .

وسبحان العظيم القادر على كل شيء من صغير وكبير ، القوي الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٨].

واذا علمت أن الله هو العظيم وحده لا شريك له فاعبده وحده لا شريك له ، وعظم كتابه ورسوله ودينه وأمره وشعائره والمؤمنين به تسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

وادع إلى ربك العظيم ، وانشر سنن رسوله الكريم ، ولتكن حياتك في مرضاة ربك عبادة ودعوة لعلك ترضى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣].

وكن عظيماً في إيمانك ، عظيماً في أقوالك ، عظيماً في أعمالك الصالحة ، عظيماً في خُلقك ، وسارع إلى ما يحبه ربك العظيم ، واجتنب ما يكرهه من اللغو والفواحش من الأقوال والأعمال تنال ثوابه العظيم : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء/ ١١٤].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

[آل عمران/ ١٤٧] .

﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات / ١٨٠ – ١٨٢] .

« لَا إِلَهَ إِلاَّ الله الْعَظِيمُ الحَلِيمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ » متفق عليه[1].

« سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ ، عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ » أخرجه مسلم[2].

« سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ والملَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ » أخرجه أبو داود والنسائي[3].

اللهم يا عظيم الأسماء والصفات ، يا رفيع الدرجات ، يا عالم الخفيات ، يا عظيم الإحسان ، يا غافر الذنب، يا قابل التوب،يا واسع الرحمة،لا إله إلا أنت،نسألك الفوز بالجنة،والنجاة من النار .

يا واسع المغفرة ، يا سريع الرضى ، يا عظيم الصفح ، اعف عنا واغفر لنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٦)، ومسلم برقم (٢٧٣٠) .

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٧٢٦) .

(٣) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٨٧٣)، وأخرجه النسائي برقم (١٠٤٩) .

القوي

قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة/ ٢١].

الله ﷻ هو القوي العزيز، القوي الغالب لجميع من سواه، القوي الذي لا أقوى منه.

هو القوي وحده لا شريك له، وكل ما سواه ضعيف.

هو سبحانه القوي الذي يملك القوة كلها، القوي الذي خلق القوة في كل قوي: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥﴾ [البقرة/ ١٦٥] .

هو سبحانه القوي الذي لا يغلبه غالب ، ولا يرد قضاءه راد ، الكامل القدرة فلا يعجزه شيء ، التام القوة فلا يستولي عليه العجز أبداً : ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨﴾ [ق/ ٣٨].

هو القوي العزيز الخلاق الذي خلق العرش والكرسي ، وخلق السموات والأرض، وخلق الشمس والقمر ، وخلق الملائكة العظام ، وخلق الجبال الراسيات ، وخلق البحار الزاخرات ، وخلق النجوم الزاهرات ، وخلق الحيوان والنبات ، وخلق الإنس والجان : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣] .

هو القوي وحده لا شريك له، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره ، الذي لكمال ذاته وأسمائه وصفاته يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد.

يعز من يشاء ، ويذل من يشاء، ويعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء، وينصر من يشاء ، ويخذل من يشاء، ويهدي من يشاء ، ويضل من يشاء: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران / ٢٦] .

وهو سبحانه القوي القادر على كل شيء، القوي الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ويمسك الأجسام العظيمة ، والذرات الخفية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر / ٤١] .

فسبحان القوي العظيم الذي قهر المخلوقات كلها بقوته، القوي الذي خضعت لعظمته الرقاب،وذلت لقوته الشدائدالصلاب: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾[الزمر/ ٤].

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الذي يفعل ما يشاء.

يخلق ما يشاء ويختار ، ويبدل من حال إلى حال ، فليل بعد نهار، وصيف بعد شتاء ، وحر بعد برد ، وأمن بعد خوف ، وغنى بعد فقر، وحياة بعد موت : ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [النور/ ٤٤-٤٦].

هو القوي الذي بقوته جل جلاله ينصر أولياءه المؤمنين: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج/ ٤٠] .

هو القوي الذي بقوته يهلك الظالمين، وينتقم من المجرمين: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾[الأنفال/ ٥٢].

هو القوي الذي بقوته غلب كل أعدائه ، وقهر كل ما سواه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة/ ٢١].

هو القوي الذي بقوته جل جلاله أمسك السماء أن تقع على الأرض: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥].

هو القوي الذي بقوته جل جلاله أوصل أرزاقه إلى جميع مخلوقاته في كل مكان وزمان: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى / ١٩] .

ولكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود/ ١٠٧].

فسبحان القوي الذي كل قوة في المخلوقات من قوته جل جلاله .

كل قوة في السموات والأرض، وكل قوة في الجبال والبحار، وكل قوة في الكواكب والرياح، وكل قوة في الملائكة والروح، وكل قوة في الإنس والجن والحيوان والنبات

والجماد خلقها القوي العزيز، وأودعها في هذه المخلوقات : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر/ ٢١].

وجميع قوة هذه المخلوقات العظيمة لا تساوي ذرة بالنسبة لقوة الله ﷻ.

بل قوة جميع تلك المخلوقات لو اجتمعت لواحد منهم ، ثم كان جميعهم على قوة ذلك الواحد، فإن قوة أولئك كلهم لا تساوي شيئاً بالنسبة لقوة الملك القوي العزيز الجبار، بل شأن الله أعظم وأجل وأكبر: ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾[الحج/ ٧٤].

فسبحان ذي الجبروت والملكوت ، والكبرياء والعظمة ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، وله القوة والعزة ، وله الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية/ ٣٦ - ٣٧] .

واعلم أن الله ﷻ قد فطر الإنسان على تعظيم القوي ، والتعلق بالقوي ، والاعتماد على القوي ، فإذا ضل عن معرفة القوي الحق لجأ إلى ما يتوهم أنه قوي وهو ضعيف .

ومن هنا جاء الشرك والتعلق بالضعيف من دون الله القوي العزيز : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٤١-٤٢].

واعلم أن الله هو القوي وحده لا شريك له ، القوي الذي له القدرة التامة ، القوي المتين شديد القوة ، القوي الذي لاحد لقوته ، القوي الذي تتصاغر كل قوة أمام قوته ، ويتضاءل كل عظيم عند ذكر عظمته : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح/ ١٥-٢٠].

هو القوي الذي خلق القوة في كل قوي ، من العرش العظيم إلى أصغر ذرة في ملكه العظيم ، هو القوي الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر/ ٤١].

فسبحان القوي القاهر الذي بيده الملك والتدبير والتصريف ما أعظم شأنه، وما أعز سلطانه، وما أجزل عطاءه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ [الملك/ ١-٤].

واعلم أن الله أظهر أسماءه وصفاته في أفعاله، فأحياناً الرياح بأمر الله تدمر كل شيء، وأحياناً النار تحرق كل شيء، وأحياناً المياه تدمر كل شيء.

فسبحان من قهر هذه القوى وسخرها للإنسان ليستفيد منها، وإذا شاء أطلق قدرتها فدمرت كل شيء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىۡءٍ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

واعلم أن من عرف أن ربه هو القوي المتين العزيز الكريم تعلق به وحده، وقطع الرجاء من غيره: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ۝١٩﴾ [محمد/ ١٩].

• التعبد لله ﷻ باسمه القوي:

اعلم وفقك الله لطاعته أن القوي الحق هو الله وحده لا شريك له، وأنه لا حول ولا قوة لأحد إلا بالله العلي العظيم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

فكل مخلوق في قبضة الله، والأمر كله لله وحده، والعبد لا يملك من أمره شيئا، فلا حول ولا قوة للعبد إلا بالله الذي يقلِّب الأحوال كما يقلب الليل والنهار.

فليس للعبد حيلة في جلب خير أو دفع شر إلا بإذن الله وتوفيقه وعونه.

ولا تحوُّل للعبد من الطاعة إلى المعصية، ولا من المرض إلى الصحة، ولا من الفقر إلى الغنى، ولا من الخوف إلى الأمن إلا بإذن الله القوي المتين: ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَىۡءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ۝١١١﴾ [الأنعام/ ١١١].

ولا قوة للخلائق والعباد على القيام بأي أمر إلا بالله وحده لا شريك له، وما يتذكر إلا من ينيب: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير/ ٢٧- ٢٩].

وهذا اليقين لب التوحيد، ولهذا كان ثوابه كنزاً من كنوز الجنة.

عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «يَا عَبْدَاللهِ بْنَ قَيْسٍ! ألا أدلكَ على كنزٍ من كنوزِ الجنةِ؟» فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ» متفق عليه[1].

واعلم أن القوي جل جلاله قد أعطاك القوى الباطنة من العلم والحفظ، والذكاء والفكر، والبصيرة والعقل.

وأعطاك القوى الظاهرة من اليدين والرجلين، والسمع والبصر واللسان، وكلهن قوى لما جُعِلن له، يَسِرن لإتمامه، وإنفاذ مقدراته جل جلاله.

وكما وهبك الكريم هذه القوى، والنعم الظاهرة والباطنة، وعافاك من كثير مما ابتلى به كثيراً من خلقه، فداوم أنت على استعمالها في ذكره، وشكره، وحسن عبادته، وواظب على طاعته، ولا تصرف ما أنعم الله به عليك إلا فيما يحبه ويرضاه: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

وأحسِن الظن بربك الكريم، وتوجه إليه مخلصاً له الدين، واستقم كما أُمرت فإذا بك بإذن الله غالب، وبما قصدت ظافر: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وبقدر ما تبذله من الجهد، وصدق العزيمة، والعمل الصالح، والمسارعة إلى كل عمل يحبه ربك ويرضاه، يُنزل عليك ربك القوي التوفيق والعون والهداية والطمأنينة والسكينة، وتظفر بمحبته: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ» أخرجه مسلم[2].

واعلم رحمك الله أن من وهبه الله هذه القوى فلم يستعملها في طاعته حَرَمه الله نفعها، وجرَّه الشيطان لاستعمالها في معصية الرحمن، وعداوة الله ورسوله والمؤمنين كما قال

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٠٤).

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٦٦٤).

الله عن قوم عاد : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَارُهُمْ وَلَآ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[الأحقاف/ ٢٦] .

وإذا كانت القدرة على الفعل مختزنة في خزائن الغيب لوقت الفعل، فإن القوة ميسرة، والفعل ممكن، فلا تقل لا أفعل حتى ينزل العون، أو لا أشاء حتى يشاء الله ، دون أن يكون منك مباشرة الفعل المطلوب شرعا ، فإن الله وإن كان قد قيد الفعل بقوله :﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[التكوير/ ٢٩].

فقد أطلق القدرة على الفعل بقوله : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾ [المزمل/ ١٩] .

وما هو إلا أن تريد العمل ، فإن كان الله قد شاءه جعل لك المشيئة فيه، وإلا كنت مأجوراً على إرادتك، مثاباً على نيتك، ومالم يُرِده الله لا يكون أبداً ؛ لأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد، وهو القوي الذي لا يغلبه غالب : ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[يوسف/ ٢١].

فالإرادة منك مطلقة ، ومشيئة الله موثقة لها ، وما كان الله ليكلف عبده فعل ما أوثقه عنه ، ثم يعاقبه على تركه، هذا من أعظم المحال : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾[البقرة/ ٢٨٦].

واعلم رحمك الله أن الله قوي متين ، يمسك بقوته العرش والكرسي، والسموات والأرض، ومخلوقاته العظام، وينصر بقوته أولياءه، ويدفع بها أعداءه.

فكن قوياً على نفسك بحملها على طاعة فاطرها ومولاها ، وزجرها عن معصية من أنعم عليها وهداها : ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾[الأعراف/ ١٧١].

واستعمل ما أعطاك الله من قوة في طاعته، وانشر بها دينه، وعلّم بها شرعه، وانصر بها أولياءه ، واقض بها حوائج الضعفاء ، وجاهد بها في سبيله: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ

﴿ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ [الحج/ ٧٨].

وإذا علمت أن ربك هو القوي الذي يملك خزائن القوة كلها فاخضع له، وانكسر بين يديه ، واستجب لأوامره ، وفوض أمورك كلها إليه: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝١٢٣﴾ [هود/ ١٢٣].

﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٤﴾ [الممتحنة / ٤] .

﴿رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ۝٨٠﴾ [الإسراء/ ٨٠].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي في كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم [1].

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، وألف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم ، واهدهم سبل السلام ، وانصرهم على عدوك وعدوهم يا قوي يا عزيز .

اللهم قاتل الكفرة الذين يصدون عن سبيلك ، ويكذبون رسلك ، ويقاتلون أولياءك ، اللهم أنزل بهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

المتين

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨] .

الله ﷻ هو القوي المتين بذاته ، الكامل القوة ، الشديد القوة ، الغني عن كل ما سواه، الذي ملأ خزائنه بكل شيء، وله خزائن السموات والأرض: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر / ٢١] .

وهو سبحانه القوي المتين القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، الغني المتين الذي عنده خزائن كل شيء ، الذي بيده ملكوت كل شيء ، الذي لا يحتاج في إمضاء حكمه إلى جند أو مدد ، ولا إلى معين أو عضد ، ولا إلى جامع أو شاهد : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النحل/ ٤٠].

وهو سبحانه القوي المتين الذي يُمد المخلوقات بالقوت والقوة ، ويسوق إليها أرزاقها ، ويعينها على مصالحها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٨].

فسبحان القوي المتين الذي خلقنا وأعطانا المتانة في أجسامنا لنصبر بها على الطاعات والمصائب ، وأعطانا متانة في قلوبنا لنقوى بها على طاعته ، وأعطانا مدداً من قوته نهزم بها النفس والشيطان والكفار : ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإنسان/ ٢٨-٢٩].

وهو سبحانه القوي المتين الذي له ملك كل شيء، ولا يقف لقوته أحد، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفرقان/ ١-٢].

وهو المتين ﷻ الذي يتصرف في ملكوت السموات والأرض كيف شاء، القوي المتين الذي يتصرف في عالم الغيب والشهادة وفي الظواهر والبواطن ، القوي المتين الذي نفذت مشيئته في جميع البريات ، وما شاء كان ، ومالم يشأ لا يكون أبداً: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس ٨٢-٨٣].

وهو سبحانه القوي المتين الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن ، وله جنود السموات والأرض من الملائكة والأرواح والجن والإنس ، والحيوان ، والنبات ، والجماد وغير ذلك مما لا يعلمه إلا العليم الخبير: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾﴾ [التوبة/ ١١٦].

فسبحان الرب العظيم ، الملك الحق ، الغني الحميد ، القوي المتين الذي كل شيء مُلكه ، وكل شيء في قبضته ، وكل شيء خاضع لعظمته: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس/ ٦٨].

- **التعبد لله ﷻ باسمه المتين :**

اعلم وفقك الله لحسن عبادته وطاعته أن الله هو القوي المتين ، وله خزائن السموات والأرض ، وله جنود السموات والأرض : ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠].

هو القوي المتين الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً ، وكل مخلوق خاضع لأمره ، مُصرَّف في طاعته، شاهد بتوحيده ، مسبح بحمده : ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور/ ٤١].

هو القوي المتين ما شاء من الخلق والأمر كان، ومالم يشأ لا يكون أبدا: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس/ ٨٢] .

فالعرش والكرسي ، والسموات والأرض ، والجنة وما دونها ، والنار وما فوقها، وجميع المخلوقات ، والعوالم ، و الأوامر ، والآجال ، والأرزاق ، والمقادير ، والتصريف ، والتدبير ، وغير ذلك مما خطه القلم مما لا يعلمه إلا عالم الغيب والشهادة ، كل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ ، وكل ذلك بيد القوي المتين وحده لا شريك له: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾﴾ [يس/ ١٢] .

وكل ذلك برهان ساطع ودليل قاطع على عظمة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى من جهة ، ومنقسم إلى سبيل الترغيب والترهيب من جهة أخرى ؛ لتعرف الملك الحق وتعظمه وتحبه ، ثم توحده بأسمائه وصفاته ، ثم تعبده بمقتضاها : ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج/ ٧٠].

فالزم رحمك الله توحيده ، وجرِّده لله وحده ، فلا تخاف أحداً إلا الله ، ولا ترجو سواه ، ولا تتوكل إلا عليه وحده ، ولا تلتفت إلى غيره : ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [الزمر/ ١١-١٣].

واعلم أن الله وإن كان سبحانه قد خوَّف من النار ورغَّب في الجنة، وحذر من الشر ورغَّب في الخير رحمة بك ، وتسهيلاً لوصولك إليه ، فإن المقصود الأعظم من ذلك كله ، والمقصود من الخلق والأمر كله ، هو معرفته ﷻ وتوحيده بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعبادته وطاعته ، وفعل ما يحبه ويرضاه مما شرعه في كتابه وأرسل به رسوله محمداً ﷺ ، فاعبده واصطبر لعبادته : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات/ ٥٦ –٥٨].

ثم عند القوي المتين الكريم ثواب لمن أطاعه بالجنة ، وعقاب لمن عصاه بالنار: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف / ١١٠] .

فالثواب لأهل التوحيد والطاعات ، والعقاب لأهل الشرك والمعاصي : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[السجدة/ ١٨-٢٠].

واعلم أن الله وحده هو القوي المتين ، وأنت عبد القوي ، وعبد المتين ، وعبد العزيز ، وعبد الرحمن ، وعبد الكريم ، فليكن لك من معاني هذه الأسماء حظ واسم تعبد ربك بمقتضاه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

واعلم أن المؤمن عزيز لا يذل نفسه إلا لربه ، أما أمام الناس فنظهر العزة والرحمة والغنى والشجاعة ؛ إظهاراً لعزة الدين ، ورحمة للناس أجمعين.

وإذا ضعف إيمان العبد بربه ونقص توحيده تذلل الناس ، وعلق آماله بهم ، وتمسكن أمامهم ، فسقط من أعينهم فأذلوه ، لأنه سقط من عين الله قبل أن يسقط من عيونهم : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون/ ٨] .

فجرِّد رحمك الله نفسك لتوحيده وطاعته وعبادته وحده لا شريك له ؛ لأنه وحده الملك وأنت العبد ، وهو الخالق وأنت المخلوق ، وهو الغني وأنت الفقير ، وهو الرزاق الذي أنت تأكل من رزقه ، وهو وحده المستحق للعبادة دون سواه ، فأطعه تسلم وتنال كرمه: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الفتح/ ١٧].

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨].

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه [1].

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا رب العالمين.

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وشماتةالأعداء .

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك ، يا أرحم الراحمين .

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له .

القاهر .. القهار

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨)﴾ [الأنعام/ ١٨] .

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥)﴾ [ص/ ٦٥] .

الله ﷻ هو القاهر فوق عباده، العالي فوق مخلوقاته، القاهر القوي ، الغالب لكل ما سواه ، القاهر لكل قاهر .

وهو سبحانه الواحد القهار الذي قهر جميع الكائنات ، وذلت لقهره وسلطانه وحكمه جميع المخلوقات، فكل مخلوق مقهور مزموم بزمام الملك، خارج عن مراده إلى مراد الخالق له ، القاهر له ﷻ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦)﴾ [الرعد/ ١٦].

وهو سبحانه الواحد القهار الذي خلق كل شيء على ما أراد ، وصور كل شيء على ما أراد ، وقهر كل شيء على ما أراد.

قهر السموات والأرض أن تزولا ، وقهر السماء أن تقع على الأرض ، وقهر الجماد بأنواعه على ما أراد ، وقهر النبات بأنوعه على ما أراد ، وقهر الحيوان بأنواعه على ما أراد ، وقهر الكواكب والنجوم على ما أراد : ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٥)﴾ [الزمر/ ٤-٥].

هو سبحانه القهار الذي قهر هذا التراب فجعله إنساناً يفكر ويعقل ، ويسمع ويبصر ، ويضحك ويبكي ، ويتحرك ويسكن ، ويتكلم ويسكت ، ويأكل ويشرب : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦)﴾ [المؤمنون/ ١٢-١٦].

هو القهار الذي جعل المعدوم موجوداً ، وجعل الموجود باقياً ، وجعل الحي ميتاً ، وجعل الميت حياً ، وجعل الفقير غنياً ، وجعل الغني فقيراً ، وجعل العزيز ذليلاً ، وجعل الذليل عزيزاً : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦-٢٧].

هو الواحد القهار الذي خلق جميع المخلوقات ، وقهرها على ما أراد ، وقهر بعضها ببعض.

قهر الرياح بالجبال التي تصدها ، وقهر الجبال بالحديد الذي يكسرها ، وقهر الحديد بالنار التي تذيبه ، وقهر النار بالماء الذي يطفؤها ، وقهر الماء بالهواء الذي يصرفه ، وقهر الهواء بأقطار السماء والأرض التي تحيط به ، ثم قهر الكل لأنه وحده القاهر لكل قاهر : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٤].

هو القهار الذي ألَّف بين المواد الأساسية المتنافرة وهي الماء والنار والهواء والتراب ، وسلط بعضها على بعض ، وقهر بعضها ببعض .

هو القهار الذي أسكن الروح اللطيف في الجسم الكثيف ، القاهر الذي قهر جميع الأحياء بالموت : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الجمعة/ ٨] .

هو القهار الذي أذل الجبابرة والأكاسرة بالخوف والرعب والأمراض والمصائب : ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الرعد/ ٣١].

هو القهار الذي يدمر من أصر على كفره بعد إنذاره : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

هو القهار الذي قهر جميع الأحياء بالموت الذي يكون بعده البعث والحساب ، والثواب والعقاب : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزمر/ ٣٠-٣١] .

فسبحان القاهر القهار الذي قهر العقول عن الوصول إلى كنه ذاته ، وقهر الأبصار أن تدركه ، وقهر النفوس أن تحيط بكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وحقائق مخلوقاته : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ

﴿رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

واعلم أن التوحيد والقهر متلازمان ، وهما متعينان لله وحده لا شريك له ، فالواحد لا يكون إلا قهَّاراً ، والقهَّار لا يكون إلا واحداً.

وقد خلق الله فوق كل مخلوق مخلوقاً آخر أعلى منه ليقهره ويتحكم به، حتى ينتهي القهر الكامل لله الواحد القهار الذي: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر/ ٤].

فالذي يقهر جميع المخلوقات على ما أراد هو الله الواحد القهار لا شريك له، وهو الذي يستحق أن يُعبد وحده لا شريك له كما كان قاهراً وحده لا شريك له: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص/ ٦٥-٦٦].

واعلم وفقك الله لحسن معرفته أن كل فعل عن قُدرة ، وكل قدرة عن قوة، وكل قوة عن قهر، وبقدر قوة القهر تكون سرعة استجابة المقهور : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

والله ﷻ وحده هو القوي القادر القاهر القهار ذو الملكوت والجبروت ، وذو العلو والعظمة ، وذو العزة والكبرياء ، الذي قهر جميع المخلوقات ، وقهر كل شيء في ملكه العظيم ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، ولا إله غيره : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

خلق الجبال العظام وقهرها بالحديد الذي يُكسِّرها ، وقهر الحديد بالنار التي تذيبه ، وقهر النار بالماء الذي يطفؤها ، وقهر الماء بالرياح التي تحمله وتصرفه، وقهر الرياح بالسماء التي تحبسها ، وقهر السماء والأرض بالعرش العظيم الذي أحاط بها ، فسبحان القاهر لكل قاهر ومقهور،الذي: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر/ ٤].

فسبحان القاهر الذي كل خلقه تحت قهره ، والكل عبيده، والكل يسبح بحمده ، والكل يشهد بتوحيده: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

هو سبحانه قاهركل قاهر، وقاصم كل جبار ، الذي بيده مقاليد الأمور، وتدبير الأنفس والدهور: ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود/ ٥٦].

والله ﷻ هو الملك الواحد القهار الذي قهر جميع المخلوقات في العالم العلوي والسفلي على ما أراد ، القهار الذي خضعت لعظمته الرقاب، وذلت له الجبابرة ، وقهر كل مخلوق، وعنت له الوجوه، وتواضعت جميع الخلائق لعظمة جلاله وكبريائه، وخضعت لقهره وحكمه وسلطانه: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

فسبحان الإله الحق القاهر لكل ما سواه ، وكل ما سواه عبد مخلوق مملوك له ، مقهور بحكمه وإرادته: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرعد/ ١٢-١٣].

هو الواحد القهار الذي له الملك كله ، وله الدين كله ، ومنه الإحسان كله : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل/ ٥١-٥٣].

هو القهار الذي قهر بقوته كل ما سواه على ما أراد.

خلق المخلوقات ، وقدَّر الآجال ، وقسم الأرزاق ، وقدَّر الأحجام ، والأشكال ، والألوان ، وقدَّر الأوقات ، والأنفاس ، والأقوال ، والأعمال ، وقدَّر الزمان ، والمكان ، وقدَّر الثواب ، والعقاب ، وقدَّر كل شيء : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

فسبحان من قهر الليل بالنهار ، وقهر النهار بالليل ، وقهر الأعلى بالأسفل ، وقهر الأسفل بالأعلى ، وقهر المرض بالعافية ، وقهر الصحة بالمرض ، وقهر الحر بالبرد ، وقهر البرد بالحر ، وقهر الحي بالموت ، وقهر أعداءه بأوليائه ، وقهر كل مخلوق عن إرادته إلى إتمام مراده هو جل جلاله : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

ولا إله إلا الله الواحد القهار ، القاهر فوق عباده، الذي قهر جميع من في ملكه وملكوته ، الظاهر والباطن، والشاهد والغائب، والكبير والصغير، والأول والآخر: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر / ٢٣] .

وسبحان الواحد القهار الذي جميع مخلوقاته مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ، وخاضعة لأمره : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

وسبحان القاهر الذي قهر نفوس أوليائه فحبسها على طاعته ، القهار الذي قهر أولياءه بجلاله ، وقهرهم بجماله وإحسانه ، فعظموه وكبروه وأحبوه وعبدوه : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

هو سبحانه الملك القادر القاهر الذي يرفع كل مؤمن ويعزه ويكرمه ، ويخفض كل جبار ويهينه ويضعه : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ [القارعة/ ٦-١١].

هو العليم بمن يستحق الرفع فيرفعه ، العليم بمن يستحق الخفض فيخفضه ، يرفع المؤمن بطاعة الله ، ويخفض الكافر بمعصية الله : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة/ ١١].

هو القاهر الذي يخفض بالإذلال والصغار كل من تعاظم وتكبر وطغى وتجبر وشمخ بأنفه واستكبر : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٨].

فسبحان القادر القاهر الذي لا يعجزه شيء ولا يقف له شيء ، رفع من أطاعه وخفض من عصاه ، ورفع أهل الحق وخفض أهل الباطل: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) ﴾ [آل عمران/ ١٠٦-١٠٧].

هو القاهر الذي أذل من عصاه ، القهار الذي يخفض الكفار بالإشقاء ، ويخفض أعداءه بالإبعاد والهم والغم ، ويخفض الطغاة بالسقوط ، ويخفض كل خارج عن شريعته مهما كان غنياً بالمال أو عزيزاً بين الرجال : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١) ﴾ [الرعد/ ٣١].

هو القوي القادر الذي رفع السماء بلا عمد ، ورفع الغمام فوق متن الهواء ، ورفع الطيور في الفضاء ، ورفع الجبال فوق الأرض ، ورفع مقام أوليائه في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢) ﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

- **التعبد لله ﷻ باسمه القهار :**

إذا علمت رحمك الله أن ربك ﷻ هو الواحد القهار، وعرفت عظمة سلطانه ، وعظمة قهره ، وقوة جبروته ، وعلمت عظمة غناه ، وحسن إكرامه ، وسعة رحمته ، فعليك بلزوم طاعته ، وحسن عبادته ، ودوام ذكره وشكره ، والذل له ، وطلب مرضاته ، وابتغاء محابه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥) ﴾ [النساء/ ١٢٥].

واحرص على ما ينفعك من الطاعات ، وإياك والتسويف فإنه حَجَر الشيطان الذي يقتل به الإنسان : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠) أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١) ﴾ [النساء/ ١١٩-١٢١].

واعلم أن الله عز وجل رحيم بعباده، لم يكلفهم إلا وسعهم ، وما هو دون طاقتهم: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧) ﴾ [الطلاق/ ٧].

وإن أردت العزة والقوة فاستعمل قوتك في طاعة الله ، وفيما يحبه ويرضاه.

وتبرأ من الحول والقوة إلى مالكها ، واطلب منه المعونة في كل عمل ، وسله الهداية إلى الحق ، وفوض أمورك إليه قائلاً: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٢ – ٧].

وكن في كل عمل لربك على ثلاثة عقود :

الأول: العزم الجزم عند إرادة تنفيذ المأمور به ، متبركاً بأسماء ربك قائلاً: ماشاء الله ، لا قوة إلا بالله : ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

الثاني: طلب المعونة والتوفيق من ربك عند النهوض للعمل قائلاً بقلبك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة / ٥] .

الثالث: التبرؤ من الحول والقوة، وترك الدعوى ، ونسبة الفضل للرب سبحانه قائلاً : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة/ ٢-٤].

وإذا أنعم الله عليك بالعلم ، والحكمة ، والقوة ، والقدرة ، والجاه ، والمال، فاستعمل كل ذلك في طاعته وعبادته والدعوة إليه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

وإياك أن تعصي الله بنعمه، أو تُذل غيرك بما وهبك الله من نعمه وفضله وقوته، فقد كنت قبل ضالاً بلاقوة ، ولا مال ، ولا علم: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى/ ٦ – ١١].

وجاهد نفسك على القيام بعبادة الله والدعوة إليه ، والإحسان إلى خلقه ، واقهر نفسك عن الانهماك في الشهوات ، واقهر عدوك من شياطين الإنس والجن بلزوم ذكر الله وعبادته ، ومدافعته والاستعاذة بالله من شره : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ

كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣-٣٦].

واعلم أن حظ المؤمن من هذا الاسم الكريم أن يقهر نفسه عن الشهوات المحرمة ، ويقهر هواه عن كل ما يضره ، ويقهر لسانه عن الغيبة والنميمة والقيل والقال ، ويقهر نفسه عن أكل الحرام ، ويقهر جوارحه عن كل ما يغضب الله من المعاصي والكبائر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات/ ١١-١٢].

فاستقم رحمك الله كما أمرك الله يرفعك الله ، ولا تفعل شيئاً تستحي منه ولا شيئاً تضطر أن تعتذر منه : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾ [طه/ ٧٤-٧٦].

وتواضع لربك العلي العظيم يرفع الله مقامك في الدنيا والآخرة : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة/ ١١].

واعلم أنك بكل طاعة لله تعلو ، وبكل معصية تُخفض : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح/ ١-٤].

ولكل مؤمن نصيب من هذه الرفعة التي خص الله بها نبيه ﷺ بقدر إيمانه وإخلاصه وطاعته.

واعلم أن الله إذا أحب عبداً أحبه أهل السماء ، وأودع في قلوب أهل الأرض محبته ، ورفع ذكره في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم/ ٩٦].

فما من أحد من المؤمنين يطيع الله كما أراد ، ويخلص له كما يحب إلا رفع ذكره بين خلقه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون/ ٨].

ومن رفعه الله فيجب عليه أن يشكر ربه على هذه الرفعة ويستعملها في طاعته بعبادة الحق والإحسان إلى الخلق : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦٥].

﴿ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبة / ١٢٩] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٨٦] .

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ » أخرجه مسلم [١].

اللهم لك الحمد أنت الواحد القهار ، ولك الحمد أنت العزيز الجبار ، ولك الحمد أنت الغني الحميد ، ولك الحمد أنت الحليم الكريم ، لا إله إلا أنت .

اللهم إني أسألك عافية أقوى بها على طاعتك ، وعبادة أستحق بها جزيل مثوبتك ، ورزقاً حلالاً تغنيني به عمن سواك ، يا أكرم الأكرمين .

اللهم أغنني بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، يا قوي يا عزيز.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .

العليم .. العالم .. العلام

قال الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [التوبة/ ٧٨].

الله ﷻ هو الرب العليم بكل شيء ، الذي أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا، العالم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وهو سبحانه العالم بكل شيء وحده لا شريك له، الذي أحاط علمه بالعالم العلوي كله ، والعالم السفلي كله ، الذي يعلم الظواهر والبواطن ، والأوائل والأواخر ، ويعلم الجهر وما يخفى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد/ ٣] .

وهو سبحانه عالم الغيب والشهادة، العليم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق، العليم بكل شيء من المخلوقات ، والذرات ، والأحوال، والحركات ، والسكنات ، والأقوال ، والأفعال ، والأنفاس ، والآثار ، والحروف ، والكلمات ، والأصوات ، والأمكنة ، والأزمنة: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام/ ٥٩].

وهو وحده العليم الذي يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وعدد قطر الأمطار، وعدد ذرات الرمال ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد الحبوب والثمار ، وما أظلم عليه الليل ، وما أشرق عليه النهار ، ويعلم جميع ما في السموات وما في الأرض.

لا تواري منه سماءٌ سماء، ولا أرضٌ أرضا، ولا جبلٌ ما في وعره، ولا بحرٌ ما في قعره: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج/ ٧٠].

وهو سبحانه العليم الذي يعلم كل شيء علماً مطلقاً شاملاً ، محيطاً كاملا.

يعلم الظاهر والباطن ، ويعلم السر وأخفى ، ويعلم الغيب والشهادة ، ويعلم كل متحرك وساكن ، ويعلم كل ناطق وصامت، ويعلم كل رطب ويابس ، ويعلم ما كان ، وما يكون ، وما سيكون: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ [السجدة/ ٦-٧].

فسبحان العليم بكل شيء، العالم بكل خلق وأمر، علام الغيوب الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

يعلم عدد أهل السماء والأرض .. ويعلم عدد الملائكة .. ويعلم عدد الجن والإنس .. ويعلم عدد الطير والحيوان .. ويعلم عدد ذرات التراب .. ويعلم عدد الأقوال والأفعال.. ويعلم عدد الأنفاس والآثار .. ويعلم عدد الأحياء والأموات.

أحاط بكل شيء علماً،وأحصى كل شيء عدداً: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾ [الرعد/ ٩ – ١٠] .

هو سبحانه العليم الذي يعلم عدد المؤمنين .. ويعلم عدد الكافرين .. ويعلم من يطيعه .. ويعلم من يعصيه .. ويعلم المؤمن من المنافق .. ويعلم البَر من الفاجر .. و يعلم الصادق من الكاذب: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك / ١٣ – ١٤] .

وهو سبحانه العليم الخبير الذي يعلم المفسد من المصلح، ويعلم من يستحق الهداية فيهديه .. ويعلم من يستحق الضلالة فيضله .. ويعلم من يستحق الإكرام فيكرمه .. ويعلم من يستحق الإهانة فيهينه .. ويعلم أهل الحق من أهل الباطل .. ويعلم أهل الجنة من أهل النار: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة / ٧] .

فسبحان الملك الحق الذي له مع الخلق العظيم، والأمر النافذ، والقهر العام، له العلم الشامل المحيط بكل شيء: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [الحديد / ٤] .

يا حسرة على العباد ، إن أنفسهم تقف عريانة أمام بارئها الذي يعلم سرها وجهرها، ويعلم ظاهرها وباطنها، ويعلم ما بين يديها وما خلفها، ويعلم أقوالها وأفعالها ، ويعلم فجورها وتقواها: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٥٤] .

فسبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، وزنة عرشه، ورضا نفسه ، ومداد كلماته.

ما أعظم ملكه، وما أوسع علمه ، ورحمته ، ومغفرته: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر/ ٧] .

وا أسفاه على الجهل بالله وأسمائه و صفاته، والجهل بدينه وشرعه، والجهل بأنبيائه ورسله، والجهل بثوابه وعقابه: ﴿ يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يس/ ٣٠].

يا حسرة على جهل العباد بربهم ، وجهلهم بأوامره : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس/ ٣١-٤٠] .

متى تؤوب هذه الأنفس الشاردة إلى ربها؟ ومتى تفر إليه؟ ومتى تستحي منه؟ ومتى توقِّره وتعظمه؟ : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح/ ١٣-٢٠].

واعلم أن الله وحده لا شريك له هو عالم الغيب والشهادة ، والغيب كل ما غاب عن الحواس ، فكل ما غاب عن علم الإنسان أو بصره أو سمعه فهو غيب.

والغيب أنواع :

نوع من الغيب استأثر الله بعلمه كعلم الساعة ، وأجل الإنسان ونحو ذلك.

ونوع أطلع الله عليه بعض أنبيائه كأشراط الساعة ، وأحوال اليوم الآخر التي بينها النبي ﷺ.
وهذا الغيب الذي أظهره الله لنبيه ﷺ ثلاثة أنواع :
غيب الماضي كأحوال الأمم السابقة .. وغيب الحاضر مما أخبر به فوقع في زمنه .. وغيب المستقبل كأحوال اليوم الآخر وما سيقع قبله من الأمور.
واعلم أنه كلما ارتقى الإنسان بفكره خاف بعقله ، وكلما هبط إلى مستوى البهائم خاف بعينه : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [السجدة/ ١٥].
واعلم أن الناس صنفان لا ثالث لهما :
فمنهم من يعبد عالم الغيب والشهادة وحده لا شريك له ، فهذا الصنف لا خوف عليه ؛ لأن الله يسوقه إلى ما ينفعه مما يجهله ، ويدفع عنه ما يضره مما يجهله .
ومنهم من يعبد هواه ، ومن عبد هواه اقترن به الشيطان ، وتخلى عنه الرحمن ، فإذا فكر في أمر من الأمور جعل الله تدميره في تدبيره كما فعل الله بفرعون حين جمع السحرة ، وكما فعل الله به حين تبع موسى وقومه فأغرقه الله وجنوده في البحر.
فسبحان العليم الحكيم الذي يعلم ما كان وما يكون وما سيكون : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [السجدة/ ٦].
واعلم أن كل ما هو واقع أو مشاهد فهو من عالم الشهادة ، وكل ما غاب أو لم يقع فهو من عالم الغيب ، والله وحده هو عالم الغيب والشهادة .
هو العليم بكل شيء ، العليم بالعالم العلوي والسفلي ، العليم بالظاهر والباطن ، العليم بالنيات والأفكار ، العليم بالأقوال والأفعال ، العليم بالأرقام والحروف ، العليم بما جرى ويجري وما لم يجر في كل زمان ومكان : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٩].
ثم اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن كل ما خلق الله من العوالم خلَقه الله ليدل به على عظمة أسمائه الحسنى وصفاته العلى ، ليوحده العباد بها ، ويعبدوه بمقتضاها : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

والمطلوب من الخلق ليسعدوا في الدنيا والآخرة العلم بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، والعلم بما يجب له، وما يختص به، وما يليق به، وما يحبه وما يكرهه، وعبادته بما شرع وحده لا شريك له: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩] .

واعلم أن جميع المخلوقات تشهد لخالقها بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وتشهد له بالوحدانية ، وتشهد له بكمال الحياة والعلم ، والقدرة والعظمة ، والكبرياء والرحمة.

فهو سبحانه الحي القيوم العليم الذي يطلب العباد منه العلم، العليم بكل ذرة في ملكه العظيم الكبير: ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾ [سبأ/ ٣] .

واعلم أن الوحي الذي أنزله الله على رسله يكشف حُجُب عالم الغيب والشهادة.

فالله خلق عالم الشهادة ليدل به على عالم الغيب ، وخلق الدنيا ليدل بها على الآخرة ، وخلق المخلوقات لتدل على خالقها سبحانه ، وخلق الصور لتدل على المصور سبحانه ، وخلق الأرزاق لتدل على الرزاق سبحانه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان الخلاق العليم الذي يخلق ما يشاء ويختار ، لا إله غيره ، ولا رب سواه.

خلق الخلق كلهم كيف شاء ، ومما شاء ، ومتى شاء ، وعلى أي وجه شاء ، وأبقى ما شاء ، وأفنى ما شاء ، من كبير وصغير ، وطويل وقصير ، وحي وميت ، ومؤمن وكافر : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [القصص/ ٦٨] .

هو سبحانه العليم القدير الفعَّال لما يشاء ، وكل فعَّال سواه فبإذنه وعلمه، وكل فعال سواه محتاج إلى معونته ومشيئته ، وكل فعال سواه في قبضته .

الكبير والصغير .. والقليل والكثير .. والقوي والضعيف .. والغني والفقير : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٢– ٦٣].

فسبحان الرب الحكيم العليم الذي خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض ، وخلق الدنيا والآخرة ، وخلق الملائكة والروح ، وخلق الجن والإنس ، وخلق الأقوال والأفعال ، وخلق

المحبوب والمكروه، وخلق الماء والنار، وخلق الجبال والبحار: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ [يونس/ ٣-٤].

والكل يوحد ربه، والكل يسبح بحمده، والكل خاضع لخالقه، والكل شاهد بعظمته وتوحيده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان العليم الخبير الذي خلقهم وعلّمهم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور/ ٤١].

واعلم رحمك الله أن عين العقل لا تبصر إلا بنور الوحي والنبوة، فإذا اجتمع هذا وهذا أشرق القلب بنور التوحيد والإيمان، ثم جاءت أعمال التوحيد سهلة ميسرة محبوبة في القلب والجوارح: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد/ ٢٨- ٢٩].

فلله الحمد والشكر الذي أكرم عباده بالسمع والبصر والعقل، ثم أكرمهم بعلم الوحي والنبوة، النور المبين، والمعتصم المنيع: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

فاعلم رحمك الله علوم النبيين، ودعوة المرسلين، ومعارف الصديقين، وآيات الموقنين، ومشاهدات المتقين، تبصر بجميع حواسك الصراط المستقيم، وتسعد بنور العلم والإيمان واليقين: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٢].

وتفكروتدبر واقرأ باسم ربك العليم الذي علّم الإنسان مالم يعلم: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق/ ١-٥].

واعلم أن من أصغى بقلبه لعلم الوحي، وأقبل بوجهه على ربه، وأنصت بسمعه لكلامه، أقبل الله عليه، وشرح صدره، وأنار قلبه بنور العلم والإيمان، ومكاشفات اليقين،

وفتوحات الإلهام، وفجر له ينابيع الحكمة من أنهار المعرفة: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر / ٩] .

فافتح رحمك الله أبواب السمع والبصر والعقل لنور الوحي يضيء قلبك بنور التوحيد والتقوى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق / ٣٧] .

واعلم أن الفقه في أسماء الله وصفاته وأحكامه هو رأس كل علم ، وإمام كل هدى ، وجامع كل خير ، ومفتاح كل معرفة : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

وعن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ » متفق عليه (١).

وإن أردت الفقه الجامع اليقين المتين فاعلم أن الله الحكيم العليم سبحانه خلق عالم الجماد ، وهو أكبر المخلوقات وأوسعها ، وهو من العالم بمنزلة العظم من الإنسان .

وبث سبحانه في عالم الجماد أكثر الصفات التي خلقها في الإنسان، فخلق من الجماد الكريم واللئيم .. والشريف والوضيع .. والعالي والسافل .. والطيب والخبيث .. والحسن والقبيح .. والسهل والحزن.. والحلو والمر.

وجعل له منافع ومضار ، وليناً وقسوة ، وحباً وبغضاً: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [البقرة/ ٧٤].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لما بدا له أُحد :« هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ » متفق عليه(٢).

وكل ذرة من الجماد في العالم العلوي والسفلي تسبح بحمد ربها ، وتشهد بتوحيده ، وتخشع لعظمته ، وتسرع إلى إرادته ، وتخضع لأمره.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم (١٠٣٧) .

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٨٨٩)، واللفظ له ، ومسلم برقم (١٣٦٥) .

وخلق الله سبحانه عالم النبات ، وهو أقل من عالم الجماد ، ونسبته إليه كالذرة إلى الجبل، فلا إله إلا الله ما أعظم ملكه ، وما أكبر العوالم في ملكه ، وما أكثر الخلائق التي تسبح بحمده.

وميز سبحانه النبات عن الجماد بالنمو والتكاثر، وفي كليهما طيب وخبيث ، وحلو ومر ، وطويل وقصير، وحار وبارد، وصغير وكبير، ومحمود ومذموم ، ونافع وضار .

والنبات من العالم بمنزلة اللحم من جسم الانسان .

وما في الجماد من العطيات ، والهبات ، والأخلاق ، والأنفس ، والأرواح ، هي في النبات أبسط وأشرح وأظهر وأبين من الجماد .

عن أبي موسى الأشعري ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا » متفق عليه[1].

وكل ذرة، وكل شجرة ، وكل ورقة ، وكل ثمرة ، في عالم النبات ، تسبح بحمد ربها، وتشهد بوحدانيته، وعظمة أسمائه وصفاته: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور / ٤١] .

ثم انشرحت هذه الصفات واتسعت أكثر في عالم الحيوان الذي يتميز عن النبات بالحركة والحواس ، وبث فيه العليم الخبير مكارم الأخلاق وسيئها ، ويصعد الحيوان في التفاضل إلى أدنى النوع الإنساني.

والحيوان من العالم بمنزلة الأعضاء من جسم الإنسان.

ثم انشرحت هذه الصفات في الحيوان واتسعت أكثر من الجماد والنبات.

فظهرت في الحيوان أفعاله وحركاته من العداوة والبغضاء ، والخديعة والمكر ، والحب والبغض ، والرحمة والقسوة ، والحرص والطمع ، والحركة والسكون.

ففي الحيوانات الصالح والفاسد، والكريم واللئيم، والنافع والضار، والشديد والرحيم: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾[النور/ ٤٥] .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٥٦٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٩٧) .

وكل حيوان ، وكل طائر، وكل حشرة ، وكل ذرة من هذه المخلوقات ، تشهد لبارئها بالتوحيد، وتسبح بحمده: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

وخلق الله العليم الخبير آدم ﷺ بيده ، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها ، وفضَّله على كثير من خلقه، وكرَّمه وجعله خليفة في الأرض، وميزه عن الحيوان بالعقل، ثم جعل نسله وذريته من ماء مهين: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠].

ثم العالم الإنساني أوسع وأشرح وأكثر صفات من الجماد والنبات والحيوان.

فقد جمع الله فيه جميع ما في العوالم قبله ، وهي عالم الجماد والنبات والحيوان.

والإنسان من العالم بمنزلة القلب من الجسد،فالأعلى ينزل إليه ، ويعطف عليه كالملائكة والمطر إلى جانب الوحي ، وأما الأسفل فمسخر له ، وخادم له : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان/ ٢٠-٢١] .

ومن هذا النوع الإنساني مَنْ جَمَد على موضع اللب من صفة العقل، وعمي عن موضع نور الإيمان من العلم الإلهي.

فجهل نفسه ولم يعقل قدر منزلته فكفر بربه ، وكابر بنيته، وجحد فطرته ، واتبع هواه ، فخان أمانته، ونقض عهده ، وبطر نعمته ، واستكبر عن عبادة فاطره، فلم تنفعه صفاته ، وأربى بجهله على جهل البهائم: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان/ ٤٣-٤٤].

فهذا الصنف الضال من البشر مأواه جهنم، بسبب خبثه وفساده ، وضلاله وكفره : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٩] .

واعلم أن درجة الإنسان في الدنيا والآخرة بحسب إيمانه أو كفره.

فإما أن يصعد به الإيمان إلى ما علاه خلقاً ورتبة وهم الملائكة الكرام، وإما أن يَسْفل به الكفر إلى ما تحته من الحيوان فما دونه.

فالكافر ممسوخ الباطن إلى ما قارب طبعه من البهائم والنباتات والجمادات : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [محمد / ١٢] .

ومن كان من هؤلاء الكفار بعض أفعاله حسنة ، وأخلاقه كريمة، وسجاياه محمودة، فهو كشجر المرار أطلع زهراً ، وكالشوك أثمر ثمراً ينتفع به غيره، ولا ينتفع به هو، وفي هؤلاء يقول الحكيم العليم: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾[الفرقان/ ٢٣].

ويوم القيامة يندم كل واحد منهم على كفره وظلمه ، ولكن لا ينفع الندم : ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ٢٦ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩﴾ [الفرقان / ٢٦-٢٩] .

أما الصنف الثاني من النوع الإنساني فهو المسلم الذي أبصر الطريق بالعقل والوحي، وحقت له كلمة السعادة، وارتفع إلى عالم أرفع من عالمه، فزكَّى باطنه بالإيمان ، وحسَّن ظاهره بالأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة : ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل/ ٩٧].

فهذا السعيد الذي أسلَم لله وجهه ، واستن بما جاء به نبيه ﷺ ، حتى ورد عليه حوضه فأسقاه منه ، وشفع له: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢] .

وهؤلاء هم عباد الله الموحدون المهتدون: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

وهؤلاء درجات في الفهم والهمم، والعلم والعمل ، وحسن السيرة والسريرة.

فمنهم من جمع إلى إسلامه حسن المعرفة بمن أسلم وجهه إليه ، فعرف ربه بأسمائه الحسنى

وصفاته العلى وحسن الاقتداء بمن أرسله الله إليه ﷺ ، فأضاء قلبه بنور الإيمان، وقام على ظاهره وباطنه شاهد الحق : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد/ ١٩].

فهذا مع التدبر والتفكر كل يوم صار يقينه صافياً قويا، وتعلق قلبه بربه وحده ، وذاق طعم الإيمان وحلاوته، وعبد ربه كأنه يراه ، فصدرت منه العبادات صافية من الكدر، حلوة الطعم ، فارتفع ذكره، وعُرِف في السماء اسمه: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف/ ١٦] .

ومنهم من سما بهمته صعوداً إلى المعالي ليصل إلى الحياة العظمى ، والمقام الأكرم ، فقطع العلائق القاطعة له عن بغيته ، وصعد على المعارج الموصلة له إلى ربه ، فتعبَّد لربه على مقتضى الأسماء الحسنى ، غير مفارق للاقتداء بالمصطفى ، ولا متبع سبل الهوى.

له في كل بلد دار ، وفي كل واد منار ، مؤد لكل فريضة ، سابق إلى كل فضيلة : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الواقعة/ ١٠-١٤].

فهذا من ورثة الأنبياء ، تراه مع الركع السجود عابداً ، ومع الذاكرين ذاكراً ، ومع الدعاة داعياً ، ومع العلماء معلماً ، ومع المجاهدين مجاهداً ، ومع المحسنين محسناً ، ومع الصابرين صابراً ، فأحبه ربه واجتباه ، وتولاه وأغناه ، وأكرم مثواه ، وذكَره في نفسه ، وأثنى عليه في الملأ الأعلى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [التوبة / ٨٨-٨٩] .

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وعلمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان/ ٧٤].

لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك من جهلي وخطئي وظلمي يا غفور يا رحيم.

ثم اعلم رحمك الله أن العزيز العليم ﷻ خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وأفقره إليه في جميع أحواله ، ليقف بباب الغني وحده ، ولا يذل نفسه لغير ربه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر / ١٥] .

فسبحان الخلاق العليم ، القادر على كل شيء.

يخلق بيده إذا شاء .. ويخلق بكلمته إذا شاء ..ويخلق بإرادته إذا شاء: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[يس/ ٨١ – ٨٣] .

هو العلي العظيم الذي يعلم كل شيء ، والأحكام والأقدار واقعة منه على خلقه في كل حين ، والحُجُب والأستار تحجبه عن خلقه وهو لا يحجبه شيء، ولا يعجزه شيء : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾[الحج/ ٧٠] .

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ :قَامَ فِينَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ : « إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ لوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » أخرجه مسلم (١) .

والله عز وجل هو العليم بكل شيء وحده لا شريك له، خلق الإنسان وعلَّمه أشياء ، وحجب عنه أشياء ؛ ليعرف ربه بكمال العلم والقدرة والغنى ، وليعرف نفسه بالجهل والضعف والفقر : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء/ ٨٥] .

فأذن الخلاق العليم للإنسان بشيء من العلم كشفه له، وزوى عنه أبواباً من العلم لا حاجة له بها في خلافة الأرض.

فزوى عنه علم سر الحياة والموت، وسر العقل والروح، وسر الخلق، وسر الساعة والزمن المستقبل، وكل ذلك غيب لا يعلمه إلا عالم الغيب والشهادة وحده لا شريك له: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾[لقمان/ ٣٤] .

وكل ما يعلمه الخلق من العلوم هبة من العليم القدير، ونسبة ما يعلمونه إلى مالا يعلمونه كالذرة بالنسبة للجبل، وكالقطرة بالنسبة للبحر، ونسبة ما يعلمونه ومالا يعلمونه إلى علم الله أقل من الذرة بالنسبة للجبل ، بل لا نسبة بينهما البتة: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩) .

﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩].

فسبحان الخلاق العليم العالم بالكون كله، الناظر إلى ما علمه كله، لا حجاب بينه وبين معلومه : ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه / ٩٨].

ثم أظهر سبحانه الخلق كله بحكمته عالماً بعد عالم، وقتاً بعد وقت .

فجاء الخلق كلهم على بصره وسمعه وعلمه وكلامه كما كانوا أولاً في علمه وقدرته ومشيئته، بلا زيادة ذرة ، ولا نقصان خردلة ؛ لأنه العليم القادر على كل شيء: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

ربنا ارزقنا شهادة الموقنين، وإيمان المقربين، وعمل المتقين، يا عزيز يا عليم يا كريم .

- **التعبد لله ﷻ باسمه العليم :**

اعلم شرح الله صدرك لطاعته أن العليم ﷻ يحب أسماءه وصفاته، ويحب من عباده أن يتصفوا بها، ويعبدوه بموجبها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن أول الواجبات عليك طلب العلم من العليم سبحانه ؛ لأنه لا يمكن عبادة الله بما شرعه إلا بعد معرفته ، ومعرفة دينه ، و معرفة ما يحبه ويرضاه ، ومعرفة ما يكرهه ويسخطه : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وطلب العلم من أعظم العبادات ، وكلما زاد علم المسلم بالله وأسمائه وصفاته ودينه زاد نور الإيمان في القلب ، وخلص التوحيد مما يكدر صفاءه ، فتلذذت النفوس بالعبادة ، وانقادت الجوارح للطاعة، ولهجت الألسن بالذكر والتسبيح والتكبير والتحميد ، وارتفعت درجة العبدعند ربه:﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة / ١١] .

فسل ربك العليم بكل شيء أن يعلمك ما ينفعك ، وأن ينفعك بما علمك ، وأن يرزقك من فضله وعِلمه ما يقربك إليه : ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ

إِلَيْكَ وَحْيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه/ ١١٤].

وسل ربك كل خير ، وتعوذ بالله من كل شر قائلاً : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا » أخرجه مسلم [(1)].

وعليك بالتفرغ لطلب العلم ؛ لتسير إلى ربك بنور ودليل : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

وعليك بصدق الإخلاص، ودوام النظر في آيات الله الكونية ، وحسن التدبر والتفكر في آيات الله الشرعية ، فذلك طريق الوصول إلى علم اليقين وتوحيد رب العالمين: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس/ ١٠١].

واعلم وفقك الله لمعرفته أن علم أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، جماع علوم التوحيد ، ومفتاح أبواب الإيمان : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

فمن عرف أن له رباً كريماً يكرم المطيعين له ، وأن طاعتهم له تكون بعد توفيق الله على قدر معرفتهم به، لجدير بهذا العبد ألا يزهد في القرب من ربه الكريم ، حتى يصل إلى حقيقة التوكل عليه، وصدق التوجه إليه، و دوام الانقطاع إليه، ولزوم طاعته، والاستغناء به عما سواه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ [الشورى / ١٠] .

فمن علم ذلك فليحمد الله ، ويشمر في طاعة مولاه بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر/ ٣] .

وإن كان لا يعلمه فبكاؤه على نفسه آكد الأشياء عليه، فليبادر إلى التوبة ، وسلوك الصراط المستقيم ، والتواب الرحيم يقول له: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه / ٨٢] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢) .

واعلم وفقك الله لمعرفته وحسن عبادته أن فضائل النفوس إنما تزكو وتعلو بالعلم والإيمان بالله : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

فالخشوع عن العلم بالله يكون .. والإخلاص عن العلم بالله يكون، والورع عن العلم بالله يكون .. والاستغفار عن العلم بالله يكون .. والخشية عن العلم بالله تكون: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر/ ٢٨].

وبقدر تفرغ طالب العلم للنظر والتفكر والتدبر في آيات الله ومخلوقاته يصغي إليه قلبه بسمعه ، ويبصره بسبل هدايته ، فتتفجر ينابيع الحكمة والعلم من قلبه ولسانه وجوارحه : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الحج/ ٥-٦].

وبقدر سعة معرفة العبد بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة أقداره العظيمة، وأوامره النافذة، وأحكامه العادلة، ونعمه السابغة، يستبين للعاقل عظمة الخطر، وجلال الخطب، ومقدار الجهل، وحجم التقصير ، ونقض العهد، وإضاعة الأمانة: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب / ٧٢-٧٣].

ونقض العهد ، وعدم الوفاء به ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل من نشر التوحيد والإيمان والأعمال الصالحة من أعظم الذنوب الموجبة للعنة الله وعقابه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٥] .

واعلم أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ، تعبد الله وتدعو إليه في الدنيا ، وترافق الأنبياء في الجنة في الآخرة ؛ لأنها تقوم بجهد الأنبياء في الدنيا : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

واعلم أنه كلما زاد العلم بالله وأسمائه وصفاته زاد نور الإيمان في القلب، وزاد الانتفاع به ، وزاد القلب رقة وخضوعاً لربه العظيم، وزاد هيبة وخوفاً وإشفاقاً ، وكان

الخشوع بقدر الخوف، وكان النشاط بقدر الرغبة، وكان الحياء بقدر المعرفة وكان الحذر بقدر الهيبة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المؤمنون/ ٥٧ – ٦٢].

فأقبِل رحمك الله بقلبك إلى ربك، وشمر بجوارحك في طلب مرضاته، وأشغل لسانك بذكره وحمده، يسرُّك عملك يوم تلقاه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١].

وإياك وطلب الأمور بغير أسبابها، فمن ابتغاها في غير سبلها فقد ضل سعيه، وأخطأ بغيته، وفاته ما يطلبه، واستوجب عقوبته: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء/ ١١٥].

واعلم أن الله قضى بسنته ألا ينال أحد شيئاً إلا من بابه الذي فتحه الله إليه: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر/ ٧-٨].

واعلم أن الله ﷻ فطر جميع المخلوقات على معرفة ربها وفاطرها، فهي قانتة لعظمته، عابدة له، خاشعة لجلاله، خاضعة لكبريائه، شاهدة بتوحيده، مسبحة بحمده، منقادة لطاعته؛ لأن الله ﷻ ألزمها من معرفته مالا تستطيع إنكاره ولا جحده: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد/ ١٥].

فسبحان الرب العظيم الحكيم العليم الذي عرَّف خلقه بنفسه، وعرَّفهم بأنفسهم، وألهمهم ربوبيته، وسخرهم لعبوديته، حين ابتدأ خَلْقهم، وخص آدم ﷺ وذريته بمزيد من المعرفة والإكرام: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٢ – ١٧٣].

فَعرف الخلق يومئذ ربهم معرفة لا ينبغي لهم أن ينكروها أبداً.

وذَلّ الخلق له يومئذ ذلاً لا ينبغي لهم أن يعتزوا بعده أبداً.

وخافه الخلق يومئذ خوفاً لا يمكن أن يخرجوا منه أبداً .

وأقر الخلق له بالملك إقراراً لا يجوز أن يستنكفوا بعده عن عبادته أبداً.

واعلم أن نفيس العلم لا يُنال بالأماني وراحة الجسم فشمر في طلبه ، واعلم أن العلم أبوابه كثيرة ، وأوسع أبوابه وأنفعها باب الإيمان والتقوى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ [البقرة / ٢٨٢] .

وكل علم لا يورِث التقوى والخشية لا خير فيه ؛ لأنه يولِّد الكبر والعُجب بالنفس، ويورث الجدل، ويشغل المخلوق عن خالقه، ويرغِّبه في الدنيا ، ويزهِّده في الآخرة : ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ٨﴾ [الروم/٦-٨].

واعلم أن العلم بحر لا ساحل له، وعزيز لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، وهو مع الإيمان أعلى درجات الفضائل فاطلبه واعمل بموجبه، وزيِّن به روحك وقلبك ، ولسانك وجوارحك : ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد/ ٢١].

وإذا علَّمك الله مالم تكن تعلم فتواضع للذي علمك وعلِّم المسلمين ما ينفعهم في دينهم ودنياهم يرضى عنك ربك ، ويحمد فعلك: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران / ٧٩] .

واعلم أن العليم ﷻ عنده خزائن العلم، وأنزل منها لعباده من العلوم ما يسعدهم في دينهم ودنياهم ، ورغَّبهم فيما يقرِّبهم إليه منه ، فاختر النفيس على ما دونه ، وتعلَّم واعمل وعلِّم تغنيم وتؤجر : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه / ١١٤] .

فما أعظم العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ودينه وشرعه ، وما أقبح الجهل بالله ودينه ، والاستكبار ، والعناد ، والظلم والفساد ، وا عرف ربك ، وا عرف دار السرور ودار الغرور : ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ [الحديد / ٢٠].

والناس في معرفة ربهم متفاوتون في العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعلى حسب كمال معرفتهم بربهم يكون كمال إيمانهم ، وحسن عبادتهم .

ومثلهم في ذلك كمثل إنسان عرف النطفة ولم يعرف العلقة، وآخر عرف النطفة والعلقة ولم يعرف المضغة ، وآخر عرف الثلاث ولم يعرف الروح والجسد ، وآخر عرف ذلك ولم يعرف بقية العوالم.

فهؤلاء متفاوتون في العلم ، وكلٌّ يتكلم ويعمل حسب معرفته ، ومن ذاق عَرف ، ومن عَرف غَرف : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد/ ٢١] .

وأول ما يجب على العبد معرفته من العلم معرفة الرب عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ ليحصِّل العبد التوحيد والإيمان، ويحب ربه ويعظمه ، ويسارع إلى طاعته وحسن عبادته: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩] .

فاطلب رحمك الله هذا العلم، ثم اصعد في درجات العلم والمعرفة ؛ لتزداد إيماناً ويقيناً ، وعلماً وعملاً، ودعاء وذكراً، وخوفاً وطمعاً وحباً وذلاً : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [المائدة/ ٩٨] .

فاعرف ربك العظيم الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لتكبره وتحبه وتحمده: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٥-٨].

اعرف ربك العليم العلي العظيم ، لتعظمه وتمجده : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

اعرف ربك الرزاق الذي ملأ الكون بالنعم ، لتشكره وتحمده وتستغفره: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾[إبراهيم/ ٣٤].

اعرف ربك الخلاق العليم الذي بيده الخلق والأمر لتطيعه وتعبده ، وتعرف عظمة ملكه وسلطانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ

﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

اعرف ربك الكبير ، لتعرف أن كلَّ ما سواه كله صغير: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

اعرف ربك الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء في ملكه ، لتشكره وتطيع أمره وترحم خلقه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحشر/ ٢٢] .

اعرف ربك الحق لتعرف أن كل ما سواه باطل: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج/ ٦٢].

اعرف الملك الحق ، والإله الحق؛ لتعلم أن كل ما سواه عبد : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤] .

هذا والله هو الحق والنور المبين ، فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمي فعليها : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الجاثية/ ٦].

وإياك والإلحاد في أسماء ربك وصفاته بالتشبيه أو التعطيل ، فربنا له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى،والمثل الأعلى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى/ ١١].

فصِف ربك بما يليق به، ونزهه عما لا يليق به، ولا تلحد في أسمائه وصفاته، ووحِّده وتقرَّب إليه بدعائه بها ، وعبادته بموجبها : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فإن لم تهزّ قلبك هذه المعارف، ولم يَرُق لنفسك هذا الحديث، فاعلم أنك مصاب ، أو مجروح ، أو مطرود ، أو ميت : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد/ ١٦-١٧] .

فانتبه وبادر إلى سلوك الصراط المستقيم ؛ لتصل إلى ربك العظيم ، ولا تكن من الغافلين ، فتساق إلى جهنم مع الكافرين : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا

يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف / ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران/ ٨] .

﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الشعراء / ٨٣ – ٨٥] .

« اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا » أخرجه مسلم [(١)].

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، إنك أنت السميع العليم.

اللهم املأ قلوبنا بالإيمان واليقين ، والعلم والهدى ، يا رب العالمين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢) .

القــدوس

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٣].

الله ﷻ هو الملك القدوس المنزه عن النقائص والعيوب والآفات كلها، البريء من كل عيب ونقص، القريب من كل خير، البعيد من كل شر.

وهو سبحانه الملك القدوس الطاهر من العيوب ، المنزه عن الأولاد والأنداد ، والمثيل والشبيه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

وهو سبحانه الملك القدوس الموصوف بصفات الكمال، الممدوح بالفضائل والمحاسن ، الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه الملك العلي العظيم ، القدوس المنزه عن النقائص في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، المنزه عن جميع الآفات والعيوب، المنزه عن السِّنة والنوم، المنزه عن الخطأ والنسيان، المنزه عن الظلم وجميع الصفات المذمومة : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

فسبحان ربنا الملك القدوس ، الممدوح بالفضائل والمحاسن ، المنزه عن العيوب والنقائص، الذي لجلاله وجماله وكماله تسبح بحمده جميع مخلوقاته في السماء والأرض: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة/ ١].

فاحمد مولاك على كمال أسمائه وصفاته ، وكبره تكبيرا : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء/ ١١٠-١١١].

هو سبحانه الملك القدوس المنزه عن كل صفة من صفات الكمال البشري ؛ لأن الله ليس

كمثله شيء ، ومن باب أولى منزه عن جميع العيوب والنقائص والآفات : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

بل هو منزه عن جميع صفات الخلق كلهم الكامل منهم والناقص : ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الشورى/ ١١-١٢].

عِلْم الملك القدوس ليس كعلم الخلق ؛ بل علم جميع الخلق من علمه .

وقدرته جل جلاله ليست كقدرة الخلق ، بل قدرة جميع الخلق من قدرته ، فالله عز وجل هو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، المنزه عن كل عيب أو نقص .

وهو القدوس المنزه عن كل وصف يدركه الحس ، وعن كل تصور يتصوره العقل ، أو يسبق إليه الوهم ، أو يختلج في الذهن ، أو يفضي به التفكير : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

فالله عز وجل أكبر من كل شيء ، وأعظم من كل شيء ، وأكبر مما عرفنا ، وأكبر مما لم نعرف.

هو الملك القدوس الذي تعالى عن صفات الخلق ، ولولا أن الله أذن للمسلم أن يصفه بصفات كمالات البشر لكان وصفه بذلك ذنباً من الذنوب ، لأن الله ليس كمثله شيء : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

هو الملك القدوس الذي تقدست عن الحاجات ذاته ، وتنزهت عن النقص والآفات صفاته.

هو القدوس الذي تقدس عن كل مكان يحيط به ، وتقدس عن كل زمان يُبْليه.

هو القدوس الذي قدس نفوس الأبرار عن المعاصي ، وقدس قلوب أوليائه من كل ما سواه.

فسبحان الملك القدوس الذي قدس نفوس أوليائه عن السكون الى المألوفات والشهوات، وطهر نفوس العابدين عن حب الدنيا ، وطهر قلوب العارفين من كل ما سواه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢].

- **التعبد لله ﷻ باسمه القدوس:**

اعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أنه يجب على العبد أن يقدس ربه، فيصفه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ من الأسماء والصفات ، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه ، أو نفاه عنه رسوله ﷺ مما لا يليق بجلاله ، على حد قوله ﷻ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى/ ١١].

فقدِّس لله عبادتك أيها اللبيب ، وأخلصها لربك الواحد الأحد ، ونقِّها مما يفسدها أو ينقصها.

وطهِّر أيها الحبيب قلبك من الشرك والنفاق والرياء،وطهر لسانك من الكذب وقول السوء، وطهر بصرك من الخيانة، وطهر أعمالك مما يفسدها من البدع والرياء: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠].

وقدِّس نفسك بالتوحيد والإيمان، وطيِّبها بالذكر والحمد والشكر لربك، وزكِّها بالأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة تكن كالملائكة في التسبيح والتقديس : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة/ ٣٠].

وتعبَّد لربك بصفة الطهارة علماً وعملاً ، فتَطهر من المعاصي باجتنابها فهو أفضل لك عند ربك، وأيسر مؤنة من طهور التوبة : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣﴾ [المؤمنون/ ١-٣].

وطهر نفسك من الذنوب والعيوب ومتابعة الشهوات ، وطهر لسانك عن الغيبة والنميمة وفاحش القول وما لا يعنيك ، وطهر قلبك من الرياء والالتفات لما سواه ، وطهر جوارحك عن المعاصي ، وطهر أوقاتك عن المخالفات ، وطهر مالك عن الحرام والشبهات : ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ١٨﴾ [فاطر/ ١٨].

واعلم أن من قدس نفسه بمعرفة الله لم يذل نفسه لغير الله.

فطهر نفسك من كل ما يسخط ربك عليك ، وزكها بكل ما يرضيه عنك يأذن لك أن تكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين : ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ٦٩ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ٧٠﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

وإذا ابتليت بمواقعة شيء من المعاصي فبادر إلى التوبة منها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

ومتى عملت عملاً صالحاً فأخلصه لله وطهره من الشوائب لتستوجب موعوده ، وتفوز بقبوله : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

وطهِّر رحمك الله قلبك من كل ما يدنسه بالتوبة النصوح، وطهر جسدك من الدرن والوسخ ومايُستقذر، وطهر ثيابك من الرجس والقذر، وطيب بدنك بالطيب والمسك، وطهره بالوضوء والغسل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدثر/ ١-٧].

وطهِّر بطنك من الحرام، وطهِّر لسانك عن الآثام ، وطهِّر قلبك عن الأصنام : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء/ ٣٦].

واعلم أن الطهارة تنقسم إلى ما انقسم إليه المتطهَّر منه وهو الرجس.

والرجس ضربان :

الأول : رجس باطن في القلب كالشرك والنفاق ، والشح والبخل ، والحسد والجبن ، والكذب والظلم وغير ذلك من مساوئ الأخلاق والذنوب الخفية : ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات/ ٧].

فهذا جاهد نفسك على التخلص منه، واضرع إلى ربك ليخلصك منه، وبادر إلى التطهر منه بالتوبة النصوح ، والله يتوب عليك : ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء/ ١٧].

الثاني: رجس ظاهر : وهو ضربان :

أحدهما : عمل ظاهر يصدر من الجوارح بعلم القلب ، وإرادة الإنسان باختياره كالمعاصي والمحرمات القاصرة والمتعدية.

فهذا طهوره من جهة القلب بالتوبة منه ، والعزم على تركه ، وإتْباع السيئة بالحسنة التي تمحها، وإشغال الجوارح بالطاعات بدل المعاصي، فذلك أبلغ في الطهارة: ﴿وَأَقِمِ

ﭐلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [هود/ ١١٤-١١٥].

الثاني : ما يفعله العبد مكرهاً من المعاصي التي تتعلق به وحده ولا تتعدى إلى غيره .

فهذا طهوره لزوم كراهته في القلب ، والتخلص منه متى زال الإكراه ، مع الاستغفار : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل/ ١٠٦].

واعلم أن كل طاعة لله ورسوله طهرة وزكاء وبركة يحس المؤمن بحلاوتها في الدنيا والآخرة ، وكل معصية لله ورسوله نجاسة وخسارة وحسرة يحس الإنسان بمرارتها في الدنيا والآخرة : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

واعلم أن الماء طاهر في نفسه مطهر لغيره من الأحداث والأنجاس.

والماء في إزالة النجاسة كالنور في إزالة الظلام، وكالحق في إزالة الباطل، وكالتوبة في إزالة درن الذنب هذا طهور التوبة ، وهذا طهور الماء، والله يحب أهل هذا وهذا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

فاحمد الله أنْ جعلك من المؤمنين ، واسأله أن يطهر قلبك وبدنك من كل دنس ، ويزكيك بالإيمان والتقوى ، وصل وسلم على من بعثه الله رحمة للعالمين: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢].

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [الممتحنة/ ٤].

﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [نوح/ ٢٨].

« اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبيَضُ مِنَ الدَّنَسِ ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ » متفق عليه[1].

اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وجوارحنا من الفواحش والآثام ، وأعيننا من الخيانة ، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤)، ومسلم برقم (٢٥٧).

السلام

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٣].

الله ﷻ هو الملك القدوس السلام الذي سَلِم من كل عيب، وبرئ من كل نقص، الذي له الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

وهو سبحانه السلام الحق بكل اعتبار ، فهو سلام في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، من جميع العيوب والنقائص والآفات : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٤].

وجميع أسماء الله وصفاته سلام مما يضادها، واسمه السلام يتضمن إثبات جميع الكمالات له، وسَلْب جميع النقائص عنه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

والسلام يتضمن سلامة ذاته ﷻ من كل نقص وعيب، وسلامة أسمائه من كل ذم، وسلامة صفاته من مشابهة صفات المخلوق، وسلامة أفعاله من العبث والظلم وخلاف الحكمة : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

هو الحي القيوم الذي سلمت حياته من الموت والسِّنة والنوم والتغيير.

وهو القادر الذي سلمت قدرته من اللغوب والتعب والإعياء والعجز: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ق/ ٣٨].

وهو العليم الذي سَلِم علمه من النقص ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة .

وهو الملك الذي سلم ملكه من الشريك والمنازع ، وهو الغني الذي سلم غناه من الحاجة إلى غيره : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سبأ/ ٢٢].

وإرادته سلام من خروجها عن الحكمة ، وكلماته سلام من الكذب والظلم ، وعذابه وانتقامه سلام من الظلم والتشفي ، بل هو محض الحكمة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء/ ٤٠].

وحلمه وعفوه وصفحه ومغفرته وإحسانه وكرمه سلام من أن يكون عن حاجة أو عجز أو ذل أو مصانعة كما يكون من غيره : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٤-٦] .

بل ذلك كله محض جوده وإحسانه ، وهو الغني القادر على كل شيء : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾ [النساء/ ١٣١].

وقضاؤه وقدره سلام من الظلم والجور والعبث ، بل ذلك كله محض العدل والحكمة والرحمة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة/ ١٤٣] .

ودينه وشرعه سلام من الظلم والشدة والتناقض والاختلاف، بل ذلك كله محض العدل والحكمة والمصلحة والرحمة: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة/ ٣].

واستواؤه على عرشه سلام من الحاجة إلى العرش، بل العرش وحملته ومن تحتهم من الخلائق كلهم فقراء محتاجون إليه ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر/ ١٥].

وعطاؤه ﷻ سلام من المعاوضة أو الحاجة إلى المعطى ، ومنعه سلام من البخل والشح والحرص ، وإنما عطاؤه إحسان محض ، ومنعه حكمة وعدل محض : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ / ٣٦-٣٧] .

وهو سبحانه السلام الذي سَلِم الخلق من ظلمه ، فلا يظلم ربك أحداً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [يونس/ ٤٤].

فسبحان الملك القدوس السلام الذي من محبته للسلام سمى من أطاعه واتبع هداه بالمسلمين: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج/ ٧٨].

والإسلام دين الله ، ودين ملائكته ، ودين أهل السماء والأرض ، ومن دخل فيه سلم من العذاب ، وفاز بالنعيم: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران/ ١٩].

واسم السلام من أعظم أسماء الله الحسنى ، فهو السلام وحده لا شريك له، وكل ما سواه مستسلم له، خاضع لجبروته ، منقاد لأمره : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج/ ١٨].

وقد فطر الله الكبير المتعال جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي على الإسلام والاستسلام لربها السلام.

فكل مخلوق .. وكل جماد .. وكل نبات .. وكل حيوان .. وكل إنسان .. وكل ملك .. وكل جان .. وكل كبير .. وكل صغير .. وكل ساكن .. وكل متحرك .. الكل صغير أمام ربه الكبير..الكل ضعيف أمام ربه القوي..الكل ذليل أمام ربه العزيز .. والكل مستجيب لمشيئته .. ومسرع إلى إرادته : ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨٣].

الكل عبيد لله ، والكل يسبح بحمد ربه ، والكل يشهد بتوحيده ، والكل مطيع لربه ، والكل ينفق ويعطي مما آتاه الله: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة/ ١٦٤] .

والكل ينفق بوسعه بإذن ربه ، لايمنع ماعونه أبداً ، فالشمس تعطي النور ، والسحب تعطي المياه ، والماء يعطي الحياة ، والأرض تعطي النبات ، والأشجار تعطي الثمار ، والحيوان يعطي الحليب والسمن ، واللسان يعطي الكلام ، والعين تعطي الرؤية ، والأذن تعطي السمع.

والكل يعطي من ماعونه، ويشهد بتوحيد ربه، ويسبح بحمد ربه القدوس السلام : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان الملك القدوس السلام الذي سلمت ذاته من كل عيب ، وسلمت صفاته من كل نقص ، وسلمت أفعاله من كل شر : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

فهو السلام ومنه السلام ، تنزه أن يوقع الشر لذاته ، وإنما يوقعه لمصلحة العبد ليطهره به ، أويطهره منه ، أو يرده إليه ، من مرض أو مصيبة أو خسارة ، يوقعه بعبده إذا انحرف عنه وشرد منه ليتوب إليه ؛ لأنه خلقه ليسعده : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

هو وحده السلام الذي يسلِّم عباده مما يضرهم ، فليس في الوجود سلامة إلا منه .

هو السلام الذي خلق جميع وسائل السلامة في جسم الإنسان .

جعل الدماغ في الجمجمة ، وجعل القلب في الصدر ، وجعل العين في المحجر ، وجعل الرحم في الحوض ، وجعل الشرايين داخل الجسم ، وجعل معامل كريات الدم الحمراء في نقي العظام ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١٢-١٤].

فسبحان الملك الحق الذي ظهرت بدائع صنعه في عالم الجماد والنبات والحيوان والإنسان: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

واعلم أن الله عز وجل هو السلام الذي إذا ذكرته شعرت بالسلام والأمن والطمأنينة : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨].

وذكر الله والاتصال به يطهر النفوس من العيوب ومساوئ الأخلاق من الكذب والكفر ، من النفاق والرياء ، من الكبر والعجب ، من الحقد والحسد ، من الحرص والطمع : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٤٥].

فسبحان العزيز الكريم الملك القدوس السلام الذي إذا اتصلت به أعطاك ماينفعك ، وطهرك من العيوب والآثام : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٩-٩٠].

هو الهادي الذي في حياتك أيها الإنسان يهديك سبل السلام ، في أقوالك وأعمالك يهديك سبل السلام ، في عباداتك ومعاملاتك يهديك سبل السلام ، في سفرك وإقامتك يهديك سبل السلام ، في أخلاقك يهديك سبل السلام ، في تجارتك يهديك سبل السلام ، فمن أراد السلامة في الدنيا والآخرة فليطع ربه السلام : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٠٨].

ومن طبق شرع ربه السلام هداه سبل السلام في جميع أموره : ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

واعلم أن السلامة كلها في الدنيا والآخرة أن تؤمن بالله ، أن تعبد الله ، أن تطيع الله : ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨٥].

واعلم رحمك الله أن الله خلق الجن والإنس لعبادته بما شرعه على ألسنة رسله وأنزله في كتبه ، فتَخرج منهم العبادات والطاعات التي يحبها الله من صلاة ، وصيام ، وزكاة ، وذكر ، ودعاء ، وتسبيح ، وإنفاق ، ودعوة ، وتعليم، وأخلاق ، كما تَخرج الثمار الحلوة من الأشجار الطيبة .

الكل منهم مطيع لربه .. ينفق بوسعه.. ويعمل بقدر طاقته .. لا يمنع ماعونه أبداً : ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٢٤-٢٥] .

ومانع الماعون من البشر ملعون كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٩-١٦٠].

واعلم أن مانع الماعون ملعون فاسق بلسان الشرع ومعهود العقل ؛ لتركه الفعل المكلف به، وخروجه عن العمل المرضي إلى العمل المسخوط لربه السلام: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الماعون/ ٤-٧].

ومانع الماعون من البشر خارج عن طاعة ربه إلى طاعة إبليس الذي لعنه الله وطرده لَمّا فسق عن أمر ربه: ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحجر/ ٣٤ – ٣٥].

واعلم رحمك الله أن إسلام ما دون المؤمن كون وفطرة،وإسلام المؤمن كون وفطرة وشرعة، وكلاهما إسلام لربنا السلام.

فسبحان الملك القدوس السلام الذي شهدت له جميع مخلوقاته بالملك والعزة والجبروت والكبرياء ، وشهدت بوحدانيته ، وسبحت بحمده في كل وقت : ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨٢-٨٣] .

وسبحان الرب الرحمن السلام الذي سَلَّم على أنبيائه ورسله فقال: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات/ ١٨٠ – ١٨٢].

ويسلِّم على عباده المؤمنين به في الدنيا :﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[النمل/ ٥٩].

ويسلِّم على عباده المؤمنين في الجنة : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤٤].

ولمحبة السلام ﷻ للسلام جعل السلام شعار خَتْم الصلاة،وأَمَر المصلي بذكر السلام ، وإفشاء السلام بعد السلام لحاجة العباد إلى السلام : « اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ،وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ ذَا الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ » أخرجه مسلم[1].

وهو سبحانه السلام الذي يدعو إلى دار السلام: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾[يونس/ ٢٥].

ووعد عباده المؤمنين بدخول دار السلام فقال : ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

وهو سبحانه السلام الذي جعل اسمه السلام بشارة يبشر بها المسلمون بعضهم بعضاً بالسلامة والرحمة والبركة منه ، لدخولهم في الإسلام ، وإيمانهم بربهم السلام.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٩٢).

ولهذا أمرهم بإفشاء السلام بينهم، وجعله سبباً للمحبة والإيمان ودخول دار السلام : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [النساء/ ٨٦].

فأعظم المسلمين أجراً وأحسنهم بِشْراً أكثرهم تحية بالسلام، وأكمله : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تحَابُّوا أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ »أخرجه مسلم[1].

فسبحان الملك القدوس السلام الذي سلم من جميع الآفات والنقائص والعيوب ، الذي أَمِنه عباده ، والذي أصلح خلقه بما فطرهم عليه من التوحيد ، وبما شرع لهم من الدين ، وسَلَّم عباده المؤمنين من الشرور : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

وإذا فهمت هذا فاعلم أن السلام يريد أن يَسْلم خلقه من الشرور في الدنيا والآخرة، ولهذا دعا جميع خلقه إلى الدخول في الإسلام ، ودخول دار السلام : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم/ ٣٠] .

ولهذا فطر الله خلقه على التوحيد ، ويسر للناس معرفته بأسمائه وصفاته.

فنقل المؤمن من الشهادة إلى الغيب ، وأنار له بإيمانه موضع الغفلة منه ، وكشف له بالعلم ما غطت عليه الشهادة، وبصَّره بالآيات الكونية ، والآيات القرآنية فأحبه وأطاعه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

فرأى فِعل الله وتدبيره في ملكه ومخلوقاته ، ووجد ما سواه من العوالم العلوية والسفلية عبيداً تكبر ربها وتعظمه ، وتسبح بحمده ، وتطيع أمره ، وتشهد بوحدانيته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج/ ١٨] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٤).

واعلم بأن العلم عليه مدار الإيمان والإسلام، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله زاد إيمانه ، وحسن إسلامه ، وكَمُل توحيده ، وقويت عبادته .

وإذا وَقَر العلم في القلب تنوَّر بالإيمان ، ثم توجه إلى ربه بالعمل ، فالذي وقر منه في القلب هو الإيمان ، والخارج من الجوارح هو الإسلام ، وهذا أول مراتب العلم وأعلاها وأشرفها ؛ لأن ثمرته التوحيد والإيمان، ولهذا أمر الله به وأكد عليه في كتابه فقال : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد/ ١٩].

واعلم وفقك الله للعلم النافع أن أعظم ثمرات هذا العلم وأقوى روافده أركان الإسلام الخمسة.

فالشهادتان إعلان للتوحيد ، وإشهار للطاعة لله ورسوله ﷺ.

والصلاة صلة بين العبد وربه، وهي أصل الخشوع لله، وهي إعلام بترتيب الذكر، والفكر ، والتوجه ، والطاعة لله، وكيفية الوقوف بين يدي الجبار ، بأحسن مراتب الخضوع .

وثمرتها الانقياد لأوامر الله داخل الصلاة وخارجها مع المحبة والتعظيم لله ﷻ.

والزكاة تدريب على إنفاق المال في وجوهه المشروعة من زكاة وصدقة وهدية ، هرباً من تبعات المال، وتقرباً إلى الله ﷻ بإنفاق المحبوب لنيل ما هو أحب.

والصوم أصل في الإمساك كله ، بالكف عن المحبوب من أجل ما هو أحب وهو الله ، والزهد في المباح، وتضييق مجاري الشيطان في الدم ، والتدرب على الكف عن كل ما حرم الله.

والحج أصل في القصد إلى الله ، وإعلان الطاعة له في بيته ومشاعره بين خلقه ، والسعي إليه بالنفس والمال ، ولزوم البذاذة في الهيئة أمام الملك الجبار ذلاً له.

وإذا أعلنت الجوارح هذه الأعمال بعد إقرار القلوب بالتوحيد والإيمان اتفق ظاهر الإنسان وباطنه على سلوك السبيل الموصل إلى ربه ففاز وسلم : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

- **التعبد لله ﷻ باسمه السلام :**

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن من أراد الله والدار الآخرة سلَّم قلبه وجوارحه إلى ربه السلام ، وشَغَلها بما يحبه الله ورسوله من الأقوال والأعمال والعبادات الظاهرة والخفية ، وبذلك تحصل له السلامة في الدنيا والآخرة : ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢

لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

واعلم علم اليقين أنه لا ينجيك ويسعدك إلا هذا الطريق وحده: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم/ ٣٠].

واعلم أن البر بابه تقوى الله فادخل منه، واهجر ما سواه تسلم وتغنم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف/ ٩٦].

فتقرَّب رحمك الله إلى ربك بحسن عبادته، وطاعة أوامره: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

واحرص على إفشاء السلام في كل مكان وزمان وحال؛ لتنال بركته، وتغنم أجره.

وتحبب إلى ربك بحب عباده المؤمنين، وسلامة الصدر لهم، والنصيحة لهم، والتعاون معهم على البر والتقوى والدعاء لهم، والإحسان إليهم بالقول والفعل؛ لتفوزبرحمة الله الواسعة: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١].

واطلب العلم لتسلم من الجهل، وارغب إلى الله أن يفتح عليك منه ما يحبه ويرضاه.

واعلم بأن العمر قصير، والعلم بحر لا ساحل له فاطلب منه ما يسعدك في دنياك وأخراك، وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته، والعلم بآياته وأحكامه، ووعده ووعيده، وحلاله وحرامه، وثوابه وعقابه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

وهذا أفضل العلوم على الإطلاق، وهو العلم الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، وخلق الخلق من أجله، وأهل هذا العلم هم ورثة الأنبياء: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد/ ١٩-٢١].

وبهذا العلم تسلم من الجهل، وتسلم من الشك، وتسلم من النار، وتكون من العلماء

الربانيين ، فشمر رحمك الله لتحصيله، وارغب إلى ربك في تحقيقه بالعمل به: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٢] .

وطهر نفسك رحمك الله من الأنجاس ومساوئ الأخلاق ، وزكها بالفضائل والمحاسن ، واستقم كما أمرك الله ؛ لتسلم من عذاب الله وتفوز برضوانه : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود/ ١١٢].

وتجنب الغضب ، واترك الحسد ، واصفح عن المسيء ، وأعرض عن الجاهل ، وارحم المسكين ، وأَقِلْ العثرة ، واستر العورة ، وابذل النصيحة ، وتجنب القطيعة : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[القصص/ ٧٧] .

ولا تبغ على أحد ، ولا تؤذ أحداً ، ولا تشتم أحداً ، ولا تغتب أحداً ، وليكن حظ المؤمن منك إن لم تمدحه ألا تذمه : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٩-٢٠٠].

واعلم أن المؤمن حقاً من سلم من المخالفات الشرعية سراً وعلناً ، وبرىء من العيوب ظاهراً وباطناً ، ومن كان سليماً من الذنوب بريئاً من العيوب فقد بلغ غاية السلامة والسلام ، وفاز بدار السلام فجاهد نفسك لتكون ذلك : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

واعلم أن السليم حقاً من سلم قلبه من الشك والشرك ، وسلم عقله من الشبهات ، وسلمت نفسه من الشهوات ، وسلم هواه من اتباع غير شرع الله ، وسلم فكره من كل ما يشغله عن الله : ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام/ ٧١].

فهذا العبد السليم حق على الله أن يسلمه في الدنيا من المؤذيات ، وأن يهبه مما فيها من الخيرات ، فيرزقه الاستقامة على الدين ، ويجعله محمود السيرة محبوباً بين الناس ، ويسلم الناس من لسانه ويده .

ويرزقه مالاً حلالاً ، ويهبه زوجة صالحة وأولاداً أبراراً ، وعيشة راضية ، فهذه سلامة الدنيا.

أما سلامة الدين فيسلِّم الله عقله من البدع والشبهات ، ويسلِّم قلبه من الهوى والشهوات ، ويسلِّمه من كل ما سواه : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ

حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء/ ١٢٥].

أما سلامة الأخرة فيسلمه من عذاب النار ، ويدخله الجنة دار السلام : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

واعلم أن خير الناس أنفعهم للناس ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، فكن كذلك تكن ربانياً : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « المسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » متفق عليه[1].

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الشعراء/ ٨٣ – ٨٥].

« اللهمّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ »متفق عليه[2].

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ في قَلْبِي نُوراً ، وَفي بَصَرِي نُوراً ، وَفي سَمْعِي نُوراً ، وَعَنْ يَمِينِي نُوراً ، وَعَنْ يَسَارِي نُوراً ، وَفَوْقِي نُوراً ، وَتحْتِي نُوراً ، وَأَمَامِي نُوراً ، وَخَلْفِي نُوراً ، وَعَظِّمْ لي نُوراً » أخرجه مسلم[3].

اللهم إني أسألك إيماناً أهتدي به ، ونوراً أقتدي به ، ورزقاً حلالاً أكتفي به .

اللهم احفظني بالإسلام قائماً وقاعداً ، ولاتشمت بي عدواً ولا حاسداً ، رضيت بالله رباً ، وبمحمد رسولاً ، وبالإسلام دينا .

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (١٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٠).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

(٣) **أخرجه مسلم** برقم (٧٦٣).

المؤمــن

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٣].

الله تبارك وتعالى هو المؤمن الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال والجلال والجمال، المصدق لنفسه بما أخبر به وأمر به، الذي وحَّد نفسه، وصدَّق نفسه، وأثنى على نفسه بقوله : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٨].

وهو سبحانه المؤمن الذي أمن خلقه من أن يظلمهم ، المؤمن الذي أمَّنهم مما يضرهم، وأمَّن لهم ما يُصلحهم ، المؤمن الذي نشر الأمن في ملكه العظيم ، يطعم الجائع ، ويؤمن الخائف ، فأَمْن البلاد والعباد كله بيده : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾ [قريش/ ٣-٤].

وهو سبحانه المؤمن الذي وهب الأمن للإنسان من كل وجه في كل زمان ومكان .

هو المؤمن الصادق في وعده ، فإذا وعد المؤمن بالنصر فسينصره ، وإذا وعده بالرزق فسيرزقه ، وإذا وعده بالشفاء فسيشفيه ، وإذا وعده بالجنة فسيدخله الجنة ، وإذا وعده بالتمكين في الأرض فسيمكنه في الأرض : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان/ ٣٣].

واعلم أن الله ﷻ حكيم عليم يفعل ما يشاء ،ويسكِّن ما يشاء ، ويحرِّك ما يشاء.

ثبّت السماء والأرض ، وثبّت أنواع الجماد والنبات والحيوان ، وثبّت الشمس والقمر ، وثبت الشروق والغروب ، فعل ذلك إظهاراً لعظمة وكمال قدرته : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وحرك الرياح والعواصف ، والسحب والأمطار ،والليل والنهار ، والشمس والقمر ، والحر والبرد ، والصحة والمرض ، والأمن والخوف ، فعل ذلك من أجل ألا ننساه ، ومن أجل أن نسأله ، ومن أجل أن ندعوه ونتوب إليه: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ

﴿ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ ﴾ [فاطر/ ١٣].

ولمحبة الله لهذا الاسم الكريم سمى الله أولياءه بالمؤمنين ، وأثنى عليهم به ، وبشرهم بالجنة : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ﴾ [البقرة/ ٢٥].

وهو سبحانه المؤمن الصادق الذي يصدقه عباده بما أقام لهم من الشواهد على وحدانيته وعظمته ، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

وهو سبحانه المؤمن الصادق الذي وهب الإيمان والصدق لعباده ، الذي صدَّق أنبياءه ورسله فيما بلغوا عنه ، وشهد لهم بأنهم صادقون : ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣ ﴾ [الزمر/ ٣٣].

وهو سبحانه المؤمن الصادق الذي صدَّق الصادقين بما أقام لهم من شواهد الصدق ، الذي صدَق في أخباره من نَصْر أوليائه، وخذلان أعدائه كما قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩ ﴾ [الأنبياء/ ٩].

وهو سبحانه المؤمن الصادق الذي يؤمِّن عباده المؤمنين من عذابه وعقابه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ ﴾ [الأنعام/ ٨٢].

وهو سبحانه المؤمن الصادق الذي ينجز لعباده المؤمنين ما وعدهم به من الثواب والجنة : ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤ ﴾ [الزمر/ ٧٤].

وهو سبحانه المؤمن الذي خلق الأمن ومَنَّ به على من شاء من عباده ، المؤمن الذي وهب الأمن لعباده المؤمنين يوم الفزع الأكبر،وأمَّنهم بخَلْق الطمأنينة في قلوبهم فقال : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩ ﴾ [النمل/ ٨٩].

فسبحان الرب المؤمن الصادق في كلماته وأخباره، الصادق في دينه وشرعه، الصادق في وعده ووعيده، الصادق في ثوابه وعقابه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ ﴾ [النساء/ ١٢٢].

وسبحان الملك العظيم الذي خلق هذا الكون العظيم ، وجعله مظهراً لأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الكبرى.

أما ذات الله ﷻ فلن يستطيع أحد أن يدركها ، لكن يستطيع الإنسان أن يتعرف على ذاته وأسمائه وصفاته من خلال مخلوقاته : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فالخلق يدل على الخالق ، والصور تدل على المصور ، والأرزاق تدل على الرزاق ، والتدبير يدل على المدبر : ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/ ٦-٨].

علينا أن نعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله كي نحبه ، وإذا أحببناه عبدناه كما يليق بجلاله ، لأنه العظيم الذي يستحق أن يُعبد ويطاع أمره ، الكريم الذي حوائجنا كلها في خزائنه ، وسعادتنا في الدنيا والآخرة بيده وحده لا شريك له : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

واعلم أن من عرف الله بأسمائه وصفاته أحبه ، ثم أطاعه ، وأقبل عليه ، ورجا ثوابه ، وخاف عقابه ، ولن تطيعه وترجوه وتخافه وتستسلم لأمره وترضى بقضائه إلا إذا عرفته ، وإذا عرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله رضيت بالله رباً ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

وكلما زادت معرفتك بالله العظيم زاد إيمانك به ، فاستسلمت له ، وخضعت له ، واطعت أمره ، واجتنبت نهيه ، وأقبلت على عبادته بالحب والتعظيم والذل له : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [فاطر/ ١٨].

وكلما زادت معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله في قلب العبد زاد الخضوع والخشوع لله ، وزادت أنواع الطاعات والعبادات ، وجاءت السكينة والطمأنينة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

وعلى قدر المعرفة بالله تقوى الطاعة له ، وعلى قدر الطاعة يسعد المؤمن بالقرب من ربه : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

وعلاقة معرفتك بالله العظيم الإكثار من ذكره ، والثناء عليه ، والحديث عنه ، والدعوة إليه ، وتعظيمه وحبه ، ووجل القلب عند ذكره : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢].

فعلينا أن نعرف عظمة الله بمعرفة أسمائه وصفاته لكي يزداد إيماننا به، وحبنا له ، وتعظيمنا له، وإذا لم نعرف عظمة الله هان علينا ترك أوامره ، وتجاوز حدوده ، وانتهاك حرماته.

فالمعرفة القليلة البسيطة لا تكفي ، ولا تقدم ولا تؤخر ؛ لأنها لا تحجز الإنسان عن محارم الله ، ولا تحمله على طاعة الله ، ولا تنقي قلبه من الشك ، ولا تصرفه من الدنيا إلى الآخرة : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

إذا علمت هذا فتيقن أن الملك القدوس السلام المؤمن لا يجاوره في دار السلام والأمان إلا من اتصف بالإسلام والإيمان والأمانة.

فالمؤمن الخالق سبحانه هو الذي خلق الإنسان بيده، وجعله خليفة في الأرض ، والمؤمن المخلوق هو المؤتمن على الحق يؤمن به ، ويعمل به ، ويعلِّمه ، ويدعو إليه ، من عهد آدم ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فالمؤمن الذي أدخل نفسه في الأمن والإيمان هو الذي قَبِل الأمانة وحملها وعمل بها، فله الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢] .

والكافر والمشرك ضيع الأمانة فخسر الدنيا والآخرة، فله الشقاء في الدنيا، وفي الآخرة يُحرم من الجنة، ويدخل النار: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة/ ٧٢].

والناس في أداء الأمانة درجات ، وأعظمهم أداءً لها الأنبياء والرسل ، ثم من آمن بهم : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٧٢-٧٣].

والملائكة والأنبياء والرسل كلهم أمين على طاعة ربه ، والقيام بأمره ، وكل رسول قال لقومه : ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الشعراء/ ١٢٥-١٢٧] .

فأد الأمانة ، واستقم كما أمرت ، واتبع الهدى ، واحذر الهوى : ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص/ ٢٦] .

- **التعبد لله ﷻ باسمه المؤمن :**

اعلم أيها العبد المؤمن أن ربك المؤمن يريد أن يؤمِّنك من العذاب في الدنيا والآخرة، فبادر إلى طاعته ، وامتثال أوامره ؛ ليتحقق لك ما أراد الله لك : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

واعلم رحمك الله أنه لايدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، فاجتهد على نفسك بالعلم والعمل ، ليزيد إيمانك، وتزكوعبادتك، وتحسن أخلاقك، وتصلح أحوالك.

واجتهد في الإحسان إلى غيرك بالنصيحة والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل، ومواساة المحتاج ، ورحمة الصغير ، وتوقير الكبير، والإحسان إلى الخلق بما تقدر عليه : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

وأظهر من بِرك وخيرك ما يأمن الناس به من شرِّك ويطمعون في خيرك يحبك الله والناس : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

واعلم أن جميع الخلق هالكون وخاسرون إلا صنف واحد، فإن لم تكن أسبقهم فكن على الأقل منهم : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١-٣].

والزم أيها المؤمن تقوى الله في جميع أحوالك،فبالتقوى تُؤدى الأمانات ، وتُوفّى العهود ، وتُحفظ الحدود ، وتحصل البركات، وتُدفع العقوبات : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف/ ٩٦].

واعلم أن المؤمن يجب أن تأتي أفعاله كلها مصدقة لأقواله ، وظاهره مطابق لباطنه ، وسره مطابق لعلانيته : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف/ ١٠-١١].

والمؤمن من البشر يجب أن يأمنه الناس على أنفسهم وأقوالهم وأعراضهم ، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات/ ١٠].

والمؤمن حقاً مصدر أمان للخلق كلهم ، يصدق أقواله بأفعاله ، ويصدق سره بعلانيته.

فهذا المؤمن الذي له الأمن من ربه في الدنيا والآخرة : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢].

واعلم وفقك الله أن إيمان كل مؤمن بقدر علمه، وعمل كل مؤمن بقدر إيمانه، ودرجة كل مؤمن في الجنة بقدر تقواه، وتقواه ثمرة علمه وإيمانه : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

فاتق الله رحمك الله كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وكثرة إحسانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ

وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٠ – ٧١].

وأحسِن عبادتك لربك، ولا تؤذ أحداً من خلقه، واستغفر من ذنوبك، وأد الحقوق التي أمر الله بها تكن من الفائزين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف/ ١٦].

﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٩٣].

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ» متفق عليه[1].

اللهم إني أسألك إيماناً يقويني على طاعتك ، ويقيناً يحجزني عن معصيتك ، حتى أعبدك بما أستحق به رضاك ، وأتوب إليك من ذنوبي خوفاً منك ، وحياءً منك ، يا أرحم الراحمين.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣)، ومسلم برقم (٢٧١٧)، واللفظ له.

المهيمن

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٣].

الله ﷻ هو الرب المؤمن المهيمن على كل شيء، المطلع على خفايا الأمور، العليم بما تُكِنّه الصدور، الرقيب على جميع خلقه، الشهيد الذي يبصر كل ذرة في ملكه العظيم: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

وهو سبحانه الملك المهيمن الرقيب الشهيد الذي يعلم السر والنجوى ، ويعلم الظاهر والباطن ، العليم بكل شيء ، المحيط بكل شيء ، القاهر لكل شيء ، القادر على كل شيء : ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد/ ٢-٣].

هو سبحانه المهيمن على الملك والملكوت كله ، وهيمنة الله ﷻ هيمنة مقرونة بالحب والرحمة والشفقة على خلقه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج/ ٦٥].

هو المؤمن المهيمن الحافظ لكل ما في ملكه العظيم ، مهيمن عليم لا يترك حاجة تخرج من ملكه بلا علم ولا مراقبة ولا محاسبة ولا تسجيل : ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر/ ٥٢-٥٣].

واعلم أن من عرف الله مهيمناً خضع له ، وتوكل عليه ، وذل له ، وأحبه وانقطعت آماله عمن سواه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن/ ١٣].

ومن رأى المخلوق مهيمناً وقف أمامه كالطفل الصغير ، يبالغ في التذلل له وهو يبالغ في إهانته ، ويبالغ في الخضوع له وهو يبالغ في إهدار كرامته : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٧٥].

وهو سبحانه الملك العلي الأعلى المهيمن العالي على جميع المخلوقات: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وهو سبحانه المهيمن الذي أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء : ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ [سبأ/ ٣].

وهو سبحانه المؤمن المهيمن بذاته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى على جميع مخلوقاته : ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج/ ٦٤].

فهو الملك المهيمن على كل مَلك .. الخالق المهيمن على كل مخلوق .. المؤمن المهيمن على كل مؤمن .. الكريم المهيمن على كل كريم .. الجبار المهيمن على كل جبار .. القوي المهيمن على كل قوي .. الكبير المهيمن على كل كبير .. العليم المهيمن على كل عالم.. وهكذا في بقية الأسماء والصفات.

وهو القوي القادر المهيمن على كل ما في السماء والأرض من ملائكة ونجوم وكواكب ، وسحب ورياح ، وجبال وبحار ، وماء ونار ، وإنس وجان ، وطير وحيوان : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠].

فسبحان الملك العظيم الجبار الذي له جميع المحاسن والفضائل ، والذي تفرد بالأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

وسبحان المؤمن المهيمن الذي خص هذه الأمة بأفضل الرسل ، وأحسن الشرائع ، وأعظم الكتب الذي جعله مهيمناً على ما قبله من الكتب : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [المائدة/ ٤٨].

وإذا علمت هذا فاعلم أن الإنسان قبل أن تنفخ فيه الروح كان مواتاً ، فلما نفخ فيه ربه الروح صار حياً حياة جسمانية ، ثم أكرمه ربه ونفخ فيه روح الإيمان فشهد لربه بالوحدانية ، وأقر له بالربوبية ، فأبصر قلبه بعد العمى ، وسمع بعد الصمم ، وتكلم بعد البكم ، واهتدى بعد الضلال : ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات/ ١٦-١٧].

ثم لا يزال المؤمن يترقى في درجات العلم والإيمان فيمتلئ قلبه بنور الإيمان الذي يفرق به بين المَلك والعبيد ، والخالق والمخاليق ، والمصور والصور ، والحق والباطل ، والمحكم

والمتشابه، ويمشي بنور إيمانه في الظلمات كما يمشي البصير في ضياء الشمس لا يتعثر : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .

ثم يكمل تصديقه بما لم تره عيناه ، ويتحقق له إيمانه بما لم تسمعه أذناه ، ويصل علم الظاهر بالباطن ، وعلم الشهادة بالغيب ، فيجتمع له نوران : نور البصر ، ونور البصيرة ، ونور العقل ، ونور الوحي ، ويصل إلى ربه من باب علمه ، وفكره ، وخلقه : ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥] .

وتلك درجة الصديقين ، وثمرة المقربين التي قطفوها من بستان المجاهدين : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

واعلم بأن من أراد الله كماله لصلاحيته للجمال ناطَقه روح القدس بالحق ، وتنزلت عليه الملائكة بالروح من أمره بالصدق ، ثم أيده ربه المهيمن بروح القدرة ، فخُرقت له العادات ، وظهرت على يديه أنواع المعجزات والكرامات : ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٧-٨٨].

وهذا كمال ابن آدم في الدنيا، وهو خاص بالأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله واجتباهم ، وخصهم من بين الخلق بالوحي والرسالة ، وكمال الإيمان واليقين ، فصدّقوا وبلّغوا واتقوا وأحسنوا : ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٩-٤٠] .

فسبحان المؤمن المهيمن الذي خلق عالم الإنسان وهيمن على ظاهرِ وباطنِ كل فرد فيه ، من كان وحيث كان : ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ثم يبعث الله الناس يوم القيامة للحساب والجزاء، ويحشر المؤمنين إليه في أحسن صورة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّمَاءِ إِضَاءَةً ، قُلُوبُهُمْ عَلَى

قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، لَا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسُدَ» متفق عليه[1].

ثم ينال المؤمن جزاء عمله ، فيكون ثواب أول درجات الإيمان أن يرى المؤمن ربه عياناً ، ويكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، ويجمع له ربه الكريم بأول نظرة إلى وجهه الكريم كل نعيم أوجده للمؤمنين في تلك الدار ، ثم يزيدهم من النعيم بما لا يخطر على قلب بشر ، ثم يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً : ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم/ ٦٣].

ومن رأى ربه في الدنيا بقلبه فآمن وعمل صالحاً رآه يوم القيامة ببصره :﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

ثم يكمل النعيم والسرور في الجنة برضوان الرب على كل من أرضاه في الدنيا وآمن به : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

ثم يصعد كل مؤمن بعمله في درجات الجنة ، وهي منازل الأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين والعلماء والمجاهدين ، لكلٍ درجته حسب صعوده في درجات الإيمان والأعمال في الدنيا : ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء/ ٢١-٢٢] .

فسبحان الملك الحق الذي مَلَك فرحم ، وعز فقهر ،وحكَم فعدل ، المحيط بكل شيء ، العليم بكل شيء ، القادر على كل شيء، المهيمن على كل شيء : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

وسبحان مالك الملك، وخالق الخلق، ومدبر الأمر، ما أعظم شأنه، وما أعز سلطانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك/ ١-٢].

• التعبد لله ﷻ باسمه المهيمن :

اعلم هداك الله لنوره وأعانك على طاعته وحسن عبادته أن ربك هو الملك المهيمن على جميع مخلوقاته ، العالي عليها ، المتصرف فيها: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

واعلم أن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة ، وإحصاؤها معناه : فَهِمَها وعَبدَ الله بها ، ونال نصيبه منها ، ومن لم يكن له نصيب من كل اسم فما أحصاه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

والله ﷻ هو المهيمن الأول ، المهيمن الأكبر ، المهيمن الأعلى ، وأنت المهيمن الأدنى ، وحظك من هذا الاسم أن تهيمن على نفسك بالإيمان ، وتطهر قلبك مما سوى الله ، وتطهر جوارحك من المعاصي ، وتطهر عقلك من كل عقيدة زائفة ، وتستقيم على أوامر الله ، وتدعو إلى الله ، وتعلُّم شرعه ، وتحسن إلى الناس ، وتصلح ذات بينهم : ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء/ ١١٤].

وراقب الله في جميع أحوالك فإنه يراك ويسمعك ، فلا تؤذ أحداً ، واستح من الله أن تعصيه بنعمه في ملكه أمام خلقه : ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾ [العلق/ ٩ - ١٩].

واذا عرفت أن ربك هو القوي فتوكل عليه وحده ، وإذا عر فت أنه الغني فاسأله وحده ، وإذا عرفت أنه القادر فاستعن به وحده : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن/ ١٣].

ولكي تعلم لابد أن تقرأ وتتدبر وتحضر مجالس العلم ، ولكي تُصلح كل إعوجاج لابد أن تكون لك إرادة قوية ، ولكي تستمر لابد من التحلي بالصدق والصبر والاستعانة بالله ، والانقطاع عن مجالس الغفلة ، وبهذا تنتفع من اسم المهيمن.

فتهيمن على قلبك بكمال الإيمان واليقين ، وتهيمن على جوارحك بكمال التقوى ، وتهيمن على نفسك بحملها على طاعة الله ، وكفها عن معصية الله : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود/ ١١٢-١١٣].

هو ﷻ العزيز فذُل له .. وهو الجبار فاخضع لجبروته .. وهو الكريم فاحمده .. وهو المحسن فاشكره .. وهو الرحمن فتعرض لرحمته .. وهو الغفار فاستغفره : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر/ ٥٣].

وعليك بطاعة الذي خلقك ورزقك وهداك ، ولا يصرفنك ما أعطاك من النعم عنه فتخسر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

قف بباب ربك الغني القادر ، فخزائن جميع ما تريد عنده ، واسأله سؤال الأنبياء مِنْ طلب الهداية ، ورضوانه ، والجنة ، وطلب العفو ، والمغفرة ، والنجاة من النار : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف/ ٢٣].

والزم باب العبودية ، وأحسِن الانقياد لمولاك ، ودوام الخضوع له ، والانكسار بين يديه وحسن التواضع له؛تعظيماً له،وحياء منه،ومحبة له : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ١٥﴾ [السجدة/ ١٥] .

واحذر الكبر والتجبر والعلو فإن ذلك لا تستحقه، بل لا يليق بك فضلاً عن أن تطلبه، بل ذلك كله لربك الملك الجبار المحمود على أسمائه الحسنى، وصفاته العلى : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [الفرقان/ ٧٤].

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه(١).

اللهم بيدك الملك كله ، ولك الحمد كله ، ومنك الفضل كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، وأنت الله الرؤوف الرحيم ، أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥)، واللفظ له.

العـزيــز

قال الله تعالى : ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [الصف/ ١].

الله ﷻ هو العزيز الجبار الغالب لكل شيء، القاهر لكل شيء، القادر على كل شيء، الخالق لكل شيء، الغني الذي له كل شيء: ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٧٤﴾ [الحج/ ٧٤].

وهو سبحانه العزيز الذي لا يُغلب ، العزيز الذي لا يُقهر ، العزيز الذي لا يضام جاره، ولا يذل أنصاره: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٢١﴾ [المجادلة/ ٢١].

وهو سبحانه العزيز المالك لكل شيء، العزيز الذي أحاط بكل شيء، العزيز الذي لا يعجزه شيء، ولا يتعذر عليه شيء ، ولا يمتنع عليه شيء : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝٤٤﴾ [فاطر/ ٤٤].

وهو ﷻ العزيز القهار الذي امتنع عن الأوهام أن تكيفه، وعن العقول أن تحيط به، وعن الأبصار أن تدركه ، خالق الخلق، ومدبر الأمر ، ومالك الملك: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

وهو سبحانه العزيز الذي لا يرام ولاينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه، العزيز الذي لا مِثل له ولا نظير ، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى وحده لا شريك له : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤﴾ [الزمر/ ٤].

وهو ﷻ العزيز الذي له العزة كلها، الفعال لما يريد، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا راد لقضائه، ولامعقب لحكمه: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٥﴾ [يونس/ ٦٥].

فسبحان الملك العزيز الجبار الذي ذلت لقدرته الصعاب، ولانت لقوته الصم الصلاب، وخضعت لعظمته الرقاب.

هو العزيز الذي له العزة كلها وحده لا شريك له .

يعز من يشاء، ويذل من يشاء، وينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، ويؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

هو العزيز القادر على كل شيء، كل غيب عنده شهيد، وكل بعيد عنده قريب، وكل كبير عنده صغير، وكل قوي عنده ضعيف، وكل غني عنده فقير.

وكل هارب في قبضته، وكل شارد إليه ذاهب، وكل مخلوق إليه راجع، فلا منجى ولا ملجأ منه إلا إليه: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [السجدة/ ٦].

هو العزيز وحده لا شريك له، عَزّ الأبصار أن تدركه، وعز العقول أن تتصوره، وعز الأوهام أن تكيّفه، وعز المخلوقات كلها أن تحيط به، وعز الألسن أن تحصي ثناء عليه: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥].

هو القوي العزيز الذي ألبس الجبابرة عزته فذلت، وصب على الوجوه مخافته فخضعت، وقهر الخلائق على ما أراد فأطاعت، وساق بعزته الخلائق للقدوم عليه للحساب فعَنَت : ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ ﴾ [طه/ ١١١].

هو العزيز الأحد الصمد الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، وليس لذاته كيف ، ولا لأسمائه وصفاته كيف: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى/ ١١].

هو العزيز العليم الذي لا تخفى عليه خافية ، العزيز الذي لا يضل ولا ينسى ، ولا يتعب ولا ينصب ، الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، ليس لذاته شبيه ، ولا لفعله تكليف ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣] .

فسبحان الملك العزيز الذي يحتاجه كل شيء في كل شيء خلقاً وإيجاداً ، وأمراً وتدبيراً ، وإمداداً وقوتاً : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر/ ١٥].

واعلم أن الله عزيز لا يمكن الوصول إليه ، لكن من آمن به وعبده وأطاعه وصل إليه ، واتصل به اتصال عبودية ، ومن اتصل بالعزيز صار عزيزاً ، ومن كان في معية العزيز فهو عزيز.

فالأنبياء كلهم أعزة ؛ لأن جميع الناس بحاجة إليهم وإلى علمهم ، فإن العزيز ﷻ جعلهم أبواب رحمته ، وأبواب فضله ، وأبواب إحسانه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون/ ٨].

وكلما اشتدت الحاجة إلى أحد فهو عزيز.

فالمَلك عزيز لأن الناس بحاجة إليه في أمور الدين والدنيا.

والعالِم عزيز لأن الناس بحاجة إلى علمه.

والمؤمن عزيز بين الكفار ، لكنه متواضع لربه ولخلقه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة/ ٥٤].

واعلم أنك كلما قطعت طمعك من الناس أعزك الله ، وكلما مرغت وجهك في السجود للعزيز أعزك الله ، وكلما طمعت فيما عند الله أحبك وأعزك ، وكلما طمعت فيما عند الناس أذلوك وكرهوك : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المائدة/ ٥٥-٥٦].

هو العزيز الذي كلما أطعته رفعك ، وكلما خالفت أمره وضعك.

هو العزيز الذي خزائن العزة كلها عنده ، ومن أراد العزة بغيره فهو ذليل : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾ [فاطر/ ١٠].

فسبحان الملك العزيز الذي أنزل كتابه العزيز ، وأعز به رسوله وعباده المؤمنين : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت/ ٤١-٤٢].

هو سبحانه العزيز الذي له جميع معاني العزة من جميع الوجوه.

عزة القوة .. وعزة القهر .. وعزة الامتناع .. وعزة العلو .

فله ﷻ عزة القوة التي لا تنسب على الكمال لأحد سواه: ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحج/ ٧٤].

وله عزة القهر والغلبة، فجميع المخلوقات في العالم العلوي والسفلي مقهورة للعزيز الجبار ، خاضعة لعظمته، منقادة لأمره ، مستجيبة لمشيئته ، مسرعة إلى إرادته : ﴿ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٤].

وله عزة الامتناع، فهو العلي على خلقه، وكل ما سواه دونه، وهو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، وهو القادر على كل أحد، ولا يقدر عليه أحد: ﴿ سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يونس/ ٦٨].

سبحانه هو العزيز الذي له العزة جميعاً، وله الخلق والأمر كله ، وبيده مقاليد السموات والأرض : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فمن أراد العزة في الدنيا والآخرة فليؤمن بالعزيز الرحيم، ويطلب العزة من رب العزة ، متوسلاً إليه بالعمل بما يحبه ويرضاه: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾ [فاطر/ ١٠].

- **التعبد لله ﷻ باسمه العزيز :**

اعلم وفقك الله لطاعته أن ربك هو العزيز القهار، ومظاهر عزته في الكون بادية لا تغيب، ظاهرة لا تخفى على أحد.

وجميع المخلوقات شاهدة بعظمة الله ، شاهدة بقدرته ، شاهدة برحمته ، شاهدة بعزته ، شاهدة بتوحيده ، شاهدة بإحسانه : ﴿ ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [السجدة/ ٦].

فما امتنع من جميع المخلوقات ممتنع، ولا انتصر منتصر،ولا غلب غالب، ولا شاد مشاد، إلا بمقتضى اسمه العزيز ﷻ : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [ص/ ٦٦].

واعلم أن العزيز الحق سبحانه وعد عباده المؤمنين الجنة ، وحرَّم على عباده العلو والكبر والتكبر في الأرض ، ومن عز بنفسه عن عبادة ربه حرمه الجنة ، وأدخله النار : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص/ ٨٣].

وهو سبحانه وحده ذو العزة والعظمة ، والجبروت والكبرياء:« الْعِزُّ إِزَارُهُ ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ »أخرجه مسلم [1].

ومن رحمة العزيز سبحانه أنْ أحسن إلى عباده ، بأن أعلمهم مم خلقهم، وفيما أنشأهم ؛ ليعرِّ فهم بقدرهم، ويوقفهم عند حظهم: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال/ ٤٢].

فبيَّن سبحانه أنه خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من ماء مهين: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾ [المؤمنون/ ١٢-١٣].

فلئلا يتكبر الإنسان أعلمه ربه أن أصله من تراب، الذي جعله الله مداساً للأقدام، وموطئاً للنعال، ثم جعل نسله من ماء مهين لا حراك به ، تَقْذره نفس الإنسان، وتُغسل منه الأبدان والثياب، ويستحي الإنسان من ذكره والتحدث به : ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [المعارج/ ٣٩].

فهذا ابن آدم كان معدوماً ثم خلقه ربه من تراب ، ثم جعل نسله يخرج من مخرج البول مرتين من أبيه وأمه ، فكيف يتكبر ويتجبر وهذه قصة خلقه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس/ ٧٧-٧٨] .

ثم بعد هذا ألزمه العزيز ذل الفقر إليه ، فلا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن من ذات نفسه ، بل بمعونة ربه القوي العزيز : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

فكيف يُعرض عن ربه الكريم ، ويستكبر عن عبادة ربه العزيز، وهو مزموم بزمام القدر، مملوك للرب الذي خلقه وصوَّره على غير اختياره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

وكيف يستكبر عن عبادة مَنْ خلقه وصوَّره وقد ألزمه ذل الفقر إلى الطعام والشراب ، وذل الانتفاع به ، وذل إخراجه منه، فهو يتقذر إذا نظر إلى ما خرج منه ، ويشيح بوجهه عنه نزاهة منه، وكفى بذلك ذلاً.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠) .

وجعل سبحانه المخاط على فم الإنسان في وسط وجهه ، الذي هو أعز الأعضاء عليه ، وجعل القذى في عينيه ، والوسخ في أذنيه ، والقلح في أسنانه ، والشعث في رأسه الذي هو أشرف أعضائه.
وجعل الوسخ في أظافره، والعرق على جلده، إلى غير ذلك من أقذاره.
ثم أذله العزيز ﷻ بالخوف اللازم الذي لا يكاد يخلو منه.
وأذله سبحانه بالمرض والموت والفقر ، فهو خائف أبداً من مرض يقعده .. أو منية تعاجله .. أو بلية تنزل به .. أو فتنة تضله .. أو محبوباً يفقده .. أو مكروهاً يعضه ، كل ذلك من العيوب والنقائص ومظاهر الذلة من فضلِ الله عليه ؛ ليعرِّفه قدره ، ويقر بعجزه ، ويذل لربه، ويؤوب إلى رشده : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان/ ١-٣].
وفي كل ركن ومرصد من الدنيا له عدو من الشياطين ، والآفات ، والأهواء، وزهرة الحياة الدنيا التي لا ينجيه منها إلا الفرار منها إلى ربه العزيز الرحيم : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١] .
ومن حكمة العزيز الرحيم أنْ جعل حياة بني آدم مبنية على التعذيب والنكد ، والكبَد والتعب ؛ لئلا يركن إليها الإنسان ، وينسى الآخرة دار السلام : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ [البلد/ ٤].
والراحة في الدنيا خاطر طارئ: ﴿ وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٤].
فسبحان من ألبس هذا الإنسان ثياب الذلة ؛ لئلا يستكبر عن طاعة العزيز الذي أذله ، وليصرف كل ذلك للملك العزيز الذي خلقه وصوَّره ورزقه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].
إذا فهمت هذا فاعلم أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، والخير كله بحذافيره في الجنة ، والشر كله بحذافيره في النار.
والسجين له أربع صفات : عنده اليقين على رزقه ، والقناعة بما يعطى ، والسمع والطاعة ، وانتظار الفرج ، والمؤمن كذلك .

وأجسام الخلق في الدنيا معدَّة للعمل والمجاهدة ، لا للراحة وتكميل الشهوات .

فالمؤمن لا يتقلب في كل شهواته ، ولا ينطلق في جميع محبوباته ، بل ذلك كله له في الآخرة ، والكافر بضد ذلك ، يرتع في الدنيا كالحيوان في شهواته بلا حد ولا قيد ولا أمر ولا نهي ، ثم يدخل النار يوم القيامة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد/ ١٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» أخرجه مسلم[(١)].

فإن أردت أيها المؤمن العز الأكبر ، والخير الأكمل ، والمقام الأسنى ، ففر من نفسك إلى ربك ، ومن هواك إلى مولاك ، ومن عدوك الظالم إلى ربك العزيز الرحيم : ﴿ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٢٤﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٢-٢٤].

واطلب العزة من ربك العزيز الوهاب، وتقرّب إليه بالإيمان والعمل الصالح، يعزك ويرفع مقامك في الدنيا والآخرة : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾ [فاطر/ ١٠].

وإياك أن تطلب العزة من سوى ربك العزيز فيذلك بها ، فإن العزة كلها لله وحده ، يعز بها من يشاء، ويذل بها من يشاء : ﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء/ ١٣٨-١٣٩].

وتذلل لربك العزيز الذل كله ، واخضع لربك العظيم الخضوع كله ، تنال بذلك العزة في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك/ ١٢] .

وتضرع إلى العزيز الرحيم في خلواتك صادقاً ، وهَبْ خدك للتراب ذلاً بين يديه ساجداً ، وسله أن يرحمك ويرفع عنك ذل المقام يوم العرض عليه : ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحاقة/ ١٨].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٥٦).

واطلب العفو منه، واستغفره من ذنوبك ؛ ليدخلك في أوليائه الصالحين، ويجعلك من حزبه المفلحين : ﴿ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة/ ٢٢].

فهذا الحال والمقال والذل بين يدي مولاك العزيز يفضي بك إلى عز لا ذل بعده، وشرف لا ضَعَة بعده، وربح لا خسارة بعده : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف/ ١٠-١٣].

وتذلل رحمك الله لأولياء الله وأهل طاعته، وأكرِم كبيرهم، وارحم صغيرهم، وأحسن إلى فقيرهم، واعف عن مسيئهم، واستر زلاتهم : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وتَعزز على الكفار المعاندين والمنافقين بقدر بعدهم عن الحق، وخروجهم عن سواء القصد، وصدهم عن الحق : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾ [التحريم/ ٩].

وتذلل رحمك الله لأولياء الله، وتعزز على أعدائه، تكن ممن يحبهم الله ويحبونه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح/ ٢٩].

وعليك بالتواضع والعفو، فمن تواضع لله رفعه، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً.

واعلم أن التعلق بالقوي قوة، والتعلق بالعزيز عزة، فتعلق بالعزيز يعزك في الدنيا والآخرة : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾
[آل عمران/ ١٤٧] .

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران/ ١٦] .

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري[1].

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وقنا برحمتك شر ما قضيت ، إنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يعز من عاديت ، ولا يذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، يا قوي يا عزيز.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

الجبـــار

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٣] .

الله ﷻ هو الملك العزيز الجبار الذي قهر جميع الخلائق على ما أراد، وحكمها بقوته، وبسط سلطانه على جميع ملكه: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [البقرة/١٠٧].

وهو سبحانه الجبار القوي الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض، القوي النافذ أمره في ملكه، الذي أذل جميع الأقوياء بجبروته ، وقهر جميع الجبابرة بقوته: ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحج/ ٧٤] .

وهو سبحانه الجبار العالي فوق جميع المخلوقات، الجبار الذي خضع كل مخلوق لعظمته وجلاله ، وكبريائه وجبروته : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وهو ﷻ الجبار الذي أجبر الخلائق على ما أراد، وحكم بجبروته وسلطانه كل من في ملكه، فلا يكون في ملكه إلا ما يشاؤه ويريده، فما شاء الجبار كان، وما لم يشأ لا يكون أبداً: ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود/ ٥٦] .

وهو سبحانه الجبار الكريم الرحيم الذي يجبر قلوب المنكسرين، ويلطف بالمذنبين، ويفرح بتوبة التائبين، الجابر للضعيف العاجز ولمن لاذ به ولجأ إليه من خلقه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الحديد/ ٩] .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ : « لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَسْقُطُ عَلَى بَعِيرِهِ قَدْ أَضَلَّهُ بِأَرْضٍ فَلاة » متفق عليه[1].

وهو الجبار الذي جبر مفاقر الخلق ، وقسم أرزاقهم ، وكفاهم أسباب الرزق والمعاش في الدنيا

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٩) ، ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له.

والآخرة : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف / ٣٢] .

فسبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة والمجد والكبرياء، الجبار القوي الذي لا يجري عليه حكم حاكم ، ولا يتوجه إليه أمر آمر ؛ لأنه الملك الجبار الذي له الخلق والأمر: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

هو الجبار القهار الذي لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء، ولا يكلفه شيء: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس / ٨٢] .

هو الجبار الحق الذي أظهر جبروته على التمام والكمال بثلاث صفات:

الأولى: جبروت العزة والقهر، فهو الجبار القاهر لكل شيء، الذي خضع له كل شيء، ودان له كل شيء : ﴿ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٤].

الثانية : جبروت العلو ، فهو الجبار العلي على كل شيء ، الذي له جميع معاني العلو ، علو الذات ، وعلو القدر، وعلو القهر : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [الرعد/٩] .

الثالثة : جبروت الرأفة والرحمة ، فهو الجبار الرؤوف الرحيم ، اللطيف بعباده ، الذي يجبر الكسير ، وييسر العسير ، ويغني الفقير ، ويطعم الجائع ، ويشفي المريض ، ويجبر المصاب بجزيل الثواب: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج / ٦٥] .

فالله ﷻ هو الجبار وحده لا شريك له، والجبروت لله العلي الكبير وحده لا شريك له : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٣] .

ومن تجبر وتكبر من الخلق باء بالخيبة وسخط الجبار ودخول النار: ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [إبراهيم/ ١٥-١٧].

نعوذ بالله من سخط الجبار، ومن عذاب النار ، ومن خزي الذل والهوان.

واعلم هداك الله إلى صراطه المستقيم أن الخلق والأمر كله لله الواحد القهار ، والتدبير والتصريف كله للقوي الجبار ، وتقدير المقادير كلها جبراً وقهراً بمشيئة العزيز الجبار : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر/ ٤٩ – ٥٠] .

وجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي خاضعة للملك العزيز الجبار الذي قهرها بجبروته وقوته على ما أراد في وجودها وعدمها، وفي حجمها وشكلها، وفي طولها وعرضها، وفي قوتها وضعفها، وفي حركتها وسكونها ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[الزمر/ ٦٢– ٦٣].

واعلم نوَّر الله قلبك بالعلم النافع أن الله خص الإنس والجن من بين المخلوقات بوحيه المنزل، ودينه القيم، وشرعه المحكم، ومنحهما القدرة على الاختيار.

فمن خضع للجبار بقلبه وبدنه، وصبر على حكم الشرع، وقام بما أمره به ربه، أكرمه ربه برضوانه وجنته، لخضوعه وحسن اختياره: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾[النساء/ ١٣].

ومن عصى الجبار، واستكبر عن الحق ، واتبع هواه وشهواته ، أهانه الجبار،وسخط عليه،وأصلاه ناره ؛ لاستكباره وسوء اختياره : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء/ ١٤].

فهؤلاء عبيده المسيئون ، وأولئك عبيده المحسنون ، وكلٌّ تولَّى ما تولَّى، واختار ما اختار ، بلا إجبار ولا إكراه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان / ٢٩ – ٣١] .

وهذا محل الابتلاء ، وهو طريق النجاة والفلاح : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير / ٢٦ – ٢٩] .

فسبحان الملك العزيز الجبار العالي الذي لا يُنال ، الكبير الذي لا تحيط به الأبصار ، العظيم الذي لا تناله الأفكار ، العزيز الذي لا تصل إلى كنهه العقول : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو الجبار الذي يفعل ما يشاء بمن شاء ، في أي وقت شاء ، في أي مكان شاء ، ومشيئته نافذة في كل شيء ، الذي جبر وقهر المخلوقات على مشيئته وإرادته ، فلا يجري في ملكه إلا ما يريد ، ولا يقع في كونه إلا ما يشاء : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك/ ١].

هو الجبار الذي يُصلح الأمور في جميع الدهور ، فيجبر الكسير ، ويغني الفقير ، ويشفي المريض ، ويهدي الضال ، ويعز الذليل ، ويطعم الجائع : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل/ ٦٢].

هو الجبار الذي يقصم الظالم ، الجبار الذي يرحم المظلوم ، الجبار الذي ينفذ أمره في كل شيء ، الجبار الذي لا يقف له شيء ، الجبار الذي بيده كل شيء : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

فسبحان العزيز الجبار على الظالمين والطغاة والأقوياء والبغاة ، الرحيم الجبار للمظلومين والضعفاء والمنكسرين والأتقياء.

هو الجبار الذي أمر عباده بالطاعة بلا احتياج ، وأصلح الأشياء بلا اعوجاج : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يونس/ ٦٨].

- **التعبد لله ﷻ باسمه الجبار :**

اعلم وفقك الله لحسن عبادته أن العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم العلوم وأشرفها وأنفعها، ومن رزقه الله العلم واليقين رأى ببصره عظمة الخلق، وحسن الإبداع ، وحكمة التدبير ، وآثار الرحمة ، وكمال القدرة : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح/ ١٥-٢٠].

ورأى بقلبه عظمة المَلك الجباريتصرف في المُلك والملكوت بالقوة والجبروت ، فخشع قلبه لعظمة ربه العزيز الجبار، وتحركت جوارحه بطاعته ، ونطق لسانه بالتسبيح والتكبير والحمد له في جميع أوقاته ؛ لما يرى من عظمة ربه وجلاله ، وجميل إحسانه وإنعامه : ﴿ ٱللَّهُ

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِى لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد / ٢] .

فهذا الذي رأى ربه يخلق ويتصرف في ملكه فذكره كأنه يراه ، والله يحب مَنْ ذكره فاذكره يذكرك فيمن عنده : ﴿ فَٱذۡكُرُونِىٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِى وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٢] .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى الله أَرْبَعٌ ، سُبْحَانَ الله ، وَالحَمْدُ لله ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَالله أَكْبَرُ ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ » أخرجه مسلم(1).

ومَنْ نوَّر الله قلبه بالإيمان صار غذاء قلبه بواسطة لسانه ، ثم صار غذاء الجميع : ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات/ ١٨٠ -١٨٢] .

« سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ وَالملَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ » أخرجه أبو داود والنسائي(2).

فتذلل لربك الملك الجبار، وسبح بحمد ربك العظيم: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم / ٦٥] .

واسأل ربك الجبار أن يستعمل بقية حياتك في ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وأن يلين قلبك لعباده ، ويرغّبك في النصيحة لهم ، فتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر، وتدعو إلى الله ، وتحبب عباده إليه بذكر أسمائه وصفاته ، وإنعامه وإحسانه ، وجزيل ثوابه : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة/ ٧١] .

ومن أراد الله به خيراً هداه للدعوة إليه : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

واعلم أن الجبار الأعلى هو الملك الحق جل جلاله ، والجبار من الخلق هو الذي يُجبر الناس بخلقه وأمانته ، وصدقه وكرمه ، وعفته واستقامته على أن يقتدوا به : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٣٧).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٨٧٣)، وأخرجه النسائي برقم (١٠٤٩) .

واعلم أن الإنسان مفتاحه الحق ، والحق لا يوصل إليه إلا بالحق ، فعليك بطاعة الحق جل جلاله ، واتباع ما أنزل من الحق ، ولا تكن أسيراً للباطل وحب المال والجاه والدنيا والشهوات فتندم وتخسر : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ (١٥) ﴾ [آل عمران/ ١٤-١٥].

واعلم أن الإنسان إذا كان محُصَّنًا بالإيمان من حب المال والنساء وحب الجاه والدنيا فهو جبار لا يستطيع أعداؤه من شياطين الإنس والجن القرب منه ولا النيل منه ؛ لأن الجبار معه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) ﴾ [الحج/ ٣٨].

فاسأل ربك الجبار الرحيم ، الجابر لجميع خلقه بنعمه وإحسانه وعفوه ومغفرته ورحمته أن يجبر منك كسور الغفلة والتفريط ، وكسور الكبر والعجب والفخر، وكسور الرياء والكذب والمعاصي ، وأن يبدلك منها دوام ذكره وشكره وطاعته ، والصدق ، وإخلاص العمل له ، والذل له ، والتواضع لعظمته وكبريائه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) ﴾ [الحشر/ ٢٢ - ٢٣] .

والله كريم قريب مجيب ما أمرنا بالدعاء إلا ليستجيب لنا : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) ﴾ [غافر / ٦٠] .

واعلم بأن أهل النظر في عالم الملك والملكوت هم أهل التوحيدوالإيمان واليقين والتوكل : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ (١٨٥) مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦) ﴾ [الأعراف/ ١٨٥-١٨٦].

شاهد أولو الألباب والعقول أن المُلك كله بيد المَلك العزيز الجبار وحده لا شريك له .. هو الخالق والآمر فيه .. وهو القابض والباسط له .. وهو المانع والمعطي منه .. وهو المالك والمتصرف فيه : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (١٩) ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ (٢٠) ﴾ [الرعد/ ١٩-٢٠].

ولما علموا ذلك لم يطلبوا شيئاً من سواه ؛ لعلمهم الذي وَقَر في نفوسهم ، وأضاء نوره في قلوبهم : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران / ٢٦].

ولما طلبوا سألوا الله أعظم ما في خزائنه فقالوا : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢-٧] .

فلله در أقوام سكنوا داراً مُلئت بالمخلوقات والفتن ، ومع ذلك لم يروا مع الله سواه ، ولم يشاهدوا في الكون سوى مولاهم ، فتوكلوا عليه ، وسألوه الهداية إليه ، وجاهدوا وصبروا على ما أصابهم من أجله ، فأعطاهم مبتغاهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

جعلنا الله وإياكم والمسلمين منهم: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ١٢].

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران / ٥٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران / ٨] .

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافي في أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي جِدِّي وَهَزْلي ، وَخَطَئِي وَعَمْدِي ، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ المُقَدِّمُ ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه[(١)] .

اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ، ولا هماً إلا فرَّجته ، ولا مبتلى إلا عافيته ، ولا مريضاً إلا شفيته ، ولا ضالاً إلا هديته ، ولا فقيراً إلا أغنيته ، ولا حيران إلا دللته ، ولا كسيراً إلا جبرته ، ولا عدواً إلا أهلكته ، ولا زلة إلا سترتها ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) ، ومسلم برقم (٢٧١٩) ، واللفظ له.

الخالق .. الخلاق

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر / ٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس/ ٨١-٨٢].

الله ﷻ هو الخالق وحده لا شريك له ، الخلاق الذي خلق جميع المخلوقات بقدرته ، وصوَّرها بإرادته ، وحكَمها بأمره : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

وهو ﷻ الخالق الذي خلق كل شيء، ولايزال يخلق ما شاء، متى شاء، كيف شاء: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [القصص/ ٦٨] .

وهو سبحانه الخلاق الذي خلق ويخلق ما لايحصيه إلاهومن المخلوقات ، والأشياء،والذرات ، والأنفس،والثمرات ، والأجرام ، والأفلاك : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر/ ٨٦].

وهو سبحانه الخالق الذي خلق المخلوقات كلها على غير مثال سابق: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١١٧] .

وهو سبحانه الخالق البارئ المصور الذي خلق كل شيء وأحسن صورته.

خلق العرش والكرسي .. وخلق السموات والأرض .. وخلق الدنيا والآخرة .. وخلق الشمس والقمر .. وخلق النجوم والكواكب .. وخلق الليل والنهار .. وخلق الأرواح والملائكة .. وخلق الهواء والرياح : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وهو سبحانه الخالق الذي خلق السحب والمياه،وخلق الجماد والنبات،وخلق الطير والحيوان، وخلق الجان والإنسان، وخلق السهول والجبال، وخلق البحار والأنهار، وخلق العيون والآبار:

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١ ﴾ [لقمان / ١٠-١١].

وهو سبحانه الخالق العظيم الذي خلق جميع الذرات ، وخلق قطرات الأمطار والبحار، وخلق أصناف النبات ، والأشجار ، والأوراق ، والأزهار ، والثمار ، وخلق أنواع الحيوان ، والبهائم ، والسباع ، والحشرات ، والذر: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وهو سبحانه الخلاق العليم الذي خلق جميع المخلوقات ، وأتقن صنعها ، وأحسن خلقها: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ﴾ [السجدة / ٦-٧] .

فسبحان الخالق العظيم، الخلاق العليم الذي خلق جميع المخلوقات في العالم العلوي، وفي العالم السفلي، وجعل لكل نوع منه، وكل فرد منه، وكل ذرة منه، قدراً في الحجم، ولوناً في الشكل، وحكمة في الخلق.

فمنها العالي والسافل .. ومنها الكبير والصغير .. ومنها الطويل والقصير .. ومنها الرطب واليابس .. ومنها السائل والجامد .. ومنها القوي والضعيف .. ومنها الناطق والصامت .. ومنها الحي والميت .. ومنها الذكر والأنثى .. ومنها المتحرك والساكن .. ومنها العذب والمالح .. ومنها الثابت والنامي .. ومنها اللين والقاسي : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠ ﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠] .

وسبحان الخالق العظيم الذي أحكم وأحسن خَلْق ما خَلَق ، فلا يستطيع الخلق كلهم أن يخلقوا مثله ، فضلاً عن أن يخلقوا أحسن منه : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ﴾ [الأنعام/ ١٠١].

بل الخلق كلهم لو اجتمعوا ما استطاعوا أن يخلقوا ذباباً : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤ ﴾ [الحج/ ٧٣ – ٧٤].

والله ﷻ هو الرب الخالق الذي خلق المخلوقات كلها ، وتفرد بالملك والخلق وحده ، ودبر وحده أمر الممالك والخلائق في السماء والأرض، وفي الدنيا والآخرة، وأجرى عليهم أحكامه الكونية وأحكامه الدينية وحده لا شريك له: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

وهو سبحانه الخلاق العليم الذي يعلم كل مخلوق في ملكه، ويسوق إليه رزقه، ويراه ويسمعه وهو يتناوله : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [العنكبوت / ٦٠] .

وهو سبحانه الخلاق القدير الذي لايعجزه شيء ، الذي خلق جميع الخلق ، ويبعثهم بعد موتهم في لمحة واحدة كخلقه نفساً واحدة : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان/ ٢٨].

فسبحان الخلاق القوي القهار، العظيم الذي خلق كل عظيم في ملكه العظيم ، البصير الذي يرى كل شيء في ملكه العظيم : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المؤمنون/ ١٧-١٩] .

وسبحان الخالق لكل شيء ، البارئ لكل شيء ، المصور لكل شيء ، المبدع لكل شيء.

هو الخلاق عظيم الخَلق ، كثير الخَلق ، حَسَن الخَلق.

خلق السموات والأرض ، وخلق المجرات والجبال ، وخلق الليل والنهار ، وخلق كل شيء : ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون/ ١٤].

فسبحان القادر على كثرة الخَلق عدداً ، القادر على عظمة الخَلق نوعاً ، القادر على حُسن الخَلق شكلاً .

هو الخالق الذي قَدَّر خَلْق كل شيء ، البارئ الذي أوجد كل شيء من عدم ، المصور الذي أعطى الصور الحسنة لكل مخلوق ، المبدع الذي خلق كل شيء على غير مثال سابق : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٤].

واعلم أن الإنسان يخلق الشيء من الأشياء الموجودة على مثال سابق ، ويسمى خالقاً مجازاً.

واعلم أن الناس بفطرتهم يعلمون أن خالق الكون وما فيه هو الله ، وكذلك إبليس ، ولكن لا يعرفون عن الله العظيم ما يجعلهم يعبدونه ويطيعونه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

والإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله إذا حمل العبد على طاعة الله فهو كاف للفوز بالجنة والنجاة من النار .

أما إذا كان الإيمان بحجم لا يكفي لحمل الإنسان على طاعة الله فذلك هو الخسران المبين كإيمان إبليس والكفار : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٥].

فلابد للمؤمن من تقوية الإيمان بالنظر في الآيات الكونية والشرعية ، ومجاهدة النفس على فعل الأوامر ليسارع العبد إلى أنواع الطاعات ، ويكف عن المعاصي والشهوات المحرمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء/ ١٣٦].

واعلم أن معرفة أسماء الله الحسنى شيء ، وفهمها شيء آخر ، وأن يعيشها الإنسان ويتصف بها شيء آخر فوق ذلك : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وهو سبحانه الخلاق العليم بكل شيء على التمام والكمال وحده لا شريك له : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

خلق سبحانه خلقاً في البر لا يعلم بهم أهل البحر،وخلق في البحر خلقاً لا يعلم بهم أهل البر . وخلق في السماء خلقاً لا يعلم بهم أهل الأرض ، وخلق في الأرض خلقاً لا يعلم بهم أهل السماء. وخلق في الجو بين السماء والأرض خلقاً لا يعلم بهم أهل السماء والأرض ، وخلق في السماء والأرض خلقاً لا يعلم بهم أهل الجو : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وخلق ﷻ من الملائكة ، والجن ، والإنس ، والجماد ، والنبات ، والحيوان ، أمماً وقبائل وشعوباً ، لا يعلمها ولا يحصيها ولا يحيط بها إلا من أحاط بكل شيء علماً : ﴿ وَعِندَهُۥ

مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

والكل خلق الله .. والكل مُلك الله .. والكل عبد الله .. والكل جند الله .. والكل يشهد بوحدانية الله .. والكل يسبح بحمد ربه : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

فاعرف أيها العبد اللبيب نفسك ، وتعرَّف على أسماء وصفات من تعبد .

واعلم من تجالس ؟ وماذا تقول ؟ وماذا تعمل ؟ وماذا تبني ؟ وماذا تهدم ؟ وماذا تربح ؟ وماذا تخسر ؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر / ١٨ – ١٩].

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ خلق كل شيء بأمره الكوني فكان ، وهو القادر على كل شيء، الذي يفعل ما يشاء مقروناً بالحكمة والرحمة والعدل والإحسان.

أحياناً يخلق ويرزق بالأسباب كما يخلق النبات بأسبابه ، والحيوان بأسبابه،والآدمي بأسبابه : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ [الطارق/ ٥-٨] .

وأحياناً يخلق ويرزق بلا أسباب كما رزق مريم ابناً بلا ذكر ، وطعاماً بلا شجر: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس / ٨٢] .

وأحيانا يظهر قدرته على الخلق بضدالأسباب كما جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم ﷺ : ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء/ ٦٩-٧١] .

فأظهر الخالق قدرته في هذا ، وأخفى قدرته في ذلك ؛ ليعلم عباده أنه القادر على كل شيء ، فيعبدوه وحده لا شريك له ، ولا يتعلقوا بأحد سواه : ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل / ١٧ – ١٨] .

وخلق ﷻ الإنسان بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلَّمه الأسماء كلها ؛ تشريفاً له على غيره : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟

لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾
[ص/ ٧١-٧٤].

فخلَقه من تراب ، ثم جعل نسله من ماء مهين ، ثم أخرجه من بطن أمه مختلف الألوان ، والأطوال ، والأشكال ، والأحجام ، والألسن ، والصفات.

فذكروأنثى .. وطويل وقصير .. وأبيض وأسود .. وسمين ونحيف .. وذكي وغبي .. وعاقل ومجنون .. ورحيم وشديد .. وعربي وعجمي .. وبصير وأعمى .. وسميع وأصم .. وناطق وأبكم .. وكريم وبخيل .. وحَسَن وقبيح .. ومؤمن وكافر .. ومحسن وظالم : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس/ ٣٦].

فتبارك الله أحسن الخالقين ، الذي أظهرقدرته في خلق هذا الإنسان من نطفة من ماء مهين: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون/ ١٢-١٤].

واعلم نوَّر الله قلبك بالإيمان أن البذر والغرس في أرحام الأرض كنطفة الذكور في أرحام الإناث ، فإذا نزل الأمر من الخلاق العليم حسب التقدير السابق بكون كل شيء أراده الله، استجاب وأطاع ذلك المخلوق لأمر الخالق ﷻ شكلاً ونوعاً وعدداً.

فقال سبحانه في خلق الإنسان : ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى/ ٤٩-٥٠].

وقال سبحانه في خلق الحيوان : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور/ ٤٥].

وقال سبحانه في خلق النبات : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل/ ١٠-١١].

وهو سبحانه الخالق القادر على كل شيء ، الخالق الذي بدأ الخلق كله ، ثم يعيده كله كما كان إظهاراً لقدرته : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم/ ٢٧] .

هذا ربي وربك الخلاق العليم ، فاعبده ولا تلتفت لما سواه : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم/ ٦٥] .

فسبحان الملك الحي القيوم الذي حكَم على كل نفس بالموت ، وقضى على كل مصنع بالخراب ، وقهر كل متحرك بالسكون ، وحكم على كل موجود بالفناء: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن/ ٢٦–٢٧] .

والله ﷻ خلقنا للبقاء لا للفناء ، لكن حكَم علينا بالموت والفناء فرقاً بين الرب والمربوب ، وتمييزاً للحي الذي لا يموت من الحي الذي يموت ، ولإتمام حكمته في البدء والإعادة ، والثواب والعقاب : ﴿ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [يونس/ ٤] .

فسبحان من خلق الإنسان ثم حكم عليه بالموت ؛ ليمتاز الخالق الباقي من المخلوق الفاني ، ثم يعيده بعد الموت ، ليبقى في حياة لا يفنى بعدها أبداً : ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٠﴾ ﴾ [التغابن/ ٩–١٠].

وقد جعل الله لكل مخلوق بداية ونهايةليدل بذلك على حدوثه ونقصه ، وليمتاز المخلوق الذي له بداية ونهاية ، عن الخالق الذي ليس له بداية ولا نهاية :﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد/ ٣] .

فانظر رحمك الله إلى قدرة الخلاق العليم في البدء والإعادة ، لتعلم أن بعد هذه الحياة موت ، ثم بعد الموت بعث ، ثم بعد البعث حساب ، ثم بعد الحساب ثواب أو عقاب : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١٩﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ ﴾ [العنكبوت/ ١٩–٢٠] .

ثم بعد الحساب يساق المؤمنون إلى الجنة ، ويساق الكفار إلى النار : ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦﴾ [الروم/ ١٤ – ١٦] .

فسبحان الخالق القادر على كل شيء ، الذي خلق فأبدع ، وصوَّر فأحسن ، وصنع فأتقن ، وقدَّر فهدى ، وحكَم فعدل ولطف وأحسن الإحسان كله : ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧﴾ [السجدة/ ٦–٧].

والله سبحانه هو الخالق البديع الذي بَدَع كل شيء أولاً ، فلم يسبقه فاعل إلى فعل مثله ، الخالق الذي خلق كل شيء على غير مثال سابق : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [البقرة / ١١٧] .

والله سبحانه الخالق البديع الأول قبل كل شيء ، الخالق الذي أبدع أول كل شيء ، وصوَّر أول كل شيء ، وأحسن صورة أول كل شيء : ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد / ٣].

هو البديع في ذاته فلا يشبهه شيء من خلقه ، هو الخالق الذي ليس كمثله شيء في الخلق : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى/ ١١].

وهو البديع في خلقه ، فقد خلق جميع المخلوقات وأبدعها على غير مثال سابق .

وهو البديع في أفعاله الذي يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد.

واعلم أن حظ كل مؤمن من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى أن يكون مسلماً مؤمناً ، كريماً رحيماً ، عفواً حليماً ، لطيفاً ودوداً .

أما حظه من اسم البديع فهو أن يظهر كل سنَّة ، ويسبق إلى كل طاعة ، ولا يبتدع شيئاً لم يرد به الشرع في العقيدة والعبادة والدعوة والسلوك وغير ذلك : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر / ٧].

واعلم أن البديع جل جلاله خلق الإنسان فرداً لا شبيه له ، وأعطاه حرية الاختيار والإرادة ، وأذن له أن يجتهد ويبدع فيما لم يرد فيه نص : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء/ ٥٩].

فسبحان البديع الذي أبدع خلق كل شيء ، وأذن للإنسان أن يبدع أشياء في مجال عالم الجماد والنبات والحيوان بالتصنيع والتهجين .

ومنع وحذر الإنسان أن يبتدع في الدين شيئاً لم يرد به الشرع : ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾ [الأنعام/ ١٤٤].

وهو سبحانه البديع الحق الذي له الجمال كله ، الذي زيَّن السموات والأرض ، الذي أضاءهن بنوره العظيم ، وأمسكهن بقدرته القاهرة : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور / ٣٥] .

فانظر رحمك الله إلى عجيب إبداع الخالق العظيم ، وجميل صنعه وإتقانه في خلق السموات والأرض وما بينهما وما فوقهما من العرش العظيم ، والكرسي الكريم ، وما بين السماء والأرض من الرياح والسحب ، والنجوم والأفلاك ، والشمس والقمر : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر / ٦٢ –٦٣] .

كيف سخَّر الملك القادر كل ذلك بأمره ، وصرَّف تلك المخلوقات بمشيئته ، في طلوعها وغروبها ، وخنوسها وكنوسها ، واجتماعها وافتراقها : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس/ ٣٧-٤٠].

فسبحان الخالق العظيم الذي أبدع رؤوس العالم من الملائكة ، والجن ، والإنس ، والروح ، وأنواع الجماد ، والنبات ، والحيوان : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠١-١٠٢] .

وإن أردت متين العلم الذي يملأ القلوب بالإيمان فانظر رحمك الله إلى عجيب خلق الله لهذا المعرض العظيم ، والمصنع البديع ، وكيف ملأه الخلاَّق العليم بعجائب المخلوقات : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس / ١٠١] .

فسبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر / ٦٥] .

وإنما يُعجَب بظاهر الدنيا من لا يرى نزهة الملكوت ، وأعظم من نزهة الملكوت رؤية الذي خلقه وأبدعه وصوَّره : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

عن أي علم كان هذا الملكوت العظيم؟ وعن أي قدرة أظهره الخلاق العليم؟ وعن أي قوة قهر ما قهره؟ : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

فسبحان الخالق الحق الذي خلق الخلائق كلها ، ودبر الأمور كلها ، وأخرج الكون من العدم بقدرته ، وأنار الكون بنوره ، وملأه بآثار رحمته وجزيل نعمه ، حتى ذلت العقول لعظمته ، وتصاغرت لكبريائه ، وخشعت لجبروته ، وقنتت لعزته ، وسجدت لجلاله ، وسارعت إلى طاعته وعبادته : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

- **التعبد لله ﷻ باسمه الخالق :**

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الخالق سبحانه خلق جميع المخلوقات، ليظهر لعباده كمال قدرته ، وسعة علمه ، فإذا عرفوا العظيم حقاً ، الكريم حقاً، أحبوه حقاً ، ثم عبدوه حقاً : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا كان الله هو الخالق وحده لا شريك له فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الروم/ ٤٠].

ولهذا حمد الله نفسه على كمال قدرته على الخلق، وعاب على من انصرف عنه إلى غيره وعدل به سواه فقال سبحانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام/ ١].

فنحمد الله على نعمة التوحيد والإيمان ، ونعوذ به من كفر الكافرين ، وشرك المشركين ، وضلال الضالين : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٩٠-١٩٢].

ومن نوّر الله بصيرته بالإيمان لم ير في الكون إلا اثنان :

مَلِك وعبيد .. وخالق ومخاليق .. وغني وفقراء .. وقوي وضعفاء .. وعزيز وأذلاء : ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

فمن أراد أن يعرف أن ربه هو الخالق فعليه أن يُمْعن النظر في آيات ربه الكونية في السماء والأرض ؛ لتلوح له دلائل قدرة الخلاق العليم ، وحكمته في صنعه في خلق السماء المرفوعة ، والأرض المفروشة ، وأصناف النبات ، وأنواع الحيوان ، وأقسام الجماد ، وعجائب خلق الإنسان: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ﴾ [العنكبوت/ ١٩-٢٠].

وهذا النظر والتفكر من أعظم دلائل التوحيد والإيمان، وأفضل أنواع العبادة : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨) ﴾ [ق / ٦ - ٨] .

واعلم أن الملك الحي القيوم الذي يُنزِّل كل لحظة أوامر الخلق والإيجاد، وأوامر التصريف والتدبير، وأوامر النفع والضر، هو الإله الحق الذي أنزل أوامره الشرعية على عباده ، إكراماً لهم ، وإحساناً إليهم ، وتشريفاً لهم ، وعناية بهم ؛ ليكونوا في الدنيا هم خلفاء الأرض بحسن عبادته ، وتنفيذ أوامره ، وليَصِلوا إليه بعد الموت بأحسن صورة وعمل ، فيجزيهم يوم القيامة بالجنة والرضوان ، لحسنهم وإحسانهم : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) ﴾ [يونس / ٢٦] .

ويجعلهم ربهم يوم القيامة بالقرب منه كما تقربوا إليه في الدنيا بطاعته : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥) ﴾ [القمر/ ٥٤ – ٥٥] .

فسبح بحمد ربك العظيم ، واستعن بربك القدير على ذكره وشكره وحسن عبادته ، ولا تدَّعي القدرة على أعمالك ، ولا تجحد ما أنعم الله به عليك ، ولا تنكر ما أسداه إليك من الخير ، ولا ما صرفه عنك من الشر وقل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) ﴾ [الفاتحة/ ٢-٧] .

واعبد ربك بما ورد في شرعه ، وأحسن عبادته ، وإياك أن تبتدع شيئاً يقطعك عنه ، ويُرد عليك إثمه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾ [الكهف/ ١١٠].

وأظهِر كل سنة ، وسابق إلى كل فضيلة ، وسارع إلى كل مكرمة.

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ:« مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ » أخرجه مسلم(1).

وارتبط وفقك الله ورابط ، واصبر وصابر واصطبر لعبادة ربك العظيم ، فعن قريب يُرجعك إليه ، ويجزيك بأحسن ما عملت ، ويقدمك على أكرم ما قدمت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠) ﴾ [آل عمران / ٢٠٠] .

واقنت لربك الأعلى، واسجد له وسبحه ليلاً طويلاً ، فهو أحق من عُبد ، وأرحم من مَلك ، وأكرم من أعطى ، وأعظم من خَلق : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥) ﴾ [مريم / ٦٥] .

ولا تجعل ما أنعم الله به عليك من النعم حجة عليك يقطعك عن ربك ، ويشغلك عن عبادته ، بل استعن به على ما يحبه ويرضاه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) ﴾ [البقرة/ ١٧٢] .

واعبد ربك الخلاق العليم الذي خلق الخلائق ، وقدَّر المقادير ، وأحسن الخلق ، وأحكم الصنع ، فلا رب لك سواه ، ولا إله لك غيره : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) ﴾ [البقرة/ ٢١ –٢٢] .

ومن أراد أن يعبد الله حقاً فليعرفه حقاً : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣) ﴾ [يونس/ ٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾ [البقرة / ٢٨٦] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٧) .

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر / ١٠] .

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري[1].

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

أنت الملك الحق ، القوي القدير ، الخلاق العليم ، الغفور الشكور ، لا إله إلا أنت ، ولا رب لنا سواك ، فاغفر لنا وارحمنا برحمتك يا عزيز يا غفور .

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، يا أرحم الراحمين.

---

(١) أخرجه **البخاري** برقم (٦٣٠٦).

البـــارئ

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر / ٢٤] .

الله ﷻ هو الخالق البارئ الذي خلق كل شيء ، وبرأ وأوجد كل شيء.

وهو سبحانه الخالق البارئ وحده لا شريك له، خلق جميع المخلوقات ، وبرأ جميع الجمادات ، والنباتات ، والحيوانات ، والنسمات ، والهيئات ، والحركات ، وأظهرها كما قدرها وعلِمَها : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٢].

وهو سبحانه الخالق البارئ الذي برأ الخلق ، وأوجدهم على غير مثال سابق، الذي أحسن كل شيء خَلَقه، فظهر في أجمل صورة ، وأحسن شكل : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة/ ٦-٧].

وهو سبحانه الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت والتناقض ، سليماً من التباين والخلل ، فظهر كما أراد خلقاً حسناً سوياً ، ليس فيه اختلاف ولا تنافر ، ولا نقص ولا عيب ، بريئاً من كل خلل : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الملك/ ١-٤] .

فسبحان الخالق البارئ المصور الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لا يكون أبداً ، الخالق البارئ الذي قدَّر كل شيء قبل وقوعه،من الخير والشر ، والعافية والبلاء ، والنعم والمصائب : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد / ٢٢] .

وهو سبحانه عالم الغيب والشهادة ، العالم بالظواهر والبواطن ، الشافي من كل داء ، المبرئ من كل سوء : ﴿ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾ [الشعراء/ ٧٧-٨١].

وهو سبحانه الخالق البارئ المصور الذي جعل الذوات محمولة في الأجسام ، مخزونة في الأصلاب ، خلقها جميعاً في صلب آدم ﷺ ، سواها بقدرته، وخلقها مبرأة من العناء في

العهد الأول ، وبرأها على الإسلام له ، وفطرها على الإقرار له بالوحدانية قبل خروجها من عالم الغيب، فهي قانتة لبارئها ، مسلمة لخالقها: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف / ١٧٢ -١٧٣] .

فسبحان الخالق البارئ المصور الذي قدَّر المخلوقات والأشياء على مقتضى حكمته ، الخالق البارئ الموجد لها بعد العدم ، المصور لها كيف شاء ، الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون على الصورة التي يريد ، وعلى الشكل الذي يريد ، في الوقت الذي يريد ، ويظهره في الوقت الذي ير يد : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [القصص / ٦٨] .

• التعبد لله ﷻ باسمه البارئ :

اعلم أيها العبد المسلم أنك خَلْق من الخلق الذي يوحد ربه ويسبح بحمده في كل حين ، فأقبل على ربك مع الموحدين ، وسبح بحمده مع المسبحين : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة/ ١] .

وحقِّق ذلك بالتوبة النصوح من كل منهي عنه ، وإرجاع النفس إلى بارئها بفعل كل مأمور به ، وإيثار كل محبوب عنده ، وتقديم مراد الرب على مراد النفس : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التحريم / ٨].

وذكِّر نفسك بأخذ ربك الميثاق عليها عند أول خلقها ، وما أعطته من العهود في بدء أمرها ، وذكِّرها بنعماء بارئها عليها ، كيف سواها في أحسن تقويم ، وفطرها على الدين القيم ، وذكِّرها بالملك الغفور الرحيم ، لعلها تؤوب إلى ربها ، وتسير إلى ما فيه رشدها : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [المائدة/ ٣٩-٤٠] .

وليكن لك في كل يوم ذكر جديد ، ودعاء جديد ، وتسبيح جديد ، وإحسان جديد ، وعمل صالح

جديد : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣]

واعلم رحمك الله أن سبيل فلاح النفس في الإسلام يكون بترك هواها ، والأخذ بها إلى مراد بارئها ، وحَمْلها على المسارعة إلى فعل الخيرات طوعاً وكرهاً ، حتى يصير ذلك عادة لها : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد/ ٢١] .

وحينئذ يستقيم لك أمرها ، فتحيا بمراد بارئها ، ويموت مرادها ، ومن فعل ذلك أعانه الله ، وتاب عليه : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤﴾ [الأنعام/ ٥٤].

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨﴾ [البقرة/ ١٢٧ –١٢٨].

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفسِي ظُلْماً كَثِيراً وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ،فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »متفق عليه[1].

اللهم إني أسألك إيماناً كاملاً ، ويقيناً صادقاً ، وقلباً خاشعاً ، ولساناً ذاكراً ، وحلالاً طيباً ، وأسألك الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له.

المصور

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر / ٢٤] .

الله تبارك وتعالى هو الخالق البارئ المصور الذي خلق الخلق ، وصوَّرهم على صور مختلفة ، وهيئات متباينة ، من الحسن والجمال ، والشكل واللون ، والطول والقصر ، والذكورة والأنوثة : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [غافر/ ٦٤].

فكل مخلوق ميزه ربه بصورة خاصة تميزه عن غيره من المخلوقات ، فلكل مخلوق من المخلوقات طبعة خاصة ، وصورة مستقلة : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٠٦].

وهو سبحانه المصور الذي إذا أراد شيئاً قال له : كن ، فيكون على الصورة التي يختار ، والشكل الذي يريد ، والحجم الذي يشاء ، في أحسن صورة ، وأتقن صُنْع: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة / ٦ – ٧] .

فسبحان الخالق البارئ المصور الذي خلق السموات والأرض وما فيهما فأحسن خلقهما ، وخلق الإنسان في أحسن صورة ، وأكمل هيئة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [التغابن/ ٢-٣].

وسبحان المصور الذي خلق الأشياء ثم صورها على شكل تتميز به عن غيرها من تقدير وتخطيط وحجم ولون وتركيب: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة/ ١٦٤] .

واعلم أن الله ﷻ أحسن الخالقين خلق كل شيء وأبدع خَلْقه ، وأحسن صورته.

ومن أعظم ما خلق الله الإنسان ، فقد خلقه الله من بين المخلوقات بيده ، وخلقه على صورته ، وأحسن صورته ، وأحسن تقويمه ، وأقسم على ذلك فقال : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين/ ٤-٦].

فسبحان الخالق البارئ المصور الذي يصور النبات والحيوان والإنسان في ظلمات الأرض والأرحام كيف يشاء ، في أي وقت شاء ، في أي صورة شاء: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [آل عمران / ٦] .

فلا إله إلا الله خالق كل شيء ، المصور الذي يصور مخلوقاته كيف يشاء ، ويحسن صورها كيف يشاء ، ويبدع صورها كيف يشاء ، ويفاوت بينها في الخلق والتصوير والحسن ، عالم الغيب والشهادة ، البصير بالصغير والكبير ، السميع للسر والجهر ، المصور لكل صورة ، الكريم بكل نعمة ، العليم بكل ذرة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [الحديد/ ٤-٥] .

ومَنْ هذه قدرته ، وهذه أسماؤه وصفاته وأفعاله ، وهذه مخلوقاته ، أهل أن يُعظَّم ويُكبَّر ، وأن يُحَب ويُعبد ، وأن يُحمد ويُشكر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار / ٦ -٨] .

وما أعظم الصور التي صوَّرها المصور ، ولننظر إلى صورة واحدة منها وهي أنت.

فانظر رحمك الله إلى ربك كيف خلقك في أحسن تقويم ، فقد خلق الله الإنسان من تراب ، ثم من نطفة ، ثم ركَّب أعضاءه بعضها فوق بعض ، وقسَّم ﷻ تلك القطرة السائلة ، وصوَّرها بقدرته كيف شاء .

فجعل المصوِّر سبحانه بعضها لحماً .. وبعضها عظماً .. وبعضها شحماً .. وبعضها مخاً .. وبعضها عصباً .. وبعضها شعراً .. وبعضها عروقاً .. وبعضها جلداً .. وبعضها ظفراً .. وبعضها سمعاً .. وبعضها بصراً .. وبعضها أنفاً .. وبعضها فماً .. وبعضها سناً.

ثم خلق المصوِّر داخل الإنسان ما لا يحصيه إلا هو من مصانع الدم ، والهضم ، والتصفية والتحلية والتكرير والدفع والتهوية والحركة كالقلب ، والكبد ، والمعدة ، والعينين ، والأذنين ، والرئتين ، والكليتين وغيرها مما خلقه وصوَّره كاليدين والرجلين والرأس وسائر الأعضاء : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١٢-١٤] .

وخَصَّ الخالق المصور ﷻ كل عضو بوظيفة يؤديها ، ومكان يخالف مجاوره ، وجعل الكل يتعاون مع بعضه في خدمة الإنسان ، ويسبح بحمد ربه الرحمن.

ثم أمد المصور سبحانه تلك القطرة المصورة بمعاني صفات المخلوق وأسمائه وأخلاقه من عقل وعلم وقدرة وإرادة وكرم وحلم وغيرها من الصفات المحمودة وضدها : ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾ [الإنسان/ ١-٣] .

فتبارك الله رب العالمين ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، وتبارك الله خير الرازقين : ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [الذاريات / ٢٠ – ٢٢].

وخلق الله لهذا الإنسان المكرَّم ، والحيوان المسخر ، مائدة الطعام والشراب ، فهي مفتوحة الأبواب له في البر والبحر والجو ، يأكل منها حيث شاء إلا ما يضره ، فقد فطره الله على البعد عنه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ [البقرة / ١٦٨] .

وبعد أن أكمل الله خلق الإنسان ، وهيأ له مائدة الطعام والشراب ، أنعم عليه بنعمة أعظم منها تصله بخالقه ، وتسعده في دنياه وأخراه ، وهي الدين الحق الذي أنزله على رسله ، وأتمه وأكمله لسيد الخلق ﷺ وأمته : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة / ٣] .

فلله الحمد والشكر على جزيل نعمه وإحسانه .. وله الحمد والشكر على دينه وشرعه .. وله الحمد والشكر على فضله ورحمته : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة/ ٢– ٤].

واعلم رحمك الله أن صورة آدم ﷺ وذريته هي التي تحقق فيها معاني التصوير ظاهراً وباطناً ، وظهر فيها الكمال والجمال ؛ لأنه اجتمع فيها التقدير ، والتصوير ، والحُسن ، والتكريم ، والخلود بعد الموت : ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء / ٧٠] .

فتبارك الله رب العالمين ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، أظهر الإسلام أحسن دين ، في أحسن صورة في آدم أحسن مخلوق ، الذي خلقه الله بيده ، وجعله وذريته خلفاء الأرض : ﴿وَإِذۡ

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة/ ٣٠].

فمن آمن ازدادت صورته حسناً وجمالاً في الظاهر والباطن: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة/ ١٣٨].

ومن كفر ازدادت صورته قبحاً وسفلاً في الظاهر والباطن: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين/ ٤ - ٦].

وتُصوَّر صور الخلق يوم القيامة، وتبيَضّ وتسود، وتثاب النفوس وتعاقب، حسب إيمانهم وكفرهم وأعمالهم: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٦ - ١٠٧].

فسبحان الكريم الذي أكرم بني آدم بحسن الخلق، وحسن الصورة، وحسن الرزق، وحسن الدين، وحسن الثواب: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٦].

وله الحمدعلى إكرام وجه المؤمن الذي خلقه على صورته،فنهى عن قتله أوضربه مع الوجه، وحرم على النار أن تأكل وجوه الموحدين، إكراماً لمن خلقه بيده، وسجد وجهه لعظمته.

اللهم حرم وجوهنا ووجوه والدينا وذرياتنا والمسلمين على النار، يا أرحم الراحمين.

واعلم وفقك الله لحسن معرفته أن خلق وتصوير الخالق المصور لا غاية له ولا منتهى، فالجبار ﷻ يخلق ويصور في كل آنٍ ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من المخلوقات والصور في السماء والأرض، وفي الدنيا والآخرة: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٤].

والكل خلقه .. والكل عبيده .. والكل يشهد بتوحيده .. والكل يسبح بحمده .. والكل خاضع لمشيئته .. والكل مسرع إلى إرادته: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان ربنا العلي الكبير، الخلاق العليم، القوي القادر على كل شيء: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فاحرص أعانك الله على معرفة ربك العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة دينه وشرعه ، والعمل بموجب ذلك ، قاصداً وجه ربك الكريم ، تكن من الفائزين : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ [البينة / ٥] .

• التعبد لله ﷻ باسمه المصور :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن ربك الخالق البارئ المصور خلق المخلوقات كلها ، وصوَّرها فأحسن صورها ، من العرش والكرسي ، والسماء والأرض ، والملائكة المقربين ، والجنة والناس أجمعين ، وأصناف الجماد ، وأشكال النبات ، وأنواع الحيوان والطير ، والخلق أجمعين : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾ [يونس/ ٣] .

هو الملك القادر على كل شيء ، لا تعجزه أعداد يصورها ، ولا صور يخترعها ، ولا أشكال يبتدعها ، فاعبده واملأ وقتك بما يحبه ويرضاه من أنواع الطاعات ، واملأ وقتك وقلبك ولسانك بحمده كما ملأ لك الكون بنعمه : ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١ ﴾ [طه/ ١٣٠-١٣١] .

والله ﷻ هو الخالق البارئ المصور الذي خلق صور البشر كلهم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، لم يشترك اثنان قط في صورة واحدة .

فليكن هذا الخلق والتصوير واعظاً لك ، وموجباً لطاعة مولاك وتقواه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء/ ١] .

فهل ترى في الكون إلا الخالق والمخلوقات .. والمصوِّر والمصوَّرات .. والمَلك والمملوكات .. والآمر والمأمورات ، والقاهر والمقهورات .

وإذا عرفت ذلك فاعبده وتوكل عليه ، يسعدك ويرضيك في دنياك وأخراك : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾ [يونس / ٣] .

واعلم وفقك الله لطاعته أن ربك وحده لا شريك له هو المتفرد بالخلق والتصوير ، والتقدير

والتدبير ، وإنما كلف عبده الإنسان في استصلاح صفات نفسه وإحالتها إلى ما يحبه ويرضاه من التوحيد والإيمان والإسلام والإحسان والتقوى ، ومحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق.

فاضرع رحمك الله إلى الخالق البارئ المصور الهادي إلى ما يحبه ويرضاه ، وقف ببابه متذللاً بين يديه، واسأله أن يوفقك ويهديك إلى الصراط المستقيم ، وسبل مرضاته ، متوسلاً إليه بتوحيده قائلاً : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢-٧].

والزم باب العبودية والطاعة لله ، ولا يغرنك الشيطان فتعمل بمعصيته ، أو تعمل بما يرضيه تارة ، وما يسخطه تارة ، فتندم وتخسر : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٨٥] .

وأكثِر من الحمد والشكر لرب العالمين الذي خلق فسوى ، وصور فأحسن ، وأنعم فأكرم ، السابق إلى عباده بالإحسان ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

واعمل بشرع ربك ، وادع إلى سبيل ربك ، واصبر على ما أصابك ، لعلك تفلح وتنجو من الخسار والعذاب : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر/١-٣].

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة / ٢٨٥] .

﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ ﴾ [الأعراف/ ١٥٥ -١٥٦] .

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ » أخرجه مسلم [1].

اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها.

اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، ويسر لنا سبل معرفتك ، وارزقنا صدق توحيدك، وحسن عبادتك ، يا أرحم الراحمين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .

الغنـــي

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر / ١٥] .

الله ﷻ هو الغني الحق الذي استغنى عن الخلق كلهم بعظمة ملكه ، وجلال كبريائه ، وعز سلطانه ، وكمال قدرته : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٦].

وهو سبحانه الغني بذاته ، الغني الذي له الغنى التام المطلق من جميع الوجوه ، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه الغني الكريم الذي له خزائن السموات والأرض ، وخزائن الدنيا والآخرة ، وعنده خزائن كل شيء ، وبيده كل شيء ، وله كل شيء : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعۡلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر / ٢١] .

وهو سبحانه الغني وكل ما سواه فقير ، الغني عن كل ما سواه ، الغني الذي لا حاجة له إلى أحد أصلاً ، بل الخلق كلهم فقراء إليه وإلى فضله وإحسانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر / ١٥] .

وهو سبحانه الغني الكريم المغني جميع الخلائق غنىً تاماً ، الذي أغنى جميع الخلق من فضله ، فكما أنه لا خالق غيره فكذلك لا رازق غيره ، ولا رب غيره ، ولا إله غيره.

فالله وحده هو الخالق الذي خلق الخلق وحده لا شريك له ، وهو الغني الذي يرزقهم وحده لا شريك له ، فيجب عليهم أن يؤمنوا به ويعبدوه وحده لا شريك له : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

هو الواحد الأحد الذي خلق كل أحد ، الغني الكريم الذي قسم الأرزاق ولم ينس أحد.

وهو الملك الغني الذي أنعم على الخلائق بنعمه التي لا تعد ولا تحصى : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

هو سبحانه الغني وحده لا شريك له ، والغني هو من لا تنقص خزائنه أبداً مع كثرة الإنفاق.

فسبحان الغني الذي يملك كل شيء ، وعنده خزائن كل شيء .

خزائن الرحمة والقوة والعزة ، وخزائن المخلوقات والأشياء والذرات ، وخزائن الحبوب والثمار والمياه ، وخزائن الجماد والنبات والحيوان ، وخزائن الأسماع والأبصار والعقول ، وخزائن الحروف والكلمات والأرقام والأنفاس : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر/ ٢١].

هو الغني سبحانه عن كل ما سواه ، الغني عن جميع خلقه المسلم والكافر ، والبر والفاجر ، والعالم والجاهل ، والغني والفقير: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٨].

فسبحان الملك الغني عن كل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد.

هو الغني الحميد الذي لا يعامل أحداً معاملة إلا ويستحق عليها الحمد ، سواء كان فيما يحب أو فيما يكره : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [لقمان/ ١٢].

هو الغني بذاته ، الغني الذي وهب الغنى لكل غني ، الغني الكريم الذي يعطي عباده من نعمه كل آن ، الغني الذي أغنى بعض عباده عن بعض ، وأحوج بعضهم إلى بعض .

هو الغني الذي أفاض الغنى على عباده بالعدل ، وما من غني في الوجود إلا وهو من جناب الغني ممدود : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف/ ٣٢].

واعلم أن شأن الخالق أنه غني عن كل ما سواه ، وشأن مخلوقاته أنهم جميعاً فقراء إليه في خلقهم وإمدادهم وبقائهم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر/ ١٥].

واعلم أن من سأل ربه الكريم أعطاه وأكرمه وأعزه ، ومن سأل عبيده أذلوه وأهانوه وحقروه ، فسل ربك الغني الكريم الذي يملك كل شيء : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٦].

واعلم بأن من استغنى بالله أغناه وكفاه ، ومن أخذ من الدنيا ما شاء أخذ بقدره هماً وعناء : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة/ ٥٥].

واعلم أن من استغنى بالله عما في أيدي الناس أغناه الله وأرضى عنه الناس.

ومن احتاج إلى مخلوق كان أسيره ، ومن استغنى عنه كان نظيره ، ومن أحسن إليه كان أميره.

وهو سبحانه الغني الذي أغنى جميع الخلق غنىً مطلقاً ، وأغنى خواص خلقه بما أفاض على قلوبهم من الإيمان ، ومعرفة جلاله وجماله ، ومعرفة آلائه وإحسانه : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد / ٢١] .

فهو سبحانه الغني بذاته ، والعبد فقير إليه بذاته ، والعبد محتاج إلى ربه في جميع أحواله ، لاغنى له عن ربه الغني ولو طرفة عين ، وحاجة العبد إلى ربه لذاته لا لعلة أوجبت تلك الحاجة : ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الحج / ٦٤] .

واعلم أن الفقير بذاته محتاج على الدوام إلى الغني بذاته ﷻ .

فالعالم العلوي والعالم السفلي كله عبد فقير مملوك لربه الملك العزيز الجبار، ذو العظمة والملكوت والجلال والكبرياء : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران / ٢٦] .

وفقر العالم كله إلى الغني سبحانه فقر ذاتي لا يُعلَّل .

فكل ما سوى الله ﷻ فقير إليه في خلقه وإيجاده .. وفي بقائه وفي حياته .. وفي تدبيره وفي إمداده : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود / ٦] .

وفقر المخلوقات إلى ربها نوعان :

الأول: فقرٌ إلى ربوبيته ، وهو فقر المخلوقات بأسرها إلى خالقها ، فكل الخلائق فقيرة إلى ربها في خلقها ، وبقائها ، وحفظها ، ورزقها ، وتدبيرها : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر / ٦٢] .

الثاني: فقرٌ إلى ألوهيته وعبوديته ، وهو فقر أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين به.

وهذا هو الفقر النافع ، ولبه دوام الافتقار إلى الله في كل حال .

ونَفْع هذا وما قبله عائد على العبد الفقير ، والله غني عن الخلق وما يعملون : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت / ٦] .

فسبحان الغني بذاته عن كل ما سواه ، الغني الذي لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين ، الغني الكريم المحسن إلى عباده بكل خير ، الرحيم بهم مع كثرة معاصيهم ؛ لكمال

غناه وكرمه ، وكمال رحمته وإحسانه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل/ ٥٣].

وعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى قال: « يَاعِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ مِنكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ في مُلْكِي شَيْئاً.

يَا عِبَادِي لَوْأَنَ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً .

يَا عِبَادِي لَوْأَنَ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ ممَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ .

يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَد الله ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ »أخرجه مسلم [1].

وهو سبحانه الكريم الذي دل خلقه عليه ، وأرشدهم إلى سؤاله ، وفتح لهم أبواب خزائنه العظيمة ، وأعطاهم وأغناهم وهو الغني عنهم : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٦– ٥٨].

واعلم أن الله هو الصمد الذي جميع الخلق تصمد إليه في جميع حوائجها ، ومَنْ قصد إلى الله تعالى ثم رجع عند حوائجه إلى غير الله ابتلاه الله بالحاجة إلى الخلق، ثم نزع الرحمة من قلوبهم عليه،فتراه بينهم مذموماً مخذولاً :﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء/ ٢٢] .

ومن صدق في افتقاره إلى الله ﷻ ، وشهد قدرته وغناه ، ورجع إليه بحسن العرفان ، أغناه الله عما سواه ، ورزَقه من حيث لا يحتسب ، وأعطاه من حيث لا يرقب :﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق / ٢ – ٣].

فسبحان الغني الحميد الذي كل غنى ونعمة في العالم من فضله وإحسانه.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

هو الغني الحميد الذي أغنى عبده المؤمن بمعرفته ، وأغناه بمعرفة دينه ، فصار له حكمة بالغة ، وسداد في الأقوال ، وصواب في الأفعال ، وحُسن في الأخلاق ، وهذا هو الغني الحقيقي : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) ﴾ [يونس/ ٥٨].

واعلم أن الله غني كريم يغني عامة الخلق بالمال والجاه والعافية والأولاد والبنين وأمثالها من النعم : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨) ﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

ومنهم من يغنيه بتصفية الأحوال ، وهم خواص الخلق الذين اجتباهم وهداهم ، وأغناهم عما سواه : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) ﴾ [البقرة/ ٥].

أغناهم الله بكمال الإيمان والتقوى ، وأغناهم بأحسن الأخلاق ، فالإيمان غنى ، والصدق غنى ، والكرم غنى ، والحلم غنى ، والإسلام غنى ، والحكمة غنى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) ﴾ [الشرح/ ١-٤].

والهداية غنى ، والرعاية غنى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) ﴾ [الضحى/ ٦-٨].

واعلم أن من عرف ربه الغني استغنى به عما سواه ، وافتقر إليه في جميع أحواله ، وكلما افتقر العبد إلى ربه زاده غنى ، وكلما تذلل إليه زاده عزاً وثواباً : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٦) إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر/ ٦-٧].

فسبحان الغني الرحيم الحليم الذي لا يعاجل عباده بالعقوبة وهو القادر : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (١٣٣) ﴾ [الأنعام/ ١٣٣].

واعلم أن أغنى الأغنياء هو من عرف ربه بأسمائه وصفاته ، وسارع إلى مرضاته بأنواع الطاعات ، وأنفق في سبيل الله على عباده ، وأعطى مما أعطاه ربه من نعمه : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) ﴾ [الحديد/ ٢١].

- **التعبد لله ﷻ باسمه الغني :**

اعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الله ﷻ هو الغني الحق عن كل ما سواه من الخلق ، وخزائنه مملوءة بكل شيء ، وجميع المخلوقات مفتقرة بل مضطرة إليه في خلقها وبقائها ، وإمدادها وسائر أحوالها : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران/ ٩٧].

هو الغني الذي يخلق ما يشاء ، ويأمر بما يشاء ، ويعطي من يشاء ، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة :

﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس/ ٦٨] .

وأعلم أن الله ﷻ يحب أسماءه وصفاته ، ويحب ظهور آثارها فيمن اصطفاه من خلقه ، ومن أجل هذا بيَّنها الله في كتابه ، وأظهرها في آياته ومخلوقاته ؛ لندعو الله بها ، ونعبده بمقتضاها :

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف / ١٨٠] .

وإذا أغناك الغني ﷻ من فضله فاستغن به عما سواه ، ولا تلتفت لأحد سواه.

وقف ببابه مع الفقراء المتواضعين ، ولا تقف بباب غيره من الفقراء العاجزين : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر / ١٥] .

وإذا سألت فاسأل الله وحده ، وإذا استعنت فاستعن بالله وحده ، فهو الغني الذي صمد لجميع حوائج الخلق كلهم ، وأنت عبده فلا تذل نفسك بسؤال غيره من العبيد : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١ – ٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا سَأَلْتَ فاسْأَل اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوْكَ بِشَيءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوْكَ إِلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوْكَ بِشَيءٍ ، لَمْ يَضُرُّوْكَ إِلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ » أخرجه أحمد والترمذي[1].

وإذا أغناك الغني من فضله ، وأعطاك من رزقه ، وجاد عليك بإحسانه ، فاشكره على ما أولاك من نعمه ، واحمده على ما خصك به ، واستعْمِل ذلك كله فيما يحبه ويرضاه : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ

---

(١) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩) ، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦) .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات / ١٥] .

فإنْ أعطاك الغني سبحانه مالاً فأنفقه فيما يحبه ويرضاه على نفسك وعلى غيرك ، وتقرب به إليه ، يضاعَف لك أجره ، ويخْلف عليك أحسن منه :﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧﴾ [التغابن / ١٧] .

وإنْ علّمك العليم ﷻ من علمه فاعمل به ، وتقرب به إليه ، وعلِّمه عباده تكن ربانياً : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران / ٧٩] .

وادع الناس إلى ربهم ، وعرِّفهم بأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ ليعظموه ويكبروه ، وعرِّفهم بنعمه وإحسانه ؛ ليحبوه ويشكروه ، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣﴾[فصلت/ ٣٣].

وأنفق مما آتاك الله من العلم ، وحرك لسانك بذكره وشكره ، واستعمله بالدعوة إليه ، وتعليم شرعه : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١٢٥﴾[النحل / ١٢٥] .

وإنْ جَبَلك الله على الخُلق الحسن ، ووهبك من مكارم الأخلاق ، فاشكره وتعبَّد له بذلك ، واتق الله حيثما كنت ، وأَتْبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن :﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ١٦٤﴾[آل عمران/ ١٦٤] .

واصبر لحكم ربك ، وأحسِن إلى العباد ، واصبر على الأذى ابتغاء مرضات الله : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف / ١٩٩] .

وصِلْ من قطعك ، وأعط من حرمك ، واعف عمن ظلمك ، وأحسِن إلى من أساء إليك ، افعل ذلك كله ابتغاء مرضات الله ، يَقْلب الله عدوك صديقاً ، وبغيضك محباً ، ويهتدي بسببك ضال: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٣٦﴾[فصلت/ ٣٤-٣٦].

وإن أعطاك الغني سبحانه بدناً قوياً ، وقلباً شجاعاً ، وعلماً نافعاً ، ومالاً وافراً ، وخُلقاً فاضلاً ، فاستعمل ذلك كله في طاعة من خلقك وأغناك واجتباك وهداك ، بفعل كل محبوب إليه ، وتَرْك كل مكروه لديه ، يرضى الله عنك ، ويرفع درجاتك ، ويغفر ذنوبك ، وتزيد حسناتك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ ﴾ [الصف/ ١٠-١٢].

وأنفق من كل ما أعطاك الله من الخير في مرضاته يحبك الله ، ويرضى عنك ، ويخلف عليك خيراً منه : ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩ ﴾ [سبأ / ٣٩].

واعلم أن الذي أعطاك هو الذي أمرك أن تُعطي عباده ، لتنال بذلك الأجر ، فأنفق مِنْ أحسن ما أعطاك الله تنال أحسن منه براً وأجراً وثواباً : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢ ﴾ [آل عمران / ٩٢] .

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك .

﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥ ﴾ [الأحقاف / ١٥] .

﴿ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ ﴾ [الشعراء / ٨٣ – ٨٥] .

﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ٢٨ ﴾ [نوح / ٢٨] .

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لى دِينِىَ الَّذِى هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِى ، وَأَصْلِحْ لى دُنْيَاىَ الَّتِى فِيهَا مَعَاشِى ، وَأَصْلِحْ لى آخِرَتِى الَّتِى فِيهَا مَعَادِى ، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لى فى كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لى مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم (١).

اللهم إني أسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٥).

الرزاق ..الرازق

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات / ٥٦ – ٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الجمعة / ١١] .

الله ﷻ هو الرازق الذي خلق الأرزاق كلها في السماء والأرض ، وهو مالك جميع الأرزاق ومعطيها ، الرازق الذي يصرفها ويقسمها بين خلقه في كل وقت حسب علمه وحكمته وإرادته : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات / ٥٨] .

وهو سبحانه الرزاق واسع الرزق ، كثير الأرزاق ، الرزاق الذي يملك جميع خزائن الأرزاق ، الذي وسع جميع الخلق رزقه ، ورحمته ، وأنواع إحسانه : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر / ٢١] .

وهو سبحانه الرزاق المتكفل بأرزاق الخلائق كلها،القائم على كل نفس بما يقيمها من قُوْتها ، الرزاق لكل مخلوق رزقاً بعد رزق ، المكثر منه لعباده ، المتفرد بالرزق والإنعام وحده لا شريك له : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر / ٣] .

وهو سبحانه الرازق الذي يرزق جميع مخلوقاته ، ويوصل اليهم أنواع الأرزاق في كل مكان وزمان بلا كلفة ولا مشقة ، السميع للسائلين ، العليم بالمحتاجين: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [العنكبوت / ٦٠] .

وهو سبحانه الرزاق الذي قسم الأرزاق بين خلقه ، وساقها إليهم بقدرته ورحمته ، فلا ترى أحداً الا يأكل من رزقه ، ويَنْعم بفضله : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف/ ٣٢] .

المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي ، والناطق والصامت ، والغني والفقير ، والإنسان والحيوان.

الكل قعود على موائد نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ۝٢٠ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ۝٢١ ﴾ [الإسراء/ ٢٠-٢١].

فسبحان الملك الكريم الرزاق الذي يرزق الخلائق جميعاً في كل زمان ومكان مهما كثر عددهم ، وتنوعت قبائلهم ، واختلفت حاجاتهم : ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ۝٣٢ ﴾ [يونس/ ٣١-٣٢].

وسبحان من قسم الأرزاق بين خلقه في كل زمان ومكان.

هذا طير السماء كله يأكل من رزقه ، وهذا وحش الأرض كله يأكل من رزقه ، وهذا حيوان البحر كله يأكل من رزقه ، وهذا الإنسان كله يأكل من رزقه : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦ ﴾ [هود/ ٦].

هو سبحانه الرزاق الذي رزق الأبدان الأطعمة والأشربة ، ورزق القلوب العلم والمعرفة .

هو سبحانه الرزاق الحكيم الذي خص الأغنياء بوجود الرزق ، وخص فقراء المؤمنين بشهود الرزاق ، فإذا أخذ من الفقير بعض الرزق عوضه بالتجلي والأنس بالله .

وإذا أغرق الغني بالنعيم المادي حرمه من نعيم القرب : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ۝٣٠ ﴾ [الإسراء/ ٣٠].

واعلم أن الرزق كل ما يُنتفع به من علم أومال أو خلق أو جاه ، ومن شهد الرزاق ما ضره ما فاته من الأرزاق.

واعلم أن الله ﷻ واحد لا شريك له في ملكه وخلقه وأمره ورزقه وعبادته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ۝٣ ﴾ [فاطر/ ٣].

واعلم أن رزق الله لخلقه نوعان :

الأول: رزق الأبدان ، وهو رزق عام يصل إلى كل مخلوق من الحيوان والإنسان والجان بأمر الرزاق الكريم سبحانه : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦ ﴾ [هود/ ٦] .

الثاني: رزق القلوب ، وهو التوحيد والإيمان الذي يرزقه الله من يشاء من عباده على يد أنبيائه ورسله والدعاة إليه ، يرزقه الله من يستحقه ويشكره ، ويؤتيه مَنْ أتى بأسبابه ، وهو الحكيم العليم : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٣ – ٧٤] .

واعلم أن فضل الله على خلقه عظيم ، ونعمه وأرزاقه واسعة لا تخطر على قلب بشر ، وأنواعها وأعدادها لا يمكن عدها ولا إحصاؤها : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

وخزائن الغني سبحانه مملوءة بجميع الأرزاق، ويعطي منها جميع الخلائق في كل مكان وزمان ولا تنقص مثقال ذرة ؛ لأن المحدود إذا أخذ من المحدود ينقص ، والمحدود إذا أخذ من غير المحدود لا ينقص أبداً : ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٦] .

فسبحان الغني الذي يملك كل شيء،ويقول للشيء كن فيكون، ولو سأله جميع الخلائق ، بأوسع سؤال فأعطاهم لم ينقص ذلك مما عنده مثقال ذرة: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص/ ٥٤].

وعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى قال: « يَاعِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ في مُلْكِي شَيْئاً. يَا عِبَادِي لَوْأَنَ أَوَّلَكُم وآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً .

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّأَوَلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ ممَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ »أخرجه مسلم [(١)].

فسبحان مالك الأرزاق الذي تكفل بأرزاق جميع الخلق ، العليم بأحوال خلقه وما يصلحهم ، يبسط الرزق على من يشاء ، ويَقْدره على من يشاء ، وله في ذلك حكمة بالغة : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإسراء / ٣٠] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

واعلم أن من الناس من لا تصلح حاله إلا بالغنى ، ومنهم من لا تصلح حاله إلا بالفقر ، ولا يعلم ذلك إلا الله وحده : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشورى / ٢٧] .

واعلم أن كثرة الرزق في الدنيا كقلته لا تدل بذاتها على محبة الله للعبد ، ورضاه عنه ، فالله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولكنه لا يعطي الدين إلا من يحب : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ / ٣٧] .

والإيمان والتقوى من أعظم أسباب الحصول على الأرزاق النافعة ، والكفر والفجور سبب عظيم لنقص الأرزاق ، ومحق البركات : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف/ ٩٦].

والأرزاق تزيد بالشكر والطاعات ، وتنقص بالكفر والمعاصي : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم / ٧] .

والله ﷻ هو المنعم على عباده بجميع أنواع الأرزاق المادية والروحية.

وأعظم رزق يرزقه الله عباده وأحسنه وأفضله وأكمله وأكرمه وأعلاه وأدومه هو التوحيد والإيمان، والجنة ، ورضا الرب ﷻ : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾ [الطلاق / ١١] .

واعلم أن المخلوقات كلها مختزنة في الأرزاق .. والأرزاق كلها مختزنة في خزائن السموات والأرض .. وخزائن السموات والأرض كلها ذرة من خزائن الملك الغني الحميد : ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان / ٢٦] .

والله ﷻ كما أخرج البرايا من مستقرها إلى مستودعها ، حتى ظهرت من الأرحام والأرض جيلاً بعد جيل ، كذلك أخرج الأرزاق والأعمال كل لحظة في الوقت الذي قدَّره : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣] .

فسبحان الملك الحق الذي يملك جميع خزائن الأرزاق ، الغني الذي لا أحد أغنى منه ، الكريم

الذي لا أحد أكرم منه ، الرحمن الذي لا أحد أرحم منه.

هو الرزاق الذي كل رزق في العالم من رزقه ، الرازق الذي رزق كل مرزوق في مكانه وزمانه.

هو الكريم الذي أعطى جميع الخلق من رزقه ، ا لرزاق الذي يرزق جميع الناس من مسلم وكافر : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠)﴾ [لقمان/ ٢٠].

هوالملك العظيم الذي له الخلق والأمر كله ، الذي تفرد بالوحدانية ، وتفرد بالخلق والرزق ، وتوحَّد بالإحياء والإماتة ، واختص بالأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، الذي ليس له شريك ولا مثيل : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)﴾ [الروم/ ٤٠] .

هو الملك الغني القادر على كل شيء ، الذي يملك خزائن كل شيء :

خزائن المخلوقات .. خزائن الأرزاق .. خزائن النعم .. خزائن الأموال .. خزائن المياه .. خزائن الحبوب .. خزائن العلم .. خزائن القوة .. خزائن الرحمة .. خزائن العذاب .. خزائن النور .. خزائن الظلام .. خزائن الأخلاق .. خزائن التصريف والتدبير .. وخزائن كل شيء في قبضته : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١)﴾ [الحجر/ ٢١] .

فسبحان من خلق الخلق كله .. وبيده الملك كله .. وإليه يرجع الأمر كله .. وعنده خزائن الرزق كله : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١)﴾ [يونس/ ٣١] .

ومَنْ هذه عظمته ، وهذه أسماؤه وصفاته ، وهذه نعمه ، أفلا نعبده ونكبره ونحمده وحده لا شريك له: ﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢)﴾ [يونس/ ٣٢].

وإذا كان الله هو رازق العباد وحده فهوالمستحق للعبادة منهم وحده لا شريك له: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢)﴾ [البقرة/ ١٧٢] .

واعلم زادك الله فقهاً وعلماً ونوراً أن الرزق هو الحلال لا غير ، والحرام اسمه المتاع .

فالمؤمن يستعين بالرزق الحلال على طاعة مولاه ، ويشكر ربه عليه ، ثم يصير إلى الجنة.

والكافر يتمتع بهذا المتاع كالبهائم في الدنيا ، ثم يصير إلى جهنم كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) ﴾ [البقرة/ ١٢٦].

واعلم رحمك الله أن جميع الأرزاق خلقاً وتقسيماً تنزل من السماء من رب الأرض والسماء ، ثم تقسم على أهل الأرض بالعدل : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) ﴾ [الذاريات / ٢٢] .

والرزاق سبحانه غني كريم ، وخزائنه مملوءة بأصناف الأرزاق ، وهو يصرفها بين عباده بحكمته كما يشاء.

فتارة يرزق بدون الأسباب ؛ ليظهر قدرته وجميل إحسانه : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) ﴾ [يس / ٨٢] .

وتارة يرزق عباده بضد الأسباب ؛ ليظهر لعباده كمال قدرته ، وقوة إرادته كما فجَّر الماء من الحجر لموسى وقومه : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠) ﴾ [البقرة / ٦٠] .

وتارة يرزق بالأسباب ـ وهو الغالب ـ ، وهو سنته الظاهرة في مخلوقاته كما يرزق الولد بالنكاح ، ويرزق الثمر من الشجر ، والحليب من البقر وهكذا.

فأظهر سبحانه سنته وأخفى قدرته في سنته امتحاناً لعباده ، وتنبيهاً لبريته ، وإظهاراً لقدرته : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧) ﴾ [الحج/ ٥ – ٧].

فسبحان الملك الحق الذي يملك خزائن الأرزاق ، ويملك مجاري الأرزاق على مدى الدهور والقرون ، ويقسمها على كل مخلوق كمية ونوعية ، ومكاناً وزماناً : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) ﴾ [الزخرف / ٣٢] .

• **التعبد لله ﷻ باسمه الرازق :**

اعلم وفقك الله لطاعته أن الله ﷻ خالق المخلوقات كلها ، وقاسم الأرزاق كلها ، وكل رزق مقدر ونافذ من الله إلى صاحبه ، لا يخطيه رزقه إلى غيره كما لا تخطيه منيته ، ولن يموت أحد حتى يستكمل أجله ويأكل رزقه : ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النمل/ ٦٤].

ولب التوحيد وذروة اليقين أن تعلم أن الله رب العالمين هو الرزاق وحده لا شريك له ، وأن جميع الأسباب من التكسب والعمل وجميع المخلوقات في السموات والأرض من جماد ونبات وحيوان إنما هي ظروف وأوعية أودعها ربها العطايا والأرزاق ، تسلِّمها لمن شاء الله من خلقه بإذنه وعلمه وأمره : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات / ٥٦ – ٥٨] .

فاشكر الرزاق الذي ساق إليك رزقك ، ويسر لك الانتفاع به ، باستعماله في طاعته.

وعليك بالسعي في طلب الرزق ، ناظراً بقلبك إلى القسَّام الذي يقسم الأرزاق ﷻ لا إلى القَسْم ؛ لترضى بالقَسْم ، وتقنع بالمقسوم ، مع السعي بالجسم في الكسب : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة/ ٩-١٠] .

وبعد هذا تيقن أن ما أصابك من الرزق لم يكن ليخطئك ، وما زوي عنك فلن تقبضه ، ولو وقف معك جميع الخلق : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر / ٢] .

واعلم أن العاقل لا يشغله رزق الدنيا وإن كثر عن الغاية التي خلقه الله من أجلها ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى عباده : ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الجمعة/ ١١] .

فاجعل ما رزقك الله سبباً معيناً على رضاه وتقواه تكن من المفلحين في الدنيا والآخرة :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعلى / ١٤ – ١٧] .

وإياك أن تخرج في طلب التكسب إلى نية التكاثر ، وسبيل التفاخر ، أو يدفعك الحرص إلى طلب الكسب من أبواب الحرام ، أو تسخُّط الأقدار إذا لم تكن لك على ما تريد ، فإنّ طلب الرزق عبادة ، والأمر مفروغ منه ، فلا تخالف من أمَرك بالكسب ، وقَسم لك الرزق بالميزان : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق / ٢ – ٣] .

ولتكن قلة الشيء عندك آثر من كثرته ، فقليل يغني أحسن من كثير يلهي ويطغي : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ [العلق / ٦ – ٧] .

واعلم أنه ليس لك من مالك إلا ماأكلت فأفنيت،أولبست فأبليت،أو تصدقت فأمضيت،وما سوى ذلك فليس لك ، فأنفِق ينفِق الرزاق عليك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [المنافقون/ ٩–١٠] .

واعلم أن العلم كله يخرج من العليم سبحانه ، والرزق كله يخرج من مخرج واحد من الرزاق وحده سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر / ٣] .

واعلم أن الخبير العليم بعباده قسم الأرزاق بينهم بالعدل ، فخص الأغنياء بوجود الأرزاق ، وجعلهم آنية للحمد والشكر ، والإنفاق والإحسان.

وخص الفقراء بوجود الرزاق ، وجعلهم آنية للصبر على الابتلاء ، وأرزاق الأغنياء.

فلهذا الصنف أجره على حمده وإنفاقه ، ولهذا أجره على بلائه وصبره ، والله رب هذا وهذا : ﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإسراء / ٣٠] .

وعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « عَجَباً لِأَمْرِ المُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ،إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ ،وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَه » أخرجه مسلم [1].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

فاسأل ربك جميع أمورك ، وأنزل به فاقتك ، واشك إليه مصيبتك ، فبيده كل شيء ، وليس بيد أحد سواه شيء ، بل الخلق والأمر كله لله وحده لا شريك له ، فاعبده وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت / ١٧] .

واعلم أن المَلك العظيم يعطي العظيم ، فاطلب من ربك العظيم كل عظيم في الدنيا والآخرة، وليكن سؤالك رحمك الله على قدر المسئول ﷻ لا على قدر حاجتك ، فربك جزيل العطايا والمواهب في الدنيا والآخرة : ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل/ ٤٠].

وأجَلُّ سؤال في الدنيا سؤال الهداية : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة / ٦].

وأجَلُّ سؤال في الآخرة بعد رؤية الرب ورضاه سؤال جنة الفردوس : ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة/ ٢٠١].

وعن أبي هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ آمَنَ بِالله وَبِرَسُولِهِ ، وَأَقَامَ الصَّلاةَ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ، كَانَ حَقّاً عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ الله أَوْ جَلَسَ في أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا » فَقَالُوا : يَا رَسُولَ الله أَفَلا نُبَشِّرُ النَّاسَ ، قَالَ: « إِنَّ في الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ في سَبِيلِ الله مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ ، وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ » أخرجه البخاري [(١)].

وقد فتح الكريم ﷻ باب السؤال لعباده ، ووعدهم جميعاً بالإجابة ؛ لأنه الكريم الذي لا يرد سائلاً أبداً : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر/ ٦٠] .

واعلم أن ربك هو الغني وحده لا شريك له ، وعنده خزائن كل شيء ، ويعطي ولا تنقص خزائنه أبداً، فسل ربك من الدنيا ما يعينك على طاعة مولاك ، ولا يلهيك عن حسن عبادته وامتثال أوامره ، وقل : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة/ ٢٠١].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٠).

واعلم أنه لا يُطلب العظيم إلا من العظيم فسل ربك العظيم ما شئت ، فعطاؤه جل جلاله على قدر شأنه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

واعلم أن طلب الحوائج من غير الله ذل ، وهو سبحانه أحق من تذلل له العبد ، ومن عرف الله لم يسأل غيره ، ومن عرف الغني لم يقف بباب الفقير ، ومن عرف الكبير استغنى به عن الصغير : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٦٢) ﴾ [غافر/ ٦٢] .

فسبحان الرزاق الذي يملك الأرزاق كلها ، ويقسمها بين خلقه ، فيرزق الأجساد الطعام والشراب بألوانه وأشكاله ، ويرزق القلوب أنواع المعارف والعلوم ، وصفات الإيمان واليقين ، ويقبض ويبسط في هذا وهذا : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) ﴾ [الزخرف/ ٣٢] .

واعلم أن الله يرزق الخلق من الأرزاق المختلفة ما لا يحصيه إلا هو ، وإذا قلل على بعض العباد بعض الأرزاق فإنما هو تقليل تأديب لا تقليل عجز ، وتقليل حكمة لا تقليل حاجة: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩) ﴾ [سبأ/ ٣٩].

والله عز وجل خير الرازقين ، هو الرزاق الذي قسم الأرزاق ولم ينس أحد ، ومن ضاق عليه رزقه فإنما ضاق بسبب تقصيره أو معصيته أو لتربيته ليرقى من درجة إلى درجة أعلى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) ﴾ [الأنعام/ ٤٢].

واعلم أن من سره عطاء البشر فهو من أهل الدنيا ، ومن سره عطاء الله فهو من أهل الآخرة ، ومن علم أن الرازق واحد لا شريك استوى عنده التراب والذهب ، والغنى والفقر ، ورضي بما قسم له الرزاق : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ﴾ [الذاريات/ ٥٨].

فارض بما قسم الله لك من مال وزوجة وولد وحياة ، واجعل يدك على مالك يد أمانه لا يدملك ، وأنفق في سبيل الله يزيد ثوابك ومالك : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩) ﴾ [سبأ/ ٣٩].

وعلى قدر قرب القلوب من ربها بالإيمان والمعرفة والطاعة يكون غناؤها عن الطعام والشراب : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

ومن استغنى بالله أغناه عما سواه : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٩٠] .

وهذا يكون للمؤمن ، ثم يصعد أكثر إلى الموقن ، ثم إلى الصِّدِّيق ، ثم إلى النبي ، ثم إلى المَلك الذي ليس به حاجة للطعام والشراب أبداً : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

واعلم أن الملك الكريم الرحيم خلق الكون وملأه لعباده بأنواع الأرزاق التي تراها الأبصار والبصائر ، وسخر لهم الآيات والنعم التي تذكِّرهم بربهم ، وتقربهم إليه ، وييسر لهم أنواع الطاعات التي تسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٠].

فسبحان الملك الحق الذي خلق جميع الخلق ليجود عليهم بإحسانه ، ويعود عليهم بإنعامه أولاً ، ثم ليعرِّفهم بذاته وأسمائه وصفاته ، ثم ليأمرهم وينهاهم بحق الربوبية ليؤدوا له حق العبودية بالمحبة والتعظيم والذل لله ؛ ليتبين الملك حقاً مِن العبد حقاً : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

فلو انقطع الأمر هاهنا لما تحققت حكمة الحكيم في فعله ، وإنما تمت الحكمة في البعث بعد الموت للحساب والجزاء ، فاتصل الآخر بالأول ، والأول بالآخر : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [التغابن/ ٧] .

ثم انقسم المآل حسب الأعمال إلى خزائن الثواب والعقاب في الجنة والنار.

فيُظهر الله للمؤمنين يوم القيامة في الجنة من الجود والإحسان والرحمة ما لا تدركه العقول ، ولا تتصوره الأوهام ، ولا يخطر على قلب بشر : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٧].

ويُظهر لضد هؤلاء من الكفار والمنافقين والعصاة سخطه وعذابه ، لكفرهم به ، وجحدهم نعمه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة/ ٦٨].

واعلم أن الله يرزقك من فضله لتنتفع به ، وتَرزق منه كل محتاج إليه بما تقدر عليه من علم ، ومال ، وخلق ، وجاه وغير ذلك مما أعطاك الغني الكريم من فضله .

فتُذَكِّر الغافل.. وتُعَلِّم الجاهل .. وتهدي الضال .. وتُطعم الجائع .. وتواسي المحتاج .. وترحم الصغير .. وتوقر الكبير .. وتحلم على السفيه : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٩٢].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف / ٢٣].

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل/ ١٩].

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ » أخرجه مسلم [١].

اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم ، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم.

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً ، وعملاً متقبلاً ، ورزقاً واسعاً ، يا رب العالمين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .

الكريم ..الأكرم

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴾ [الانفطار / ٦ – ٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾ [العلق/ ١-٥].

الله ﷻ هو الكريم الذي لا أكرم منه ، الكريم الواسع الذي عم بعطائه وإحسانه جميع خلقه ، المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي : ﴿ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١ ﴾ [الإسراء/ ٢٠-٢١].

وهو سبحانه الكريم الكثير الخير ، دائم الفضل والإحسان في الدنيا والآخرة ، الكريم الذي يَسهل خيره ، ويقرب تناول ما عنده ، القريب لمن دعاه ، المجيب لمن سأله : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ ﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

وهو سبحانه الكريم الذي له قدر عظيم ، الذي له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، الكريم الذي عنده خزائن كل شيء ، وله خزائن السموات والأرض ، الكريم الذي يعطي ولا تنقضي خزائنه ولا تنقص أبداً : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ٥٤ ﴾ [ص/ ٥٤].

وهو سبحانه أكرم الأكرمين ، لا يوازيه كريم ، ولا يعادله نظير ، الكريم الذي كل ما في الكون من كرمه ، الكريم الذي وهب الكريم ما يتكرم به : ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠ ﴾ [الإسراء/ ٧٠] .

وهو سبحانه الكريم لذاته ، وكرمه لا أول له ولا آخر ، الذي يعطي ويكرم من يشاء في كل مكان وزمان ، الكريم الذي يعطي بلا سؤال ولا عتاب : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر / ٦٥] .

وهو سبحانه الغني الكريم الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى.

قدر فعفى ، وعاهد فوفَّى ، وسئل فأعطى ، ولا يبالي كم أعطى ، ولمن أعطى ؛ لعظيم قدرته ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وكمال كرمه وغناه ، وسعة رحمته : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون / ٧] .

وهو سبحانه الكريم الذي عم بعطائه وإحسانه جميع خلقه ، وأمهل بكرمه المكذب له ، ووالى عليه نعمه ولم يقطع عنه فضله؛لعله يتوب إليه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج/ ٦٥].

ومن كرمه أمهل إبليس وأنظره ، وتركه وما اختار لنفسه ، ولم يعاجله بالعقوبة وهو قادر : ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج / ٧٤] .

فسبحان الكريم الحق الجامع للمحاسن والمحامد ، الذي له قدر عظيم ، وسلطان كبير ، كثير الخير والعطاء ، المنعم بكل نعمة ، الذي لا يَردّ من سأله ، ولا يخيب من رجاه ، الكريم الذي يعطي من خزائنه ما لا يُحصى لما لا يُحصى من الخلائق: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ [الرحمن / ٢٩] .

والله ﷻ هو الكريم الذي لا أكرم منه ، حَسن الأسماء ، عليّ الصفات ، محمود الفعال ، كريم السجايا ، جزيل العطايا : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه / ٨] .

كريم يعفو عن المذنبين .. ويتوب على المخطئين .. ويحسن إلى المحسنين .. ويكرم المطيعين .. ويغفر للمسيئين .. ويعفو عن الظالمين : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٣٩] .

فسبحان الكريم الرحيم الذي يضاعف الحسنات ، ويغفر السيئات ، ويدفع البليات ، ويرفع الدرجات.

عزيز كريم ينفس كل كرب .. ويزيل كل هم .. ويشفي كل مريض .. ويجيب كل سائل .. ويهلك كل عدو .. ويرحم كل مخلوق .. ويجود بكل خير .. ويدفع كل شر.

والله سبحانه هو الكريم الذي اصطفى رسله من عباده ، وأكرم رسوله محمداً ﷺ بالوحي والنبوة ، وعظيم الصفات ، وعلو النسب ، والمقام المحمود .

فهو ﷺ أكرم الرسل ، وأتقاهم ، وسيدهم ، وأقربهم ، وآثرهم عنده ، وأكرم هذه الأمة ببعثته : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة / ١٢٨] .

وهو سبحانه الكريم الذي وهب المؤمن الإيمان ، وحببه إليه ، وزينه في قلبه ، وكرّه إليه الكفر والمعاصي ، وعمر قلبه بالإيمان فأسرع في طاعة ربه بقلبه ولسانه وجوارحه :

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨ ﴾ [الحجرات/ ٧-٨] .

وهو سبحانه الكريم الذي منَّ على جميع المخلوقات بنعمة الإيجاد والإمداد والهداية ، فكل أحد يَنْعم بفضله ، ويأخذ من خزائن كرمه ، ويستطعم من موائد نعمه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ﴾ [النحل / ٥٣] .

واعلم رحمك الله أن من أعظم نيل أسباب كرمه تقواه ، فالأكرم عنده سبحانه الأتقى من عباده فاتق الله جل جلاله في السر والعلن والقول والعمل تكن من المكرمين في الدنيا والآخرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [الحجرات/ ١٣].

واعلم أن الله عز وجل كريم حليم حسن التجاوز عن خلقه مع كثرة أذى الخلق له ، وإسرافهم في معصيته ، وكم أحسن إلى من كفر به وكذبه ، وكذب رسله وكتبه ، وظَلَم عباده ؛ لأنه الكريم الرحمن الذي أمهل من عصاه ، وأنعم عليه ، لعله يتوب ويرجع إليه : ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤ ﴾

[المائدة/ ٧٣-٧٤] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لاَ أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذىً يَسْمَعُهُ مِنَ الله عز وجل ، إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ » متفق عليه [(١)].

وأظهر من هذا كرماً أن الكريم سبحانه ما عادى إبليس ولعنه وطرده وتبرأ منه إلا من أجل آدم عليه السلام وذريته حين أبى السجود لآدم ، واستكبر عليه واحتقره : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨ ﴾ [ص / ٧٥ – ٧٨] .

ثم أعلم سبحانه آدم وزوجه وذريتهما بعداوته ليحذروه ويتخذوه عدواً بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾ [فاطر/ ٦] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩) ، ومسلم برقم (٢٨٠٤) ، واللفظ له.

فسبحان الملك الكريم الرحيم اللطيف بعباده ، الكريم الذي يتحبب إليهم بالنعم ، ويبالغ في تحذيرهم من عدوهم حفظاً لهم ، وهو عن ذلك كله غني ، لا افتقار به إلى أحد سوى فضل جوده ، وعظيم كرمه ، وجزيل إحسانه : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم/ ٦٥].

فسبحانه ما أغناه وأكرمه : ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦٤﴾ [الحج/ ٦٤].

ثم آلى الجبار ﷻ على نفسه أن من اتبع الشيطان من الخلق ولم يتب لَيعادِيَنَّه ، وليدخلنه معه في دار لعنته وعذابه : ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ٨٤ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٥﴾ [ص/ ٨٢-٨٥].

ومن عادى الشيطان منهم وتبرأ منه وآمن بربه واتقاه رضي الله عنه وأدخله دار كرامته : ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٥٦ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥٧﴾ [الحج/ ٥٦-٥٧].

واعلم رحمك الله أن سبل كرم الرب واسعة ، وطرق إحسانه الى خلقه لا حد لها ، وخزائن جوده لا نهاية لها : ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس/ ٦٨].

هو الكريم الذي يجزي على الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف مضاعفة ، إلى ما لا يحصيه ولا يعلمه إلا هو ؛ لكمال كرمه ورحمته وإحسانه وغناه : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة/ ٢٦١].

وجعل سبحانه عقاب السيئة بمثلها ، أويغفرها ويمحوها ، ويبدلها بحسنات ، ثم يضاعفها ، ويفرح بتوبة المذنبين ، وكثرة السائلين ؛ لكمال غناه وكرمه ورحمته: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر/ ٥٣].

فسبحانه ما أعظم كرمه ، وما أوسع رحمته ، وما أحلمه على من عصاه.

واعلم أن كل شيء يأتي عليه العد والإحصاء إلا أسماء الله وصفاته ، وكلماته ومخلوقاته ، وأرزاقه ومقدَّراته ، فلا تعد ولا تحصى أبداً ، فله الحمد أبداً : ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

واعلم أن الكرم هو فعل الجميل لا لغرض ، فمن وهب المال لجلب نفع أو دفع ضر ، أو خلاص من ذم فليس بكريم .

والمؤمن كريم يعمل الأعمال الصالحة ابتغاء مرضاة الله ، لا لمدح ولا ثناء ولا ذكر ولا مكافأة : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء/ ١١٤].

والكريم من الناس من صدرت عنه المحاسن الكبيرة ابتغاء مرضاة الله كمن ينفق ماله في سبيل الله ، وينفق أوقاته في طاعة الله ، وينفق عمره في الدعوة إلى الله وتعليم شرعه والإحسان إلى خلقه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات/ ١٣].

والله جل جلاله هو الأكرم الذي كل خير منه ، الأكرم الذي صدرت عنه كل نعمة ، فهو أكرم الأكرمين ، وخير الرازقين ، وأرحم الراحمين .

هو الكريم الذي خلقك في أحسن تقويم ، وأمدك بنعمه التي لا تعد ولا تحصى ، وأكرمك بالسمع والبصر والعقل ، وهداك للإيمان به ، وخلق لك من جنسك امرأة هدية لك ، وآواك في بيت ، وأطعمك ألوان الطعام والشراب ، ورزقك المال والولد ، ومتعك بالصحة والأمن ، فاعرفه بالنظر في الآيات الكونية والشرعية ، واعبده واشكره : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق/ ١-٥].

والكرم صفة عظيمة للرب يتقلب في مقتضاها المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي ، والناطق والصامت ، وينعم بها جميع الخلق : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٠].

والإكرام منه سبحانه خاص بعباده وأوليائه المؤمنين ، فهو لا يكرم بالكرامة الخاصة ـ وهي الإيمان والعمل الصالح ورضوانه والجنة ـ إلا من يحبه ويرضاه : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٦].

وما أظهر من ذلك في الدنيا مما يشبه الإكرام للكافر والعاصي فلأنه كريم لا خالق ولا رازق إلا هو ، وجميع خلقه قاعدون على موائد نعمه ، ولعلهم يتوبون إليه إذا رأوا كرمه وإحسانه : ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا

﴿ يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الزخرف / ٣٣ – ٣٥] .

ومن أصر منهم على كفره ومعصيته فما يأخذه ليس بإكرام ، بل هو استدراج ومكر بهم ، جزاءً على أعمالهم الفاسدة ، ليأخذهم على أوفر ما جَنَوه : ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران / ١٧٨] .

ومن عميت بصيرته فلن ينفعه بصره : ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة / ٥٥] .

فسبحان الكريم الذي خلق المخلوقات ، وخلق الأرزاق ، وأنزل الكتب ، وأرسل الرسل ، الكريم الذي خلق الناس وعافاهم، وأطعمهم وكساهم ، ودعاهم إلى ما يسعدهم في دنياهم وأخراهم : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وسبحان الغني الكريم الذي كل الكون عطاء من عطاياه .

هو الكريم الذي أقام الحجة على الخلق ، وتفضل عليهم بكل نعمه ، وتفضل على المؤمنين فحبب إليهم الإيمان ، وتفضل على العلماء بأن علَّمهم من عِلمه ، وتفضل على الأغنياء برزقه ، وتفضل على الفقراء بأنْ منعهم ما يشغلهم عنه ، وتفضل على المرضى بالعافية ، وتفضل على الضال بالهداية ، وتفضل بالهداية والتقوى على من آمن به : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة/ ٤].

فسبحان الكريم الحق الذي كل رسله إلى عباده كريم ، وكل كتبه كريم ، وكتابه القرآن أعظمها وأحسنها وأكرمها : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الواقعة/ ٧٧– ٨٠].

فهو قرآن كريم فيه الهدى والبيان ، والعلم والحكمة ، والتوحيد والإيمان ، والفضائل والبشائر ، والسنن والآداب ، والثواب والعقاب ، وكل خير ونور ، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم كما قال الجن : ﴿ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴿٢﴾ ﴾ [الجن/ ١–٢] .

والله ﷻ هو الملك الحق المتفرد بالعطاء والمنع ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، وسع عطاؤه وإحسانه في الدنيا الخلق كلهم ، أما يوم القيامة فعطاؤه الذي لا يخطر بالبال

خاص بالمؤمنين به : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف/ ٣٢].

فسبحان الكريم الذي عم بعطائه وإحسانه جميع المخلوقات،وملأ كونه العظيم بفضله وكرمه ونعمه المتنوعة ، فلا يخلو مخلوق من إحسانه أبداً .

هو أكرم الأكرمين .. وأجود الأجودين .. وأرحم الراحمين : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو الكريم الرحيم الذي كتب على نفسه الرحمة ، وأفاض على خلقه النعمة : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٤] .

سبقت رحمته غضبه ، وسبق حلمه عقوبته ، وسبق عفوه مؤاخذاته .

الفضل كله بيده .. والخير كله منه .. والملك كله في قبضته .. والخزائن كلها له .

أحب شيء إليه سبحانه البر والعطاء ، والرحمة والإحسان : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج/ ٦٥].

وأحب شيء إليه أن يرحم عباده ، ويجود عليهم بما عنده ، ويوسعهم فضلاً وأجراً ، وخيراً ورزقاً : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٠].

هو الكريم الذي يتعرف إلى عباده بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، ويتحبب إليهم بنعمه وإحسانه ؛ ليعرفوه ويسألوه ويعبدوه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

وحبه ﷻ للجود والعطاء والإحسان فوق ما يخطر ببال الخلق .. والإحسان أحب إليه من العدل .. والعطاء أحب إليه من المنع .. والرحمة أحب إليه من العقوبة : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

والله ﷻ هو المَلك الذي بيده المُلك ، الغني الذي عنده خزائن كل شيء ، الكريم الذي أنعم على عباده بجميع النعم : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ

﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران / ٢٦] .

فسبحان العزيز الكريم الذي كل خير ورحمة وإحسان منه.

هو الكريم الذي ابتدأ خلقه بالنعم من غير استحقاق ، خلقنا ورزقنا وهدانا وأعاننا وضاعف لنا الأجر ، فيجب علينا الإكثار من ذكره وحسن عبادته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٤].

هو الكريم الرحيم الذي يعطي الجزيل ، ويستر العيوب ، ويغفر الذنوب ، ويعفو عن السيئات ، ويُنسي العبد معاصيه ، وينسي الناس ذنوبك : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء/ ١١٠].

هو الكريم الأكرم الذي لا تتخطاه الآمال ، إذا أعطى أجزل ، وإذا أولى فضلاً أجزله ، ثم ستره ثم بارك فيه : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن/ ٧٨].

هو الكريم الذي أحسن إلى عباده بكل خير ، كثير النوال والعطاء ، دائم المعروف والإحسان ، ذو الطول والإنعام : ﴿ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [غافر/ ٣].

هو الكريم الذي يعطي من غير منة ، ولا يُحوج عبده إلى وسيلة .

هو العزيز الكريم الذي يُعطي ما لا يحصى من النعم ، ولا يبالي كم أعطى ، ولمن أعطى ، وإذا رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

فسبحان الكريم الذي يُعطي على العمل القليل الثواب الكبير ، بل أعطى عباده الدنيا كلها من هواء ونور ، وطعام وشراب ، ومسكن ومركب ، ولباس وأرزاق : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٩].

هو الكريم الولي الحميد الذي لا يضيع من لاذ به ، ولا يسلم إلا من التجأ إليه ، ولا يخيب من رجاه ، ولا يرد من دعاه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

فأكثِر من ذكره وحمده والثناء عليه ، فليس أحب إليه من مدحه والثناء عليه : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾
[الفاتحة/ ٢-٧].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الـمَدْحُ مِنَ الله مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ » أخرجه مسلم[1].

وهو سبحانه الكريم الذي يبسط الرزق لمن يعلم أن حاله تصلح بالغنى ، الحكيم الذي يقبض الرزق عمّن يعلم أن حاله لا تصلح إلا بالفقر : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ٣٠ ﴾ [الإسراء/ ٣٠].

فالبسط كله عن الكريم صادر ، والمنع كله إلى الحكيم راجع .

والعطاء كله بسط ، والمنع كله قبض ، والكل صادر من الحكيم العليم البصير بعباده.

يبسط لمن يشاء من عباده ما شاء من الرزق والعلم ، والإيمان والعمل ، والخير والخُلق .

ويقبض عمن شاء من عباده ذلك ، وهو العليم بمن يستحق هذا وهذا: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤ ﴾ [الملك / ١٤] .

فسبحان الكريم الذي يبسط ويقبض برحمته الواسعة ، وحكمته الشاملة .

فهو الحكيم الخبير الذي يبسط لمن شاء من عباده في ماله ، أو علمه ، أو عمره ، أو حياته ، أو خلقه ، أو عافيته ، ويقبض عمن شاء ذلك : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥ ﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

والقبض والبسط كله بيد الله وحده لا شريك له : ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ ﴾ [فاطر/ ٢] .

ولا يمنع أن يكون القبض والبسط والعطاء والمنع بأسباب من الناس ، متى قاموا بها حصل لهم ما قدر الله لهم.

فالأسباب في الدنيا محل حكمته وسنته الجارية فاعلم ذلك : ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣ ﴾ [فاطر/ ٤٣].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٩٦١) .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » متفق عليه [1].

والإيمان وتقوى الله عز وجل من أعظم أسباب بسط الرزق: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف/ ٩٦].

واعلم أن العطاء كله بسط، والمنع كله قبض، وكل ذلك بيد الله الذي يقبض ويبسط وحده لا شريك له.

وقد يقبض الله عن عبده في الدنيا المحبوبات التي تشغله عن ربه، ليبسط له في الآخرة كل ما يحب، وقد يبسط لمن أعرض عنه في الدنيا ما يحب، ليعذبه به في الدنيا، ويقبض عنه ما يحب في الآخرة: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة/ ٥٥].

واعلم رحمك الله أن البسط والقبض يدخل في جميع التدابير الربانية الملكية.

فالغنى بسط.. والفقر قبض.. والنعيم بسط .. والبؤس قبض .. والحياة بسط .. والموت قبض .. والأمن بسط .. والخوف قبض.

والخصب بسط.. والجدب قبض.. والصحةبسط.. والمرض قبض.. والعزة بسط.. والذلة قبض.

والقوة بسط.. والضعف قبض.. والفرح بسط.. والحزن قبض.. والرضى بسط .. والغضب قبض.

والإيمان بسط .. والكفر قبض .. والتوحيد بسط .. والشرك قبض .. والطاعات بسط .. والمعاصي قبض.. وهكذا: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الرعد/ ٢٦].

فسبحان الحكيم العليم الذي جعل أنواع الخير كلها بسط، وأنواع الشر كلها قبض؛ ليذكر العبد ربه الذي يقلب الأحوال، ويدبر الأمر، وبيده ملك الدنيا والآخرة، ويستيقظ من غفلته، ويشكر ربه، ويصبر على بلائه، ويتوب إليه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

واعلم أن الله عز وجل هو الحكيم الخبير الذي يربي الأجسام بالطعام والشراب، ويربي النفوس بتقليبها من حال إلى حال، من بسط إلى قبض، ومن أمن إلى خوف، ومن عافية إلى مرض.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٥٧).

فسبحان الخالق المالك لزمام كل شيء يقبض ويبسط كيف شاء.

يبسط العقل فيفهم ، ويقبضه فلا يفهم شيئاً ، ويبسط القلب فيتسع ، ويقبضه فيضيق ، ويبسط الصدر فينشرح ، ويقبضه فلا يتسع لشيء : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

وحظ المسلم من هذا الاسم أن يقبض ويبسط حتى في الدعوة إلى الله ، فيذكِّر الناس بالله وقدرته ورحمته وعفوه وإحسانه وإكرامه ، ويذكِّرهم بعذابه وعقوبته وناره : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٣].

واعلم يقيناً أن أعظم البسط في الحقيقة هو الهداية للدين الحق ، وأعظم القبض الضلالة عنه : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٢٥] .

والقبض حق الله منك ، والبسط حظك منه ، فتقرب إليه بحظك منه بأداء حقه عليك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١٧٢] .

فسبحان من بسط لعباده المؤمنين كل خير ، وقبض عنهم كل شر ، وجعل ما أصابهم من الشر نعيماً في صورة عذاب ، يصفي توحيدهم ، ويرفع درجاتهم ، ويمحو سيئاتهم : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧] .

وسبحان من جعل ما أنعم به على الكفار والعصاة في الدنيا مكراً بهم ، واستدراجاً لهم ؛ لحرمانٍ شاءه لهم في الآخرة : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران / ١٧٨] .

فلما هانوا على ربهم بإعراضهم عنه ونسيانهم له ولدينه عاجلهم وأشغلهم بعذاب في صورة نعيم جزاء على عملهم : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ٤٤].

فسبحان الملك الجبار الذي بيده مقاليد الأمور كلها ، لا قابض لما بسط ، ولا باسط لما قبض ، وهو الحكيم الخبير.

إذا بسط الكريم بَسَطَ حتى لا فاقة أبداً ، وإذا قبض قَبَض حتى لا طاقة أبداً : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران / ٢٦] .

وسبحان ذي الطَّول والإنعام على جميع خلقه ، الذي يُنعم بالجزيل من الأرزاق ، ويعفو عن الكثير من السيئات : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [غافر / ٣] .

هو الغني الكريم الذي أياديه بالإنعام والإحسان إلى عباده مبسوطة .. يُنعم بجزيل النعم .. ويدفع شر النقم .. ويعطي من يطيعه ومن يعصيه ، ويرحم من أحسن وأساء.

بره لا يُنسى أبداً ، ذو الطول والإنعام والإحسان وحده لا شريك له : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم / ٣٤].

وهو سبحانه ذو الجلال والإكرام ، المستحق لأَنْ يهاب ، لعظمة سلطانه ، ويثنى عليه بما يليق بعلو شأنه وجميل إحسانه ، الذي له الإكرام كله من جميع خلقه ، ولا إكرام ولا كرامة ولا مكرمة إلا وهي صادرة عنه سبحانه: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن / ٧٨] .

فسبحان ذي الجلال والإكرام ، والعظمة والكبرياء ، الحي الذي لا يموت ، وكل ما سواه يموت : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن/ ٢٦-٢٧] .

هو سبحانه ذو الجلال والإكرام ، الجلال له في ذاته وأسمائه وصفاته ، والإكرام فائض منه على خلقه ، فلا جلال ولا كمال إلا وهو له ، ولا إكرام ولا إحسان إلا وهو فائض منه .

فسبحان الملك الحق الذي جميع أسمائه وصفاته وأفعاله دالة على جلاله وجماله وكماله ، وكل أفعاله تجاه خلقه إكرام ظاهر جلي أو باطن خفي ، إكرام إيجابي بالنعم الظاهرة ، وإكرام سلبي بالنعم الباطنة التي هي المصائب : ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى

ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٠].

فما أعظم نعم الله على الإنسان ، وما أحسن إكرامه له ، وما أعظم رحمته به.

أعطاه ربه عقلاً يدرك به الأشياء ، وعيناً ينظر بها الأشياء ، وأذناً يسمع بها الصوت وجهة الصوت ونوع الصوت.

وأعطاه يداً يأكل ويشرب بها ، ويأخذ ويعطي بها ، ويسلِّم ويكتب بها ، ويقرب ويبعد بها.

وأعطاه الكريم أنفاً يشم به الأشياء ، ولساناً يتكلم به ، وأسناناً يطحن بها الطعام ، ورجلين يمشي بهما ، كل ذلك وغيره إكرام من ذي الجلال والإكرام : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

فسبحان العزيز الكريم الذي جعل الهيبة لكل من آمن به وأطاعه ، وجعل الذلة لكل من كفر به وعصاه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [المجادلة/ ٢٠-٢١].

واعلم أن الله وحده ذو الجلال والإكرام ، الرزق إكرام من الله ، والصحة إكرام من الله ، والعلم إكرام من الله ، والجاه والشرف إكرام من الله ، والزوجة والأولاد إكرام من الله ، وكل خير ونعمة إكرام من الله : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل/ ٥٣].

فإذا تمتعت أيها الإنسان بهيبة ومكانة فاعلم أن الله هو الذي رفع لك ذكرك فتواضع له : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح/ ١-٤].

وإن أفقدك العزيز الكريم هيبتك ، وجاء أحقر الناس فتطاول عليك فإنما يريد العزيز أن يعلمك أن الجلال والهيبة منه ، لا بسبب مالك وجاهك وقوتك : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن/ ١٣].

وكلما تمتعت بإكرامك للناس فاعلم أن الله أكرمك به فأكرمت به ، الكريم أعطاك فأعطيت ، وأغناك فأغنيت ، وعلَّمك فعلَّمت ؛ لأنه وحده ذو الجلال والإكرام : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء/ ١١٣].

وإذا علمت أن الله وحده ذو الجلال فيجب أن تجلَّه ، وإذا علمت أنه وحده ذو الإكرام فيجب أن تحبه وتكرم عباده ، وتعظمه وتجل كتابه ورسوله وعباده وبيوته وشعائره وأوامره : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢٤].

• التعبد لله ﷻ باسمه الكريم :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الله تبارك وتعالى هو الكريم الحق من جميع الوجوه ، الكريم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وإحسانه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٤].

فاجتهد أن تعمل بمقتضى هذا الاسم الكريم بأن تكون كريماً في جميع أمورك وأحوالك مع ربك ومع نفسك ومع الناس ، وبذلك تحصل على مرضاة ربك ، وتظفر بمحبته لك ، فالله كريم يحب معالي الأخلاق ، ومكارم الفعال ، ويحب المتصفين بها ، والدعاة إليها.

وبذلك أنزل كتبه .. وأرسل رسله .. وشرع دينه.

والتعبد لله بمعاني أسمائه وصفاته هو الدين القيم ، وهو الحق الذي خلق الله به السموات والأرض ، والدين كله مجموع في أمرين : عبادة الحق ، ومحاسنة الخلق : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾ [النساء/ ٣٦].

والله سبحانه كريم يحب كل كريم .. شكور يحب كل شاكر .. عفو يحب كل عفو .. سلام يحب كل مسلم .. رزاق يحب كل رازق .. تواب يحب كل تائب.

فعليك بالتحلي بمكارم الأخلاق ، فهي أثقل شيء على النفس ، وهي أثقل شيء في الميزان يوم القيامة.

ولهذا مدح الله رسوله ﷺ بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤] .

وبحسن الخلق يدرك المؤمن درجة الصائم القائم.

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ » أخرجه أبو داود[1].

---

(١) **صحيح** / أخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٨).

وعليك بطاعة الله ورسوله ، ولزوم السنة ، فما أكرم أحد نفسه بمثل طاعة الكريم الحق سبحانه ، ولن يهينها بمثل معصيته : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١].

وعليك بأداء الفرائض واجتناب المناهي بوجهٍ طَلْقٍ سمح ، وقلب متذلل بين يدي ربه الرحمن : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك/ ١٢] .

واعلم أن المسلم إذا علم أن ربه هو الكريم فعليه أن يتوجه إليه بكمال الإيمان والتقوى في كل حال ، وأن يكرم كتابه باتباع ما جاء فيه ، ويكرم أنبياءه ورسله باتباعهم وحسن الاقتداء بهم ، ويكرم أوامر ربه وشعائره بالفرح بها، وحسن أدائها ، ويكرم نعمه بوضعها في موضعها ، وشكر الله المنعم بها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات / ١٣] .

واعلم أن الكرم فعل ما ينبغي لا لغرض إلا ابتغاء مرضاة الله : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ [الإنسان/ ٩-١١].

وكن كريماً محسناً تؤدي إلى كل ذي حق حقه بطيب نفس وسعة صدر ، وإن قدرت أن تزيد فزد يزدك الله من فضله : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة/ ٢٧٤] .

وإن كان لك على غيرك حق وتعذر عليك أخذ جميعه فلا تستقصه ، وأبق للتكرم موضعاً ، فما استقصى كريم قط ، ومن أكرم بخير أكرمه الله وغفر له : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور / ٢٢].

وإياك والشح والبخل والحرص والطمع وجميع مساوئ الأخلاق : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر / ٩] .

وأنفق ينفق الله عليك ، واجتنب البخل بما أعطاك الله من نعمه فلا داء أدوى من البخل ، ولا شر أشر منه ، وبئس الطوق للإنسان يوم القيامة : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران/ ١٨٠].

وعامل الناس بمثل ما عاملك الله به ، حيث لم يكلفك إلا بعض وسعك ، ثم رد نَفْع ذلك عليك ، وعفى لك عن الكثير ، وضاعَف لك الأجر ، فلا تظلم أحداً ، ولا تهن مسلماً ، وتعبَّد لله مع خلقه بما يحب : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء / ٤٠] .

واحمد الكريم الذي خصك بالتوحيد والإيمان،وأعانك على ذكره وشكره وحسن عبادته ، وعافاك في الدنيا من السجود للصنم ، وقطع عنك ما يحول بينك وبينه حتى لا يشغلك به عنه : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة/ ٤] .

وسبح بحمد ربك الكريم الحكيم الذي يُعسر على عباده ما يشغلهم عنه ، ويُيسر لهم ما يغنيهم عن سواه ، ويفتح على جميع خلقه أبواب رحمته .

يستر جَلَّ جَلَالُهُ على العصاة وهم المجاهرون .. ويحسن إليهم وهم المسيئون .. ويعفو عنهم وهم الظالمون .. ويصبر على أذاهم وهم المعتدون : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء/ ١١٠].

يفعل الكريم هذا كله على مدى الدهور والقرون مع خلقه كلهم مع جلاله وكبريائه، وعظمة سلطانه ؛ لأنه الكريم الرؤوف الرحيم : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية/ ٣٦-٣٧].

وندب سبحانه إلى الإتمام به في حسن معاملة أكرم مَنْ خَلَقه فقال : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣-٣٦] .

ولكي تكون كريماً صِل رحمك الله من قطعك .. وأعط من حرمك .. واعف عمن ظلمك .. وأحسِن إلى من أساء إليك .. وكف لسانك عن الأذى والخنا والمكروه والفحشاء .

وعوِّد نفسك السخاء ، ويدك العطاء ، ولسانك الذكر والشكر والدعوة والدعاء.

وصُنْ نفسك عن شين الأمور ، وتنزه عن اللؤم والغرور ، وترفع عن الدقة والاستقصاء في الأمور ، واصفح عن المعتذر ، واعف عن الجاني : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف / ١٩٩] .

وأحسِن إلى المسيئين ، وتجاوز عن المذنبين ، واشمل بمعروفك من استطعت من الخلق.

أحسِن إلى الناس جميعاً ، واعلم أن إساءتك إلى مجوسي أو عابد صنم أو ملحد كإساءتك لمسلم ؛ لأن هذا عرف الدين من خلال إساءتك أنه عدوان ، فأبعدته عن الدين بهذه الإساءة : ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة/ ٨].

ثم عليك بحسن الأدب مع أهلك وأقاربك ، تعاهدهم بالمال والنصيحة ، وانشر فضائلهم ، واستر معايبهم ، واقبل من محسنهم ، وتجاوز عن مسيئهم ، وتغافل عن زلاتهم ، وأقِلْ عثراتهم ، ولا تطالبهم بكل حقك عندهم تكن ربانياً: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء/ ٣٦].

وبذلك ينبسطون إليك ، وتملك زمامهم بيديك ، ويأسر حبك قلوبهم ، ويرضى الله عنك.

ما أعظم حلم الكريم على خلقه، وما أسوأ أدبهم مع ربهم، فهم يعصونه بنعمه مع عظيم سلطانه، وجزيل إنعامه، ودوام مشاهدته لهم، وهم يشركون به وهو يتودد إليهم ويدعوهم إلى التوبة: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٣-٧٤].

فسبحان من حلمه وكرمه مبسوط لجميع خلقه حتى أخرجهم ذلك إلى عصيانه جهاراً ، وذلك لكمال حلمه ، وقلة مطالبته إياهم بكل حقه ، وكثرة صفحه عن زلاتهم، ودوام ستره لمخازيهم ، وعظيم صبره على أذاهم: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾ [فاطر / ٤٥] .

واعبد ربك كأنك تراه، وإياك أن تجعله أهون الناظرين إليك، فتستتر من سواه، وتبارزه بالمعاصي كأنك لا تراه ولا يراك ، فاتق الله : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ

تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠] .

وقدِّم مراد ربك منك على مرادك منه ، وأكمِل محبوباته في الدنيا يكمل لك محبوباتك في الآخرة ، وكن من خواصه وأوليائه تنال رحمته ورضوانه : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة/ ١٠٠].

اللهم اجعلنا وإياكم والمؤمنين والمؤمنات ممن خصه ربه بإكرامه ، وتغمده برحمته ورضوانه.

واعلم أن الكريم سبحانه أجود من سُئل ، وأكرم من أعطى ، وأحب شيء إليه أن يرجى ويؤمَّل ، ويُسأل ويدعى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر/ ٦٠].

هو الكريم الذي خلق الخلق ، وخلق لهم ما في السموات والأرض ، وما في الدنيا والآخرة.

ثم أكرمهم بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وشرع لهم الدين ، وأذن لهم في مناجاته وسؤاله في أي وقت أرادوا ، ولا يمل حتى يملوا : ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

وشرع الكريم لعباده التوبة من الذنوب ليتوب عليهم ، وأمرهم بالاستغفار ليغفر لهم ، ورغَّبهم في الرحمة ليرحمهم ، ورغَّبهم في السؤال ليعطيهم : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام/ ٥٤] .

فسبحان الكريم الذي شرع لعباده من الطاعات ما يمحو به الذنوب ، ويرفع به الدرجات ، ويزيد به الحسنات ، من الأدعية والأذكار ، والوضوء والصلاة ، والصدقة والزكاة ، والصيام والحج وغيرها من القربات والطاعات الموصلة إلى روضات الجنة : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ

ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

فبادر رحمك الله إلى فعل ما يحبه ويرضاه تسعد في الدنيا والآخرة :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج / ٧٧] .

واعلم نوَّر الله قلبك بحسن معرفته ، واستعمَل جوارحك في حسن عبادته ، أن الكريم الحق منه التوفيق والعطاء أولاً وآخراً ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع.

وعباده وخلقه هم محل إحسانه ورحمته، فالعبيد كلهم له ، والمال كله له ، والدين كله منه، والثواب كله منه ، وكل ما في الكون من نعمه وحده : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل/ ٥٣].

ومَنْ هذا شأنه ، وهذا إحسانه ، كيف لا يحبه العبد ، وكيف لا يستحي ، وكيف لا يخاف ، وكيف يقبل أن يصرف شيئاً من أنواع العبادة إلى غيره : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأحقاف/ ٤-٦].

وإذا كان الكريم قد أكرمك بالإيمان والتوحيد فاعبده مخلصاً له الدين ، واملأ جميع أوقاتك بذكره وحمده كما ملأ الكون لك بفضله ونعمه : ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر/ ٩٨- ٩٩].

ولا يشغلك أحد من خلقه عنه : ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٥-٦٦].

فكن في الليل مع الكريم احمده واسأله ، وفي النهار أكرم خلقه ، وعلمهم الدين.

وكن في الليل مع الغني اسأله من فضله ، وفي النهار أنفق على عباده مما أعطاك من مال وعلم وخير : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [البقرة/ ٢-٣].

وكن في الليل مع العفو الحليم اسأله أن يعفو عنك ويحلم عليك ، وفي النهار اعف عمن

ظلمك من الناس ، واحلم على من أغاضك : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

واعلم أن الكريم أعطاك من نعمه ، وخصك بهدايته ، وحبب إليك عبادته .

فاجتهد على ذرية آدم ﷺ ليتوبوا إلى ربهم ، ويهتدوا إلى خالقهم ، وتفوز أنت بالهدى وجزيل الأجر بالدعوة إلى الله ، وتعليم أحكام دينه ، وإنفاق الأوقات والأموال في سبيله : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝١٢٥﴾ [النحل/ ١٢٥] .

وإياك أن تتعرض لسخط ربك بفعل ما يغضبه ، وارتكاب ما حرمه .

فمن فعل ذلك فقد استدعى من الكريم الرحيم خلاف ما هو موصوف به من البر والجود والإحسان ، وعرَّض نفسه لسخط ربه وعقوبته ، وأن يصيِّر سخطه موضع رضاه ، وانتقامه وعقوبته موضع كرمه وعطائه : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ۝٨٠﴾

[المائدة/ ٧٨ – ٨٠].

فما أعظم شؤم من عصاه فقد استدعى العاصي بمعصيته من أفعال ربه ما سواه أحب إليه منه ، وهو الجود والإحسان والبر : ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٩٦﴾[الأعراف/ ٩٦].

وإذا بسط الله لك في مالك أو علمك أو جاهك أو أخلاقك فأنفق مما آتاك الله من فضله، وأحسن إلى عباده كما أحسن الله إليك : ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝٧﴾[الحديد / ٧].

واشكر رحمك الله مَنْ بسط لك نعمه، وقبض عنك نقمه، بلزوم طاعته ، ودوام ذكره ، وحسن عبادته، وامتثال أمره ، واجتناب نهيه، تسعد في الدنيا والآخرة :﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٣٢ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ

﴿وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٢-١٣٤].

ومن ضيَّق الله عليه في ماله أو علمه أو خُلقه أو جاهه فليلجأ إلى الكريم وحده، وليطلب منه مده وعونه وفضله ، فلا باسط لما قبض ، ولا قابض لما بسط : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام/ ١٠٢].

وعليك بالشكر لمولاك في حال البسط ، والرضى بالقضاء واجتناب الضجر حال القبض ، والحذر من مفارقة الأدب مع الله في حال البسط ، بالإدلال والمنة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

فالله غني عنك وعن غيرك وعن كل ما يكون منك من عمل : ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [العنكبوت/ ٦].

فاجتهد في طاعة ربك ، وارض بما قسم الله لك ، ولاتَمُنّ وتنبسط في حال البسط، ولا تشكوه حال القبض ، لعلك تنجو : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون / ٦٠-٦١] .

وسارع إلى الخيرات ، ولا تطلب من الدنيا ما زواه الله عنك وصرفك عنه برحمته : ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة/ ٢١٦] .

واعلم أن ربك ذو الجلال والإكرام وحده لا شريك له ، وهذا اسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعي به أجاب ، فإذا حلت بك مصيبة أو نزلت بك ملمة أو أصابتك نكبة فالجأ إلى ذي الجلال والإكرام ، فإنه لا يقدر على رفعها إلا هو : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ [النمل/ ٦٢].

فسبحان من جلاله قهر كل شيء ، وجماله فتح باب القبول والوصال ، وجلاله وجماله ظهر في كل شيء : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾[آل عمران / ١٤٧] .

﴿رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾[الفرقان/ ٧٤].

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي

أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ » متفق عليه[1] .

« لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » أخرجه مسلم[2].

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا ، اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها.

اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، واهدنا لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئها ، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت ، يا أرحم الراحمين.

اللهم أغننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، يا أرحم الراحمين.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣)، ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له.

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٥٩٤) .

الحميد

قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

الله ﷻ هو الغني الحميد الذي حمد نفسه وأثنى على ذاته؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة / ٢-٤] .

وهو سبحانه الحميد الذي يستحق أن يُحمد لذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فأسماؤه وصفاته دائرة بين الجلال والجمال ، وأفعاله كلها دائرة بين العدل والإحسان : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه / ٨] .

وهو سبحانه الحميد الذي يستحق الحمد كله ؛ لأنه الكريم الرحيم الذي يخلق ويرزق ، والحميد الذي يعفو ويغفر ، والكريم الذي يُنعم ويحسن، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

وهو سبحانه الولي الحميد المحمود على جميع أقواله وأفعاله ، وعلى دينه وشرعه ، وعلى قضائه وقدره ، وعلى ثوابه وعقابه ، وعلى فضله وإحسانه : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

وهو سبحانه الحميد الذي استحق الحمد كله بجميل فعاله، المحمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه، وبسط لهم من فضله، المحمود بكل لسان، المحمود على كل حال من جميع مخلوقاته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء / ٤٤].

وهو سبحانه القوي المتين الذي يحمده خلقه على عظمته وجلاله ، وكبريائه وقوة سلطانه، وجزيل إنعامه وإحسانه : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

وهو سبحانه الحميد الذي لا يفعل أبداً إلا ما يُحمد عليه ، الحميد الذي يُحمد على السراء

والضراء ، ويُحمد في حال الشدة والرخاء ، ويحمد في حال العافية والبلاء : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٦].

وهو الحكيم الحميد الذي جمع جميع المحامد ، المستحق وحده الحمد على الإطلاق ، وله الحمد على كل حال في كل زمان ومكان : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [التغابن/ ١].

فللّه الحمد كثيراً كما ينعم كثيراً ، ويعطي كثيراً ، ويعفو كثيراً ، حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر/ ٣].

له الحمد بالإسلام .. وله الحمد بالقرآن .. وله الحمد على العطاء .. وله الحمد على دفع البلاء : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر / ٩٨-٩٩].

وهو سبحانه الولي الحميد الذي والى بين نعمه ومننه، وتابع بين إفضاله وإحسانه، وأنعم على جميع الخلائق بنعم لا تعد ولا تحصى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل / ١٨].

فللّه الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، ملء السموات ، وملء الأرض، وملء ما بينهما ، وملء ما شاء من شيءٍ بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد .

له الحمد على كماله .. وله الحمد على جلاله.. وله الحمد على جماله .. وله الحمد على آلائه وإحسانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام / ١] .

فسبحان الملك الحق الذي له الحمد كله ، فهو المحمود سبحانه على ما خلقه ، المحمود على ما أمر به، وعلى ما نهى عنه ، وعلى ما أخبر به ، وعلى ما وعد به : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ ﴾ [الكهف/ ١-٢].

وهو المحمود على طاعات العباد ومعاصيهم ، وعلى إيمانهم وكفرهم ، وهو المحمود على خلقه الأبرار والفجار ، والملائكة والشياطين ، وهو المحمود على خلقه الرسل وأعدائهم ، وهو المحمود على عدله في أعدائه كما هو المحمود على فضله وإنعامه على أوليائه : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى / ٢٨].

والله ﷻ أعظم مَنْ حَمِد نفسه ، وهو المحمود لذاته ولو لم يقم بحمده أحد من البشر ، وهو المحمود قبل أن يخلق البشر ؛ لأنه أهل أن يُحمد ويُعبد ، وأن يُحب لذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وإحسانه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

فللّه الحمد على مجده وعظمته، وله الحمد على كبريائه وجبروته، وله الحمد على عزته وقدرته ، وله الحمد على غناه وإحسانه ، وله الحمد على رحمته وكرمه : ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص / ٧٠].

واعلم رحمك الله أن الله هو الحميد الذي له الحمد كله من جميع الوجوه ، الحميد الذي لا أحمد منه لنفسه، الحميد الذي كل حمد من الخلق من فضله ، الحميد الذي وهب الحمد لكل حامد فسبحَ بحمد ربه ، الحميد الذي أسر قلوب الخلق وذرات الكون بما أظهر لهم من أسمائه وصفاته ونعمه وإحسانه فسبحوا بحمده: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

فسبحان الغني الحميد ، الكثير الحمد لعباده المطيعين له، الكثير الحمد لجلاله وجماله، وأسمائه وصفاته، المحمود من جميع خلقه على كماله وجميل إحسانه.

والحمد أوسع الصفات، وأعم المدائح، وسبل معرفة موجباته كثيرة واسعة.

فجميع أسماء الله وصفاته ، وأفعاله وأحكامه ، وآياته ومخلوقاته ، كلها شاهدة بوحدانية الله، موجبة لحمده، دالة على جلاله وجماله : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبأ/ ١].

هو سبحانه الحميد الذي استوجب الحمد واستحقه لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وسعة فضله ، وعظيم إحسانه : ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الحج/ ٦٤].

هو الحميد الكريم الذي خلقنا وأمدنا بالنعم ، وهدانا إليه ، وأحسن إلينا كل الإحسان في الحياة وبعد الموت : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢-٥].

هو الحميد المجيد الذي مدح نفسه ، وحمد نفسه ، وأثنى على نفسه ليعرِّفنا بذاته وأسمائه وصفاته كي نصل إليه ، ونُقبل على طاعته ، ونعظمه كما يليق بجلاله ، ونطمع في عفوه ومغفرته وعطائه وإحسانه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو الحميد الذي هداك للإسلام ، ووفقك لفعل الخيرات ، وأعانك على أدائها ، وحمدك على فعلها ، وأثابك عليها : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات/ ١٧].

هو الحميد الذي هداك إليه ، ووفقك للطاعات ، وحمدك عليها ، ومحا عنك السيئات ولم يخجلك بذكرها وكشفها ، بل يبدلها بحسنات ، ثم ضاعفها لك ، ثم أنساك سيئاتك لتقبل عليه ، وتتوب إليه : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان/ ٦٨-٧٠].

فأعط رحمك الله مما أعطاك الله من طيبات الأقوال والأعمال والأخلاق والأموال ، واعلم أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٦٧].

واعلم أن أقرب طريق وأعظمه وأجله وأشمله لمعاني الحميد في حق الرب الحميد يحصل للعبد عن طريق معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله، لاجتماع ما تفرق في العالم في معانيها: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد/ ١٩].

فمن أعظم النعم وأجَلّ الكرامات أنْ كان لنا إله حق حي قيوم، أسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها عليا، إله عظيم، ورب كريم، تحيرت الألباب في أدنى العلم بمعرفته، وخشعت العقول والقلوب لعز جلاله، وخضعت الخلائق لعظمة شأنه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

خلق ﷻ أكبر شيء وهو العرش العظيم الذي استوى عليه برحمته، وخلق أصغر شيء وهي الذرة، وخلق بين هذا وهذا مخلوقات عظيمة لا يقدر عليها إلا هو، ولا يعلمها إلا هو، ولا يحصيها إلا هو، ولا يدبرها إلا هو، فله الحمد والشكر: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

ولله الحمد كثيراً أنْ كان لنا رب وإله واحد لا شريك له ولا مِثْل له، ليس له شريك في ملكه في التدبير، وليس له شريك في العبادة، وليس له مَنْ يحجبه عن داعيه وسائليه، فله الحمد أنْ جعل المُلك والخلق والأمر كله له، وإلا لحصل فساد عظيم: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣ ﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٣].

والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً لا حد له ولا منتهى لمداه أنْ جعلنا عبيداً لرب عظيم، وإله حي قيوم واحد، ولم يجعلنا عبيداً مملوكين لشركاء متشاكسين، لا ندري من نرضي منهم، ولا نقدر على تحمل أوامرهم: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا

﴿لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٩﴾ [الزمر / ٢٩].

ومن منن ربنا العظام ، ونعمه الجسام التي يستحق عليها الحمد والشكر أن كان ربنا عزيزاً لا يضام ، منيعاً لا يرام ، أحد صمد ، لا يحتاج إلى أحد ، ولم يكن له كفواً أحد : ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

لا يعجزه شيء، ولا يغلبه شيء، ولا يقوم له شيء، مالك الملك والملكوت، ورب العزة والجبروت، فسبح بحمده وكبره بكرة وأصيلاً: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء / ١١١] .

ولله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه على ما أنعم به علينا من النعم التي لا تعد ولا تحصى، وما أسداه إلينا من النعم الظاهرة والباطنة من جزيل مواهبه، وجميل إحسانه، وكريم أياديه : ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾ [لقمان / ٢٠] .

وله الحمد كله على إجابة دعوة المضطرين .. وكشف كُرَب المكروبين .. وقبول توبة التائبين .. وإجابة السائلين ، وإكرام وإطعام الخلق أجمعين : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ [النمل/ ٦٢] .

وله الحمد كثيراً على ما يجود به من النعم قبل سؤالها، ويدفع المحن قبل حلولها، ويحمي عباده عن مراتع الآثام: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

وله الحمد كثيراً على ما يربي به عباده بأحسن الألطاف ، ويبلغهم ما ينفعهم من ذلك ما لا تبلغه الآمال ، ويهديهم برحمته إلى سبل السلام : ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة / ١٥-١٦].

فسبحان العزيز الحميد الذي يتحبب إلى خلقه بالنعم وهو الغني عنهم ، وهم يتبغضون إليه

بالمعاصي مع فقرهم إليه ، ومع ذلك يدعوهم إليه ، ويناديهم بأحب الأسماء إليه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٢ -١٠٣].

وسبحانه الكريم الرحيم الذي أكمل لنا الدين ، وأجزل لنا الثواب، الولي الحميد الذي اختار لعباده أحسن الأديان ، وأحسن الأقوال ، وأحسن الأعمال، وأحسن الأخلاق: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة/ ٣].

ويعطي مَنْ أحسن العمل أحسن المنازل في الجنة : ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس / ٢٦].

فما ألطف خطاب الله في القرآن لهذه الأمة في وعظه إياهم بالتعريض، وحثه لهم بالتحريض ، وتربيته لهم بقص ما أصاب مَنْ قبلهم، وبشارتهم بما أعدَّلهم من النعيم، وإكرامهم بعدم مواجهتهم بخطاب الوعيد، ومضاعفة ثوابهم إكراماً لهم، والعفو عن سيئاتهم رحمة بهم ؛ لأنهم خير الأمم، وورثة الرسل في الدعوة إلى الله، والعمل بالشرع : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران / ١١٠].

واعلم رحمك الله أن من لم يجد طعم هذه الأذكار والأفكار والمعارف عند تلاوة كتاب الله ﷻ فعليه أن يعالج قلبه بالتقوى ، ويكثر من الدعاء بأن يحي الله قلبه ، وأن يصحح له سمعه وبصره : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾﴾[ق / ٣٧].

واعلم نوّر الله بصيرتك بالعلم والإيمان أن الله يختص برحمته من يشاء، ويقصد بعذابه من يشاء : ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء/ ٧٩-٨٠].

فالأول فضله.. والثاني عدله.. وهو المحمود على هذا وهذا.

فالمؤمنون بفضله ورحمته مخصوصون، والكفار بعدله مقصودون، ولكل واحد من الأمرين قسطه من الحكمة والرحمة : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٢٩] .

فالابتلاء كله خير للمؤمنين ، ورحمة للموقنين ، يصح به توحيدهم ، وتُكفَّر به سيئاتهم ، وتُرفع به درجاتهم ، فللّه الحمد والشكر والمنة : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٢-٣].

فهؤلاء بالنعمة يسعدون ، وبالمحنة يتربون ، وبالعلم يهتدون ، وبالإيمان يَصِلون ، وبالعمل الصالح يصعدون : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر/ ١٧-١٨] .

فسبحان من خلقهم للخيرات ، وأعدها لهم ، واستعملهم بما يوصلهم إليه وإلى رضوانه والجنة بما يسر لهم من أنواع القربات : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٩٠] .

وهؤلاء إن أصابتهم نعمة شكروا ربهم عليها ، واستعانوا بها على طاعته ، وإن أصابهم مكروه صبروا على ما قدر الله عليهم من المصائب ، فعوضهم عنها العوض الأكبر ، وجازاهم عليها الجزاء الأعظم : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة/ ٥١] .

فهم في كل حال يربحون على ربهم في كل نعمة وبلاء ، وفي كل طاعة ومعصية : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الذاريات/ ١٥-١٩] .

وهؤلاء درجات في الإيمان والعلم والعمل والأخلاق والأجور والمنازل ، وذلك من فضل الله فله الحمد : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا

﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فاطر/ ٣٢-٣٤].

وعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «عَجَباً لِأَمْرِ المُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍإِلَّالِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شُكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَه» أخرجه مسلم[1].

واعلم أن الله لطيف خبير ، محمود على جميع أفعاله، يُنعم على العبد في الدنيا بالعطايا، فإذا استرجعها منه كانت له من عطايا الآخرة.

ولهذا رغّب الله عباده المؤمنين بالصبر على المصائب ، ووعدهم على ذلك بجزيل الأجر : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

فهؤلاء أهل فضله وإحسانه جعلنا الله وإياكم ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا والمسلمين منهم .

أما من أو قع الله عليهم عدله ، فجعل قَسْمهم الكفر وأنواع المعاصي، والتقلب في مساخطه وغضبه، نعوذ بالله من ذلك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء/ ٥٦].

فهؤلاء مُلْكه وعبيده خلقهم ليظهر بهم مجده ، ويقيم بهم أمره ، ويتم بهم كلمته ، ويصدق بهم قوله ، فصاروا كفاراً بعد إقامة الحجة عليهم ، وبَعْث الرسل إليهم ، فأوجدهم ليظهر بهم عدله ، وعزة ملكه ، وكمال جبروته : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النحل/ ٣٦-٣٧] .

فسبحان من حجب الكفار عنه بأغلظ حجاب فسكنوا عن نوره في الظلمات، ليتم عليهم

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

أمره، وينفذ فيهم حكمه : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

فلله الحمد على نعمه السابغة ، وله الحمد على أحكامه العادلة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٢-٧].

وسبحان الحكيم العليم الذي خلق في الدنيا إبليس وجنوده ، وخلق الكفار والفجار، وخلق المؤذيات من العقارب والحيات والسباع الحشرات ، وخلق الأشواك والحشائش ، والروائح الكريهات.

خلق كل ذلك إظهاراً لكمال قدرته، وإبرازاً لما في دار عذابه من الكريهات والمؤلمات ، وامتحاناً لعباده بالمرضي وغير المرضي ؛ ليعلم من يترك ذلك ، ويتحمل ذلك ، ويسير إليه : ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء / ٣٥].

فلكل مخلوق حكمة.. ولكل تدبير حكمة.. يُحمد عليها الرب ﷻ : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر / ٦٥].

واعلم وفقك الله لمعرفة الملك والملكوت أن الله خلق لخلقه ثلاث دور:

الأولى: الجنة دار السلام، خلقها الله لطالبي رضاه، العاملين بطاعته.

خلق فيها كل شيء مرضي، وملأها بكل محبوب، وساق إليها كل مؤمن : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[الزمر / ٧٣].

الثانية: النار دار العذاب ، خلقها الله لمن كفر به وأغضبه وأسخطه ، وعمل بمعصيته.

خلق فيها كل كريه، وملأها بكل مؤذٍ، وسعَّرها بكل محرق، وساق إليها كل كافر ومستكبر ، وفاجر وفاسق : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ

أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٧١) قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢)﴾ [الزمر / ٧١-٧٢].

الثالثة : خلق سبحانه الدنيا دار سجن لعباده ، لينظر كيف يعملون، وأي دار يبتغون.

وأخرج ﷻ إلى هذه الدار من دار رحمته ما شاء أن يفتحه منها بالماء من أنواع الفواكه والثمار والحبوب وغيرها من النعم التي لا تعد ولا تحصى : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ (٩) وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ (١١)﴾ [ق/ ٩-١١].

وأخرج إليها من دار سخطه كل كريه ومؤذ ومؤلم ، وفيحاً من نار جهنم يخرج كل عام مرتين ، نَفَس في الصيف وهو شدة الحر ، ونَفَس في الشتاء وهو شدة البرد : ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ (٧١) ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ (٧٣)﴾ [الواقعة/ ٧١-٧٣].

وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ : «اشْتَكَتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ ، نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الحَرِّ ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الزَّمْهَرِيرِ» متفق عليه[1].

وخلق الجبار سبحانه ذلك كله ليدل على كمال قدرته ، وقوة سلطانه ، وعظمة ملكه ، وكمال أسمائه وصفاته : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٠٣)﴾ [الأنعام/١٠٢-١٠٣].

خلق ذلك كله وقدَّره وأظهره بقسط معلوم ، وقدر موزون ، وحكمة بالغة : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ (٥٠) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٥١) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ (٥٣)﴾ [القمر / ٤٩-٥٣].

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٢٣٦٠) ، واللفظ له، ومسلم برقم (٦١٧).

فسبحان من خلَّص الجنة من الشر كله ، وجعل فيها الخير كله بحذافيره ، وخلَّص النار من الخير كله ، وجعل فيها الشر كله بحذافيره.

ومزج في هذه الدار الدنيا بين الخير والشر ، والحق والباطل ، والحلو والمر ، والمحبوب والمكروه ، والطيب والخبيث ، والمؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٤٧-٥١].

وأظهر من رحمته في هذا الدار ما يشهد بتوحيده،وجعل فيها ما يسهِّل للمؤمنين مقاصد الخيرات من النعم والآيات : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح/ ١٥-٢٠].

وأظهر قدرة الخالق ، وعجز المخلوق ؛ تسهيلاً لتحقيق التوحيد له وحده لا شريك له : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١٠-١١] .

وقد خلق الملك القادر لكل إنسان قصراً في الجنة لو آمن، وسجناً في النار لو كفر، ثم بعد البعث يرث المؤمنون منازل الكفار في الجنة، ويرث الكفار منازل المؤمنين في النار.

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَامِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ : مَنْزِلٌ فِي الجَنَّةِ ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنْزِلَهُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ » أخرجه ابن ماجه[1].

فسبحان الحكيم العليم الذي جعل المصائب كلها رحمة لعباده المؤمنين ، خصهم بها ،

(١) **صحيح**/ أخرجه ابن ماجه برقم (٤٣٤١).

وأنعم بها عليهم ، تذكيراً لهم وتخويفاً ، ينبههم بها عند غفلتهم ، فإذا رأوا النار تذكروا جهنم ، وإذا رأوا المكاره تذكروا ما أمامهم من العذاب : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الواقعة/ ٧١-٧٣].

فالمصائب والمكاره نعم توقظ العباد لسلوك سبيل الرشاد والنجاة ، فيعملون بما يحبه ربهم ويرضاه ؛ لينالوا بذلك دار الأمان والسلام: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة / ٥١].

فسبحان من ساق لعباده النعم بصورة المصائب، وجزاهم على الصبر على ذلك بأجزل الأجر : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر / ١٠].

فنعيم الدنيا وسرورها وثمارها وخيراتها يذكِّرهم بنعيم الجنة ، فينشطوا للطاعات .

والنار ومؤلمات الدنيا وعقاربها تذكِّرهم بعذاب النار وعقاربها ، فيكفُّون عن المعاصي .

وبضيق الدنيا وظلمتها يتذكرون ضيق النار وظلمتها ، ويتذكرون بأمراض الدنيا وآلامها وأوجاعها ما في النار من ذلك.

وما في الدنيا من المرض والجوع والعطش والهم والحزن يذكرهم بما في النار من أنواع العذاب الظاهر والباطن : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة / ١٥٥-١٥٧].

إذا فهمت هذا فاعلم أن كل محبوب للنفس خلقه الله في الدنيا ليذكِّر العبد بالمحبوب الأعلى في الآخرة، وكل مكروه في الدنيا خلقه الله ليذكِّره بالمكروه الأكبر في الآخرة.

وكل مصيبة من المصائب سبيل لحصول المحبوب في الدنيا والآخرة.

حكمة بالغة .. وسنة ماضية.. ونعمه سابغة : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان/ ٢٩-٣١] .

واعلم رحمك الله أن كل شيء خلقه الله فهو مُلكه يفعل به ما يشاء، وهو فيما يفعله بما يملك بين أمرين يقتضي كل واحد منهما الحمد لله وحده لا شريك له.

فإذا فعل سبحانه ماله فعله فهو عدل ، والعدل حمد ؛ لأن من حق الملك التصرف في ملكه بما شاء كيف شاء.

يعطي من يشاء.. ويمنع من يشاء.. ويقدم من يشاء.. ويؤخر من يشاء.

فإنْ أعطى وقدَّم وفضَّل فهو فضل وإحسان ، وهو حمد على حمد ، وإنْ مَنَع فهو عدل ، والعدل حمد، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد/ ١٩].

فإنْ تعثرت قدمك فلم تصعد إلى معرفة ما عز عليك فاسأل ربك أن ينوِّر قلبك بنور العلم والإيمان والقرآن :﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤ ﴾ [طه / ١١٤].

فسبحان من تحمده جميع مخلوقاته، وله الحمد في الأولى والآخرة.

واعلم أن سريان الحمد في المخلوقات ، وظهور آثاره في الكائنات ، أمر مشهود بالأبصار والبصائر ، تشهد به الذرات ، والبريات ، وكافة المخلوقات .

فلله الحمد على إحسانه، وله الحمد على ما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، والمثل الأعلى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤ ﴾[الإسراء/ ٤٤] .

وأما حمده على إحسانه ، فكل نعمة من نعمه التي لا تحصى موجبة لحمده سبحانه﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ﴾ [النحل/ ٥٣].

أما حمده سبحانه على ماله من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى فذلك أعظم وأوسع ، وهو ظاهر متواتر في القرآن والسنة.

فقد حمد جل جلاله نفسه في كتابه على ربوبيته للعالمين فقال :﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة/ ٢-٤].

وحمد نفسه على كمال أسمائه وصفاته فقال : ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

وحمد نفسه ﷻ على وحدانيته وألوهيته فقال : ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

وحمد نفسه على عظمة ملكه وغناه فقال : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١﴾ [سبأ/ ١].

وحمد نفسه على نعمة إنزال القرآن على عباده فقال : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ٢﴾ [الكهف/ ١-٢].

وحمد نفسه على كماله وتنزهه عن العيوب والنقائص فقال : ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء/ ١١١].

وحمد نفسه على خلقه العالم العلوي والسفلي فقال : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ [الأنعام/ ١].

فسبحانه ما أعظم شأنه ، وما أحسن خلقه ، وما أعظم قدرته ، وما أجمل إحسانه ، وما أوسع غناه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٤ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر/ ٦٤-٦٥].

واعلم أن الله ﷻ إنما خلق العالم كله له ، ولأجل أن يظهر لعباده عظمة قدرته ، وسعة علمه ، وجلاله وكبريائه ، وعظيم سلطانه ، وجزيل نعمه ، وسعة رحمته وعفوه ، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله.

وإذا عرف الناس ذلك عظموا ربهم وأحبوه ، وعبدوه ، وأطاعوه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ

سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق / ١٢].

• التعبد لله ﷻ باسمه الحميد :

اعلم رحمك الله أن ربك العظيم له الملك كله ، وله الخلق كله ، وله الأمر كله ، وله الحمد كله ، وإليه يرجع الأمر كله : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فاجتهد وفقك الله لحسن عبادته أن تعمل بما يحبه الله ويرضاه ، ولا تأت من الأقوال والأفعال والأخلاق إلا ما يحمدك عليه ربك الحميد المجيد ، ويثيبك عليه : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل/ ٩٧].

واستقم كما أمرك ربك ، واعمل بشرع الله ، وادع الى ربك ، وابذل ما تستطيع في سبيل رضاه يعزك ويرضى عنك وينصرك على من عاداك.

واعلم أن الله يبتلي عباده المؤمنين ليرقيهم ويرفع درجاتهم ، ولا يخزيهم أبداً ، لكنه يبتليهم ليؤدبهم ، وفي النهاية يعطيهم ويكرمهم بما يسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى/ ١-١١].

هو الحميد الذي يحمد من خلقه من آمن به ، وبذل وأعطى وصبر من أجله : ﴿ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود/ ٧٣] .

هو سبحانه الغني الحميد وحده لا شريك له ، ومع غناه عنا يعاملنا معاملة نحمده عليها : ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الحج/ ٦٣-٦٤].

واعلم أن الحميد من العباد هو من آمن بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، واستقام كما أمره ربه ، والمؤمنون في ذلك درجات بحسب علمهم وعملهم.

فأول محمود من البشر سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ الذي كان أحسن الناس خلقاً وخُلقاً وكان خلقه القرآن ، واستقام قلبه وجوارحه وأقواله وأعماله وأخلاقه في طاعة مولاه ، فليكن لنا أسوه وقدوة : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١].

ثم يليه في الحمد أولو العزم من الرسل ، ثم بقية الأنبياء والرسل ، ثم الصديقون والأولياء والعلماء والدعاة ، ثم عامة المسلمين.

كل واحد من هؤلاء حميد ومحمود بقدر إيمانه ، وصفاء توحيده ، واستقامة أخلاقه ، وسداد أقواله ، وصلاح أعماله : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

واعلم أن حمد الناس لربهم على ثلاث درجات :

الأولى: حمد العوام ، فهؤلاء يحمدون ربهم على إيصال اللذات الجسمانية من الأكل والشرب والسكن والملبس والمركب والمال والزوجة والأولاد وأمثالها.

الثانية : حمد الخواص ، وهم الذين يحمدون ربهم على إيصال اللذات الروحية من حصول السكينة والطمأنينة والانشراح بعد الصلاة أو الذكر أو قراءة القرآن وغيرها من الطاعات.

الثالثة : حمد خواص الخواص ، وهم الذين يحمدون ربهم لأنه أهل أن يحمد ، وأهل أن يشكر ، وأهل أن يعبد ، لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة.

فاحمد ربك العزيز الحميد على جلاله وجماله وجزيل عطائه : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

واحمد ربك على كل نعمة أنعم بها عليك وعلى غيرك.. واحمده على نعمه الظاهرة والباطنة .. واحمده على نعمة السراء والضراء .. واحمده على دفع البلاء .. واحمد ربك العزيز الكريم بالمحامد كلها ، ومجِّده بالمجد كله ، فهو أهل أن يُحمد، وأهل أن يُعبد ، وأهل أن يطاع: « اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَمِلْءُ الأَرْضِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ » متفق عليه[1].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري رقم (٧٩٥)، ومسلم برقم (٤٧٨).

واعلم بأن الله يرضى عن عبده إذا حمده على أكلة أو شَرْبة فلا يفوتك ذلك ، وذكِّر الناس بذلك.

عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا » أخرجه مسلم(1).

واعلم بأن الحمد والذكر أحب شيء إلى الله وأعظمه أجراً فاذكر ربك كثيراً ، واحمده كثيراً ، ولا يشغلك عنه سواه ، واصبر على ما أصابك ، يحبك ربك ويحمدك : ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ [طه/ ١٣٠-١٣١] .

وعن سمرة بن جندب ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ : سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ للهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ » أخرجه مسلم(2) .

واحمد ربك في جميع أحوالك في ليلك ونهارك تنال أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً .

عن أبى مالك الأشعرى ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ » أخرجه مسلم(3).

وتذكر من عظمة الله وأسمائه وصفاته ما تقدر عليه يمتلئ قلبك إجلالاً له ، وتعظيماً له ، وحباً له وتكبيراً له ، وتذكر نِعَمهُ وإحسانه يمتلئ قلبك حباً له ، وثناءً عليه، وحمداً له : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٤٣٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣).

ثم أطلق لسانك بحمده ، وأرسل جوارحك بطاعته ، وقلبك خاشع حاضر بين يديه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

فلله الحمد كثيراً كما ينعم كثيراً ، وكما يعفو كثيراً ، وكما يحلم كثيراً ، وكما يشكر كثيراً ، وكما يرحم كثيراً : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢-٧].

وله الحمد على ما وفق للحمد ، وقَبِل الحمد ، وأجزل أجر الحمد : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

والحمد لله الذي أرسل إلينا أفضل رسله .. وأنزل علينا أحسن كتبه.. وشرع لنا أفضل شرائع دينه: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣].

والحمد لله الذي أكمل في مخلوقاته حججه ، وأبان بها عظيم قدرته ، وأظهر بها شواهد وحدانيته ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم / ٢٢].

والحمد لله الذي لجلاله وجماله غاب عن الحواس فبطن ، وظهر للعقول فعلن، الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد / ٣].

والحمد لله الذي خلق الخلق كلهم بقدرته ، ودبرهم بمشيئته ، وقهرهم بقوته ، القوي القادر القاهر الذي لا يعجزه شيء، ولا يفوته شيء.

والحمد لله على ما خلق وأمر، والحمد لله على ما سر ونفع، والحمد لله على ما أنعم وأعطى ، والحمد لله على ما أمات وأحيا ، والحمد لله على ما أغنى وأقنى .

الحمد لله حمداً كثيراً لا انقطاع له ، والحمد لله حمداً لا يحيط بكنهه أحد سواه، والحمد لله حمداً لا انفصال له دون بلوغ رضاه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [سبأ/ ١].

الحمد لله المحيط بكل شيء عِلْمه، النافذ في جميع الخلق قضاؤه ، العدل في حكمه ، الحكيم في أمره، الذي لا يُعارض في حكمه، ولا شريك له في ملكه.

الحمد لله على النعمة به ، والحمد لله على النعمة منه ، والحمد لله الدائم عطاؤه ، الواسع رحمته، الدائم بره ، العظيم إحسانه .

الحمد لله القائم على كل نفس ، الرقيب على كل شيء ، الجاعل بعد العسر يسراً، وبعد الكرب فرجاً، وبعد الخوف أمناً : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥].

الحمد لله حمْدَ المعظِّم لربه ، المكبر لجلاله ، العارف بمقداره ، الشاكر لنعمائه ، الصابر على بلائه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

سبحان الله وبحمده عدد ما خلق ويخلق، وعدد ما رزق ويرزق، وعدد ما رحم ويرحم ، وعدد ما كان وما سيكون « سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ ، عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ » أخرجه مسلم(١).

واعلم رحمك الله أن الحمد يكون بمعنى المدح، ويكون بمعنى الشكر.

فالشكر يكون في مقابلة الإحسان والإنعام ، والمدح في مقابلة معرفة أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الجميلة .

وحَمْد الله هو ثناؤه على نفسه ، وشكر الشاكرين له على شهود النعم والمنعم.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦).

واعلم أن أفضل النعم ما أوصلك إلى المنعم ﷻ ، وأشأم النعم ما شغلك عنه ، ومن استهدى فيُهدى ويعطي ويرضي : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [طه/ ١٣٠].

فسبح باسم ربك العظيم ، وسبح باسم ربك الأعلى ، وسبح بحمده في كل الأوقات والأحوال : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الروم/ ١٧-١٨].

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات / ١٨٠-١٨٢].

« اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ،وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ.

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » متفق عليه[1].

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، ولك الحمد بالإسلام ، ولك الحمد بالقرآن ، ولك الحمد بالمعافاة ، ولك الحمد بالأهل والمال.

الحمد لله الواجب حمده ، الحمد لله الدائم بره ، الحمد لله العظيم ملكه ، الحمد لله النافذ أمره ، الحمد لله الشديد بطشه .

الحمد لله الكبير اسمه ، الكبير قدره ، الكبير ملكه ، الكبير إحسانه ، الكبير ثوابه .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

المجيد

قال الله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود/ ٧٣].

الله جل جلاله هو المجيد بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، المجيد الذي تمجَّد بالعظمة والكبرياء، والجلال والجمال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه/٨].

وهو سبحانه المجيد الذي له الملك والملكوت، وله الخلق كله، وله الأمر كله، العظيم الذي لا أعظم منه، الكبير الذي لا أكبر منه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك/ ١-٢].

وهو سبحانه المجيد القادر على كل شيء، واسع الرحمة والمغفرة، جزيل العطاء والإحسان، الفعال لما يريد: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج/ ١٢-١٦].

وهو سبحانه المجيد الذي له المجد كله، المجيد في جميع أقواله وأفعاله، الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الجزيل في عطائه ونواله: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر/ ٦٥].

وهو سبحانه المجيد العلي العظيم، رفيع الدرجات الذي لا يرضى لعباده إلا بأرفع الدرجات، وأحسن المنازل: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾[غافر/ ١٥].

وهو سبحانه الحميد المجيد الذي له التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه، المجيد الذي تمجَّد بجلاله وجماله وإحسانه، ومجَّده خلقه لكمال عظمته وجلاله وجزيل إنعامه، فـ: «سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ وَالمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ» أخرجه أبو داود والنسائي[1].

وسبحان الرب المجيد الذي يمجده ويحمده أهل السماء والأرض، ذو المجد والشرف والسؤدد، والعز والعظمة والكبرياء: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) **صحيح** / أخرجه أبو داود برقم (٨٧٣)، والنسائي برقم (١٠٤٩).

وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية/ ٣٦-٣٧].

هو المجيد بأسمائه وصفاته وأفعاله، المجيد العظيم الذي لا تقدر الأوهام قدره، ولا تبلغ الألسن وصفه، ولا يحصي الخلائق ثناء عليه، ولا تستطيع إحصاء نعمه، ولا تقدر على الإحاطة بجميع أسمائه وصفاته ومخلوقاته: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

هو المجيد الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى.

هو المجيد الواسع الكرم، ذو الشرف والعز والكرم، سابغ النعم، دافع النقم، عظيم المنن.

هو المجيد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله الكريمة، وأقداره الحكيمة.

هو المجيد الحق الذي خلق كل شيء، المالك لكل شيء، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، واسع المغفرة والرحمة، جزيل العطاء والإحسان.

هو المجيد الذي مجده لا نهاية له، وعطاؤه لا نهاية له، وكرمه لا حدود له، ونعمه لا نهاية لها، ورحمته لا نهاية لها، وعلمه لا نهاية له، وملكه لا نهاية له: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

فسبحان المجيد بذاته، الجميل بأسمائه وصفاته، الجزيل في عطائه، المحمود على إحسانه، القريب من عباده.

هو المجيد وحده الذي يعطي ويرزق، ويشفي ويكفي، ويرفع البلاء، ويزيل الهم، ويدفع النقم: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس/ ١٠٧].

فإذا نزلت بك داهية أو مصيبة أو قارعة أو محنة فتوجه إلى ربك المجيد يهديك إلى سبل السلام: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

هو سبحانه المجيد الذي تمجَّد بكل شيء عظيم، المجيد الذي لا نهاية لمجده وجلاله

وكبريائه ، ولا حد لملكه وسلطانه ، الذي مجده على قدر شأنه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٤].

فلو كانت جميع الأشجار أقلاماً، وجميع البحار مداداً، وجميع الخلائق كُتَّاباً ، أبد الآبدين، لم يبلغ الخلق إحصاء كلماته، ولا إحصاء خلقه، ولا إحصاء نعمه، ولم يبغلوا ما هو عليه من الجلال والجمال ، ولم يؤدوا حقه من المدح والحمد والشكر : ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٦-٢٨].

هو القوي العزيز المجيد القادر على كل شيء، الذي لا يعجزه شيء ، الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، كل شيء لعزته ذليل، وكل أحد لكبريائه خاضع، بيده الخلق والأمر كله : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

كل الخلق لأمره طائع .. وكلهم له عابد .. وكلهم لسلطانه خاشع.. وكلهم إليه راغب.. وكلهم منه راهب، وكلهم إليه راجع : ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨٣].

وهو المجيد القوي الذي لا يعجزه شيء ، وكل شيء مستجيب لإرادته فوراً ، ومسرع إلى مـــشيئته طوعـــاً : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

هو المجيد القادر على كل شيء، خلق الكبير والصغير، والكثير والقليل، وكله عليه يسير: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٨].

فسبحان الرب المجيد الكريم العليم الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من دعاه، ولا يقطع رجاء من رجاه، العليم بكل شيء، السميع لكل شيء، البصير بكل شيء: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن/ ١٣].

وسبحان الحميد المجيد الذي عرَّف أولياءه بتوحيده، وألهم خلقه تسبيحه وتحميده، وأوْلَه القلوب بعبادته ، وأنطق الألسن بذكره، واضطر العقول لتعظيمه وتمجيده: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].

هو سبحانه المجيد العليم المحيط بكل شيء.

يعلم مثاقيل الجبال.. ومكاييل البحار.. وعدد قطر الأمطار.. وعدد ورق الأشجار.. وعدد ذرات الرمال.. وعدد الأرواح والأنفاس .. وعدد الحروف والكلمات .

ويعلم ما في البر والبحر.. وما أظلم عليه الليل .. وما أشرق عليه النهار .. لا تواري منه سماء سماء .. ولا أرض أرضاً، ولا جبل ما في وعره .. ولا بحر ما في قعره : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩].

مَلك عظيم مجيد لا تقاربه الظنون ، ولا تدركه الأبصار ، ولا تقابله العيون ، ولا تحيط به العقول ، ولا تكيفه الأوهام : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

رب مجيد عظيم ، نور وجهه ملأ الكون كله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النور/ ٣٥].

ظهر للبصائر والعقول ظهوراً أبين من الشمس في رابعةالنهار : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/ ٣] .

واحتجب بعظمته ونوره عن الأبصار فلا تراه في الدنيا أبداً : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٣] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال:سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم:هل رأيت ربك؟قال:«نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ »أخرجه مسلم[١] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨).

فسبحان المجيد الذي يفعل ما يشاء وحده لا شريك له.

يحيي ويميت.. ويعز ويذل.. ويكرم ويهين.. ويعطي ويمنع.. ويرفع ويخفض.. ويعفو وينتقم .. ويهدي ويضل .. وينصر ويخذل .. ويبسط ويقبض.

والله ﷻ هو الرب المجيد الحق ، عظيم الأسماء والصفات ، عظيم الملك والسلطان، عظيم النعم والإحسان ، عظيم الخلق والأمر ، عظيم الثواب والعقاب.

أسماؤه كلها مجد .. وصفاته كلها مجد ، وأفعاله كلها مجد ، والقرآن كله تحميد وتمجيد وتعظيم وتكبير وتسبيح للرب المجيد : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

والصلاة كلها تعظيم وتكبير وتحميد وتمجيد وتسبيح للحميد المجيد، أهل الثناء والمجد كله ، شرعها لعباده ليتصلوا به بأحسن الصفات ، والأقوال ، والأفعال.

فأولها تمجيد للرب ﷻ .. وأوسطها تمجيد.. وقيامها تمجيد .. وركوعها تمجيد .. وسجودها تمجيد.. وجلوسها تمجيد .. وأقوالها تمجيد : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٤٥].

ففي أول الصلاة التكبير والاستفتاح كله تمجيد ، وفي الركوع وما بعده تسبيح وتحميد وتمجيد ، وفي السجود تسبيح وتحميد وتمجيد ، وفي الجلوس دعاء وثناء وتحميد وتمجيد.

ولهذا فرضها الله على عباده كل يوم خمس مرات ، ورغَّب في الإكثار من نوافلها ، وشَرَعها في أحوال مختلفة ، وأمر بالمحافظة عليها فقال: ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٣٨].

والله ﷻ هو المجيد ذو العرش المجيد: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [البروج/ ١٤-١٥].

والعرش أكبر المخلوقات وأعظمها ، وأوسعها وأعلاها ، وأرفعها وأكرمها .

خلقه القوي العزيز بقدرته ، واستوى عليه الحميد المجيد برحمته كما قال سبحانه : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[طه/ ٥].

واعلم هداك الله لمعرفته أن الفكر والاعتبار في أسماء الله وصفاته وأفعاله من أعظم أعمال القلوب التي يقوى بها توحيد العبد ، ويزيد إيمانه ، ويخشع قلبه ، وتحسن عبادته : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[النحل/ ٤٨-٥٠].

فالنظر والتفكر في هذا الملكوت العظيم وفي جميع ما خلق الله في هذه الدنيا كله منصوب للاعتبار، وبه يرتفع العبد درجات إلى علم الغيب المكنون الذي يُدرَك في الدنيا بالقلوب، ويُرى في الآخرة بالعيان: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

وقد أمرنا المجيد سبحانه بالنظر في جميع الملك والملكوت ؛ لنرى ونعلم كمال مجده وعظمته وجلاله وجماله ونحبه ثم نعبده فقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

واعلم رحمك الله أنك إذا نظرت بنور إيمانك مستعيناً بربك في أقل المخلوقات جِرماً وأصغرها حجماً كالخردلة والذرة والبعوضة رأيت ما يدفع الشك ، ويزيل الشرك ، ويحقق التوحيد للواحد الأحد من الآيات الباهرات، والبراهين الساطعات القاطعات : ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية/ ٣-٦].

أقام الله هذه المخلوقات والآيات في السماء والأرض للاعتبار في ملكوته مقام فحوى الخطاب في كتابه ؛ تنبيهاً للمبتدئ من أوليائه، وتذكرة للمنتهي : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ

فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/ ٦-٨].

وإذا كان خلق الصغير يدل على عظمة ربه فالكبير والأعلى من مخلوقاته أعظم دلالة، وأكبر شهادة: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر/ ٥٧].

فسبحان الملك العظيم الذي خلق الكبير والصغير، وخلق العالي والسافل، وجعل الكل من دلائل توحيده، وعبداً من عبيده يأتمر بأمره، ويسبح بحمده: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النور/ ٤١-٤٢].

ومَنْ نوَّر الله قلبه بنور الإيمان ارتقى بعقله من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، فرأى الصور ببصره ورأى المصور بقلبه، ورأى العظيم سبحانه يفعل في ملكه ما يشاء.

ورأى بعقله أنه كلما عظم المخلوق عَظُم قدره، وكلما علا محله قويت شهادته، وكلما قرب من خالقه عظمت عليه نعمته، ونال بركته، وخصه بمزيد كرمه: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٩٠-١٩١].

وبهذه المعارف يذوق القلب والعقل والسمع والبصر حلاوة المعرفة، وطعم الإيمان، ويرى ربه العظيم يخلق ويدبر وحده لا شريك له: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

فيرى القلب صمود المخلوقات كلها إلى ربها، ويشاهد استسلام المخلوقات كلها لعزة الكبرياء، ويسمع أصوات المخلوقات تخطب بالتوحيد، لها زَجل بالتسبيح والتقديس، والتحميد والتمجيد: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

- **التعبد لله جل جلاله باسمه المجيد:**

الله جل جلاله هو المجيد الذي له المجد كله ، والكبرياء كله ، والملك كله ، والخلق كله ، والأمر كله ، والحمد كله : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك/ ١].

وهو المجيد الذي يستحق التحميد والتمجيد، أهل الثناء والمجد، الحق المعبود في السماء والأرض: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٤﴾ [الزخرف/ ٨٤].

فمجِّد ربك العظيم الذي خلق الخلق، وبسط الرزق ، وفرَّج الكرب ، المغيث وقت البلاء ، المعين في البأساء،أهل الثقة والرجاء ، والحمد والثناء : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ [النمل/ ٦٢].

وسبح بحمد ربك العظيم، ذو العرش المجيد، الفعال لما يريد: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ [غافر/ ٣].

واعلم أن الله رفع قدرك بالإسلام، ووفقك لعبادته، وأنار قلبك بمعرفته، فأكثِر له من التحميد والتمجيد لعلك ترضى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

وإذا عرَّفك المجيد بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ودينه وشرعه ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم/ ٦٥].

وكن مجيداً بإيمانك وتقواك ، وأقوالك وأعمالك ، وأخلاقك وإحسانك.

واذكر المجيد لخلقه، وبيِّن لهم أسماءه وصفاته، وعلِّمهم شرعه، وعرِّفهم بنعمه ليحمدوه، وعرِّفهم بكبريائه ليكبروه ، تكن من العلماء الربانيين: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل/ ١٢٥].

وأنفق مما آتاك ربك المجيد من مَالٍ تواسي به الفقير ، أو علم تعلِّم به الجاهل ، أو خُلق

حسن تحلُم به على السفيه، أو جاه تنفع به المحتاج، أو قول تقيم به الحق، وتعدِّل به المعـوج : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧٠-٧١].

وبهذا يحمدك المجيد، ويحمدك أهل السماء، ويحمدك أهل الأرض : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم/ ٩٦].

واعلم رحمك الله وأسعدك في الدارين أن المؤمن حقاً من أعمل نفسه ظاهراً وباطناً بما يُرضى الله، ونهاها عما يُسخطه : ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [التوبة/ ٦٢-٦٣].

واعلم أن كل ما أدركته ببصيرتك أو شاهدته ببصرك من المخلوقات الصغيرة والكبيرة من لدن العرش العظيم إلى أصغر شيء خلقه الله كلهم عبيد أمثالك ليس بأيديهم شيء : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان/ ١-٣].

وإنما المَلك حقاً هو الرب المجيد ذو العرش المجيد، لا إله إلا هو رب كل شيء ومليكه، القائم على كل نفس، وكل ما سواه عبيد له : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرعد/ ٣٣].

فإلى ربك الحميد المجيد فالجأ، وعليه فتوكل، وإياه فاسأل، ولا يشغلك عنه سواه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر/ ١٣].

وتأدب رحمك الله بآداب النظر والتفكر، وأحسِن العمل لمن يراك ولا تراه، واعبده كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ

﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

واعتبر بأدب سيد المعتبرين إبراهيم ﷺ حين نظر بعين الإنصاف إلى الكوكب، ثم إلى القمر، ثم إلى الشمس، فلما رأى عليها آثار الحدث، وسمات الصنع، وقهر التسخير: ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَٰفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنعام/ ٧٦].

فلما رآها مخلوقات مملوكة ومقهورة بحكم الربوبية تعبد الله في محراب العبودية تخطاها وانصرف عنها إلى الذي فطرها قائلاً: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام/ ٧٩].

فافهم رحمك الله طريق التوحيد، واسلك سبيل المتقين تكن من الفائزين، فقد ظهر لك الأمر، وبان لك الرشد: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

وانظر رحمك الله بالبصر والبصيرة تكن على بصيرة: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

فطوبى وما أدراك ما طوبى لقلوب عبرت ساحات المُلك والملكوت فأميطت عنها حُجُب الغفلة، وانكشفت لها مجاري القدرة فرأت الخلق والخالق، والصور والمصور، وشاهدت الخالق البارئ المصور يفعل في مخلوقاته ما يشاء، وهي تمجده وتسبِّح بحمده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فأفادها ذلك المعرفة التامة بالرب الحميد المجيد، والتعبد الصادق، والنور المبين الذي ميزت به المَلك من العبيد فاتَّقته حق تقاته، وعبدته كأنها تراه فنالت ثوابه ورضاه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟

يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

ولم ترض لنفسها شغلاً إلا بطاعة الملك الأعلى فعبدته فرفعها إلى المقام الأسنى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة/ ١١] .

يسر الله لنا ولكم حسن معرفته، وحسن عبادته وتقواه حتى نلقاه :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٢-١٠٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران/ ٨].

« التَّحِيَّاتُ لله وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » متفق عليه[1].

« اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مجِيدٌ » متفق عليه[2].

اللهم يا مالك الملك ، يا خالق الخلق ، يا ذا الطول والإنعام ، يا فعالاً لما تريد يا مجيد ، يا رب العرش الكريم.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم ألقاك ، يا رب العالمين.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣١)، ومسلم برقم (٤٠٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٠٦).

الولي.. المولى

قـــال الله تعـــالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى/ ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج/ ٧٨].

الله ﷻ هو الولي الحق القريب من خلقه، الولي الحميد الذي يوالي جميع خلقه بالنعم والأرزاق والعافية والإحسان والعون والهداية.

وهو سبحانه مولى الخلق أجمعين، فهو سيدهم وربهم وخالقهم ورازقهم ومالكهم وحاكمهم: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى/ ٢٨].

وهو سبحانه ولي المؤمنين الذي يتولاهم بالهداية والإرشاد والنصر والتمكين، ويمدهم بعونه وتوفيقه، ويحفظهم من أعدائهم، وينصرهم على من ظلمهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد/ ١١].

وهو سبحانه مولى الذين آمنوا يمكّن لهم في الأرض، ويقضي حاجاتهم، ويجيب دعاءهم، العزيز الذي يعتزون به بين أقوامهم، ويتوكلون عليه في جميع أمورهم: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النساء/ ٤٥].

وهو سبحانه ولي الذين آمنوا يعافيهم ويرزقهم وينصرهم؛ لأنهم عبيده الذين آمنوا به وأطاعوا أمره فتولى أمرهم.

أما الكفار فلا مولى لهم يرحمهم، لأن الكافر رفض أن يكون الله وليه، ورفض دينه وشرعه، ومن لم يكن الله وليه كان الشيطان وليه: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

فسبحان الولي الحميد الذي تولى عباده بالتربية والتعليم والرزق والنصر، فإذا خالف عبده منهج صحته وسلامته نبهه مولاه بآلام وهموم كأجراس إنذار مبكرة توقظه من رقدته، وتذكره من غفلته ليتوب إلى ربه، ويطيع مولاه: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ

﴿تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧﴾ [الأعراف/ ١٩٦-١٩٧].

هو سبحانه الولي القادر على كل شيء ، الذي يدبر أمور الخلق في ملكه وملكوته وحده . يخلق ويرزق ، ويعطي ويمنع ، ويبسط ويقبض ، ويعز ويذل ، ويحيي ويميت ، ويصرف ويدبر ، ويفعل ما يشاء.

هو الولي الذي يتولى أجساد خلقه بالعافية والرزق ، ويتولى أمر نفوسهم بالدين ، ويتولى أمر دنياهم بإصلاح معايشهم : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١١٦﴾ [التوبة/ ١١٦].

فسبحان الولي الحميد الذي يربي عباده بما يسعدهم في الدنيا والآخرة .

أحياناً يؤدبهم ليردعهم ، وأحياناً يكافئهم ليشجعهم ، وأحياناً يعاقبهم ليردهم إليه : ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج/ ٧٨].

واعلم أن الملك الحق وحده لا شريك له هو الذي يدبر أمور الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي : ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧﴾ [السجدة/ ٥-٧].

يدبر أمر الحياة والموت ، ويدبر أمر الخلائق والأرزاق ، ويدبر أمر الدنيا والآخرة ، ويدبر أمر الأجساد والقلوب .

ومن رزقه الله حقيقة اليقين رأى يد الولي الحميد هي التي تعمل وحدها ، ورأى أيادي الخلق كلها في قبضته ، فتوكل على ربه ولم يلتفت لأحد سواه : ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود/ ٥٦].

ومن رقَّاه الله إلى ذروة اليقين عَبَد الله كأنه يراه ، وتجاوز المخلوقات إلى الخالق ، وتجاوز النعم إلى المنعم ، وتجاوز الصغير إلى الكبير ، وتجاوز الفقير إلى الغني ، وتجاوز التدبير إلى المدبر ، وتجاوز الدنيا إلى الآخرة : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٦٢﴾ [غافر/ ٦٢].

فسبحان الولي الحميد الذي ولايته كرم منه لمصلحة من تولاه ، الكريم الذي أوصل بره إلى جميع خلقه : ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩﴾ [البقرة/ ٢٩].

هو الولي المتولي أمور الخلق في كل زمان ومكان وحال، هو الولي المنعم بالعطاء، الدافع للبلاء، الذي كل أفعاله لمصلحة خلقه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة/ ٥١].

فسبحان الولي الحميد الذي تولى خلقه بحكمه القدري فنفذ فيهم ما شاء من أنواع التدبير والتصريف: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران/ ٨٣].

ثم تولاهم بأمره الشرعي فأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، ثم ردوا إلى مولاهم الحق ليتولى الحكم فيهم يوم القيامة، ويثيبهم ويعاقبهم حسب أعمالهم: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام/ ٦١-٦٢].

والله ﷻ هو الولي الحميد الذي يحب أولياءه من الأنبياء وأتباعهم، ويلطف بهم، ويعينهم على طاعته؛ لأنهم تولوه بالإيمان به وحسن عبادته فتولاهم بالنصر والأمن والتمكين والتوفيق في الدنيا، وأسكنهم الجنة في الآخرة: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٦-١٢٧].

والله ﷻ ولي من تولاه واتبع هداه، ومن أعرض عن مولاه واتبع هواه سلط الله عليه الشيطان فتولاه وأغواه: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

وأولياء الله الذين يتولاهم في الدنيا والآخرة هم من استقام على التوحيد والعمل الصالح حتى الموت فلهم السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

ومن عرف مولاه وتوجه في عبادته وحوائجه إلى غير مولاه فقد خسر دينه ودنياه: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ

﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام/ ١٤-١٥].

ومن اتخذ الشيطان ولياً من دون الله خسر دنياه وأخراه : ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء/ ١١٩-١٢١].

واعلم بأن الله هو الملك الولي الحق الذي له الولاية العظمى على خلقه في العالم العلوي والعالم السفلي ، والدنيا والآخرة ، بل كل شيء تحت ولايته : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠].

فسبحان الولي الحق الذي يوالي جميع خلقه بالنعم ، ويتولى من يحب بالهداية إلى الإسلام ، ثم يغرس في قلبه الإيمان ، ثم يحبب له الطاعات ، ويكرِّه إليه المعاصي ، ثم يعينه على ما فيه فلاحه في الدنيا والآخرة : ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات/ ٧].

هو الولي الحفيظ الذي إذا أصابت الإنسان أمراض أو مصائب بقدر الله تكاد تهلكه حفظه وليه منها فلا تضره : ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد/ ١١].

فسبحان الولي الحميد الذي يحفظ عبده من الأخطار التي تحدق به من كل جهة ، والله يتولى حفظه من بين يديه ومن خلفه بملائكة هم من أمر الله ، يحفظونه بأمر الله .

وسبحان الولي الحميد الذي عصم وليه من الفتن، ولطف به في جميع أموره، ثم قبضه إليه مؤمناً به مرضياً عنه : ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف/ ١٠١].

واعلم أن الولاية درجات تنشأ وتعلو بحسب المعرفة بأسماء الله وصفاته وأفعاله ، والذين صدقوا الله تولاهم مولاهم الحق فآمنوا بالغيب ، ثم شاهدوا الغيوب التي غابت عن غيرهم ، ثم ارتقوا في درج المقربين فصاروا أعلاماً للهدى يستضاء بنور علمهم ، وهم زينة أهل الأرض ، ورجوماً للشياطين وأهل الكفر والشرك والبدع : ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الزمر/ ٣٣-٣٤] .

فسبحان من كشف لهم الحجاب حتى صار الغيب عندهم شهادة فباشروا الحق، وقربوا من مولاهم، يقولون بالحق، ويأخذون به، ويعطون به: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك/ ١٢].

فهم في جزيل عطائه يتقلبون، لا يشغلهم عنه شاغل، ولا يقطعهم عنه قاطع.

فسبحان من رباهم وتولاهم، إن نطقوا نطقوا خائفين، وإن سكتوا سكتوا وجلين، وإن عملوا عملوا خائفين مشفقين من خشية ربهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٢﴾ [المؤمنون/ ٥٧-٦٢].

فهؤلاء هم الأولياء الصادقون المقربون في الآخرة، ترتقي على مر الأيام منازلهم، وتتكامل فضائلهم، رضوا بالآخرة فمنعهم ربهم من الدنيا، وخلصهم لنفسه وجنته: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس/ ٦٢- ٦٤].

اللهم اجعلنا وإياكم ووالدينا وذرياتنا وأزواجنا وجميع المسلمين منهم، يا ولي المؤمنين أنت حسبنا ونعم الوكيل ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾ [الأعراف/ ١٥٥].

- **التعبد لله ﷻ باسمه الولي:**

اعلم وفقك الله للتعبد له بما يحبه ويرضاه أن الولاية انتساب إلى مولاك الذي هداك، بأسماء حسنة من أسمائه الحسنى، واتصافٍ بصفاتٍ كريمة من صفاته العليا، مع إقرار منك برق العبودية له، وتوجيه العمل إليه بخالص الوحدانية، وانقطاع إليه بالكلية، وتعظيم له، وحب له، وقرب منه في حال النعمة والبلية: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

فالله كريم يحب من عباده تحصيل صفاته التي تليق بهم ليكرمهم يوم القيامة بجزيل ثوابه، ومن أجل هذا بيَّنها في كتابه، ودعا عباده إلى الاتصاف بها، ودعائه بها فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

ومَنْ رَزقه مولاه ذلك نال الشرف الأعلى وفاز بالمقام الأسنى في الدنيا والآخرة: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل/ ٩٧].

هو سبحانه الرؤوف الرحيم الذي يطعم جميع الخلق، ولا يمنع رزقه عمن عصاه ممن كفر به أو قصر في عبادته، لم ينقصه رزقاً قسمه الله له: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء/ ٧٠].

واعلم أن من لم يرض بما قسمه الله له سلط الله عليه الدنيا يركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا يناله منها إلا ما قسمه الله له.

ومن سلَّم لمولاه فيما يريد كفاه ما يريد، ومن لم يسلِّم لربه فيما يريد أشقاه فيما يريد، ثم لا يكون إلا ما يريد: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

ومن طلب العلم وأتبعه بالعمل وتفقه في دين الله كفاه الله همه، ورَزَقه من حيث لا يحتسب بيسر وجهد قليل: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾ [الأعراف/ ٩٦].

هو الولي الحميد المتصرف بمشيئته في العوالم، النافذ أمره في ملكه الواسع، المتولي أمر خلقه بالإحسان في كل آن من غير انقطاع ولا امتناع: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل/ ٥٣].

وكما تولاك مولاك بنعمه التي لا تعد ولا تحصى فخلقك وسواك، وأطعمك وسقاك، وعلمك وهداك، ونقلك من الظلمات إلى النور، فتول أنت عباده بالإحسان، وكن سبباً

لنقلهم من الضلال إلى الهدى ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن سبل الهلاك إلى سبل النجاة : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

كن ولياً رحيماً بالخلق ، أحسن إليهم ، وأنفق من وقتك ومالك وعلمك على من أحوجهم الله إليك ، والأجر عائد عليك : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس/ ٢٦].

واعلم أن الله في عون العبد ما كان في عون أخيه ، فتصدق على الفقير ، وأطعم المسكين ، وارحم البائس ، واهد الضال ، واستقم كما أمرت ييسر الله لك جميع أمور دينك ودنياك ، فللتيسير أسباب ، وللتعسير أسباب : ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل/ ٤-١٠].

واقبل على طاعة مولاك يتولاك ، واحذر معصيته التي تبعدك عنه : ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء/ ١٢٣-١٢٤].

فسبحان الله من عرف مولاه الحق لم يلتفت لأحد سواه من الخلق ، ومن تعلق بغيره شقي به : ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾ [الشورى/ ٩].

واعلم رحمك الله أن من علامات قبولك في أوليائه ﷻ :

أن يصونك عن الذل لغيره.. ويكفيك ما أهمك .. ويؤمِّنك من سواه حتى لا تخاف غيره.. ولا ترجو إلا إياه.. ولا تستعين إلا به.. ولا تسأل إلا إياه.

وأن يعينك على نفسك.. ويحيي قلبك بالإيمان.. ويشغل لسانك بذكره.. ويستعمل جوارحك بطاعته.. ويصرف أوقاتك بالتقرب إليه : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

ويجعل لك المودة في قلوب عباده.. ويخلصك من أسر عدوه حتى تكون في جميع أمورك عبداً له وحده : ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٤] .

والله ولي كل نعمة ، وإليه يرجع الأمر كله علانيته وسره فأطعه ولا تعصه : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود/ ١٢٣].

وعليك بدوام ذكر مولاك الكريم يذكرك في نفسه وعند ملائكته.

واحذر الغفلة فإنها تورث كل قسوة ، ثم تموت القلوب بعد حياتها، وتنقطع الصلة بين العبد وربه: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٠٥-٢٠٦].

وأهل ولاية الله هم من اطمأنت قلوبهم بتوحيده ، وصلحت أعمالهم بطاعته، وازدانت أوقاتهم بعبادته، فتقرب إليه بما يجب تكن وليه ويكون مولاك: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٩٦-١٩٧].

فاستقم كما أمرك الله ، وادع إلى ربك ، وانصح لعباده ، ولا تخف إلا الله ، واعمل بما يحبه الله ويرضاه ، واجتنب ما يسخطه ويبغضه يحبك مولاك وينصرك على من عاداك : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« إن الله تعالى قال : منْ عَادَى لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِليَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِليَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِليَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ » أخرجه البخاري [1].

---

(١) **أخرجه البخاري** برقم (٦٥٠٢).

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

[البقرة/ ٢٨٦].

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٥].

﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾

[يوسف/ ١٠١].

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري(١).

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين يا أرحم الراحمين .

اللهم إنا نسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول أبداً ، يا ولي المؤمنين ، يا مالك يوم الدين ، يا رب العالمين.

---

(١) **أخرجه البخاري** برقم (٦٣٠٦).

الناصر .. النصير

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٩-١٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان/ ٣١].

الله ﷻ هو الناصر القوي الذي لا أحد أقوى منه، الناصر الغني الذي يملك خزائن النصر كلها، الملك الناصر الذي وهب النصر لكل منتصر، الناصر وحده لا شريك له، الناصر الذي بيده النصر كله: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ١٢٦].

وهو سبحانه الناصر القوي الذي لا يعجزه شيء، ولا يقف له شيء ولا يغلبه أحد، قهر بقوته جميع الأقوياء وأهلك جميع الطغاة، وأذل بجبروته جميع الجبابرة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود/ ٦٦].

وهو سبحانه الناصر الذي ينصر من يشاء في أي وقت شاء، النصير الذي ينصر رسله وأنبياءه والمؤمنين على أعدائهم، ويثبت أقدامهم عند لقاء عدوهم، ويلقي الرعب في قلوب أعدائهم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم/ ٤٧].

وهو سبحانه الناصر الحق الذي بيده النصر وحده لا شريك له، ينصر كل من آمن به وتوكل عليه ولاذ به: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم/ ٤-٥].

وهو سبحانه الناصر لأهل الإيمان على مر الدهور، فلو اجتمع عليهم أهل الأرض جميعاً بما عندهم من العَدد والعُدد نصر الله المؤمنين عليهم؛ لأن الله لا غالب له.

هو الملك العزيز الجبار الذي قهر الخلائق كلها، وبيده مقاليد كل شيء: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة/ ٢١].

فسبحان الملك الحق الذي بيده مفاتيح النصر، وبيده مفاتيح الرزق ، وبيده مفاتيح الخير : ﴿ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج/ ٧٨].

وهو سبحانه الناصر الغالب البالغ مراده من خلقه ، القوي الذي لا يُغلب ولا يُقهر ، لكمال قدرته ، وعظمة سلطانه : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٤].

وهو سبحانه الغالب على أمره، الذي لا يغلبه شيء ، ولا يرد حكمه راد، الذي يفعل ما يشاء ، وأمره نافذ كيف شاء: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف/ ٢١].

وهو سبحانه الغالب وحده لا شريك له، فمن آمن به وتوكل عليه فهو الغالب ، ولو أن جميع من في الأرض له طالب: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [المجادلة/ ٢١].

فسبحان الملك القادر النصير الناصر الغالب القاهر الذي أمره نافذ في جميع ملكه ، الذي لا يملك أحد أن يرد ما قضى ، أو يمنع ما أمضى، الذي تفرد بالخلق والأمر، فلا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

والنصر بيد الناصر الحق، فمن نصره الله فلا خاذل له ، ومن خذله الله فلا ناصر له : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٦٠].

وفعل الأسباب من أسباب النصر المطلوبة، ولكن النصر بيد الناصر وحده لا شريك له كما قال الله للمؤمنين في بدر حين أمدهم بالملائكة : ﴿ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٢٥-١٢٦].

وأحياناً ينصر الله عباده المؤمنين بدون الأسباب أو مع قلتها لبيان قدرته: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ

﴿ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣ ﴾ [آل عمران/ ١٢٣].

وأحياناً يخذل بأسباب النصر إذا تعلق المسلمون بها ، واعتمدوا عليها ، ليردهم إلى التوكل على من بيده النصر سبحانه كما قال عز وجل : ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦ ﴾ [التوبة/ ٢٥-٢٦].

فسبحان الملك الذي تفرد بالملك ، والخلق ، والرزق ، والنصر ، والتدبير ، الذي ينزل النصر على أوليائه كما ينزل القطر من السماء على أرضه.

هو الناصر الذي يأتي بالنصر مع الصبر .. وبالفرج مع الكرب .. وبالعافية مع السقم .. وباليسر مع العسر .. وبالأمن بعدالخوف .. وبالنجاة مع رؤية الهلاك : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠ ﴾ [يوسف/ ١١٠].

فلا إله إلا الله القوي العزيز الذي إذا أراد أن ينصر أحداً نصره ولو وقف له جميع الخلق، وإذا أراد أن يخذل أحداً خذله ولو أعانه جميع الخلق: ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤ ﴾[الزمر/ ٤].

وقد تكفل الله ﷻ بنصر أوليائه على أعدائه في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١ ﴾[غافر/ ٥١].

فسبحان الناصر لمن شاء ، الغالب البالغ مراده من خلقه، الذي لا يُغلب ولا يُقهر، لكمال قوته وعظمته وعزته وجبروته : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ٧ ﴾[الفتح/ ٧].

هو ﷻ الغالب على أمره ، الذي يفعل ما يشاء ولا يغلبه أحد، ولا يرد حكمه راد، وأمره نافـذ في ملكـه أبـداً : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣ ﴾[يس/ ٨٢-٨٣] .

هو القوي القادر الذي لا يملك أحد أن يرد ما قضى ، أو يمنع ما أعطى ، أو يعطي ما منع ، أو ينصر من خذل ، أو يخذل من نصر: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ

﴿مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

فسبحان الملك الحق الغالب القاهر لكل غالب ، الذي لا يستطيع أحد رد ما قضاه ، أو إبعاد ما قرَّبه ، أو تقريب ما بعَّده ، أو إحياء ما أماته ، أو إماتة ما أحياه ، أو قَبْض ما بسَطه ، أو بَسْط ما قبَضه ، لا راد لما قضاه ، ولا معقب لحكمه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

واعلم أن الله هو الملك الغني القوي فلا يحتاج إلى أحد ينصره أو يعينه: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج/ ٧٤].

أما نصرة المؤمنين لربهم فتكون بعبادته ، والقيام بحقوقه ، ورعاية عهوده ، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه ، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، والجهاد في سبيله.

وهم بهذا يربحون السعادة في الدنيا والآخرة ، والنصر في الدنيا والآخرة ، والله غني عنهم ، لكن أمَرهم بذلك ليسعدهم ويثيبهم ويرضيهم : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

فهذه علامات من يستحق النصر والتمكين والاستخلاف : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور/ ٥٥].

واعلم رحمك الله أن حقيقة النصر هي المعونة بطريق التولي والمحبة، خص الله به خيار خلقه وهم الملائكة والرسل والمؤمنون : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات/ ١٧١-١٧٣].

والمعونة على الشر لا تسمى نصراً ، ولهذا لا يقال للكافر إذا ظفر بالمؤمن أنه منصور عليه ، بل هو مسلط عليه ؛ عقوبة له على ذنب ، أو تربية له كما رفع الله النصر عن المؤمنين في أحد ، وسلط عليهم الكفار حين عصى بعض الرماة أمر رسول الله ﷺ : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ

﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٢].

فالله عَزَّ وَجَلَّ يسلط الكفار تربية لعباده، ليعودوا إليه ويوحدوه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ [النساء/ ٩٠].

والكفار والظلمة والطغاة عصيٌّ بيد الله ينتقم بها ويربي بها ثم ينتقم منها.

والله جل جلاله قادر على نصر دينه وإهلاك أعدائه وحده، ولكنه عز وجل يبتلي عباده بذلك التسليط، ليربي أولياءه، ويظهر من ينصر دينه، ممن يتولى عن نصرته: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد/ ٤-٦].

- **التعبد لله عَزَّ وَجَلَّ باسمه الناصر:**

اعلم وفقك الله لهداه أن النصر كله بيد الله وحده لا شريك له .

فاسأل ربك أن ينصرك على نفسك، لتستقيم على طاعة الله، وأن ينصرك على هواك، لتستقيم على هداه، وأن ينصرك على جميع أعدائك من الشياطين والكافرين.

وقد بيّن الله لعباده المؤمنين أنه لا ناصر لهم دونه ولا معين لهم سواه، وذلك لتتوجه قلوبهم له، ويرفعون أكفهم بالضراعة إليه، فيستجيب لدعائهم، وينصرهم على من عاداهم.

فتوجه في جميع أمورك إلى مولاك الملك القادر فإنه نعم المولى ونعم النصير: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [البقرة/ ١٠٧].

واعلم أنه إذا نقص إيمان المؤمنين فعصوا ربهم لا يتحقق لهم نصر، بل يتسلط عليهم أعداؤهم بسبب ذنوبهم: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٥].

واعلم يقيناً أن النصر والناصر مع أهل الإيمان والطاعات، وأن الخذلان والهزيمة والحرمان مع

أهـل الكفـر والمعـاصي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾ ﴾ [محمد/ ٧-٩].

فاجتهد رحمك الله على زيادة إيمانك كل يوم بالنظر في الآيات الكونية والآيات الشرعية ، والاستقامة عـلى أوامـر الله ، والتفكـر في أسـماء الله وصـفاته وأفعالـه: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

واحذر أن ينقص إيمانك فتقع في المعاصي ثم تُحْرم النصر ، وبركة الرزق ، فمَنْ قصَّر في الحـال أُخِـذ في الحـال : ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء/ ١٢٣].

واعلم أن المسلمين لن ينتصروا على العدو الظاهر حتى ينتصروا أولاً على العدو الباطن ، وهو النفس والهوى والشيطان والدنيا.

فمن انتصر على هؤلاء نصره الله على عدوه الخارجي: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج/ ٤٠].

واعلم أن المؤمن منصور أبداً، فإذا ضعف الإيمان نقصت الطاعات ، ثـم زادت المعاصي ، فصار لعدو المؤمنين من السبيل عليهم بقدر ما نقص من إيمانهم : ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء/ ١٢٣].

فالإيمان والأعمال الصالحة من أعظم جنود الله التي يحفظ الله بها عباده المؤمنين ، فإذا ضعف الإيمان ونقصت الأعمال الصالحة فقد جعلوا لعدوهم السبيل عليهم بما تركوه من طاعـة الله: ﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٨-١٣٩].

فانصر رحمك الله دين الله بالعمل به، والدعوة إليه، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر ، ولـن ينجيك مـن الخسار والعذاب إلا هـذا كـما قـال سبحانه : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي

﴿خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر/ ١-٣].

وانصر إخوانك المؤمنين ، الظالم منهم والمظلوم، الظالم تكفه عن الظلم، والمظلوم تأخذ حقه من الظالم وتعطيه إياه إن قدرت : ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝١١٤﴾ [النساء/ ١١٤].

وعن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالماً أَوْ مَظْلُوماً » قَالُوا : يَا رَسُولَ الله هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُوماً فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِماً ، قَالَ : « تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ » أخرجه البخاري [1].

واعلم وفقك الله لِمَا يقرِّ بك إليه أنه لا يكون مخلوق إلا من خالق، ولا يكون مغلوب إلا من غالب ، ولا يكون منصور إلا من ناصر : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣﴾ [فاطر/ ١٣].

واعلم أن النصر عزيز فاطلبه من الناصر بأسبابه المشروعة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ۝٤٧﴾ [الأنفال/ ٤٥-٤٧].

وإن أردت أن تكون غالباً لأعدائك ، فعليك بالجهاد والمجاهدة في سبيل الله بفعل كل ما يحبه الله ويرضاه من الإيمان والتقوى : ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٥﴾ [الشورى/ ١٥].

وقد علق الله ﷻ الهداية بالجهاد فقال سبحانه : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

فأكمل الناس هداية وأحسنهم استقامة أعظمهم جهاداً في سبيل الله.

وأفرض الجهاد جهاد النفس على طاعة الله ، وحبسها عن معصية الله ، وجهاد الهوى ،

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٤٤٤).

وجهاد الشيطان ، وجهاد الدنيا : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦].

فمن استعان بالله وجاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى الجنة: ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج/ ٧٨].

فمن انتصر على هذه الأربعة نصره الله على عدوه، ومن انتصرت عليه غلبه عدوه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

واعلم علم اليقين أن كل مؤمن انتصر على نفسه وهواه ونصر دين الله وجاهد في سبيله فهو منصور في الدنيا والآخرة ، وعدوه مخذول : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [غافر/ ٥١-٥٢].

وكل أحد أعرض عن ربه وعصى الله ورسوله فهو مغلوب مذموم مخذول في الدنيا والآخرة: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء/ ٢٢].

فهو مغلوب في الدنيا بحياة الضيق والنكد والمعيشة الضنك وركوب الدنيا عليه وأسر الشيطان له، فأينما يوجهه لا يأت بخير، بل يأت بكل شر وفساد، وهو يظنه خير وصلاح: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف/ ١٠٣-١٠٥].

والشياطين تهديه إلى سبل الضلال، وتصرفه عن كل حق وهو يظن أنه على هدى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الزخرف/ ٣٦-٣٧] .

وهو مغلوب في الآخرة ؛ لأنه عمي في الدينا عن سماع الحق واستكبر عنه وأطلق جوارحه في معصية الله فقُيدت جوارحه بالسلاسل يوم القيامة، وقُذف به في السعير ، ونُسي في العذاب كما نَسي دين الله في الدنيا: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ

أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه/ ١٢٣ – ١٢٦].

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٠].

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري(١).

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك محمد ﷺ وعبادك المؤمنين.

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا برحمتك واصرف عنا شر ما قضيت ، إنك تقضي ولا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

القادر .. القدير .. المقتدر

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥)﴾ [الأنعام/ ٦٥].

وقال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾ [الملك/ ١].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

الله ﷻ هو القادر على كل شيء وحده لا شريك له ، هو القادر الذي له القدرة المطلقة ، القادر الذي لا أحد أقدر منه.

وهو القادر العظيم الذي يملك خزائن القدرة ، القادر الذي أقدر كل قادر ، الذي كل خلق ورزق وأمر وتدبير فمن آثار قدرته ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وهو سبحانه القدير على كل شيء، المقتدر الذي لا يعجزه شيء ولا يغيب عنه شيء ولا يفوته شيء ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤)﴾ [فاطر/ ٤٤].

وهو سبحانه القادر الحق الذي وهب القدرة لكل قادر فصار قادراً، ولو سلبها عنه عاد عاجزاً : ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤)﴾ [النحل/ ٥٣-٥٤] .

وهو سبحانه القادر على إيجاد المعدوم ، وإهلاك الموجود ، وقهر كل قاهر ، وتحريك كل ساكن ، وتسكين كل متحرك .

هو القادر الذي لا يعجزه شيء ، ولا يقف له شيء ، ولا يستعين بشيء : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

والله ﷻ قادر على كل شيء ، والإنسان عاجز عن كل شيء إلا بوسيلة تكمل ضعفه من طعام يأكله ، ومركب يركبه ، وآلة تخدمه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) ﴾ [الأحقاف/ ٣٣].

واعلم أن الإنسان ضعيف ، والمؤمن قوي ؛ لأنه احتمى بقوي فاستفاد القوة من القوي الذي قواه من ضعف ، وكبره من صغر .

والإنسان إذا شعر بالقوة يقوى على خصمه ، ويقوى على شهوته ، ويقوى على أعدائه : ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٦) ﴾ [هود/ ٥٥-٥٦].

وإذا شعر الإنسان بالضعف صار منافقاً ، والمنافق أجبن وأضعف الخلق ، ليس له قوة على نفسه بحملها على الإيمان ، وليس له قوة على مواجهة الحق ، فمع كل ضعف نفاق وكذب وذل وخوف ، وفرقة وعذاب : ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (١٤) ﴾ [الحشر/ ١٤].

فسبحان القادر على كل شيء ، القادر الذي لا أقدر منه ، القادر المحيط بكل قادر ، الذي خلق كل شيء بقدر يحقق مراده منه ، قدر في حجمه ، وقدر في وظيفته : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) ﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

هو سبحانه العليم القدير الذي قدر فهدى ، خلق للإنسان عينين يرى بهما الأشياء بقدر ، فلو تضاعفت الرؤية لرأى الجراثيم في الطعام والشراب فعاف الأكل والشراب.

وخلق الله للإنسان السمع في الأذن بقدر ، فلو زاد سمعه لسمع حركة أمعائه فلم ينم الليل كله ف : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) ﴾ [الأعلى/ ١-٣].

والإنسان إذا رأى قدرة الله وعظمته تذلل له وأطاعه ، وإذا جهل قدرة الله ظلم الناس واعتدى عليهم فجاءته عقوبة الله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢) ﴾ [الطلاق/ ١٢].

والمؤمن إذا عرف قدرة الله وقف عند حده ، وإذا عرف نفسه تواضع لربه ، واستغفر من ذنبه : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ

وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

وهو سبحانه القادر الغالب القاهر الذي لا يغلبه غالب ولا يقهره قاهر، خالق كل شيء، وغالب كل شيء، وقاهر كل شيء: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٤].

فسبحان الملك القادر على كل شيء الخالق لكل شيء القاهرلكل شيء.

الصغير والكبير.. الظاهر والباطن.. المتحرك والساكن.. القادر على كل شيء من الخير والشر .. والأمن والخوف .. والمحبوب والمكروه .. والعافية والمرض: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو القادر الحق القدير الحق المقتدر الحق وحده لا شريك له.

هو الملك العظيم الغني الذي يملك خزائن كل شيء وحده لا شريك له.

خزائن القدرة بيده .. وخزائن العلم بيده.. وخزائن الأرزاق بيده .. وخزائن الأسماء بيده .. وخزائن الصفات بيده.. وخزائن الكلام بيده.. وخزائن السمع بيده .. وخزائن الأبصار بيده.

وخزائن الجماد والنبات والحيوان بيده.. وخزائن المخلوقات بيده.. وخزائن المياه والبحار والرياح بيده.. وخزائن الذهب والفضة والمعادن والذرات بيده.

وخزائن الطعام والشراب بيده .. وخزائن القوة والنصر بيده.. وخزائن العزة والذلة بيده.. وخزائن الرحمة والعذاب بيده .. وخزائن السماوات والأرض كلها بيده .. وخزائن الدنيا والآخرة كلها بيده: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر/ ٢١].

هو الملك العظيم القادر الذي لم يشركه في خلق تلك المخلوقات وغيرها شريك، ولم يستظهر عليه بظهير: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سبأ/ ٢١-٢٢].

هو القادر الذي يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج إلى أحد، ولا يستعين بأحد، بل هو المعين

لكل أحد: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ق/ ٣٨].

فسبحان الذي يفعل في ملكه وملكوته ما يشاء بقدرته، الغني عن كل أحد: ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الكهف/ ٥١].

هو القادر الحق الذي يقدر على المقدرات كلها بقدرة واحدة.. ويعلم المعلومات كلها بعلم واحد.. ويريد المرادات كلها بإرادة واحدة: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

فسبحان القادر الذي يملك القدرة كلها، القادر على الخلق كله، القادر على الإبداع كله، القادر على الإيجاد كله .. القادر على الرزق كله: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك/ ١].

وكل ما سوى الله من القادرين القادر جل جلاله خلقهم، وخلق قدرتهم، وأقدر بعضهم على بعض، وسلط بعضهم على بعض، وهو سبحانه القادر القاهر لكل قادر: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنعام/ ٦٥].

والقادرون سواه لا يقدرون إلا على ما أقدرهم القادر عليه من الحمل والتحريك والتصنيع، وقدرتهم محصورة في تغيير صورة بعض مخلوقات القادر وتحويلها من صورة إلى أخرى بعون القادر وإذنه: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات/ ٩٦].

فالله جل جلاله كامل القوة والقدرة، أما قدرة القادرين سواه فهي ناقصة بصفتها، محدَثة بعد عدمها، طارئة على محلها، مخلوقة من القادر سبحانه لمن قدر بها: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

فسبحان القادر القدير الذي خلق كل شيء بقدرته، وبيده الأمر كله وإليه يرجع الأمر كله.

خلق الخلق بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم الأرزاق بقدر، وقسم العافية بقدر، وقسم البلاء بقدر: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

والله جل جلاله هو القادر على كل شيء، القدير الذي خلق كل شيء في العالم العلوي والسفلي.

خلق سبحانه العرش والكرسي .. وخلق السماوات والأرض .. وخلق الشمس والقمر .. وخلق الكواكب والنجوم .. وخلق الملائكة والروح .. وخلق الدنيا والآخرة : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

وهو القادر العظيم الذي خلق أنواع الجماد والنبات والحيوان .. وخلق الملائكة والإنس والجان .. وخلق الذرات والجبال .. وخلق المياه والبحار ، والأشجار والثمار: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وهذه المخلوقات العظيمة وغيرها مما لا يعلمه إلا الله الذي خلقها لا يمكن لأحد أن يعدها أو يحصيها أو يدبرها ، وكلها تدل على كمال قدرة الله ، وتشهد بوحدانيته ، وتسبح بحمده ، وتخضع لأمره : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

فسبحان الملك عظيم الملك، القوي كامل القوة ، القدير كامل القدرة ، خالق كل شيء، ومدبر كل شيء : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[الزمر/ ٦٧].

فهذا الرب العظيم الخالق لكل شيء القادر على كل شيء ، المنعم بكل شيء ، المنعم بكل شيء ، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

واعلم أن كل ما خلقه الله فهو إحسان إلى عباده يستحق به وحده الحمد عليه ، فالمخلوقات كلها من آلائه ونعمه، والنعم كلها من آياته الدالة على غناه وكمال علمه وقدرته : ﴿ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النحل/ ٥٢-٥٤].

فجميع مخلوقاته سبحانه توجب الشكر ؛ لما فيها من النعم ، وتوجب التذكر؛ لما فيها من الدلائل على وحدانية الرب وعظمة الباري وقدرته: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٩٠].

فواعجباً كيف يُعصى مَنْ هذا خَلْقه؟ وهذا إحسانه؟ وهذه قدرته؟ وهذا ملكه وسلطانه؟ ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

وكيف لا يُعبد ويطاع وهو الكبير الذي بيده الملك، ذو العزة والجبروت ، والعظمة والكبرياء! : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الزخرف/ ٨٤-٨٥] .

وكيف لا يُشكر وهذا فضله وإنعامه وإحسانه لعموم عباده! : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج/ ٤٦].

والمؤمن إذا اعتقد أن الله على كل شيء قدير في كل أمر ، أعطاه إن سأل ، وشفاه إن مرض ، وأمنه إذا خاف ، ونصره إذا استنصره ، وغفر له إذا استغفره ، وتاب عليه إذا تاب إليه : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [فاطر/ ٤٤].

واعلم أن كمال اليقين أن ترى الله ولا ترى غيره ، وتتعلق بالله وحده ولا تلتفت لأحد سواه ، وتفعل الأسباب المشروعه وتقطع آمالك من الخلق : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزمر/ ٣٦].

ومن رحمة الله بالإنسان أن جعل له قدرة محدودة ناقصة ليكون دائماً مفتقراً الى ربه القادر على كل شيء : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء/ ٢٨].

والإنسان مع ضعفه وعجزه يطغى ويتكبر ويقتل بلا رحمة فكيف لو كان قوياً : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ [العلق/ ٦-٧].

فسبحان القادر على كل شيء ، المحيط بكل شيء ، القاهر لكل شيء ، الذي وسعت رحمته كل شيء : ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٩].

وسبحان الملك القادر الذي له كل شيء ، ويسبح بحمده كل شيء : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [التغابن/ ١].

- **التعبد لله ﷻ باسمه القادر:**

اعلم رحمك الله أن ربك هو الملك الذي بيده الملك والملكوت، وهو القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، المحيط بكل شيء : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة/ ١٢٠].

وإذا علمت هذا فعليك أن تحبه وتعظمه ، لعظمة ذاته وأسمائه وصفاته ، وجميل إنعامه وإحسانه.

وعليك أن تخافه وتخاف عذابه فإنه قدير على أنواع العذاب والعقوبات بكل وجه وعلى كل حال، كما أهلك من عاداه وكذب رسله من الأمم السابقة بأنواع العذاب : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

واحذر الذنوب التي تُغضب ربك والمعاصي التي تُسخطه فإنه يراك وأنت لا تراه ، وهو أقرب إليك من نفسك ، وهو وإن أمهلك لتتوب فإنه لا يهملك: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ

﴿فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٣٥﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

ولا تيأس من رحمة ربك أبداً، وارجه رجاء من يعلم أنه قادر على توصيل كل مرجو، وإعطاء كل محبوب، وقضاء كل حاجة، وكشف كل كربة: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر/ ٥٣].

واعلم أن علم العبد بأسماء الله وصفاته وعلمه بأن ربه هو القادر الذي لا يعجزه شيء يقوِّي في قلبه الاستعانة بالله ، وصدق الالتجاء إليه ، ودوام التوكل عليه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾[الطلاق/ ٣].

وإذا علم العبد أن كل محبوب ومكروه بقدر من القادر العليم الحكيم سلم قلبه من أمراض القلوب ، وامتلأ بالإيمان، وانشرح للحمد على النعمة ، والصبر على البلية: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

ومعرفة القدير الرحيم سبحانه تكمِّل للعبد عبودية الصبر، وحسن الرضى عن الله ، وصدق التوكل عليه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

ومن ملأ قلبه من الرضى بالقدر ملأ الله صدره غنىً وأمناً وطمأنينة، وفرَّغ قلبه لمحبته وذكره وشكره وعبادته : ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾[الزمر/ ٩].

فكن لله يكن لك، وأحسِن إلى خلقه كما أحسن الله إليك، واستعمل ما أقدرك الله عليه فيما يحبه ويرضاه يسرك يوم تلقاه حيث لا تقدر ولا ترجع: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

واعلم أن الأمور كلها بيد القادر المقتدر وحده فأطعه وأرضه بحسن عبادته ، وأحسِن رجاءك له ، وداوم على سؤاله وحده ، وأكثِر من دعاء ربك الملك القادر الذي بيده مقاليد

الأمور، يغنيك ويرضيك ويسترضيك: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة/ ١٨٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: « يَا غُلَامُ ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ الله يَحْفَظْكَ ، احْفَظْ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » أخرجه أحمد والترمذي [١].

وإذا قدرت على من دونك من الخلق فاعلم أن القادر سبحانه هو الذي أقدرك عليه، لينظر بأي المحاسن تصل إليه، ليكتب لك ثواب الإحسان إليه: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[النور/ ٢٢].

وإذا أقدرك الله على العلم فاعمل به وعلِّمه ، وإذا أقدرك على العمل الصالح فأكثر منه ، وإذا أقدرك على المال فأنفقه فيما يحبه الله ويرضاه ، وإذا أقدرك على حسن الأخلاق فخالق الناس بخلق حسن تفوز بالجنة والرضوان : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[الحديد/ ٢١].

وإن أردت عظيم الأجر فَصِلْ من قطعك ، وأعط من حرمك ، واعف عمن ظلمك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، واستعمل قدرتك فيما يرضى به ربك تنال منه أجراً عظيماً : ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[النساء/ ١١٤] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم/ ٨].

« للَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تحكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يخْتَلِفُونَ، اهْدِني لمِا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحْقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تهَدِي مَنْ تَشَاءُ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » أخرجه مسلم[1].

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، يا قوي يا عزيز .

اللهم يا من له العزة والجبروت ، وله الملك والملكوت ، يا عالماً بكل شيء، يا محيطاً بكل شيء ، يا قديراً على كل شيء ، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل يا أرحم الراحمين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧٠).

اللطيف

قال الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

الله ﷻ هو اللطيف الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك بلطفه البواطن والخبايا، اللطيف الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس/ ٦١].

وهو سبحانه اللطيف البَرّ بخلقه، الرفيق بهم، العليم بخفايا حوائج العالمين، البصير بأسرارهم، الذي يوصل إلى خلقه إحسانه وألطافه من حيث لا يعلمون، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى/ ١٩].

وهو سبحانه اللطيف الرحيم بعباده وأوليائه، الذي يسوق إليهم أنواع البر والإحسان من حيث لا يشعرون، ويعصمهم من أنواع الشر بخفيّ لطفه، ويُرَقِّيهم إلى أعلى المراتب بأسباب لا تخطر على بالهم، حتى إنه يذيقهم الآلام والمكاره ليوصلهم بها إلى المحاب الجليلة، والمقامات النبيلة: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف/ ١٠٠].

فسبحان الكريم اللطيف بعباده، الحفي بهم الموصل إليهم أرزاقهم من حيث يعلمون، ومن حيث لا يعلمون، اللطيف الذي يوصل إلى من شاء من خلقه ما لم يكن يؤمله من عزيز النصر وكريم الظفر، ويرزق من يشاء ما لم يكدح فيه، ولا فكر فيه: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى/ ١٩].

هو اللطيف العالم بدقائق الأمور، وخفايا السرائر، وغوامض الحقائق، وعوالم الغيب.

هو اللطيف البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويهيء لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

هو اللطيف العليم بكل شيء مهما دق وخفي، اللطيف الذي ينقل عبده من حال إلى حال لمصلحته بلطف عجيب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ

﴿فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران/ ٥-٦].

هو اللطيف المنعم بكل خير، المعطي لكل فضل، أعطى عباده فوق الكفاية، وكلفهم دون الطاقة، وضاعف لهم أجر الحسنة: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

هو اللطيف الرحيم الذي يسر كل عسير، وجبر كل كسير.

هو اللطيف الكريم الذي أعطى فأغنى، وأنعم فأجزل، وقدر فعفى، وولى فستر.

هو اللطيف الذي هدانا للإسلام ووفقنا للعمل الصالح في البداية، وختمه بالقبول في النهاية، وأجزل له الأجر في دار المقامة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف/ ١٠٧-١٠٨].

وهو سبحانه اللطيف العليم بكل شيء، اللطيف الخبير الذي لا يعزب عن علمه شيء وإن دق وصغر وخفي، حتى الخردلة التي لا وزن لها يراها اللطيف في الظلمات، ويسمع تسبيحها من بين الكائنات، ويأت بها من بين المخلوقات: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان/ ١٦].

وهو سبحانه اللطيف في إتقان الصنع وتركيب دقائق الصنعة، وما دون ذلك من خفايا المخلوقات وأسرار المصنوعات: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل/ ٨٨].

وهو سبحانه اللطيف بعباده، كثير اللطف بهم، بالغ الرأفة بهم، لا يفوته من أعمالهم شيء، ولا يظلمهم مثقال ذرة: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل/ ٤٥-٤٧].

بل هو اللطيف الكريم الذي يزيد أجور الصالحين بفضله وكرمه، ويعفو عن سيئات المذنبين بلطفه وعفوه، ويعذب من يشاء من المذنبين بعدله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء/ ٤٠].

وهو سبحانه اللطيف الذي لا أحد ألطف منه ، اللطيف الذي يملك خزائن اللطف ، اللطيف الذي كل لطف في العالم من آثار لطفه ، اللطيف الذي وهب اللطف لكل لطيف فلطف : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١) ﴾ [الحجر/ ٢١] .

وهو الملك الحق الذي وسع علمه ولطفه ورحمته جميع مخلوقاته.

اللطيف الذي احتجب عن أبصار الخلق فلا يرونه ، وظهر لعقولهم فهم يعبدونه كأنهم يرونه : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فسبحان اللطيف الذي لطف أن يُدْرك بالكيفية ، اللطيف الخبير بكل ذرة في الملك والملكوت ، اللطيف بالبر والفاجر فكلٌّ يأكل من رزقه ، اللطيف بالكافر حيث لم يقتله جوعاً بكفره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٦٥) ﴾ [الحج/ ٦٥].

وسبحان اللطيف بمن لجأ إليه وتاب إليه من عباده ، فيقبله ويُقبل عليه وينعم عليه ، الذي يعطي الجزيل ويقبل القليل : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) ﴾ [النحل/ ٧] .

ولا إله إلا الله اللطيف الخبير الذي يعلم الأشياء الدقيقة ، ويوصل رحمته ورزقه إلى عباده بالطرق الخفية : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٥) ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) ﴾ [السجدة/ ٥-٦] .

فما يبتلي الله به عباده من المصائب.. وما يأمرهم به من المكاره.. وما ينهاهم عنه من الشهوات.. هي طرق خفية يوصلهم بها اللطيف الخبير إلى سعادتهم في العاجل والآجل كما ابتلى يوسف ﷺ بالغربة والجب والسجن فصبر فأعطاه الله النبوة والعلم والملك : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١) ﴾ [يوسف/ ١٠٠-١٠١].

وابتلى إبراهيم ﷺ بالنار وفراق الأهل وذَبْح إسماعيل فصبر وأطاع فجعل ذريته هم الباقين .. وجعل منهم أئمة يدعون ويهدون إلى الخير إلى يوم القيامة : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا

﴿فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الحديد/ ٢٦].

فسبحان ربنا العظيم ما أعظم رحمته بعباده، وما أعظم لطفه بهم، وما أوسع حلمه على من عصاه ، وما أشد فرحته بمن تاب إليه : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

وإذا عرفنا ذلك فيجب أن نحمده ونتوب إليه ونستغفره : ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام/ ٥٤].

واسم اللطيف له معنيان:

الأول: بمعنى الخبير، فهو سبحانه اللطيف الخبير بكل شيء، الذي عِلْمه دق ولَطُف حتى أدرك السرائر والضمائر والخفيات : ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

الثاني: بمعنى المحسن والمنعم الذي يوصل إلى عباده وأوليائه مصالحهم وما ينفعهم بلطفه وإحسانه من حيث لا يشعرون: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الحج/ ٦٣].

واعلم أن لطف الله هوالرحمة،فكل رحمة تصل إلى الخلق فهي من لطف الرحمن ﷻ، سواء كانت بالأسباب المحبوبة أو المكروهة : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

ومسالك اللطف ظاهرة بادية في الملك والملكوت .

في خلق المخلوقات كلها .. والإتيان بالأرزاق وتقسيمها .. وأصناف الكفايات كلها .. وتقليب الأحكام والأطوار .. واختلاف الألسنة والألوان والأحجام والأوقات .. وخَلْق الذوات والذرات .. وخَلْق الجامدات والمائعات .. واستخراج ذلك كله من غيابات خزائنه :

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

فسبحان اللطيف القدير الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة ، واستودعها في خزائنه العظيمة ، ثم يخرجها من عالم الغيب إلى عالم الشهادة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢ - ١٠٣].

وما أحسن لطف ربنا في إرساله الرياح اللواقح ، ثم لطفه في تلقيحها السحاب ، ثم لطفه في حملها السحاب ، ثم لطفه في جمع السحاب بالرياح ، ثم لطفه في جمع الماء في السحاب ، ثم لطفه في إنزاله على خلقه مفرقاً : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ٤٣ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ٤٤ ﴾ [النور/ ٤٣-٤٤] .

ثم تأمل لطف اللطيف في سَوق السحاب بالرياح إلى البلد الميت ، ثم لطفه في ترتيب إنزاله إلى الأرض ، وتقطيعه رذاذاً لئلا يهلك من تحته : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٥٧ ﴾ [الأعراف/ ٥٧] .

ثم انظر كيف لَطَّف اللطيف أرحام الأرض ، وفتحها لقبول الماء والنبات ، حتى ذهبت عروق النبات في الثرى ، وصعدت أغصانه في الهواء ، وظهرت ثماره في الفضاء : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ٨٦ ﴾ [الحجر/ ٨٦].

ثم تأمل حكمة اللطيف كيف خلق النبات أزواجاً ، وشعوباً ، وقبائل ، مختلفة الألوان ، والأحجام والطعوم ، رزقاً لخلقه وعباده : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ١١ ﴾ [ق/ ٩- ١١].

ثم تأمل قدرة اللطيف في فلق الحب والنوى ، وهدايته له ليمتص الغذاء من الطين بجذوره ، ثم كوَّنه أغصاناً وأوراقاً وأزهاراً وثماراً ، ثم كيف لطف بخفي قدرته في تدريج

نمو الحبة حتى صارت شجرة شامخة مستمرة النسل والبذر إلى يوم القيامة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [النحل/ ١٠-١١].

ثم تفكر كيف أخرج اللطيف بخفي لطفه الثمار من النبات كما يخرج الأطفال من الأرحام، وكما يخرج الأفعال من الإنسان ؛ ليذكِّر عباده أنه القادر على بعث الأموات من القبور : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[فصلت/ ٣٩].

فسبحان اللطيف بعباده الذي له خزائن الأرزاق في السماوات والأرض ، اللطيف الكريم الذي يسوق لعباده أرزاقهم من بلاد شتى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر/ ٢١].

وسبحان الملك الحق الذي خلق الأرزاق والمرزوقين ، وساق هذا لهذا بلطفه : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود/ ٦].

وهو سبحانه الكريم الذي جميع الخلق ينتفعون ، بأرزاقه ، ويأكلون من موائد نعمه ، وما أكثر مايجلس الإنسان على مائدة فيها من نعمه أنواع شتى ، من بلاد شتى ، في أوقات شتى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٠].

لا إله إلا الله وله الحمد ما ألطفه بخلقه ، وما أعجب لطفه في حسن تدبيره وجميل تقسيمه : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر/ ٩٨- ٩٩].

ثم تفكر رحمك الله في النطفة التي خلقك منها الله أحسن الخالقين كيف جمعها اللطيف من الغذاء، وأقرها في قرارها المكين ، ثم استنزلها من الذكر والأنثى من بين الصلب والترائب.

ثم تأمل كيف جمع الله ماء الرجل والمرأة في ظلمات الأرحام ، ثم صيَّرها في أطوار الخلق نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاماً ، ثم كسا العظام لحماً ، ثم نفخ فيه الروح ، فكان

خلقاً آخر بتدبير اللطيف الخبير : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١٢-١٤].

ثم تأمل كيف أخرج اللطيف هذا الإنسان من بطن أمه بشراً سوياً ، حَسَن الأعضاء الظاهرة والباطنة ، مكتمل الأعضاء والحواس .

فسبحان مَنْ خلق مِنْ ذلك الماء إنساناً له رأس ، ولسان ، وأذنان ، وعينان ، ويدان ، ورجلان وأصابع وغيرها من الأعضاء الظاهرة : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٢١].

وخلق القادر اللطيف من ذلك الماء القلب ، والكبد ، والأمعاء ، والمعدة ، والعروق ، والعصب وغيرها من الأعضاء الباطنة: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الطارق/ ٥-١٠].

فهذا الإنسان عورة ، خرج من عورة ، ثم دخل في عورة ، ثم خرج من عورة ، وهو عورة ، وظالم وشقي وخاسر إن لم يؤمن بربه : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر/ ١-٣].

فهذه قدرته في خلق فرد من جنسٍ من أحد مخلوقاته التي لا تعد ولا تحصى.

فسبحان الخلاق العليم اللطيف الخبير الذي يملك جميع موازين التدبير والتصريف والتشكيل والتغيير بسلطانه العظيم في ملكه الواسع الكبير: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥].

له الملك كله ، وله الخلق كله ، وله الأمر كله ، وهو الحكيم العليم في خلقه وأمره :

يبسط ويقبض.. ويعز ويذل.. ويعطي ويمنع.. ويغني ويفقر.. ويحيي ويميت.. ويهدي من يشاء.. ويضل من يشاء.. ويعفو عمَّن يشاء.. وينتقم ممن يشاء.

خلق الكبير والصغير ، والجليل والدقيق ، والكل عنده سواء في الخلق والعلم والتدبير : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ

﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

والكل ملكه .. والكل يشهد بتوحيده .. والكل يسبح بحمده ويعبده .. والكل خاضع لأمره ومسرع إلى إرادته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وسبحانه ما أعظم لطفه في تدبيره في البسط والقبض، والعطاء والمنع .

هو القادر على كل شيء، الذي لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء .

يحيي بأسباب الموت .. ويميت بأسباب الحياة .. وينجي بأسباب الهلاك .. ويهلك بأسباب النجاة .. ويعز بأسباب الذلة .. ويذل بأسباب العزة : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢-٨٣] .

هو اللطيف الذي يربي أولياءه في قصور أعدائه، ثم يورثهم أرضهم وملكهم، كما ربى موسى ﷺ في قصر فرعون : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾ [القصص/ ٧-٨] .

ويعطي المحبوب بالأسباب المكروهة ؛ لأنه اللطيف العليم بكل شيء، القادرعلى كل شيء وحده لا شريك له : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة/ ٢١٦].

فسبحان الله ما أعظم لطفه بعباده المؤمنين، لا يقضي لهم بشيء إلا كان لهم خيراً لهم : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب/ ٤٣-٤٤].

وعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ،إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ،وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَه » أخرجه مسلم(١).

أما الكافر من حيث هو كافر فلا يقضي الله له بشيء إلا كان شراً له، إنْ بسط له أغناه وأطغاه،

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٩٩٩).

وإنْ مَنعه وقبضه سخط ربه وعاداه: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [التوبة/ ٨٥].

واعلم أن من لطف الله بعباده المؤمنين أنه يتولاهم بالخير دائماً ، فيخرجهم من ظلمات الكفر والبدع والجهل والمعاصي إلى نور الإيمان والسنة والعلم والطاعات ، ويقيهم شر نفوسهم الأمارة بالسوء ، ويصرف عنهم السوء والفحشاء ، ويصرفهم عن الكبائر والمحرمات التي توجب سخطه : ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

ويقدر لهم أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم، ويقدر عليهم أنواعاً من البلايا والمصائب التي يسوقهم بها إلى ما يحبه ويرضاه من الطاعات والقربات والكرامات : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [التوبة/ ١٢٠].

ومن لطفه بعباده المؤمنين أن يجعل رزقهم حلالاً في راحة ، يحصل به المقصود ولا يشغلهم عما خلقوا من أجله ، وهو عبادة الله والدعوة إليه: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى/ ١٩].

ومن لطف الله بعباده المؤمنين أن يبتليهم ببعض المصائب ؛ ليكفر عنهم إذا صبروا السيئات ، ويرفعهم إلى عالي الدرجات، ويكرمهم بجزيل الثواب : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

- **التعبد لله ﷻ باسمه اللطيف :**

اعلم نوَّر الله قلبك بالإيمان أن أول ما يجب عليك من التعبد لله باسمه اللطيف طلب علمه ، فذلك مفتاح التعبد لله به وبغيره من الأسماء الحسنى ، ومعرفة مسالكه في العالم ؛ لترى قدرة القدير، ولطف اللطيف ، في مخلوقاته وأفعاله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه / ٨].

والهدف الأول من طلب العلم هو معرفة الرب الذي يستحق العبادة بأسمائه وصفاته ،

والهدف الثاني هو عبادته وطاعته بعد معرفته ، ومن وفقه الله لهذا وهذا سعد بقربه ورضاه وجنته : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

وإذا علم العبد أن ربه له الأسماء الحسنى والصفات العلى التي يحبه عباده من أجلها بادر إلى التعبد لله بها ليحبه ربه ويرضى عنه مولاه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وإذا علم أن ربه لطيف عليم بكل صغيرة وكبيرة ، حاسب نفسه على أقواله وأفعاله ، وراقب ربه في حركاته وسكناته : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك/ ١٢].

واعلم أن العبد وكل شيء مكشوف بين يدي اللطيف الخبير الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء : ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

فاعرف ربك اللطيف الحق واعبده وسبح بحمده لتنال فضله ، وتظفر بنعمه وعطاياه ، وكن واثقاً بربك الكريم ومولاك الرحيم الذي جميع النعم منه : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر/ ٩٨-٩٩].

وكن بالليل مع اللطيف واسأله أن يلطف بك ، وفي النهار تلطَّف مع الناس والطف بهم ، وأحسِن إليهم ، وكن في الليل مع الرحمن ، وسله أن يرحمك ، وفي النهار كن رحيماً يرحم الناس.

وارغب إلى ربك في ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٣].

جميع أمورك ، واعلم أن من يَتَحَرّ الخير يعطَه ، ومن يَتَوقّ الشر يُوْقه ، والفضل كله بيد الله وحده ، وأعلاه طلب الهداية والعافية: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة/ ٤].

واعلم رحمك الله أنك كما تحب أن يلطف الله بك في جميع أمورك فالطف أنت بإخوانك المؤمنين ، وخالقهم بخلق حسن ، وأوصل برك وإحسانك إلى غيرك بحسب قدرتك ، وسَعْهم بحسن خلقك ، وادعهم إلى الله واصبر على أذاهم يحبك الله ، وتكسب محبة

الناس ومودتهم ، وتسلم من أذيتهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت/ ٣٣- ٣٥].

واشغل نفسك وقلبك ولسانك وجوارحك بذكرِ وشكرِ مَنْ لُطْفه بك ظاهر غير خفي ، وبره إليك واصل في سَرَّائك وضَرَّائك، وحال طاعتك ومعصيتك : ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف/ ٢٠٥].

وأنفق مما رزقك الله من علم ومال وبر وإحسان ، وتلطَّف في إيصال برك إلى الناس بألطف المآخذ ، وأحسن المذاهب ، بلا مِنَّة ولا أذى ولا كبر ولا احتقار: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ [البقرة/ ٢٦٢-٢٦٣].

وإذا عرفت أن ربك هو اللطيف فليكن حظك من هذا الاسم الكريم أن تكون لطيفاً في مصالحك بالمبادرة إلى كل عمل صالح ، لطيفاً بالخلق كلهم على اختلاف طبقاتهم.

إن رأيت كافراً فادعه الى الله بلطف ، وإن رأيت جاهلاً فعلمه بلطف ، وإن رأيت عاجزاً فخذ بيده بلطف ، وإن علمت سنة فانشرها بلطف ، وإن عرفت حسنة فاشكرها ، وإن علمت سيئة فاسترها : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ الأعراف/ ١٩٩-٢٠٠].

وتذكر ألطف الناس بالناس.. وأرحم الناس بالناس.. وأكرم الناس.. وأجود الناس محمداً ﷺ ، الذي أثنى عليه ربه ، لكمال حسن خلقه بقوله له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم/ ٤].

فاهتد بهديه ، وتخلق بأخلاقه ، وتأدب بآدابه ، واسلك سبيله ، وتمسك بدينه تكن في الجنـة رفيقـه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١].

وتقرب إلى ربك بكل ما يحبه ويرضاه تنال أعظم مما تتمناه : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء/ ٦٦-٧٠].

وأحسِن إلى الناس جميعاً فيما استطعت، واصبر في سبيل ذلك على أذاهم، وعاملهم بما تحب أن يعاملوك به، ولاطفهم بما تستطيع من القول والعمل والخُلق، وكل امرئ حسيب نفسه، ورهين عمله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف/ ١٥].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الحَيَاةَ زِيَادَةً لي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ المَوْتَ رَاحَةً لي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم(١).

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً تملأ به قلوبنا، ويقيناً صادقاً تشرح به صدورنا، حتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كُتب لنا، ولا نحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت.

اللهم أسعدنا بتقواك، واستعملنا في رضاك، واجعلنا نخشاك كأنا نراك.

يا خبيراً بأحوالنا، يا عليماً بفقرنا، يا لطيفاً بالعباد الطف بنا، وارحم ضعفنا وذلنا وانكسارنا بين يديك، يا أرحم الراحمين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

الخبير

قال الله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١ ﴾ [سبأ/ ١].

الله ﷻ هو الخبير العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الخبير الذي يعلم جميع الأمور الظاهرة والباطنة: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤ ﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

وهو سبحانه الخبير الذي لا يجري شيء في الملك والملكوت إلا بعلمه، ولا تتحرك ذرة في الكون ولا تسكن إلا بعلمه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٧٣ ﴾ [الأنعام/ ٧٣].

وهو سبحانه العليم الخبير بكل ما كان، وما يكون، وما سيكون: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩ ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

فسبحان العليم الخبير بكل شيء في السماء والأرض، والدنيا والآخرة، والليل والنهار، واليوم والغد: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤ ﴾ [لقمان/ ٣٤].

وهو سبحانه العليم الخبير بسرائر العباد وضمائر قلوبهم وما تُكِنّه صدورهم، الخبير بكل ما يعملونه من الطاعات والمعاصي، والحسنات والسيئات، الخبير بجميع نيات وأقوال وأفعال العباد، وما يجول في خواطرهم من خير أو شر: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨ ﴾ [الأنعام/ ١٨].

هو الخبير الذي أخبر عباده بأحسن الكلام وهو القرآن، الخبير الذي يعلم كل شيء، الخبير الذي لا يعزب عن علمه صغيرة ولا كبيرة، الخبير الذي يعلم كنه كل شيء، الخبير الذي يعلم

الحق من الباطل ، ويعلم الخير من الشر ، ويعلم الطيب من الخبيث ، ويعلم الظاهر من الباطن ، ويعلم السر والعلن ، ويعلم الداء والدواء : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك/ ١٤].

هو العليم الخبير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، الخبير بالظواهر والبواطن ، والخواطر والبواعث ، والسرائر والخفايا.

وكل إنسان مكشوف أمام ربه الخبير ، لا تخفى عليه منه خافية ، علانيته كسره ، وجهره كصمته ، وظاهره كباطنه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق/ ١٦].

والناس أمام الله سواء ، وأفضلهم عنده أهل الإيمان والتقوى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات/ ١٣].

فسبحان اللطيف الخبير بكل ظاهر وباطن، الذي يعلم بمن يتقيه ظاهراً وباطناً ممن يتقيه ظاهراً لا باطناً، ثم يجازي كلاً بعمله: ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٦٣].

وهو سبحانه الخبير المحيط بجميع ملكه ، الشاهد لجميع ما فيه ، العليم بجميع المخلوقات الظاهرة والباطنة: ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

وهو سبحانه الخبير الذي أخباره كلها حق وصدق، الذي يخبر عباده بالحق والخبر الصدق : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء/ ٨٧].

واعلم نوَّر الله قلبك بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله أن الحق جل جلاله جعل للمعتبرين في مخلوقاته غُنْية عن التفكير في ذاته ؛ لقصور العقول والأبصار عن إدراك نور جلاله وعظمته وكبريائه: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

فسبحان من تعرفه القلوب والعقول بآياته ومخلوقاته ، وتدعوه الألسن بأسمائه، وتميزه البصائر عن سواه بصفاته وأفعاله: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

﴿فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٤﴾ [الروم/ ٢٢-٢٤].

هو الواحد الأحد العليم الخبير بكل شيء، هو العليم المحيط بكل شيء ، العلي العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وليس له شبيه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى/ ١١].

فسبحان الحكيم الخبير بأحوال عباده، الذي يضع الشيء في موضعه، ويختار له ما يناسبه : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران/ ١٨] .

هو الحكيم الخبير البصير بما يصلح عباده، فيعطيهم ما يصلح أحوالهم، ويصرف عنهم ما يضرهم ، يبسط لهذا، ويقبض عن هذا، وهو العليم الخبير بما يناسب كل مخلوق.

فمنهم من تستقيم حاله على النعمة والغنى ، ومنهم من تستقيم حاله على الفقر والابتلاء.

لهذا تجد عيش بعضهم مع فقره وبلائه أحسن ، وقلبه لربه أصفى ، كلما ضربه الله بالبلاء ازداد له حباً وتقوى ؛ لكمال معرفته به: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ٣٠﴾ [الإسراء/ ٣٠].

وأعلم أن الحكيم الخبير خلق خلقه بقدرات وصفات مختلفة ثم اصطفى منهم الأنبياء والرسل والمؤمنين : ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾ [الحج/ ٧٥].

فجميع الأنبياء والرسل مصطفون ، فهم قمم الجبال ، وأعلام الهدى ، ونخبة البشرية : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾ [آل عمران/ ٣٣-٣٤].

فإذا اصطفى العليم الخبير محمداً ﷺ من بين البشر لما يعلم من حسن خلقه وعمله وقوة يقينه ورحمته وصبره فهذا اصطفاء كسبي منه أنعم الله به عليه : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم / ٤].

وإذا أكرمه ربه بكرامات وخصه بالوسيلة والشفاعة وغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر فهذا اصطفاء وهبي وهبه الله إياه إكراماً له لحسن عمله وكمال صبره : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح/ ١-٣].

فسبحان العليم الخبير الذي علم من بين خلقه أكثرهم معرفة ، وأكثرهم استقامة ، وأقواهم صبراً وجهاداً ، وأكملهم تضحية وإيثاراً ، وأحسنهم عبادة ، وأجملهم خُلقاً ، وأصدقهم يقيناً وتقوى فاصطفاه وجعله نبياً : ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝٤٧﴾ [ص/ ٤٥-٤٧].

واعلم أن من اصطفاه الله واجتباه واختاره لدينه فعليه أن يعمل به ، ويدعو إليه ، ويشكر ربه على هذه النعمة العظيمة : ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤﴾ [الأعراف/ ١٤٤].

وكل من اصطفاه الله لدينه فلا بد أن يمر بثلاث مراحل :

مرحلة التأديب .. ومرحلة الابتلاء .. ومرحلة التكريم.

وهذه سنة الله في خلقه المصطفين يؤدب ، ثم يبتلي ، ثم يكرم بجنة المعرفة في الدنيا ، وجنة الزخرفة في الآخرة : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ [الرحمن/ ٤٦].

وبحسب قوة الإيمان تكون قوة الابتلاء : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت/ ٢-٣].

وبحسب صدق المؤمن وإخلاصه وصبره ويقينه وطاعته لله يصطفيه الله ويجعله إماماً في الإيمان والتقوى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾ [السجدة/ ٢٤].

ومن اصطفاه الله لدينه فقد علم فيه الصدق والإخلاص والطاعة فليحمد الله : ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ [النمل/ ٥٩].

ومن اصطفاه الله وجعله مؤمناً فهو في سلام مع نفسه ، وسلام مع ربه ، وسلام مع غيره ، وسلام في الدنيا ، وسلام في الآخرة.

وقد اصطفى الله هذه الأمة وأكرمها بالكتاب العظيم ، والرسول الكريم ، والثواب الجزيل : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فاطر٣٢-٣٤] .

- **التعبد لله ﷻ باسمه الخبير :**

الله ﷻ هو العليم الخبير بما تكنه الصدور ، وما تخفيه القلوب ، الذي يكشف كل مخبوء ، ويرقب كل مستور، ويعلم السر وأخفى: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة/ ٦ - ٧].

ولابد للعبد أن يعرف ربه بأسمائه وصفاته ، ويتلو كتابه ، ويستن بما جاء عن رسوله ﷺ ؛ ليعرف الخالق من المخلوق ، والخير من الشر ، والحق من الباطل ، والنافع من الضار ، والباقي من الفاني ؛ لِيُقْدم على اليقين من أمره ، ويواظب على المشروع من عمله : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد/ ٢٠].

واعلم أن من لم يقدم خبر القرآن والسنة بين يديه كان من أمره على خطر ؛ لأنه قدَّم الهوى على الهدى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص/ ٥٠].

فكل إيمان وتصديق وهدى ومسارعة إلى الخيرات و صبر على الأقدار والأحكام سببه العلم والعمل بخبر الوحي: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٢].

وكل جهل أو تكذيب أو تقصير أو جزع أو ظلم أو كبر أو فساد سببه الجهل بخبر الوحي أو الإعراض عنه : ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الجن/ ١٧].

واعلم أن النفس إذا دعوتها إلى الصبر على طاعة الله ، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله،

والجَلَد على عبادة الله ، بعد تَقَدُّم الخبر والعلم بالله ووعده ووعيده، أعطتك ذلك من ذاتها بيسر وسخاء، لعلمها بأن ما دعوتها إليه هو طريق سعادتها الواجب عليها سلوكه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

ومن أجل هذا احتاجت النفوس إلى معرفة الخبير ، ومعرفة خبر الخبير الحق سبحانه ، ليتبين لها من تعبد ، ومن تسأل ، ومن تطيع ، وما تصبر عليه ، وما أنواعه ، وما ثوابه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩ ﴾ [محمد/ ١٩].

فإن لم تعرف النفس ذلك بالخبر المنزل زَلَّت عند المحنة ، وجَمَحت عند الصدمة ، فهلكت وضلت وأضلت: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥ ﴾ [النساء/ ١١٥].

واعلم رحمك الله أن العليم الخبير يراك فلا تفعل ما يسخطه عليك، ويعلم جميع أحوالك في السر والعلن فلا تبارزه بالمعاصي، ولا تجعله أهون الناظرين إليك : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ ﴾ [ق/ ١٦-١٨].

واعبد ربك بالحب مع كمال التعظيم والذل له، وتقلَّب في ليلك ونهارك في طاعته وعبادته بكل ما يحبه ويرضاه، فهو الكريم الذي شرَّفك بالعبودية، وهو الرقيب القريب الشهيد الذي خصك بالعناية : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٢٠ ﴾ [الشعراء/ ٢١٧- ٢٢٠].

وإن كنت خبيراً بأحكام الدين فعلِّمها من لا يعلمها، وانصح لجميع الخلق، واتبع سبيل المؤمنين تكن من الفائزين: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

واعلم أن من عرف أن الله خبير بأقواله وأفعاله وسائر أحواله تأدب في سلوكه ، وراقب ربه في جميع أقواله وأعماله ، واستقام على ما يحبه ربه ويرضاه ، وابتعد عن ما يسخط مولاه ،

وأيقن أن ما قسمه الله له لن يفوته ، وما لم يقسم له لن يدركه : ﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ٧٣].

ومن عرف أن ربه خبير بكل شيء ، عليم بكل شيء ، ناداه نداءً خفياً ، وناجاه في سره ، ودعاه في سره لعلمه بقربه منه : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ ﴾ [مريم/ ٢-٣].

والعاقل يجب أن يكون خبيراً بنفسه وعالَمه ، وعالَمه هو بدنه وقلبه وجوارحه ، وأقواله وأفعاله وأخلاقه وأفكاره ، ويتفقد قلبه أين يتقلب ، وهل هو يطوف حول العاجلة أم حول الآجلة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر/ ١٨-١٩] .

واعلم أن كل من دعا إلى الله فقد أذن الله له ، فإن كانت دعوته صادقة وفقه الله وأعانه وصرف قلوب الناس إليه ، وهذا نوع من الاصطفاء والتكريم : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحج/ ٧٥].

وإن كانت دعوته كاذبة أو على هواه صرف الله قلوب الناس عنه ، وأظهر سريرته على فلتات لسانه وصفحات جبينه : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ [محمد/ ٢٩-٣٠].

فسبحان العليم الخبير بالظواهر والبواطن والسرائر والخفيات .

فليحمد الله من اصطفاه العليم الخبير ، وأجرى على يديه الخير ، وأنطق لسانه بالحق ، وصرف قلوب الخلق إليه ، وحفظه من أعدائه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة/ ٦٧].

ومن أعظم سبل الاصطفاء بعد الإيمان طلب العلم خالصاً لله ، فمن صدق في طلبه اصطفاه الله وعلَّمه ، وجعله معلماً للبشرية وداعياً إليه ، وشاهداً بوحدانيته : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٨].

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى

مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الشعراء/ ٨٣- ٨٥].

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَالجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ » متفق عليه[1].

يا خبيراً بكل شيء ، يا عليماً بكل شيء ، يا بصيراً بكل شيء ، يا مالكاً لكل شيء.

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، إنك أنت العليم الخبير.

اللهم يا إلهي ، يا من بيده ناصيتي ، يا عليماً بضعفي ومسكنتي ، يا خبيراً بفقري وفاقتي ، أسألك أن توفر حظي من كل خير تنزله ، ومن كل رزق تبسطه ، ومن كل بر تنشره ، ومن كل ذنب تغفره ، يا أرحم الراحمين.

إلهي أنت العليم الخبير بالدقائق والخفايا ، وأنت المطلع على المعلنات والسرائر ، بصِّرني في جميع أحوالي حتى أكون خبيراً بما ينفعني ويضرني ، بصيراً بما يسعدني ويشفيني ، إنك أنت العليم الخبير.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له.

الحكيم .. الحاكم .. الحَكَم

قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١)﴾ [الجمعة/ ١].

وقال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٠٩)﴾ [يونس/ ١٠٩].

وقال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١١٤)﴾ [الأنعام/ ١١٤].

الله ﷻ هو الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، ويتقن صنع كل شيء بقدرته وحكمته، الحكيم الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل ولا نقص: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤)﴾ [الملك/ ٢-٤].

وهو سبحانه الحكيم في أقواله وأفعاله، الحكيم الذي يضع الأشياء في محالها بحكمته ورحمته وعلمه، الحاكم الذي يحكم بين عباده بالقسط والعدل، النافذ حكمه في ملكه، الحكيم الذي يحكم ولا معقب لحكمه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١)﴾ [الرعد/ ٤١].

وهو سبحانه الملك الحق الحكيم الذي أحكم المخلوقات والأمور ومَنَعها عن الخروج عن حكمه، الحاكم القاهر الذي قهر جميع المخلوقات على مراده، فدان المُلك والملكوت كله لحُكمه العدل وأَمْره الفصل: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٥)﴾ [الزمر/ ٤-٥].

وهو سبحانه أحكم الحاكمين، الذي كل أقواله وأفعاله وأحكامه في منتهى الحُسن، الحاكم الذي يحكم بالحق والعدل والإحسان، الذي لا يجور ولا يظلم أحداً: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)﴾ [المائدة/ ٥٠].

وهو سبحانه الحَكَم الذي لا حَكم أعدل منه، الملك الذي لا أرحم منه، ولا قائل أصدق

منه، الذي سَلِم له الحُكم كله في ملكه العظيم وسلطانه الكبير : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فسبحان الحاكم الذي يحكم بين العباد بالعدل والإحسان ، الحاكم في كل مكان وزمان وحال ، الحَكم الصادق الذي لا يقع في وعده ريب.

هو الحَكم الذي حَكم الملك والملكوت ، الحَكم الذي حَكم على القلوب بالرضا والقناعة ، وحَكم على النفوس بالانقياد والطاعة ، الحاكم الذي نفذ حكمه في جميع مخلوقاته ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٦-٢٧].

وهو سبحانه الحَكم وحده لا شريك له ، فلا يجوز لأحد أن يحتكم إلى غير شرع الله ، ومن احتكم إلى غير شرع الله فقد حكَّم في أموره من ليس حاكماً : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة/ ٤٤].

وهو سبحانه الحكيم الحق الذي لا بد أن يُظهر الحق ، لأنه هو الحق الذي ينصف المظلوم في الدنيا والآخرة ، لكن لا بد من الصبر وانتظار الفرج ، ومن سنة الله مع خلقه - الظالم والمظلوم - أن يمهل ويرخي الحبل مع الكل ليفعل كلٌّ ما يشاء ، ولكن الظالم لا يستمر إلى ما لا نهاية ، فالحبل مرخي إلى أجل ، والعاقبة للمتقين : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف/ ١١٠].

والمظالم كلها مردودة إما في الدنيا أو في الآخرة ، فاستقم كما أمرك مولاك : ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يونس/ ١٠٩].

واعلم أنه لا أحد أحكم من الله ، ولا شيء أحسن من حكم الله : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة/ ٥٠].

ومن حُكم الله : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات/ ١٣].

ومن حُكم الله : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ (٤١) ﴾ [النجم/ ٣٩-٤١].

ومن حُكم الله : ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) ﴾ [محمد/ ٧].

ومن حُكم الله : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ (١٤) ﴾ [الانفطار/ ١٣-١٤].

ومن حُكم الله : ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر/ ٤٣].

وكل القرآن حِكم وأحكام ، وأوامر وأخبار ، وتوحيد وتمجيد للمجيد ووعد ووعيد : ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) ﴾ [هود/ ١].

وهو سبحانه العزيز الحكيم المحمود على حُكْمه في الدنيا والآخرة ، وحكمه في السموات والأرض.

فهو الحَكَم الحق الذي له الحُكم القدري على الكائنات كلها ، الذي أثره جميع ما خلق وذرأ وبرأ في العالم العلوي والسفلي: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٦٣) ﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

وهو الحَكم الحق الذي له الحُكم الديني الشرعي ، الذي أثره جميع الشرائع والأوامر والنواهي الموجهة إلى الإنس والجن : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) ﴾ [يوسف/ ٤٠] .

وهو الحَكم الحق الذي له الحُكم الجزائي في الآخرة ، الذي أثره الثواب والعقاب للعباد : ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٥٦) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٥٧) ﴾ [الحج/ ٥٦-٥٧].

فسبحان الملك الحق الذي له الخلق والأمر والحكم والحمد: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠) ﴾ [القصص/ ٧٠].

والحكيم من أسماء الله الحسنى التي تدل على ثبوت كمال الحكم لله، وكمال الحكمة له.

أما كمال الحكم : فاعلم أن الحُكم كله لله وحده لا شريك له ، فهو الذي يحكم بين عباده بما يشاء ، ويقضي فيهم بما يريد، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ (٥٧) ﴾ [الأنعام/ ٥٧].

وكما أن الله ليس له شريك في الملك فليس له شريك في الحكم، وليس له شريك في العبادة : ﴿ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الكهف/ ٢٦].

ورب العالمين الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، الملك العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، الخالق لكل شيء ، هو الذي يستحق وحده أن يَحكم ويُشرِّع ، ويأمر وينهى ، ويُحلِّل ويُحرِّم: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف/ ٤٠].

ومن أظلم الظلم وأعظم الجور وأقبح الفعل أن يسكن الناس في ملك الله ، ويأكلون من رزقه ، ويكفرون بالله ، ويجعلون الحكم والتشريع لغيره من خلقه وعبيده : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٩٠-١٩٢].

فيجب على جميع الحكام أن يحكموا بين الناس بما أنزل الله، ولا يجوز لهم أن يتعدوا حكم الله الذي شرعه إلى غيره ، ومن فعل ذلك فهو كافر وظالم وفاسق فله الخزي والذل في الدنيا والآخرة : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة/ ٤٩-٥٠].

ومهمة الخلافة إقامة حكم الله في الأرض، والحكم بين الناس بما أنزل الله من أحكام وتشريعات: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص/ ٢٦].

أما كمال الحكمة في خلقه وأمره : فهو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، فقد خلق الله جميع المخلوقات بالحق، وأوجدها بأحسن نظام، وأتقنها أحسن إتقان، وأعطى كل مخلوق خَلْقه اللائق به، وصوَّره أحسن تصوير: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة/ ٦-٧].

وأما الحكمة في أمره وشرعه : فالله هو الحكيم الحق الذي شرع الشرائع ، وأنزل الكتب ، وأرسل الرسل ، ليعرفه عباده ، ويعبدوه بما شرع ، ومعرفته وعبادته بموجب أسمائه وصفاته ودينه هي مقصودُه من خلقه ، وهي أفضل العطايا منه لعباده ، وهي أشرف الهبات للوصول إلى السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٦ –٥٨].

وقد اجتبى الله هذه الأمة وخصها بأفضل الرسل، وأحسن الكتب، وأكمل الشرائع، وشرَّفها كالأنبياء بعبادة الله والدعوة إليه إلى يوم القيامة: ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣].

واعلم بأن الحكيم الحق سبحانه شرع لعباده كل خير ومصلحة.

فأخباره في كتابه الحكيم تملأ القلوب توحيداً ، وإيماناً ، ويقيناً ، وعلماً بالله وأسمائه وصفاته ، وتعظيماً للرب ، ومحبة لله ، وحمداً له، وذلاً له : ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [هود/ ١-٢].

وأوامره الشرعية كلها منافع ومصالح تثمر الأخلاق الحسنة، والأعمال الصالحة، وتزكي النفوس بالطاعات : ﴿ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الممتحنة/ ١٠].

ونواهيه كلها موافقة للعقول والفطر السليمة، فهو العليم الحكيم الذي لم ينه الناس إلا عما يضرهم في دينهم ، وأبدانهم ، وعقولهم ، وأخلاقهم ، وأعراضهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل/ ٩٠].

فلله الحمد أنْ شرع لنا أحسن الشرائع بأحسن الكتب ، وأرسل بها إلينا سيد الرسل ﷺ : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

وسبحان القادر الحَكَم الذي أظهر حكمته في مخلوقاته وأفعاله وآياته وأحكامه.

وشهدت العقول بحكمة الحكيم ﷻ بما شهدته في ملك وملكوت الجبار ﷻ ، وخَرَّت ساجدة لعظمته وجلاله وكبريائه، وعظيم إحسانه، وعظمة ملكه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٨].

فتدبر رحمك الله حكمة أحكم الحاكمين في مخلوقاته العظيمة وآياته العجيبة ترى ببصرك وبصيرتك رباً حاكماً حَكَم كل شيء ، وأحكم كل شيء، وأقام الأمر كله به في الدنيا والآخرة، فلا ظلم ولا جور في أحكام الحكيم ﷻ : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف/ ٥٤].

وانظر إلى حكمة العزيز الحكيم في خلق السموات والأرض وما فيهن وما بينهن من المخلوقات والأفلاك والتدبيرات تجد ما يبهر العقول والألباب من عجائب المخلوقات ، وترى الآيات الساطعات الدالة على عظيم قدرة الجبار ، وتشاهد حكمة أحكم الحاكمين تجري بإحكام متقن ، وتدبير عجيب ، وحكم مستمر : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة/ ١٦٤] .

واعلم أن ربنا الحكيم العليم بيده ملكوت كل شيء ، يعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، ويعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع.

هو سبحانه الحكيم الذي يمنع الإنسان مما يضره ، ويحميه مما يؤذيه ، ويمنع وليه من عدوه ، ويمنع عنه المرض ، ويمنع عنه الشر ، ويحفظه مما يؤذيه .

هو العليم الخبير الذي يمنع من يستحق المنع والحفظ من المؤمنين ، ويعرض عمن لا يستحق المنع والحفظ فينكشف ويصل إليه أعداؤه ، فإذا لم يستقم المؤمن يفتن بالكفار فينالون منه ، لأن الله لم يمنعه ، لأنه لم يستحق المنع لانحرافه ، فقهره وأذله عدوه : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفتح/ ٢٤].

واعلم أن من سلم من المصيبة أو المرض فالله منع ذلك عنه ، ومن أصابه ذلك فالله أذن بذلك

ليربيه أو يؤدبه أو يرفع درجاته : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة/ ٥١].

هو الحكيم العليم الذي يمنع من يحب من التقصير ، كلما قصر ابتلاه ربه بمصيبة ليتوب إلى ربه : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١٦].

هو الحكيم الخبير بما يصلح عباده ، الذي يمنع البلاء حفظاً وعناية بمن أطاعه ، ويمنع عنه العطاء ابتلاءً وحماية.

ومن فتح الله له معرفة باب الحكمة في العطاء والمنع رأى المنع عين العطاء ، ومن كشف الله له الحقيقة سارع إلى ربه في جميع أحواله ، وقال قلبه لو علمت أن غداً أجلي ما قدرت أن أزيد في عملي : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩].

هو الحكيم العليم الذي يستحق أعظم الحمد على عطائه ومنعه .

يعطيك ما يسعدك ويغنيك ، ويمنعك من كل ما يضرك ويؤذيك ، ويمنعك من كل ما يطغيك ويشقيك ، ويمنعك تأديباً وتربية ورفعة لك : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن/ ١١].

فسبحان من خلق العالم كله على طبقاته ، وخلق الوجود كله من الخير والشر على درجاته ودركاته من الجماد ، إلى النبات ، إلى الحيوان ، إلى الإنسان : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الزخرف/ ٨٤-٨٥].

خلق الحكيم ذلك كله بحكمة تبهر العقول ، وحكم قاهر يخضع له كل مخلوق : ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣] .

وهو الحكيم الكريم الرحيم الذي وصل أفعاله المحكمة ومخلوقاته المتقنة بالشرعة المنزلة ؛ ليعرف خلقه أنه العظيم الذي لا أعظم منه ، العليم الذي لا أعلم منه ، القادر الذي لا أقدر منه ،

الرحيم الذي لا أرحم منه ، الحكيم الذي لا أحكم منه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

واعلم رحمك الله أن من رزقه الله بصراً وبصيرة رأى في ملكوت السموات والأرض من عجائب الخلق وأنواع المخلوقات ودوام التصريف والتدبير ما يبهر العقول ، ويَكِلّ دونه النظر ، وينحسر دونه البصر ، ويُرْبي على الوصف ، مما لا تدرك كنهه العقول ، ولا يحيط به سوى من كتبه في اللوح المحفوظ : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

فسبحان الرب القادر الحكيم الذي برأ البرايا ، وفطر الفطر ، وركَّب الأجسام وزوَّجها بالأرواح فصارت حية تشهد لربها العظيم بالوحدانية ، وتقوم له بالعبودية ، وتسبح بحمد ربها ميتة أو حية : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج/ ١٨].

وسبحان القادر الحكيم الذي اختزن جميع البرايا في الأرزاق ، واختزن الأرزاق في الأسباب ، واختزن الأسباب في الإرادات ، واختزن الأرواح في الأجسام ، واختزن الثمار في الأشجار، واختزن المعاني في الألفاظ ، واختزن الكل في خزائن السموات والأرض ، وأخرج الكل من غيابات عِلم علام الغيوب : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

وسبحان العلي العظيم الحكيم الذي خلق العالم كله بالحق وللحق، وركَّب العالي على السافل، واستودع السافل في العالي، وملأ ملكه العظيم بالعوالم التي لا يحصيها إلا من خلقها، وأحاط ذلك كله بكرسيه الكريم، وعرشه العظيم : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ [ق/ ٦-١١].

والله علي عظيم كبير محيط بكل شيء ، استوى على العرش برحمته ، حي قيوم يفعل ما يشاء بقدرته ، ويحكم ما يريد بمشيئته ، عليم خبير بجميع ما في ملكه وملكوته: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

انظر رحمك الله إلى ربك الخلاق العليم القادر على كل شيء كيف خلق المخلوقات ، وكيف صوَّرها على غير مثال فأحسن التصوير، وقدَّر فأحسن التقدير، ثم أخرج ما قدَّر على سواء ما قدَّر بلا كلفة ولا عناء: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

فتبارك الله رب العالمين ما أعظم ما خلق ، وما أعجب ما أبدع ، وما أحسن ما صوَّر ، وما أحكم ما صنع: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٤].

ثم انظر كيف أحيا الحي القيوم الخلق بقدرته، وجمعهم بحكمته، لأنه القادر على كل شيء ، الحي الذي لا يموت ، الحي الذي يحيي ويميت.

فلبقائه ﷻ أفناهم، فكل شيء هالك إلا وجهه ، ولحياته ﷻ أماتهم ، ولحياته أحياهم فلا يموتون يوم القيامة أبداً، فاستغفر لذنبك واستقم كما أمرت : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الفرقان/ ٥٨].

ولعزه ﷻ أذل الخليقة قاطبة، ثم لعزه يعز من أطاعه في الدنيا والآخرة فلا يذلون أبداً: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون/ ٨].

فسبحان الله ما أعظم قدرته وحكمته، هو الحكيم الخبير الذي خلق الخليقة كلها بالحق وللحق الذي هو الدين القيم : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [يونس/ ٣-٤].

نشر الحكيم العليم ذلك الحق في أمشاج العالم كله بقدرته ، وأفرغه في قالب الموجودات

كلها بحكمته ، وهدى كلاً لِمَا خَلَقه ، فهو قائم يشهد لربه بالتوحيد، ويعبده بالتسبيح والتحميد: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

ثم أرسل الحكيم العليم رسله بالدين القيم إلى أهل الأرض ، وأنزل كتبه ، وشرع شرائعه ، ودعا الكل إلى ذلك ، ورغَّب في الإيمان ، وحذر من الكفر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾ ﴾ [النساء/ ١٧٠].

ثم آمن مَنْ عَلِم الله أنه يؤمن وكفر من علم الله أنه لا يؤمن: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان/ ٢٩ – ٣١].

فسبحان الحكيم القادر الفعال لما يشاء ، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

يبسط ويقبض.. ويعزل ويذل.. ويرفع ويخفض.. ويكرم ويهين .. ويعطي ويمنع .. ويرتق ويفتق.. ويحيي ويميت.. ويهدي ويضل: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الزمر/ ٦].

وسبحان الحكيم العليم الذي خلق الجلي والخفي، والكبير والصغير، والطويل والقصير، والرطب واليابس، والجامد والسائل، والحلو والمر، والذكر والأنثى، والليل والنهار، والنور والظلام ، والإنس والجان : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الذاريات/ ٤٩-٥٠].

وسبحان القوي القادر الذي خلق العرش والكرسي ، وخلق السموات والأرض ، وخلق الدنيا والآخرة ، وخلق الجنة والنار ، وحكَم الكل بقهره وجبروته : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٤].

فتبارك الله رب العالمين ، وأحسن الخالقين ، وأحكم الحاكمين.

ثم تأمل رحمك الله كيف جازى الغني الكريم المطيعين له على اختلاف طاعاتهم وكثرتها بما

يقابل ذلك وزيادة من الكريم لا تخطر على بال أحد : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٧].

وكيف جازى القوي العزيز العصاة على اختلاف معاصيهم وكثرتها بما يقابل ذلك جزاءً وفاقـاً: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء/ ٥٦].

واعلم أن من حكمة الحكيم العليم ما أظهر من الحكمة، وخص بها من شاء من عباده .

و الحكمة هي إصابة الحق في الأقوال والأعمال، وهي من أعظم النعم التي يخص الله بها من يشاء من عباده : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

ومن حكمته سبحانه ما استودع جميع المخلوقات من المنافع والمضار، وهدايته إياها لِمَا قدره لها، واستعماله إياها لِمَا فطرها عليه.

فالملائكة يعبدون ربهم ، ويسبحون بحمده ، ويدبرون أمره ، وأعمالهم لا يحصيها إلا الله.

فهم النازعات ، والمقسمات أمراً ، والملقيات ذكراً ، والصافات صفاً، والمدبرات أمراً ، والتاليـات ذكـراً: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٩- ٢٠] .

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يعبدون ربهم بما جعل فيهم من القول بالحق ، والعمل به ، والدعوة إليه ، والصبر عليه ، وأتباعهم من المؤمنين كذلك : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥١ -١٥٢].

واستخرج سبحانه حكمته في الصنع على أيدي أهل البراعة من عباده بما هداهم إليه من إتقان الصنع ، وقوة الفكر، وغرائب الصناعات كلها : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٧٩-٨٠].

فسبحان الحكيم الذي أحكم الأمور بما يبهر العقول من عجائب المخلوقات، وحسن التدبيرات ،وحكَم المخلوقات ، وقهر الكائنات : ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾ [الفتح/ ٧].

وما كان من السفه من بعض الخلق وقول الزور والبهتان والاستهزاء بالله وآياته ورسله ورد الحق ونحو ذلك مما خالف الحكمة فهو سبحانه الحكيم في كل ذلك ، عَلِمه وقدَّره وأذن بوقوعه ، ثم أظهره من فاعلين له ، وأراد وقوعه منهم ، وهم الموصوفون به بفعلهم له ، ومحبتهم له ، فيجزون عليه جزاء مثله حقاً وعدلاً : ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٢٣ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۝١٢٤﴾ [النساء/ ١٢٣-١٢٤].

فكل فعل منوط بفاعله ، والفعل يضاف إلى فاعله لا إلى العالم به القادر عليه مع كونه غير واقع منه ولا محب له ولا راض عنه : ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٢٨ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٠﴾ [الأعراف/ ٢٨-٣٠].

بل الرب ﷻ يحب الإيمان والطاعات ، ويسخط الكفر والفساد ويكرهه ، ولا يحبه ولا يرضاه: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧﴾ [الزمر/ ٧].

واعلم أن الله ﷻ له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وأفعاله كلها حق وعدل ورحمة وحكمة وإحسان ، وهو المحمود على كل ذلك : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [سبأ/ ١-٢].

هو الملك الذي يغضب ويرضى.. ويحب ويكره.. ويعفو وينتقم.. ويثيب ويعاقب ؛ لأنه الحكيم الذي يغضب على من عصاه، ويرضى على من أطاعه، ويحب المؤمنين، ويكره الكافرين، ويرحم المسترحمين، ويبطش بمن أسخطه : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

﴿وَٱلۡأَرۡضِۚ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤٠﴾ [المائدة/ ٤٠].

وفعله ذلك كله حكمة ورحمة وإليه يرجع الأمر كله وهو الحكيم الخبير : ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨﴾ [التين/ ٧-٨] .

ولهذا خلق الله إبليس أعاذنا الله منه ، وأمر الملائكة بالسجود لآدم ﷺ ، فسجد الملائكة امتثالاً لأمر ربهم فنجوا، واستكبر إبليس عن السجود فهلك.

ثم سأل إبليس ربه النظرة فأمهله وأقطعه وذريته كل عمل ليس بصالح وكل ما هو بخلاف الحكمة، وما في ظهوره سفه في حق مَنْ فَعَله من الكفر والشرك والمعاصي لإتمام كلمته فيهم ، وإقامة عدله عليهم: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة/ ٣٤].

فلما طرده الله ولعنه وأنظره عزم على إغواء آدم ﷺ وذريته: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ١٥ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨﴾ [الأعراف/ ١٥ – ١٨] .

وما زال الشيطان يكيد لبني آدم حتى اتبعه أكثرهم: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠﴾ [سبأ/ ٢٠] .

فإبليس وذريته أهل الابتلاء والمحنة لبني آدم، وقد أمرنا الله بعداوته، وحذرنا من طاعته بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر/ ٦].

فسبحان من خلق خلقاً للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم إليها يصيرون، وخلق خلقاً للنار وبعمل أهل النار يعملون ثم إليها يصيرون.

والله أعلم حيث يجعل رسالته ، ومن يستحق ثوابه وعقابه: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك/ ١٤] .

فسبحان من أظهر بالإيمان فضله ، وأظهر بالكفر عدله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ

﴿حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا ٤٠﴾ [النساء/ ٤٠].

واعلم رحمك الله أن الله خلق الجنة والنار، وكل بني آدم مقسومون على الدارين كما في قبضتيه الكريمتين كما قال ﷺ : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَبَضَ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ ، وَقَالَ : هَذِهِ لِهَذِهِ ، وَلَا أُبَالِي ، وَقَبَضَ قَبْضَةً أُخْرَى بِيَدِهِ الْأُخْرَى جَلَّ وَعَلَا ، فَقَالَ : هَذِهِ لِهَذِهِ ، وَلَا أُبَالِي » أخرجه أحمد [1].

فلابد إذاً من طريقين ، أَمَر الله بأحدهما ونهى عن الآخر ، وإذا كان كذلك فلابد للناس من طاعة وعصيان ، والطاعة حكمة ظاهرها وباطنها، والمعصية ظاهرها سفه وباطنها حكمة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل/ ٩٠].

واعلم أن كل ما في العالم من خلق وأمر وحال لابد من وجوده، والله يمحو منه ما يشاء ويُـثبت ، وهـو الحكـيم العلـيم : ﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ٣٨ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾ [الرعد/ ٣٨-٣٩].

فلو نقص سَفَه السفهاء من العالم لغلب على الظن أن فاعله كأحد المطبوعات مثل النار لا توجد إلا محرقة ، وكالثلج لا يوجد إلا مبرداً ، وكالثقيل يسفل، ولم تتم الحكمة من الخلق ، ولم يحصل التمييز بين الحق والباطل ، وبين الطاعات والمعاصي.

فسبحان الحكيم العليم الذي أوجد الشيء وضده، وخلق الزوج وزوجه، وخلق كل شيء فقدره تقديراً، ثـم قدم وأخر، ورفع وخفض، وأعزَّ وأذل ؛ ليظهر لعباده قدرته في خلقه، وحكمتـــه في أمـــره: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٤٩ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات/ ٤٩-٥١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » أخرجه مسلم [2].

وسبحان من له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وبحكمته قدَّر لمقتضى تلك الأسماء

---

(١) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (١٧٥٩٣) .

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٧٤٩) .

والصفات أعمالاً ، وخلق لها عاملِين ، ثم استعملهم فيها بعد أن بين لهم وخيَّرهم.

وقد سبق الكتاب بكل خلق وعمل، ثم يُلحق العاملين بخواتيم أعمالهم فيهدي سبحانه هذا ويضل هذا ، وينعم على هذا ويبتلي هذا ، ويحفظ هذا ويفتن هذا، ثم الأعمال بالخواتيم: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء / ٣٥] .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ » متفق عليه [١].

والله عز وجل حكيم عليم أوجد الخير كله بنفسه لنفسه ، وأحبه ورضيه من عباده، ووعد عليه الجنة ، وأوجد الشر كله بقدرته لا لنفسه، بل بحكمته ومشيئته : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن/ ١١] .

فاتصف سبحانه بما أوجده بنفسه لنفسه، وتنزه عما لم يخلقه لنفسه من الكفر والمعاصي، وتوعد العاملين به بالنار.

فمن وفقه الله لما تسمى به واتصف به سماه الله به ، ووصفه به ، وسماه بأسماء طيبة من أسمائه ومدحه وأكرمه وأوصله إليه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

ومن أَتْبع نفسه وعمله ما تنزه عنه ربه ورضيه اسماً ووصفاً لنفسه انقطع وَصْله ، وضل عن ربه ، وخالف سبيله ، فكان في الذلة والخسران: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد/ ٢٥].

فلا إله إلا الله ما أجهلنا بحكمة أحكم الحاكمين، وما أظلمنا لأنفسنا من بين العالمين، فنستغفر الله ونتوب إليه من الجهل والتقصير : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٤٢٠٢) ، ومسلم برقم (١١٢) .

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد/ ١٩-٢١].

واعلم أن الله هو الخالق القادر الحكيم الذي خلق آدم ﷺ بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلَّمه الأسماء كلها، وأسجد له ملائكته، وغرز فيه وفي ذريته معرفته وتعظيمه حين أحضرهم جميعاً صوراً في الهواء كالهباء، وأخذ عليهم الميثاق، وشهدوا له بالربوبية، ثم ردهم في غيبه على ما سبق في علمه.

ثم استخرجهم بعد ذلك من ظهر أبيهم آدم ﷺ كالذر فأقروا له بالربوبية، وشهدوا على أنفسهم بذلك كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٢-١٧٣].

ثم ردهم سبحانه إلى صلب أبيهم فكانت هذه أظهر من تلك.

ثم أخرجهم بعد ذلك منه نسلاً بعد نسل إلى هذه الحياة الدنيا، ومن صُلب إلى صُلب على مر القرون، واستعملهم بدينه بأمره ونهيه، فكانت هذه الحياة أظهر كثيراً من الأُولين.

ثم يميتهم بعد هذه الحياة الدنيا، وموتهم بعد هذه الحياة أقرب إلى الحياة من الموتة التي كانت قبلها، حين ردهم إلى صلب أبيهم آدم ﷺ.

فهم في هذه الموتة يحسون بعذاب القبر ونعيمه، ويُعرَضون على منازلهم في الجنة أو النار، بل منهم أحياء وهم الأنبياء والشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٩-١٧٠].

وحياة البعث المستقبلة أتم وأكمل وأبقى من حياتنا اليوم، والناس فيها فريقان: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى/ ٧].

فإذا كان يوم القيامة بعث الله الموتى من قبورهم للحياة الدائمة الكبرى، وشهدت الشواهد، ونطقت الصوامت، وحق الحق، وحان الحساب: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ

لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨)﴾ [التغابن/ ٧-٨] .

ويوم القيامة ميقات الفصل بين الخلائق : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

فسبحان الملك الحق الذي يحكم بين عباده بالحق ، العلي العظيم في خلقه وأمره، وحكمه وعدله ، وبره ورحمته ، وكبريائه وعظمته ، وأسمائه وصفاته.

واعلم رحمك الله أن سنة الله في الخلق بالتدريج كما خلق آدم ﷺ وغيره من الجماد والنبات والحيوان كالسنة في تنفيذ الأمر النازل من فوق العرش من الرحمن، حين يُنَزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ، فتدور به دوائر التنفيذ على سنته الجارية في الإيجاد والخلق : ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)﴾ [فصلت/ ٩-١٢].

فربَّ أمر يومه خمسون ألف سنة .. وربَّ أمر يومه ألف سنة .. وربَّ أمر يومه سنة.. وربَّ أمر يومه شهر.. وربَّ أمر حصل بأسرع من طرفة عين: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٥١) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ (٥٣)﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

فالله ﷻ له سنة جارية في خلقه وأمره، وله قدرة خارقة يفعلها إذا شاء ؛ ليرفع الأبصار والبصائر من المخلوق إلى الخالق ، ومن الصور إلى المصور : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)﴾ [يس/ ٨٢-٨٣] .

فسبحان الملك الحق ، رب العرش العظيم، الكريم الذي يعامل عباده معاملة الأكفياء ، ويثيبهم ثواب الممتنين عليه ، يجزي بالسيئة مثلها أو يعفو عنها ، ويجزي بالحسنة عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف مضاعفة لا يعلمها إلا هو: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [التغابن/ ١٧-١٨].

فما أغناه وما أكرمه ، إنه يشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وهم له عبيد ، ويعطيهم بها الجنة ، ويثمنهم برضاهم عنه رضوانه عليهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة/ ١١١].

وكما يعاقب على ما لو شاء لَعَصم منه ، كذلك يثيب على ما إليه هدى ، وهو الحكيم العليم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [غافر/ ٦١-٦٢] .

فسبحان الله وبحمده الذي عدل فيما بينه وبين عبيده.

فأوجد خلقاً من خلقه في سماواته وأرضه يوحدونه ويطيعونه ، ويسبحونه ويحمدونه بمحامده التي هو أهل لها.

وأوجد الحكيم أيضاً خلقاً من خلقه في أرضه يكفرون به ، ويكذبون عليه ، ويعصون رسله، ويصفونه بما لا يليق بجلاله، وهو مع ذلك يعافيهم ويرزقهم.

بل تراه ﷻ ينتقم لعباده في الدنيا بعضهم من بعض بنصر المظلوم وإهلاك الظالم أكثر مما ينتقم لنفسه ممن أشرك به وعصى أمره ، وربما عجل الانتقام لنفسه كما أخذ الأمم السابقة بذنوبهم لما كفروا : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

وربما أخَّر المظالم إلى يوم القيامة فينتقم لنفسه ولعباده هناك: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٤٢].

وربما وضع انتقامه في بعض المواطن ، وعفا لعباده عنه، ولا يترك مظالم العباد فيما بينهم ، وهذا كله من فضله ، وسَبْق رحمته غضبه : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لمَّا خَلَقَ الله الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ : إِنَّ رَحمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي » متفق عليه [1].

فانظر رحمك الله إلى عدل ربك ، وحسن معاملته ، وكريم عفوه ، ولطيف تدبيره ، وسعة رحمته ، وعظيم إحسانه : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٥-٨].

فسبحان الملك الحق الذي ملأت كل شيء عظمته ،وقهرت كل شيء عزته، وأحاطت بكل شيء قدرته ، وأحصى كل شيء علمه ، وبلغ كل شيء لطفه ، ووسعت كل شيء رحمته: ﴿ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ [غافر/ ٧-٨].

الخلق كلهم عبيد له، وهم جميعاً في قبضته، وحياتهم وموتهم بيده، وكلهم يعيشون في عز ملكه، وقهر سلطانه ، وسعة رحمته ، وسابغ نعمه : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك/ ١-٢].

فما أحكمه ، وما أكرمه ، وما أرحمه بعباده ، لا إله غيره ، ولا رب سواه.

لا إله إلا الله كيف ينكره مَنْ جَبله على معرفته ، وأشهده على ربوبيته ، وكيف يكابره من قد قهره بملكه وسلطانه ، وكيف يعجزه من ناصيته بيده ، وكيف يستنكف عن عبادته مَنْ هو عبْده ومُلْكه ويأكل من رزقه : ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد/ ١٦-١٧].

وكيف يَعبد مَنْ دونه مَن بقاؤه وفناؤه بيده من الأحجار والأشجار وغيرها : ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٢) ومسلم برقم (٢٧١٥) واللفظ له .

﴿ ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج / ٤٦] .

فسبحان الملك العظيم الذي عالَمَ السموات والأرض وعالم الليل والنهار وعالَم الدنيا والآخرة ، شعبة من سلطانه ، وخزائن السموات والأرض شعبة من نعمه التي لا تعد ولا تحـص : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

لم يخلق الحكيم العليم شيئاً مما خلق لحاجة به إليه ، وإنما خلقه ليبين به كمال علمه وقدرته ، وليعرِّف الناظرين بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ولتدين الخلائق كلها لعزته ، ولتعنوا الوجوه كلها لوجهه ، ولتسبح النفوس بحمده: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق / ١٢] .

فسبحان الملك الحكيم الرشيد في خلقه وأمره وأقواله وأفعاله ، الرشيد العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته .

هو الحكيم الرشيد الذي أرشد عباده إلى مصالحهم ، وأرشدهم إلى سبل السلام ، فأرشدهم إليه ، وأرشدهم إلى دينه ، وأرشدهم إلى محبته ، وأرشدهم إلى قدرته ، وأرشدهم إلى عظمته : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

هو الحكيم الرشيد الذي أرشد الخلائق إلى هدايته ، الذي أرشد أولياءه إليه ، الذي ألهم أهل الرشد إلى طاعته : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات/ ١٧].

واعلم أن الإنسان يكون رشيداً بقدر اتصاله بالله ؛ لأن اتصاله بالله يكسبه نوراً وأمناً وقوة ورحمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد/ ٢٨].

ومن كان مع الله فلن يضل أبداً ، ومن كان مع غير الله فلن يهتدي أبداً : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الكهف/ ١٧].

فكن مع ربك الحكيم الرشيد الهادي إلى كل خير ، واسأله من فضله فلن تضل ولن تزيغ : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

- **التعبد لله ﷻ باسمه الحكيم:**

اعلم رحمك الله أن أسعد الناس من آمن بالله ورضي بحكم أحكم الحاكمين وسلَّم لأمر رب العالمين ، واستقام على التوحيد والدين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت/ ٣٠-٣٢].

والله سبحانه هو الحكيم الذي له الحكمة التامة ، الحَكم الذي لا أحد أحكم منه ، الحاكم الذي يملك خزائن الحكمة ، الكريم الذي وهب الحكمة لكل حكيم ، وكل حكمة وأحكام في العالم فمن آثار حكمته وحُكمه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية / ٣٦ – ٣٧] .

واعلم رحمك الله أن الحكمة أجَلّ شيء يكرم الله به عبده .

والحكمة من حيث العلم : هي معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة دينه وشرعه . والحكمة من حيث الفعل : هي جَمْع الأضداد وقرن المتعاصيات بحسن التدبير.

وأصل الحكمة : إصابة الصواب ، وموافقة الحق ، والعدل في القول والعمل.

والحكيم مَنْ وضع الشيء في موضعه ، وتزكى بالإيمان والتقوى ، وسلك باليسرى منه مسلك اليمنى ، وزَمّ العسرى باليسرى ، وقدَّم الأحسن على الحسن : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾[لقمان/ ١٢].

فاجتهد رحمك الله في طلب الحكمة ، فهي الجوهرة العظمى ، والهبة السَّنِيَّة العليا ، وتَعَرُّفها حق واجب على أولي الألباب ، وفرض لازم على من رغب في حسن الزلفى إلى ربه ،

وحسن المآب : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

والحكمة إصابة الحق ، والحق كل ما وافق الشرع والعقل.

والله ﷻ هو الحكيم الذي لا أحكم منه ، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه .

والحكمة التامة وضع الشيء المناسب ، في المكان المناسب ، في الوقت المناسب ، بالقدر المناسب ، بالأسلوب المناسب ، للشخص المناسب.

وحكمة البشر فضل من حكمة الله وعطاء من الحكيم : ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

والله حكيم خبير يعطي الملك والمال من يحب كسليمان ﷺ وعثمان رضي الله عنه ، ومن لا يحب كفرعون وقارون ، ولكنه لا يعطي الإيمان والعلم والحكمة إلا من يحب كما قال عن يوسف ﷺ : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يوسف/ ٢٢].

واعلم أن الأحمق من كافر وغيره مقطوع عن الحكيم ، والندم يرافق الحمق ، ومن اتصل بالحكيم آتاه الحكمة ، وحفظه من الحمق .

ومن افتقر إلى ربه صادقاً ألهمه الحكمة وسداد القول والعمل ، ومن اعتد برأيه تخلى عن ربه فوقع في الشر وانفرد به الشيطان فأرداه ، ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً وصاحباً : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

واعلم أن الله إذا أعطى الإنسان صحة وسعة في المال والولد فلا يظن أن الله يحبه ، وإذا كانت صحته معلولة وهو فقير فلا يظن أن الله لا يحبه ، بل الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ابتلاء ، ولكنه لا يعطي الدين إلا من يحب : ﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الفجر/ ١٥-١٨].

فليس العطاء من الله إكراماً ، وليس كذلك حرماناً ، بل العطاء ابتلاء ، والمنع دواء : ﴿ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾ [الشورى/ ١٢].

فسبحان الحكيم العليم بكل شيء ، الذي يعطي عباده ما ينفعهم ويمنع عنهم ما يضرهم أحياناً

بالأسباب ، وأحياناً بدون الأسباب ، وأحياناً بضد الأسباب.

واعلم أن الله سبحانه هو المعطي وهو المانع وحده لا شريك له فلا تلتفت إلى غيره ، ولا تتعلق إلا به وحده : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن/ ١٣].

والمخلوق إذا أعطى فهو معطٍ صوري ، وإذا منع فهو مانع صوري ، والذي يعطي ويمنع حقيقة هو الله وحده ، وهو المحمود على عطائه ومنعه ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر/ ٢].

ومن أراد الله به خيراً آتاه الحكمة التي تُذهب الشك وتُجلِّي الرَّيب ، ويَعرف بها العبد الحق من الباطل ، والخير من الشر ، والهدى من الضلال .

والحكمة الحق هي معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهي أصل الفضائل والخيرات والمعارف ، وتلك جوهرة ثمينة يخص الله بها من يزكو بها ممن يشاء من عباده: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

وبالحكمة يزداد النور في القلب، ويصح الإيمان، ويحصل اليقين ، ويكمل العلم ، ويتم السرور ، وتحصل حلاوة الطاعة ، ولذة العبادة .

فاستوفز نفسك في طلبها ، وخذ منها حظك ، واستجزل من أقسامها قَسْمك: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

واعلم أسعدك الله في الدارين أن مِنْ حكمة مَنْ يحكم العالمين أن يخص منهم من شاء بما شاء ، ويقلب أحوالهم كما شاء :

فسراء وضراء.. وشدة ورخاء .. وسلم وحرب.. وأمن وخوف.. وقوة وضعف .. وعافية وبلاء .. وصحة ومرض .. وغنى وفقر.. وخصب وجدب.

يفعل الحكيم سبحانه ذلك كله ليربيهم لا ليعذبهم ، ولا لزيادة أدب أو إسراف في نَصَب أو تعذيب أو انتقام ، بل ليعرِّفهم الحكيم الحق بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، ليعبدوه ويسألوه وحده بمقتضى تلك الأسماء والصفات ، وبذلك يصفو لهم توحيدهم وإيمانهم.

واعلم رحمك الله أن الأحوال بيد الله ، والأعمال بيد الإنسان.

وثبات الأحوال في الدنيا محال ، والعزة بالأعمال لا بالأحوال.

وثبات الأعمال بيد الإنسان ، وثبات الأحوال للإنسان في الآخرة لا في الدنيا : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ/ ٣٧].

فسبحان الرحيم الذي يملك الرحمة ، ويحب من يسألها ، ويحب من اتصف بها ، ويحب من رحم بها ، وهو الرزاق الذي يملك الرزق ، ويحب من يطلبه ، ويحب من ينفقه ، الشافي الذي يملك الشفاء ، ويحب من يسأله .

وهو سبحانه المؤمن الذي يملك الأمن ، ويحب من يسأله ، ويحب من ينشره : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فيا سعادة من كان في الليل مع الحكيم يسأله من فضله ، ويحمده على نعمه ، ويستغفره من ذنبه ، وفي النهار ينشر أحكامه بين خلقه ، ويدلهم عليه بما عرفه من أسمائه وصفاته عنه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].
فاجتهد في توحيد ربك بأسمائه وصفاته، وتعبَّد لله بمقتضاها، وادعه بها تكن ربانياً.

فهو التواب الذي يحب التوبة ويحب التائبين ، المحسن الذي يحب الإحسان ويحب المحسنين ، الكريم الذي يحب الكرم وكل كريم ، المؤمن الذي يحب الإيمان ويحب المؤمنين : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وإياك والتواني في الأمر، والتفريط في العمل، وترك ما يحب الرب.

أسأل الله الكريم الذي لا يخيب مؤمِّله، ولا يُحْرم سائله، ، ولا يَقطع رجاء من رجاه ، أن يعيننا وإياك على ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وأن يغفر ذنوبنا ، وأن يعصمنا جميعاً من الشرور والفتن، والتسويف والكسل : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

وأسأله أن لا يجعلنا ممن مَلكه الطمع، واستهواه الجبن، وأرداه الهوى، وأغواه الشيطان، وحيَّره العمى، فخسر الدنيا والآخرة: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦ ﴾ [البقرة/ ١٦].

فاتق الله بما أسداه إليك من النعم وعلمك ما لم تكن تعلم ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣ ﴾ [النساء/ ١١٣].

فإذا آتاك الحكيم الحُكم والحكمة ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ ﴾ [ص/ ٢٦].

واصرف أوقاتك وأموالك وأنفاسك في مرضاة مَنْ أنعم بها عليك، وأعط كل ذي حق حقه، فلك حقوق وعليك حقوق.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «إِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» متفق عليه [(١)].

وأحكِم جميع أمورك فيما بينك وبين الله، وفيما بينك وبين خلق الله، وسارع إلى الخيرات، وسابق في الفضائل والطاعات، تسبق إلى أعالي الجنات: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ ﴾ [الحديد/ ٢١].

وافعل الخير وعلِّمه، ودل الناس عليه، ورغِّبهم فيه، وابدأ بأهلك وعشيرتك وجيرانك: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾ [لقمان/ ١٧].

واحذر تمام الحذر عدوك من الأخلاق السيئة، وعدوك من شياطين الإنس والجن، وعدوك من الأعمال المحرمة والخبيثة، واعتصم بالله وحده يكفيك شرهم وقل: ﴿ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩ ﴾ [التوبة/ ١٢٩].

وتوجه إلى ربك الصمد في جميع أمورك، فهو الحاكم في خلقه وحده خلقاً وتدبيراً، قضاءً

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٩٧٥) واللفظ له، ومسلم برقم (١١٥٩).

وقدراً، وهو الحاكم فيهم بأمره ونهيه، وثوابه وعقابه: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

وإذا حكمت بين الناس فاحكم بالعدل، وإياك والجور واتباع الهوى فتضل وتشقى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء/ ٦٥].

وتدبر كتاب ربك الحكيم، وقرآنه العظيم، فهو كتابه الكريم في بركاته، الحكيم في أسلوبه، الحكيم في بيانه، الحكيم في تشريعه وأحكامه، الحكيم في وعده ووعيده: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود/ ١].

فتعلَّمه وعلِّمه واعمل به تكن من الربانيين: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

« للَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السموات وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تحكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يخْتَلِفُونَ، اهْدِني لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحْقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » أخرجه مسلم[1].

يا من بيده ملكوت كل شيء، يا أحكم الحاكمين، يا خير الرازقين، يا رب العالمين، اغفر لنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً، وقلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً، وعملاً صالحاً، وحلالاً طيباً، ونسألك الفوز بالجنة، والنجاة من النار، يا ولي الصالحين.

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا يا أرحم الراحمين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧٠).

الشكور.. الشاكر

قـال الله تعـالى: ﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [التغابن / ١٧] .

وقـال الله تعـالى: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء/ ١٤٧].

الله ﷻ هو الشكور الحق، عظيم الكرم، جزيل العطاء، كثير المكافأة، الذي يعطي الثواب الكثير علـى العمـل القليـل: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

وهو سبحانه الشكور الذي يشكر اليسير من الطاعة ويثيب عليه الكثير من الثواب، ويعطي الجزيل من النعم ويرضى باليسير من الشكر.

وهو سبحانه الشكور الذي يقبل اليسير الذي لا ينفعه من الطاعة، ويعطي العظيم الذي ينتفع به كل من أطاعه: ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت / ٦] .

وهو الشكور الذي يعطي من آمن به وأطاعه عطاء لا نهاية له ولا حد له : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٧].

فسبحان الرب الشكور الذي يعطي قبل السؤال ، ويعطي على قدر شأنه لا على قدر العمل والسؤال ، ويعطي على العمل القليل الثواب الجزيل ، ويقبل اليسير من العمل والطاعات ويعطي الكثير من الحسنات والدرجات : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٧].

وهو سبحانه الشاكر الحق الذي يشكر لعباده إيمانهم وأعمالهم الصالحة، فيقبلها على ما فيها من نقص، ويشكرها لهم ويثيبهم عليها بأحسن ما كانوا يعملون، ويضاعف لهم الحسنات، ويعفو عن السيئات: ﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [التغابن/ ١٧].

وهو سبحانه الشاكر الذي يشكر القليل من العمل ، ويغفر الكثير من الزلل، ويشكر الشاكرين، ويذكر مَنْ ذكره ، ويزيد مَن شكَره ، ويرحم من استرحمه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر/ ٢٩-٣٠].

ومن عظيم شكر الله لعباده وفضله عليهم أنه يضاعف لهم ثواب جميع الأعمال الصالحة أضعافاً كثيرة: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٤٥] .

أما السيئات فإن الحليم الرحيم يكتبها واحدة كما هي ولا تضاعف ، ويمحوها بالتوبة والاستغفار ، ثم يبدلها حسنات ، ثم يضاعفها ؛ لأنه وحده الغفور الشكور.

ومن كفر بالله ، أوفعل الكبائر من قتل أو زنى ثم مات ولم يتب ضاعف له العذاب يوم القيامة بحسب كثرة ذنوبه: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان/ ٦٨ -٧٠].

واعلم رحمك الله أن جميع النعم التي يتنعم بها الخلق من رزق وعافية وأمن وسرور وأهل ومال وولد كلها من رب العالمين وحده لا شريك له: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل/ ٥٣] .

وواجب جميع الخلق أن يشكروا ربهم على كل نعمة باستعمالها في طاعته ، والتقرب بها إليه ، فإنْ كفروها ولم يشكروها تعرضوا لعقابه وعذابه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٧].

والله سبحانه هو الشاكر الذي يمدح من يطيعه ويثني عليه ، ويثيبه على طاعته ، ويزيده من فضله ونعمه في الدنيا والآخرة ، ويرضى عنه ويرضيه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة/ ١٠٠].

والله سبحانه شكور يشكر لعباده حسن الأداء والعمل ، أفلا يشكرون له حُسْن الكرم والعطاء: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر/ ٦١].

فسبحان الرب الشكور الذي له الحمد كله، وله الشكر كله ، وبيده الخير كله.

هو الشاكر الذي لا أحد أشكر منه، الشكور الذي يملك خزائن النعم والرحمة والهداية ، ويشكر بها من أطاعه، ويثيبه عليها في الدنيا والآخرة، الشكور الذي يحب عباده ويرحمهم ، ولا يحب عقابهم: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء/ ١٤٧].

والعابد حقاً من أدى عبودية الشكر لربه في كل حال ؛ لما يرى من عظمة جلاله ، وعظيم خلقه وآلائه ، وكريم عطائه وإحسانه : ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

فسبحان الكريم الذي أكرم عباده بكل شيء ، وأعطاهم كل شيء ، ورزقهم من فضله ، وأطعمهم من رزقه ، وأسكنهم في أرضه ، وأكمل لهم دينه ، وأنعم عليهم بنعمه التي لا تعد ولا تحصى ، وسخر لهم ما في السموات وما في الأرض: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ما أعظم نعمه على عباده ، وما أعظم شكره لمن أطاعه ، وما أحلمه على من عصاه: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

والله ﷻ غني كريم ، استقرض عباده القليل مما أعطاهم لنفع أنفسهم ومواساة بعضهم، ثم ضاعف لهم ثوابه أضعافاً كثيرة، وخبأه لهم إلى يوم فقرهم الذي ينسون به كل فقر؛ لأنه الغفور الشكور: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةًۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٤٥] .

فسبحان الرب الشكور الشاكر لعباده ، الذي لا يضيع عنده عمل عامل، بل يضاعف الأجر بلا حسبان، الملك الحق الذي يشكر الشاكرين، ويذكر الذاكرين، ويتقرب إلى المتقربين: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٤٥].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » متفق عليه [(١)].

والشكور سبحانه إذا بذل العبد شيئاً من أجله رده عليه أضعافاً مضاعفة، وهو الذي أنعم به عليه، وأعانه على إنفاقه في سبيل مرضاته.

وإذا ترك العبدشيئاً من أجله أعطاه أفضل منه ، واستعمله في طاعته : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

فسبحان الحكيم العليم الكريم الذي أنعم على عباده بكل نعمة، ووفقهم للبذل والترك من أجله، وشكرهم وأثابهم على هذا وذاك.

فمن جاء بالحسنة فله من ربه عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٦١].

ويجزي الشكور على الإيمان والعمل القليل جنات النعيم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف/ ١٠٧ -١٠٨].

ومن ترك الكفر والشرك والمعاصي عوضه الكريم بالتوحيد والإيمان والعمل الصالح الذي به سعادته في الدنيا والآخرة.

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

فحين بذل رسل الله وأولياؤه أنفسهم وأموالهم في سبيله أعاضهم الله بأن حبب إليهم الإيمان ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، وصلى هو عليهم وملائكته ، وجعل لهم أطيب الثناء في السماء والأرض: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

وحين ترك رسله وأولياؤه ديارهم وأموالهم وخرجوا منها ابتغاء مرضاة الله أعاضهم عنها أنْ فتح لهم البلاد ، وملَّكهم الدنيا، وجعلهم خلفاء الأرض: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور/ ٥٥] .

فسبحان الله ما أصدق وعده، وما أعظم شكره لمن أطاعه ، وما أسرع إجابته ونَصْره لمن دعاه وأطاعه وتاب إليه : ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود/ ٦١].

والله سبحانه هو الشكور الذي يشكر العبد المؤمن على إحسانه لنفسه بعظيم الثواب، ويجازي عدوه بما يفعله من الخير بالإحسان إليه في الدنيا، ويخفف عنه العذاب في الآخرة بما عمله من الخير وهو أبغض خلقه إليه: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء/ ١٨].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ الله لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ ، وَأَمَّاالْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لله فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمَ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا» أخرجه مسلم [1].

ومِنْ شُكره سبحانه أنه يُخرج المؤمن من النار بأدنى مثقال ذرة من خير.

ومِنْ شُكره سبحانه أنه في الآخرة يعطي أقل المؤمنين إيماناً وعملاً مثل هذه الدنيا عشر مرات.

ومِنْ شُكره سبحانه أن العبد المؤمن من عباده يقوم له مقاماً يرضيه بين الناس فيشكره له ،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٠٨) .

وينوِّه بذكره بين ملائكته وعباده كما شكر لصاحب يس حين قال: ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ۝٢٥ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٧ ﴾ [يس/ ٢٥ –٢٧].

فسبحانه من رب غفور شكور يعطي من خزائنه ما يُصلح عباده، ويرغِّبهم في العطاء لغيره، ثم يضاعف أجر المعطي ؛ لأنه كريم شكور، العطاء أحب إليه من المنع، شكور يغفر الكثير من الزلل، ويشكر القليل من العمل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ۝٦٠﴾ [يونس/ ٦٠].

• التعبد لله ﷻ باسمه الشكور :

اعلم وفقك الله لحسن عبادته أن أحب خلق الله إليه من اتصف بموجب صفاته، وأبغضهم إليه من اتصف بضدها.

ولهذا يحب الله العبد المؤمن الكريم ، المحسن الشكور ، الرحيم الغفور ، ويبغض العبد الكافر البخيل ، الظالم الفاسد ، المجرم الخائن .

ولما كان الله هو الشكور الحق كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، وأبغض خلقه إليه من عطلها ، واتصف بضدها ، وهكذا الشأن في جميع أسماء الله الحسنى .

فهو سبحانه مؤمن يحب المؤمنين.. شكور يحب الشاكرين .. رحمن يحب الراحمين.. عفو يحب العافين.. جميل يحب أهل الجمال .. كريم يحب أهل الكرم : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠].
ويبغض سبحانه الكافرين والمشركين ، والخائنين والحاسدين وغيرهم مما يتنافى مع مقتضى أسمائه الحسنى، وصفاته العلى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ۝٣٨﴾ [الحج/ ٣٨].

والتعبد لله بهذا الاسم الكريم يكون بدوام شكر الله على نعمه التي ابتدأها، والنعم التي يجددها، وذلك باستعمالها في طاعته، والعمل بما يرضيه، واجتناب ما يسخطه : ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ۝٧﴾ [إبراهيم/ ٧].

والله ﷻ شكور يحب الشاكرين ، ولهذا أكرم جميع بني آدم بأصناف النعم ليشكروه : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وخَلَق الله الإنسان في أحسن تقويم ، وزوَّده بالأعضاء الظاهرة والباطنة كالسمع والبصر ، والعقل والقلب وغيرها ؛ ليتذكر هذه النعم ، ويشكر من أنعم عليه بها: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨].

فكن من الذاكرين الشاكرين، وقم بذكر ربك وشكره دوماً بلسانك وقلبك وجوارحك يذكرك ربك، ويزيدك من فضله، ويسعدك في الدنيا والآخرة : ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة/ ١٥١-١٥٢] .

واذكر ربك كثيراً، وسبح بحمده كثيراً ، واشكره كثيراً ، وكبره تكبيراً : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣] .

واحمد ربك العظيم حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده على كل خَلقٍ خَلَقه ، وعلى كل أمر أَمَره ، وعلى كل رزق يرزقه، وعلى كل نعمة أنعم بها، وعلى كل بلية دفعها : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧] .

واعلم أن أكثر الناس عن شكر هذه النعم غافلون، وهم في نعم الله غارقون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر/ ٦١].

واعلم أنه لا يحلو الليل إلا بمناجاة الكريم الشكور ، ولا يحلوا النهار إلا بخدمة العباد والإحسان إليهم ، فكن بالليل مع الشكور ، واشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، وكن في النهار مع الخلق ، أحسِن إليهم وذكِّرهم بشكر ربهم ، واشكر لهم إحسانهم.

واعلم أنه إذا جاء للإنسان خير مباشر فإنما ساقه إليه ربه ، فليشكر ربه على ما خصه به من هذا الخير وليقل : ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل/ ٤٠].

أما إذا جاء إليه الخير من إنسان فيجب عليه أن يشكر الله أولاً ، لأنه هو الذي خلق هذا الخير ، وخلق من جاء به ، وألهمه وسمح له ومكنه أن يوصله إليك ، ثم تشكر من أجرى الله الخير والنعمة على يديه ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النحل/ ٥٣-٥٥].

واعلم أن الله شكور يحب الشاكرين ، ومن تجاوز النعمة إلى المنعم فهو الشكور الذي يشكر ربه على نعمه ، ويسدي خيره الى خلقه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [لقمان/ ١٢].

فسبحان الرب الشكور الذي خلقنا وهدانا وأمدنا بالنعم وخلق لنا ما نشكره عليه ، وخلق فينا ما نشكره به : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٠].

فاستقم كما أمرت ، واشكر مولاك على ما أعطاك من نعمه ، وأحسن الى الخلق كما أحسن الله إليك ، وهذه هي حقيقة العبودية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١٧٢].

وقد غر الشيطان أكثر الخلق فأعرضوا عن ربهم ، وجعلوا لله أنداداً ، ونسبوا لها الضر والنفع ، وتصريف الأرزاق ، وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، فعبدوا الشيطان وأولياءه من دون الله مع ظهور البرهان للبصير والأعمى : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[العنكبوت/ ١٧] .

فلا إله إلا الله كم أضل الشيطان من الخلق ، وكم غرَّ منهم وصرَفهم لعبادته من دون الله : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[سبأ/ ٢٠] .

فاشكر ربك بحسن عبادته ، ولزوم طاعته، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، والصبر على ما يأتيك من الأذى في سبيله ، فلن ينجيك من العذاب والخسار إلا ذلك : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي

خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر / ١ –٣].

واعبد ربك بما يحبه ويرضاه لا بما تحبه وتهواه ، ولا تشتغل عنه بنعمه ، ولا تبع هداه بهواك : ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر / ٦٦] .

﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل / ١٩] .

﴿رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص / ١٧] .

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، أَنْتَ الحَقُّ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ الحَقُّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ .

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » متفق عليه [1].

يا من له خزائن السموات والأرض ، يا واسع العطاء ، يا سابغ النعم ، يا دافع النقم ، يا رب العالمين ، يا غفور يا شكور.

اللهم أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي ، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يا قوي يا عزيز.

اللهم لك الملك كله ، ومنك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، ولك الحمد كله ، ولك الشكر كله ، نسألك العفو والعافية ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩) .

الحليم

قــال الله تعــالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٣٥﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

الله ﷻ هو الملك الغني الحليم الذي يُدِرّ على خلقه صنوف النعم الظاهرة والباطنة مع كثرة معاصيهم، وتكرار زلاتهم؛ لأنه الحليم الرحيم بعباده، يمهلهم كي يتوبوا وينيبوا، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وهو سبحانه الحليم ذو الصفح والأناة، الذي لا يَعْجل على من أذنب بالعقوبة، الحليم على من كفر به وأشرك من خلقه، يمهله ويرزقه كأنه لم يعصه لعله يتوب إلى ربه، ويستغفر من ذنبه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٣٥﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

هو سبحانه الحليم العظيم الذي وسع حلمه جميع خلقه.

هو الحليم الذي خزائن كل شيء عنده، ويعطي منها من شاء من خلقه في كل آن.

خزائن العلم، خزائن الرحمة، خزائن الأخلاق، خزائن الأموال، خزائن الأمن، خزائن الطعام، خزائن المعادن: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [الحجر/ ٢١].

هو الحليم الذي إذا أحب عبداً حبب إليه الإيمان، وأعانه على طاعته، وكرَّه إليه معصيته، وأعطاه خُلقاً حسناً: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ [الحجرات/ ٧-٨].

هو سبحانه الحليم الذي يمهل العاصي إذا عصاه، ويقبله إذا تاب إليه، فإن أصر على معصيته أخر العقاب عنه لعلمه بأنه لا يخرج عن ملكه، وأنه لا يضر إلا نفسه: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥﴾ [التوبة/ ٥٥].

فسبحان الحليم الذي يمهل ولا يهمل من عصاه: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢﴾ [إبراهيم/ ٤٢].

فاتق الله ولا يغرنك تقلب الكفار في نعيم الدنيا الجسدي مع حلم الله عليهم فسيعقبه عذاب أليم : ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٦-١٩٨].

وهو سبحانه الحكيم في تدبيره ، الحليم الذي يضع الأمور في مواضعها، ولا يؤخرها عن وقتها، ولا يُعجلها قبل أوانها: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

فسبحان الحليم الغفور الذي يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه وهو يَحْلم ويؤخر عنهم العقوبة لعلهم يتوبون ، ويستر على آخرين ويغفر، ويفرح أشد الفرح بتوبة التائبين ويحبهم : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر/ ٤٥].

وحلم الله ﷻ على الكفار والعصاة وتركه معاجلتهم بالعقوبة ليس لعجزه عنهم ، فإنه الله قوي لا يعجزه شيء، وإنما حلمه وعفوه عنهم رحمة بهم لعلهم يتوبون إليه : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء/ ٢٧].

وحلم الرب العلي الكبير ليس عن عدم علمه بما يعمل العباد، بل هو العليم الحليم الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور من خير وشر : ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ [الأحزاب/ ٥١].

وحلم الجبار ﷻ على العصاة ليس لحاجته إليهم ، أو عجزه عنهم ، بل هو الغني الذي يحلم عليهم ويصفح عنهم رحمة بهم مع استغنائه عنهم ، وشدة حاجتهم إليه : ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس/ ٦٨].

فسبحان الرب الحليم الذي يصبر على أذى خلقه ومعاصيهم ، الحليم الذي لا يحبس إحسانه وإنعامه وأرزاقه عن عباده لأجل ذنوبهم، ولكنه كريم رحيم يرزق العاصي كما يرزق المطيع، ويبقي الفاجر وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البَرّ التقي، وقد يقيه بل وقاه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره كما يقي الناسك الذي يؤمن به ويعبده : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ

﴿إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].

فسبحانه ما أوسع حلمه، وما أعظم رحمته بعباده : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥].

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لاَ أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ عز وجل إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ » متفق عليه [(١)].

واعلم أن الله حليم على عباده رؤوف بهم ، يؤخر العذاب عنهم رحمة بهم لعلهم يتوبون ، ولكن الناس يغترون بالإمهال وحلم الله عنهم فيزيدون في الإعراض والمعاصي : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

بل الأجلاف والجهال منهم يرفضون تلك الرحمة والإمهال ، ويسألون الله أن يعجل لهم العذاب والنقمة كما قال كفار قريش : ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال/ ٣٢].

فسبحان الله ، ما أظلم الإنسان لنفسه ، وما أجهله بربه ، وما أعظم حلم الله عليه.

واعلم أن تأخير العذاب عن الكفار والفجار إنما هو في الدنيا فقط ، أما في الآخرة فهم مخلدون في النـــار : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة/ ١٦١ – ١٦٢].

والله غفور حليم ، ولو لا حلمه على الجناة ومغفرته للعصاة ما ترك على ظهر الأرض من دابة : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر/ ٤٥].

بل من عظمة جرم وكفر أهل الأرض تستأذن السماء والأرض أن تقع وتزول من شدة ما يأتي به العباد من الكفر والفسوق والعصيان، وتكاد تنفطر من ذلك، ولكن الحليم يمسكها لئلا تزول وتقع على

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨٠٤).

من عصى الله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤١﴾ [فاطر/ ٤١].

فسبحان الحليم الذي جعل في مقابل هذا الكفر والفساد أسباباً يحبها ويرضاها من الإيمان والتقوى تقابل تلك الأسباب التي هي سبب زوال العالم وخرابه لولا حلم الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾ [الأنفال/ ٣٣].

فدَفَع الحق سبحانه تلك بتلك ؛ لأنه الحليم الرحيم الذي سبقت رحمته غضبه، وسبق حلمه عقوبته : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٤﴾ [الأنعام/ ٥٤].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « قَالَ اللهُ ﷻ : سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي » متفق عليه[١].

فسبحان الله ما أعظم حلمه ورحمته بعباده ، هو الذي خلق ما يرضيه وما يسخطه ، فإذا أغضبه كُفر الخلق ومعاصيهم وظلمهم أرضاه تسبيح الملائكة الذين يملؤن السموات ، وتسبيح عباده المؤمنين في الأرض ، وحمدهم له وعبادتهم له : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۝٣٨﴾ [فصلت/ ٣٧-٣٨].

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وحده لا شريك له ، ولا مثيل له ، ولا شبيه له : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى/ ١١].

هو الرب الحليم الذي ليس كمثله شيء في الحلم ، القوي الذي ليس كمثله شيء في القوة.

والمخلوق قد يسميه ربه ﷻ باسم من أسمائه كالعزيز والحليم ، لكن على المعلوم من نقص البشرية ، والمعهود من فقر الخليقة ، والمعروف من ضعف الآدمية .

والحلم نور الباطن في العبد وزَيْن الظاهر منه ، وبه يكون جمال الصفات ، وبه تكون الأفعال على ما ينبغي ، في الوقت الذي ينبغي ، للشخص الذي ينبغي ، بالقدر الذي ينبغي ، وهذه هي

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٤) ومسلم برقم (٢٧٥١) واللفظ له .

الحكمة التي ظهرت في أكمل البشر محمد ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤].

ولا تكون حكمة إلا بنور الحلم والعلم ، ولا يتصور ذلك على التمام كله إلا في الحليم الحق جل جلاله ، وكلٌّ يؤتيه الله منها بقدر نور الحلم والعلم : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٦٩] .

واعلم أن كفر الخلق وشركهم وظلمهم عظيم ، ولكن حلم الله على عباده لا يحيط به أحد ، ورحمته لهم وسعت كل شيء : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر/ ٧].

ألا تراه يتحنن إلى من كفر وأشرك به لعله يتوب إليه ويستغفره فيقول : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٣- ٧٤] .

فسبحان الله ، ما أعظم حلمه على من كفر به وعصاه.

وقد جعل الملك الحق سبحانه في ملكه العظيم وتدبيره الحكيم مالا يفقهه إلا العالمون الربانيون ، ومالا يعرفه إلا المؤمنون المتقون : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الرعد/ ١٩-٢١].

حيث خلق سبحانه في مقابلة ما يحبه ما يكرهه .. وفي مقابلة ما يرضيه ما يسخطه .. وفي مقابلة طاعته معصيته .. وفي مقابلة ما يشكره ما يصبر عليه.

وهذه حكمة في خلقه وأمره فصلها من نعوت جلاله ؛ ليُعبد بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

فنستغفر الله من جهلنا ومعاصينا وتقصيرنا ، ونسأله أن يغفر لنا ويعلِّمنا ما ينفعنا.

فسبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ، ما أوسع حلمه ورحمته بعباده.

يرى ما يحبه وما يكرهه .. ويرى من يطيعه ومن يعصيه .. ويرى من يشكره ومن يكفره .. ويسمع ما يرضيه وما يسخطه .. ويسمع من يسبحه ومن يسبه .. ويسمع من يوحّده ومن يشرك به .. لا تضره معصية العاصين .. ولا تنفعه طاعة الطائعين : ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

وكل الخلق ملكه .. والكل في قبضته .. والكل تحت قهره .. والكل عبيده ، وله وحده الأسماء الحسنى ، والصفات العلي : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر / ٢٢ -٢٤] .

فسبحان الله ما أعظم أسماءه وصفاته ، وما أعظم ملكه ، وما أوسع حلمه ، وما أعظم صبره على من كفر به وعصاه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « قَالَ اللهُ عز وجل : يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ » متفق عليه [1].

هو جل جلاله الملك القوي القادر القاهر الذي لا يعجزه شيء، ولا يفر منه شيء ، ولا يغيب عنه شيء ، ولا يفوته شيء ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد.

هو الملك الحق الذي خلق السموات والأرض بالحق ، ودينه الحق، وكتبه حق، ورسله حق ، بيده الملك والخلق والأمر كله : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو الملك الغني القوي الذي تفرد بالملك والملكوت ، القادر الذي لا يعبأ بما سواه ، ولا يطيع من خالفه وعصاه: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦١٨١)، ومسلم برقم (٢٢٤٦) واللفظ له .

بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [المؤمنون / ٧١] .

فسبحان الحليم العليم الذي جعل في السماء من خلقه من يؤمن به ، ويعبده ، ويطيع أمره : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء / ١٩ – ٢٠] .

وجعل في الأرض من يؤمن به ، ويصدق رسله ، ويعبده ، ويطيع أمره ، كما جعل فيها من يكفر به ، ويكذب رسله : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [التغابن/ ١-٢] .

وكل أهل الأرض أرسل الله إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، ورغبهم في الإيمان والطاعات ، وحذرهم من الكفر والمعاصي ، وبيَّن لهم العاقبة، وترك للمكلفين من الإنس والجن أمر الاختيــار : ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان/ ٢–٣] .

فلا إكراه في الدين ، ولا يخرج أحد عن مشيئته وعلمه ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون ، والله عالم بما كان وما يكون وما سيكون : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٦].

فمتى يفقه مَنْ حبسه الشيطان أو الهوى أو حب الدنيا : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان/ ٢٩–٣١].

واعلم رحمك الله أن الرضى لكذا .. والغضب من كذا .. والصبر على كذا .. وتعجيل العقوبة لكذا .. ولعن هذا .. وإهلاك هذا .. وإغراق هؤلاء .. وتدمير هؤلاء ونحو ذلك.

ذلك كله من أفعاله سبحانه، وفعله منفصل من صفاته، موجود في معاني أسمائه، يفعله ﷻ عند وجود سببه ؛ ليظهر لعباده كمال قدرته، وعز ربوبيته، ليعلم العباد ذلك فيرهبوه ، ويسرعوا إلى طاعته ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٨].

أما أسماؤه الحسنى وصفاته العليا جَلَّ جَلَالُهُ فهي من لوازم كماله لا تنفك عنه أبداً كقوله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر / ٢٢ – ٢٤].

واعلم أن حلم الله على عباده الظالمين يراه العبد في سبل عفوه ومغفرته ورحمته وإمهاله ، وترك معاجلة الظالمين بالعقوبة مع جحدهم الحق ، وعنادهم له، ووصفهم الرب بما لا يليق بجلاله، وتكذيب كتبه ورسله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر / ٤١].

فما أعظم حلم الحليم الحق بعباده ، يعافيهم ويرزقهم وهم يعصونه بنعمه : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة / ٧٤].

وما أوسع حلم الجبار جَلَّ جَلَالُهُ على عباده الظالمين لأنفسهم وغيرهم : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الكهف / ٥٨-٥٩].

وإذا أمعن العاقل النظر وبالغ في الاعتبار والتدبر رأى أن عيش جميع الخلائق في عظيم حلم الله ، وإحسانه ، وعفوه ، وسعة رحمته ومغفرته : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان / ٢٠].

فسبحان الرحمن الرحيم الذي كتب على نفسه الرحمة ، وغلبت رحمته غضبه : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٤].

ألا تراه جَلَّ جَلَالُهُ وهو رب العزة والجلال والجبروت والكبرياء ، القوي القادر على كل شيء ، يحلم على العصاة ، ويؤخر العقوبة عن المستحقين لها لعلهم يرجعون إليه ؛ لسعة حلمه

ورحمته : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج / ٦٥] .

ويحلم الله ﷻ حتى يظن المغتر أنه ليس يعلم .. ويمهل حتى يتوهم الجاهل أنه يهمل.. ويستر حتى كأنه ليس يبصر.. ويُنعم على العصاة حتى كأنهم بالمعاصي يُرضونه .. وبإيذاء أوليائه يسرونه ، فلا إله إلا الله ما أوسع حلمه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣] .

فسبحان الواسع الكريم الحليم الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً ، ومغفرة وحلماً .

اللهم ارحمنا ولا تؤاخذنا بما فعل الكفار والعصاة ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأعراف / ١٥٥] .

• التعبد لله ﷻ باسمه الحليم :

اعلم أنار الله قلبك بالإيمان أن أحب عباد الله إليه من اتصف بمقتضى أسمائه وصفاته تقرباً إليه ، وكان له حظ من كل اسم كريم وصفة عليا.

واعلم أن الله هو الحليم الذي يصفح عن الذنوب ، ويستر العيوب ، وهو الحليم الرحيم الذي يسبل ستره على العصاة لعلهم يتوبون.

وهو الحليم القوي العزيز الذي لا يستخفه عصيان عاص ، ولا يستفزه طغيان طاغ ؛ لأن الجميع في ملكه وفي قبضته وتحت سمعه وبصره ، والله لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين .

والكل من مؤمن وكافر راجع إلى ربه ليحاسبه بعمله : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية/ ٢١-٢٦].

وإذا عرفت هذا فاعلم أنه يجب على من عرف أن ربه حليم على من عصاه أنْ يحلم هو على من خالف أمره ، فاحلم على الخلق يحلم عليك رب الخلق، وتستجلب بحلمك حبهم لك ، ورضوان الله عنك : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور / ٢٢] .

فكن في الليل مع الحليم استغفره وتب إليه ، وفي النهار كن حليماً على الخلق كلهم.

وكما تحب أن يحلم عليك مالكك فاحلم أنت على من تملك ، وأحب لغيرك ما تحبه لنفسك ، واكره لغيرك ما تكره لنفسك ، وأحسِن إلى الناس كما أحسن الله إليك : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص/ ٧٧].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ ، أَوَ قَالَ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » متفق عليه[1].

واحذر غاية الحذر أن تعصي ربك السميع البصير ، وتغتر بحلمه عليك فتتمادى في عصيانه وتتكل على عفوه مع الإصرار على عصيانه، فإنه وإن كان الحليم الكريم فإن أَخْذَه أليم وبطشه شديد: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر / ٤٩ – ٥٠] .

فسبحانه ما أعظم حلمه مع كمال علمه بالمعاصي والذنوب : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٥١].

وإذا علمت عظمة ربك، وعرفت جزيل إحسانه، وأدركت سعة حلمه، ورأيت شدة بأسه، فبادر إلى طاعة ربك الحليم الغفور الشكور، واستح من مواجهة الكريم بما يكره الحليم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار / ٦ – ٨] .

واستعمل ما أنعم الله به عليك في طاعته ولا تقل على الحليم الحق إلا الحق فإنه يراك ويسمعك ، وسوف يسألك : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء/ ٣٦].

واشكر من أنعم عليك بنعمه التي لا تعد ولا تحصى ، واصبر على جميع ما يحبه ويرضاه من الطاعات، والزم الصبر على كل محبوب ومكروه من أجله ؛ لتنال أجراً لا تحلم به :

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم(١٣) ومسلم برقم (٤٥) واللفظ له.

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر / ١٠] .

ويسهِّل لك الحلم على الخلق ، والصبر على أذاهم ، ودوام طاعة الله ، معرفة أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، والاتصاف بما يليق بالعبد منها ، ومعرفة نعم الله وإحسانه ، ومعرفة ثوابه وعقابه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٖ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٖ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة / ١٥٥ – ١٥٧] .

واعلم أن الصبر الذي يجب على العبد ثلاثة أنواع :

صبر على طاعة لله .. وصبر عن معصية الله .. وصبر على أقدار الله.

وأفضل الصبر ما بلغ درجة الرضى ، فإن ارتقى إلى درجة الحمد فقد بلغ الذروة في المعرفة واليقين : ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرٗا جَمِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [المعارج / ٥] .

والصبر النافع الحق ما خالف الهوى ، ووافق طاعة المولى : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم / ٦٠] .

واعلم أن الله مع الصابرين ، وأنه يحب الصابرين ، وعاقبة الصبر أحسن العواقب ، فاصبر فإن النصر مع الصبر ، والفرج بعد الكرب ، واليسر بعد العسر، والعافية بعد البلاء .

ومفتاح ذلك كله الصبر ، فاصبر وتوكل على الله تنال ما تحب فوراً : ﴿ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٖ قَدْرٗا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق / ٢-٣] .

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الحلم والصبر فاصبر لله في جميع أحوالك ، وأحسن إلى الناس بما تستطيع وإنْ عادَوك ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك فإنك منصور ، ولك العاقبة الحسنى في الدنيا والآخرة : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان / ١٧].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٠].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري[1].

يا جزيل العطايا والمواهب، يا واسع الرحمة والمغفرة، يا رؤوفاً بالعباد، يا عظيم الحلم.

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

اللهم اجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤا استغفروا، وإذا أُعطوا شكروا، وإذا مُنعوا حمدوا، وإذا ابتلوا صبروا، يا أرحم الراحمين.

---

(١) **أخرجه البخاري** برقم (٦٣٠٦).

العفــو

قال الله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾ [النساء/ ١٤٩].

الله جل جلاله هو العفو الذي له العفو الشامل، الذي وسع عفوه الورى، ووسع علمه وعفوه جميع ما يصدر عن عباده من الذنوب: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الشورى/ ٢٥].

وهو سبحانه العفو الغفور الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران موصوفاً، وكل أحد من الخلق مضطر إلى عفو الله ومغفرته كما هو مضطر إلى كرمه ورحمته كما هو مضطر إلى دينه وشرعه: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء/ ١١٣].

وهو سبحانه العفو الكريم الذي يحب العفو، ويدعو عباده إلى الاتصاف به، ويحب من عباده فعل الأسباب التي ينالون بها عفوه من التوبة والاستغفار، والسعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، والعفو عنهم: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٩٩ – ٢٠٠].

وهو سبحانه العفو القدير الذي لم يزل ولا يزال ينعم على جميع الخلق، ويعفو عن المجرمين والمذنبين مع قدرته على عقابهم والانتقام منهم وحرمانهم من نعمه: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل/ ١٨].

فسبحان الكريم الذي يضع عن عباده تبعة خطاياهم وآثامهم فلا يستوفيها منهم إذا تابوا وأنابوا، العفو الغفور الذي مهما أسرف العبد على نفسه بالمعاصي ثم تاب إليه ورجع فرح بتوبته وغفر له جميع ذنوبه: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٥٣].

واعلم رحمك الله أن من عفا لله عفا الله عنه، ومن غفر لله غفر الله له، ومن أحسن لله أحسن الله إليه

في الدنيا والآخرة : ﴿ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [التغابن/ ١٤].

ولهذا دعا العفو الكريم عباده إلى العفو والصفح عن الخلق ، ورغَّب في الحلم والصبر على الأذى ، وقبول الأعذار من سائر الناس ، رجاء رضوان الله وغفرانه : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور/ ٢٢].

واعلم أن الغني الكريم لمحبته للعفو قد تكفَّل بأجر من عفا عن غيره من الناس ، فسيعطيه أجراً عظيماً ، وثواباً جزيلاً: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى / ٤٠] .

فسبحان العفو الكريم الذي يمحو السيئات، ويستر الزلات، ويغفر الذنوب، ويعز مقام من عفا من عباده : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الشورى/ ٢٥].

وعن أبي هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزّاً ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ » أخرجه مسلم [(١)].

واعلم رحمك الله أن الله عفو غفور، وعفوه ومغفرته من لوازم ذاته ﷻ ، ولا تزال آثار عفوه ومغفرته في الملك والملكوت آناء الليل والنهار ، فعفوه ومغفرته ﷻ وسعت جميع المخلوقات والسيئات ، والجرائم والمعاصي: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾ [النساء / ١٤٩] .

والكفر والشرك ، والذنوب والجرائم ، والتقصير الواقع من الخلق ، كل ذلك يقتضي العقوبات العاجلة المتنوعة ، ولكن عظمة عفو الله وسعة مغفرته ورحمته تدفع هذه الموجبات والعقوبات : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾ [فاطر / ٤٥] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

وعفو الله ﷻ نوعان:

الأول: عفوه العام عن جميع المجرمين من الكفار والعصاة وغيرهم برفع العقوبات المنعقدة أسبابها والمقتضية لقطع النعم عنهم ، فهم يؤذونه بالشرك والسب والمعاصي ويعصونه بنعمه وهو يعافيهم ويرزقهم ويمهلهم ولا يهملهم ، وقد يبتليهم بالمصائب ، لعلهم يتوبون ويرجعون إليه : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

فسبحانه ما أعظم حلمه وعفوه وصبره مع كمال قدرته : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النحل / ٦١] .

الثاني: عفوه الخاص بالمؤمنين، ومغفرته للتائبين والمستغفرين ، والعابدين والداعين ، والمصابين وغيرهم ، فمن تاب إلى الله من هؤلاء وغيرهم تاب الله عليه وغفر له مهما كان ذنبه : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٥٣-٥٤].

فسبحان من وسع حلمه وعفوه العالمين ، الكريم الذي العفو أحب إليه من الانتقام ، والثواب أحب إليه من العقاب.

هو العفو الذي يمحو الذنوب والسيئات ويتجاوز عن المعاصي ، فالعفو محو الذنب بالكلية ، وهو أبلغ من المغفرة ، فإذا أذنب العبد وستره الله ولم يعاقبه فهذه مغفرة ، أما العفو فهو محو الذنب بالكلية من النفس والصحائف : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [النساء/ ٤٣].
هو العفو الذي يزيل الذنوب الثقيلة عمن تاب منها ، ثم يمحوها من ديوان الكرام الكاتبين ، ثم يُنسي المذنبين إياها فلا يذكرونها أبداً لئلا يتألموا أو يخجلوا عند تذكرها ، ثم يُثبت مكان كل سيئة حسنة ، ثم يضاعفها ويُثيب عليها .
فتب إلى ربك من الذنوب المهلكات فإن ربك غفور رحيم : ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ

لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان/ ٦٨-٧٠].

فسبحان الملك الرحيم بعباده ، الحكيم في تدبيره ، يُخلي ثم يُحلي ، ويُطهر ثم يُعطر ، ويعفو ثم يرحم ، ويمحو ثم يكرم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج/ ٦٥].

هو العفو الذي يمحو ذنوب الخلق ثم يتفضل عليهم بنعمه وإحسانه ورحمته : ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾ [النساء/ ١٤٩].

هو العفو الكريم الذي يزيل عن النفوس ظلمه الزلات برحمته ، ويذهب وحشة السيئات بكرمه.

فسبحان العفو الكريم الذي يزيل الذنوب من الصحائف ، ويبدل وحشتها بفنون اللطائف : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الشورى/ ٢٥].

هو العفو الرحيم الذي يفرح بتوبة عبده أشد من فرح الضال الواجد ، والعقيم الوالد ، والظمآن الوارد.

- **التعبد لله ﷻ باسمه العفو:**

اعلم زادك الله إيماناً وتقوى أن العفو من صفات الملك الكريم الحق ﷻ ، ولولا حلمه وعفوه على من كفر به وعصاه لعاجله بالعقوبة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر/ ٤١].

وقد يأخذهم بالعذاب الذي يذكِّرهم به ويردهم إليه ليستغفروا ويتوبوا : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٧٦] .

فإياك والإصرار على ما يسخط ربك فإن الذي يملك العفو يملك الانتقام : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المائدة/ ٩٥].

واعلم أن مقصود الرب من خلقه في الدنيا توحيده وعبادته بما شرع، وتحصيل الصفات التي يحبها الله، وهي أسماؤه الحسنى، وصفاته العلى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

ومقصوده من خلقه في الآخرة تكميل الشهوات التي يحبها العبد، والتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم في الجنة، وتعذيب من كفر به وعصاه بالنار: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾

﴿ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ٨٦ ﴾ [مريم/ ٨٥ – ٨٦] .

فإن أردت الفلاح والنجاة فاعف عمن ظلمك ، وصل من قطعك، وأعط من حَرَمك ، وأحسِن إلى من أساء إليك ، واصفح عمن آذاك ، واصبر على ما أصابك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ ﴾ [التغابن/ ١٤ – ١٥].

واعف عن جميع الخلق يعف الله عنك ويعافيك ويثيبك أجزل الثواب ، ومن انتقم ممن ظلمه بالعدل فلا إثم عليه : ﴿ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١ ﴾ [الشورى / ٤٠ – ٤١] .

واعلم أن العفْو خُلقٌ عظيم لا يتصف به إلا كريم فكن أنت ذلك تنال من ربك العفو والغفران ، والجنة والرضوان : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣–١٣٦] .

وإذا وقعت بينك وبين الله جفوة أو وحشة بسبب ذنب فعليك أن تتوب منه مهما كان ، ثم تتبعه بحسنات من أي عمل صالح تُذهب عنك الخجل من ربك ؛ لأن العمل الصالح ينسي صاحبه هذا الذنب ، ويفرح بثوابه ، فحصل محو الذنب من الرب ، وجبر الكسر من العبد.
فاتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وتزيل الحجاب بينك وبين الله.
وخالق الناس بخلق حسن تنال من ربك الأجر الحسن : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦ ﴾ [يونس/ ٢٦].
واعلم أن العفو عن المسيء حسن ، والأحسن أن تتبع العفو بالإحسان إليه : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤].

واعلم أن من عفا وأصلح ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً ، ومن انتقم ولو كان على حق امتلأ قلبه جفوة وخوفاً ، ومن عفوت عنه فقد اشتريته ، ومن أحسنت إليه ملكته.

فاعف وأحسِن إلى كل من أساء إليك يعفو الله عنك ويغفر ذنوبك : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور/ ٢٢].

وأحسن إلى كل من أساء إليك ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، فالدين كله عبادة الحق ، والإحسان إلى الخلق : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣-٣٥].

واعلم أن الحسنات يذهبن السيئات ، فأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وتزيل عنك وحشتها : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [هود/ ١١٤-١١٥].

ومن عفوه سبحانه أنْ جعل المصائب التي تصيب العبد تكفر سيئاته ، فاصبر واحتسب؛ لتنال أجر الصابرين : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر / ١٠].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٨٦] .

« اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» أخرجه أحمد وابن ماجه(١) .

يا عظيم العفو والصفح ، يا حَسَن التجاوز ، يا واسع الرحمة والمغفرة اغفر لنا وارحمنا.

اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقه وجلَّه ، وأوله وآخره ، وسره وعلانيته ، يا عفو يا كريم.

---

(١) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٢٥٨٩٨) ، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٠) .

الغفور.. الغفار.. الغافر

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/ ٥٣].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص/ ٦٥-٦٦].

وقال الله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [غافر/ ٣].

الله ﷻ هو الغفور الذي يستر ذنوب عباده، ويستر عيوبهم، ويصلح أحوالهم.

وهو سبحانه الغفار السِّتِّير الذي يستر ذنوب الخلق، فلا يكشف أمر من عصاه، ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره في عيونهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [إبراهيم/ ١٠].

وهو سبحانه العزيز الغفار الذي إذا غفر غفر كل شيء وستره، وإذا عاقب أوجع؛ ليعلم العباد سعة مغفرته، وشدة عقوبته، فيطيعونه ويعبدونه وحده لا شريك له: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر/ ٤٩-٥٠].

وهو سبحانه الغافر الحق الذي يستر على المذنب ذنبه، ولا يؤاخذه فيشهره ويفضحه، لعله يتوب إليه ويستغفره: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه/ ٨٢].

فسبحان العفو الغفور الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران موصوفاً.

وكل واحد من الخلق مضطر إلى ربه في كل حال، مضطر إلى عفوه ومغفرته، ومضطر إلى رحمته وكرمه، ومضطر إلى حفظه وعونه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

هو العزيز الغفور الذي يغفر الذنوب جميعاً، ومغفرته فضل وإحسان منه، لا يُسأل عما يفعل إذا غفر أو عفا أو أعطى أو منع: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن

﴿يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢٩﴾ [آل عمران/ ١٢٩].

وهو سبحانه الغفور الذي المغفرة أحب إليه من العقوبة ، وما أمرنا أن نستغفره إلا ليغفر لنا ، والعبد من شأنه أن يذنب والله من شأنه أن يغفر : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤﴾ [الأنعام/ ٥٤].

وهو سبحانه العزيز الغفار الذي كلما تكررت الإساءة من الإنسان وأقبل عليه غفر له وعفا عنه.

هو الغفار الذي ستر منك السوآت والقبائح ، وأظهر كل حسن من الصفات والأقوال والأعمال.

هو الغفور الذي يغفر الذنوب مهما عظمت وكثرت ، كثير المغفرة والستر ، وقد تقتضي الحكمة والعدل أحياناً أن يفضح المسيء ، أو يعاقبه ليعود إليه ، لكن المغفرة من الغفور أكثر : ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء/ ١١٠].

والله غفور رحيم لا يفضح إلا من لديه إصرار على الذنب ، فالله لا يفضح العاصي من أول مرة ، بل حين يصر على الذنب ويألفه ويجعله سلوكاً له فعند ذلك يفضحه ويؤدبه ويعاقبه : ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾ [النساء/ ١٢٣].

فسبحان الغفار الذي لسعة حلمه يغفر للمذنب مرة بعد مرة ، ولسعة رحمته يغفر الذنوب جميعاً.

هو سبحانه الغفار إذا عدت إليه وتبت إليه بصدق وإخلاص .

وهو شديد العقاب لمن كفر به واستكبر عن عبادته وأصر على معصيته ، فلا تعلق آمالاً على مغفرة الله وأنت مقيم على معصيته : ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٥٣﴾ [الأعراف/ ١٥٣].

هو الغفور الذي يستر ذنوب عباده ، ويعفو عن التائبين فلا يوقع عليهم العقاب : ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة/ ٣٩].

هو سبحانه غافر الذنب إكراماً ، وقابل التوب إنعاماً ، الغفور الذي يغفر الذنوب جميعاً إكراماً لك ، إما أن يمحوها من صحائفك ، وإما أن ينسيها الملائكة ، وإما أن ينسيك إياها ، لتأتي إليه يوم القيامة سليماً جميلاً بلا جاهلية ولا ذنب ولا قبيح تخجل منه أمام ربك الكريم ، وهذا منتهى الكرم والإحسان : ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ [غافر/ ٣].

وهو سبحانه الغفور الغفَّار الحق الرحيم بعباده ، الذي يغفر ذنوب عباده وخطاياهم صغيرها وكبيرها ، قليلها وكثيرها ، ظاهرها وباطنها : ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا

﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص/ ٦٦].

وهو سبحانه الكريم الذي ينادي المذنبين ويدعوهم إلى التوبة والاستغفار ليغفر لهم، والمبادرة إلى العمل الصالح قبل الموت: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر/ ٥٣-٥٥].

وهو سبحانه الملك العظيم الذي يغفر ذنوب العباد مهما عظمت وكثرت؛ لأن مغفرة الله ورحمته أعظم وأوسع من ذنوب العباد: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم/ ٣٢].

والله ﷻ غفور رحيم، وقد وعد بالمغفرة لمن أتى بأسبابها التي ذكرها بقوله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه/ ٨٢].

فسبحان الكريم الذي تكرم بتبديل سيئات المذنبين إلى حسنات، ثم ضاعفها لهم بعد توبتهم، لكمال حبه للعفو والإحسان إلى خلقه.

فمن آمن وعمل صالحاً أفلح وسعد في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس/ ٦٢-٦٤].

ومن كفر وأصر على المعاصي والكبائر ثم تاب تاب الله عليه، ومن لم يتب يضاعف له العذاب ويخلده الله في النار بسبب إصراره على كفره وذنوبه: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان/ ٦٨-٧٠].

ولا يجوز للمسلم أن يتعمد فعل المعاصي والخطايا والفواحش فيقترفها بحجة أن الله غفور رحيم؛ لأن المغفرة إنما تكون للتائبين الأوابين الذين عملوا السوء بجهالة: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء/ ٢٥].

ومن أصاب ذنباً ثم تاب من قريب تاب الله عليه : ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨ ﴾ [النساء/ ١٧-١٨].

واعلم أن غفران الذنوب والسيئات فضل من الله ورحمة عظيمة للعباد ؛ لأن الله غني عن العالمين ،لاينتفع بالمغفرة لهم ، ولا يضره كفرهم كما لا ينفعه إيمانهم ، ولا يغفر لهم خوفاً منهم ؛ لأنه جَلَّ جَلَالُهُ غني قوي عزيز: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨ ﴾[فاطر / ٢٨].

ولا زال ولا يزال جَلَّ جَلَالُهُ واسع الرحمة والمغفرة يكرم عباده بالنعم مع معاصيهم ، فمن تاب إليه قَبِل توبته وغفر له ، ومن أصر على المعاصي وأبى التوبة عاقبه بجرمه : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٦ ﴾[الرعد/ ٦] .

فسبحان مالك الملك العزيز الغفور الذي يجود على جميع العباد بالمغفرة والرحمة ، ويكفر عنهم سيئاتهم ، ويقيل عثراتهم، ويضاعف حسناتهم : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢٩ ﴾ [آل عمران/ ١٢٩] .

والله عَزَّ وَجَلَّ غفور رحيم يغفر للمستغفرين ، ويغفر لمن لم يستغفره ؛ لأنه هو الغفور ، ولأنه عالم بما سبق له في أم الكتاب بما هو عامله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢ ﴾ [النجم/ ٣٢].

والله جَلَّ جَلَالُهُ عفو غفور ، وأحب شيء إليه العفو والمغفرة ، يغفر لعباده كل شيء إلا الشرك لمن مات عليه ولم يتب منه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦ ﴾[النساء/ ١١٦] .

ولما يعلمه النبي ﷺ من كريم عفو ربه وسعة مغفرته ورحمته ومحبته لذلك قال ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ ، وَلجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ

فَيَغْفِرُ لَهُمْ » أخرجه مسلم[1].

فلا إله إلا الله ، ما أوسع رحمته ومغفرته ، وما أعظم كرمه وحلمه .

والله عز وجل واسع المغفرة ، ولا يقدر قدر مغفرته إلا هو ، وكل آنٍ يغفر الله من الذنوب الكثيرة والكبيرة والصغيرة ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ (٦٦) ﴾ [ص/ ٦٥-٦٦].

واعلم أن غفران الله للخلق نوعان:

الأول: غفران عام لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم ، وهو مغفرة الإنظار والإمهال في الدنيا ؛ لينال كل إنسان نصيبه من الكتاب ، ويستوفي ما قدر الله له من العمل ، ثم يؤخذ كل إنسان بحسب عمله : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا (٥٨) ﴾ [الكهف / ٥٨] .

الثاني : غفران خاص بأوليائه المؤمنين ، فكلما أذنبوا واستغفروا غفر الله لهم سبحانه: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ (٨٢) ﴾ [طه / ٨٢] .

فسبحان الغفار الحق الذي فتح أبواب مغفرته وعفوه ورحمته للعالمين كلهم ، إذا استغفروه وتابوا إليه غفر لهم ورحمهم وتاب عليهم من مؤمن ، وكافر ، ومشرك ، ومجرم ، وفاسق ، وظالم : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٥٣) ﴾ [الزمر / ٥٣] .

• التعبد لله جل جلاله باسمه الغفور:

اعلم رحمك الله أن المَلك الحق جل جلاله أرأف مَنْ مَلَك ، وأكرم من أعطى ، وأجود من سئل، وأرحم من قدر، وأعظم من غفر، فاللهم اجعل لنا من ذلك أوفر الحظ والنصيب : ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ (١٥٥) ﴾ [الأعراف / ١٥٥] .

ومغفرة الله سبحانه من آثار رحمته ، فهو رب كل شيء ، ورحمته وسعت كل شيء ، ومغفرته

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩) .

وسعت كل ذنب : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/ ٥٣].

فاسأل الله أيها المؤمن أن يغفر ذنوبك ما ظهر منها وما بطن ، ما تعلمه منها وما لا تعلمه ، فإن ربك واسع المغفرة ، والمغفرة أحب إليه من العقوبة ، واغفر لمن أخطأ في حقك يغفر الله لك : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [المائدة/ ٤٠].

وبادر رحمك الله إلى طاعة مولاك الكريم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، فإنه الذي خلقك ورزقك ، وهداك وأعانك ، ووضع نعمه بين يديك : ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم/ ٣٢].

فاستح من ربك الكريم الحليم ، ولا تستعمل نعمه في معصيته ، ولا تعصيه في ملكه الذي أنت منه ، فإن عصيته فاستغفره فإنه غفور رحيم : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

واستغفر الغفور الرحيم الذي ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا من أجلك ، فقف خاشعاً بين يديه ، وارفع أكف الضراعة إليه معتذراً ومستغفراً : ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإنسان/ ٢٥-٢٦].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » متفق عليه [(١)].

ثم استغفر الغفور الرحيم من كل ذنب ، واسأله العفو عن كل هفوة ، وستر كل زلة من تقصير في عبادة ، أو رياء في عمل ، أو ترك واجب ، أو تأخير فرض ، أو إهمال حق ، أو ترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر أو غير ذلك من الذنوب التي توجب الاستغفار والتوبة : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

﴿ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام/ ١٦٥].

واعلم أنه كما يجب علينا حمد ربنا وشكره على النعم والطاعات كذلك يجب علينا الاستغفار والتوبة من الذنوب والسيئات ، والله كريم يشكر هذا ، ويغفر هذا لأنه الغفور الرحيم : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام/ ٥٤].

واعلم أن الاستغفار من أعظم أسباب سعة الرزق ، وكثرة الأولاد ، ونزول الأمطار ، وكل خير ينال في الدنيا بالاستغفار ، فاستغفر ربك الغفور تخف من الذنوب ، وتنال كل محبوب : ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح/ ١٠-١٢].

استغفر ربك الغفور الرحيم الذي يغفر الذنوب جميعاً ، استغفره صباحاً ومساءً من كل ذنب ، استغفره صباحاً لما جرى في الليل ، واستغفره مساءً لما جرى في النهار : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء/ ٦٤].

واعلم أنه ليس الأمر أن تفعل ما تشاء من الذنوب ثم تستغفر الله ، وانما الأمر أن من ضعف إيمانه فوقع في المعصية ، وزلت قدمه فندم وتاب إلى ربه ، فهذا الذي يغفر الله له : ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه/ ٨٢].

والمؤمن حقاً من عبد ربه حقاً ، وأحسن إلى الناس حقاً ، إن رأى خيراً نشره ، وإن رأى عورة سترها ، وإن رأى زلة غفرها ، من اعتذر إليه قبل عذره ، ومن أساء إليه أحسن إليه ، ومن ظلمه عفا عنه : ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص/ ٧٧].

فاغفر لمن أساء إليك يغفر الله لك ، واعف عمن ظلمك يعفو الله عنك : ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور/ ٢٢].

فطوبى لمن كان دأبه الحمد والاستغفار والاعتذار ، وما أمر الغفار بالاستغفار إلا ليغفر لكل مستغفر ، فاستغفر الله كثيراً تغنم كثيراً : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ

﴿ ... يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء/ ١١٠].

وعليك بتقوى الله في كل زمان ومكان وحال تنال كل خير في الدنيا والآخرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢٩].

ومن أراد صلاح الأعمال وغفران الذنوب والفوز بالجنة فليتق الله ربه ويدعو الناس إليه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٠-٧١].

واعلم أن الغفور الرحيم يريد لك كل خير ، والشيطان يريد لك كل شر ، فالزم باب الغفار تغنم وتربح : ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٦٨].

وسارع إلى مرضاة ربك بكل عمل صالح تقدر عليه تنال مرادك من ربك : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

واعلم أن حق الله عظيم وشأن الله كبير ، ولكن الله برحمته طلب العمل على قدر الطاقة ، والتقصير لا يسلم منه أحد من البشر ، فإن أردت الفلاح والنجاة ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر/ ٣] .

وعن الأغر المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » أخرجه مسلم (١).

واعلم أن المؤمن يجب عليه أن يستر على إخوانه ما ستره الله منه.

فإذا وقع أخوك في ذنب فمن عيَّره به ابتلي به ، ومن تكلم به فقد اغتابه ، ومن رضي به فقد شاركه في الإثم ، ومن ستره ستر الله عليه.

اللهم إني أعوذبك من إمام سوء إن أحسنت لم يقبل ، وإن أسأت لم يغفر ، وأعوذبك من جار سوء إن رأى خيراً كتمه ، وإن رأى شراً أذاعه.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢) .

والحمد لله على حلمه ومغفرته ، ونستغفر الله ونتوب إليه من كل ذنب وخطيئة.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم / ٤١] .

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ »أخرجه البخاري[1].

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه مسلم[2].

يا عالم الخفيات ، يا كريم العطيات ، يا غافر الذنوب ، يا ساتر العيوب ، يا واسع المغفرة والرحمة ، نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .

اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ، ولا هماً إلا فرَّجته ، ولا كرباً إلا نفَّسته ، ولا ضراً إلا كشفته ، ولا عسيراً إلا يسرته ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٧١) .

الـودود

قال الله تعالى : ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ [هود / ٩٠] .

الله ﷻ هو الغفور الودود الذي يحب المؤمنين به ، ويكرمهم بأنواع الكرامات في الدنيا والآخرة.

وهو سبحانه الودود المحبوب ، الودود الذي يوده ويحبه خلقه لذاته وجلال وجمال أسمائه وصفاته، وجزيل نعمه وإحسانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه / ٨] .

وهو سبحانه الودود الذي يحب ويَودّ من أناب إليه، ذو المغفرة لمن تاب إليه، الودود لأهل طاعته، الراضي عنهم بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة، المحسن إليهم لأجلها، المادح لهم بها، المثيب لهم عليها: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة/ ١٠٠].

وهو سبحانه الودود الذي أظهر وده لخلقه بما سخره لهم من النعم الظاهرة والباطنة ليحبوه ويعبدوه : ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٠].

هو الودود الذي تودد إلى عباده بالنعم التي لا يحصيها إلا هو : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

هو الودود الذي كل ما في الكون مظهر لعظمته ، وكل ما في الكون مظهر لقدرته ، وكل ما في الكون مظهر لحبه ، وكل ما في الكون مظهر لوده: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فسبحان الذي تودد إلى خلقه بكل نعمة وكرامة وخير ليتوددوا إليه بالإيمان به وطاعته وعبادته ، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ

﴿ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

واعلم أن الكون كله بما فيه من المخلوقات والآيات والنعم كله من قبل الله تودد إلى هذا الإنسان ، وكل أعمال الإنسان الصالحة تودد إلى الرب الخالق العظيم : ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج/ ١٣-١٦].

هو الغفور الودود الكريم الذي خلق الإنسان قبل أن يكون شيئاً ، ورزقه من كل شيء ، وهداه إلى معرفة ربه ، وحبب إليه الإيمان به ، وأعانه على طاعته ، ووفقه لحسن عبادته ، وضاعف له أجر عمله : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان/ ١-٣].

وهو سبحانه الودود الذي خلق المودة ، وعنده خزائن المودة ، هو الودود الذي ألقى المودة بينه وبين أوليائه ، وألقى المودة بين المؤمنين مع بعضهم ، وألقى المودة بين الأب وأبنائه ، وبين الأم وأولادها ، وبين الزوجة وزوجها : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم/ ٢١].

وهو سبحانه المؤمن الذي يحب الإيمان والمؤمنين ، ويحب التقوى والمتقين .

وهو سبحانه الودود الذي يحب من أطاعه، ويبغض من عصاه ، ويتوب على من تاب إليه.

يحب المؤمنين والمتقين ، ويحب التوابين والمتطهرين ، ويحب الصابرين والصادقين ، ويحب المتوكلين والمحسنين وأمثالهم : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران/ ٣١-٣٢].

ويكره الكفر والكافرين والمشركين ، والكاذبين والمستكبرين ، والمنافقين والمعتدين ، والظالمين والمفسدين ، والمسرفين والخائنين وأمثالهم : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج/ ٣٨].

وهو سبحانه الودود بكثرة إحسانه، الذي يوده عباده ويحبونه، المستحق لأَنْ يُود ويُعبد ويُحمد ، لكماله وجلاله وجماله ، وعظيم إحسانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

وهو سبحانه الودود الرحيم الذي يتحنن إلى عباده بتتابع إحسانه ، ويتودد إليهم بنعمه

المتوالية ، ويحب لقاءهم ، وقنوتهم له ، ويفرح بتوبتهم إليه : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء/ ٢٧-٢٨].

فسبحان الغفور الودود الذي يحب عباده المؤمنين به الموحدين له ، العابدين له ، وهم يودونه ويحبونه ، لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، ولما خصهم به من الهداية إلى الإسلام ، وجزيل الإحسان والإنعام : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٤].

واعلم رحمك الله أن الود هو خالص الحب ، وود العبد لربه على قدر معرفته به : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

وود الرب لعبده على قدر إيمانه وطاعته لربه ، وإيثاره لمرضاته ومحبته له: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم/ ٩٦] .

وإذا أحبك الودود سبحانه جعل في قلوب الخليقة في السماء والأرض مودتك ومحبتك، وأنزل لك القبول في الأرض ، وإذا أبغضك أمر أهل السماء والأرض ببغضك .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الله إِذَا أَحَبَّ عَبْداً دَعَا جِبْرِيلَ ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَاناً فَأَحِبَّهُ ، قَالَ : فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي في السَّمَاءِ ، فيَقُولُ : إِنَّ الله يُحِبُّ فُلَاناً فَأَحِبُّوهُ فيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، قَالَ : ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ .

وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْداً دَعَا جِبْرِيلَ ، فَيَقُولُ : إِنِّي أُبْغِضُ فُلَاناً فَأَبْغِضْهُ ، قَالَ : فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي في أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ الله يُبْغِضُ فُلَاناً فَأَبْغِضُوهُ ، قَالَ : فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ في الْأَرْضِ» متفق عليه[1].

واعلم نوَّر الله قلبك بالإيمان أن الحب والود والرضا خاص من الله لعباده المؤمنين، يختص به من يشاء على قدر المعرفة والإيمان والتقوى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٩) ومسلم برقم (٢٦٣٧) واللفظ له .

وَوُدّ العبد لربه هبة من الودود الحق جعله في قلبه فَوَدَّ ربه به ، وألقى في قلوب الخلائق الود له: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم/ ٩٦] .

ومن أحبه الودود ، وأحب هو الودود ، رأى نعمه ابتلاء ، ورأى منعه عطاء ؛ لأن الودود أبعد عنه ما يشغله عنه، فهو عبد صابر شاكر ، لكن من نوع آخر : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر / ١٧ – ١٨] .

فهذا العبد الرباني المقرب يجازيه الودود الحق بكل ما يَسُره في الدنيا والآخرة من لذيذ مناجاته والأنس به، وحسن عبادته، ودخول جنته: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة/ ٢٢].

ويعذره في زلله ، ويضاعف حسناته ؛ ليزيد له في ثوابه : ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس / ٢٦] .

ومن أبغضه الله لكفره وعناده وسوء عمله مقته لكفره واستكباره ، وسخط عليه لكراهيته الحق وصده عنه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾ [البقرة/ ١٦١-١٦٢].

فهذا إن كان منه عمل حسن زين له الشيطان ما يفسده به من رياء ، أو عجب ، أو آفة تحبطه أو تبطله ، وإن أنعم عليه الكريم سبحانه استدرجه، وإن ابتلاه عاقبه، وإنْ هَمّ بخير قيض له ما يصرفه عنه: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤﴾ [غافر / ٣٤] .

فتعرَّف إلى ربك الحق بأسمائه وصفاته ، فمعرفته توجب تعظيمه ومحبته ، ومن أحب الله فليحبه الحب كله ، ويستقبل أحكامه كلها بالرضا والتسلم ، ويشكره على جميع أفعاله ونعمه ، مع كمال الحب والتعظيم والذل له : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد / ١٩] .

فعليك بشكر الغفور الودود ، ودوام الذكر له ، والعمل بما يرضيه وقبول أحكامه.

فالمحب حقاً لمولاه لا تراه إلا قائماً عند باب محبوبه بظاهره وباطنه ، فإن لم يمكنه فبقلبه وروحه : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر / ٩] .

واعلم أن كل محبوب موجود في العالم فهو آية على حب الله وجمال وكمال أسمائه وصفاته ، وحجة منه على المحبين لغيره ، لِمَ أحبوا ما لا ينفعهم ولا يضرهم، ولِمَ أحبوا ما ليس بعلي في أسمائه ، ولا كامل في صفاته : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المائدة / ٧٦] .

فسبحان الله ما أسفه من عبد غير الله ، وأحب غير الله ، وتعلق بغير الله.

لماذا لم يحبوا الملك الحق الذي بيده جَلْب كل خير لهم ، ودَفْع كل شر عنهم : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر / ١٣-١٤].

واعلم أن الحب من الودود الحق يتوجه إلى عبده المؤمن على مراتب :

فتارة يكون بالإنعام والإكرام ، كقضاء الحاجات، وسعة الرزق، وإجابة الدعوات، والحباء بالكرامات، وخفي الكفايات: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق / ٢ – ٣] .

وتارة يكون بالابتلاء في الظاهر ، فترى عبده المؤمن ينادي فلا يكاد يجاب، ويسأل فلا يعطى، ويستغيث فلا يكاد يغاث، ليس لهوانه على محبوبه الحق، لكنه سبق له في أزله أنه ينال تلك المحبة بحسن صبره : ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٩٥].

ويشتد بالمؤمن الأمر مع حسن استقامته، حتى أن أبناء جنسه ليرحمونه لما به من الضر والفاقة، والملائكة تغبطه بماله عند ربه من عظيم الذكر وكريم المآب: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧] .

فسبحان الودود الحق الذي يتودد إلى خلقه بنعوته الجميلة ، ونعمه الكثيرة ، وألطافه الخفية : ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠﴾ [هود/ ٩٠].

وهو الودود الكريم الذي أحب عباده وتودد إليهم بحسن أفعاله وجزيل إنعامه ، وجعل في قلوبهم المحبة فأحبوه ، والفضل كله راجع إليه .

فهو الذي وضع كل سبب يتوددهم به ، ويجلب قلوبهم إلى وده ، بما عرَّفهم من أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، ونعمه التي لا تعد ولا تحصى : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

وهو الرحيم الودود الذي يفرج عن عباده الكربات ، ويدفع عنهم الكريهات.

وهو الودود الرحيم الذي بيَّن لعباده الدين الحق ، وهداهم إليه ، وحببه لهم ، وأعانهم عليه ، وأثابهم عليه : ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ [الجمعة/ ٢-٤].

واعلم ملأ الله قلبك بالإيمان وزيَّن جوارحك بأحسن الأعمال أن جميع ما في السموات والأرض من محبوبات القلوب والأرواح والأبدان كلها من كرم الرب الرحيم وإحسانه وجوده ، خلقها الله يتودد بها إلى عباده ، وجعلها شاهدة بتوحيده ، دالة على كمال قدرته : ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠] .

واعلم أن القلوب مجبولة على حب كل من أحسن إليها.

فأي إحسان أعظم من هذا الإحسان من الرحمن الذي يتعذر عده وإحصاء أجناسه وأنواعه وأفراده : ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

وكل نعمة من الودود الكريم توجب على العباد أن تمتلئ قلوبهم من محبته ومودته ، ومن ألسنتهم وقلوبهم حمده وشكره وتعظيمه وتسبيحه : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٣].

والحب الصادق حقاً لا يزيد بالبر ، ولا ينقص بالجفاء.

وحب المؤمنين لربهم أعظم من كل حب ، وإنه ليزيد في قلوبهم حتى يكون تلذذهم بمنعه وابتلائه كتلذذهم بنعمه وإكرامه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة / ١٦٥] .

فسبحان الله ما ألطفه فيما يقدره مما يجلب محبته ، ويزيد مودته ، ويبعث على طاعته.

فإذا رأيت نفسك تحبه وهو يبتليك فاعلم أنه يريد أن يطهرك ويصافيك فاصبر لحكم ربك ، واستغفر من ذنوبك ، فإن ربك رحيم ودود يريدك له : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر/ ٩٧ -٩٩] .

فسبحان الملك الحق الغفور الودود الذي يتودد إلى خلقه بأنواع الرحمة والعفو والمغفرة ، وأنواع الإكرام والإحسان والإنعام ، وأنواع الإجابة والهداية والكفاية واللطف: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس/ ٣] .

واعلم أن كل ود وحب ورحمة وحنان موجود في المخلوقات فمن آثار وده وحبه ورحمته وحنانه ﷻ ، ولا ريب أنه موجود في عالم الجماد والنبات والحيوان والإنسان ، ثم يزداد ظهوراً وقوة في المؤمن ، ثم في الولي ، ثم في النبي ، ثم في الملائكة الذين : ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٠].

يزداد ذلك الحب والود لله ﷻ حسب زيادة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومشاهدة عظمة آياته ومخلوقاته ، ومطالعة نعمه وإحسانه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩] .

فما أعظم حب الله لعباده ، وما أوسع رحمته بهم ، وما أعظم إكرامه لهم ، وما أحسن مودته

لهم: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود/ ٩٠].

إن العبد يشرد عن ربه فيقصر في الواجبات ، ويتجرأ على المحرمات ، والله الحليم يستره ، ويحلم عنه ، ويمده بالنعم ، ثم يقيض له من الأسباب ما يرجعه إليه ، ويتوب عليه ، ويغفر له تلك الجرائم، ويمحو عنه ما أسلفه من الذنوب ، ويعيد عليه وده ومحبته : ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج / ١٣ – ١٦].

ومن كمال مودته سبحانه للتائبين أنه يفرح بتوبتهم أعظم فرح.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاَةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيِسَ مِنْهَا ، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » متفق عليه(١).

واعلم أن الودود سبحانه مَنْ أحبه من أوليائه وتقرب إليه بما يحب أحبه وجعله إماماً يهتدي الناس به ، وجعله مجاب الدعوة ، وجيهاً في الدنيا والآخرة : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة/ ٢٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » أخرجه البخاري(٢).

أما مودة أولياء الله له فهي روحهم وحياتهم، بها تلذذوا بعبادته، وبها حمدوه وذكروه، وبها

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٩) ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له .

(٢) **أخرجه البخاري** برقم (٦٥٠٢) .

لهجت ألسنتهم بذكره ، وبها تحركت جوارحهم بطاعته ، وبها ذرفت دموعهم من أجله.

وبهذه المودة والمحبة صارت جميع محابهم الدينية والطبيعية تبعاً لهذه المحبة.

أما المحبة الدينية : فإنهم لما أحبوا ربهم أحبوا أنبياءه ورسله وكتبه وأولياءه ، وأحبوا كل عمل يُقرب إليه ، وأحبوا كل ما أحبه ربهم من زمان ، ومكان ، وعمل ، وعامل: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣١].

وأما المحبة الطبيعية : فإنهم تناولوا شهواتهم التي جُبلت النفوس على محبتها على وجه الاستعانة بها على ما يحب مولاهم ، بنية امتثال أوامر الله عند تناولها، فصارت عاداتهم عبـــادات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١٧٢].

فسبحان الودود الذي يتحنن إلى عباده بكل ما يكون سبباً في مودتهم له ، وحبه لهم.

واعلم أن حنان المخلوق رأفة في النفس ، ورقة في القلب ، وميل مفرط في الجبلّة لحبِّ ورحمةِ مَنْ يحنّ إليه أو عليه.

والله الرحيم الودود الذي ليس كمثله شيء أتم حناناً وأشد رأفة ورحمة بعباده المؤمنين من أنفسهم : ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ ﴾ [مريم/ ١٢-١٣].

واعلم أن الحنان والود والمحبة والرحمة مما ينزل من صفات الحق إلى الأرض ، وتنشأ من لدن عالم الجماد إلى عالم الملائكة كما تحن الطيور إلى أوكارها ، وكما تحن الحيوانات إلى أولادها ، وكما حن الجذع إلى النبي ﷺ حين ترك الخطبة عليه .

فلا إله إلا الله .. كم ملأ الكون بحنانه وإحسانه ومخلوقاته وآياته.

ومسالك الحنان من الرب في أصناف العالمين ظاهر بالرحمة التي عم بها جميع خلقه، واللطف الـذي عـم كـل مخلـوق: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ

﴿ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٤].

انظر لتنوِّر بصيرتك بالعلم والإيمان إلى الجنين في بطن أمه ، كيف حن عليه اللطيف فخلقه وصوره بأطواره ، وكيف سهل خروجه ، وكيف حنن عليه أبويه وكافليه ، وكيف جعل الرحيم في قلوبهم الشفقة عليه ، وكيف لطف في تغذيته في أطواره وبعد خروجه : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [السجدة/ ٦-٩] .

فهذا حنانه ﷻ في الآدمي وغيره من أنواع الحيوان في البر والبحر والجو .

فإن كان هذا المولود الآدمي قد سبق له القضاء بالهداية وفقه الكريم للإيمان والعمل الصالح ، فاتصل له الحنان أوله بآخره فسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل/ ٩٧] .

- **التعبد لله ﷻ باسمه الودود :**

الله ﷻ هو الغفور الودود الكريم الرحيم الذي منَّ على جميع مخلوقاته بالنعم الظاهرة والباطنة.

فاشكر ربك الودود على نعمه وآلائه ، واعتذر إليه من التقصير عما يستحقه من الشكر والعبادة.

وتضرع إلى مولاك أن يتولاك في جميع أمورك ، واسأله أن يعينك على ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وأن يتحمل عنك ما عجز عنه شكرك ، وأن يصفح عن تقصيرك في أداء واجباته وحقوقه ، وقل صادقاً : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٧] .

واستغفر ربك من كل ما تعلمه وما لا تعلمه من الذنوب ، فإنه غفور ودود ، وقل منكسراً : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٣] .

واعلم أن زبدة الإيمان واليقين حسن الظن بالله ، فأحسِن الظن بربك في جميع أحوالك ، فمن أحسن الظن بربه أحبه وقضى حوائجه ؛ لأنه الكريم الذي لا يرد سائلاً ، ولا يُخيب

مـؤملاً أبـداً : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

فكن مع مولاك الكريم بالذكر والعمل الصالح ما حييت يعطيك من خزائنه ما تريد ، فمن كان لله كان الله له ومعه في كل حال : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن/ ١٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَني ، فَإِنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَني في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً ، وَإِنْ أَتَاني يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » متفق عليه[(١)].

فهو سبحانه الكريم الباسط يديه بالعطايا في الشدة والرخاء ، والعطاء أحب إليه من المنع ، والعفو أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة ، والإحسان أحب إليه من العـدل: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم/ ٢٦-٢٧].

وهذا هو المثل الأعلى الذي اختص الله به على الكمال جل جلاله فخذ منه بقدر ما تستطيع ، فإن الله يحب من عبده أن يتصف بصفاته التي تليق به ، ولهذا أعلنها ونشرها في كتابه فقال : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه / ٨] .

فسبحان الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء/ ١١٠-١١١].

واعلم أنه يجب على الإنسان كما تودد إليه ربه بنعمه أن يتودد ويتقرب إلى ربه بجعل حياته كلها وأوقاته كلها في طاعة مولاه ، وعبادة ربه ، والإحسان إلى خلقه : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

واعلم أن المودة والمحبة من العبد لربه تستبين بحسن الموافقة والطاعة لمولاه، ودوام ذكره وشكره ، وحسن عبادته ، والمسارعة إلى ما يحبه ويرضاه ، ومحبة تلاوة كتابه ، وا تباع رسوله ﷺ ، ومحبة كل ما يحب ربه من الأقوال والأعمال وغيرها،فكن ذلك المحب رحمك الله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢–٤].

ومن دلائل حب العبد لله: حب الرسول ﷺ ، واتباع سنته ، وحسن الاقتداء به : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣١].

ومن علامات حب الله : ترك الشكوى إلى غيره ، وكتمان ما حكم به عليك من الضيق والشدة ، وتفويض الأمر إليه وحده: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [يوسف/ ٨٦].

ومن دلائل حب الله ﷻ : عدم الإقبال على الدنيا، وتقديم أمور الآخرة على أمور الدنيا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [فاطر/ ٥].

ومن علامات حب الله ﷻ: الإحسان إلى الناس ابتغاء وجه الله ، والجهاد في سبيل الله ، وبذل المال والنفس في سبيله ، والمسارعة إليه بصالح الأعمال ابتغاء مرضاته : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

ومن علامات حب العبد لربه : حب التعرف على أسمائه وصفاته ، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، وتعليم أحكام دينه ، ولزوم هذا الطريق حتى الموت : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

ومن علامات حب العبد لربه : كثرة ذكره ، وكثرة التفكر في عجائب مخلوقاته ، وتدبر معاني كتابه ، وحسن الثناء عليه ، وطول القيام بالليل في مناجاته : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٥ – ١٧] .

ومن علامات حب العبد لمولاه : صدق الانقطاع إليه في كل حال، وسبق النظر إليه عند كل حادثة، والأنس به، والطمأنينة بذكره، وحسن الأدب والافتقار بين يديه، وتسليم القلب والبدن إليه بحسن السمع والطاعة له: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك / ١٢] .

واعلم أن محبة الله تُنال بترك المناهي أكثر من منالها بفعل الأوامر.

فالأعمال الصالحة يعملها البَرّ والفاجر، والكف عن المناهي والمعاصي مع فعل الأوامر لا يكون إلا من صِدِّيق رباني ، فتقرَّب إلى ربك بفعل الأوامر واجتناب المناهي تكن ربانياً : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر / ١٧-١٨].

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨] .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر / ١٠] .

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري[1].

اللهم يا غفور يا ودود ، يا ذا العزة والجبروت ، يا بديع السموات والأرض ، نسألك رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك ، وعافية نقوى بها على طاعتك ، وعبادة نستحق بها جزيل مثوبتك .

اللهم ارحمنا بترك المعاصي أبداً ما أبقيتنا ، وارحمنا أن نتكلف مالا يعنينا ، وارزقنا حسن النظر والعمل فيما يرضيك عنا ، يا أرحم الراحمين .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

البَــرّ

قــال الله تعــالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨ ﴾ [الطور/ ٢٦ –٢٨] .

الله تبارك وتعالى هو البَرّ الواسع الخير والفضل، البار عباده بما ينفعهم ويصلحهم، الصادق في أخباره ووعده ووعيده، المحسن إلى خلقه الرحيم بهم الودود لهم، المكرم لهم بأنواع الكرامات : ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠ ﴾ [الإسراء/ ٧٠] .

وهو سبحانه البَرّ اللطيف بعباده الذي عم ببره جميع خلقه ، ووسعهم برزقه وإحسانه ، الغنـي الـذي يملـك خـزائن الـبر كلهـا: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ ﴾ [الحجر/ ٢١].

وهو سبحانه البَرّ الرحيم بعباده ، المحسن إليهم بكل نعمة ، الذي عم جميع خلقه بعطائه ، البَرّ بالمحسن بمضاعفة الثواب لـه ، البَرّ بالمسيء بالصفح والتجاوز عنه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٦٥ ﴾ [الحج/ ٦٥].

وهو سبحانه البَرّ الرفيق بعباده، الذي يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، ولا يكلفهم من العمل ما لا يطيقون، العفو الذي يعفو عن سيئات العباد، الكريم الذي يجزيهم بالحسنة عشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة، ولا يجزيهم بالسيئة إلا واحدة يمحوها بالتوبة أو برحمته: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥ ﴾ [الشورى/ ٢٥].

فسبحان البَرّ الرحيم الذي يفرح بتوبة عبده ، ويعطي الأجر الجزيل على العمل القليل: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠ ﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

والله ﷻ هو البَرّ الحق بعباده الذي يُوْسعهم خيراً وكرماً ، وفضلاً وإحساناً ، وحمداً وشكراً ، ومغفـرة وعفـواً ، ورحمـة ووداً : ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ٥٢ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ﴾ [النحل/ ٥٢-٥٣].

ومَنْ هذه صفاته وأفعاله وهذا بره بعباده أيليق بالإنسان أن يعصيه ويخالف أمره من بين خلقه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

والله بَرّ رحيم بعباده ، يدعو من عصاه ويتودد إليه أن يتوب إليه، ويُذكّره ويرغّبه بالرجوع إليه مهما كان ذنبه : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٣-٧٤].

والعبد المسلم بَرّ بربه يؤمن به ، ويحمده ويشكره ويسارع في مرضاته ، ويجتنب ما يكرهه ، ويراقب أمره ليطيعه : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

ويتذلل لعظمة ربه ، ويتصاغر لكبريائه ، ويسبح بحمده ، ويؤدي إليه حقه : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

فسبحان البرّ الكريم الرحيم الذي عم الكائنات كلها ببره وإحسانه ، وفضله وعطائه.

فهو مُوْلي النعم .. دافع النقم .. واسع العطاء .. دائم الإحسان .. ليس لبره حد .. وليس لكرمه مقدار.. ذو الكرم الواسع .. وذو العطاء الجزيل: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه البَرّ المحسن إلى خلقه بكل خير ؛ لأنه خلقهم ليسعدهم ويكرمهم ويحسن إليهم ، يربيهم بالنعم ليحبوه ، ويربيهم بالشدائد ليتضرعوا إليه ويفروا إليه : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

هو البرّ المحسن بالبر المطلق ، الذي بره وسع جميع خلقه ، هو البر الذي لا يقطع الإحسان بسبب

العصيان ، البر الذي ينعم على من أطاعه وعصاه ؛ لأنه لا رب غيره ، ولا إله سواه : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء/ ١٨-٢٢].

فسبحان الملك البرّ المحسن إلى جميع خلقه ، الذي يحسن إلى السائلين بحسن عطائه ، ويتفضل على العابدين بجزيل ثوابه ، الذي كل أفعاله حسن مليح : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس/ ٣١].

هو سبحانه البرّ الذي عم خيره وإحسانه جميع خلقه ، البر بعباده الذي دلهم عليه ، وبيَّن لهم كل ما يقربهم إليه ، وحبب إليهم الإيمان به وحسن عبادته ، وكرَّه إليهم كل ما يبعدهم أو يشغلهم عنه : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات/ ٧-٨].

فسبحان البر الرحيم الذي استمتع بأنواع بره جميع خلقه ، وخص من آمن به وأطاعه بمزيد من البر والإحسان : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف/ ٣٢].

واعلم رحمك الله أن بر الله بخلقه نوعان :

الأول: برٌ عام وسع الخلق كلهم من بني آدم وغيرهم بما قسم لهم الكريم من الأرزاق والنعم والعطايا في كل زمان ومكان.

فمنه ﷻ نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، ونعمة الهداية العامة : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾[هود/ ٦].

الثاني : برٌ خاص ، وهو هداية الكريم ﷻ لمن شاء من خلقه لهذا الدين القيم ، وتوفيقهم لطاعة رب العالمين : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات / ١٧] .

وبر الله بعباده المؤمنين لا يمكن عده ولا إحصاؤه ولا حصره .

فهو الملك الحق الذي ابتدأ الخلق بجوده، وجاد على عباده بفضله ، وأحسن إليهم بفعله وتقديره وتدبيره ، وأوصل إليهم البِرّ والخير في كل مكان وزمان : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

هو البر الكريم الذي خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وأعطى الغَناء ، وفتح الثراء ، وأسبغ النعماء ، وأجزل المواهب ، ويسر الأرزاق ، وأجاب الدعاء ، وعلَّم الإنسان ما لم يعلم : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام/ ١٠٢].

هو البر الرحيم الكريم الفياض بالخير ، الذي يعطي ويغني ويثري ولا تنقص خزائنه: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[يونس/ ٦٨] .

وهو البر النصير ، ملاذ المستجير ، وجابر الكسير ، وشافي المريض ، وراحم المسكين ، ومعين المستعين ، ومغني الفقير ، لا إله غيره ، ولا رب سواه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يونس / ٦٠] .

فسبحان الملك القادر على كل شيء ، الذي إليه المنتهى وإليه المرجع والمآب ، وإليه المفزع والملجأ في الشدائد والأهوال، الذي يتكرم بالعطيات، ويدفع الكريهات، ويفرج الكرب والمتعسرات : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر / ٦٥] .

أوضح ﷻ براهين الهدى ، وأبان آثار اليقين ، وأعلن شواهد التوحيد في الملك والملكوت: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف / ١٨٥].

فسبحان البر الكريم الذي بيَّن الحق في كل شيء ، وسهَّل العمل به والدعوة إليه .

وبيَّن الصفات والأعمال والسبل التي يستحق بها العبد المزيد من التكريم وضاعف أجر من قام بها : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ

مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون/ ١-١١].

وهو العليم وحده بمضمرات القلوب، الخبير بمحجوبات الغيوب، المطلع على خفيات الأسرار والأوهام: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾ [السجدة/٦].

فسبحان الله كم من كافر ومشرك ومنافق، وكم من ظالم وفاسق وكاذب، لم ينهه عقله، ولم تؤثر فيه نعم ربه، فعصى ربه، وأطاع هواه، واستعمل نعمه في معصيته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٢-٣٤].

والله البر الرحيم يشاهد ذلك كله ويعلمه، ثم أنزل به الكريم بره وفضله، ومَنَّ عليه برحمته، فأذهب عنه السوء والشك والريب، وأذهب وحشته، وسكَّن اضطرابه، وتاب عليه، وقوَّم اعوجاجه: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء/ ٢٧-٢٨].

ثم بوّأه الكريم كنفه، وآواه إلى ظله، وتلقاه برحمته، فأقامه وأصلحه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر/ ٦١].

ثم فتح له أبواب فضله، وفتح له أبواب عبادته، وألبسه لباس التقوى، ثم نشر له ثوب الثناء بين الخلق، فصار بين الناس حميد الاسم والذكر والفعل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم/ ٩٦].

فسبحان الرب البَرّ الحق، الذي يكرم خلقه، ويحسن إليهم في كل وقت، ويحب البِر، ويحب أهل البِر، ويحب أعمال البِر، ويجازي عليها بالهدى والفلاح والرفعة في الدنيا

والآخرة: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

فجاهد نفسك رحمك الله على جميع أنواع البر تنال جميع أنواع الثواب: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾[آل عمران/ ٩٢].

واعلم أن البِر اسم جامع للخيرات كلها، ولا ينال العبد بر الله تعالى إلا باتباع ما يفضي إلى بره ومرضاته ورحمته، وذلك بالاستقامة على طاعته وعبادته، وبذل كل محبوب في سبيل مرضاته ﷻ.

وقد بين الله جميع أعمال البر في آية واحدة بقوله سبحانه: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧ ﴾ [البقرة/ ١٧٧].

فاقطع من وقتك أوقاتاً للتجارة مع ربك للقيام بأعمال البر كلها.

فأولها كما ورد في الآية الجانب الإيماني ليزيد إيمانك وتحسن أعمالك.

أما الجانب العملي فأوله البذل في وجوه البر إحساناً إلى الخلق.

أما العبادات التي تجمع المخلوق بخالقه فهي الصلاة، والتي تجمع المخلوق بالمخلوق على المحبة هي الزكاة.

أما العبادات الأخلاقية فهي الوفاء بالعهد، والصبر في كل حال.

واعلم أن من شروط البر أن تبذل الأحسن وتعطي الأفضل من الأموال والأخلاق والمنافع والأخلاق والجاه من أجل مرضاة الله: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾ [آل عمران/ ٩٢].

واعلم أن الكفار يأكلون من رزق الكريم، ويتمتعون به في الدنيا قليلاً، ثم يساقون إلى النار يوم القيامة فلا يغرنك ما هم عليه: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧﴾ [آل عمران/ ١٩٦-١٩٧].

أما المؤمنون بالله المتقون له فلهم مع عز الدنيا جنات في الآخرة نزلاً من البَر الكريم لعباده الأبرار، الذين بَرّت قلوبهم بالتوحيد والإيمان فبَرّت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البَر الرحيم من بِره أجراً

عظيماً وفوزاً دائماً : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المطففين/ ٢٢-٢٦].

وكتاب هؤلاء الأبرار في أعلى مكان، وهم في أعلى الجنة، وكتابهم يشهده المقربون من الملائكة والأنبياء والأبرار : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المطففين/ ١٨-٢١] .

وما يحصل لهم في الدنيا من الشدة والعناء فهو بالنسبة إلى النعيم المقيم في الآخرة نزر يسير، وهو منحة في صورة محنة: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٩٨] .

فلله ماذا ينتظر هؤلاء الأبرار والأخيار من النعيم والبهجة والسرور : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة / ١٧] .

- **التعبد لله ﷻ باسمه البَرّ :**

اعلم وفقك الله لأعمال البِر أن أوائل البِر أداء الفرائض ، واجتناب المحرمات .

والأبرار من الخلق هم المؤمنون الصادقون في القول والعمل.

وبالتوسع في أعمال البر والمسابقة إلى الخيرات يصعد الأبرار إلى درجة المقربين من الله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [الواقعة/ ١٠-١٢] .

فعليك بتحري الصدق في جميع الأحوال والأقوال والأفعال ظاهرها وباطنها ، والتمييز بين ما يكون حسناً وما هو أحسن ، وبين ما يكون براً وما يكون إثماً ، ثم فِعْل البر والأحسن مما يحبه الله ويرضاه : ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد/ ٢١].

وعن النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عنِ البِر والإثم؟ فقال : « الْبِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ » أخرجه مسلم [1].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٣) .

واعلم أن التعبد لله بهذا الاسم الكريم يدور على حسن الثناء على المولى ، وتذكُّر الآلاء ، والتعرف على مواقع النعماء ، والعلم بمسالك بره وجوده في ملكوته ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) ﴾ [الرعد/ ٢-٣].

فأخلص لربك البَرّ العظيم العمل ، وأوف له بالعهد ، وخصه بالحب والود ، وأكثِر له من الحمد والشكر ، واحسن الى خلقه : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ (٥) ﴾ [البينة/ ٥] .

وسل الله أن يصل نعمه عليك في الدنيا من الصحة والإيمان والطاعات والأعمال الصالحة بنعمه في الآخرة من رضوانه ودخول الجنة : ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (٢٠١) أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (٢٠٢) ﴾ [البقرة/ ٢٠٠-٢٠٢].

واشكر ربك البر الرحيم الذي ألوان بره بعباده لا يحصيها إلا هو .

ثم استعمل نفسك في كل عمل يحبه الله ويرضاه فيما بينك وبينه، وفيما بينك وبين خلقه.

وبر والديك بأحسن ما تملك من الخُلق والمال والجاه : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا (٢٤) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا (٢٥) ﴾ [الإسراء/ ٢٣-٢٥].

وبر أهلك وعشيرتك وأقاربك بما بَرّك الله به وأعطاك منه ، وأنفق مما خَوَّلك من فضله يَخلف الله عليك خيراً منه : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (٣٩) ﴾ [سبأ/ ٣٩] .

واعلم أن أعظم البر معرفة من خلقك ، ومعرفة ما يحب ، والعمل بمقتضى ذلك ، والدعوة إليه بين خلقه .

وغُض البصر ، واكظم الغيظ، واصبر على أذى الناس ، واعرض عن كل جاهل ، وأحسن إلى كل مسيء إليك تكسب مودته ويندفع عنك شره: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت/ ٣٣-٣٥] .

واصفح الصفح الجميل عن كل من أساء إليك ، وأقِلْ عثرات الناس ، واسدل الستر على زلاتهم ، وطيِّب قلوبهم بالبر والجود وحسن الخلق يحبك الله والناس ، وتَحُل عقدة عداوتهم بحسن خلقك : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٩-٢٠٠].

وأحسِن إلى كل أحد تكسب أجره ، وتظفر بمودته ، وتكون سبباً لهدايته ونفعه.
فمن كان كافراً أو مجرماً أو سيئاً أو عاصياً وهو لا يعاديك فأحسِن إليه وتلطف معه وأكرمه، فعسى أن تكون سبباً لهدايته وتوبته : ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة/ ٨].
وكما ذكَّرك غيرك فاهتديت فذكِّر غيرك ، وكما أحسن الله إليك فأحسِن إلى خلقه ، وكما أنعم الله عليك بنعمة الهداية فأنعِم على غيرك بنعمة الهدى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل/ ١٢٥].
واعلم أن سلعة الله غالية ، وسلعة الله هي الجنة دار السلام.
ومن توهم أن ثمن الجنة ركعتان تؤديهما أو درهمان تنفقهما فقط ، وبعد ذلك يفعل ما يشاء فهو مخطئ : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة/ ٨٥].
فالدين بذل وعطاء ، وعبادة ودعوة ، وجهاد وصبر ، وإيمان وتقوى ، وعبادة الحق ، ومحاسنة الخلق ، وما أكمله الله لابد من تكميله ، ومن قام بالدين كله نال الثواب كله : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣].

واعلم أن البر اسم جامع لكل الطاعات ، ولكل أعمال الخير المقربة إلى الله ، ولكل الأعمال المرضية لله ، ولهذا أمرنا الله بالتعاون على فعله ونهانا عن ضده فقال سبحانه : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة/ ٢].

واعلم أن البر اسم جامع لخيري الدنيا والآخرة ، ولا يناله إلا من صدق في إيمانه ، فالصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة .

والصدق أنواع ، وأعلى أنواع الصدق أن تكون صادقاً مع الله .. وصادقاً مع نفسك .. وصادقاً مع الناس .. وصادقاً مع الخلق .

فالصدق مع الله أنك إذا عاهدته على التوبة ألا ترجع إلى الذنب ، وإذا عاهدته على الطاعة ألا تعصيه بعد العهد : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل/ ٩١].

والصدق مع النفس أن تحملها على طاعة الله ، وتزجرها عن معصية الله ، وتعطيها حظها مما فطرها الله عليه حسب الشرع : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص/ ٧٧].

والصدق مع الناس أن تحب للناس ما تحب لنفسك ، فتصدقهم الحديث ، وتؤدي حقوقهم ، وتدلهم على كل خير ، وتحذرهم من كل شر.

والصدق مع الخلق أن تكون وفياً براً كريماً مع كل أحد ، ففي كل كبد رطبة أجر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة/ ١١٩].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:« عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقاً، وإِيَاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّاباً » متفق عليه[1].

وذكِّر العباد بالله وأسمائه وصفاته وآلائه ونعمه فأكثر من يعصيه لا يعرفه : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى/ ٩-١٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤) ، ومسلم برقم (٢٦٠٧) واللفظ له.

واسأل الله مخلصاً ، وتضرع إليه باكياً أن يَحْلل سخيمة قلبك ، ويزيل عنه كل ما يفسده من غل وغش وحسد وكبر ورياء وكذب : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

ثم اسأله أن يملؤه بالتوحيد والإيمان والتقوى ومحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة / ٤] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ القَلْبُ » متفق عليه [1].

وإذا عرف المؤمن أن ربه بر رحيم فيجب عليه أن يكون باراً بكل أحد : ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران / ١٩٣] .

﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم / ٨] .

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً ، وَفِي بَصَرِي نُوراً ، وَفِي سَمْعِي نُوراً ، وَعَنْ يَمِينِي نُوراً ، وَعَنْ يَسَارِي نُوراً ، وَفَوْقِي نُوراً ، وَتحتِي نُوراً ، وَأَمَامِي نُوراً ، وَخَلْفِي نُوراً ، وَعَظِّمْ لي نُوراً » أخرجه مسلم [2].

اللهم يا بَرّ يا رحيم ، يا غني يا كريم ، يا من يسمع كلامنا ، ويرى مكاننا ، ويعلم سرنا ونجوانا ، ولا يخفى عليه شيء من أمرنا .

نسألك أن تكفينا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا يا أرحم الراحمين .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ، ومسلم برقم (١٥٩٩) .

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٧٢٠) .

الرؤوف

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٠٧].

الله ﷻ هو الرؤوف الحق بعباده ، فلا أحد أرأف منه ، هو الرؤوف الرحيم الذي يرى عجز العباد وضعفهم وتقصيرهم فيرحمهم ويضاعف أجورهم، ويرى جرأتهم على المعاصي فلا يعاجلهم بالعقوبة وهو القادر، بل يمهلهم ويبسط لهم نعمه ، لعلهم يتوبون إليه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج / ٦٥] .

وهو سبحانه الرؤوف الذي يفرح بتوبة التائبين أشد الفرح، ولشدة حبه لعباده الذين عصوه يرغِّبهم في التوبة ، ويذكِّرهم بأنه الغفور الرحيم: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٤] .

ولشدة رأفته ورحمته بعباده يأمرهم أمراً جازماً بالتوبة من كل ذنب ، في كل وقت ؛ لأنه يريد لهم الخير والفلاح : ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور / ٣١] .

وهو سبحانه الرؤوف بجميع الخلق بما يسر لهم من الأرزاق ، وفتح لهم سبل المعاش في هـــذه الحيـــاة : ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [النحل / ١٣] .

ومن رأفته بعباده أنْ بيَّن لهم طرق الخير والفلاح ، ويسَّر لهم سبلها، ورغَّبهم فيها ، وأثابهم عليها، وحذرهم من سبل الغي والفساد ليسلموا من العقوبات : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران / ٣٠] .

ومن رأفة الله بالناس ما فتحه لهم من أبواب الرزق في الأرض: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك / ١٥] .

ومن رأفته ﷻ بعباده أنْ سخر لهم الأنعام يركبونها، ويأكلون لحومها، ويشربون ألبانها،

ويلبسون أوبارها: ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ ﴾ [النحل/ ٥-٧] .

ومن رأفته ومنته ورحمته بالناس في هذا الزمان ما يسر لهم من المراكب المريحة الجميلة كالسيارات والقطارات والطائرات والسفن ووسائل الاتصال ، وفنون الزراعة والصناعة وغيرها مما سهل سبل العيش: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨ ﴾ [النحل / ٨] .

فسبحان الملك الرؤوف الحق الذي عم برأفته عموم خلقه في الدنيا ، وخص بها أولياءه في الآخرة.

وأرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب ، وخص هذه الأمة بأفضل رسله الذي جمع محاسن الأخلاق ، وأنزل عليه أحسن كتاب ، وشرع له ولأمته أحسن دين: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾ [التوبة / ١٢٨] .

فما أعظم إشفاقه ﷺ على الكفار من أجل إعراضهم، وما أشد رأفته ورحمته بالمؤمنين والخلق أجمعين .

والله ﷻ رؤوف رحيم بعباده المؤمنين ، أدخلهم في رحمته وأعانهم على طاعته ، وهو الكريم الذي يضاعف أجورهم ، ويغفر ذنوبهم ، ويتجاوز عن سيئاتهم وتقصيرهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠ ﴾ [النساء/ ٤٠] .

فسبحان الملك الحق الذي أنزل على عباده الحق ليخرج الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور التوحيد والإيمان: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩ ﴾ [الحديد / ٩] .

واعلم أن رأفة الله بالخلق ظاهرة في كل تدبير ، والرأفة شدة الرحمة ، بل هي نهاية الرحمة ، فلكمال رأفة الله بالإنسان يسوق إليه كل ما ينفعه ، ويشفق عليه من كل مكروه يحل به ، ويدفع عنه السوء الذي يضره : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فالرأفة بالعبد قبل أن يقع المكروه ، والرحمة بعد أن يقع المكروه .
ومن رأفته سبحانه أن يحمل العبد على التوبة قبل أن يقع في المعصية ، فإذا وقع في المعصية رفع عنه العقاب برحمته ، فالرأفة فيها معنى الوقاية ، والرحمة فيها معنى العلاج.
فسبحان من رأفته بعباده أن يصونهم عن موجبات عقوبته ، ويرحم من أذنب منهم بالعفو عنه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس/ ٦٠].
هو الرؤوف الرحيم الودود الذي بآياته ومخلوقاته يدل الناس عليه ، وبنعمه وإحسانه يجرهم للثناء عليه ، وبالفتن والمصائب يرجعهم إليه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد/ ٢].
واعلم أن المصائب والشدائد كلها عصى بيد الله يؤدب بها النفوس ، ويسوق بها الناس إليه ، فالخوف يدفع الإنسان إلى ربه ، والشدائد والمحن تسوقه إلى بابه ، فمن تاب نجا ، ومن أعرض هلك ، وما يتذكر إلا من ينيب : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام/ ٤٢-٤٤].
فسبحان الرؤوف الرحيم الذي يتفضل على عباده بكل نعمه ، ويستر ما يرى من العيوب ، ويعفو عما ستر من الذنوب : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى/ ٢٥].
واعلم أن الله رؤوف بالعباد، يصبر على مَنْ كفر به وعصاه ولا يعاجله بالعقوبة لعله يتوب إليه : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠] .
وما عمل عامل بمعصية الله إلا استأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه، واستأذن موضعه من الأرض أن يخسف به، ولكن الرؤوف الرحيم يمهله لعله يتذكر وينيب ويتوب:
﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾
[النحل/ ٤٥ – ٤٧] .

فسبحان الملك الرؤوف الرحيم الذي برأفته ورحمته جعل عبده المذنب أواباً إليه، متوجعاً من ذنوبه، وبرأفته ورحمته أوجع قلبه بمعصيته، وأحزن نفسه على إتيانها الإثم مع علمه بما كتبه عليه في اللوح المحفوظ، وعلمه بضعفه وما يقاسي منه، وما ينازعه من الشهوات والشبهات عن طاعة ربه ومولاه.

فالعبد بين هذه النوازع والفتن والغفلة موضع للرأفة والرحمة، وأن يُشفق لحاله، ويُرحم من أجلها من ربه الرؤوف الرحيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فلا إله إلا الله ما أعظم رحمته بخلقه، وما أعظم رأفته بهم، وما أعظم إحسانه إليهم: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥٤﴾ [الأنعام/ ٥٤].

أفلا يستحي الكافر والفاسق من ربه الرؤوف الرحيم الذي نعمه عليه كثيرة متوالية، وهو مُكِب على إجرامه، ومبارز لربه الجبار السميع البصير بمعاصيه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ١٧ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ١٨﴾ [الملك/ ١٦-١٨].

• التعبد لله ﷻ باسمه الرؤوف:

اعلم وفقك الله لما يرضيه أن الله رؤوف بالعباد، وأنه لا يوجب لك رحمته ورأفته على الكمال إلا بالعلم به والتطهر له والعمل بما يحبه ويرضاه، وعلى قَدْر ارتقائك في التعبد له بمقتضى أسمائه وصفاته على طريقة رسوله ﷺ يكون قربك منه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

وعلى قَدْر قربك منه تكون عنايته بك، وعطفه عليك، ولطفه ورحمته بك: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

فاذكره يذكرك، واعبده بمقتضى أسمائه وصفاته يحبك، وكن له يكن لك، والبس له لباس التقوى تظفر بكل ما تحب وترضى في الدنيا والآخرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ

وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِى ، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » متفق عليه [1].

واعلم أنه كما مَنَّ عليك الرؤوف الرحيم بالنعم الظاهرة والباطنة فيجب عليك أن تكون بالناس رؤوفاً رحيماً ، فتدلهم على كل خير ، وتحسن إليهم بالقول والفعل ، وتدفع عنهم ما يضرهم : ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الحديد/ ٧].

وكن رؤوفاً بالعباد يرأف بك رب العباد ، وليكن حظك من هذا الاسم الكريم الرأفة والرحمة بالخلق : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

واعلم أن الله لعظيم رأفته ورحمته بعباده لا يعذب إلا من أبى عليه وأعرض عنه ، وعمل بما يسخطه ، وأصر على ذلك: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ [محمد/ ٢٨] .

فاحذر أن تعصيه بنعمه وتجاهره بالفواحش وهو يراك ، فإن عفوه كريم وأَخْذه أليم شديد : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر/ ٤٩ – ٥٠] .

ومن رحمة الله بعباده ورأفته بهم أنه يذودهم عن مراتع الهلكات ، ويمنعهم موارد الشهوات ، ويحميهم من مجالس الغفلات ، فمتى أصابهم نصيبهم من كتاب سبق في القدر أقال عثراتهم ، ونبههم من سِنَة غفلاتهم ، فانتبه لنفسك ، واعلم أن كل شيء بقدر ، وتب إلى ربك واستغفره تنال بره وإحسانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٠١] .

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

والله ﷻ حكيم عليم ربما رأف بعباده ورحمهم بما يكون في الظاهر من القبض عنهم والمنع لهم ونحو ذلك مما يشغلهم عنه وينسيهم إياه من كثرة الأموال التي تشغل المخلوق عن الخالق إلا من عصم الله : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٥٥-٥٦] .

فسبحانه ما أحكمه في تدبيره، فكم من عبد فقير يرحمه الخلق مما به من الفاقة والضراء وهو بغاية الرحمة تغبطه الملائكة في حالته وأبناء جنسه عنه غافلون: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [غافر/ ١٣ - ١٤] .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر / ١٠] .

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه[1] .

اللهم إنا نسألك أن تدخلنا في رحمتك ، وتقضي آجالنا في طاعتك ، وتشغل ألسنتنا بذكرك ، وتستعمل جوارحنا في عبادتك يا رؤوفاً بالعباد .

اللهم إنا نسألك صدق التوكل عليك ، وحسن الظن بك ، ودوام ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، يا أرحم الراحمين .

اللهم أنت الرؤوف الذي جذبت إليك القلوب بحسن أسمائك وصفاتك ، وأنت الرحيم الذي وسعت رحمتك المطيع والمخالف ، ارزقنا حسن الرأفة بخلقك يا رؤوف يا رحيم.
اللهم حبب الي العطف على كافة الخلق حتى أحب الهدى للكافرين ، وأتمنى التوبة للعاصين ، وأستغفر للمسيئين ، وأطلب السعة للمحتاجين ، وأنال قسطاً من ميراث سيد المرسلين ، إنك أنت الرؤوف الرحيم.

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له.

القريب

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

الله ﷻ هو القريب الحق من جميع خليقته، وهو أقرب إلى المخلوق من نفسه ومن مجرى الروح فيه ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [المجادلة/ ٧].

وهو سبحانه القريب الذي يرى جميع مخلوقاته في السموات والأرض، القريب الذي يسمع دعاء من دعاه ويجيب دعوة الداعي، القريب من كل متكلم، الذي يسمع كل ما ينطق به، ويعلم ما في قلبه قبل أن ينطق به لا إله إلا هو، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الشورى/ ١١-١٢].

وهو سبحانه القريب اللطيف الذي يرى ويسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، لا إله غيره، ولا رب سواه، ولا هادي إلا هو: ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سبأ/ ٤٩ - ٥٠].

وقرب الله ﷻ من خلقه نوعان:

الأول: قرب عام من كل مخلوق في ملكوته بعلمه به ومشاهدته له وإحاطته به ومراقبته له، فلا يخفى عليه مثقال ذرة من كل مخلوق في السماء والأرض: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق/ ١٦].

والثاني: قرب خاص من عابديه وسائليه ومجيبيه، ومن آثاره لطفه بعبده، وعنايته به، وإجابة دعوته: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٦].

وهو سبحانه القريب المجيب لكل من دعاه مَنْ كانوا وأينما كانوا وعلى أي حال كانوا : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وهو سبحانه القريب المجيب لمن أخلص له العبادة، ورغب إليه في التوبة .

وهو سبحانه العلي الأعلى الذي استوى على عرشه ، المحيط بكل ذرة في ملكه ، القريب من كل مخلوق في ملكوته : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس/ ٦١].

فسبحان الملك الحق العزيز الجبار الغني الكريم الذي ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا إكراماً لأهل طاعته، وحباً لهم، وتحنناً إليهم : ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الحديد/ ٩].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » متفق عليه [(١)].

واعلم أن من أنار الله قلبه بالإيمان وأزال الحُجُب عن بصره وبصيرته سما بقلبه وعقله إلى الملكوت العظيم ، فرأى صمود المخلوقات إلى ربها ، وسمع المخلوقات كلها لها زجل بالتسبيح ، وأصوات تخطب بالتوحيد، وشاهد استسلام المُلك والملكوت لذي العزة والكبرياء والجبروت : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل/ ٤٨-٥٠].

واعلم أنه على قدر القرب من الهادي سبحانه ، وصدق الافتقار إلى الغني ، وذل الانكسار بين

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

يدي الملك، يكون قدر العطاء وحسن الثناء : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل/ ٩٧] .

فلا إله إلا الله ، من صعد بقلبه ونظر في الملك والملكوت رأى مُلكاً عظيماً ، وصنعاً بديعاً ، وتدبيراً حكيماً ، وخلقاً كثيراً، يراه البصر وتشهد به البصيرة : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/ ٦-٨].

فكيف لو وصل بلبه إلى من ليس دونه مقصد ولا وراءه منتهى ، وصعد إلى الحق من أسمائه وصفاته وأفعاله ، ورأى المحيط بكل محيط ، القاهر لكل قاهر : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد/ ١٩].

هو الملك الحق المبين ، والرب العلي العظيم ، والغني القوي العزيز ، والعفو الغفور الرحيم ، والحي القيوم الكريم ، والكبير الجبار المتكبر ، الذي له جميع الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤] .

وكلما قَرُبْت أيها المؤمن من ربك قَوِيَت دلالة الدالين عليه ، وكثرت إشارات المشيرين إليه : ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٩] .

فما أعظم كرامة من وصل إلى ربه العظيم وانتهى إليه وشاهده بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، ورآه يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد.

يخلق ويرزق ، ويكرم ويهين ، ويأمر وينهى ، ويحيي ويميت ، ويعطي ويمنع : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ

ﭐلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

أترى هذا العبد المكرَّم يتعداه إلى سواه، أو ينشغل بغيره عنه، أو يلزم عبادته وطاعته بالذل والانكسار بين يديه: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

فسبحان الملك الحق الذي تجلّى لعباده بأسمائه وصفاته وأفعاله، وألهم معرفته وهيبته جميع مخلوقاته، فخضعت لجلاله وسجدت لعظمته وكبريائه: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٥٠﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

وهو سبحانه القريب من خلقه، الذي يرى أشخاصهم، ويسمع كلامهم، ويعلم أحوالهم، ولا يخفى عليه شيء من أمرهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٥﴾ [الحديد/ ٤-٥].

وهو سبحانه القريب السميع البصير العليم بكل شيء، فهو مع الداعي إذا دعاه، ومع المسافر في سفره، ومع أهله في وطنه، هو الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، والمال والولد: ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد/ ٢-٣].

فسبحانه ما أعظم شأنه، وما أقربه من عباده، وما أكرمه لمن أطاعه، وما أحلمه على من عصاه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فكنا إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا فقال النبي ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ

أَصَمَّ ، وَلَا غَائِبًا ، إِنَّهُ مَعَكُمْ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ، تَبَارَكَ اسْمُهُ ، وَتَعَالَى جَدُّهُ » متفق عليه (١).

وهو سبحانه القريب الذي يتقرب أقرب إلى من تقرب إليه بما يحبه ويرضاه.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ.

وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً » متفق عليه (٢).

واعلم رحمك الله أن قرب الرب من عباده المؤمنين يكون على قدر تحققهم في صفات الإسلام والإيمان والإحسان واليقين والتقوى.

وقربه منهم يكون بسرعة إجابته لدعائهم ، وسماعه لنجواهم ، وشهوده اللطيف لأحوالهم ، فهو القريب منهم ، إن سألوه أعطاهم ، وإن دعوه أجابهم: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

• التعبد لله جل جلاله باسمه القريب:

اعلم رحمك الله أن المَلك الحق المبين قريب من جميع مخلوقاته ، القريب والبعيد كله عنده قريب ، والكبير والصغير كله عنده صغير ؛ لأنه وحده الكبير الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، وبيده المُلك والملكوت : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس / ٨٣].

فتقرب إلى ربك العظيم بكل ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، تكون بالقرب منه يوم القيامة: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٠٤) .

(٢) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) ومسلم برقم (٢٦٨٧) واللفظ له .

وأخلص أعمالك لله، وأحسن عبادة ربك : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء/ ٢١٧– ٢٢٠].

واعلم أن رحمة الله تُنال بالإحسان بالقول والعمل والخُلق والمال ، فأحسِن كما أحسن الله إليك : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف / ٥٦] .

وقرِّب الناس إلى ربهم وذكِّرهم بنعمه وآلائه وبيِّن لهم عظمة أسمائه وصفاته؛ ليعظموه ويكبروه ، ويحمدوه ويشكروه ، ويتقربوا إليه ويعبدوه ، ويستفيدوا من بركات خزائنه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت / ٣٣] .

وتقرَّب إلى القريب منك ﷻ ، وأكثِر من السجود له يقرِّبك منه ، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج/ ٧٧] .

واعلم أن كمال التقوى سببها العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة نعمه وإحسانه، والعلم بدينه وشرعه، وهي درجة فوق الهداية إلى الإيمان الذي يفارق به العبد من لم يؤمن بالله، وهي الدليل على صحة الإيمان: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

واتق الله حيثما كنت ، وتقرب إليه بفعل ما أمر به ، وترك ما نهى عنه ، واحذر اتباع الهوى والبدع، فإن الله لا يقبل ولا يتقبل إلا من المتقين : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة/ ٢٧] .

وإذا عرفت الله بأسمائه وصفاته في قلبك ذهب البعد كله في حقك، وإنما تجد البعد كله في حقك أنت فتقرَّب إليه بما يحبه ويرضاه يقْرب منك، وتزول مسافة البعد بينك وبينه بكمال الإيمان والتقوى ، واتباع رسوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣١] .

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى

ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف / ١٥] .

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم [1].

اللهم ياقريباً غير بعيد ، ويا شاهداً غير غائب ، يا حي يا قيوم ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا كاشف الكرب ، يا مجيب دعوة المضطر ، يا سميع يا بصير .

أسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين.

اللهم قني شر نفسي ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، ولا تنزع مني صالح ما أعطيتني ، وكن بي رؤوفاً رحيماً ، يا سميع يا قريب .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

المجيب

قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود/ ٦١].

الله ﷻ هو المجيب الحق لجميع من في السموات والأرض من المخلوقات، الذي يجيب كل داعٍ وسائل على اختلاف اللغات، وكثرة السؤالات، وتباين الحاجات، وتكرار الأوقات: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وهو ﷻ وحده الذي يسمع دعاء الخلق كلهم، ويجيب دعاءهم، الذي يجيب المضطر الذي أقلقته الكروب، وتعسَّر عليه المطلوب، واضطر للخلاص مما هو فيه من المتعاصيات والكروب: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل/ ٦٢].

وهو سبحانه الكريم الرحيم المجيب، الذي يكشف السوء والشر والبلاء عن عباده على مر الدهور: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢].

فسبحان الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء، وله خزائن كل شيء، الذي صمد لجميع حوائج الخلق، وصمدت جميع الخلائق إليه في حوائجها، فلا رب لها سواه، ولا إله لها غيره: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن/ ٢٩].

فليس في هذا المُلك الكبير والملكوت العظيم إلا خالق واحد ومخاليق، ومَلك وعبيد، كما أنه ليس فيه إلا عابد ومعبود، وسائل ومجيب: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر/ ٦٠].

والله واسع كريم يعطي خلقه من فضله ورزقه ابتداءً بلا سؤال، ويعطي السائلين ويجيب الداعين إذا دعوه من كانوا وحيث كانوا.

وكل ذلك كتبه الله وقدَّره ثم أظهره: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ

بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

فسبحان العليم القدير الذي خلق كل شيء، وقدر على كل شيء، وكتب مقادير كل شيء: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج/ ٧٠].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْض بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ» أخرجه مسلم [1].

واعلم أن مِنْ حُبِّ الله ﷻ لإجابة السائلين ودعاء الداعين أنْ عرَّف عباده بأسمائه وصفاته، وأمرهم أن يدعونه بها، وبيَّن لهم عظمة خزائنه المملوءة بكل شيء، ودعاهم للاستفادة من خزائنه بسؤال خالقها ومالكها وحده لا شريك له: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فسبحان الله ما أعظم حُبه لخلقه، وما أعظم حُبه للإحسان إليهم، أعطاهم من كل ما سألوه، ودلهم على ما ينالون به ما يحبون: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

والله ﷻ العطاء أحب إليه من المنع، كريم لا يرد سائلاً أبداً، ومن حبه للعطاء ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، ليقْرب من عباده، ويقضي حاجة من سأله.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» متفق عليه [2].

هو المجيب الذي ينعم قبل الطلب والنداء، ويتفضل قبل السؤال والدعاء.

---

(١) **أخرجه مسلم** برقم (٢٦٥٣).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

هو القريب المجيب الذي يقابل دعاء الداعين بالإجابة ، ويقابل سؤال السائلين بالإسعاف ، ويقابل ضرورة المضطرين بالإغاثة ؛ لأنه الرحيم الذي لا أرحم منه ، الكريم الذي لا أكرم منه : ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود / ٦١].

هو المجيب الكريم الذي يعطي قبل الدعاء ، وإذا تأخر العطاء إلى ما بعد الدعاء فإنما يريد الله أن تدعوه وتناجيه ، وتلجأ إليه وتتصل به ، وتمرغ وجهك في أعتابه ، ويحب أن يسمع صوتك ويسعدك بالاتصال به ، ويجعل حاجتك وسيلة لهدف هو الاتصال بالرب العظيم ، والتعبد للحق الكريم : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

فسبحان الملك الرؤوف الرحيم الذي قد يُحوج عبده إلى شيء وقد يخيفه من شيء من أجل أن يسأل ربه ويفزع إليه ، ويتصل به ، ويستعين به ، ويلوذ بحماه ثم يجيبه إذا صفا توحيده ودعاه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

واعلم أن سؤال الله ﷻ والتضرع إليه هو الهدف والمقصود ، والحاجات والمصائب هي الوسيلة ، فالله خلق عباده ليسعدهم ، وجعل الحاجات والمصائب وسائل ، والاتصال به وإخلاص الدعاء له هو المقصود ؛ لأنه سبحانه يعلم حاجة المحتاجين ويعطيهم إياها قبل سؤالهم.

وإذا أخرها فإنما يحب أن يسمع سؤالهم ودعاءهم ويسعدهم بالاتصال به : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

هو الغني الكريم الذي خلق الخلق ووفر حاجاتهم قبل أن يخلقهم ، وساقها إليهم قبل أن يسألوه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية/ ١٢-١٣].

فسبحان الملك العظيم الذي له في ملكه وملكوته ومخلوقاته حِكم وأحكام ، وخلق وأمر ، وبسط وقبض ، ورفع وخفض : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك/ ١-٢].

هو الحي القيوم الذي يقابل الدعاء بالإجابة ، ويقابل السؤال بالعطاء ، ويقابل الاستغفار بالمغفرة ، ويقابل العمل الصالح القليل بالثواب الجزيل .

هو القريب المجيب الذي يفرج كرب المكروبين ، ويجيب دعاء المضطرين : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل/ ٦٢].

فسبحان الرب العظيم الذي يسمع دعاء جميع الداعين في السموات والأرض ، ويجيب جميع أسئلة السائلين ، ويحب أن يسأله العباد جميع مصالحهم الدينية والدنيوية كما يسألونه الهداية والرحمة والمغفرة والإعانة على الطاعة : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر / ٦٥] .

واعلم رحمك الله أن من وفقه الله للإيمان به، ودوام ذكره ، والأنس بمناجاته ، وتدبر كتابه ، والتفكر في مخلوقاته ، والاعتبار بآياته ، آتاه رحمة من عنده وعصمه مما يبعده عنه،واستوجب القرب منه بحسن عبادته له ودوام مجالسته له بالذكر والشكر والفكر: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر / ٩] .

وكذا الإكثار من الطاعات ، والزهد في الحلال ، والاقتصار على الكفاية ، وترك ما لا يعني ، واجتناب فضول الكلام والنظر والطعام ، وترك الحرام ، واجتناب الفواحش والآثام ، ولزوم الذكر والاستغفار، وحسن التوكل على الله، وصدق التوبة إليه.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ » أخرجه مسلم[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥) .

فهذه الأمور وأمثالها أسباب مشروعة ترفع صاحبها إلى استحقاق إجابة دعائه، ومحادثة الملائكة له.

عن أنس رضي الله عنه قال : لَقِيَنِي أَبو بكْرٍ فَقَالَ كَيفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ قُلْتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ سُبْحَانَ الله مَا تَقُولُ ؟ قَالَ قُلْتُ :نكُونُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيراً .

قَالَ أَبو بكْر : فَوَالله إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فَانْطَلَقْتُ أَنَاوأَبو بكْرٍ حَتَّى دَخلْنَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ قُلْتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ الله ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « وَمَا ذَاكَ ؟ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهنكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيراً .

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَاتكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمْ المَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً » أخرجه مسلم [1].

فمن وصل إلى هذه الدرجة العالية في الإيمان والتقوى أجاب الله دعاءه، بل كاد لو أقسم على الله لأبره.

عن أنس رضي الله عنه أن الرُّبَيِّع بنت النضر كسرت ثنية امرأة ، فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص، فقال أنس : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا تُكسر ثنيتها ، فَرَضُوا بالأَرْش ، وتركوا القصاص ، فقال رسول الله ﷺ : «إِنَّ مِنْ عِبَادِ الله مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لَأَبَرَّهُ » أخرجه البخاري [2].

ومن لم يبلغ تلك الدرجة فإن إجابة دعائه في حقه ليس بوعد من الله ؛ بل فضل منه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة / ٢٤٣] .

ونحن أقل من هذه الدرجة بكثير ، فنستغفر الله ونتوب إليه : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة / ٣٩] .

وأما الكافرون فما دعاؤهم إلا في ضلال، وهم يطمعون في الإجابة طمع الباسط كفيه

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٠) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٨٠٦) .

إلى الماء ليبلغه وما هو ببالغه ؛ لأنه مقطوع كما انقطع الكافر عن ربه الذي : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الرعد/ ١٤] .

واعلم أن الكافر في حال الاضطرار والشدة يرجع إلى الفطرة فيوحد ربه ثم يدعو ، فإذا قضى الكريم حاجته عاد إلى كفره وشركه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النحل/ ٥٣-٥٥] .

والله ﷻ غني كريم يجيب كل سائل ويعطيه ما ينفعه في الدنيا والآخرة.

وإجابة الرب لمن سأله من عباده تتنوع وتُعجّل وتؤخر بحسب مصلحة العبد التي لا يعلمها إلا الحكيم العليم الذي خَلَقه وصوّره : ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٩].

فمن دعا ربه أجاب دعوته في الدنيا ، أو ادّخرها له في الآخرة ، أو صرف عنه من السوء مثلها.

فسبحان من له خزائن السموات والأرض، وجميع مخلوقاته تسأله فيجيبهم جميعاً على اختلاف الحاجات ، وتباين اللغات ، وتكرار الأوقات ، فيعطيهم جميعاً ولا ينقص مما عنده مثقال ذرة ؛ لأن المحدود إذا أخذ من غير المحدود لا ينقص أبداً: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن / ٢٩] .

وعَنْ أَبِي ذَرّ ﵁ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنْ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:« يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْوإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ مِنكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً ، يَا عِبَادِي لَوْأَنَ أَوَّلَكُمْ وآخِركُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً .
يا عبادي لو أنَ أَوَّلَكُمْ وآخِركُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مماَّ عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ » أخرجه مسلم [1].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

والله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وهو الكريم الذي لا أكرم منه ، ولا منتهى لكرمه ، الذي عم بفضله وكرمه جميع خلقه ، فالكل يأكلون من مائدة نعمه المبسوطة في كل مكان وزمان : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٩٩].

وهو الكريم الذي يخص عباده المؤمنين بما لم يسألوه إذا علم أنهم يريدونه، وربما قَيَّضهم للسؤال والدعاء تعبداً منه لهم، فسألوه امتثالاً لأمره ، وإظهاراً لفقرهم إليه ، فيجيب سؤالهم ، إلا أنهم لا يسألونه دنياً ، ولو سألوه ما أعطاهم ذلك حباً لهم ، و حماية لهم مما يشغلهم عنه ويبعدهم منه : ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

فسبحان الكريم اللطيف الذي حمى أنبياءه ورسله والمؤمنين به من كل ما يشغلهم عنه ؛ ليتفرغوا لعبادته وطاعته والدعوة إليه وتعليم شرعه : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة/ ٤].

وربما أعطى الله من المؤمنين بعض الرزق ممن يعلم أنه يزكو بذلك: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٣٠] .

واعلم أن جميع الأنبياء والرسل أعطاهم الله ﷻ مع الإيمان أمرين عظيمين هما : العبادة والدعوة، وفـرَّغ قلوبهم وأبدانهم مما سوى ذلك،وكذلك اجتبى الله هذه الأمة وأعطاها ما أعطاهم: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

[آل عمران/ ١١٠].

فرسل الله ﷻ والمؤمنون وصلوا ما أمر الله به أن يوصل فاتصلوا ، فأجاب الله دعاءهم ، وكذلك يجيب المجيب سبحانه دعاء المؤمنين إلى يوم القيامة: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٧ – ٨٨] .

واعلم رحمك الله أن سرعة إجابة الله لدعاء الرسل والأنبياء والمؤمنين أسرع من مسارعتهم في الخيرات إليه: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٩ - ٩٠] .

واعلم أن الله يستجيب للمؤمنين به أعظم من استجابتهم إليه ؛ لأنه الكريم الذي يعطي بسؤال وبدون سؤال ، ويعطي الكثير على العمل القليل ، ويقبل التوبة من المسيء ، ويضاعف الأجر للمحسنين: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء/ ٤٠] .

فسبحان الله ما أعظم شأنه ، وما أوسع عطاءه ، وما أسرع إجابته لمن دعاه .

واعلم أن الله إذا أراد زيادة إيمان عبده ورفع درجاته وتكفير سيئاته ساق إليه المصائب ، ثم هيأ له الدعاء فدعا ربه فكشفها عنه فزاد إيمانه بربه ، وزاد حبه له ، وزاد حمده له ، وزاد تعظيمه له ، وزادت طاعته له : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥ -١٥٧].

وكذلك إذا ساق إلى عبده النعم أو سأل ربه نعمة فأعطاه زاد إيمانه بربه ، وحبه له ، وحمده له ، وطاعته له ، وزاد تعظيمه لمن سأله فأعطاه : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٧].

- **التعبد لله ﷻ باسمه المجيب :**

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الله قريب مجيب ، ورحمته وكرمه وإحسانه وعفوه أحب إليه من كل شيء ، وخزائنه مملوءة بكل شيء.

فسل ربك الهداية وكل ما يعينك على طاعته من خيري الدنيا والآخرة فإنه حي قيوم يحب أن تسأله ليجيبك: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥].

وإذا دعوت ربك فادعه بحالة الاضطرار، ورؤية الافتقار، وذلة الانكسار: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر/ ٦٠].

ولا تحدثك نفسك حال سؤالك إياه بعملٍ حسنٍ عملته ، أو ذنوب منك تخاف أن يحرمك من أجلها، بل فقط ادعه بحالة الاضطرار والافتقار والانكسار ، فذلك أكمل لتوحيدك، وأولى بمقامك ذاك، وأقرب إلى الثقة منك به: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩].

واعزم المسألة فإن الله لا مُكرِه له ، وأكْثِر من الدعاء فإن الله لا يمل حتى يمل العبد.

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا » متفق عليه [1].

وتزين لربك بالخصال النبيلة والأعمال الصالحة والأفعال الرضية، والنصيحة لله ولرسوله وكتابه وأئمة المسلمين ، وعامتهم : ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [الزمر/ ١١-١٣].

واعلم بأن من عباد الله من لو أقسم عليه لأبَرَّه لحسن ظنه بالله ، ويقينه على ذاته وأسمائه وصفاته ، فاجتهد في العلم والعمل لعلك تزكو : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [فاطر/ ١٨].

واحرص على الإحسان إلى الخلق، وإياك أن تظلم أحداً، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ، وتعبَّد لله مع خلقه بصفة الإحسان يحبك الله والناس : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص / ٧٧].

واعلم بأن مقاليد الأمور كلها بيد الملك الواحد الأحد جل جلاله : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود/ ١٢٣].

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٥٨٦١) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٨٢).

واعلم أن الله أمر بالدعاء ووعد بالإجابة ، فإذا مسك الضر فاسأل ربك فإنه قريب مجيب ، وهو وحده أهل أن تدعوه وترجوه : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٣-٨٤].

وإياك أن تُنزل حاجتك بإنسان ، أو تضع ثقتك في غير الله ، فإن فعلت فمن رحمة الله بك أن يلقي في قلب من وثقت به الاعتذار إليك ، ويخيب ظنك فيه تأديباً لك لتعود إلى ربك الذي بيده مقاليد الأمور وحده لا شريك له : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

واعلم أن الدعاء الذي يجيبه الله ما كان بتضرع وكان خفية ، وتجنب صاحبه الاعتداء فيه ، وتجنب أكل الحرام : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٥].

واعلم أن الميت حقاً هو كل من تمتع بدنه بأعلى درجات الصحة ، لكن قلبه ميت لا يعرف ربه ولا يذكره ولا يعبده ، فهذا هو ميت الأحياء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢٤].

فسبحان الرب الحكيم الرحيم بعباده ، أحياناً يعطي العبد قبل أن يسأله ليحبه ويقبل عليه ويطيعه ، وأحياناً يدعوه العبد فيعطيه فيحبه ويشكره : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٤].

فهو سبحانه إما أن تدعوه فيعطيك ، وإما أن يعطيك لتدعوه ، فإن كان الدعاء قبل العطاء فالمبادرة منك ، وإن كان العطاء قبل الدعاء فهذه نعمة أراد الله أن يمتحنك بها ، فأنت إما أن تطيعه فيكرمك ، أو يكرمك لتطيعه : ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢٦].

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه ، واستعملنا في طاعته وتقواه، وجعلنا ممن سبقت لهم من ربهم الحسنى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنبياء / ١٠١-١٠٢].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ

رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة / ٢٨٦] .

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » متفق عليه[1] .

اللهم فارج الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطر ، نسألك أن تهدي قلوبنا ، وتغفر ذنوبنا ، وتيسر أمورنا ، وترحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك ، يا قريب يا مجيب.

اللهم ألف بين قلوبنا ، وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سبل السلام ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وبارك لنا فيما أعطيتنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

اللهم كما صنت وجوهنا عن السجود لغيرك فصن وجوهنا عن سؤال غيرك ، فإنه لا يقدر على كشف الضر وجلب النفع سواك يا ولي العطاء والإحسان.

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٩) ومسلم برقم (٢٦٨٨) .

المستعان

قال الله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾ [الأنبياء/ ١١٢].

الله ﷻ هو الملك القادر المستعان الذي يُعِين كل أحد، ولا يطلب العون من أحد، الغني عن المعين والظهير والشريك والوزير وكل أحد: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس/ ٦٨].

وهو سبحانه المستعان وحده لا شريك له، فكل عبد يطلب منه العون على فعل الطاعات، واجتناب المعاصي، وجلب المنافع، ودفع المضار.

فلله الحمد على نعمه وفضله ورحمته بعباده: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة/ ٢-٧].

وهو سبحانه الحي القيوم المستعان الذي جميع أهل السماء والأرض محتاجون إلى الاستعانة به، بل لا قيام ولا حياة ولا بقاء ولا وجود لهم إلا به: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الغني الذي يملك كل شيء، المستعان وحده لا شريك له، والخلق كلهم فقراء إليه عبيد لديه، لا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذنه وعلمه وعونه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

واعلم رحمك الله أن المستعان هو الله وحده لا شريك له.

فأهل الطاعة يستعينون به على فعل الطاعات وترك المعاصي فَدَأْبهم دائماً: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة/ ٥].

أما أهل المعصية فحين ترك العاصي سؤال العون من الله على طاعته، وأعرض عن طاعته إلى معصيته أعانه على معصيته فتوجه إليها بعونه، وحرمه سبحانه العون على الطاعة فلم

يتوجه إليها: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥﴾ [الصف / ٥].

فالخلق كلهم مُصرَّفون في حركاتهم وسكناتهم بقدرة الله وعونه ومشيئته : ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ١١١﴾ [الأنعام/ ١١١].

والإنس والجن مُصرَّفون في طاعاتهم ومعاصيهم بقدرة الله وعونه، إما بجنود الملائكة الهادية ، أو بجنود الشياطين المضلة ، فلا طاعة ولا معصية إلا بإذن الله وعونه ، ولا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله وعونه وحده لا شريك له : ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ١٠٧﴾ [الأنعام/ ١٠٦-١٠٧].

فاللهم أعنا على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك ، ولزوم طاعتك ، واجتناب معصيتك ، والفقه في دينك : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾ [الإنسان/ ٢٩-٣١].

واعلم أن الاستعانة بالله تقوم على أصلين:

أحدهما: الثقة بالله وحده .. **الثاني:** الاعتماد عليه وحده.

فالإنسان قد يثق بغيره ، ولكنه لا يعتمد عليه في أموره ؛ لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به ؛ لحاجته إليه.

والله ﷻ له الأسماء الحسنى والصفات العلى بيده كل شيء ، وهو المستعان في كل شيء ، والعبد ليس بيده شيء ، وهو محتاج إلى عون ربه في كل شيء: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾[هود/ ١٢٣].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي ليس له شريك في الملك، ولا في الخلق، ولا في الأمر، ولا في الأسماء، ولا في الصفات: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم/ ٦٥] .

• التعبد لله ﷻ باسمه المستعان:

اعلم وفقك الله لِمَا يحبه ويرضاه أن الله هو المستعان وحده لا شريك له ، وأن الاستعانة هي طلب العون من الله ، والإنسان ضعيف عاجزٌ محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات ، وترك المحظورات، والصبر على الابتلاءات ، فاستعن بالله : ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ ﴾ [النحل/ ١٢٧].

فمن استعان بالله أعانه الله، ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وَكَلَه إلى من استعان به ، فصار مخذولاً من جهة من استعان به ، ليقطع رجاءه من سواه ، ويعود إلى مولاه.

واعلم أن من استعان بالله فهو المحمود المنصور، ومن استعان بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو المذموم المخذول: ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢ ﴾[الإسراء/ ٢٢] .

والله سبحانه هو المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به: ﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ٧٩ ﴾ [النمل / ٧٩] .

وقد ذكر الله ﷻ الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها ؛ لاحتياج العبد في جميع أموره وأحواله وأعماله وعباداته إلى الاستعانة بالله الرحمن المستعان كما قال سبحانه: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ﴾ [الفاتحة/ ٥].

واعلم أن قلب الإنسان يَعْرِض له مرضان عظيمان هما: الرياء والكبر ، وإذا لم يتداركهما العبد تراميا به إلى التلف ، فدواء مرض الرياء بـ (إياك نعبد).. ودواء مرض الكبر بـ (إياك نستعين).

وإذا عوفي الإنسان من مرض الرياء بـ (إياك نعبد) ، وعوفي من مرض الكبر والعُجب بـ (إياك نستعين)، وعوفي من مرض الجهل والضلال بـ (اهدنا الصراط المستقيم) فقد عوفي من أمراضه وأسقامه كلها، ورَفَل في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ ﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

وهؤلاء هم المنعَم عليهم الذين عرفوا الحق واتبعوه، غير المغضوب عليهم الذين هم أهل فساد العمل والقصد كاليهود الذين عرفوا الحق واستكبروا عنه.

وغير الضالين الذين هم أهل فساد العلم كالنصارى الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه، فهم يعمهون في الضلال كما قال سبحانه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢-٧] .

والاستعانة جزء من العبادة ، والعبادة حق الله الذي أوجبه على عباده.

وكلما كان العبد بالله وأسمائه وصفاته أعرف كانت عبوديته أتم، وكانت الإعانة له من الله أعظم: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

والناس في العبادة والاستعانة أربعة أقسام :

الأول: أهل العبادة لله، والاستعانة بالله عليها.

وهؤلاء أجلّ الأقسام وأفضلهم، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل ، ثم من اتبعهم بإحسان.

الثاني:أهل الإعراض عن العبادة والاستعانة بالله، وهؤلاء هم شر البرية.

الثالث: من له نوع عبادة بلا استعانة ، أو باستعانة ناقصة.

فهؤلاء لهم نصيب من التوفيق والعون بحسب استعانتهم بالله، ولهم نصيب من الخذلان والمهانة بحسب قلة استعانتهم بالله.

الرابع: الذين يشهدون تفرد الله بالنفع والضر، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لا يكون، ولم يدوروا مع ما يحبه الله ويرضاه ، ومع ذلك توكلوا عليه واستعانوا به على حظوظهم وشهواتهم.

فهؤلاء لا عاقبة لهم ، وما أُعطوه من جنس المُلك والمال لا يدل على الإسلام ، فضلاً عن الولاية والقرب من الله ﷻ : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ/ ٣٧].

فاستعن بالله في جميع أمورك يعينك ، وأعن كل محتاج تقدر على نفعه ، وعلِّم الجاهل ، واهد الضال ، وارحم المسكين تكن ربانياً : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ ﴾[البقرة/ ٢٥٠].

«اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود[1] .

اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها.

اللهم لا يهدي إلى الحق إلا أنت ، ولا يعين على الحق سواك ، وأنت المستعان ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة لنا إلا بك ، أعنا على فعل الخيرات كلها ، وترك المنكرات كلها ، يا أرحم الراحمين.

---

(١) **صحيح** / أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧٧١) وأخرجه أبو داود برقم (١٥٢٢) .

التواب

قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة/ ٣٧].

الله ﷻ هو التواب الذي يتوب على من يشاء من عباده ويقبل توبته، الكريم الذي كلما تكررت توبة العبد تكرر منه القبول لها: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤﴾ [التوبة/ ١٠٤].

وهو سبحانه التواب الرحيم بعباده، الذي يسر لهم أسباب التوبة مرة بعد أخرى بما يُظهر لهم من آياته، حتى إذا عرفوا غوائل الذنوب استشعروا الخوف من الجبار فرجعوا إليه بالتوبة، فرجع إليهم فضل الله التواب بالقبول: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٠﴾ [المائدة/ ٣٩-٤٠].

وهو سبحانه التواب على من تاب إليه من عباده المذنبين، التارك مجازاته بعد توبته بما سلف من ذنبه: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر/ ٣].

وهو سبحانه التواب الذي من رأفته ورحمته مَنّ على مَنْ شاء من عباده بالتوبة وحببها إليه، وقَبِلها منه، وتاب عليه قبل أن يتوب: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ [التوبة/ ١١٨].

فسبحان الرب التواب الرحيم الذي ييسر لعباده أسباب التوبة، ويتوب عليهم قبل أن يتوبوا فضلاً منه ورحمة: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة/ ٣٧].

واعلم أن الله سمى نفسه تواباً؛ لأنه خالق التوبة في قلوب عباده، والذي يَسّر لهم أسبابها، والراجع بهم من الطريق الذي يكرهه إلى الطريق الذي يرضيه.

ولما كانت المعاصي متكررة من العباد جاء بصيغة توّاب ليقابل الخطايا الكثيرة والذنوب العظيمة

بالتوبة الواسعة الدائمة : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر/ ٣].

فسبحان من وصف نفسه بالتوَّاب مبالغة ؛ لكثرة من يتوب عليه من العباد في مشارق الأرض ومغاربها في كل لحظة ، وحبه للتوبة ، ولتكرر ذلك من الشخص الواحد ، وتنوع الذنوب وتكرارها واختلافها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

وهو سبحانه التواب الذي تفرد بقبول توبة التائبين من عباده، ولا يغفر الذنوب والخطايا إلا هو وحده لا شريك له، وليس لأحد أن يقبل توبة من أسرف على نفسه إلا هو، ولا أن يغفر ويعفو عن ذنوب المذنبين إلا هو وحده لا شريك له : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر / ٥٣] .

فسبحان من لا يغفر الذنوب إلا هو وحده لا شريك له: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٥].

وهو سبحانه التواب الحكيم الذي لا يعاجل أهل المعاصي بالعقوبة ، بل يمهلهم ليتوبوا إليه، الحكيم الذي لا يفضح أهل الذنوب ابتداءً ، بل يسترهم ليكون ذلك عوناً لهم على التوبة ، ولولا فضل الله ورحمته لعاجلهم بالعقوبة ، وفضح مخازيهم ، وكشف مساويهم : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [النور/ ١٠].

فسبحانه من تواب ما أكرمه، ومن كريم ما أجوده، ومن عظيم ما أرحمه: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٤] .

هو سبحانه التواب الرحيم الذي لم يعاملنا بعدله فنستحق النار ، ولكنه عاملنا برحمته ليؤهلنا لدخول الجنة .

فسبحان التواب الرحيم الذي يربي عباده ويحسن إليهم ، ويراقبهم بسمعه وبصره وعلمه ،

ويحاسبهم على كل حركة وسكون ليكرمهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس/ ٦١].

هو سبحانه الرقيب الشهيد لكل ما في الكون من الذرات والنسمات والمخلوقات ، هو مع كل إنسان في جميع أوقاته وأحواله ، وكل شأن فيه الإنسان لله معه شأن يقابله .

فإن كان شأنك الإحسان فشأنه الإكرام ، وإن كان شأنك العدوان فشأنه العقاب ، وإن كان شأنك الإقبال فشأنه التجلي ، وإن كان شأنك الإعراض فشأنه التأديب : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٧].

هو سبحانه التواب الرحيم الذي يسوق الشدائد لمن عصاه ليحمله على التوبة إليه ، والانكسار بين يديه .

فسبحان التواب الحكيم الذي لو ترك الخلق على معاصيهم لهلكوا ، لكنه الرحيم الذي يسوق الشدائد إليهم لعلهم يتضرعون إليه فيتوب عليهم : ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ٤٣].

واعلم أنه إذا جاءت توبة الله قبل توبة العبد فتعني الشدائد والمصائب التي يسوقها الله للعبد ليتوب إلى ربه : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة/ ١١٧].

وإذا جاءت توبة الله بعد توبة العبد فتعني قبوله سبحانه توبة عبده : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة/ ٣٩].

فسبحان التواب الرحيم الذي يحب عباده ، ويفرح بتوبتهم ، ويحب لهم كل خير ، وهم في العناية الإلهية ، من أطاعه زاده إيماناً وتقوى وهدى وثواباً ، ومن عصاه ابتلاه بالمصائب ليتوب إليه : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

هو العزيز الكريم الذي يمن بالهداية على من يشاء فيأتيه محباً راغباً ، لكمال معرفته بالله وأسمائه وصفاته ونعمه وإحسانه ، أو يأتيه راغماً بحلمه على التوبة إليه بالشدائد التي أرسلها له : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن/ ١١].

واعلم أن التوبة واجبة على كل عبدٍ من جميع الذنوب ، وأفضل الناس أكثرهم قياماً بها

وتكراراً لها، وإذا تخلى عنها العبد صار ظالماً ؛ لشدة تقصيره ، وإسرافه على نفسه.

فالناس رجلان : تائب وظالم ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات/ ١١].

والتوبة هي رجوع العبد إلى ربه بفضل مولاه،حيث أرجعه ربه إلى الإسلام الذي ضل عنه.

وكلما وقع العبد في معصية فقد فارق فطرة الإسلام بقدر عمده وخطئه، وكبر ذنبه وصغره ، وإصراره عليه ، وإشهاره بين خلقه، فإن تاب تاب الله عليه: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات / ١١].

فسبحان الله التواب الرحيم الذي يتوب على من يشاء بالتوفيق للتوبة ، فإذا تاب العبد المذنب قَبِل توبته ، وعفى عن سيئاته : ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة/ ٣٩].

فإن كان التائب صادقاً في توبته تاب الله عليه ، وغفر ذنوبه ، وعفى عن سيئاته ، وبدّل سيئاته حسنات ، ثم ضاعفها له : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان / ٦٨ - ٧٠] .

واعلم زادك الله معرفة بأسمائه وصفاته وآياته ومخلوقاته أن الله أوجد التوبة على مسالك حكمته وطرقات سنته ، فكما يُرْجِع الليل بعد النهار ، والنهار بعد الليل ، ويُرْجِع الحياة بعد الموت ، والموت بعد الحياة ، كذلك من أذنب ثم تاب تاب الله عليه ، فإن عاد تاب عليه ، فإن عاد تاب عليه ؛ لأنه التواب الرحيم بخلقه ، غافر الذنب ، وقابل التوب ، واسع الرحمة ، واسع المغفرة : ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [غافر/ ٣].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ عَبْداً أَصَابَ ذَنْباً ، وَرُبَّمَا قَالَ : أَذْنَبَ ذَنْباً ، فَقَالَ : رَبِّ أَذْنَبْتُ ، وَرُبَّمَا قَالَ : أَصَبْتُ ، فَاغْفِرْ لي ، فَقَالَ رَبُّهُ : أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي .

ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْباً أَوْ أَذْنَبَ ذَنْباً ، فَقَالَ : رَبِّ ، أَذْنَبْتُ أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ ، فَاغْفِرْهُ ، فَقَالَ : أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْباً ، وَرُبَّمَا قَالَ : أَصَابَ ذَنْباً ، قَالَ : قَالَ رَبِّ ، أَصَبْتُ أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ آخَرَ : فَاغْفِرْهُ لِي ، فَقَالَ : أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلاثاً ، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ » متفق عليه [1].

واعلم أنه لا بد للعباد من الذنوب؛ ليظهر مقتضى اسم التواب لهم، ولا غنى لهم عن توبة الله عليهم، ثم لا بد لهم من العودة إلى المعصية، ثم يراجعهم التواب الرحيم بالتوبة : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

فالعَوْد والبدء سنته في خلقه العظيم ، وتدبيره الحكيم: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر / ٤٣] .

فسبحان التواب الرحيم بعباده ، الذي رحمته على قدر شأنه جل جلاله .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » أخرجه مسلم [2].

- **التعبد لله عز وجل باسمه التواب:**

اعلم رحمك الله أن الله تواب رحيم، يحب كل من يتوب إليه ويتطهر له : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة / ٢٢٢] .

بل يفرح بتوبة عبده المذنب أشد الفرح ؛ لكمال رأفته ورحمته بخلقه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيِسَ مِنْهَا ، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ، ثُمَّ

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٧٥٠٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٧٥٨) .

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٧) .

قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » متفق عليه[1].

والأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أكمل الخلق عبودية ، وأكثرهم توبة واستغفاراً ؛ لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته وما يجب له خاصة سيدهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ الذي كان يقول:«إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ الله في الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » أخرجه مسلم[2].

ورسولنا محمد ﷺ أكمل الخلق وأكرمهم على الله والمقدم على الخلق كلهم في جميع أنواع الطاعات كان أصحابه يعدون له في المجلس الواحد مائة مرة قبل أن يقوم:« رَبِّ اغْفِرْ لي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ » أخرجه أبو داود والترمذي[3].

والنبي ﷺ أفضل المحبين لله، وأفضل المتوكلين عليه، وأفضل العابدين له، وأفضل التائبين إليه، ولهذا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح/ ١-٢] .

وبهذه العبودية التامة أعطاه ربه الوسيلة، وأكرمه بالشفاعة الكبرى يوم القيامة.

فتب رحمك الله إلى ربك التواب الرحيم ، واستغفره في كل وقت، وبعد كل عمل لا يحبه الله، وبعد أداء الفرائض والواجبات والسنن التي أمر الله ورسوله بها.

واعلم أن الغفلة عن الله تؤدي إلى ترك الواجب والمستحب ، واقتحام المحرم والمكروه ، فذكِّر وتذكر : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥﴾ [الأعراف/ ٢٠٥].

والتقصير حاصل في كل عمل في حينه ووقته وشكله ، والإخلاص عزيز ، والرياء معترض قاطع للثواب ، والعمل الواجب دون الطاقة المعطاة من الله للعبد من عبادة ومعاملة ، ودعوة وتعليم، وجهاد وإنفاق ، فنستغفر الله ونتوب إليه :﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [الأعراف/ ٢٣].

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٩) ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له .

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٧٠٢) .

(٣) **صحيح** / أخرجه أبو داود برقم (١٦١٥) ، وأخرجه الترمذي برقم (٣٤٣٤) وهذا لفظه .

واعلم أن الذنوب تتراكم على العبد، والمعاصي تجتمع عليه ، ولهذا أمر الله رسوله ﷺ بالتسبيح والاستغفار المستمر فقال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر/ ١-٣].

واعلم أنه كما لا بد من الأغسال المتكررة لإزالة الأوساخ من الأجسام ، كذلك لا بد من التوبة المتكررة لإزالة آثار الذنوب والآثام من القلوب ، ولهذا قرن الله بينهما بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾ [البقرة/ ٢٢٢] .

فعليك بالتوبة النصوح من الذنوب كلها مهما كانت فإن ربك واسع المغفرة ، فإذا أحْكَمْتَ التوبة بالإقلاع عن الذنب ، والندم على فعله، والعزم على عدم العَوْد إليه ، ورد المظالم إن كانت ، فقابِل ذنوبك بما يطابقها من العمل المصلح لها ، واشكر ربك الذي هداك للتوبة منها ، وقَبِلها منك: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝٣٩﴾ [المائدة/ ٣٩].

فإذا تبت إلى الله وأنِسْت بقربه ولذة عبادته فاذكر كثرة المذنبين والغافلين والعصاة ، وادع الله أن يغفر لهم ، ويتوب عليهم ، وذكِّرهم بالله وما يجب له: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات/ ٥٥] .

وادع إلى الله في جميع الأوقات ، وادع كل إنسان إلى ما يحب ربك ويرضاه ؛ لعل الله يتوب على الكافر فيسلم، وعلى العاصي فيطيع، وعلى الضال فيهتدي، وعلى الجاهل فيتعلم، فالله يحب التوابين ، وهو أشد حباً لمن يكون سبباً لعودة عباده الشاردين عنه إليه بالتوبة: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

واعلم أن للتوبة وقتاً لا تُقبل إلا فيه فبادر إلى التوبة النصوح قبل أن يفاجئك الموت وأنت مقيم على الذنب: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝١٧﴾ [النساء/ ١٧] .

وإياك أن تؤخر التوبة ثم تتوب إذا رأيت علامات الموت فإن الله لا يقبلها إلا بشروطها في وقتها : ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ

﴿ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ [النساء/ ١٨].

فعلينا جميعاً أن نتوب إلى الله توبة نصوحاً من جميع الذنوب ، ونبادر إلى كل عمل يحبه الله ورسوله، ونتجنب كل عمل لا يرضاه الله ورسوله ؛ ليحصل لنا الفلاح في الدنيا والآخرة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التحريم/ ٨] .

والله تواب رحيم ، من تاب إليه تاب عليه ، ومن تقرب إليه تلقاه بالفرح ، ومن أعرض عنه ناداه ليتوب عليه ويغفر له ، فنستغفر الله ونتوب إليه.

وإذا عرف الكفار والعصاة كريم صفاته وإحسانه: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٤] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري[1].

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا برحمتك شر ما قضيت ، إنك تقضي ولا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، نستغفرك اللهم من جميع الذنوب ونتوب إليك.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

الرقيب

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[النساء/ ١] .

الله ﷻ هو الرقيب الحق المطلع على جميع ما في ملكه العظيم ، الرقيب الذي يراقب جميع خلقه في جميع أحوالهم فلا يسترهم منه شيء، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ ﴾[الحشر/ ٢٢].

وهو سبحانه الرقيب الحافظ لكل شيء ، الذي يحفظ عباده ويحرسهم مما يضرهم ، ويحميهم مما لا يحبه ولا يرضاه :﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧ ﴾[هود/ ٥٧].

وهو سبحانه الرقيب الباقي ، ذو البقاء الدائم ، والشهود الأعلى ، والحفاظة المحيطة بكل شيء : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢ ﴾[آل عمران/ ٢].

وهو سبحانه الرقيب العليم بكل شيء ، المطلع على ما أكنَّته الصدور ، القائم على كل نفس بما كسبت، الحافظ الذي لا يغفل ولا يغيب عما يحفظه ، الذي حفظ جميع المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٦١ ﴾[يونس/ ٦١].

هو سبحانه الرقيب على كل شيء ، الرقيب الذي يعلم بجميع أحوال الخلق ، ويعد أنفاسهم وكلماتهم وأعمالهم : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾[الطلاق/ ١٢].

واعلم أن الإنسان كله مكشوف أمام ربه ، في بيته مراقب ، وفي سوقه مراقب ، وفي عمله مراقب ، وفي حضره مراقب ، وفي سفره مراقب ، وفي جلوته مراقب ، وفي خلوته مراقب ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ

وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [المجادلة/ ٧].

وإذا علم الإنسان أن ربه يراقبه خاف منه واستحى منه ولزم أمره وأحسن عمله فسعد في دنياه وأخراه: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩].

فسبحان الرقيب الحفيظ الذي لا يغفل، الحاضر الذي لا يغيب، العليم الذي لا يخفى عليه شيء: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [السجدة/ ٦].

وإذا علم العبد أن ربه يراقبه ويراقب هو ربه خاف مقام ربه، ووصل إلى مقام الإحسان، فعبد ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن/ ٤٦].

ومن علم أن الله يراقبه أطاعه ولم يعصه، ولم يكذب، ولم يظلم، ولم يسرق، ولم يزن، ولم يغش، ولم يغتب، ولم يفجر: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر/ ٢٨].

واعلم أن المؤمن الصادق حقاً يرى أن الله معه يراقبه ويراقب عمله، ويحفظه ويحفظ أعماله.

أحواله مع ربه لا توصف، ومناجاته له لا تنقطع، يتزين قبل أن يصلي لأنه سيقف بين يدي ربه ﷻ، ويحسن صوته بالقرآن إذا قرأ لأنه يعلم أن الله أول من يسمعه، ويكرم الناس لأنه يعلم أن هؤلاء عبيد ربه، ويستحي أن يكون في حال يعتذر منها لأنه يعلم أن ربه يراه ويعلم ما في قلبه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢].

وإذا علم العبد أن ربه يراقبه وصل إلى مقام الإحسان فعبد ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه.

وكلما ازداد العبد مراقبة لله كان أكثر ورعاً، وأكثر تقوى، وأكثر حياءً، وأكثر حباً وتعظيماً وذلاً لله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٦٠-٦١].

وهو سبحانه المَلك العظيم القادر على كل شيء، الرقيب على كل المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، الرقيب على المبصرات كلها ببصره، الرقيب على المسموعات كلها بسمعه، الرقيب الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، المحيط الذي أحصى كل شيء: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

فسبحان الملك الحق ، والإله الحق العليم الرقيب على كل ما في هذا الكون العظيم ، الشهيد لكل ذرة في الملك والملكوت : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥-٦].

هو العليم القادر القاهر الذي يستوي عنده الصغير والكبير .. والقريب والبعيد .. والظاهر والباطن .. والكليات والجزئيات .. والأسرار والخفيات : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة/ ٦-٧] .

وجميع الخلائق في المُلك العظيم والملكوت الكبير كلهم قائمون بأمر الله ، قانتون له ، خاضعون لهيبته ، خاشعون لعظمته .

والكل يشهد بوحدانيته، ويعبده ويسبح بحمده بفطرته: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

وكل مخلوق من مخلوقاته مراقب له قانت له يسبح بحمد ربه ، وينتظر متى ينزل عليه الأمر من رقيبه ﷻ فيمتثله : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

فالإنس والجن يمتثلون أوامر ربهم الكونية والشرعية ، وبقية المخلوقات مسخرة بأوامره الكونية: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

فسبحان الرقيب الشهيد الحق الذي يراقب ويشاهد جميع ذرات العالم العلوي والسفلي كلها في آن واحد ، الحفيظ لجميع أجزائها ، العليم بحركاتها وسكناتها ، الشهيد للظواهر والبواطن: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [الرعد / ٨ – ٩].

والله ﷻ هو الملك القوي القادر على الخلق والتأليف ، والتجميع والتخطيط ، والتصوير والتشكيل ، وتقسيم جميع الهبات والأرزاق ، والأخلاق والأعمال.

يخلق ويرزق .. ويعطي ويمنع .. ويعز ويذل .. ويكرم ويهين .. ويهدي ويضل .. ويقدم ويؤخر .. ويبسط ويقبض .. ويفعل ما يشاء : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ

ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)﴾ [آل عمران/ ٢٦-٢٧].

وهو الرقيب على الكون كله ، يدبره بأحكام ملكوتية ، نازلة إلى قوى ملكية ، بأوامر جبروتية ، صادرة من ربك الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار لخلقِ ما أراد خلقه ، ورزق ما أراد رزقه ، ونصر من أراد نصره ، وتثبيت ما أراد تثبيته ، ومحو ما أراد محوه : ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨) يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ (٣٩)﴾ [الرعد/ ٣٨-٣٩].

والكل في ملكه.. والكل يجري بأمره.. والكل تحت قبضته وقهره: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣)﴾ [الحشر/ ٢٣].

وهو سبحانه الرقيب المحيط بكل شيء ، استوى في حقه القريب والبعيد ، والساكن والمتحرك ، والحي والميت ، والظاهر والباطن ، والكبير والصغير.

الكل معلوم له.. والكل مشهود له .. والكل مرقوب له: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)﴾ [الحج/ ٧٠].

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه ، وما أعز سلطانه ، وما أوسع علمه ، وما أعظم قدرته : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا (١٢)﴾ [الطلاق/ ١٢].

أفقرَ كل مخلوق إليه ، وسبَّح بحمده بين يديه ، وشهد على نفسه بالذلة بين يديه.

فما من ذرة ولا جماد ولا نبات ولا حيوان ولا إنسان إلا والله رقيب عليه ، وهو مراقب لرقيبه الحق ، يسبح بحمده ، ويشهده بوحدانيته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١)﴾ [النور/ ٤١] .

واعلم رحمك الله أن الإنسان أكرم المخلوقات على ربه، ولهذا خلقه الله بيديه من بين المخلوقات، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له جميع ملائكته ، وعلَّمه الأسماء كلها ، وأكرمه

وفضَّله على كثير من المخلوقات: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء/ ٧٠] .

وقد فضَّل الله الآدمي على غيره بالعقل ، فلما أوجد الرب فيه العقل واجهه بالشرع ، وابتلاه بالتكليف بالأمر والنهي، وجعله خليفة في الأرض: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[البقرة / ٣٠] .

فأنزل ربه عليه الأمر الشرعي بواسطة الرسل كما كان ينزل عليه وعلى غيره من المخلوقات الأمر الكوني : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل/ ٣٦].

وسخر له ما في السموات وما في الأرض ليتفرغ لأمر الخلافة في الأرض ، وضاعف عليه يومئذ الرقابة والرقباء ، والمعقبات من الملائكة الكرام الحفظة: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار/ ١٠ –١٢] .

والملائكة المعقبات تتعاقب عليه تحفظه وتسجل أعماله: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾[الرعد/ ١١] .

وسره وجهره وظاهره وباطنه كل ذلك مكشوف لربه الشهيد : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الزخرف / ٨٠] .

والرقيب الحق يَرْقبه في جميع أحواله ويعلم أسراره وأعماله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق/ ١٦] .

فعظمت المحنة على الإنسان ، واشتد البلاء ، وبدأ الامتحان ، وفاز من فاز ، وخسر من خسر: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى

﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٢-٧٣].

• التعبد لله ﷻ باسمه الرقيب :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن ربك هو الرقيب الحق الذي يراقب جميع مخلوقاته وهو مستو على عرشه ، شهيد لا يعزب عنه مثقال ذرة من ملكه العظيم .

والمراقَبون هم جميع المخلوقات في السموات والأرض ، والدنيا والآخرة.

والمراقبة فعل المرَاقَب ، فالمخلوق يترقب متى يتوجه إليه أمر من ربه فيمتثله ، أو نهي فيجتنبه ، أو قدر لا حيلة له في رده .

ومن راقب الله وعلم أن الله مطلع عليه أطاعه ولم يعصه.

وإذا علم العبد أن جميع حركاته الظاهرة والباطنة مكشوفة للرقيب ﷻ ، قد أحاط العليم بعلمها، واستحضر هذا العلم في جميع أحواله، أوجب له ذلك حراسةَ باطنه عن كل فكر وهاجس يبغضه الله، وحَفِظ ظاهره من كل قول أو فعل يسخط الله، وعبَدَ الله بمقام الإحسان كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك/ ١٢- ١٤].

والمراقبة ثمرة من ثمار علم العبد بأن ربه السميع البصير العليم رقيب عليه، ناظر إليه، مطلع عليه في كل لحظة.

فيوجب له ذلك مراقبة الله عند أمره ليفعله على أحسن حال ، ومراقبته عند نهيه ليجتنبه ، وهذه هي التقوى التي هي ثمرة العلم بالرقيب وماله من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد / ١٩] .

والمؤمن حقاً من أيقن أن الرقيب الحق سبحانه مراقب لأحواله ، مبصر لأفعاله ، سميع لأقواله ، مطلع على أسراره .

فهذا العبد لعلمه أن الرقيب قريب شهيد عليم يهاب جلال ربه ، ويخاف من عقابه في كل حال : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

ومن راقب ربه أكثر من ذكره وشكره ، وأخلص له العمل ، وأحسن له العبادة ، فاللهم زك قلوبنا بالإيمان ، وامنحنا عيوناً تراقب نعمك الظاهرة ، وبصائر تتعظ بأسرارك الباهرة.

والتوحيد والإيمان والتقوى جماع الدين كله ، ولهذا أكثر الله من الأمر بها في القرآن كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء/ ١] .

والنظر في الآيات الكونية والشرعية يثمر التوحيد والإيمان ، والإيمان يثمر التقوى التي يحبها الله ، وأهلها في معيته: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس / ١٠١] .

وهذا يثمر للعبد سرور القلب وانشراح الصدر وقرة العين بالقرب من الله، وهو نعيم معجل للمؤمن يجد حلاوته في دنياه قبل آخرته : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار/ ١٣-١٤].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال :« ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يحِبَّ المَرْءَ لَا يحِبُّهُ إِلَّا لله ،وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ » متفق عليه [(١)].

وهذا النعيم والسرور يبعث العبد على دوام السير إلى ربه، وبذل الجهد في معرفة أسمائه وصفاته، وإحسان العمل والإكثار منه ابتغاء مرضاته: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

وتيقن أن من لم يجد هذا السرور فإنه محروم من أجلِّ النعم وأعظمها، فليَتَّهم إيمانه وأعماله ، ويتفقد حاله ، ويجدد إيمانه ، لعله يصفو ويزكو ويسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (١٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٣).

﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

فالإيمان له طعم وحلاوة وحقيقة مَنْ لم يجدها ولم يذقها فليرجع وليقتبس نوراً يمشي به بين الناس، ويذوق به طعم الإيمان وحلاوته: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .

وعَن الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ﵁ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: « ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِالله رَبّاً، وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً » أخرجه مسلم[1].

ومن لم يجد لعمله حلاوة في قلبه فليتهمه، فإن الله شكور لا بد أن يثيب العامل على عمله الصالح في الدنيا حلاوة يجدها في قلبه ، فمن لم يجدها فإيمانه وعمله مدخول : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [التغابن/ ١٦-١٨].

واعلم أن حقيقة المراقبة أن يكون الغالب على حال العبد دوام ذكر الله ولزوم طاعته ؛ لعلمه بأن الله مطلع عليه ، وعلمه أن نظر الرقيب الحق إليه أسبق من نظره هو إلى المعصية : ﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٩].

فما عصى الله أحد إلا من جهله بالرقيب عليه: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [العلق / ٩ – ١٤].

ومَنْ صح علمه وعرف أن الله رقيب عليه أطاع ربه واتقاه ، ولم يُفْن عمره في البطالات ، ولم يقتل أوقاته بالغفلات ، بل يواصل طاعة مولاه في ليله ونهاره ، ويعبد ربه بالمحبة

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤) .

والتعظيم والذل له، مستحياً من اطلاع ربه المنعم عليه ، محتشماً من مشاهدته له ، وجلاً من عظيم رقابته له: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون/ ٦٠-٦١].

واعلم أن من لزم هذا السبيل أوصله بإذن الله إلى حسن المراقبة التي تزيد الإيمان ، وتثمر كمال التقوى ، التي تثمر كمال القرب والمشاهدة والأنس بالله ﷻ : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ۝٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ۝٢٩﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

ومن عمي عليه أمره وضل عن طريقه فليرجع إلى مقام المراقبة يكن من المهتدين: ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾ [الشورى/ ١٣] .

وارغب إلى الله ﷻ في إصلاح قلبك ، واطلب الأدوية لذلك ، وتفطن لمكائد عدوك ؛ لئلا يصيدك ويأسرك : ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر/ ٦].

واعلم أن المسارعة إلى الخيرات أصل كل دواء تُداوى به القلوب ، وسبب كل شفاء تُشفى به الصدور ، كما أن الغفلة أصل كل داء ، وسبب كل بلاء .

فسارع صابراً محتسباً إلى طاعة الله ورسوله ، فهي سبيل النجاة والفلاح : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ۝٢٨﴾ [الكهف / ٢٨] .

ومن أعظم الأدوية في زوال الغفلة ، واجتلاب اليقظة ، معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة نعمه وآلائه ، ومعرفة دينه وشرعه ، ومعرفة وعده ووعيده : ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ۝١٧٩ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٧٩-١٨٠].

وإذا أردت الشفاء والهدى فلا تجعل لك إليه وسيلة سواه ، فارم بنفسك إليه ، واسجد بقلبك بين

يديه ، وتخل عن نفسك إليه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم : ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة/ ١٢٩].

واعلم رحمك الله أن المسافة القاطعة لك عن معرفة الله ﷻ هي الجهل به ، فاقطعها بمعرفته المقربة إليه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

وإذا تحققَتْ معرفة الله في قلبك زالت عنه الغفلة، ونالته بركة قرب الله ﷻ ، واستبان له الهدى، وأبصر بعد العمى، ونزل بمنازل المقربين ، وأحسن الظن بالله ، وفاز بمعيته ، فاعبده واصطبر لعبادته : ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل/ ١٢٧-١٢٨].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : «يَقُولُ الله تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» متفق عليه [(١)].

واسأل ربك أن يجعل ثواب ما عملته من أعمال صالحة وسيلة لوصولك إلى معرفته ، ولا تبالي بما فاتك دونه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المائدة/ ٣٥].

وأول ما تبدأ به أن تعمل بصدق في إخمال ذكرك، وإنقاص قدرك بين يديه ، معتذراً إليه بقولك : ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص/ ١٦].

واعلم أن شرفك كله في إقامة ذكره ، ونسيان ذكرك ، فأكثِر من ذكره وشكره ، يذكرك ويشكرك: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة/ ١٥٢] .

ومَنْ رُزِق دوام المراقبة لربه نبعت من قلبه وجوارحه أصناف الخير، واضمحلت عنه أصناف

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

الشر، واستأنس بربه ، واستوحش من غيره : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾ [الطلاق/ ٤-٥].

واعلم أن معرفة الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، لا تنبت ولا تثبت ولا تثمر إلا في القلوب الطاهرة الزاكية : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

فطهر قلبك لربك بدوام الاستغفار والتسبيح ، ليفتح لك الباب ، وتشرق في قلبك الأنوار: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر / ٣] .

وانظر إلى كل شيء من الخير والطاعات تحبه لنفسك فأحبه لغيرك ، وكل شيء تكرهه لنفسك فاكرهه لغيرك ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾ [التوبة/ ٧١].

وعَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَراحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى» متفق عليه [(١)].

ولا يزال بك طول المراقبة حتى يكون لك من نفسك عليك رقيباً وواعظاً ، وآمراً وناهياً ، يسوقك إلى طاعة مولاك وتقواه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾ [النور / ٥٢] .

واعلم زادنا الله وإياك إيماناً وتقوى أن صحة العلم مع طول المراقبة يوصل إلى حسن الاستقامة، وحسن الرعاية يورث صدق الموافقة ، ويزكي الأعمال والأخلاق، فاصدق ربك فيما دعاك إليه تفلح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلى/ ١٤-١٥].

وإذا لزمت باب العلم والتقوى رفعك ربك من مقام المراقبة إلى مقام المشاهدة.

فاحمد الله كثيراً أنْ بلّغك ذروة السنام من المراقبة ، ثم ألحقك بأهل الإحسان والمشاهدة، فصرت تعبد

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦) ، واللفظ له.

الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ففي علمك بأنه يراك خير كثير : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

وعن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله جبريل عن الإحسان قال: « أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » أخرجه مسلم (١).

وهذا وذاك كله تاج من الخير ، ونور من المعرفة ، وكنز من العمل الصالح ، يختص الله به من يشاء ممن جاهد لتحصيله ، وعَلِم الله أنه يزكو به : ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور / ٣٥] .

وعلامة ذلك حلاوة ذكر الله في قلبك، ولذة العمل بكل ما يحبه الله ويرضاه، وعدم الالتفات لما سوى ذلك: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر / ٩٨ – ٩٩].

واضرع إليه في حسن العاقبة، واسأله أن يرزقك حسن الخاتمة.

واعلم أن من راقب الله في سره وجهره ، واتقاه في أمره ونهيه ، أوصله ذلك بإذن الله إلى مرضاة ربه ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار.

وإذا عرفت عظمة ربك الجبار جل جلاله ، ودوام مراقبته لك ، وكمال مشاهدته لك ، فاعرف كذلك قدر نفسك ، واخضع لمن خلقها وصوَّرها، وكرَّمها وعلَّمها ، ورزَقها وسلَّمها ، وانظر أي عبد تكون له : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة/ ١٨-٢٠].

واعلم أن الله هو الغني عن كل ما سواه، وعاقبة عملك من خيرٍ وشرٍ لك أو عليك: ﴿ مَّنْ

(١) أخرجه مسلم برقم (٨) .

﴿ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت / ٤٦] .

واعلم أن الكريم سبحانه يصفي قلبك من الأكدار بدوام ذكره ومراقبته ، ويطهره مما سواه ، ويزيده من الإيمان والتقوى حتى يصل إليه ، ثم يرفعه فيُظهر فيه معاني أسمائه وصفاته جَلَّ جَلَالُه ، فيومئذ يسمع به، ويبصر به، وينال كرامة ربه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«إن الله تعالى قال : منْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المؤْمِنِ يَكْرَهُ المَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري [1].

واعلم رحمك الله أنه لا يدوم لك العز في الدنيا والآخرة إلا بالوجه الذي ذل لربه ، فلا تطلب عنده الجاه إلا بالعمل الذي وصلت به إليه ، وهو الإيمان والتقوى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ [طه/ ٧٤-٧٥] .

ومتى فارقْتَ ما كنت عليه من العبودية والذلة لمولاك أزال عنك حُلَّته التي حَلَّاك بها ، وسلبك نعمته التي وهبها، وسد دونك الباب الذي وصلت منه إليه: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الصف / ٥] .

ثم استدرجك بذنبك بمعارف تبعدك عن مولاك، وأعمال لا تنفعك في دنياك وأخراك، فتحسب أنك يومئذ على شيء من العلم والعمل وأنت ضال خاسر: ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف/ ١٠٣-١٠٥].

---

(١) **أخرجه البخاري** برقم (٦٥٠٢) .

وأخطر شيء على هذا العبد الضال أن ينظر إلى ما فتح الله عليه في باطنه من الفهم والفطنة ، وما أراه من الآيات ومعاني الأسماء والصفات ، ويستكبر عن ربه بما أنعم عليه به ، حيث خيَّل له الشيطان بمكائده ومصائده أن الله أعطاه ذلك لكرامته عليه ، فحبب إليه نفسه ، وعظَّم عنده ما لديه ، وأعلى عنده قدر نفسه ، وحجب عنه النور المبين ، فلم ير غير نفسه الخسيسة ، فاقتصر عليها ، وظن أنه على الحق : ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سبأ/ ٣٥-٣٨].

ثم يورثه ذلك العجب والكبر والإعراض ، والاستغناء بالعلم عن العمل ، وهذا من الضلال والظلم والخسران المبين: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص/ ٥٠] .

اللهم اعصمنا من الزلل ، واحفظنا من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن : ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة/ ١٢٩].

واعلم أن هذا الكلام ، وهذا النور ، إن لم يعبر من عقلك إلى قلبك ، ثم يظهر على جوارحك ، فاعلم أنك محجوب عن معرفة ربك بسوء كسبك ، فأصلح حالك ، وتعاهد إيمانك قبل أن يشدَّ ملك الموت رحالك ، فلا تستطيع الوصول ولا الرجوع : ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين/ ١٤-١٦].

وهذه بصائر لأهل البصائر: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٤] .

اللهم اجعل كتابنا في عليين ، وألبس وجوهنا نضرة النعيم : ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين/ ١٨-٢٨].

اللهم يا سريع الرضا ، يا واسع المغفرة ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء : ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ۝١٥٥﴾ [الأعراف/ ١٥٥].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ [التحريم / ٨] .

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه [١].

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، يا أرحم الراحمين .

اللهم لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، وبيدك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، علانيته وسره.

فأهل أنت أن تُحمد ، وأهل أنت أن تُعبد ،إنك على كل شيء قدير ، وبكل شيء بصير.

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤) ومسلم برقم (٢٧٠٥) .

الشهيد

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفتح / ٢٨] .

الله ﷻ هو الشهيد المطلع على كل ذرة في ملكه العظيم ، الذي يسمع الأصوات كلها ، خفيَّها وجليَّها، ويبصر المخلوقات كلها ، صغيرها وكبيرها: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾ [الشورى / ١١ – ١٢] .

وهو سبحانه الشهيد العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي علم جميع أفعال العباد، وأحصاها قبل فعلها، وكتبها في اللوح المحفوظ ، ثم يخبر عباده بها إذا بعثهم : ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [يونس/ ٤٦].

وهو سبحانه الشهيد القريب من خلقه، الذي يراهم جميعاً في آن واحد، ويسمع ما يتناجون به، ويرى ما يفعلون، ويعلم بما في قلوبهم، الشهيد الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الملك والملكوت: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس / ٦١] .

وهو سبحانه الشهيد الحق الذي شهد لعباده بما فعلوه من الخير والطاعات، وشهد على عباده بما عملوه من الشر والمعاصي: ﴿ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ [المجادلة / ٦] .

وهو سبحانه الشهيد الحق الذي شهد لنفسه بأعظم الشهادات وهي شهادة التوحيد ، وشهد بها أفضل خلقه من الملائكة والبشر: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ

﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران / ١٨] .

فسبحان الرقيب الشهيد الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة من مخلوقاته في السموات والأرض.

يرى مكانها.. ويسمع تسبيحها.. ويعلم أحوالها: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾ [الحج / ٧٠] .

وسبحان الشهيد الذي يرى الكون كله وهو مستو على عرشه العظيم.

يرى الهباءة الطائرة .. والجبال الشاهقة .. ويرى البهائم السائمة .. والأشجار النابتة .. ويرى الذرات والمخلوقات في قعر البحر الأسود كما يراها في شمس الضحى.

ويرى سبحانه كل ذرة وكل نبتة وكل حشرة في العالم في ظلمة الليل الأسود كما يراها في النهار الأبيض : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾ [الحشر / ٢٢].

ويرى الذرة السوداء، ويسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك / ١٤] .

ويرى سبحانه أهل الطاعات وهم يطيعونه ، ويرى أهل المعاصي وهم يعصونه، ويرى الكفار وهم يسبونه ، ويرى المشركين وهم يعبدون غيره ، ويرى المنافقين وهم يستهزؤن به ويؤذون أولياءه ، ثم ينبئ الجميع بما عملوا يوم القيامة : ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [التوبة / ١٠٥] .

فسبحان ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٩﴾ [البروج / ٩] .

وسبحان عالم الغيب والشهادة، الشهيد الذي لا يخفى عليه شيء وإن دق وصغُر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦﴾ [آل عمران/ ٥-٦].

فالله جل جلاله شهيد على كل شيء في ملكه العظيم وكونه الكبير وملكوته الواسع .

واعلم أن كل ما خلق الله في الإنسان من الحواس كالسمع والبصر والعقل والشم والذوق إنما تؤدى كلها معلومات إلى القلب ، وتشهد عنده بما علمت به ، ثم يحفظها القلب ، وعند الحاجة

لأداء هذه الشهادة يظهرها القلب ، فيشهد لربه بالوحدانية وبكل ما يعلم.

وتلك أعظم الشهادات،وهي شهادة أولي العلم الذين وصلوا بشهادتهم ما أمر الله به أن يوصل ، فشهدوا لله بالوحدانية ، وصدَّقوها بالعبودية : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٨] .

واعلم أن شهادة الله ﷻ أصل الشهادات كلها.

فشهد سبحانه لنفسه بالوحدانية وما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، وبما هو أهله من الجلال والجمال ، والعزة والكبرياء.

وشهد لملائكته ورسله بحقيقة ما هو عليه، وشهد لجميع خلقه بمالهم وما عليهم: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٩] .

ثم أفاض الكريم من مصداق شهادته على الشاهدين سواه، فعم جميع الخلائق بأداء الشهادة للحق سبحانه، فشهدت له بما هو أهله، وشهدت على أنفسها بما كسبت وبما يلزمها ، فكل شيء شاهد لله بالوحدانية ، والله على كل شيء شهيد .

وكل مخلوق يشهد شهادة حق بألسنة صدق ، كلٌّ بحسبه وحاله ومقاله.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول : « لا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلا إِنْسٌ وَلا شَيْءٌ إِلا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أخرجه البخاري [(١)].

وكل الخلق شهداء:

فالأنبياء والرسل شهداء لربهم بالوحدانية، وشهداء على أممهم بمالهم وما عليهم .

والملائكة شهداء لربهم بالوحدانية ، وشهداء على الخلق بما عملوا .

والإنس والجن شهداء لربهم بالوحدانية ، وشهداء على أنفسهم وعلى غيرهم.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠٩).

وجوارح الإنسان تشهد يوم القيامة بما عمل من خير أو شر : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النور / ٢٤ – ٢٥] .

والذرات ، والجمادات ، والنباتات ، والحيوانات ، وكل مخلوق ، الكل يشهد لربه بالوحدانية، ويسبح بحمده، ويشهد لغيره وعلى غيره بما عمل من خير أو شر: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [هود / ١٨] .

فسبحان الشهيد الحق الذي شهد بالحق، وأشهد جميع خلقه على أنه الحق وحده لا شريك له: ﴿ لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [النساء/ ١٦٦] .

واعلم أن أعظم شهادات العباد الشهادة لله بالتوحيد .

فالعالم كله أعلاه وأسفله وظاهره وباطنه يفرح ويهتز لشهادة المؤمن لربه بالتوحيد، ويشهد لهذا المؤمن بالحق والصدق حين يقول : أشهد أن « لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه[(١)].

ويشهد الكون كله على الكافر والمشرك بالجور والظلم والكذب : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [هود/ ١٨] .

وأشنع الشهادات الكذب على الله وتَنَقُّصه وتشبيهه بخلقه ونسبة الولد له وهو الغني عن كل ما سواه: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم / ٨٨ – ٩٣] .

والمؤمنون كلهم شهداء لشهادتهم بالحق في قلوبهم وألسنتهم وجوارحهم.

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٤٤) ومسلم برقم (٥٩٣).

وأصل الشهادات وأعظمها شهادة التوحيد، شهادة العلم والمعرفة، والإيمان واليقين.

فالعارف بالله ﷻ ، العالم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، الذاكر لله ، المؤمن به ، العامل بشرعه ، هذا رافع لربه أعظم شهادة من الخلق إليه علمية وعملية : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩].

والموت قَطْع لهذه الشهادة الكبرى، فإن الله كتب الموت على كل حي سواه، إبانةً لصفة الحياة الباقية، وتذكيراً بالمَلك الحي الذي لا يموت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢].

ثم يحيي الله الخلق ويحاسبهم ثم لا يموتون أبداً: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج/ ٥-٧].

والأنبياء والرسل شهداء على أممهم ، والعلماء شهداء على قرونهم وأهل زمانهم، وهذه الأمة تشهد للأنبياء أنهم بلغوا الرسالة لأممهم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

وشهداء العلم والمعرفة شفعاء يوم القيامة: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الزخرف/ ٨٦] .

وجميع المخلوقات في العالم العلوي والسفلي تشهد لخالقها بالتوحيد والجلال والجمال، والأسماء الحسنى والصفات العلى ، والمثل الأعلى .

وتشهد على أنفسها بما هي عليه من الذل والفقر والعجز، وتسبح بحمد ربها العظيم ، وتسبحه وتنزهه عن نقصها وفقرها اللازم لها ، وتلك شهادة المخلوقات كلها لله الواحد الأحد بالتوحيد : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

فسبحان الملك الحق الذي خلق كل شاهد ومشهود.

وكل شاهد ومشهود في هذا الملك الكبير يسبح بحمد ربه ، ويؤدي الشهادة لربه بالتوحيد، والشهيد الحق أعظم الشهود : ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء/ ١٦٦].

وسبحان الملك القريب الشهيد لخلقه كلهم ، الحي القيوم الذي لا يواري منه ولا عنه ليل ساج ، ولا سماء ذات أبراج ، ولا أرض ذات فجاج ، ولا جبلٌ ما في وعره ، ولا بحر ما في قعره ، ولا ظلمات بعضها فوق بعض: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾ [النساء/ ٣٣].

اللهم إني في هذا المقام أشهدك وأشهد جميع مخلوقاتك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، فاكتب شهادتي عندك مع الشاهدين يا خير الشاهدين: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

- **التعبد لله ﷻ باسمه الشهيد :**

اعلم رحمك الله أن الدخول في الإسلام أوله الشهادة لله بالوحدانية ، والشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة.

والصلوات التي هي صلة بين العبد وربه تشتمل على هذه الشهادة في البداية والنهاية ، يؤديها العبد كل يوم وليلة بين يدي ربه الشهيد له ، ويترضاه بالتحيات والصلوات.

فانظر كيف تشهد بين يدي ربك الواحد الأحد بحسن العبادة والطاعة وتؤديها له كأنك تراه: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

والمَلك الحق يدعوك أيها الإنسان للإيمان به ، ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلى ، لتشهد له بالوحدانية : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

ولأداء هذه الشهادة العظيمة يجب أن تكون من أهل العدالة ، لتُقبل شهادتك عند الملك الحق ، وذلك بالاستقامة على دينه ، والعمل بما يحبه الله ويرضاه ، واجتناب ما يسخطه ويبغضه: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود/ ١١٢].
وهؤلاء العدول هم المؤمنون الذين يكرمهم الله بالجنة يوم القيامة جزاء على شهادتهم

بالحق وأعمالهم الصالحة: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ (٣٢) وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ (٣٣) وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥) ﴾ [المعارج / ٣٢–٣٥] .

فسابق إلى الخيرات ، وسارع إلى فعل الطاعات ، وداوم على فعل الفرائض والنوافل المشروعة ، ولا تَمَلّ فإن الله لا يمل حتى تمل أنت ، ولا يضق صدرك بمن سخر بك أو أساء إليك فإن ربك شهيد له: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٩٨) وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ (٩٩) ﴾ [الحجر/ ٩٧–٩٩].

وعليك بالتفكر والتدبر لما في الكون من المخلوقات والآيات التي تشهد لربك العظيم بالوحدانية والقدرة والعظمة ، وتشهد على نفسها بالفقر والعجز والذلة : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) ﴾ [الرعد/ ٢].

فانظر رحمك الله كيف خلق الله الأرض وبسطها ودحاها بالمياه والخيرات، ونصب فوقها الجبال الشوامخ فلا تميد بأهلها ، وأحاطها بالبحار المسجورة، وشق بين قِطعها الأنهار المفجورة ، ودحا بطنها بالعيون المملوءة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) ﴾ [الرعد/ ٣] .

وانظر كيف جعل الحكيم العليم بين السماء والأرض السحب المسخرة ، والرياح المرسلة ، ودوائر الأفلاك المسخرة من الشمس والقمر والنجوم ، جارية بأمره ، على نسق محكم ، وترتيب مطَّرد ، يكون عنه الليل والنهار ، والصيف والشتاء ، والحر والبرد : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ (١٢) وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ (١٣) ﴾ [الرعد/ ١٢–١٣].

كل ذلك لإظهار قدرة القدير في أنواع العبيد ، وإظهار بعض معاني الآخرة في الدنيا ، وإظهار أسمائه وصفاته في مخلوقاته التي تسبح بحمده ، وتشهد بوحدانيته : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا (١٢) ﴾ [الطلاق/ ١٢].

فأظهر الرب ﷻ بذلك العجائب خلقاً وأمراً بأحسن تدبير وأكمل ترتيب: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس/ ٣٧–٤٠].

وخلق سبحانه بين السماء والأرض هذا الفلك العظيم، وجعل فيه السحب الثقال، والرعد الذي يسبح بحمده، والبرق الذي يلقح السحاب، والماء الذي يحيي به الأرض بعد موتها: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النور/ ٤٣–٤٤].

ثم زاد الله ﷻ هذا الإحكام إحكاماً بأنْ بيَّن خضوع جميع المخلوقات لربها، وسجودها بين يدي مالكها؛ لتشهد أمام فاطرها بفقرها وذلها، وتعلن طاعتها لمن خلقها بانتقالها كما شاء من حال إلى حال في مشارق الأرض ومغاربها بتدبير محكم من العزيز الحكيم: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وخلق ربنا ﷻ السماء وجعلها سبعاً شداداً، وبناها ورفعها وزينها بالكواكب والنجوم، وأمسكها بقدرته: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح/ ١٥–١٦].

وجعل ﷻ تلك السموات السبع مسكناً للمقربين من عباده والمصطفَين من أوليائه.

فتَقَهن الجبار سبع سموات، أعلاهن أعظمهن خلقاً، وأوسعهن حجماً، وكل واحدة محيطة بالأخرى، وملأهن بالملائكة التي تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته، وتُدبر أمره: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٩–٢٠].

فسبحان الملك القوي القادر الذي خلق السموات بإحكام وإتقان لا خلل فيه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣﴾ [الملك/ ٣].

وهذه السموات السبع العظيمة تُقِلّها قدرة الجبار ﷻ ، ويحملها أمره، وتمسكها مشيئته ، وتحكمها إرادته ، دون دعائم من تحتها تُقِلّها، أو علائق من فوقها تمسكها.

فسبحان الملك القادر على كل شيء ، الذي خلق كل شيء بإرادته،وقهر كل شيء بقدرته ، وملك كل شيء بجبروته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر/ ٤١].

وسبحان الشهيد الحي القيوم الذي أمسك السموات العظام أبداً وسرمداً بقدرته وقوته على ما هي عليه من الخلق والحسن والجمال ، لا تميد مثقال ذرة ، ولا تنقص مثقال ذرة : ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٦٥﴾ [الحج/ ٦٥] .

واعلم أن كل تَنَقُّل وتحول في الجماد والنبات، وكل مولود في البشر والحيوان، وكل شروق وغروب في الكواكب، كل ذلك يدل دلالة حسية قاطعة على وحدانية الله ، وحصول البعث بعد الموت: ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِى ٱلۡقُبُورِ ٧﴾ [الحج/ ٥-٧] .

فلا إله إلا الله كم شواهد التوحيد والبعث في المخلوقات كلها صغيرها وكبيرها.

فمجيء نهار بعد ليل كحياتنا هذه بعد الموت الأول، ثم يخلف الليل النهار كموتنا بعد هذه الحياة ، ثم يخلف النهار الليل كالحياة الأبدية في الآخرة بعد الموت: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِى ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾ [النور/ ٤٤] .

فسبحان من جعل النهار آية على الحياة، وجعل الليل آية على الموت بعد الحياة: ﴿ إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِى ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾ [آل عمران/ ١٩٠].

وسبحان العزيز الحكيم الذي خلق العرش والكرسي ، وخلق السموات والأرض ، وخلق

الشمس والقمر ، وخلق الليل والنهار ، وخلق الدنيا والآخرة.

وجعل ذلك كله آيات بينات تشهد بعظمة خالقها ، وتسبح بحمده ، وتخطب بتمجيده.

نصبها آية على وحدانيته، وآية على عظمة أسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وآية على البدء والإعادة ، وآية على الحياة بعد الموت ، وآية على فقر المخلوقات وذلها ، وآية تشهد بعظمة خالقها: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد/ ٢] .

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق الإنسان وأخرج منه هذا النسل العظيم .

من ذكر وأنثى ، وصغير وكبير ، وحَسَن وقبيح ، ومؤمن وكافر ، وصادق وكاذب ، وطيب وخبيث: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء/ ١].

وسبحان الحكيم الخبير الذي سقى الأرض بالماء فأنبتت من كل زوج بهيج :

من أبيض وأسود، وأحمروأصفر، وحلو وحامض، وحار وبارد، وجامد وسائل، وذكر وأنثى، وكبير وصغير، وقائم ونائم: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ [ق/ ٦ – ١١] .

فسبحان الملك الحق الذي جميع مخلوقاته شاهدة بوحدانيته ، مسبحة بحمده ، خاضعة لأمره ، مستجيبة لمشيئته ، مسرعة إلى إرادته .

الكل يشهد بوحدانية ربه ، والكل يسبح بحمده ، والكل يعمل بأمر ربه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج/ ١٨].

فهل رأيت كهذه السماء العظيمة التي زينها الخلاق العليم بالشمس والقمر والكواكب والمصابيح

التي ترسل النور إلى الأرض، وتشهد هي وكواكبها بوحدانية الله، وتسبح بحمده: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح/١٣-١٦].

وهل رأيت كهذه الأم الضحوكة الكريمة التي أنبتت من كل زوج بهيج، خلقها الله بقدرته لتسبِّح هي وأولادها بحمده، وتقنت لعظمته، وتشهد بوحدانيته.

وسخرها لخلقه يشربون من مائها، ويأكلون من ثمارها، ويتنعمون بخيراتها، ويسكنون فوقها، ويتقلبون في بقاعها: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل/١٠-١١].

فسبحان من ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

كم في الأرض من آية وعبرة؟ وكم يخرج منها من أشجار وثمار؟ ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢١].

تعطي الحبة منها سبعمائة حبة بأمر الله ﷻ: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة/ ٢٦١].

فهذا عطاء مخلوق لمخلوق بأمر الله في دار الدنيا ما أعظمه وما أحسنه.

فكم يكون العطاء من الرب الكريم للمؤمنين في الدار الآخرة من النعيم المقيم الذي من كماله وحسنه لا تهتدي العقول لمعرفته، ولا تستطيع الألسن أن تصفه، ولا تقدر الأوهام أن تتخيله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم

مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾» متفق عليه [1].

فسبحان الله ما أجهل الإنسان بربه.. وما أجهله بأسمائه وصفاته .. وما أجهله بآياته ومخلوقاته.. وما أجهله بدينه وشرعه.. وما أجهله بوعده ووعيده: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

ومن آيات الله العظيمة خَلْق الإنسان وتقلُّبه من حال إلى حال ، من تراب إلى نطفة إلى علقة إلى مضغة ، ثم جسماً بلحم وعظام ، ثم حياً ذا روح ، ثم إنشاؤه خلقاً آخر في صفاته وأخلاقه ، وفي تبدُّله من حال الطفولة إلى الشباب ، إلى الاستواء ، إلى الكهولة ، إلى الشيخوخة.

فسبحان الذي خلقه وصوره وأحسن خلقه وصورته : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [السجدة/ ٦ – ٩] .

وسبحان الملك القدير الذي خلق ما شاء ، وما يزال يخلق ما شاء، الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده ، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الروم/ ١٩] .

وسبحان الخلاق العليم القدير الذي خلق السماء وما فيها وما عليها ، وخلق الأرض وما فيها وما عليها، ثم يعيد ما فيها وما عليها إليها: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ [نوح/ ١٧–١٨] .

فانظر رحمك الله في ملكوت السموات والأرض ترى عجائب قدرة الله ، وعظيم ملكه وسلطانه ، وتشاهد التدبير والتصريف والتحريك والتسكين والحياة والموت في كل لحظة: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٢٠].

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤) ومسلم برقم (٢٨٢٤) واللفظ له .

واعلم أن الله خلق جميع الأجساد الحيوانية والبشرية وأسكن فيها الأرواح فصارت حية بأمر الله ﷻ، نحس بآثاره، ولا نرى شخصه، وهو دليل على الموجود بلا رؤية.

والروح سر باطن موصوف بصفاته، معلوم بأفعاله، لا يحيط به العلم، ولا يكيفه العقل.

اختص الله ﷻ بمعرفته وحده، وجعل الإيمان بالروح في الدنيا آية عليه، وطريقاً إلى الوصول بالمعرفة إليه والإيمان به: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء/ ٨٥].

والروح أمر رباني وعبد روحاني حبسه الله في الجسم ابتلاءً له، وأجرى عليه محنته فواقَع المكروه بواسطة الجسم ابتداءً، فعاقبه بأن أهبطه من السماء إلى الأرض لَمّا عصاه في الجنة: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة/ ٣٥-٣٧].

فالجسم يتغذى من طعام الأرض، والروح يتغذى من وحي السماء، فإن آمن العبد بربه صار الجسم والروح إلى الجنة، وإن كفر بربه صار الجسم والروح إلى النار: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه/ ٧٤-٧٦].

والموت هو مفارقة الروح للجسد، وإذا مات الإنسان رجع الجسد إلى التراب الذي خُلق منه، وخرجت الروح الحية منه ثم صعدت بها الملائكة إلى السماء.

فإن كان مؤمناً فُتحت له أبواب السماء حتى تصعد به إلى ربه ﷻ، فيؤمر بالسجود لربه فيسجد له ثم يعود إلى جسده في قبره وينعم فيه، ويبقى فيه إلى أن يُبعث ثم يحاسب، ثم يدخل الجنة: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة/ ٨٨-٩٦].

وإن كان كافراً لم تفتح لهذه الروح أبواب السماء، ورُمِي من علو إلى الأرض، ورجع إلى جسده في الأرض في شقاء وعذاب إلى يوم الدين، ثم يبعث، ثم يحاسب، ثم يدخل النار:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٤١ ﴾ [الأعراف/ ٤٠ – ٤١].

فما أعظم الله في خلقه وأمره، وحكمه وتدبيره، وأسمائه وصفاته : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١ ﴾ [لقمان/ ١٠–١١].

أرسل الرياح بشرىً بين يدي رحمته، وأنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها.

وخلق سبحانه الجنة وأظهر لعباده منها في هذه الدنيا ما يرغِّبهم فيها من المياه والثمار وسائر النعم ، وخلق النار وأظهر لعباده منها في هذه الدنيا ما يخوفهم منها من النار والسموم والآلام وسائر المكروه .

وأذن الله سبحانه للنار بنفَسَين ، نَفَس في الصيف وهو أشد الحر ، ونَفَس في الشتاء وهو الزمهرير أشد البرد ، فلولا الرياح والماء لكان النفسان في الدنيا جهنم الصغرى ، ولولا النفَسَان الحر والزمهرير لكانت الأرض بما فيها الجنة الصغرى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اشْتكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ : رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً ، فَأَذِنَ لهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ» متفق عليه [1].

فسبحان من أشار بهذه إلى تلك ، وجعل ذلك تذكرة وعبرة ، ودفع هذا بهذا ، وكسر هذا بهذا، وتم أمره في الدنيا والآخرة، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فلا إله إلا الله الحكيم العليم ، كم أخرج بالماء النازل من السماء من الجنات والعيون ، والأنهار والأشجار ، والأزهار ، والنبات ، والثمار: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم(٣٢٦٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٦١٧) .

شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل / ١٠ – ١١] .

وكم أحيا الرب بهذا الماء الذي أنزله من السماء من النبات والحيوان والبشر : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾

[الفرقان/ ٤٨ – ٥٠].

فهل نعتبر بهذا الخلق العظيم والملك الكبير والتدبير العجيب : ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٠] .

وإذا نظر الإنسان إلى عظمة هذه المخلوقات فليُعِدْ النظر إلى هذه النطفة المتكررة.

كيف خلقها الله من ماء مهين، فجاء منها الرجال والنساء، والأبيض والأسود ، والطويل والقصير ، والكريم والبخيل ، والمؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم/ ٢٠-٢١].

فسبحان من شرَّف الإنسان من بين المخلوقات فخلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته،وعلَّمه الأسماء كلها،وكرّمه بالسمع والبصر والعقل: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل / ٧٨] .

ثم زاده تكريماً بأنْ شرَّفه بالدين الذي يعبد به ربه ، ويهتدي به في حياته ، ويسعد به في الدنيا والآخرة: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤] .

وجعله في الدنيا خليفة في الأرض ، وعبداً لمولاه ، وفي الآخرة ملكاً بالقرب من مولاه الملك : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤ – ٥٥].

ونوَّع له الكريم في الدنيا نعمه الظاهرة والباطنة، ونوَّع له بالدين أنواع الطاعات والعبادات ، ونوَّع له في الآخرة أنواع النعيم والقصور ليزداد معرفة بربه العظيم ويزداد شكره وحمده ليعظم

أجره: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٠].

ويوم القيامة يكرم سبحانه من آمن به وأطاعه بألوان النعيم، ويهين من كفر به وعصاه بألوان العذاب، جزاء وفاقاً: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [النساء/ ٥٦-٥٧].

فهل رأيت أفضل من هذا العدل والإحسان، وأجلّ من هذا التكريم، وأحسن من هذه الأحكام: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة/ ٤٩-٥٠].

فلا إله إلا الله كم أضل الشيطان أكثر الخلق، وكم صرفهم عن التفكر في أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، ومخلوقاته العظيمة، وآياته الحكيمة: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ/ ٢٠].

ولا إله إلا الله كم عبد أكثر الناس الشيطان، وأعرضوا عن عبادة الرحمن: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس/ ٦٠-٦٢].

واعلم رحمك الله أن الملك القدوس خلق آدم ﷺ بيده، ثم استخرج ذريته من ظهره وأشهدهم على ربوبيته فأقروا بذلك، ثم جمع الذوات بيديه الكريمتين قبل أن تدنس بأنواع الكفر والمعاصي، وقال: هؤلاء إلى الجنة، ولمن في يده الأخرى: هؤلاء إلى النار، ثم أعادهم إلى صلب آدم، ليخرجوا منه على مر القرون، والله سبحانه يتابع عليهم إرسال الرسل، وإنزا ل الكتب.

ثم إذا مات جميع البشر، وأراد الله بعثهم للحساب لم يكن لهذه الأرواح التي تدنست

بالكفر والمعاصي أن ترجع إلى يديه الكريمتين ، فأوجد لهم الصُّوْر الذي جمع الله فيه الأرواح كلها.

ثم ينفخ فيه إسرافيل فتطير كل روح إلى جسدها ، ثم يقوم الناس لرب العالمين ، وبعد البعث يكون الحساب والثواب والعقاب : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠)﴾ [الزمر/ ٦٨-٧٠].

واعلم زادك الله علماً وإيماناً أن عالم الملائكة ، وعالم الجن ، وعالم الأرواح ، والكتب والرسل ، واليوم الآخر ، والقدر ، كله من الغيب الذي شاهدته العقول ببصيرة الإيمان حتى صار يقيناً كالمشهود بالأبصار : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١)﴾ [الرعد/ ١٩-٢١].

وفي عالم الغيب أضعاف أضعاف ما في عالم الشهادة ، والله وحده عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (٢٢)﴾ [الحشر/ ٢٢].

واعلم أن الصُّوْر مِنْ أَمْره سبحانه ، والأرواح مِنْ أَمْره ، فأعاد الأرواح بالصُّوْر إلى الأجساد ، ثم أعاد الكل ليوم الفصل ، ثم ساق المؤمنين إلى الجنة ، وساق الكافرين إلى النار.

حكمة بالغة وحُكْم عدل وأمرٌ حَتَّم رجوع كل شيء إلى حيث كان حسب عمله ، وقيامهم يوم القيامة بين يدي الجبار ليحكم بينهم: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم (٢٦)﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

فمن يشك بعد هذا البيان بالحق ، ودين الحق ، ومُلك الحق ، وأحكام الحق : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (٢٣)﴾ [الذاريات/ ٢٣].

فإن لم تدرك هذا الحق المبين فاعلم أنك محجوب عن ربك ، قد أسرك الشيطان ، وزين لك اتباع الهوى وترك الهدى ، فارجع إلى ربك وانظر في الآيات الكونية ، وتدبر الآيات القرآنية ،

لعلك تبصر مع المبصرين: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٤–١٠٥].

اللهم إني أُشهدك في هذا المقام أني أشهد أنك أنت الله الواحد الأحد الذي لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، فاكتبني مع الشاهدين يا مولاي.

واعلم رحمك الله أن الله يأمر إسرافيل بالنفخ في الصور، فإذا نفخ صعق كل روح في السموات والأرض إلا من شاء الله، وفزع إلى الصور داخراً صاغراً: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل/ ٨٧].

ثم يميت الله إسرافيل وملك الموت ، وتحق كلمة الله بموت كل نفس ، ويبقى الملك الحق الحي القيوم ﷻ .

فينادي : لمن الملك اليوم ؟ ولا يجيب سواه، فيجيب نفسه: لله الواحد القهار: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾[غافر/ ١٦] .

فإذا أراد الله ﷻ إعادة الخلق بعد الصعق أنزل من تحت العرش ماءً كمني الرجال، وأمر كل شيء أُخِذ من شيء أن يعود إليه ، ثم يُنبت الله أجسام الخليقة كاملة كما ينبت النبات بالماء : ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح / ١٧ – ١٨] .

ثم يحيي الله ﷻ إسرافيل ﷺ ويأمره بالنفخ في الصور نفخة البعث ، فينفخ فيه فتخرج كل روح إلى جسدها: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر/ ٦٨ – ٧٠].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي يُخرج النبات الحي من الأرض الميتة ، ويعيد الروح الحي إلى الجسد الميت ، فيحي الميت بالحي، ثم يخرجه من القبر للبعث والحساب: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ

﴿تُخۡرَجُونَ ١٩﴾ [الروم/ ١٩] .

فسبحان من يبعث هذه الأجساد والأرواح للحساب والجزاء : ﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ٧ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ٨﴾ [القمر / ٧ – ٨] .

فلا إله إلا الله متى يلين قلب الإنسان لعظمة مولاه، ومتى يؤوب إلى ربه من طغيانه وفجوره : ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [الحديد/ ١٦] .

فارجع رحمك الله إلى ربك الذي يحيي الأرض بعد موتها وتب إليه فإنه غفور رحيم : ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾ [الحديد/ ١٧].

واعلم أسعدك الله بطاعته أن الساعة آتية لا ريب فيها بعد انقضاء الآجال وتمام الآماد كلها: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ [الحجر / ٨٥] .

فكما يأتي اليوم بعد اليوم، والشهر بعد الشهر، والعام بعد العام ، والقرن بعد القرن ، كذلك ينقضي يوم الدنيا ، ويخلفه اليوم الآخر، وإنا لله وإنا إليه راجعون: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران/ ١٨٥].

واعلم أن الحكيم جَلَّ جَلَالُهُ جعل النوم بين اليقظتين آية على الموت بين الحياتين.

ومن كان في يقظته على شيء فالغالب أن يكون على مثله في نومه ، ومن عاش على شيء ، فالغالب أن يموت عليه ، ومن مات على شيء بُعث عليه.

فإذا بُعث رأى ما سمعه حقيقة حين لا تنفع الرؤية: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢﴾ [ق / ٢١ – ٢٢].

اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك يا كريم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف/ ٢٣].

واعلم رحمك الله أن الله رحيم بجميع خلقه، أرسل إلينا رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، فبلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أظهر الله دينه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف/ ٩].

فعليك باتباعه في جميع ما أرسله الله به من الإيمان بالحق، والعمل بالحق، والدعوة إليه، والصبر على الأذى في سبيله؛ لتسعد في الدنيا والآخرة: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١].

والله ﷻ هو الملك الحق الذي خلق السموات والأرض بالحق، وأنزل على عباده الحق، وأرسل رسله بالحق: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٣٠].

وهو الحق الذي تشهد له جميع مخلوقاته بالحق والعدل والملك والعظمة والجلال والكبرياء: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

وتشهد للإله الحق بالتوحيد، والعبودية له، والافتقار إليه.

فكل ما سواه من المخلوقات يشهد على نفسه بما هو عليه من النقص والفقر والعجز والتناهي في الأقطار والحدود والآجال والصفات: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج/ ١٨].

ويشهد لربه بأنه الملك الحق وحده لا شريك له، ويخضع لعبوديته، ويسبح بحمده: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

فسبحان من اختص بالأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٤].

هو القادر على كل شيء، الذي خلق القدرة في كل قادر، وله وحده القدرة المطلقة، الذي

يملك جميع خزائن القدرة وحده لا شريك له.

وهو سبحانه العليم بكل شيء عالم الغيب والشهادة ، الذي يملك خزائن العلم كلها ، الذي خلق العلم في كل عالم، وله وحده العلم المحيط بكل شيء ، وعِلْم ما سواه ناقص طارئ محدود: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق / ١٢] .

واعلم أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسله بالدين الحق ، وخصهم بما ليس في طاقة البشر الإتيان به من الإخبار بالغيوب ، وخرق العادات ، وتأييدهم بالآيات والمعجزات، ليكون ذلك دليلاً على صدقهم، وموجباً لاتباعهم فيما يأتون به من سنن وأحكام: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الحديد / ٢٥] .

وصفات النبوة وأعمال النبوة وآيات النبوة مبثوثة في العالم كله إلى يوم القيامة ، تظهر في المسلم ، ثم تتجلى في المؤمن ، ثم تشرق في الموقن ، ثم تستعلن في الصدِّيق وهو المحسن : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفتح/ ٢٨].

وجميع الأنبياء والرسل صادقون صدِّيقون محسنون صلوات الله وسلامه عليهم.

والصديقية هي المقام الرفيع بعد النبوة ، يربط الله بالحق على قلوب أهلها ، ويظهر شاهد الحق على ألسنتهم وأعمالهم ، ويكرمهم بضروب الكفايات ، وحصول الكرامات ، وإجابة الدعوات، وقضاء الحاجات : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وإنما بلغوا ذلك لكمال تصديقهم ، وكمال انقيادهم للأنبياء وتوقيرهم ، مع حسن الاقتداء بهم في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات/ ١٥].

وكثيراً ما يكون في هذا الصنف المجتبى محادثة السر، والنفث في الرَّوْع ، وحسن السمت ، والصدق في الرؤيا ، وكثرة البكاء ، وسرعة إجابة الدعاء : ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى/ ١٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ » أخرجه البخاري [1].

والباب مفتوح لكل مسلم ليدخل مَدْخل الصدق، ويَخرج مَخْرج الصدق، ويقوم مقام الصدق، فاطلبه وادخل معه بطاعة الله ورسوله: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء/ ٦٩ – ٧٠].

ومقام هؤلاء الصدِّيقين يوم القيامة في جوار ربهم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤ – ٥٥].

فاجتهد في طلبه: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٨٠].

ولعظمة هذا المقام وعلو درجته سيسأل الله أهله عن هذا الصدق: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧-٨].

فعليك بالتسليم الكامل لربك مع الإحسان في القول والعمل تُرضي ربك وتنال كرامته: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل/ ٩٧].

وإنما يحيا العبد ويستقيم إذا سار على الصراط المستقيم إلى ربه وصعد في المدارج العالية، فيرقى في الدرجات العلى من العلم والعمل، فيرى ويسمع الحق المفطور عليه العالم، فيكون كل شيء يراه أو يسمعه أو يعلمه دليل من الحق يدل على ربه الحق المبين.

فإذا حقق هذا أكرمه الله بالصعود في درجات الجنة: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾

(١) أخرجه البخاري برقم(٦٩٨٩).

﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾ [ق/ ٦-٨] .

فسبحان من أكرم آدم ﷺ وذريته ، وعلَّمه الأسماء كلها ، وباهى به ملائكته ، وأسجد له جميع الملائكة ، وجعله خليفة في الأرض ، وأكرمه بمعرفة الأسماء كلها : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم/ ٦٥] .

وجعل سبحانه هذه المعرفة في عبده آدم ﷺ علماً وذكراً ، وجعل ذلك في ذريته غريزة وفطرة ، وأشهدهم على ذلك شهادة حقاً ، ثم استخرجهم من الأصلاب جيلاً بعد جيل على هذه الفطرة الربانية الإيمانية: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم/ ٣٠].

فتجد المؤمن للبذرة التي في قلبه يصدق الرسل، ويؤمن بما جاءوا به من الهدى والفرقان ، فيصدِّق تلك المعرفة بالإيمان، ويزيدها بالفكر، ويغذيها بالذكر والعبادة ، فتفتح له أبواب العلم والهداية : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

فلا يزال هذا المؤمن يترقى حتى يعم بفكره أقطار الأرض ، ثم يخترق السبع الطباق ، ثم يبلغ الكرسي الكريم ، ثم ينتهي إلى العرش العظيم، فيشاهد الملكوت الأعلى، والمقام الأسنى ، فيرى قلبه ربه الملك الحق العزيز الجبار بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد:

يخلق ويرزق .. ويعطي ويمنع .. ويعز ويذل .. ويكرم ويهين .. ويرفع ويخفض .. ويبسط ويقبض .. ويأمر وينهى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾ [آل عمران/ ٢٦-٢٧] .

فإذا رأى قلبه ذلك خشع لعظمة ربه، وسجد لجلاله، وذل لجبروته، وسبح بحمده مع المسبحين : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

فالإنسان في الحقيقة في طلب علم التوحيد ليس يتعلم ، بل يتذكر ويسقي ما هو مركوز في

فطرته من تلك المعرفة ، ولهذا قال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية/ ٢١] .

أما الكافر فيعادي الرسل وأتباعهم بحسب الحُجُب التي حالت بينه وبين تلك المعرفة السابقة : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف/ ١٧٢].

فتجده يكذِّب بآيات الله ، ويخاصم ويجادل في أحكام الله، ويدعي الربوبية أو النبوة، ويملأ الأرض جوراً وظلماً، ويسعى في الأرض فساداً، ويملأ ما بين السماء والأرض كذباً وفجوراً: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس/ ١٧] .

وما أظهر هذا في شرار الخلق : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص/ ٤].

فيحتبس المطر من أجله ، وتقحط الأرض بسببه ، ويشيع في البلاد والعباد والدواب والنبات شؤمه وضرره: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم/ ٤١] .

فاستقم كما أُمرت ، ولا تكن ممن يعبد هواه فتكون من الضالين: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص/ ٥٠] .

واعلم أن الله هو الحق وقوله الحق ولا يهدي إلا إلى الحق، فعلى عبيده عبادته وحده لا شريك له : ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ۚ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس/ ٣٥] .

وآيات هدايته إلى الحق جَعْله السبل في الأرض لأهلها ليسيروا عليها ، وجَعْله النجوم في السماء ليهتدوا بها إلى مقاصدهم ، وإنزاله الكتب وإرساله الرسل إلى الخلق ليهتدوا إلى ربهم : ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٥-١٨].

واعلم أن السبل كثيرة ، وأهداها إلى الحق ما أوصل إلى الحق سبحانه ، وهو الصراط المستقيم ، والدين القيم الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام/ ١٥٣] .

واعلم رحمك الله أن الناس سوف يبعثون ويحشرون كلهم للحساب يوم القيامة.

والحشر حشران سوى الحشر الأول :

حشر قبل قيام الساعة من أقطار الأرض إلى بيت المقدس بعد البعث.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلاثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ ، واثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ ، وَثَلاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ ، وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ ، وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمْ النَّارُ تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا ، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتُصْبحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا ، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا » متفق عليه [1].

ثم الحشر الأول بعد نفخة البعث والنشور حشر عام لجميع الخلق للحساب يوم القيامة: ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ٤٨﴾ [الكهف/ ٤٧-٤٨].

وأما الحشر الثاني فهو حشر الكفار إلى جهنم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾ [الأنفال/ ٣٦] .

وحشر المؤمنين إلى الصراط الأول المنصوب على متن جهنم: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢﴾ [مريم/ ٧١-٧٢] .

ثم حشر المؤمنين إلى ربهم : ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ٨٦﴾ [مريم/ ٨٥- ٨٦].

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٦١).

ثم يساق المؤمنون مكرمين إلى الجنة جماعات: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ (٧٣) وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ (٧٤) ﴾ [الزمر/ ٧٣-٧٤].

واعلم أن كل الخلق سوف يسألهم ربهم ويحاسبهم يوم القيامة.

فالسؤال: هل فعلت كذا؟ ولمن فعلته؟ وكيف فعلته؟: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٩٣) ﴾ [الحجر/ ٩٢-٩٣].

والحساب يقال فيه: خذ هذا عن هذا: ﴿ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (٥١) ﴾ [إبراهيم/ ٥١].

واعلم أن من حوسب عُذب لا محالة، إذ لا يقوم أحد لحساب الله ﷻ، وله الحجة البالغة حقاً، ولا يمكن لأحد القيام بحقه، وشكر إحسانه، إنما هي رحمة الرحيم، وفضل الكريم سبحانه: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) ﴾ [النور/ ٢١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَداً عَمَلُهُ الجَنَّةَ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «لَا وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا» متفق عليه[1].

واعلم رحمك الله أن الحساب منه عاجل وآجل.

فالعاجل للحسنة نورها في القلب وثوابها، وللسيئة ظلمتها في القلب وعقوبتها.

والحساب الآجل ما أخَّر الله جزاءه في الدار الآخرة، والعاجل منه دليل على الآجل: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم (٢٦) ﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

فسبحان الملك الرحيم بعباده، بيَّن لهم الصراط المستقيم في الدنيا ليسيروا عليه إليه،

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨١٦).

ودعاهم لسلوكه ليصلوا إليه.

ثم نصب لهم يوم القيامة صراطاً مستقيماً على متن جهنم ، وهو الصراط الأكبر المنصوب لكل العباد حاشا الكفار والمشركين والمنافقين الذين اقتطعتهم عنق النار في عرصة المحشر، فهؤلاء يدخلون النار مباشرة دون سؤال ولا صراط: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الكهف/ ١٠٥-١٠٦].

ثم تَتْبَع كل أمة ما كانت تعبد من دون الله فيقعون في النار : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم/ ٦٨-٧٢].

فإذا لم يبق إلا المؤمنين نُصب لهم الصراط ثقيلهم وخفيفهم ، فإذا خَلُص من خَلُص من هذا الصراط وهم المؤمنون حُبسوا على صراط خاص بهم على قنطرة بين الجنة والنار ، فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا من المظالم التي بينهم أدخلوا الجنة.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا » أخرجه البخاري[1].

وهذا الصراط منصوب لأهل العدل الثاني،وأما أهل العدل الأول فهم الذين اقتطعهم عنق النار في المحشر إلى النار وهم الكفار والمشركون والمنافقون.

فاستقم على الصراط المستقيم في الدنيا تعبر الصراط الأكبر يوم القيامة إلى الجنة بإذن الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥١].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٥).

واعلم أيها المسلم أنك ستمر على الصراط بلا ريب: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم / ٧١ – ٧٢] .

وبحسب حسن السير على الصراط المستقيم في الدنيا تكون سرعة العبور على الصراط يوم القيامة .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : .. قلنا يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : « مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لهَا السَّعْدَانُ يَمُرُّ المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا » متفق عليه [1] .

فلا إله إلا الله ، إن قلباً لا تهزه هذه الأهوال والكروب والمشاهد لقلب ميت : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد/ ١٦-١٧].

ثم توضع موازين القسط والعدل لوزن العباد وأعمالهم يوم القيامة ، بعد دخول طوائف من المؤمنين الجنة بغير حساب ولا عذاب : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء / ٤٧] .

والميزان يوم القيامة حق : له كفتان ، كل كفة تَسَع طباق السموات والأرض ، فتوضع الحسنات في كفة ، والسيئات في الأخرى ، ويرى الإنسان نفسه وهو يزاول عمله : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

وبعد الميزان يكون الثواب والعقاب : ﴿ الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٩)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٣).

هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة/ ١-١١].

فسبحان الرب العظيم الذي خلق العرش العظيم، وخلق الميزان العظيم، وخلق كل شيء في الدنيا بموازين مقدرة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فكل شيء بميزان مقدر، لا يزيد ولا ينقص، ولا يتقدم ولا يتأخر.

الخلق والتدبير.. وإنزال الماء.. وتقسيم الأرزاق.. والنمو والتكاثر.. والجبال والبحار.. والسحب والرياح..وكل شيء في خزائن الله معلوم مقدر: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

واعلم أن حوض النبي ﷺ في عرصات القيامة يمده ميزابان من الكوثر الذي أعطاه إياه ربه في الجنة، فيشرب منه كل من آمن به: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾﴾ [الكوثر/ ١].

وهذا الحوض عظيم واسع كما بين مكة وبصرى، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وآنيته كعدد نجوم السماء، مَنْ شرب منه لا يظمأ أبداً، يشرب منه المؤمنون، ويُذاد عنه كل من بَدَّل دينه.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ المِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَداً» متفق عليه[1].

واعلم وفقنا الله وإياك للفقه في الدين أن هذه الدنيا نبذة من الآخرة، مزج الله فيها الخير بالشر والحق بالباطل امتحاناً وابتلاءً للعباد في هذه الدار؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

أما الآخرة فإن الله ﷻ خلص فيها الخير كله، وجعله بحذافيره في الجنة، وخلص فيها الشر كله، وجعله بحذافيره في النار: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٤].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٩٢).

فسبحان الملك الحق الحكيم الخبير الذي خلق الدنيا والآخرة ، ثم أظهر لنا الدنيا وأخفى الآخرة ، وقدَّم الدنيا وأخَّر الآخرة ، وجعل الدنيا دار زاد للآخرة.

فمن جاء بالإيمان والأعمال الصالحة أكرمه الله بالجنة ، وأعد له من النعيم ما لا تدركه العقول، ولا تعلمه النفوس: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٧] .

ومن كفر به أدخله النار وأعد له فيها عذاباً عظيماً: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء/ ٥٦] .

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ نور لا يراه أحد في الدنيا : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

أما في الآخرة فإن المؤمنين يرونه ، ولا يحيطون به ؛ لكمال عظمته وكبريائه : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة / ٢٢-٢٣] .

أما الكفار فيرونه في المحشر مع المؤمنين ويريدون السجود فلا يستطيعون ، ثم يحتجب عنهم كما قال سبحانه : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ﴾ [المطففين/ ١٥-١٦].

اللهم ارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم يا أرحم الراحمين.

واعلم أن من آمن بالله في الدنيا ورآه ببصيرته أكرمه الله برؤيته يوم القيامة ببصره، ودخول جنته ، والفوز برضوانه ، ومن كفر بالله في الدنيا وعمي عنه ببصيرته حرَمه الله يوم القيامة من رؤيته ، ودخول جنته ، وأدخله ناره: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة/ ١٨-٢٠].

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

فسبحان الملك الحق لا إله إلا هو : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ

﴿تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾ [يونس/ ٣٢].

واعلم أن باب الإيمان مفتاحه التدبر والنظر : ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣١ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢﴾ [الأنبياء/ ٣٠-٣٢].

فانظر رحمك الله في ملكوت ربك كل وقت لتزداد علماً وتوحيداً وإيماناً ويقيناً : ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ١٨٥﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

واعلم أن الله جمع لنا ولك في هذا الاسم الكريم من غذاء القلوب والعقول مجامع الخيرات ، فلله الحمد والمنة.

إذا فهمت هذا فاعلم رحمنا الله وإياك أن الخلاق العليم خلق من أجلك ثلاث دور، وأربعة مواطن ، وخمسة أحوال.

فاعرف هذه الأمور ، وآمِنْ بهن وما فيهن من خلق وأمر ، وحياة وموت ، وتقدير وتدبير ، ومشهود ومستور : ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾ [آل عمران/ ٥٣].

أما الدور الثلاث :

فدار الدنيا .. ودار البرزخ في القبر .. والدار الآخرة.

وأما المواطن الأربعة :

فأولها الدنيا .. ثم البرزخ .. ثم عرصة القيامة .. ثم الجنة أو النار.

وأما الخمسة الأحوال :

فالأول: الحال التي قبل دار الدنيا، وهي حال النطفة الأمشاج.

الثاني: حالك في الدنيا، وهي محل الابتلاء والعمل.

الثالث: حالك في البرزخ ، وهي محل الانتظار إلى يوم القيامة.

الرابع : حالك يوم القيامة، وهي محل الفصل بين العباد.

الخامس: حالك في دار الخلود في الجنة أو النار ، وهي دار القرار الأبدي في النعيم أو الشقاء.

فاعلم رحمك الله ذلك كله لتكون على بصيرة من أمرك، فما سمعته سوف تراه، وما عملته سوف تلقاه: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم / ٥٢] .

واعلم أن علامة المخلص في عمله أنه يعبد الله كأنه يراه ، ولا يلتفت لأحد سواه ، لأنه لا يبحث عن تقدير الناس ولا عن إعجابهم ، ولا ينتظر حمدهم وشكرهم ، لأنه يعلم أن الله على كل شيء شهيد : ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفتح/ ٢٨].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[آل عمران/ ٥٣] .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم / ٤١] .

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف / ٢٣] .

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي،وَخَطَئِي وَعَمْدِي،وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه[1].

اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيداً أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، وأشهد أنك الحق ، ووعدك حق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، ومحمد ﷺ حق ، والنبيون حق ، ودينك حق ، وقولك حق ، لا إله غيرك ، ولا رب سواك .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلها ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له.

الواسع

قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [البقرة/ ١١٥].

الله جل جلاله هو الواسع الحق، ذو الطول والاقتدار، واسع الكرم والإحسان، واسع العلم والإحاطة، واسع الرحمة والمغفرة، واسع الفضل والإنعام: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر/ ٧].

هو سبحانه الواسع الكريم الذي وسع خلقه كلهم بالكفاية والإحسان ، الغني الذي وسع غناه جميع عبيده ، الرازق الذي وسع رزقه جميع خلقه ، وبيده مقاليد الفضل والإحسان والإنعام : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

وهو سبحانه الواسع العليم الذي وسع علمه كل شيء، وأحاط بكل شيء علماً، فلا يخفى عليه مثقال ذرة في ملكه الواسع: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [طه/ ٩٨] .

وهو سبحانه واسع المغفرة، الذي يغفر لكل من تاب وأناب مهما بلغت ذنوبه وخطاياه: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النجم/ ٣٢] .

وهو جل جلاله واسع العظمة والملك والسلطان: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

فسبحان الواسع العظيم الذي وسع كل شيء رحمة ومغفرة ، وفضلاً وعلماً ، وحكماً وسلطاناً.

وسعت أسماؤه كل شيء .. ووسعت صفاته كل شيء .. ووسعت كلماته كل شيء .. ووسعت أفعاله كل شيء .. ووسعت خزائنه كل شيء .. ووسعت أرزاقه كل شيء : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا

﴿ خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر/ ٢١].

هو سبحانه الواسع العظيم الذي لا نهاية لعظمته ، ولا نهاية لكبريائه ، ولا نهاية لملكه ، ولا نهاية لنعمه ، ولا نهاية لعلمه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [البقرة/ ١١٥].

هو الواسع الكبير الذي وسع بصره الأشياء كلها ، ووسع سمعه الأصوات كلها ، ووسع علمه الذرات كلها ، الواسع الذي وسع كل شيء ، فلا يشغله شيء عن شيء ، ولا شأن عن شأن : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر/ ٧].

هو الواسع المحيط بجميع الخلائق وجميع الأصوات والصور والذرات .

هو الواسع الذي لا حد لعظمته ، ولا حد لكبريائه ، ولاحد لإبداعه ، ولا حد لعلمه ، ولا حد لغناه ، وكل ما سواه مخلوق محدود : ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [طه/ ٩٨].

فسبحان الواسع العليم القادر الذي لا يشغله أهل السماء عن أهل الأرض ، ولا يشغله سمع عن سمع ، ولا صورة عن صورة ، ولا صغير عن كبير ، ولا حي عن ميت.

واعلم رحمك الله أن كل إنسان مهيأ لمعرفة الله ، والقلب واسع لا يملؤه إلا معرفة الله ، ومعرفة ما دون الله يملّه الإنسان بعد حين ، ونفس الإنسان مخلوقة لتعرف المطلق وما لا نهاية له ، فإذا شغلها الإنسان بالمحدود عن المطلق سئمت هذا المحدود ، وتشرفت إلى غيره : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

ولن يسعد في الدنيا أحد إلا إذا عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرف الواسع الذي لا نهاية لسلطانه ، الواسع الذي لا حد لإحسانه ، ثم عَبَده بموجب هذه المعرفة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

جمع جل جلاله إلى المثل الأعلى جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى .

فهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وحده لا شريك له: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٦-٢٧].

وهو الواسع الذي جمع علمه وقدرته ومشيئته وإرادته كل كائن في السموات والأرض ، وكل كائن في الدنيا والآخرة ، وكل ما كان وما يكون وما سيكون من كبير وصغير ، وظاهر وباطن، وحي وميت ، وناطق وصامت : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة/ ١١٥].

الكل ملكه ، والكل في قبضته ، والكل يشهد بتوحيده ، والكل يسبح بحمده : ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

فسبحان من جمع ذلك كله خلقاً وأمراً كتاباً في اللوح المحفوظ: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾﴾ [يس/ ١٢].

ثم جمع ﷻ الخليقة البشرية كلها في واحد جامع جعله عبداً له ، متذللاً لعزته ، خاشعاً لعظمته ، قانتاً له ، متصاغراً لكبريائه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء/ ١].

جمع في هذا الإنسان ما كان وما يكون منه في سابق علمه، وجمع فيه ما يخرج منه من مولود وكلام ، وأعمال وأخلاق.

ثم أظهر سبحانه ذلك كله ، كلٌّ على نوبته وأوليته من الدهر: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر/ ٥٢ – ٥٣].

وجمع سبحانه جميع ذرات الكون في العالم العلوي والسفلي على ذكره وتوحيده ، وتسبيحه وتوحيده : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

ثم هو ﷻ جامع الناس ليوم لا ريب فيه ؛ لتوفَّى كل نفس ما كسبت: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران/ ٩].

ثم هو جامعهم في دار القرار في الجنة والنار: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن/ ٩].

هو الحق جل جلاله جامع الخير كله بحذافيره لأوليائه في الجنة: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٧] .

وهو العزيز القادر جامع الشر كله بحذافيره لأعدائه في النار: ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ [ص/ ٥٥-٥٨].

وهو سبحانه الواسع المحيط الجامع لكل شيء ، الجامع للخلائق كلها للحساب يوم القيامة : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٩].

يجمع أهل السماء والأرض .. ويجمع الإنس والجن .. ويجمع المؤمنون والكفار .. ويجمع العبد مع عمله .. ويجمع كل نبي مع أمته .. ويجمع الأولين مع الآخرين : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء/ ٨٧].
فسبحان جامع الناس ليوم لا ريب فيه ليحاسبهم ويجازيهم بما عملوا من خير أو شر.
يجمع بين الظالم والمظلوم ، ويجمع بين القوي والضعيف ، ويجمع بين المعطي والآخذ ، ويجمع بين الأمير والمأمور ليقتص لبعضهم من بعض : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ ﴾ [التغابن/ ٩-١٠].
وهو سبحانه الملك الحق الذي جمع الكمالات كلها في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وملكه وسلطانه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].
وهو سبحانه الكريم الذي جمع الكمالات البشرية في رسله وأنبيائه ، وجمع جميع كمالاتهم في سيدهم وأفضلهم محمد ﷺ ، فهو في أعلى درجات الخلق ، وفي أعلى درجات الأدب ، وفي أعلى درجات العلم ، وفي أعلى درجات العمل ، وفي أعلى درجات التقوى ، وفي أعلى درجات الرحمة : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤].
وكل صحابي من صحابته ، وكل مسلم من أمته ، إنما حاز على بعض تلك الأخلاق ، فاظفر بما استطعت منها : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١].

هو سبحانه الواسع الذي وسعت قدرته كل شيء فجمع بين المتماثلات والمتضادات ، والمتشابهات والمتباينات .

جمع بين المخلوقات وما ينفعها ، وهداها لاجتناب ما يضرها ، وجمع بين المتضادات كالليل والنهار ، والحر والبرد ، والأمن والخوف ، والحب والبغض.

وجمع بين المتباينات ، فجمع بين السماء والأرض ، واليابس والماء ، والجبل والسهل ، والبحر والنهر.

هو سبحانه الذي جمع بين القلوب بالإيمان : ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال/ ٦٣].

فسبحان الله الواسع العليم الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً، ومغفرة وحلماً، وقدرة ومشيئة: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس/ ٦١] .

هو الواسع الحكيم، رب كل شيء ومليكه، خالق كل شيء ومبدعه، الحي القيوم القائم على كل شيء، المحيط بكل شيء، الذي بيده خزائن كل شيء: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود/ ١٢٣] .

فسبحان من وسع سمعه جميع الأصوات، ووسع بصره جميع الذرات، ووسع علمه جميع المخلوقات، وقهر بقوته جميع القوات، لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٣-٢٤].

هو سبحانه الواسع الحق الذي وسَّع على عباده في أرزاقهم ومساكنهم ، ووسَّع عليهم في دينهم فلم يكلفهم إلا وُسْعهم: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة/ ٢٨٦] .

وهو سبحانه واسع الأجر والثواب : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ

﴿سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة/ ٢٦١] .

وهو سبحانه واسع الملك الذي يؤتيه من يشاء، وينزعه ممن يشاء: ﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٤٧﴾ [البقرة/ ٢٤٧] .

• التعبد لله جَلَّ جَلَالُهُ باسمه الواسع :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الواسع الحق جَلَّ جَلَالُهُ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وله المثل الأعلى ، وله المحامد كلها ، وله الثناء الحسن كله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨] .

وإذا عرفت أن ربك واسع عليم فاحمل نفسك على أحسن الصفات وأوسعها خيراً ، وأنفق مما آتاك الله من فضله في مرضاته يؤتك أضعافه : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾ [البقرة/ ٢٤٥] .

واعلم أنك لن تستطيع أن تَسَع الناس بمالك فَسَعْهم بأخلاقك الحسنة يحبك الله ويحبك أهل السماء والأرض : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾[آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنكُمْ أَخْلاَقاً » متفق عليه [(١)].

واعلم أن الله واسع عليم ، فسع الناس بحسن خلقك ورحمتك ، ومن زاد إيمانه بربه اتسعت دائرة رحمته لخلقه.

فوسِّع رحمك الله دائرة علمك ، ووسع دائرة عملك ، ووسع دائرة أخلاقك ، ووسع دائرة حلمك ، ووسع دائرة عفوك ، ووسع دائرة إحسانك : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد/ ٢١].

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٢١) .

واعلم أن الوعاء الأكبر يتسع للأصغر ، فالكبير يسع الصغير ، والعالم يسع الجاهل ، والغني يسع الفقير ، والحليم يسع الأحمق ، والمحسن يسع المسيء ، فصل من قطعك ، وأعط من حرمك ، واعف عمن ظلمك ، وأحسِن إلى من أساء إليك.

وإذا علمت أن ربك واسع جامع لكل خير فاجمع رحمك الله بين خيري الدنيا والآخرة ، واجمع بين الآداب الظاهرة في الجوارح والحقائق الباطنة في القلوب ، واجمع بين عبادة الحق والإحسان إلى الخلق : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء/ ١٢٥].

واجمع بين العلم والعمل ، والبصر والبصيرة ، والعدل والإحسان ، وحسن السيرة والسريرة ، يجمع لك ربك ما تحبه وترضاه في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

ومن أعظم الأخلاق التي يحبها الله رحمة الناس ، والرفق بهم ، وإكرام أشرافهم ، والإحسان إلى فقرائهم ، والحلم على سفيههم ، ودعوتهم إلى الخير ، والنصح لهم ، وحب المؤمنين منهم: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران / ١١٠] .

واسأل الله أن يرزقك حسن الخلق مع الخالق والمخاليق في كل حال : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

وقد أرسل الله رسوله محمداً ﷺ بأحسن الأديان وأحسن الأخلاق وأحسن الأعمال فاتَّبِعْه في دينه وأخلاقه ، وأقواله وأفعاله ، تَحْمل صفاته التي وصفه بها ربه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤] .

واعبد ربك الكريم العظيم بكل ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ، يكرمك بجميع أنواع الثواب يوم القيامة : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾ [البقرة/ ٢٥].

وتضرع إلى ربك الواسع العليم الذي بيده مقاليد الأمور أن يفتح لك من أبواب الخير ما يرضيه عنك ، وأن يغلق عنك من أبواب الشر ما ينجيك من عقابه ، فخزائن كل شيء عنده : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [الحجر/ ٢١].

وأكثِر من التدبر والتفكر في آيات ربك العظيمة وملكه الواسع ، ثم أتبع العبرة بالعمل المحبوب إليه من الذكر والعبادة ، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، وتعليم أحكام دينه : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران / ٧٩].

واجمع بين العلم والعمل فالعلم بلا عمل كشجر بلا ثمر، وثمرة العلم الحق العمل الحق مع الخشية والرغبة والرهبة : ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر/ ٩].

وسبح بحمد ربك العظيم في كل حين ، وسبح باسم ربك الأعلى في كل وقت : ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦﴾ [الإنسان/ ٢٥ – ٢٦] .

واعلم أن شأن الله عظيم ، وأسماؤه وصفاته الحسنى لا تحيط بها العقول ، وجلاله وجبروته وعظمته وكبرياؤه تعجز عن إدراك كنهها الأفهام ، وآلاؤه ونعمه وإحسانه لا تعد ولا تحصى.

فسبحه كثيراً.. واحمده كثيراً.. واستغفره كثيراً.. واذكره كثيراً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ٤٤﴾ [الأحزاب/ ٤١ – ٤٤] .

﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [النمل / ١٩] .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الشعراء / ٨٣ – ٨٥] .

«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه [(١)].

اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه ، وأوله وآخره ، وظاهره وباطنه ، والدرجات العلى من الجنة يا واسع الرحمة والمغفرة والعطاء .

اللهم يا من رحمته وسعت كل شيء ، أسألك خير الدعاء،وخير المسألة ، وخير الفلاح ، وخير العمل ، وخير الثواب ، وخير الحياة ، وخير الممات ، وخير المقام ، يا واسع الفضل والمغفرة.

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩) .

المحيط

قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ١٢٦ ﴾ [النساء/ ١٢٦] .

الله ﷻ هو المَلِك الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن، المحيط بكل شيء، الذي أحاط بالأشياء كلها في العالم العلوي والعالم السفلي.

وهو سبحانه المحيط الذي أحاط بصره بجميع المخلوقات، وأحاط سمعه بجميع المسموعات، وأحاط علمه بجميع المعلومات، ونَفَذت مشيئته وقدرته في جميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسموات، ودانت لعظمته جميع المخلوقات: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ١٢٦ ﴾ [النساء/ ١٢٦] .

وهو سبحانه العلي العظيم الذي أحاط بكل شيء خلقا ، وأحاط بكل شيء أمرا ، وأحاط بكل شيء قدرة ، وأحاط بكل شيء علما: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

وهو سبحانه العلي الكبير الذي أحاط بالعالم كله أوله وآخره، وظاهره وباطنه، وأعلاه وأسفله، وكبيره وصغيره: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣ ﴾ [الحديد/ ٣] .

وهو ﷻ المحيط الذي أحاط بكل محيط في العالم العلوي والسفلي، وأحاط بكل ذرة في الدنيا والآخرة: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤ ﴾ [فصلت/ ٥٤] .

وهو سبحانه الكريم الذي أحاط جميع خلقه بالنعم والعافية، وأحاطهم بالأمن والدين، فلا أحد أكرم منه ، ولا أحد أقوى منه ، ولا أحد أعظم منه: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر/ ٦٥].

فسبحان الملك الحق المحيط بكل شيء، المحيط بالسموات والأرض، المحيط بالأبد والأمد ، المحيط بالمكان والزمان ، المحيط بالأوائل والأواخر ، والظواهر والبواطن، والأقوال والأفعال، والجهر والسر: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

وسبحان الرب العظيم الذي خلق المُلك والملكوت ، وأحاط بعالَم الغيب والشهادة.

خلق السموات والأرض، وملأ السموات بما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من الملائكة التي تسبح بحمده ، وتشهد بتوحيده ، وتطيع أمره ، وملأ الأرض بما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من أنواع الجمادات ، والنباتات ، والحيوانات ، والذرات ، والإنس ، والجن : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ثم أحاط الجبار كل أرض بما فوقها إلى الأرض السابعة العليا ، ثم أحاط الأرض العليا بالسماء الأولى الدنيا ، وأحاط السماء الأولى بالثانية .. وهكذا إلى السماء السابعة : ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ٣٠﴾ [الأنبياء/ ٣٠] .

ثم أحاط سبحانه السموات والأرض بالكرسي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

ثم أحاط الكرسي الكريم بالعرش العظيم الذي أحاط بجميع المخلوقات في العالم العلوي والسفلي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ٢٦﴾ [النمل/ ٢٦].

والسموات والأرض بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، والكرسي بالنسبة للعرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، والكل في يد الجبار ﷻ أصغر من الخردلة في يد الإنسان : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر/ ٦٧].

فسبحان الكبير المتعال الذي خلق كل شيء فقدَّره تقديرا ، وأحاط بكل شيء محيط ، وله الحمد في الأولى والآخرة: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

والله ﷻ ذو العظمة والكبرياء والعزة والجبروت قد استوى على العرش الكريم بأعظم الصفات وهي الرحمة كما قال سبحانه : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ٥﴾ [طه/ ٥].

فسبحان الرب العظيم الذي استوى على العرش العظيم .. وأحاط بكل محيط .. يفعل ما يشاء.. ويحكم ما يريد.. يخلق ويرزق.. ويأمر وينهى .. ويعز ويذل.. ويحيي ويميت .. لا راد لقضائه..ولا معقب لحكمه .. ولا يعزب عنه مثقال ذرة في ملكه العظيم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

واعلم علَّمك الله من علمه أن هذه المخلوقات العظيمة والتدبيرات العجيبة في السماء والأرض ، لكل واحد منها يومه وساعته ودقائقه ، ولكل مخلوق أيامه وأسابيعه وشهوره وأعوامه وقرونه، يقع فيها حوادث لا يحصيها إلا الله من الأعمال ، والتسبيح ، والتحميد ، والحياة ، والموت ، منها ما نبصره ، وأكثرها لا نبصره ، والله محيط بكل ذلك : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].

والكل يسبح بحمد ربه ، ويشهد له بالوحدانية ، والكل أحاط به المحيط الذي أحاط بكل شيء ﷻ : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ [النساء/ ١٢٦] .

وأعظم تلك المخلوقات العظيمة وأكثرها عبادات هم الملائكة الذين ملأ الله بهم السموات العلى ، وحملة العرش المقربين ، فهؤلاء كلهم عباداتهم لربهم سرمدية أبداً: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٠].

والله ﷻ هو الملك الغني عن جميع خلقه، وكلهم فقراء إليه في خلقهم وتدبيرهم وأرزاقهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥] .

وجميع ما في الكون من المخلوقات تعبد ربها ، وتسبح بحمده ، وتشهد بتوحيده .

ومن شذ من البشر عن عبادته فالملائكة الكرام لا يسأمون من عبادته : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت/ ٣٨].

فسبحان الكريم الذي أنعم علينا بنعم كثيرة لا يحيط بها إلا هو ، وأكرمنا بالدين الحق الذي يرضى به عنا ، وفرض علينا أولاً خمسين صلاة في اليوم والليلة ، ثم خفف الكريم الرحيم

عددهن من خمسين إلى خمس صلوات ، وأعطى الأجر كاملاً على الخمسين من فضله الصلاة بعشر صلوات ، فصارت الصلاة الواحدة بمائة صلاة ، والخمس صلوات بخمسمائة صلاة .

فلله الحمد على عطاء ربنا الكريم : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

وجعل كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف مضاعفة لا يعلمها إلا هو ، والسيئة بمثلها ويمحوها بالتوبة أو بعفوه: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦٠] .

واعلم أن مَنْ عَلَتْ منا همته سارع إلى مرضاة ربه بأداء الفرائض ، وتكثير النوافل من جميع الطاعات ، واجتناب المنهيات من جميع المحرمات : ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد/ ٢١].

وعلى قدر المسارعة والمسابقة إلى الطاعات تكون الكرامات والهبات ، وعلى قدر الغفلة والبطالة تكون الخسارة والعقوبات: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يونس / ١٠٨] .

فسبحان الكريم الرحيم بعباده ، الذي خلق المسبحين وعرَّفنا بهم وأرانا إياهم ، وأخبرنا بدوام تسبيحهم لنقتدي بهم ونسبح بحمده معهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج / ١٨] .

هو الله ﷻ المحيط الذي أحاط بكل شيء ، وأحصى كل شيء من الذرات ، والذوات ، والأعداد ، والأحوال ، والآجال ، والأرزاق ، والأنفاس ، والحركات ، والأقوال ، والأفعال ، والحروف ، والكلمات ، وما في القلوب ، وما في الغيوب : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾ [فصلت/ ٥٣-٥٤].

وهو سبحانه المحيط الذي أحصى كل شيء خلقاً وأمراً ، عدداً وقدراً ، أولاً وآخراً.

يعلم مثاقيل الجبال .. ومكاييل البحار .. وعدد ذرات الرمال .. وعدد ورق الأشجار .. وعدد الطير والوحش والحيوان .. وعدد الإنس والجان والملائكة .. وأحصى تسبيحها وأنفاسها وما خرج منها : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [يس/ ١٢].

أوجد سبحانه العدد وجوداً لا منتهى له ولا آخر ، وجعله في الدنيا آية على بقاء ما له أول ولا آخر له وهي الدار الآخرة.

فسبحان من أحصى جميع المخلوقات بإحصاء واحد ، ويحسبها بحساب واحد ، ويعلم كل شيء بعلم واحد ، وأحصى جميع المخلوقات جملة وتفصيلاً : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ٦١-٦٢].

والله ﷻ أسماؤه لا تحصى ، وصفاته لا تحصى ، ونعمه لاتحصى .

ومَنْ أحصى من أسمائه تسعة وتسعين اسماً دخل الجنة.

وإحصاؤها هو معرفتها ، وتوحيد الله بها ، والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها.

عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: « لله تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْماً مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَإِنَّ الله وِتْرٌ يحِبُّ الْوِتْرَ » متفق عليه[1].

فيجب علينا تعلُّم أسماء الله الحسنى لندعوه بها ، ونتعبد لله بها بالاتصاف بما يليق بالعبد منها : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وإذا كنت تعلم أن الله محيط بكل مخلوق ، ويحصي كلامك وأفعالك وأنفاسك ، ولا يدع شيئاً إلا أحصاه عليك ، ويراقبك حتى كأنه ليس ينظر لأحد سواك، فلماذا لا تُجِل نظره إليك ؟

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٤١٠) ومسلم برقم (٢٦٧٧).

ولا تهاب رقابته عليك ؟ ولا تستحي من مشاهدته لك؟ : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج/ ٧٠].

واعلم أن أنفاس العباد معدودة ، وكل نَفَس يخرج من غير ذكر الله فهو ميت ، فاذكره يذكرك ، واعبده بما شرعه رسوله ﷺ : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

• التعبد لله ﷻ باسمه المحيط :

اعلم أن الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، والمثل الأعلى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه / ٨].

هو المَلك المحيط بكل مَلك .. القوي المحيط بكل قوي .. الكبير المحيط بكل كبير .. العزيز المحيط بكل عزيز .. العليم المحيط بكل عليم.. الغني المحيط بكل غني.

فسبحان الرب المحيط بجميع أكناف العالم، وجميع ذرات العالم، المحيط بجميع أنفاس ونيات وحركات وأقوال وأعمال الخلائق كلها في آن واحد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق / ١٢] .

فعليك رحمك الله بمواظبة التفكر وزيادة التدبر لتعرف الكبير حقاً ، والعظيم حقاً، والملك حقاً، والمحيط حقاً ، الذي أحاط بالملكوت كله حولاً وقوة ، وعلماً ومشيئة، وأحاط بكل إحاطة ظاهرة أو باطنة ، كبيرة أو صغيرة : ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

ومَنْ هذه أسماؤه ، وهذه صفاته ، وهذه أفعاله ، وهذا ملكه ، وتلك خزائنه ، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فعليك بالاستسلام له .. والحياء منه .. وإخلاص العبادة له .. والتبرؤ من الحول والقوة له ..

والخروج إلى الله من معاني النفس عند النعمة والكرامة والطاعة : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل/ ٥٣].

فكل نعمة فإنما كانت لك منه بإذنه وفضله وعونه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور/ ٢١] .

واحرص أن تكون محيطاً بأنواع البر والخير والإحسان من الفرائض والسنن ، واجتنب المعاصي والبدع ، وعليك بالصبر على البلاء ، والرضا بالقضاء ، والشكر لله على النعماء ؛ لتسعد في الدنيا والآخرة: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل/٩٧].

وأكثِر من التوبة والاستغفار مما تعلمه من الذنوب ومما لا تعلمه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء/ ١١٠] .

وإياك والاعتراض على أقدار ربك العليم المحيط بكل شيء ، ولا تتبرم من أي مكروه قدَّره ، ولا تحزن على أي أمر من الدنيا منعه : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد/ ٢٢-٢٣].

وإذا وقع مكروه فقل : قَدَّر الله وما شاء فعل ، وإذا لم يقع ما تحب فاعلم أنه لم يقدره العليم الخبير ، ولو كان خيراً لقدره : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة / ٥١] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تَعْجَزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ » أخرجه مسلم [(١)].

وعليك بالحنيفية السمحة في جميع أمورك، وملازمة السنة في أقوالك وأعمالك، ومصاحبة

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

الأيام والشهور والأعوام بالأعمال الصالحة ابتغاء مرضاة الله : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [الأنعام/ ١٦٢-١٦٣].

واعلم أن الحق سبحانه يكون للعبد في حياته وبعد موته كما كان العبد لربه بعد بعثه من نومه.

فإن كنت في الدنيا لربك عابداً ولحرماته معظماً وإلى ما يحبه ويرضاه مسارعاً كان الله في الآخرة لوجهك مكرماً ، ولشأنك معظِّماً ، وإلى مسرَّتك بالنعيم مسارعاً: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠) ﴾ [الرحمن/ ٦٠].

ومن أحسنَ أحسنَ الله إليه وزاده : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) ﴾ [يونس/ ٢٦].

واعلم أن نعم الله على العباد كثيرة لا تحصى، ولا يحاط بجملتها فضلاً عن آحادها : ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ﴾ [النحل/ ٥٢-٥٣].

فاشكر الله على كل نعمة أنعم الله بها عليك تأخذ أجرها مضاعفاً ، واستغفر عن التقصير في كل عمل صالح فإن ربك غفور رحيم : ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) ﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

واعلم أن أعظم ما يستعين به العبد على الذكر والعمل الصالح ومدافعة الغفلة مراعاة الأوقات قبل فواتها، وشغلها بفعل ما شرعه الله ورسوله من الفرائض والنوافل: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩) ﴾ [الحجر / ٩٨ – ٩٩] .

وإياك وإضاعة الأوقات ، والتسويف والتمني ، والتراخي والانتظار ، والتردد والتربص.

فهذه كلها جنود إبليس التي صاد بها أكثر الخلق: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) ﴾ [سبأ/ ٢٠] .

واعلم أن الله كما يقلب الليل والنهار كذلك يقلب الأنفاس بخواطر القلوب ففكر واعمل بما يحبه الله ورسوله تفلح: ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ

وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف / ٢٠٥] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف / ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة / ٢٨٦] .

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ » أخرجه مسلم [1] .

اللهم يا محيطاً بالأوائل والأواخر ، يا عليماً بالظواهر والبواطن ، يا سميعاً للمنادي والمناجي ، يا بصيراً بالشاهد والغائب .

أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .

اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته،ولا هماً إلا فرجته ، ولا كرباً إلا نفسته ، ولا ضُراً إلا كشفته ، ولا ضالاً إلا هديته ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .

الحسيب.. الحاسب

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [النساء/ ٨٦].

وقال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٤٧].

الله ﷻ هو الحسيب الحق ذو الشرف والمجد، والعزة والجبروت، والعظمة والسؤدد، والجلال والكبرياء، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وليس كمثله شيء: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

وهو سبحانه الحسيب الحق العالم بمقادير الحسنات والسيئات، العليم بأنواع الطاعات والمعاصي، المحيط بمواقع الأقوال والأعمال والأرزاق وأعدادها وأنواعها وأجناسها: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [النساء/ ٨٦].

وهو سبحانه الحاسب الكافي عباده، الذي لا غنى لهم عنه أبداً، فهو خالقهم ورازقهم وكافيهم في الدنيا والآخرة: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزمر/ ٣٦].

وهو سبحانه الحاسب الحافظ لأعمال خلقه كلهم، الحسيب الذي أحصى جميع أقوال العباد وأفعالهم الظاهرة والباطنة، وجميع حركاتهم وسكناتهم.

فكلها محسوبة عنده لا يضيع منها شيء ولا يزاد عليها شيء، ثم يجازي بها العباد يوم القيامة عدلاً وفضلاً بلا ظلم ولا بخس ولا نقص: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٤٧].

هو سبحانه الحسيب الكافي ، لأنه القوي القادر ، العليم الخبير ، الرحمن الرحيم ، الغني الحميد ، الحليم الكريم ، الحسيب الصمد الذي انتهى إليه كل شرف في الوجود ، لما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

هو سبحانه الحسيب الذي يحاسب العباد على أقوالهم وأعمالهم ، يحاسب من أطاعه ويثيبه على طاعته الجنة ، ويحاسب من عصاه ويجازيه على معصيته بالنار.

وحسابه ﷻ دقيق لا يترك مثقال ذرة منه ، بل يُطلع عليه من فعله ثم يجازيه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

وهو سبحانه الكريم الرحيم الذي يجازي على الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف مضاعفة ، ويجازي على السيئة بمثلها أو يغفرها : ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [التغابن/ ١٧-١٨].

فسبحان الحسيب الكريم الذي يحاسب عباده في الدنيا ليربيهم ، ويحاسبهم في الآخرة ليجازيهم.

واعلم أن من أيقن أن الحسيب سوف يحاسبه فلابد أن يخاف منه ، ومن خاف منه استقام على أمره ودينه ففاز برضوانه وجنته : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن/ ٤٦].

هو سبحانه الحسيب الذي يكفي بفضله ، ويصرف الآفات بطَوله ، إذا رفعت إليه الحوائج قضاها ، وإذا حكم بقضية أمضاها : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

هو سبحانه العليم بكل شيء ، الحاسب لكل شيء ، الذي يعلم النيات والأسرار ، ويعلم أدق الأعمال ، ويعلم أدق الذرات ، ويعلم النقير والفتيل والقطمير.

الله يعلم كل ذلك ويحاسب عليه ولا يظلم مثقال ذرة : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٤٧].

والله ﷻ سريع الحساب ؛ بل هو أسرع الحاسبين ، فإذا رجع العباد إليه يوم القيامة حاسبهم في أسرع وقت ، وحاسبهم جميعاً في وقت واحد كما يرزقهم جميعاً في الدنيا

في وقت واحد: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ٦١-٦٢].

فسبحان الملك الحق الذي خلق جميع الخلق وأحصى أعدادهم وساق إليهم أرزاقهم، وحسب أقوالهم وأعمالهم: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [يس/ ١٢].

وسبحان القوي القادر الذي لا يعجزه شيء ، وحساب الخلائق كلهم سهل عليه ، فكما أن خلقهم وبعثهم كنفس واحدة فكذلك رزقهم وحسابهم كنفس واحدة : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٨] .

واعلم أنه لن يُفلت أحد من الموت ، كما أنه لن يُفلت أحد من الحساب ، كما أنه لن يفلت أحد من العقاب أو يُحْرم من الثواب : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

فاختر لنفسك ما تسعد به وإلا جرك الشيطان إلى ما تشقى به : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء/ ١٣-١٤].

واعلم أن المؤمن حقاً من استقام على الدين ظاهراً وباطناً ، وحفظ لسانه وقلبه وجوارحه عن كل مالا يرضي الله ، وصرف فكره ووقته وماله في كل ما يرضي الله ، لأنه يعلم أن الله سوف يحاسبه على كل أعماله، ولكن المؤمن حسابه يسير، أما الكافر فحسابه عسير، فاتق الله : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء/ ٣٦].

والعاقل من حاسب نفسه ليستقيم على أوامر الله قبل أن يكون الحساب إلى غيره : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحشر/ ١٨-٢٠].

وكل شيء محسوب ، وكل إنسان سيرى ويقرأ ما قدم وأخر : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ١٣-١٤].

واعلم أن الحساب يوم القيامة من الرب الكريم لعباده مبني على العدل والرحمة والإحسان، ومن نوقش الحساب هلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الانشقاق/ ٦ – ١٢].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ الله تَعَالَى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ﴾ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ » متفق عليه [1].

• التعبد لله ﷻ باسمه الحسيب :

اعلم رحمك الله أن ربك هو الحسيب الحق، الكافي عباده جميع ما أهمهم من أمور دينهم ودنياهم، الميسر لهم كل ما يحتاجونه، الدافع عنهم كل ما يكرهونه: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يونس/ ١٠٧].

واعلم أيها المؤمن أن الله شرَّفك بعبادته ، وخصك بهدايته ، وأكرمك بطاعته ، فالزم طاعته في جميع أحوالك ، وأكثِر من ذكره وحمده في جميع أوقاتك : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦١ – ١٦٣].

ولا تستكثر طاعتك له ، فهو لجلاله وجماله وكمال أسمائه وصفاته أحق من عُبد، وأحق من ذُكِر، وأحق من شُكر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٧٦) .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾

[الأحزاب / ٤١ – ٤٣] .

ولا تُعدد حسناتك فإنها مكتوبة محفوظة مضاعفة لك عند ربك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء/ ٤٠].

وعدِّد سيئاتك وتذكَّرها لتستغفر الله منها، وتتوب إليه منها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر/ ١٨-١٩].

واحسب الساعات والأيام واملأها بالأعمال التي يحبها الله ويرضاها، وحاسب نفسك قبل أن تحاسب ، وانظر ما قدمت وما أخرت : ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

[يونس/ ١٠٥-١٠٦].

واعلم أن كل ما عملته لن يضيع منه شيء ، فالكل محسوب ستراه يوم القيامة: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة / ٦ – ٨] .

فسبحان الحسيب الذي حفظ على عباده كل ما عملوه من خير أو شر، أو طاعة أو معصية، وميز لهم صالح العمل من فاسده، وحَسَنه من قبيحه.

وعَلِم ما يستحقون من الجزاء، ومقدار ما لهم من الثواب والعقاب، ثم يوفيهم ذلك بعد رجوعهم إليه يوم القيامة: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ ﴾

[الحج / ٥٦ – ٥٧] .

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ [غافر/ ٧ – ٨] .

﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [آل عمران / ١٩٣] .

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَسْرَفْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه مسلم[1] .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أوعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله.

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١) .

المقيت

قال الله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [النساء/ ٨٥] .

الله ﷻ هو المقيت الحق لخلقه أجمعين، الذي خلق الأقوات كلها، وأوصل إلى كل مخلوق ما يقتات به، وأرسل إلى جميع المخلوقات الحية أرزاقها: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾[هود/ ٦] .

وهو سبحانه المقيت القائم على جميع المخلوقات بالتدبير والتصريف ، المقيت الذي يعطي كل مخلوق من نبات وحيوان وطير وإنسان قوته على مر الأوقات والدهور: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾[الإسراء/ ٣٠].

فسبحان من يمد هذه الخلائق في كل وقت بما جعله قواماً لها، فإذا أراد موت شيء منها حبس عنه ما جعله مادة لبقائه من القوت فمات بإذن الله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الروم/ ٤٠] .

والله ﷻ هو المقيت الذي يملك خزائن الأقوات كلها وحده لا شريك له.

هو المقيت الذي يقوت الأجساد بالطعام والشراب.. ويقوت العقول بالعلوم.. ويقوت القلوب بالإيمان وفتوحات العلم .. ويقوت الأرواح بدوام المشاهدة ولذيذ المؤانسة .. ويقوت الأبدان بحسن العبادة.

فسبحان الملك الحق الذي قدَّر جميع الأرزاق والآجال والأعمال في ملكه العظيم ، وقدَّر أقوات أهل الأرض وما يَصْلح لمعايشهم من النبات والأشجار والثمار والمنافع : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[القمر/ ٤٩-٥٣].

وجعل سبحانه في كل بلدة من المنافع والثمار والأقوات والمكاسب ما لم يجعله في

الأخرى ؛ ليشيع أوامره الشرعية في التجارة في كل بلد ، ليرتزق الخلق بعضهم من بعض بالتجارة والأسفار من بلد إلى بلد : ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النحل/ ١٣-١٤].

فيحصل بسبب ذلك من المنافع والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يعلمه إلا الله العليم الحكيم: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٠] .

فسبحان من خلق الإنسان من تراب، وخلق أقواته في الأرض بالقرب منه يأكل منها حيث يشاء: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [فصلت/ ٩ – ١٠] .

وسبحان خالق كل شيء، المقيت لكل شيء، الذي خزائنه مملوءة بكل شيء: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر / ٢١].

وسبحان الغني الذي له خزائن السموات والأرض، ويعطي ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة : ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الحج/ ٦٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « يَدُ الله مَلأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ،فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ، وَبِيَدِهِ المِيْزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ » متفق عليه (١).

وهو سبحانه المقيت الذي خلق الأقوات كلها ، وساق لكل مخلوق قوته الذي يصلحه .

خلق الإنسان وخلق له قوته من الطعام والشراب ، وخلق له توافقاً بين الطعام وجسمه ، وخلق له أجهزة تأخذ الطعام وتستفيد منه وتحوله إلى طاقة : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٩٩٢).

هو المقيت الذي خلق أقوات النبات والحيوان والإنس والجن والملائكة : ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٨ ﴾ [يونس/ ٦٨].

هو المقيت الذي خلق الخلق ، وقسم الأقوات ، وخلق قوتاً يناسب الجسد ، وجسداً يناسب القوت : ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ ﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

أقوات في السماء ، وأقوات في الأرض ، وأقوات للنبات ، وأقوات للحيوان ، وأقوات للإنس ، وأقوات للجن ، وأقوات للملائكة ، وأقوات في البر ، وأقوات في البحر ، وأقوات في الجو ، وأقوات في الدنيا ، وأقوات في الآخرة ، وأقوات للأجساد ، وأقوات للعقول ، وأقوات للقلوب.

فسبحان خالق الخلائق وخالق أقواتها ، يرزقها في كل لحظة ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ٥٤ ﴾ [ص/ ٥٤].

هو سبحانه المقيت الذي تكفل بقوت الأجساد من الطعام والشراب ، وتكفل بقوت الأرواح من العلم والإيمان والعمل الصالح.

فهذا يملأ القلوب بالطمأنينة والسكينة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

وقوت الأجساد تصح به الأبدان وتقوى على العمل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾ [البقرة/ ١٧٢].

فسبحان واهب أقوات الأبدان وهي الأطعمة والأشربة ، وواهب أقوات القلوب وهي الإيمان والمعرفة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فالنفوس قوتها الاتصال بالله ومعرفة أسمائه وصفاته وآياته وأحكامه ، والعمل بشرعه ، والأنس بمناجاته : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

واعلم أن إشباع الجسد لا يغني الروح شيئاً ، وفقر الروح إلى قوت القلوب من الإيمان والعمل الصالح أعظم من فقر الأجساد إلى الطعام والشراب : ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر/ ١-٣].

واعلم أن أعظم الأقوات هو معرفة علام الغيوب والإيمان به والعمل بشرعه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ [محمد/ ١٩].

فسبحان المقيت الكريم الذي ساق إلى خلقه جميع الأرزاق ، وسمع النجوى فأجاب ، وأرسل البلاء ليحمي عبده من العذاب ، وكشف السوء بعد البلاء : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [النمل/ ٦٢].

هو سبحانه مالك الأقوات ، واهب الأرزاق ، حافظ الأعمال : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ۝٨٥﴾ [النساء/ ٨٥].

فكل نصيحة تؤدي إلى طاعة الله فهي شفاعة حسنة ، وكل نصيحة تؤدي إلى معصية الله فهي شفاعة سيئة : ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١١٤﴾ [النساء/ ١١٤].

- **التعبد لله ﷻ باسمه المقيت :**

اعلم أن ربك الكريم هو المقيت الحق الذي يرزق عباده، ويواليهم بنعمه، ويتفضل عليهم بإحسانه، الحكيم الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

فاشكر المقيت الذي أكرمك بنعمه، وأعانك على طاعته، وأعطاك الأجر الكثير على العمل القليل: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم/ ٧] .

وأحسن إلى نفسك بحسن الطاعة لمولاك ، وخالق الناس بخلق حسن ، وادعهم إلى الله ، وأكرمهم بالقول والفعل يحبك الله ، ويحبك الناس : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ [فصلت/ ٣٣-٣٥].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ

وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى» متفق عليه[1].

واحفظ سمعك وبصرك وقلبك من كل سوء: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء/ ٣٦].

وكما أعطاك المقيت سبحانه من كل طَيِّب فطيِّبْ نفسك له بالإكثار من ذكره وحمده وأنواع عبادته، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكن من المفلحين: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

واعلم رحمك الله أن من آداب الانتفاع بقوت الأبدان ألا تأكل إلا الحلال الطيب ليستجاب دعاؤك، ويعظم أجرك، وتسمي الله عند الأكل والشرب، وإذا جلست على المائدة اذكر المنعم من خلال النعمة، واذكر مَنْ خلق الطعام وساقه إليك لتستعين به على طاعة ربك، وتحمده بعد الفراغ منه.

فالمؤمن إذا جلس على مائدة الطعام انتقل بفكره من النعمة إلى المنعم، ومن القوت إلى المقيت، ومن أنواع الطعام إلى أنواع الحمد والثناء على ربه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٧].

فسبحان الملك الغني الكريم المقيت لجميع مخلوقاته في العالم العلوي والسفلي، وفي الدنيا والآخرة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس/ ٣].

هو المقيت الحق الكريم الحق الذي جعل أقوات عباده مختلفة.

فمنهم من جعل قوته الأطعمة والأشربة على اختلاف أنواعها، وهؤلاء هم بنو آدم وجميع الحيوانات: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [عبس/ ٢٤-٣٢].

ومنهم من جعل قوته الطاعة والتسبيح والتحميد، وهؤلاء هم الملائكة: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١)، ومسلم برقم (٢٥٨٦)، واللفظ له.

لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٠].

ومنهم من جعل قوته من هذا وذاك ، وهؤلاء هم المؤمنون أولو الألباب والعقول ، وفي مقدمتهم الأنبياء والمرسلين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

فإذا وهبك المقيت سبحانه طعاماً فأكرم الناس منه ، وإذا وهبك علماً فعلم الناس ، وإذا أعطاك مالاً فأظهر نعمة الله عليك فيه ، وتصدق منه على الفقراء ، وأنفق منه في وجوه البر والإحسان يزيد مالك ، ويعظم أجرك ، ويحبك مولاك : ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص/ ٧٧].

واعلم أن من أنفق أوقاته في طاعة الله سخر له من يقضي حوائجه ، ومن اشتغل بشهواته وكَله الله إلى ذاته.

ومن شغله الحصول على قوت الأبدان عن تحصيل قوت القلوب خسر دنياه وآخرته : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء/ ١٨-٢٢].

فاجتهد غفر الله لنا ولك في تحصيل أقواتك التي تستغني بها عمن سواك ، فاليد العليا خير من اليد السفلى ، واهتم بالنفقة على نفسك وأهلك وقرابتك والمحتاجين : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة/ ٩-١٠].

وإياك أن تضيِّع من تقوت من أولادك فلا تطعمهم ولا تسقيهم ولا تعرِّفهم بربهم ، فكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ ، فالإمامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ ، والعبدُ راعٍ على مالِ سيدهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ ، أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ » متفق عليه[1].

وإذا كان الله هو الحي المقيت وحده فاعبده وحده لا شريك له: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر / ٦٥] .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٠١].

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [إبراهيم / ٤٠] .

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الحَيَاةَ زِيَادَةً لي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ المَوْتَ رَاحَةً لي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم[2].

اللهم يا مقيت الخلائق كلها ، يا واسع الرحمة ، يا باسط اليدين بالعطايا ، أسألك علماً نافعاً ، وعملاً متقبلاً ، ورزقاً حلالاً طيباً .

يا عظيم العفو ، يا واسع المغفرة ، يا حسن التجاوز ، اغفر لنا وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء يا أرحم الراحمين .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥١٨٨) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٨٢٩).
(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٧٢٠).

الحفيظ.. الحافظ

قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ [سبأ/ ٢١] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر / ٩] .

الله ﷻ هو الحفيظ الحق الذي حفظ جميع ما خلَقه ، وأحاط علمه بما أوجده ، وحفظ على العباد أعمالهم وجزاءها، وحفظ أولياءه من الوقوع في المهالك.

وهو سبحانه الحي القيوم الحافظ لجميع المخلوقات من سماء وأرض وما فيهما وما عليهما وما بينهما لتبقى إلى ما شاء الله ، فلا تزول ولا تميد، ولا يسقط منها شيء على شيء: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

فسبحان القوي العزيز الذي وسعت رحمته كل شيء ، وأحاطت قوته بكل شيء : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج/ ٦٥].

وسبحان القوي القادر الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر / ٤١] .

وهو سبحانه الحفيظ الذي حفظ كتابه العزيز من التحريف والتبديل والتغيير مع كثرة المحرفين والمبدلين : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر / ٩] .

فسبحان الحافظ العظيم الذي حفظ كل شيء في ملكه العظيم .

الحفيظ الذي يحفظ على الخلق أقوالهم وأعمالهم، ويعلم نياتهم وما تُكِنّ صدورهم: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ [هود/ ٥٧] .

هو سبحانه الحفيظ العليم الذي أحصى كل شيء ، ولا ينسى أي شيء ، فكل أقول الإنسان

وأعماله ، وعطاؤه ومنعه ، وخيره وشره ، كل ذلك محفوظ عند الحفيظ سبحانه في كتاب مرقوم يستحيل أن ينقص منه شيء : ﴿ فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [طه/ ٥٢].

وهو سبحانه الحافظ الذي يحفظ أعمال المؤمن ويكافؤه عليها في الدنيا والآخرة ، ويحفظ أعمال الكافر ويجازيه عليها في الدنيا والآخرة .

فسبحان الحفيظ الذي تكفل بحفظ كل شيء ، حفظ السموات والأرض أن تزولا ، وحفظ السماء أن تقع على الأرض ، وحفظ كل إنسان من البلايا ، وحفظ كل مخلوق من شر ما خلق ، وحفظ القرآن من الزيادة والنقص والتحريف ، وحفظ الدين من البدع والضياع : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو سبحانه العليم بكل شيء ، الحفيظ لكل شيء ، المحيط بكل شيء ، الذي أحصى كل شيء من الأقوال والأعمال والحركات والسكنات ، وأحصى الطاعات والمعاصي ، وأحصى الذرات والأنفاس ، وأحصى الكلمات والأحرف ، وأحصى الأشكال والأرقام : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

فسبحان الحفيظ العليم بدقائق الأمور ، الخبير بأسرار المقادير ، البصير بالظواهر ، الخبير بالبواطن : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

واعلم أن العبد إذا علم أن ربه عليم بكل شيء ، سميع لكل شيء ، بصير بكل شيء ، وأيقن أن الله يحصي جميع أقواله وأعماله ، ويحفظ جميع حركاته وأنفاسه ، عبد ربه كأنه يراه ، وبادر إلى طاعته ، واجتنب معصيته ، وسارع إلى مرضاته ، والبعد عما يسخطه : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

ونعم الله على العباد لا تعد ولا تحصى ، والبشر عاجزون عن إحصاء منافع وبركات نعمة واحدة من نعم الله عليهم ، وعاجزون عن شكرها من باب أولى ، فكيف بإحصاء نعم الله على العباد ، وكيف لهم القيام بشكرها : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

فسبحان الكريم بكل نعمة ، العليم المحيط بكل ذرة في ملكه العظيم ، المحيط الذي أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النبأ/ ٢٩].

وهو الحافظ الحق الذي حفظ جميع أقوال العباد وأعمالهم ، ظاهرها وباطنها ، سرها وجهرها ، وعلم بمقاديرها ومقادير جزائها وحفظ ذلك كله وكتبه في اللوح المحفوظ: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر/ ٥٢-٥٣] .

وللحفيظ ﷻ حَفَظة من الملائكة يحفظون العباد ، ويكتبون أعمالهم : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار/ ١٠-١٢].

وللرب ﷻ حَفَظة من الملائكة يحفظون المخلوق مما لا يريد الحفيظ الحق كونه ، وهو من أمر الله: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد/ ١١] .

فسبحان الحافظ لجميع ما في ملكه، الذي يحفظ خلقه ويكلؤهم ويحرسهم مما يضرهم، ويحفظهم مما لا يرضاه منهم: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنبياء / ٤٢].

واعلم أن حفظ الله لعباده نوعان :

الأول: حفظ عام لجميع الخلق يشترك فيه المؤمن والكافر وسائر النبات والحيوان ، وهو حفظ الذوات والنفوس التي خلقها الله بتيسير الطعام والشراب والهواء لهم ، وهدايتهم إلى ما يصلحهم من ضرورات الحياة ، ودفع المكاره والمضار عنهم كما قال سبحانه : ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [سبأ/ ٢١] .

الثاني: حفظ خاص لأوليائه المؤمنين به ، وذلك بحفظ إيمانهم وتوحيدهم من الشبه المضلة ، والفتن المهلكة ، والشهوات المفسدة.

وحفظ جوارحهم وألسنتهم من الكبائر والفواحش والمحرمات .. وحفظهم من أعدائهم من شياطين الإنس والجن والنفس الأمارة بالسوء : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ

ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

واعلم أنه مَنْ حَفِظ الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه حفظه الله في الدنيا والآخرة ، فاحفظ الله يحفظك ، وتوكل عليه وحده لا شريك له : ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف/ ٦٤] .

ومن حفظ حدود الله وأدى حقوقه فهو المؤمن الذي خشي ربه بالغيب فأطاعه فرضي الله عنه وأدخله الجنة: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق/ ٣١ – ٣٥].

واعلم أن أعظم حفظٍ مَنَّ الله به عليك حِفظ قلبك ، وحراسة الإيمان والدين عن الكفر والشرك والنفاق والفتن والأهواء والبدع: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة/ ٢٤٣] .

فسبحان الملك العظيم الذي خلق هذا الملك العظيم وتكفل بحفظه، وأنزل القرآن العظيم ، وتكفل بحفظه، وهدى من يحب للإيمان وتكفل بحفظه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

• التعبد لله ﷻ باسمه الحفيظ :

اعلم رحمك الله أن الحفيظ ﷻ خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهداه إلى الصراط المستقيم ، ومن فضله ورحمته أنْ خلق ملائكة حفَظَة تحفظ الإنسان من البلايا والآفات والمضار في كل أحواله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام/ ٦١].

وأنت غفر الله لك عبد الله الذي يتقلب في نعمه الظاهرة والباطنة وكريم كلاءته ومنيع حفظه وحراسته لك في دينك واستقامتك ، وفي نفسك وروحك ، وفي سمعك وبصرك ، وفي فكرك

وعقلك، وفي قلبك وجسمك، وفي جميع حواسك الظاهرة ، وجميع حوائجك الباطنة ، وفي جميع ما تحب من الأموال والأولاد، فاشكره وأحسِن عبادته: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠)﴾ [لقمان/ ٢٠] .

ولا تحسبنَّ الحفظ كل الحفظ من البلايا والأمراض الظاهرة فذلك فضل عظيم من ربك ، ولكن الحفظ الأكبر حِفظ القلب والدين من الكفر والشرك والنفاق والبدع والشك والشبه والأهواء والفتن : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١)﴾[النور/ ٢١].

فاحمد ربك العظيم على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأحسِن عبادته بما جاء به رسوله ﷺ ، وأخلص العمل كله له ، فهو أهل أن يُعبد ، وأهل أن يُحمد : ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)﴾ [مريم/ ٦٥].

فهو سبحانه الذي شرح صدرك للإسلام، وحفظ في قلبك الإيمان، وأعانك على طاعته، وحبب إليك ما يحبه ويرضاه، وحباك بما منعه سواك من أهل الكفر والنفاق، وأسبغ عليك نعمه الظاهرة والباطنة: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)﴾[إبراهيم/ ٣٤] .

واعلم أن الحفيظ الذي يحفظك حافظ لأقوالك وأفعالك وسوف يجازيك بها يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾[الزلزلة/ ٦-٨].

فلهذا وفقك الله لما يحبه ويرضاه استقم كما أُمرت ، واعبد ربك واصطبر لعبادته ، وداوم على شكره ، واصبر على بلائه ، واحفظ حقوقه وحدوده ، واجتنب محارمه وما يسخطه ، فبذلك تَسْتدرّ نعمه ، وتستصحب حفظه ، وتنال ثوابه ، وتَسْلم من عقابه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)﴾ [إبراهيم/ ٧] .

ومن أعظم ما يجب على المسلم حفظه هو الدين، ومن أعظم ما يجب عليه حفظه من حقوق الله هو توحيده بأسمائه وصفاته ، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الرعد/ ٣٦] .

ومن أعظم ما أمر الله بحفظه من الواجبات الصلاة، فمن حافظ عليها حفظه الله من عقابه، وأدخله جنته: ﴿ حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٣٨] .

ومما أمر الله بحفظه السمع والبصر والفؤاد ، فاستعمل ذلك كله في طاعته : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء/ ٣٦] .

واعلم رحمك الله أن العبد كلما كان لدين الله أحفظ كان حفظ الله له في الدنيا والآخرة أكمل وأتم وأدوم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال له رسول الله ﷺ : « يا غُلَامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظ الله يحْفَظْكَ ، احْفَظ الله تجِدْهُ تجَاهَكَ ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَلْتَسْأَل الله ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ » أخرجه أحمد والترمذي [١].

فاحفظ سمعك فلا تسمع به إلا ما يُرضي الله سبحانه.. واحفظ بصرك فلا تنظر به إلا إلى ما يرضيه.. واحفظ قلبك أن يتعلق به غيره.. واحفظ عقلك أن تستعمله فيما يغضبه.. واحفظ جميع جوارحك فلا تتحرك إلا بما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، واحفظ أوقاتك باستعمالها فيما أمرك الله به : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦٢-١٦٣].

---

(١) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

وبهذا يرضى الله عنك ويذكرك فيمن عنده، ويتقرب إليك أقرب كلما تقربت منه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة/ ١٠٠].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَني، فَإِنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَني في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وَإِنْ أَتَاني يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» متفق عليه [(١)].

وإذا علمت أن الله ﷻ هو الحفيظ لجميع ما في ملكه فاحفظ الله يحفظك، واحفظ الله تجده تجاهك، وافعل الأسباب المشروعة في حفظ النفس والصحة والأهل والمال، وتوكل على الحفيظ وحده في حفظها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

واعلم أن ما عند الله لن يناله العبد إلا إذا اتبع منهج ربه في الحفظ.

حِفْظ القلوب بالتوحيد والإيمان والتقوى، وحفظ الجوارح بطاعة الله، واجتناب معصيته، وحفظ اللسان بالذكر والحمد والدعاء والدعوة، والكف عن سيء الأقوال، وحفظ العين بالنظر في الآيات الكونية والشرعية والبكاء من خشية الله، والغض عن محارم الله، وحفظ الأذن بسماع القرآن والمواعظ والعلم النافع، واجتناب سماع اللغو والغيبة والنميمة وسيء الكلام، وحفظ المال بتأدية الزكاة، واجتناب الكسب الحرام، وحفظ الوقت باستعماله فيما يرضي الله لا فيما يسخطه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء/ ٦٦-٧٠].

وسل الحفيظ الحافظ لكل شيء أن يحفظ لك دينك وتوحيدك وإيمانك، وأن يحفظ قلبك من الشرك والرياء والشبهات، وأن يحفظ جوارحك من المعاصي والآثام، وأن يحفظ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

أموالك من الشبهات ، وأن يحفظ دنياك ويجعلها عوناً لك على طاعته : ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف/ ٦٤].

واعلم أن الحفاظة تكون على قدر الاستقامة ، فاستقم كما أمرك الله ، والاستقامة تحصل للعبد بفعل الأوامر ، واجتناب النواهي ، والصبر على كل شيء أمر الله به ابتغاء مرضاة الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٠٠].

واعلم رحمك الله أن من كان الحفيظ معه فلن يضره أحد ، ومن تخلى الله عنه استلمه عدوه ، وخذله من جهته : ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

فتوكل على الحفيظ القادر على كل شيء في جميع أمورك : ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

وأظهر الطاعة لمولاك العزيز يعزك وينصرك ، ويرضيك ويسعدك : ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٢٣].

وإياك أن تعتد بقوتك ومالك وعلمك وذكائك فيتخلى الله عنك ، ويخذلك من جهته رحمة بك لتتوب وترجع إليه ، فإن فعلت ذلك فتب إلى ربك التواب الرحيم : ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [التوبة/ ٢٥-٢٦].

فكن رحمك الله لربك كما يريد يكن لك كما تريد ، وسلم لربك فيما يريد يكفيك ما تريد.

فإن عصيته فيما يريد تعبت فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما يريد رحمة بك لتعود إليه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧١].

لهذا يجب على الإنسان أن يراقب قلبه كما يراقب بدنه ، فكما يسارع لعلاج أي عضو فيه إذا أصيب فعليه كذلك أن يتعاهد قلبه ليتعافى من أمراض الشهوات والشبهات والمعاصي ، ولئلا يرى فيه ربه شيئاً يكرهه ولا يرضيه : ﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الرعد/ ١٩-٢٠].

والقلب محل نظر الرب جل جلاله ، والبدن محل نظر الخلق ، فلا يليق بالعاقل أن يطهر منظر الخلق من الأوساخ ، ولا يطهر محل نظر الرب من الشك والشرك والمعاصي : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد/ ١٦-١٧].

اللهم اكشف عن قلوبنا الحجاب حتى نشهد في أنفسنا أنه لا إله إلا أنت ، ولا رب سواك ، ونراك تخلق وترزق ، وتغفر وترحم ، وتعطي وتمنع ، وتعز وتذل ، وتحيي وتميت : ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

اللهم ارزقنا نور المراقبة حتى نعبدك كأنا نراك ، ويسر لنا حسن معرفتك حتى نحمدك ونخشاك ، وبصِّرنا بأعمالنا حتى لا نفعل إلا ما فيه رضاك : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

واعلم أن من حفظه الله في أمور دينه ودنياه فإنه لا يضيع أبداً ولو اجتمعت المخلوقات كلها على إضاعته: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف/ ٦٤].

فاستودِع الحفيظ جل جلاله نفسك وأمانتك وأقوالك وأعمالك وجميع ما تملك وخواتيم أعمالك ، فما استُودِع الحفيظ شيئاً قط إلا حَفِظه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة/ ١١١].

وأكمِلْ لربك ما يحب يُكْمِل لك يوم القيامة ما تحب ، واجتنب ما يكره يحفظك مما تكره ، وهذا ما يحب ربي وربك : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة/ ٤٠-٤٣].

أعاننا الله وإياك وجميع المسلمين على ذكره وشكره وحسن عبادته ، وحفظ أمانته، وأداء ودائعه، وما استودعنا من شرائعه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء / ٥٨] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف / ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران/ ٨].

« اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » أخرجه مسلم[1].

اللهم يا حفيظ احفظ قلوبنا من الشرك والنفاق ، واحفظ ألسنتنا من الكذب ، واحفظ أعيننا من الخيانة ، واحفظ أعمالنا من الرياء ، واحفظ أوقاتنا من الإضاعة ، واحفظ جوارحنا من المعاصي ، برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٣٧٣) .

الكافي

قال الله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزمر/٣٦].

الله ﷻ هو الكافي الحق القائم بالخلق كله ، القائم بالأمر كله ، القائم بالرزق كله، القائم بالحفظ كله : ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [النساء/ ٤٥] .

وهو سبحانه الكافي عباده كل ما يحتاجون إليه ، فهو وحده حافظهم ورازقهم ، الذي يدبر أمورهم ، وييسر مصالحهم ، الذي يكفي عباده المهم ويدفع عنهم المُلِمّ ، الذي له خزائن السموات والأرض: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾ [النساء/ ١٣٢-١٣٣].

وهو سبحانه الكافي الحافظ عباده المؤمنين من كل مكروه، الذي يدافع عنهم، ويهلك أعداءهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحج/ ٣٨].
وهو سبحانه الكافي الذي يقي عباده المؤمنين من كل ما يضرهم في الدنيا والآخرة.

فوقاهم الله في الدنيا بإيمانهم وأعمالهم الصالحة الأعمال السيئة ، ووقاهم في الآخرة بإيمانهم النار، وأدخلهم الجنة، ووقاهم سخطه وعذابه بالإيمان والعمل الصالح ، ووقاهم برحمته في الأمر بكونهم في قبضة اليمين أن يكونوا في القبضة الأخرى ، ووقاهم بإيمانهم شر يوم القيامة : ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الإنسان/ ١١-١٢].

أما الكفار فليس لهم من الله وعذابه من واق ؛ لأنهم لم يتقوا الله ليقيهم العذاب : ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [غافر/ ٢١-٢٢] .

وكفاية الله لعباده نوعان :

الأولى: كفاية عامة لجميع المخلوقات من الإنس والجن ، وسائر الحيوان، فهو سبحانه

الكافي لهم بكل ما يحتاجونه .

فهو الذي قام بخلقهم ، وإمدادهم ، وحفظهم ، وهدايتهم لما خلقوا من أجله، وهيأ لهم ما يغنيهم ويكفيهم: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود/ ٦] .

الثانية: كفاية خاصة لعباده المؤمنين ، فهو سبحانه كافي عباده المؤمنين به، المتوكلين عليه ، العاملين بطاعته ، فمن توكل على ربه حق التوكل كفاه ربه أمور دينه ودنياه ، وسدده في أقواله وأعماله ، وكفاه همه ، وكشف غمه ، وجمع له رزقه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق/ ٢ – ٣] .

فسبحان كافي الخلائق كلها، الكافي كفاية خاصة لمن آمن به وتوكل عليه، القوي الذي يخذل كل من عاداه وعادى أولياءه بأي قوة في كل مكان وزمان : ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾ [البقرة/ ١٣٧].

وهو سبحانه القوي الذي ينصر أولياءه، ويكفيهم شر أعدائه: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥﴾ [الأحزاب/ ٢٥] .

اللهم اكفنا شر الأشرار، وكيد الفجار، وشر طوارق الليل والنهار.

- **التعبد لله ﷻ باسمه الكافي :**

اعلم رحمك الله أن من توكل على الله فهو حسبه ، فكن حَسَن الظن بالله ، عظيم الرجاء فيما عنده،صادق التوكل عليه،يكفيك كل ما أهمك: ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ٧٩﴾ [النمل/ ٧٩] .

وافعل الأسباب التي أمرك الله بها، ولا تستبطئ كفاية الله إذا تأخرت، فإن الله بالغ أمره قطعاً ، في الوقت الذي قدَّره له: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق/ ٣] .

واعلم أن من اشتغل بالله وأوامره عن نفسه كفاه الله مؤنة نفسه، ومن اشتغل بالله وأوامره عن الناس كفاه الله مؤنة الناس : ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ

﴿ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة/ ١٢٩].

ومن اشتغل بنفسه عن الله وأوامره وَكَلَه الله إلى نفسه فخسر دنياه وآخرته ، ولم يأخذ إلا ما قدَّره الله له : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٩﴾ [المنافقون/ ٩].

ومن اشتغل بالناس عن الله وأوامره وَكَلَه إليهم فأذلّوه ، وأخسر الناس صفقة من باع دينه بدنيا غيره ، وأسفه الناس من أقبل على الدنيا ونسي الآخرة : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ١٨ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ١٩ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ٢٠ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ٢١ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ٢٢﴾ [الإسراء/ ١٨-٢٢].

فتوكل على الكافي الحق وحده فبيده مقاليد الأمور كلها: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ٣٦﴾ [الزمر/ ٣٦].

واسأل الله أن يكفيك كل هم وغم، وكل شر وفتنة، وكل ضلالة وبدعة : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

واسأله أن يغنيك بحلاله عن حرامه ، وبطاعته عن معصيته ، وبفضله عمن سواه : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٧٣ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٧٤﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

واعلم أن من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته فانصح للخلق بما علَّمك الله من علم، وانفعهم بما أعطاك الله من مال، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ٢﴾ [المائدة/ ٢].

واشكر ربك على عطائه لك ، وكفايته لك ، وهدايتك لدينه : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١١﴾ [الضحى/ ٦-١١].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قال : « الحَمْدُ الله الَّذِى أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا ،فكَمْ ممَّنْ لاَ كَافِيَ لَهُ وَلاَ مُؤْوِيَ » أخرجه مسلم[1].

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة/ ٤].

﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة/ ١٢٩].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لي آخِرَتي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الحْيَاةَ زِيَادَةً لي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ المَوْتَ رَاحَةً لي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم[2].

اللهم أَلِّف بين قلوبنا ، وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سبل السلام ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

اللهم يا خالق الخلائق كلها ، ويا كافي المخلوقات كلها ، نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار.

اللهم إنا نسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لنا وترحمنا يا أرحم الراحمين.

اللهم يا من يكفي عن كل أحد ، ولا يكفي منه أحد ، يا أحد من لا أحد له إلا أنت ، أغننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، يا رب العالمين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٥) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

الكفيل

قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النحل / ٩١].

الله ﷻ هو الكفيل القائم بأمر الخلائق كلهم ، المتكفل بأرزاقهم وأقواتهم وقضاء حوائجهم ورعاية مصالحهم : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ ﴾ [النساء/ ١٣٢].

وهو سبحانه الكفيل الحق الذي كفل جميع الخلق من جميع الوجوه حفظاً ورزقاً، وقوتاً ووقاية، وتعليماً وهداية ، وغير ذلك من ألطافه وإحسانه: ﴿ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النحل/ ٥٢-٥٤].

فسبحان من تكفل بذلك كله للخليقة كلهم وضمنه لهم، وأظهر لهم في الدنيا ما شاء منه، وأخفى لهم في الجنة ما هو أعظم منه: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة / ١٧].

وهو سبحانه الملك الحق الذي خلق الأرزاق والمرزوقين، وخلق الحاجات والمحتاجين ، وهو رازق كل حي وحده لا شريك له ، الكريم القادر الذي أوصل رزقه إلى كل واحد من الإنس والجن والحيوان والطير: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود / ٦] .

واعلم بأن الله ﷻ قد تكفل برزق وتربية جميع الخلائق ، وليس في وسع واحد منهم أن يرزق نفسه أبداً، وإنما الرازق هو الله وحده الذي عم برزقه ونعمه المؤمن والكافر، والإنسان والحيوان .

ومن مات من الخلق جوعاً أو عطشاً فقد تم أجله، والله ﷻ لا يقبض أحداً حتى يستوفي رزقه الذي قسمه الله له فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها وخطاها: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون / ١١].

وهو سبحانه الصادق في قيله، الوفي بعهده، الأمين في ضمانه، الحفيظ في كفالته ، العظيم إحسانه ، الدائم بره : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر / ٦٥] .

• التعبد لله ﷻ باسمه الكفيل :

انظر رحمك الله إلى مجاري الكرم والرحمة والإحسان في الملك والملكوت تجد الكفيل الحق تكفل بجميع ما يُصلح عباده من أنواع النعم وتيسير الأمور، ترى ذلك خلقاً مشهوداً، وبساطاً ممدوداً : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٠].

فجميع خلقه يأكلون من مائدة نعمه وينعمون بإحسانه وخيره فكن كذلك مع نفسك ، أعطها حقها، وخذ منها الحق الواجب عليها من الاستقامة على أوامر الله، وشكر المنعِم عليها بما لا يُحصى من النعم : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص/ ٧٧].

واسأل الله أن يعينك على نفسك ويقيك شرها : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف / ٥٣] .

وأَدِّ ما لله عليك من حقوق، وما للناس عليك من حقوق، واستغفر الله من كل تقصير ، فإن ربك غفور رحيم : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء / ١١٠] .

واعلم أن الله تكفل بأرزاق الخلق كلهم، ووكَّل الشمس بالإنارة في العالم كله، ووكَّلك بنشر الهداية ونور الإيمان في العالم كله ، فأدِّ الأمانة لتربح وتنجو من الخسارة: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر / ١-٣].

وكن في ليلك مع الكفيل اذكره واشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، فهو أهل أن يُذكر ، وأهل أن يُحمد.

وكن في النهار مع الخلق بالرعاية والإحسان، اهد ضالهم، وعلِّم جاهلهم، وأطعم فقيرهم، واقض حاجاتهم، تنال بذلك أجراً عظيماً: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

واعلم أن مَنْ صدَق مع الله ورضي به كفيلاً ساقه إلى ما يحبه ويرضاه، وأعانه على أداء الأمانة، ويسر له الأمر من حيث لا يحتسب: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري[1].

اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

الوكيل

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ﴾ [الزمر/ ٦٢].

الله ﷻ هو الوكيل الحق الذي توكل وتكفل بجميع أمور الخلق ومعايشهم ومصالحهم في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا (١٣١) وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء/ ١٣١-١٣٢].

وهو سبحانه الوكيل القادر على كل شيء، الذي جميع المخلوقات تحت كفالته ووكالته وتدبيره وتصريفه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد/ ٢].

وهو سبحانه الوكيل الذي توكل وتكفل ببيان دينه وحِفْظه وحِفْظ كتابه من التحريف والزيادة والنقصان: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر/ ٩].

فسبحان الملك الحق الذي كل الأمور موكولة إليه، القادر على كل شيء، الوفي بإتمامه، الوكيل الذي تفرد بحفظ الخلق وكفايتهم، وأمْرُهم جميعاً بيده لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

واعلم رحمك الله أن الوكيل له معنيان:

الأول: عام: فالله ﷻ هو الوكيل الحق الذي تكفل بجميع أرزاق الخلق وأقواتهم، وتدبير أمورهم، ورعاية مصالحهم، الوكيل على جميع مخلوقاته في السماء والأرض: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [الزمر/ ٦٢].

الثاني: خاص: فهو سبحانه الوكيل الكافي لكل مؤمن التجأ إليه، الحافظ لمن اعتصم به: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴾ [الطلاق/ ٣].

فتوكل على الله وحده واتخذه وكيلاً يكن لك نصيراً ، ولا تلتفت إلى ما سواه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الفرقان / ٥٨] .

فسبحان الوكيل الحق القائم على خلقه بالتدبير والتصريف ، والأرزاق والأقوات ، والوقاية من الشرور والآفات ، والنصر والحفظ لأوليائه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

والخلق كلهم ليس بأيديهم شيء من الأمر، بل عليهم امتثال الأمر؛ لأنهم كلهم عبيد ، والأمر كله لله وحده : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

واعلم رحمك الله أن جميع أنواع التدبير والتصريف في العالم العلوي والسفلي من آثار اسمه الوكيل ، وهي مبثوثة في العالم كله كغيرها من صفات الحق التي أوجدها في العالم ، ليرى الخلق عظمة أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، فيعبدوه بمقتضاها: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق / ١٢] .

فانظر في الملك والملكوت ترى جميع الخليقة في قبضة الخالق الحق ، مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة لإرادته ، وخاضعة لأمره ، وجارية على حكم تسخيره ، مُصرَّفة بتدبيره على سنن قبضه وبسطه ، إنْ أذن بشيء كان، وإن لم يأذن به لم يكن : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف/ ٥٤].

والعبد المتوكل على الله حقاً لصحة توحيده وثبات يقينه لا يرى إلا الله رب كل شيء،ولا يخاف إلا الله، ولا يرجو سواه ، حسبه الله وحده في جميع أموره: ﴿ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٩] .

والمؤمنون كلهم قد أخذوا من التوكل بقدر ما حصل لهم من حقيقة الإيمان والمشاهدة ، ومن ذاق عرف ومن عرف غرف ، ومن أبصر استبصر : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ

﴿ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

وقد يشهد اللسان والقلب غير مكذِّب ، لكنه غير مشاهد ولا حاضر: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧ ﴾ [ق / ٣٧].

والشهادة الحق هي ثمرة معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى يعمر الله بها قلوب أهل الإيمان والتقوى ، وبها يتم مراد الله منهم ، ومرادهم من الله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢ ﴾ [المجادلة / ٢٢] .

واعلم يقيناً جازماً أن من انقطع إلى الله بالعبودية المحضة بالتفويض إليه وصِدْق التوكل عليه والعمل بشرعه حَرَّم الجبار على أعدائه من شياطين الإنس والجن والبهائم والظالمين وجميع المؤذيات أذاه تحريماً كونياً ، كما حرم على المؤمنين أذى المسلم وغيره بأمره الشرعي: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣ ﴾ [الطلاق/ ٣].

واعلم رحمك الله أنه لا ينفع بالصفات إلا بارئ الصفات، فهو الوكيل الحق على الخلق وصفاتهم ومعايشهم فتوكل عليه يعطيك ويكفيك : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦ ﴾ [هود/ ٥٦] .

وحقيقة التوكل الاعتماد على الله الوكيل وحده ، وتفويض الأمور كلها إليه، مع القيام بالأسباب المشروعة: ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣ ﴾ [هود/ ١٢٣] .

فسبحان الوكيل الحق الذي كل العالم العلوي والعالم السفلي ملكه وفي قبضته ، وكل ما فيهما مقهور بأمره ، مستجيب لمشيئته ، مسرع إلى إرادته : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

واعلم أن الوكيل الحق من أجل أن تتوكل عليه وتفر إليه وتعتمد عليه ملأ هذه الدنيا بالمصائب والهموم والمخاوف ، وشحنها بالقلق على الرزق والأهل والأموال والأولاد ،

لتكون عبداً له ، واقفاً بباب عبوديته ، فاراً منها إليه : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة/ ٥١].

واعلم أن هذه الدنيا الحياة فيها مشوبة بالنعم والمصائب ، والسراء والضراء ، والعز والذل ، والمحبوب والمكروه ، لأنها محل الابتلاء ، ومعرفة الموحد من المشرك ، والصادق من الكاذب : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٢-٦].

أما الآخرة فهي للمؤمن خير محض ، حياة بلا موت ، ونعيم بلا شقاء ، وشباب بلا هرم ، وعافية بلا مرض ، وأمن بلا خوف : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

وكلما زاد إيمان العبد قوي توكله على ربه ، وشكا همومه إلى ربه الوكيل لا إلى غيره : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق/ ٣].

وكلما نقص إيمان العبد ضعف توكله على ربه ، فلا تجده إلا يشكو أحواله إلى غيره من كل من يلقاه ؛ لجهله بالوكيل الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى .

ولا يتوكل على الله حقاً إلا من آمن به حقاً ، وعرف أنه القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، الخبير بكل شيء ، المحيط بكل شيء : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

ولن يستطيع أحد أن يتوكل على الله حقاً إلا إذا عرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، فإذا عرفه توكل عليه ، وفوض أمره إليه ، ورفع شكواه إليه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن/ ١٣].

ومن توكل على الله كفاه وأغناه وأثابه وأرضاه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

ومن توكل على غير الله ضل وقَلّ وذل وحُرِم وخسر : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر/ ١٣-١٤].

واعلم أن الله ﷻ وحده هو الوكيل الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وهو الملك الذي يدبر الملك والملكوت بحكمته ورحمته.

يقبض ليبسط .. ويذل ليعز .. ويمنع ليعطي .. ويخفض ليرفع.

ونعم الله بالشدائد أعظم من نعمه بالرغائب ، ولهذا كان الأنبياء أشد الناس بلاء : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [يوسف/ ١١٠].

والامتحان لا يكون في الرخاء ، إنما الامتحان في الشدة ؛ لأن توحيد العبد وإيمانه لا يظهر إلا في الشدائد ، ولا يرقى عند الله إلا في الشدة : ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١٤].

فكل شِدة وراءها شَدَّة إلى الله ، وكل محنة وراءها منحة ، ومن صبر على الأحكام ورضي بالأقدار فقد بلغ ذروة الإيمان ، ومن استوى عنده العطاء والمنع والبسط والقبض والغنى والفقر فقد رضي عن الله الوكيل الرحيم الذي يضع الشيء في موضعه : ﴿ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾ ﴾ [المزمل/ ٩].

واعلم أن كل شيء وقع أراده الله بالحكمة المطلقة المتعلقة بالخير المطلق.

فإذا أصاب الله عبده بالضر فلأن في الضر دواؤه وشفاؤه كالطبيب يجرح المريض لينزع منه الداء ليتمتع بالعافية.

وكذلك الله رؤوف رحيم بعباده لن يُسلم عبده ، ولن يتخلى عنه ، ولن يضره ، إنما لما مرض قلبه ابتلاه بالمكروه ليوصله إلى المحبوب ، ويذكِّره بمولاه ليتوب إليه ويتوجه إليه : ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١٦].

فصفة الضر والقبض والخفض والمنع لله تفهم هكذا ، وأي فهم آخر لمثل هذه الصفات يعد كفراً وإلحاداً في أسمائه الحسنى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فالنعمة طعمها حلو لكنها قد تطغي الإنسان ، والبلاء كالدواء الكريه لكنه يشفي بإذن الله ، والبلاء كالضيف لكنه ضيف مؤلم يدخل ويخرج وقد حمل الإنسان على التوبة والرجوع إلى ربه ، أو تُرفع به درجات العبد ، أو تكفر عنه سيئاته : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

واعلم أن كل من ظن أو توهم أن الله يسوق البلايا والشدائد تشفياً من العباد فقد تنكب سبيل الرشاد ، وساء ظنه بالله الرحمن الرحيم : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء/ ١٤٧].

هو سبحانه الوكيل العليم الخبير الذي يبتلي الإنسان بالمصائب ليصفو توحيده ، ويزيد إيمانه ، حتى لا يطلب دفع الضر والبلاء إلا من جنابه ، ولا يقف عند الشدائد إلا عند أعتابه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن/ ١٣].

واعلم أن من اعتقد أن أحداً سوى الله يستطيع أن يضر أو ينفع فقد أشرك : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

واعلم أن من استقام على منهج الله هداه الله سبل السلام ، ومنحه الأمان ، ولا يرضيه ولا يليق به أن يعذبه أو يذله أو يحزنه أو يمرضه أو يفقره ، لكن الله لحكمته البالغة لابد أن يسوق لعبده العاصي بعض الشدائد التي تحمله على الرجوع إلى ربه والتوبة إليه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ [محمد/ ٣١].

وكلما كان الإيمان أقوى كان الابتلاء أشد ، وكلما كان الانحراف أشد كانت الضربة قاسية ، والناس مختلفون في التوبة ، منهم من يتوب بالكلام الناصح ، والآخر بالوعظ القاسي ، والآخر لا يرجع إلا بضرب العصا ، والآخر بالعذاب الشديد : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٧٦].

واعلم نَوَّر الله قلبك بالإيمان أنه لا يقع نفع ولا ضر ولا عطاء ولا منع ولا خير ولا شر إلا بإرادة الله ومشيئته : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير/ ٢٦-٢٩].

فالنفع من الله ، والضر من الله والعاصي هو السبب ، والعطاء من الله ، والمنع من الله والعاصي هو السبب ، والعافية من الله ، والمرض من الله والإنسان هو السبب : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

والحسنة من الإنسان فعلاً ومن الله تفضلاً ، والسيئة من الله قدراً ومن العبد سبباً : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [النساء/ ٧٨-٧٩].

واعلم أن جميع المخلوقات تفعل فعلها بمشيئة الله لا بقوة فيها ، فالله وحده الذي يملك النفع والضر وحده لا شريك له : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

فسبحان الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء ، الهادي الذي يهدي من شاء الهداية ، ويضل من أصر على الضلال : ﴿ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٣٩].

فمن طلب الهدى هداه الله ، ومن أصر على الضلال أضله الله : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

هو الوكيل الحق الذي بيده ملكوت كل شيء ، وغيره ليس بيده شيء : ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٨].

- **التعبد لله ﷻ باسمه الوكيل :**

التوكل على الله وحده وتفويض الأمور كلها إليه والاعتماد عليه في جلب النعماء ودفع الضراء من أعظم مقامات الدين التي يجب إخلاصها لله وحده : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ

﴿فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

والتوكل من أعظم أنواع العبادة ؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة ، والنصرة الظاهرة ، والثواب العظيم : ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ٧٩﴾ [النمل/ ٧٩].

فالتوكل على الله هو الأصل لجميع مقامات الدين، ومنزلته من الدين كمنزلة الرأس من الجسد، ومنزلة القلب من البدن ، فكما لا يقوم الرأس إلا على جسد ، كذلك لا يقوم الإيمان وأعماله إلا على ساق التوكل على الله: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل/ ٩].

والتوكل الذي ينفع يحصل للعبد بخمسة أمور هي:

التوحيد.. والزهد.. والتسليم لله.. وطاعة الله في السر والعلانية .. وحسن الظن بالله.

ومن توكل على الله كفاه ووقاه وكان له فيما يصلحه وينفعه من حيث لا يحتسب: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق/ ٢-٣] .

وعلامة المتوكل الصبر وكتمان الحاجة ، وإظهار الغنى للناس ، وإخفاء المسكنة وإن مسه الضر ، ودوام ذكر الله بكل جميل ، وحمده وشكره في كل وقت وحال : ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢﴾ [النحل/ ٤١-٤٢].

والتوكل على الله درجات، وأعلاه وأكمله وأحسنه توكل الأنبياء والرسل والأولياء الصادقين، وهو التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب التي هي سنة الله ﷻ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٢ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٣﴾ [الأحزاب/ ١-٣].

فالداخل في الأسباب بالسنة ، الخارج عنها بالنية أفضل ؛ لما في ذلك من الجمع بين السنة ، وحقيقة التوكل : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

فخذ بالأسباب المشروعة وتوكل على الله وحده تنال أجرهما معاً : ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنفال/ ٦١] .

والتوكل الحق على الوكيل الحق أن يعلم العبد أن فعل الله لا يفعله غير الله ، وأن كل شيء بيده ، وكل شيء تحت تدبيره لم يشرك في حكمه أحداً : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [يوسف/ ٦٧].

ويكمل التوكل برؤية الوكيل على الدوام، وترك الأماني، والتسليم والرضا بفعل الوكيل، وعدم الاعتراض على شيء كان أو شيء لم يكن: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء/ ٦٥] .

وبالإيمان تكون الهداية ، وبالتوكل تكون الكفاية ، وبصدق التوحيد يكون التوكل ، ومن سلَّم لله أمره كله كفاه الله أمره كله : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود/ ١٢٣].

واعلم أن لكل شيء وقت وتقدير ، والعمل للدنيا والآخرة مشروع مطلوب فاعمل وتوكل ، ولا تستعجل ما تريد ، فالوكيل يرى ما لا ترى ، فتوكل على الوكيل الذي بيده مقاليد الأمور ، وإصلاح الأحوال: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وكل امرئ ميسر لما خلق له ، فاجتهد في طاعة مولاك معتمداً عليه وحده ، ومن عمل اليوم عملاً سيلقى غداً ثوابه أو عقابه : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل/ ٤-١٠].

واعلم رحمك الله أن توكل العبد على ربه نوعان :

الأول: توكل العبد على ربه في جلب المنافع الدنيوية، ودفع المضار الدنيوية.

الثاني: التوكل على الله في حصول ما يحبه ويرضاه من الإيمان والتقوى والعمل الصالح ، والدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله وغيره، والتوكل عليه في دفع كل ما يكرهه الله من

الأقوال والأعمال والأخلاق التي يبغضها.

وبين النوعين من الفضل والثواب ما لا يحصيه إلا الله ، فمن توكل على ربه في النوع الثاني حق توكله ، كفاه النوع الأول تمام الكفاية ، ومن توكل على الله في الأول دون الثاني كفاه أيضاً لكن لا تكون له عاقبة التوكل على الله فيما يحبه الله ويرضاه : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [إبراهيم/١٢].
فاعمل بطاعة الله ، واستقم كما أُمرت ، وسارع إلى كل عمل صالح : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب / ٤٨] .

واعلم أن الله يحب من توكل عليه ويؤيده بتوفيقه وعونه فامض لما أمرك الله به، وقدِّم الأحسن على الحسن: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩] .

واعلم أن من عرف الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وكَّل إليه جميع أموره ، وفوض إليه جميع شئونه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ [الشورى/ ١٠] .

وتوكل العباد على الله على قدر معرفتهم به، وتوفيقهم للتوكل عليه على قدر طاعتهم له: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[الأنفال/ ٢٩].

وعلى قدر معرفة العباد بأسماء الله وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده تكون ثقتهم بضمانه ورضاهم بكفالته ، فيُسْلِمون أنفسهم إلى ربهم في جميع أمورهم ، وعلى قدر هذا التسليم يجدون لذة الأنس، وروح الكفاية والرعاية، وتستريح أنفسهم من أذى التعب والنصب ، فيتفرغون لعبادة ربهم، ويسارعون في شكر الوكيل سبحانه: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩] .

واعلم أن طاعة الله ورسوله فضل من الوكيل الحق عليك ، فاشكره على ما حباك به من الهداية، واحمده على ما أعانك عليه من الطاعة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ

﴿لِّمَا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة/ ٢-٤].

فسبحان الوكيل الحق ، وما أعظم إحسانه ، يعطي الجزيل للمتوكل عليه ، ويثني بالجميل على المفوض إليه ، ولا يسأله على ما أعطاه وكفاه عوضاً ولا قرضاً : ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء/ ١٧١].

بل يرزقه الوكيل ويعطيه من خزائنه بما لم يخطر على باله ؛ لأنه الغني الكريم الوكيل الحق الذي يعطيه من نعمه كثيراً، ويضاعف أجره كثيراً، وخزائنه كافية ، وجنته وافية بكل ما يحب: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥] .

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه، وما أعظم إحسانه إلى خلقه وعباده.

هو الخالق الحق، الوكيل الحق، الملك الحق، الكريم الحق، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، والمثل الأعلى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

هو الوكيل الحق الذي يخلق ما يشاء .. ويأمر بما يشاء .. ويفعل ما يشاء .. وهو الغفور الرحيم.

يطعم المخاليق .. ويكشف الغم .. ويزيل الهم .. ويفرج الكرب .. ويغني الفقير .. ويجبر الكسير.. ويحيي الميت.. ويميت الحي.. ويصلح الفاسد.. ويقبل التائب.. ويغفر الذنوب .. ويستر العيوب .. ويعدِّل المائل .. ويشفي السقيم .. ويقضي الحاجة .. ويسد الفاقة .. ويهدي الضال ، ويؤمِّن الخائف ، وينصر المظلوم ، ويهلك الظالم ، ويقصم الجبار.

فلا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فاستقم رحمك الله على دينه ، واستسلم لأمره ، وتوكل عليه ، وارض بقضائه ، وفوض أمرك إليه ، وسارع إلى طاعته ، وسابق إلى مغفرته ، واحتسب ما تكره عنده وقل: ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة/ ١٢٩] .

واعلم أن الوكيل سبحانه قد وكَّلك على جوارحك فاستعملها في كل ما يحبه الله ويرضاه، فالوكيل سوف يسألك عن أداء هذه الأمانة: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء/ ٣٦].

واعلم أن الوكيل الحق قد وكلك بنشر الدين وتعليم سننه وآدابه وأحكامه فاعمل بها، وادع الناس إليها، واصبر على ما أصابك في سبيله، تنال من الأجر جزيله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل/ ١٢٥].

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [الممتحنة/ ٤].

﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [يونس/ ٨٥-٨٦].

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالْإِنسُ يَمُوتُونَ » متفق عليه [١].

اللهم اجعلنا ممن توكل عليك فكفيته، واستهداك فهديته، واسترحمك فرحمته، واستنصرك فنصرته، أنت حسبنا ونعم الوكيل.
اللهم يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين.
اللهم كن لي مؤيداً ونصيراً، وكن بي رؤوفا رحيماً، يا خير المسئولين، يا أرحم الراحمين.
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له.

الفتاح .. الفاتح

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ/ ٢٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف/ ٨٩].

الله ﷻ هو الفتَّاح الحق الذي يحكم بين عباده بالحق، ويقضي بينهم بالعدل.

وهو سبحانه الفتاح القادر على كل شيء، الذي يحكم ويقضي فيهم بما يريد، ويمنّ على من شاء منهم بما يشاء، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢].

وهو سبحانه الفتاح عالم الغيب والشهادة الذي يفتح لعباده أبواب الخير والرزق والعلم والرحمة والعبادة، ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم، وييسر المتعسر عليهم، ويفتح قلوبهم وبصائرهم ليبصروا الحق والهدى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩].

وهو سبحانه الفتاح الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة، ويفتح بينهم بالحق والعدل.

فسبحان الفتاح العليم الذي يملك مفاتيح أبواب الخير والرزق والبركة والعلم والرحمة في العالم كله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

والله سبحانه هو الفتاح القادر على كل شيء، القوي الذي لا يعجزه شيء.

هو الفتاح الذي فتق السموات السبع والأرضين السبع، وفتق السحاب بالغيث، وفتق الأرض بالنبات، وفلق الحبة عن الشجرة: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٠].

وهو سبحانه الفتاح الذي فتح القلوب للإيمان، وفتح العقول للعلم، وفتح العين بالبصر،

وفتح الأذن بالسمع، وفتح اللسان بالكلام: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨].

والله جل جلاله هو الملك الحق الذي له ملك السموات والأرض، وبيده مفاتيح خزائن السموات والأرض، وبيده مفاتيح الخيرات والبركات والأرزاق، ومفاتيح النعم الظاهرة والباطنة: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

وهو سبحانه الفتاح الذي يفتح جميع الأبواب وحده لا شريك له، ويفتح كل ما استعصى من الأبواب في كل زمان ومكان.

باب الرزق، باب العافية، باب العلم، باب العمل الصالح، باب الأخلاق، باب الأمن، باب التوفيق، باب العبادات، باب الدعوة إلى الله: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢].

هو الفتاح الذي يحكم بين الخلق، فكلما استغلق أمر أو اشتد كرب فتحه جل جلاله.

هو سبحانه الفتاح الذي يفتح قلوب المؤمنين ويطلق فيها النور والمعرفة فترى الحق حقاً وتعمل به، وترى الباطل باطلاً فتجتنبه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

فسبحان الفتاح الكريم الذي فتح أبواب فضله على جميع خلقه، وفتح على العصاة أبواب مغفرته، وفتح قلوب المؤمنين بمعرفته: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

هو سبحانه الفتاح الكريم الرحيم الذي بيده مفاتيح كل شيء.

فتح أبواب الرزق على جميع خلقه، وفتح على أوليائه أبواب الأنس به وحلاوة مناجاته، وفتح لهم أبواب رضوانه، وفتح لهم أبواب حبه وحمده: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

هو سبحانه الفتاح الذي يعين عند الشدائد، وينيل النعم الزوائد: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل/ ٦٢].

هو سبحانه الفتاح الذي يملك جميع المفاتيح التي يصلح بها أحوال عباده: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ٢﴾ [الملك/ ١-٢].

هو الفتاح الذي فتح لعباده أبواب الإيمان ، أبواب الهداية ، أبواب العلم ، أبواب العمل ، أبواب الحكمة ، أبواب الرزق ، أبواب العافية : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ٩٦﴾ [الأعراف/ ٩٦].

كم من ضال هداه الله ؟ وكم من جاهل علَّمه ؟ وكم من فقير أغناه ؟ وكم من مريض شفاه ؟ وكم من عسير يسره ؟ وكم من كرب نَفَّسه ؟ : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس/ ٣].

فسبحانه ما أعظم شأنه،وما أكرمه، وما أرحمه ، وما أعظم عنايته بخلقه: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ٣٤﴾

[إبراهيم/ ٣٤].

والله وحده هو الفتاح الذي يملك خزائن كل شيء، وبيده مفاتيح كل شيء.

وفَتْح الله على عباده نوعان :

الأول: فَتْحه بحكمه القدري: بما يقدره على عباده من التدبير بحكمته ورحمته من خير وشر، وعطاء ومنع ، وبسط وقبض،ونفع وضر: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ٢١﴾ [الحجر/ ٢١].

فهو الفتاح العليم الذي يفتح لعباده جميع أبواب الخير والرزق ، ويفتح لهم منافع الدنيا والدين: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢﴾ [فاطر/ ٢].

الثاني: فَتْحه بحكمه الشرعي: بما شرعه على ألسنة رسله من الدين الحق الذي يستقيم به الناس على الصراط المستقيم : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ٢﴾ [الفتح/ ١-٢].

وفتحه الجزائي في الدنيا بين أوليائه وأعدائه، وذلك بنصر رسله وأوليائه، وخذلان أعدائه: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ ٨٩﴾ [الأعراف/ ٨٩].

وتلك سنة ماضية لا تتبدل: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى

﴿يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾ [آل عمران / ١٦٠] .

أما فتحه يوم القيامة فحين يوفيِّ كل عامل ما عمله ، ثم يثيب المؤمنين والمطيعين ويعاقب الكافرين والعاصين: ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٥ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٦﴾ [سبأ / ٢٥-٢٦] .

فسبحان الفتاح العليم الذي يفتح لمن اختصهم بلطفه وعنايته أقفال القلوب، ويملؤها من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية ما تذوق به طعم الإيمان، وتستقيم به على الصراط المستقيم : ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

وهو الفتاح الذي يفتح لأوليائه وأهل طاعته علوماً ربانية ، وأنواراً إيمانية .

يميزون بها بين المَلك والعبيد ، وبين الغني والفقير، وبين القادر والعاجز، وبين الحق والباطل،وبين الدنيا والآخرة:﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾[الأنعام/ ١٢٢].

اللهم املأ قلوبنا بنور الإيمان ونور القرآن: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ [النور / ٣٥] .

فسبحان الله ما أرحمه بعباده، لو فتح المطر على الناس أبداً فمن الذي يحبسه عنهم لئلا يغرقوا كما حصل لقوم نوح؟ : ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢﴾ [القمر/ ١٠-١٢].

ولو حبس الله القطر والنبات لما استطاع الخلق أن يفتحوا ما أغلقه الفتاح سبحانه : ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ٦٤ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ٦٥ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ٦٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ٦٧﴾ [الواقعة/ ٦٣-٦٧].

ولو حبس الله نور الشمس عن الخلق فمن ذا الذي يفتحه؟ ولو حبس الله الهواء الذي نتنفس منه فمن ذا الذي يفتحه ويرسله؟ فسبحانه ما أعظم رأفته ورحمته : ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر / ٢] .

اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، وأبواب فضلك، وأبواب نصرك ، وأبواب هدايتك: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف / ٨٩].

واعلم أن الله ﷻ هو الملك الحق الذي خلق خلقه وفطرهم على ما أراد ، وفطر السموات والأرض وما فيهن وما عليهن وما فوقهن على التوحيد.

فكل أحد قانت لربه ، مستسلم له ، مسبح بحمده ، شاهد بوحدانيته : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ [النور/ ٤١-٤٢].

واعلم أن الخالق ﷻ سمى دين الإسلام فطرة ؛ لأنه أول شيء لقيته الذوات بعد برئها، والأجسام بعد جمع خلقها: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم/ ٣٠].

فسبحان الفتاح القدير الذي خلق الأرواح ثم جمعها بأجسامها الحاملة لها ، الظاهر فيها أعمالها، وأحيا الأجسام بذواتها العامرة لها ، وفطر الأجسام الظاهرة بالأعمال الصادرة من الأرواح الباطنة فيها : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء/ ٨٥].

واعلم بعد أن تبكي على الجهل بالله وأسمائه وصفاته وتستغفر من الجهل بالله وبدينه وشرعه أن الله أخذ العهد والميثاق على الأنفس يوم فطرها في بدء خلقها أن تسلك بأجسامها سبيل نجاتها، وأنْ تَصْرفها عن مظان هلكَتها إلى سبيل فطرتها، ولا تفارق ما عليه برأها من التوحيد : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[الأحزاب / ٧٢].

وجعل سبحانه ذلك أمانة منه ائتمنها عليه، إذ الأجسام هي مراكب القلوب ولباسها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف / ١٧٢] .

فهذا عهد الفطرة، والله يأمرنا بذكره لنستقيم عليه: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [المائدة/ ٧].

فلا إله إلا الله كم ظَلَمْنا ! وكم غفلنا ! وكم خسرنا !

ربنا سمعنا وأطعنا فاغفر لنا وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم.

لك الحمد كله ، ومنك الخير كله : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

واعلم أن الله هو الرب القادر على كل شيء ، هو سبحانه فاطر السموات والأرض .

وهو سبحانه فالق الإصباح : ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام/ ٩٦].

وهو سبحانه فالق الحب والنوى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنعام/ ٩٥].

واعلم رحمك الله أن الحكيم العليم سبحانه أرانا في هذه الدار من الخير والشر والمحبوب والمكروه ما يُذكِّرنا بالدار الآخرة .

فأرانا الفتاح العليم في هذه الدار النار الحاضرة ، وجعلها آية على النار الغائبة ، وعلى قدر تَمكُّن نار الدنيا من الحطب يكون سعيرها وشدة لهيبها حتى يعظم شأنها : ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الواقعة/ ٧١-٧٣].

فسبحان من جعلها تذكرة وآية على نار جهنم التي لا يدانيها مطاول ووقودها ما تحرقه من الناس والحجارة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم/ ٦].

وأرانا سبحانه في هذه الدار آية على الجنة بفلقه الحب والنوى بإخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي، وجَعَل جنات ما هاهنا آية على جنات ما هنالك في الآخرة: ﴿إِنَّ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الأنعام/ ٩٥].

وأرانا سبحانه في خلقه الحيوان في الأرحام آيات وعبر ، من كون ذلك مخزوناً في غيبه ومكنوناً في سنته ، ثم أظهره ماشياً ، وطائراً ، وزاحفاً ، وسابحاً : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[النحل/ ١٧-٢٠].

ألا ترى أن الحياة غيب في الماء .. والماء غيب في خزائن الله.. والخزائن كلها غيب في علم الله: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر / ٢١].

وكذلك كل ما في الدنيا إشارة مؤقتة لما في الآخرة من النعيم والعذاب.

والآخرة غيب في الدنيا ، فإذا كان يوم القيامة : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الشعراء/ ٨٨-٩١].

فيأذن الملك الجبار ﷻ للجنة فتسعى من موضع حقيقتها من تحت العرش إلى السموات ، فتكون السموات كلها جناناً وأنهاراً: ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الذاريات/ ٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا سَأَلْتُمُ الله فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ » أخرجه البخاري [(١)].

وتسعى نار جهنم في الأرضين السبع والبحار فيصير كل شيء أتت عليه ناراً ، ويؤتى بجهنم إلى المحشر ، تقاد بعدد عظيم من الملائكة يحرسونها ، وتبرز للناس كلهم فيرونها كلهم : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [التكاثر/ ٥-٨].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يجُرُّونهَا » أخرجه مسلم [(٢)].

فسبحان الله الفتاح العليم، والحمد لله فاطر السموات والأرض، وفالق الإصباح، وفالق الحب والنوى، الذي فطر كل ذرة في ملكه على توحيده ، فالكل يسبح بحمده، والكل يشهد

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٣) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٢) .

بتوحيده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣] .

• التعبد لله ﷻ باسمه الفتاح :

اعلم رحمك الله أن مفاتيح خزائن السموات والأرض بيد الفتاح العليم وحده لا شريك له.

فاسأل ربك الذي بيده مقاليد الأمور أن يفتح لك أبواب رحمته ، وخزائن رزقه ، وأبواب كرمه ، وموائد بره ، وجزيل نعمه ، وتقرب إليه بتقواه وحسن عبادته ودوام طاعته : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد/ ٢٨].

وإذا علمت أن الله وحده هو الفتاح الذي يفتح بركات السموات والأرض وبيده ملكوت كل شيء فاسأله أن يفتح لك أبواب الهداية وأبواب العلم وأبواب التقوى فإنه كريم لا يرد سائلاً : ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة/ ٢٦٩] .

واسأل من يملك مفاتيح القلوب أن يشرح صدرك للإسلام ويملأ قلبك بنور الإيمان لتعرف ربك وتعبده بما يحبه ويرضاه : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر/ ٢٢].

واعلم أن هذا الفتح وهذا الشرح كله فضل من الله وليس له حد .

وقد أخذ كل مؤمن منه بحظ حسب معرفته بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ودينه ، ووعده ووعيده،فالأنبياء بالذروة منه ، ثم الأولياء الصادقون ، ثم العلماء الربانيون ، ثم عوام المؤمنين، ولم يخيِّب الله منه سوى الكافرين: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

واعلم أن رسل الله وأولياءه يتوجهون إلى ربهم ليفتح بينهم وبين مخالفيهم بالنصر والهداية فيقولون: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف / ٨٩] .

فتوجه إلى ربك في كل صغيرة وكبيرة ، وسله أن يفتح لك ما يحبه ويرضاه من حكمه القدري والشرعي: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى

﴿ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الشعراء / ٨٣– ٨٥] .

ويوم القيامة يوم الفتح والحكم بين العباد ، وفَتْح صحائف الأعمال ، سيتبين من يستحق الثواب ، ومن يستحق العقاب: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [السجدة / ٢٨ – ٣٠] .

والله ﷻ هو الرب المستحق للعبادة ، الذي فطر قلوب العباد على التوحيد والإيمان، ووضع في عقولهم حسن الدين واستقباح غيره : ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأنعام / ١٤] .

وقد أقررت لربك بالتوحيد والطاعة وأشهدته على نفسك فأَدِّ الأمانة وأوف بالعهد تُكْرم بما يرضيك عند ربك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء/ ٥٨].

وصَدِّق رحمك الله بالفعل ما أقررت به من قول وما أعطيته من عهد وميثاق بالاستقامة على الحق ، والدعوة إليه ، وتعليمه ، والصبر على الأذى فيه ، فإنك مسئول ومحاسب: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء / ٣٤] .

وسبح بحمد ربك العظيم وكبر ربك الكبير الذي خلق المخلوقات كلها ، ثم ردهم في غيبه إلى ما سبق في علمه ﷻ فأقرها في خزائن الغيب ، ثم يذرؤ براياه من مستودع غيبه إلى مستقرها في الهواء والسحب ، والبحار ، والجماد ، والنبات ، والحيوان ، والسماء ، والأرض ، والأرحام : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

فهذه مستودعات الخزائن في العالم العلوي والسفلي: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [المنافقون/ ٧].

ومنذ خلق سبحانه الأصلاب والأرحام لم يزل ينقل البرايا من خزائن السموات والأرض إلى الأصلاب والأرحام على مر القرون والدهور: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الأنعام / ٩٨] .

واعلم أن الله ﷻ برأك فيمن برأ ، ثم غَيَّبك في غيبه ، وخَزَّنك في خزائنه ، وقَلَّبك في غيابات ملكه ، ثم أخرجك بقدرته حتى بلَّغك سن التكليف ، ثم أكرمك بالدين القيم، ليختبرك فيرى صدقك من كذبك، وطاعتك من معصيتك، ثم يجزيك يوم القيامة بما قدمت يداك : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان/ ١-٣].

فانظر رحمك الله ما أنت فيه ، وقدِّم من العمل الصالح ما عليه غداً تَقْدم: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة / ٦ -٨] .

واحرص على فعل كل ما يحبه الله ويرضاه، وإياك أن تصحب الأيام بشهوات نفسك، وتقطع عمرك في قضاء أوطارك، فتندم وتخسر: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾﴾ [مريم/ ٥٩-٦١] .

وانتبه لنفسك قبل حلول الأجل، واذكر العظيم الذي خلقك، والكريم الذي أطعمك، والشهيد الذي يَرْقبك ، وأطعه تسعد في دنياك وأخراك: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب / ٧١] .

وإذا لم تتذكر بعد هذا البيان والبرهان فمتى تتذكر؟: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد/ ١٦].

وإذا فتح الله لك أبواب فضله ورحمته ورزقه وهدايته فافتح على الخلق مما أعطاك الكريم من أبواب الخير والعلم والرزق يزيدها الله لك ، ويرضى عنك ، ويرفع بها درجاتك : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم/ ٧].
ابسط لسانك بالذكر والحمد والاستغفار والدعوة والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

وابسط يدك بالمال نفقة على نفسك وأهلك والفقراء والمساكين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٦٧].

وافتح أوقاتك للعباد بالدعوة تارة ، وبالتعليم تارة ، وبالعطاء تارة ، وبالعون تاره : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

واعلم أن من قام بهذه الأعمال أسعده الله في الدنيا ، ورافق الأنبياء في الجنة في الآخرة : ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴿٦٦﴾ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء/ ٦٦-٧٠].

واعلم أن حياة الأرض بالماء، وحياة القلوب بالإيمان والعلم النافع، ونفع العلم بطاعة الله ولزوم تقواه: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد/ ١٧] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ٨٩] .

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ في قَلْبِي نُوراً ، وَفي لِسَاني نُوراً، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُوراً، وَاجْعَلْ في بَصَرِي نُوراً، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُوراً، وَمِنْ أَمَامِي نُوراً، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُوراً، وَمِنْ تَحْتِي نُوراً، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُوراً » أخرجه مسلم [(١)].

اللهم إنا نسألك فواتح الخير وجوامعه ، اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، وافتح لنا أبواب فضلك ، وأعنا على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك ، وأغننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، يا أرحم الراحمين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

الوهاب

قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨].

الله ﷻ هو الغني الحق الذي له خزائن السموات والأرض، الوهاب الحق الذي يهب لخلقه من خزائنه ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من العطايا ، والأرزاق ، والأقوال ، والأعمال ، والأخلاق ، والأموال ، والأولاد ، والصور ، والألوان:﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

فهو المَلك الذي وهب كل مُلك .. وهو الرزاق الذي وهب كل رزق.. وهو الكريم الذي وهب كل كرم.. وهو الرحمن الذي وهب كل رحمة .. وهو الهادي الذي وهب كل هداية.. وهو القوي الذي وهب كل قوة.. وهو العليم الذي وهب كل علم.. وهو الجميل الذي وهب كل جمال:﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر/ ٢١].

هو الوهاب الحق الذي يهب ما يشاء ، لمن يشاء، كيف شاء: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾[الشورى/٤٩-٥٠].

والله سبحانه هو الوهاب الحق الكثير الهبات والمنن والعطايا، الوهاب الذي يهب لعباده من فضله العظيم، ويوالي عليهم النعم، ويجزل لهم العطايا: ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[النحل/ ٥٢-٥٤].

فسبحان الملك العزيز الوهاب الذي بيده خزائن السموات والأرض، وبيده مقاليد الأمور كلها، يعطي من يشاء ما يشاء، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[الزمر/ ٦٢ -٦٣] .

وهو سبحانه الكريم الوهاب لعباده كل ما ينفعهم، ولكمال كرمه ورحمته هِبَةُ النعم والخيرات أحب إليه من منعها: ﴿سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس/ ٦٨].

ولهذا مدح عباده الذين يسألونه ما ينفعهم، وأجزل لهم الأجر فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان/ ٧٤- ٧٦].

وهبات الله وعطاياه لعباده كثيرة متنوعة متوالية في كل زمان ومكان على مر القرون.

فسبحان الغني العزيز الوهاب، ما أعظم شأنه، وما أوسع خزائنه، وما أجزل عطاياه، وما أكثر هباته: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/٧٣-٧٤].

هو الوهاب الذي لا تنقضي خزائنه مع جزيل عطاياه ومواهبه على مدى القرون والدهور: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص/ ٥٤].

وعَنْ أَبِي ذَرّ رضي الله عنه عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيمَا رَوَى عَنْ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ مِنكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَولَكُمْ وآخِرَكُمْ وَإِنسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً.

يا عِبَادِي لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» أخرجه مسلم [1].

والله جل جلاله هو الملك الكريم الوهاب، مالك الملك والملكوت، الذي بسط فضله وإحسانه الديني والدنيوي على جميع العباد، يده بالعطاء ملأى، سَحَّاء الليل والنهار، وخيره على الخلائق في جميع الأوقات مدرار: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

﴿ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ [المائدة/ ٦٤].

فسبحان العلي الأعلى الذي استوى على عرشه العظيم برحمته ، ويرى كل ذرة في ملكه الواسع الكبير ، وتصل هباته وعطاياه إلى جميع خلقه ، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم : ﴿ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ۝٢٩ ﴾ [الرحمن/ ٢٩].

في كل آن يفرِّج كرباً .. ويزيل غماً .. ويفك أسيراً .. ويغني فقيراً .. ويرحم مسكيناً.. ويجبر كسيراً.. ويغيث ملهوفاً.. ويجيب كل مضطر .. ويعطي كل سائل .. ويغفر لكل مستغفر .. ويستجيب لكل داع .. ويتوب على كل تائب .. وينعم على من سأله ومن لم يسأله .. ويعطي من أطاعه ومن عصاه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ۝١٨٦ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

هو الملك الوهاب الذي يهب النبوة والملك والخلافة لمن شاء من خلقه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ ﴾ [النمل/ ٦٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«يَدُ الله مَلأَى لا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ » متفق عليه [1].

واعلم أن الوهاب وهب لبعض خلقه عطاء فأعطى منه الخلق فصار واهباً مما وهبه الله له من الخير ، ولا يستحق أن يسمى وهاباً إلا من تصرفت مواهبه في أنواع العطايا، فكثرت عطاياه وهباته ونوائله ودامت وهو الحق جل جلاله : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٥ ﴾ [غافر/ ٦٥].

فسبحان العزيز الوهاب الذي يملك جميع الخزائن ، وينفق كما شاء بأي قدر شاء ولا تنقص خزائنه ولا تفنى : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ۝٢١ ﴾ [الحجر / ٢١].

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٩٩٣).

أما الخلق فيملكون أن يهبوا مالاً أو نوالاً في حال دون حال ، ولا يملكون أن يهبوا شفاء لسقيم ، أو ولداً لعقيم ، ولا هدىً لضال ، ولا أمناً لخائف ، ولكن الله يملك ذلك كله : ﴿سُبْحَانَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس / ٦٨] .

واعلم أن كل ما وصل إلى العباد من الخير والنعم فهو من ربنا العزيز الوهاب.

وكل ما وهب الله العباد فهو عطية ومنحة منه سبحانه، وله سلبها وإبقاؤها متى شاء بحكمته: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء / ٣٠] .

هو سبحانه الوهاب الذي كل شيء من هباته وعطاياه .

هو سبحانه الوهاب الذي يهب خلقه أصناف النعم على مر القرون .

وهب الإنسان نعمة الوجود ، ونعمة الإمداد ، ونعمة الصحة ، ونعمة العقل ، ونعمة الهداية : ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

واعلم أن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها ، ولا أحد أعظم إحساناً إلى الخلق من الله ،بل كل إحسان إلى الخلق فهو منسوب إلى الله،وكل إحسان يولد المحبة ، ولا إيمان لمن لا محبة له لربه ، وعلامة المحبة اتباع المحبوب وطاعته : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران/ ٣١].

هو سبحانه الملك العزيز الوهاب الذي يعطي بلا وسيلة ، وينعم بلا سبب ولا حيلة ، جزيل العطاء والنوال ، كثير المن والإفضال ، دائم المعروف والإحسان : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

فسبحان الوهاب الذي وهب كل واهب ، وألهم كل واهب أن يهب مما أعطاه ، وأذن له بذلك ، وأعانه على ذلك ، وضاعف له أجر ذلك : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء/ ٧٠].

هو الملك الغني القادر الذي خلق كل شيء ، المالك لكل شيء ، الوهاب الذي يهب عباده كل شيء : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

وهبات الرب لخلقه لها ثلاث حالات :

إما إكرام .. أو عقوبة .. أو ابتلاء.

فالإكرام على حسن الطاعة لله: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) ﴾ [ص/ ٣٠] .

والعقوبة على الكفر والمعاصي: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥) ﴾ [الأنعام/ ٤٤ – ٤٥] .

والابتلاء ليتبين من يقدم أوامر الله على شهوات النفس ، ومن لا يلهيه المخلوق عن الخالق : ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥) ﴾ [الأنبياء/ ٣٥] .

فسبحان الحكيم العليم الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى والمثل الأعلى ، الوهاب الذي خيره وفضله يرتع فيه كل الخلق ، الإنسان والحيوان ، والبَر والفاجر ، والمطيع والعاصي ، لا نحصي ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠) ﴾ [القصص/ ٧٠].

• التعبد لله ﷻ باسمه الوهاب :

اعلم زادك الله علماً وفقهاً أن الوهاب الحق هو الذي وهب جميع الهبات المتنوعة في الدنيا والآخرة، وذلك من فضله وإحسانه إلى عباده.

فاعرف مولاك الكريم ، ثم اذكره ، ثم اشكره واعبده بمقتضى أسمائه وصفاته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢) ﴾ [الطلاق / ١٢] .

ثم اعلم أن الوهاب ﷻ أظهر في هذه الدنيا من هباته وعطاياه ما نراه وما لا نراه ، وما نعلمه وما لا نعلمه : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) ﴾ [المائدة/ ٥٤].

ويوم القيامة يُظهر الوهاب من كرمه وعطاياه ما لم يخطر على العقول وما لم تره العيون: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) ﴾ [السجدة/ ١٧].

وعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال : « قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ

رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾» متفق عليه[1].

فاجتهد رحمك الله في طاعة مولاك الملك العزيز الوهاب، وبادر إلى الأعمال الصالحة التي يزيدك بها خيراً: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم / ٧] .

واعلم أن ما وهب الله لك في الدنيا من العافية والعقل والرزق جعله عوناً لك على طاعته ، فلا تستخدمه في غير ما يرضه ، ولا تستعين به على معاصيه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١٧٢].

وما ادخر لك الكريم في الآخرة من الخير والنعيم خير لك من جميع ما في الدنيا من النعيم : ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الشورى / ٣٦] .

فلا تبع غائباً بشاهد، ولا تبع آخرتك بدنياك، ولا تشغلك دنياه عن تحصيل رضاه: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٤] .

فهب رحمك الله ما أعطاك من العافية في طاعة مولاك ، والقنوت له ، والسجود له.

وهب ما أعطاك من الخُلق الحسن في القول الحسن ودوام الذكر والشكر له، وتأليف قلوب الناس على دينه ، وهب ما أعطاك من المال في مواساة المحتاجين، وإكرام الناس والأشراف ، وهب ما أعطاك من نعمة العلم في تعليم الخلق أحكام دينهم تكن ربانياً: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وسل ربك الوهاب كل ما تحتاجه مما يعينك على عبادته وطاعته ، كما سأله سليمان ﷺ : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤) ومسلم برقم (٢٨٢٤) واللفظ له .

﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٠ ﴾ [ص/ ٣٥-٤٠].

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الأولاد وأكرمك بصلاحهم فاحمد الوهاب على إحسانه كما حمده خليله إبراهيم ﷺ فقال : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ ﴾ [إبراهيم/ ٣٩-٤٠].

واشكر الله على ما وهبه لك من الهداية وحسن الخلق وما أسداه إليك من النعم يزدك خيراً ، ويُعظم لك أجراً : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ١٢ ﴾ [لقمان/ ١٢].

فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً لا ينقطع ولا يبيد ، حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده على أسمائه الحسنى ونعمه التي لا تحصى : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾ [الفاتحة / ٢-٧].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ ﴾ [آل عمران/ ٨] .

﴿ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤ ﴾ [الفرقان/ ٧٤].

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالمَجْدِ ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ » أخرجه مسلم [1].

اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة .

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا يا أرحم الراحمين.

اللهم لك الحمد كله ، لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت .

اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك ورزقك ، إنك أنت الكريم الوهاب.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٧١) .

الهادي

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الفرقان/٣١].

الله ﷻ هو الهادي الحق الذي هدى جميع خلقه إليه بما أظهره من أسمائه وصفاته ، وآياته ومخلوقاته ، ونعمه وإحسانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

وهو سبحانه الهادي الذي هدى خلقه إلى معرفته ، وهداهم إلى جميع المنافع ، وأرشدهم إلى دفع المضار ، وعلَّمهم ما لا يعلمون ، الهادي وحده لا شريك له إلى كل خير في الدنيا والآخرة : ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الفرقان/ ٣١].

وهو سبحانه الهادي الذي خلق جميع المخلوقات في السموات والأرض ، وهداها إلى جلب مصالحها ودفع مضارها وعبادة ربها : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [الأعلى/ ١-٥].

وجميع مخلوقاته تشهد بتوحيده ، وتسبح بحمده : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/٤٤].

فسبحان الخلاق العليم: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [طه/٥٠].

وهو سبحانه الهادي لكل مهتد من مخلوقاته.

هدى كل شيء إلى التسبيح بحمده .. وهدى كل مخلوق إلى الإقرار بوحدانيته.. وهدى الطفل إلى التقام الثدي عند خروجه.. وهدى الفرخ إلى التقاط الحب بعد خروجه .. وهدى النحل إلى بناء بيوتها بما يناسب حالها.

وهدى النبات أن يشق في الأرض عروقاً .. وفوق الأرض أغصاناً وأوراقاً وأزهاراً وثماراً.

وهدى الملائكة للتسبيح .. وهدى السحب للمطر .. وهدى الأرض للإنبات.

وهدى الشمس والقمر والنجوم للسير والإنارة .. وهدى كل طير وحيوان في البر والبحر والجو إلى ما يصلحه وينفعه : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [الليل/ ١٢-١٣].

وهدى الإنسان إلى ما يسعده في دنياه وأخراه: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان/ ٢-٣].

فسبحان الهادي الحق: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعلى/٢-٣].

وهو سبحانه الهادي المبيِّن لعباده طريق الحق والإيمان بما أرسل إليهم من الرسل ، وما أنزل عليهم من الكتب ، وما نصب لهم من الآيات والدلائل في السموات والأرض : ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر/٢٣].

وهو سبحانه الهادي الحق الذي يهدي من يشاء بفضله ، ويضل من يشاء بعدله : ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سبأ/ ٥٠].

وهو الحكَم العليم بمن يصلح للهدى ويزكو عليه فيهديه، ومن لا يصلح للهدى فيضله بعد إقامة الحجة عليه ، فجميع العباد يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله، وهو على كل شيء قدير ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [النحل/٩٣].

وهو سبحانه الهادي الذي أعطى الإنسان حرية الاختيار ، فمن شاء الهدى هداه إلى الصراط المستقيم : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يونس/ ٢٥].

وهو سبحانه الهادي الذي بهدايته اهتدى أهل الإيمان بما بيَّن لهم من أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وآياته ومخلوقاته ، فاهتدوا بهدايته لهم: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الحج/٥٤].

وهو سبحانه الهادي الذي أنزل كتبه هداية للناس: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا

أَلِيمًا ﴿١٠﴾ [الإسراء/ ٩-١٠].

وهو سبحانه الهادي الذي أرسل رسله لهداية الناس إلى الحق : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف/٩].

وهو سبحانه الهادي الذي جعل بيته العتيق مباركاً وهدى للعالمين إلى يوم القيامة: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران/٩٦].

وهو سبحانه الهادي الذي يهدي من يشاء من عباده ، الهادي الكريم الذي فتح جميع أبواب الهداية إليه عن طريق آياته ومخلوقاته ، وعن طريق أسمائه وصفاته ، وعن طريق نعمه وآلائه ، وعن طريق كتبه المنزلة ، وعن طريق رسله المرسلة : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس/ ٣].

والهدى عن طريق الخلق أقرب طرق الهدى ، وباب الكون أوسع أبواب الهدى .

فبالخلق نهتدي إلى الخالق ، وبالصور نهتدي إلى المصور ، وبالرزق نهتدي إلى الرازق : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/ ٦-٨].

فإذا نظرت إلى الكون رأيت الخالق يخلق ، والرزاق يرزق ، والرحمن يرحم ، والكريم يحسن ، والجبار يقهر : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو سبحانه الهادي الذي إذا هداك بخلقه فالهادي اسم من أسماء أفعاله ، وإذا هداك بكلامه فالهادي اسم من أسماء ذاته .

واعلم أن الكون العظيم أعظم أبواب معرفة العظيم ، والقرآن هاد إلى معرفة العظيم ، لكن الكون العظيم لغة عالمية يراه ويقرؤه ويفهمه كل إنسان حيثما كان.

ومن آياته التي نهتدي بها إليه الشمس والقمر ، والليل والنهار ، والجبال والبحار ، والماء والجماد ، والنبات والحيوان : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الرعد/ ٢-٣].

واعلم أن القرآن العظيم من أعظم أبواب الهدى لمن قرأه وتدبره.

ولابد للإنسان من الاهتداء بهذا وهذا ليكتمل نور الهداية ، فالكون كتاب الآيات والمخلوقات ، والقرآن كتاب العلوم والأخبار والأوامر والنواهي: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

فبآيات الكون نعرف ربنا ، وبآيات القرآن نعبده ، فالكون دلنا عليه سبحانه ، والقرآن علمنا أسماءه وصفاته وأفعاله ، وبين له منهجه وأمره ونهيه ، ونعمه وإحسانه ، ووعده ووعيده.

فسبحان الهادي الذي يهدي إليه تارة بخلقه ، وتارة بكلامه ، وتارة بأفعاله ، وتارة بالفطرة ، وتارة بالإلهام ، وتارة بالرؤيا ، وتارة بالأشخاص ، وتارة بالانشراح ، وتارة بالتفكر والتدبر : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٢٣].

واعلم أن الهادي جل جلاله هو الله وحده لا شريك له ، هو الهادي الغني الذي يملك جميع خزائن الهداية ، وهو الهادي لكل مهتد وهاد، ومن يضلل فلا هادي له سواه : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٨].

فسبحان من أظهر قدرته وحكمته وأسماءه وصفاته في تدبير ملكه ومماليكه : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٤٩].

فالحمد لله الذي أرسل إلينا أفضل رسله وأنزل علينا أحسن كتبه وهدانا للإسلام : ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٢٣].

والحمد لله الذي هدانا إلى التوحيد والإيمان، وحفظنا من الكفر والشرك: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ ﴾ [الزمر/١٧ – ١٨].

واعلم أن كل أحد محتاج إلى الهداية، والأنبياء والرسل أكمل الخلق هداية يسألون ربهم الهداية في كل وقت : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ ﴾ [الأنعام/ ٩٠].

والهداية أكبر نعمة ينعم بها الهادي على عباده، وكل نعمة دونها فناقصة وزائلة، وبقدر هداية العبد تكون سعادته في الدنيا والآخرة : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾ [الحجرات/ ١٧].

ولهذا أمرنا الهادي جل جلاله أن نسأل الهداية في كل ركعة من الصلاة ليهدينا إليه وإلى الطريق الموصل إليه ، بأن نقول : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾ [الفاتحة/٢-٧].

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه ، وما أرحمه بعباده ، وما أعظم نعمه على خلقه ، وما أعظم حلمه على من عصاه وكفر به.

فاللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥ ﴾ [الأعراف/١٥٥].

واعلم أن هداية الله لعباده أنواع:

الأولى: الهداية العامة: وهي هداية جميع المخلوقات في السموات والأرض إلى مصالحها، لتكون مهيئة لما خلقت من أجله كما قال سبحانه : ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣ ﴾ [الأعلى/ ١-٣].

الثانية: هداية التوفيق والإلهام وشرح الصدر لقبول الحق: وهي بيد الله وحده لا شريك له كما

قال سبحانه : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص/٥٦].

وهذه الهداية هي التي أمرنا الله أن نطلبها منه في كل صلاة.

الثالثة: هداية الدلالة والإرشاد والبيان: فالله هدى خلقه إليه ، ودلهم عليه ، وبيّن لهم سبل الهداية ، وموجبات التوحيد والإيمان ، بما أظهر في الكون من المخلوقات والآيات ، وبما أرسل من الرسل ، وأنزل من الكتب والبينات.

وأكرم الله الرسل والأنبياء وأتباعهم بهذه الهداية وأثنى عليهم لَمَّا قاموا بها كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشورى/ ٥٢-٥٣].

وهي حجة الله على خلقه التي لا يعذب أحداً منهم إلا بعد إقامتها عليه كما قال سبحانه : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء/١٥].

فمن هداه الله للإيمان فبفضله وله الحمد كما قال أهل الجنة : ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأعراف/٤٣].

ومن أضله الله فبِعد له ، فقد أرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب ، ومكّنه من أسباب الهداية بما أكرمه به من السمع والبصر والعقل ، ولكنه لا يصلح للهداية فلم يقبل الهدى ، فكذب وتولى وزاغ وانصرف ، واختار الضلال فله العذاب في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [فصلت/١٧].

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت.

وهو سبحانه الهادي البصير بعباده العليم بما في نفوسهم ، الذي يهدي إلى الحق ويوفق إليه

من يعلم أنه يزكو به ويصلح لمجاورته في الجنة: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥- ١٦].

ويضل الله من عباده من يعلم أنه لا يقبل الحق ولا يرضى به ولا يصلح لمجاورته في الجنة ، وهو العليم الخبير بمن يستحق هذا أو هذا : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر/٨].

وهو سبحانه الهادي الحق الرحيم بعباده ، الذي بيَّن لهم سبل الهداية ليسلكوها، وبيَّن لهم سبل الضلالة ليتركوها: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان/ ٢-٣].

فسبحان الكريم الرحيم الذي بيَّن للإنسان طريق الخير والشر ، وذكَّره بنفسه ونعمه عليه ؛ ليوحده ويطيعه ، ويعبده ويشكره ويستحي منه : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد/ ٨-١٠].

فهذا أول الهداية، وأما منتهاها فلا نهاية له، وهي التي نطلبها كل يوم من الهادي بقولنا: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/٦-٧].

فسبحان الهادي الحق الذي بهدايته اهتدى أهل ولايته إلى ما يحبه ويرضاه ، والذي بهدايته اهتدى الحيوان لما ينفعه واتقى ما يضره.

وسبحان الكريم الرحيم الذي ﴿يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى/١٣].

واعلم أن الهادي ﷻ يهدي عباده إليه، وإلى الطريق الموصل إليه، وإلى ما لهم بعد القدوم عليه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

فالله ﷻ هو الحق المبين الظاهر الباطن لا خفاء به ، لا إله غيره، ولا رب سواه : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ

﴿ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/٨].

وأما سبيله الموصل إليه فهو الإسلام ، وقد أفرغه في قالب العالم ، وصوَّره في صور الخليقة، وفطر عليه كل شيء.

فكل مخلوق مستسلم لربه ، خاضع لعظمته ، شاهد بتوحيده ، مسبح بحمده : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

ثم كتابه العزيز أظهر فيه ما أبطن في الخليقة ، وأبدى في سوره وآياته ما خبأه في العالم ، ونص فيه على ما أجمله في المخلوقات ، وجمع فيه ما فرَّقه في الموجودات ، وأشار بجملته إلى ما حواه اللوح المحفوظ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[فصلت/٤١-٤٢].

فمن آمن به فقد اهتدى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [البقرة/ ٢-٣].

واعلم أن الله مالك لكل شيء ، وغني عن كل شيء ، والإنسان محتاج إلى كل شيء .

وإرادة الإنسان نزوع نفسه إلى شيء يكمل نقصه وضعفه وحاجته بأكل أو شرب أو ملبس أو مركب ونحو ذلك.

أما إرادة الله فهي حكمه على الشيء ، وإذا حكم سبحانه فلا راد لحكمه ، فكل شيء مستجيب لمشيئته ، ومسرع إلى إرادته : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

واعلم زادك الله علماً ويقيناً أن جميع المخلوقات مسخرة ، وجميع الإنس والجن مخيرون ، وإرادة الله مع المسخرات أمر ، وإرادته مع المخيرات سماح بالفعل : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير/ ٢٧-٢٩].

فسبحان الحكيم الخبير الذي يسوق بإرادته ظالماً لظالم ، ويسوق من لا يعرفه إلى من يعرفه ليؤدبه فيتوب إليه : ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ١٦٨﴾ [الأعراف/ ١٦٨].

وإرادة الله مع الإنس والجن إرادة إذن وسماح ، فيأذن سبحانه للعبد أن يفعل المحرم حينما تعلو الشهوة ، ويشتد الإصرار ، ولكنه لا يرضى بذلك ، ويصرفه عن الشهوة المحرمة رحمة به إذا لم يكن هناك إصرار : ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف/ ٢٤].

وإذا أطلق الله هذا الإنسان لفعل شيء محرم ما ، يطلقه على من يستحق التسليط ليؤدبه : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ١٢٩﴾ [الأنعام/ ١٢٩].

وإذا أراد الله هداية أحد أو إضلاله فتلك هي الإرادة الإلهية الجزائية المبنية على إرادة الإنسان الاختيارية : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ١٢٥﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

فمن أراد الهداية واختارها أعانه الله فشرح صدره للإسلام ، ومن أراد الضلال ضيق الله عليه نفسه وعسر أموره ليتوب إليه ، وهذا وهذا كله من رحمة الله بالعبد : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

هو الذي يقلب القلب لصالح العبد ، فإذا شاء العبد الهدى شرح الله صدره للهدى ، وإذا شاء الضلالة ضيق الله صدره ليكف عن الشر : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].

ولهذا جعل الله القلوب كلها بيده لسعة وعظمة رحمته بعباده : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٢٦ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ٢٨﴾ [النساء/ ٢٦-٢٨].

واعلم رحمك الله أن نور الهداية إذا دخل في القلب انشرح له الصدر ، وانشراح الصدر اتساعه للصفات المحمودة التي يحبها الله، وانبساطها بأحكامها على أضدادها المذمومة التي يضيق بها

الصدر: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾[الزمر/٢٢].

فإذا أراد الله أن يبلغ بعبده إلى معالي الإيمان واليقين أنزل السكينة في قلبه فزاد إيمانه ، ثم حسنت أفعاله وأخلاقه ، وسكنت مساوي طباعه ، وأذعنت سفال أخلاقه ، وانقادت الجوارح للقلوب ، وكانت عوناً لها على ما يرضي الرب ﷻ : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾[الفتح/٤].

ومن يرد أن يضله يطفئ نور قلبه فيضيق متسع أخلاقه ، ويسفل بمعاليها ، ويمتلئ بضدها ، فيثقل عليه كل عمل صالح، ويحرج لذلك صدره لشدة ظلمته، وضيق باطنه، كأنما يروم الصعود إلى السماء من الضيق والظلمة: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾[الأنعام/١٢٥].

فمن أراد الوصول إلى مقصوده ومعبوده فعليه بمعرفة ربه بأسمائه وصفاته ، ومعرفة دين القيِّمة: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/١٩].

واعلم أن من آمن بالله وأطاعه وصبر على بلائه فهو من المهتدين حقاً: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

والله ﷻ هو الهادي الحق الذي يرشد عباده إلى كل خير ينفعهم في دنياهم وأخراهم.

وهو الهادي الذي أرشدهم إليه بآياته الكونية ، وآياته الشرعية ، وأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، فلا مثل له يرشدهم إليه : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

هو الهادي الحق الذي أرشد عباده إلى ما يحبه ويرضاه ، وبَصّرهم بسبل الفلاح والنجاة ، الهادي الذي أنزل على خلقه من آياته ما يرشدهم إليه وما يَرْشدون به : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام/١٥٣].

فلا إله إلا الله الملك الحق الهادي الذي أرشد جميع مخلوقاته إلى توحيده ، وفطرهم على الإيمان به ، وأشهدهم على ربوبيته ، واستعملهم في عبوديته ، من جماد ونبات وحيوان ، ومن ملَك وإنس وجان: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم/٩٣-٩٥].

كل عالم من المخلوقات يسقيه الله بكأسه .. وكل عالم يسبح بحمده .. وكل عالم يشهد بتوحيده .. وكل عالم خاضع لأمره .. وكل عالم يخطب بعجزه وفقره إلى ربه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/١٨].

فاطلب العلم رحمك الله لتسلم من الجهل ، وارغب إلى مولاك أن يوفقك إلى أحسن ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق.

واعلم أن العلم الإلهي هو سلاح المجاهدة ، ونور البصيرة ، ومركب النجاة ، وأصل الهداية والاستقامة : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

فبالعلم الإلهي يُشرف العبد على مطالع الدنيا والآخرة فيرى ما لا يُدرَك بالحواس ، ويبصر ما لا يُدرَك بالأبصار ، ويعلم ما يعجز عنه الفكر ، ولا يتوهمه الذهن ، فيقف بين يدي ربه العلي العظيم قائماً وساجداً وحامداً وسائلاً و مستغفراً مع ذل الانكسار له ، وشده الحياء منه : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

واعلم أن من وفقه الهادي للوصول إليه فقد اهتدى ، ووصل عقله بروح الإيمان إلى رؤية ربه الخالق الرحمن ، وأشرق قلبه بنور الإيمان الواصل إليه ، وامتلأ صدره من ذلك الضياء : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) ﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

فشاهد الملك الحق يدبر ، والخالق يخلق ، والمصوِّر يصوِّر ، والرازق يرزق ، والكريم يعطي ، والرحيم يرحم ، والحاكم يحكم ، والعزيز يعز ، والجبار ينتقم ، والقوي يقهر ، والسلام يسلِّم : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

فاعْلُ رحمك الله بهمتك لمعرفة المُلك والملكوت ، ومعرفة مالك الملك ؛ لترى العظمة والعظيم ، والقدرة والقدير ، والعزة والعزيز ، والرزق والرزاق ، والحكمة والحكيم : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٥) ﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

واعلم أن من أجال فكره في ذلك ابتغاء مرضاة الله صفا له قلبه من كدر الأخلاق، وامتلأ قلبه بشعب الإيمان : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) ﴾ [فاطر/ ٢٨].

ومن رضي بأول العلم وظاهرٍ من الأمر حُجِب عن الإصابة في كثير من أموره ، وبقي على كدره بغير تهذيب فخلط عملاً صالحاً بآخر سيئاً يحاسب عليه : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) ﴾ [فاطر/ ٣٢-٣٣].

واعلم أن الأفكار لا تدرِك غوامض الأسرار ما دامت في حُجُب الكبر والغرور ، ولا تبصر عيون الغيب ما دامت محجوبة بالجهل والغفلة ، فتحرر من الهوى ، وتبرأ من حولك وقوتك ، والبس

لربك لباس الخشوع ، وأكثِر إهمال الدموع ، لعله يعطيك ويهديك ويرضيك : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

واعلم أن النفوس إذا عكفت على محبوباتها وسُجنت الأذهان في أهوائها عاقها عدم الصفو ، وقلة اعتياد السفر والهجرة إلى مولاها ، فقعدت على موائد شهواتها ، وأصَمَّتها المشاهدات ، وشغلها هوى المحبوب عن الرب المعبود فخسرت مولاها ودنياها وأخراها : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

واعلم أن المؤمنين من الإنس والجن هم المهتدون الذين قبلوا الهدى والرشد وسلكوا سبيل الرشاد ، واجتنبوا ما سواه : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ [الجن/١-٢].

والراشدون من البشر هم المؤمنون ، وهم درجات ، وفي مقدمتهم الرسل والأنبياء ، ثم الصديقون والشهداء ، والعلماء والصالحون .

فهؤلاء هم الراشدون الذين هداهم الهادي إلى الرشد، وتولاهم بالحفظ والنصر والعون ؛ لأنهم يوالونه بالتوحيد والإيمان والطاعات : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الحجرات/ ٧-٨].

ولكل مؤمن من الهدى والرشاد ، والولاية والمقام ، والثواب وإجابة الدعاء ، بقدر إيمانه وطاعته وعبادته: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف/ ١٠-١٣].

- **التعبد لله ﷻ باسمه الهادي.**

اعلم رحمك الله أن من آتاه الله هدايةً خرج بها من الضلالة ، وآتاه علماً خرج به من الجهل ، وجب عليه ما لم يجب على غيره من حسن العبادة ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه ، والنصح لعباده ، والإحسان إلى خلقه كما قال إبراهيم ﷺ : ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ ﴾ [مريم/ ٤٣].

وإذا خصك الكريم الهادي بنعمة الهداية فكن هادياً إليه بلسانك وحالك وأخلاقك ومالك .

وكن عبداً سامعاً مطيعاً لمولاك ، ولا تقعد إلا متفكراً ، ولا تنظر إلا معتبراً ، ولا تنطق إلا ذاكراً أو حامداً أو مستغفراً أو معلماً أو داعياً لتكون ربانياً من أولي الألباب ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٩١].

وعوِّد عينيك بعد أن هداك الهادي إليه على السهر آخر الليل في مناجاة مولاك ، ففي الظُّلَم الداجية توجد الأنوار الغائبة، لعلك تفوز مع الفائزين الذين ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/١٦-١٧].

وتطهَّر للوقوف بين يدي مولاك ، وتضرع منكسراً بين يدي ذي العزة والجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [المزمل/ ١- ٥].

وتجرد حين وقوفك بين يدي من لا يخفى عليه شيء من كل دعوى في كل علم كنت تعلمه وكل عمل قمت به ، واستغفر من كل ذنب تعلمه أو لا تعلمه : ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور/ ٢١].

واعلم أن أبواب الهداية مفتوحة وسبلها ميسرة فتتبع آثار الخالق في مخلوقاته ، واستشهد شواهده في مصنوعاته ، وانظر إلى حسن تصويره لمصوَّراته ، وتفكر في عظمة كبريائه وقدرته، وحسن تدبيره

لملكوته ، ليمتلئ قلبك بتوحيده : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس/ ٣١-٣٢].

وبذلك تزداد إيماناً ويقيناً ومعرفةً بمن هداك إليه: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس/١٠١].

وتعلَّم أسماء الله الحسنى فهي أعظم مفاتيح العلم والمعرفة، وبها تُفتح مغاليق المنظور والمستور والمشتبه ، ويُظهر لك الظاهر ما أبطنه عن غيرك من لطيف تدبيره، وعجيب صنعه في مخلوقاته : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

فما خَلَق الله ما خَلَق في السموات والأرض إلا ليظهر لنا أسماءه الحسنى وصفاته العلى في مخلوقاته ، فلا تكن من الغافلين فربك ليس بغافل عنك: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

واطلب جميع حوائجك من ربك الصمد وارفع إليه كل شكوى متوسلاً إليه بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/١٨٠].

وكما هداك ربك إليه فاجتهد في القيام بين يديه ، وهداية الناس إليه ، وعرِّفهم بأسمائه وصفاته ؛ ليحبوه ويكبروه ، ويطيعوه ويعبدوه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل/ ١٢٥].

واعلم أن ربك الهادي أرشدك إليه وأرشدك إلى ما يحبه ويرضاه فاعمل بما أرشدك إليه ، واحذر مخالفته فإنك راجع إليه : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء/١٣-١٤].

وأرشِد العباد إلى ما أرشدك ربك إليه من كافر تدعوه ، أو جاهل تعلِّمه ، أو مسترشد ترشده ، تكن من الراشدين المفلحين : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾ [آل عمران/١٠٤].

واحذر من معصية الله ورسوله لئلا تشقى في دنياك وأخراك : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) ﴾ [النساء/ ١١٥].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨) ﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) ﴾ [الشعراء/٨٣-٨٥].

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) ﴾ [الفرقان/٧٤].

«اللَّهُمَّ اهْدِني فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِني فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّني فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِني شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ» أخرجه أبو داود والترمذي[١].

اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

اللهم اهدنا وأهدبنا واجعلنا سبباً لمن اهتدى يا رب العالمين.

(١) **صحيح** / أخرجه أبو داود برقم (١٤٢٥) وأخرجه الترمذي برقم (٤٦٤).

الصادق

قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأنعام/١٤٦].

الله ﷻ هو الصادق الحق في كل ما يخبر به ، فهو الصادق في قوله الحق .. وهو الصادق في دينه الحق .. وهو الصادق في وعده ووعيده .. وهو الصادق الذي لا يخلف الميعاد : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ [النساء/ ١٢٢].

وهو سبحانه الصادق بتوفية العاملين بطاعته أجورهم ، ومضاعفة الحسنات لهم ، وتكفير سيئاتهم : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف/ ١٦].

وهو سبحانه الصادق الكريم الذي يضاعف الحسنات ، ويجازي السيئة بمثلها ، ويحطها عن المسيء بالتوبة ، والاستغفار ، والحسنات ، والمصائب: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء/١١٠].

وهو سبحانه الصادق في عدله وإحسانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء/٤٠].

والصِّدِّيق من الناس الكثير الصدق ، الذي استوى ظاهره وباطنه في حكم الحق.

فمن صدَّق بآيات الله وأجال فكره في ملكوت السموات والأرض لا يكاد يمر بآية من آيات الله أو يرى عجائب مخلوقات الله إلا ازداد بها إيماناً ويقيناً وتصديقاً بأن ربه هو الإله الحق، وأن دينه الحق ، ورسله حق ، وكتبه حق ، ووعده حق: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الرعد/١٩-٢٠].

واعلم أن الصِّدِّيق أفضل الخلق بعد الأنبياء والرسل ، وثواب الصدق الرضوان والجنة يوم القيامة : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا

﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة/ ١١٩].

والصِّدِّيق الذي صدَّق الله في آياته وشواهده، وصدَّق بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده، وصدَّق برسله وملائكته وكتبه وأحكامه: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر/٣٣].

اللهم اكتبنا مع الصادقين، وارزقنا الصدق في النية والقول والعمل.

والله ﷻ هو الصادق الحق الذي الصدق كله في معاقد كلماته الصادقة :

في دينه وشرعه.. وفي عهده وميثاقه.. وفي خلقه وأمره .. وفي بسطه وقبضه.. وفي عطائه ومنعه.. وفي نصره وخذلانه.. وفي وعده ووعيده.

خلق الله ﷻ كل شيء ، وجعل خلقه وأمره شواهد على قدرته ، وكمال أسمائه وصفاته نواطق على صدقه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/١٢].

فسبحان الصادق الحق الذي لا أصدق منه، الصادق الذي يملك خزائن الصدق كلها، والذي خلق الصدق في كل صادق، وأظهر صدقه في جميع ملكوته.

خلق الصادق الحق سبحانه آدم ﷺ ، وصدَقَت كلمته في ذريته في طباعهم ، وأخلاقهم ، وأجسامهم ، وصفاتهم وأعمالهم، وأرزاقهم وآجالهم.

فآمن آدم ﷺ وآمنت ذريته .. وأطاع فأطاعت ذريته .. وصدَق فصدَقت ذريته .. وجحد فجحدت ذريته .. ونسي فنسيت ذريته: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [التين/ ٤-٨].

وخلَق الله ﷻ آدم ﷺ من قبضة من الأرض فيها السهل والحَزَن ، والأبيض والأسود ، واللين والشديد ، والطيب والخبيث ، فخرجت ذريته على مثل ذلك صدقاً وعدلاً: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة/ ٦-٧].

فانظر إلى صدق الكلمة التامة في آدم ﷺ وذريته: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢١].

والأرض عالَم كبير وخَلْق عظيم لها نسل وذرية من النباتات المختلفة الذين لا يحصيهم إلا الله العليم بكل شيء : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد/ ٣-٤].

ولما كان من الأرض ما يَخرج نباته بإذن ربه طيباً كالزرع والزيتون ، والنخل والرمان ، والعنب والموز وغير ذلك من الثمار الطيبة ، كان من ذرية آدم الأنبياء والرسل ، والمسلم والمؤمن ، والصادق واللطيف ، والمحسن والكريم ، والرحيم والشاكر ، والطيب والحليم ونحوهم .

ولما كان من الأرض ما لا يُنبت كالسباخ والبقاع الجدبة ، ورؤوس الجبال الحجرية ، كان من ذريته ﷺ الكافر القاسي الذي لا ينتفع بالهدى ، كما لا ينتفع الحجر بالماء ، والمجرم والخبيث ، والظالم والفاسق ، والغليظ والكريه ونحوهم .

ولما كان من الأشجار الشائكة ما منظره حسن وريحه طيب ، وقد يُطلع القبيح المنظر منها زهراً وينضج ثمراً كان من ذريته المنافق والمرائي بعمله: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾[الحج/٥-٧].

وفي السماء آيات .. وفي الأرض آيات .. وفي الأنفس آيات .. وفي الآفاق آيات.

فانظر في ملك الله الواسع العظيم لتزداد إيماناً ويقيناً ومعرفة بربك العظيم ، ثم تحبه وتعبده : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/ ٦-٨].

فما أعظم سريان صدق الكلمة بين آدم ﷺ وذريته والأرض ونباتها: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام/ ١١٥].

فلا إله إلا الله كم في الأرض من آيات وعبر وشواهد تشهد بوحدانية الله وعظمة أسمائه وصفاته، ولكن لا يراها إلا أهل الأبصار والبصائر مع أنها أبين وأظهر من نور الشمس: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)﴾ [الحج/ ٤٦].

واعلم أن طرق معرفة صِدْق كلمات ربنا في أطباق خليقته وتدابير أمره في السموات والأرض مما لا تحيط به العقول، وتَقْصر دونه الأعمار والقرون: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)﴾ [الأنعام/١٠٢-١٠٣].

فسبحان الصادق الحق الذي لا يُكذِّب صادقاً، ولا يصدق كاذباً، الذي مَنْ صَدَق الله في طلبه صَدَقه في وعده.

• التعبد لله ﷻ باسمه الصادق.

اعلم رحمك الله وجعلك من الصادقين أن الله ﷻ هو الصادق الحق، وأن الصدق صفة من صفاته العليا التي لا تنفك عنه أبداً.

فهو الصادق حقاً في خبره وأمره، وفي وعده ووعيده، وكلماته تامات من كل وجه، صادقات من كل جهة: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧)﴾ [النساء/ ٨٧].

ورسله صادقون .. وملائكته صادقون .. وكتابه صادق كما أنزله .. ورسوله صادق بما بيَّنه: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨)﴾ [التغابن/٨].

فعليك بالصدق والتصديق بكل ما جاء عن الله ورسوله في إيمانك وأعمالك تكتب من الصادقين: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠)﴾ [الإسراء/ ٨٠].

واعلم أن الصدق من الصفات العليا الرفيعة، والحلي الثمينة الغالية، والألبسة الجميلة الفاخرة، فالبسها في جميع أوقاتك وأحوالك تُعرف بذلك وتنال أجر ذلك: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ

وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

واعلم أن باب الصدق التقوى فادخل منه تجد الصدق ، وتكن من الصادقين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة/١١٩].

واعلم أن الصدق مفتاح أبواب البر كلها فافتح به ما تشاء من أبواب الخير يرضى الله عنك ، ويكتبك مع الصديقين : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٣٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقاً،وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّاباً » متفق عليه[1].

واعلم أن ما يحبه الله ويرضاه من الطاعات إما أن تكون ظاهرة على الجوارح أو باطنة في القلب، فحكم الجوارح المسارعة إلى ما يُرضي خالقها بصدق النية في إنفاذه ، ومتابعة الرسول ﷺ في أدائه ، وحكم ما بطن في القلب التصديق بالله وأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وصِدْق النية في التقوى ، والحب لله ، والذل له ، والتعظيم له : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/١١٠].

وإياك والكذب ، فما هلك هالك إلا بالكذب على الله ورسوله ودينه وخلقه : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزمر/ ٣٢].

وعليك بالصدق الذي به نجاتك في الدنيا والآخرة فالبسه في جميع أحوالك ، وجاهد نفسك عليه ، فالصدق يحتاجه الإنسان من بدء إيمانه إلى أن يلقى ربه ؛ ليعلو إلى أعلى درجات الصديقين بكمال الإيمان والطاعة لله ﷻ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٠٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٠٧).

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

واعلم أن الصديقية أفضل مراتب البشر بعد الأنبياء والرسل ، وأهلها في مقعد الصدق عند ربهم يوم القيامة.

فالصِّديق يصحب النبي في نبوته .. والرسول في رسالته .. والصِّديق في صديقيته .. والتقي في تقواه .. والرحيم في رحمته .. والمؤمن في إيمانه .. والكريم في إكرامه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

واعلم أن العبد إذا عبد ربه بالصدق أوصله ذلك إلى العلم بالله وأسمائه وصفاته ، وهذا العلم يوصله إلى اليقين، واليقين يوصله إلى مقام التوكل على الله، وصدق التوكل يورثه الغنى عما سوى الله، والرضا عن ربه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/٢-٣].

وكلما ارتقى المؤمن في درجات الصدق زاد بره وإخلاصه ، وإيمانه ويقينه ، وحياؤه وطمأنينته ، ونزل عليه من العزيمة بقدر صدقه ، لأنه لا يرى في الكون إلا رباً واحداً يفعل ما يشاء وحده لا شريك له : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد/ ٢٨].

وإذا دخلَتْ العزيمة في القلب ارتحل منه حب الدنيا، وحل مكانه حب الله والدار الآخرة ، وبذل كل شيء من أجل رضاه : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات/١٥].

والصادقون هم الذين صدَقوا ما عاهدوا الله عليه فأعطوا جهدهم فيما بينهم وبينه بالصدق فهداهم إليه ، وإلى ما يحب ، وجعلهم من الصادقين: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/٦٩].

واعلم رحمك الله أن الفتاح سبحانه إذا فتح للمؤمن باب الصدق صار صدِّيقاً ، فرأى ببصره وبصيرته نور الهداية ، وقام على قلبه ولسانه وجوارحه شاهد الصدق، وبدت له فتوحات الحق، ورأى الخالق الرازق يخلق ويرزق ، ورأى المَلك الحق يتصرف في ملكه وعبيده ، وذاق طعم الأذكار ، وحلاوة الإيمان ، وصِدق اليقين ، ورأى حلول الأنوار في الصدور

والقلوب: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/٣٥].

واعلم أن أول الصديقية الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وتصديق رسل الله وكتبه، والعمل بما جاء عن الله ورسوله، وترك ما سوى ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد/١٩].

ونقيض الصديقية الزندقة، وهي كالشرك مع التوحيد، فهما متقابلان لا يجتمعان أبداً كالنور والظلام: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزمر/٣٢].

وأول الزندقة الكفر بالله وجَحْد ما لله من الأسماء والصفات، والطعن في النبوة، ورد ما جاءت به الرسل، وهذا هو النفاق الذي جمع أخطر أنواع الكفر، وعقوبته أشد أنواع العذاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء/ ١٤٥- ١٤٦].

واعلم أن كل من ادعى علم معرفة الله ﷻ ومعرفة دينه ثم خالف ما جاء به الرسول ﷺ فهو زنديق عدو لله، قد مكر الشيطان به وأضله عن سواء السبيل بالإصرار على تعطيل أحكام الله ورسوله، وعِلْمه حجة عليه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء/١١٥].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الصدق يكون بنبذ الشواغل، وبذل المجهود في طلب المقصود على سبيل الحق المشروع، ومن أسرع سبق ونجا، ومن تأخر خسر وأسره عدوه، ومن أخلص لله ما يحبه خلَّصه مما يضره، وأكرمه بما يسره: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

فسارع إلى مرضاة ربك مع الصادقين ، تكن من المفلحين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج/ ٧٧-٧٨].

واعلم أن خشوع الجوارح من خشوع القلب ، وسيُرى على الوجوه ما تضمره القلوب ، وفضول اللسان من فضول القلب ، وميزان ذلك الصدق : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩].

ومع العزم يكون العون ، ومع العجز والكسل يكون الخذلان والحرمان : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود/ ١١٢].

والصدق أعلى الدرجات ، والكذب أسفل الدركات ، وكلاهما مسئول عن حقيقته ، وجزاء العبد بحسبه : ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٨].

وإذا أكرمك الصادق بالصدق فكن صادقاً مع الله في جميع أمورك.

البس لباس الصدق ، وكن صادقاً مع الله وخلقه ، واعمل بالصدق ، وانشر الصدق ، وعلم الناس الصدق تكن ربانياً : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

فعليك بالصدق في المواطن كلها ، واصبر على ما أصابك تسلم وتغنم وتؤجر: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الحشر/ ٨].

أولئك أصحاب محمد ﷺ ، أبرّ هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأكملها صدقاً وبذلاً وتضحية: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ

إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢٢-٢٤].

فاسأل الله أن يرزقك الصدق لتكون مع الصادقين من الأنبياء والرسل وأتباعهم، وجاهد نفسك على ذلك في جميع أحوالك تفوز بمرضاة ربك مع الصادقين: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف/١٦].

ثم تكون يوم القيامة بجوار الرحمن في مقعد الصدق: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

﴿ رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [الإسراء/٨٠].

﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الشعراء/٨٣-٨٥].

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري[1].

اللهم إنا نسألك نفوساً مطمئنة تؤمن بلقائك، وتقنع بعطائك، وترضى بقضائك، وتصبر على بلائك.
اللهم إنا نسألك إيماناً يباشر قلوبنا ، ويقيناً صادقاً تملأ به صدورنا ، حتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كتبت لنا ، إنك على كل شيء قدير.
اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، يا أرحم الراحمين.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

الوارث

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحجر/٢٣].

الله ﷻ هو الوارث الحق ، الباقي بعد فناء الخلق ، الوارث الذي يستردهم ويسترد أملاكهم وأموالهم بعد موتهم.

وهو سبحانه خالق الخلق ومالك الملك، الذي يتصرف في البقاع والأموال كيف شاء، يورثها من يشاء ، ويستخلف فيها من يشاء من أوليائه: ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف/١٢٨].

هو سبحانه الوارث الذي ترجع إليه جميع الأملاك بعد موت المُلَّاك : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [مريم/ ٤٠].

هو سبحانه الوارث الذي كل شيء ملكه ، وهب لك منه ما شاء ليمتحنك ، فهو ملكه في يدك ، وسيرثه من وهبه لك.

والأرض لله يورثها من استقام على أمره ليستعين بها على طاعته : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٥-١٠٦].

وهو سبحانه الوارث الحي الذي لا يموت ، وارث الخلق أجمعين ، ووارث كل وارث من خلقه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [مريم/٤٠].

فسبحان الوارث الباقي بعد فناء الخلائق ، الحي الذي لا يموت ، الوارث الذي له ميراث السموات والأرض ، الوارث لكل مالك وما ملك : ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران/١٨٠].

واعلم أن الملك الحق ﷻ صادق الوعد ، وعد عباده المتقين بالخلافة في الأرض في هذه الدنيا على أحسن حال وصدق: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ

﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥ ﴾ [النور/ ٥٥].

ووعد عباده المتقين أن يورثهم الجنة يوم القيامة ، والتي فيها من الرحمة والحسن والنعيم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر : ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ٦٢ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣ ﴾ [مريم/ ٦١-٦٣].

فسبحان الملك الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، الوارث الباقي بعد فناء الخلق ، وكل ما سواه فانٍ زائل: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧ ﴾ [الرحمن/٢٦-٢٧].

هو الملك الذي إليه ﷻ المرجع والمنتهى ، وإليه المآل والمصير ، وإليه يُرجع الأمر كله ، الوارث الذي يرث الملك والملكوت، والملوك والعبيد ، والخلق أجمعين ﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ٢٣ ﴾ [الحجر/٢٣].

واعلم أن المَلك الحق بيده المُلك كله ، يؤتي الملك من يشاء من عباده المؤمنين ، وينزع الملك ممن عصاه من أعدائه وأعداء رسله وعباده المؤمنين ، ويورثه من آمن به وأطاعه: ﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧ ﴾ [الأعراف/١٣٧].

فسبحان من يؤتي الملك هذا ، وينزعه من هذا ، بأمر واحد ، ووقت واحد : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ ﴾ [آل عمران/٢٦].

وسنة الله جارية لا تتبدل أبداً يورث المؤمنين ديار الكافرين ؛ لأنه القادر على كل شيء ، الوارث لكل شيء : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ﴾ [الحج/ ٤٠].

هو القوي العزيز الذي يُمكِّن لأوليائه في الأرض، ويكفيهم شر أعدائهم ، ويدافع عنهم، ويورثهم مُلْكهم بعد أن يملأ قلوب الكفار بالرعب: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن

﴿صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب/ ٢٥-٢٧].

واعلم أن الله كريم رحيم ، ودينه وكتابه كريم فيه كل الهدى والرحمة والفلاح يورثه من اصطفاهم لعبادته، واجتباهم لدار كرامته: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر/٣٢-٣٣].

- **التعبد لله ﷻ باسمه الوارث:**

اعلم رحمك الله أن الله ﷻ هو الملك الحق الذي بيده مقاليد الأمور، وله خزائن السموات والأرض ، يورِث من يشاء من عباده ما يحبه ويرضاه.

فاسأله أن يورثك علم النبوة والكتاب ، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه ، والعمل بطاعته ، والكف عن معصيته ، وأن يجعل ذلك في ذريتك كما سأله زكريا ﷺ فأجابه : ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/٨٩-٩٠].

واجتهد أن تكون بعد الموت وارثاً مع الوارثين الذين يرثون الفردوس في الجنة بإيمانهم ، وحسن صفاتهم ، وعبادة ربهم ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، والإحسان إلى خلقه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون/ ١-١١].

وإذا ورَّثك الله عِلْم ما لم تعلم من العلم بأسماء الله وصفاته ودينه فعلِّمه عباده تكن ربانياً من ورثة الأنبياء، فالأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورَّثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ

وافر يستفيد منه ويفيد غيره: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/٧٩].

واعلم أن جميع الأقوال والأعمال موروثة ومحاسب عليها فأحسِن أقوالك وأعمالك وأخلاقك وأخلصها لربك يسرك ما فعلته يوم تلقاه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

واعلم أن الإنسان إذا مات قال الناس ماذا خلَّف ، وقالت الملائكة ماذا قدم ، فاجتهد أن تكون قبل الموت جامعاً للخيرات ، مسارعاً إلى كل عمل صالح ، وتكون بعد الموت وارثاً يرث ثواب الإيمان والأعمال الصالحة في الجنة : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزخرف/ ٧٢-٧٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران/٨].

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [البقرة/١٢٧-١٢٨].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِيَ الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم(١).

اللهم يا عالم الخفيات ، ويا رفيع الدرجات ، يا ذا العرش المجيد ، يا وارث كل وارث ، يا غافر الذنب ، يا قابل التوب ، لا إله إلا أنت .

أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين.

وهذا آخر الأسماء الحسنى الواردة في القرآن الكريم ، ويليه الأسماء الواردة في السنة الصحيحة ، وأولها اسم الوتر ، نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم فهمها ، والعمل بموجبها.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٥).

الـوتر

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:« لله تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْماً، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَإِنَّ الله وِتْرٌ يحِبُّ الْوِتْرَ » متفق عليه[1].

الله ﷻ هو الوتر الحق الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ولا أحد مثله.

الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/ ٣].

وهو سبحانه الوتر الواحد الأحد الصمد الغني عن كل أحد الذي ليس كمثله أحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

وهو سبحانه الوتر الذي تفرد بالملك والخلق والأمر والتصريف والتدبير وحده لا شريك له ، وتفرد بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الجميلة : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

[الحشر/ ٢٣-٢٤].

وهو سبحانه الوتر القادر على كل شيء وحده لا شريك له ، تفرد وحده بخلق المجتمعات والمتفرقات ، والعلويات والسفليات ، الذي يُسيل الجامدات ، ويُجمد السائلات ، ويحرك الساكنات ،ويُسكِّن المتحركات ، ويجمع بين المتضادات ، ويؤلف بين المختلفات ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر/ ٤].

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٤١٠) ومسلم برقم (٢٦٧٧).

وهو سبحانه الوتر الملك الحق الذي وسم جميع المخلوقات بسمة الحدث والصنع ، والعجز والفقر، وانفرد عنها ﷻ بصفات السلام والكمال والجمال والجلال : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

انفرد سبحانه عن كل ما سواه بالملك دون المملوك.. وبالربوبية دون المربوب.. وبالألوهية دون الواله: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم/ ٦٥].

أفرد سبحانه المؤمنين بإكرامه.. وأفرد الكافرين بإهانته .. وأفرد كل ذي شكل بشكله.. وكل ذي صورة بصورته.. وكل ذي لون بلونه.. وكل ذي طعم بطعمه.. وكل ذي سمع بسمعه ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وهو سبحانه الوتر الذي خلق كل وتر، وخلق كل شفع، ومخلوقاته كلها شفع ووتر.

السماء والأرض.. والليل والنهار.. والشمس والقمر.. والذكر والأنثى .. واليابس والرطب .. والخير والشر .. والنور والظلام: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يس/ ٣٦].

وهو سبحانه الوتر الذي يحب الوتر ويأمر به في كثير من الأقوال والأعمال والطاعات التي شرعها ، في الأذكار، والصلوات الخمس ، ووتر الليل ، والطهارة وغير ذلك.

عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتِرُوا ، فَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يحِبُّ الْوِتْرَ » أخرجه أبو داود والترمذي[1].

فسبحان الوتر الحق الذي لا مثيل له ولا شريك له في أسمائه وصفاته وأفعاله ، الذي تفرد بخلق المخلوقات، وإبداع البريات ، وتدبير جميع الكائنات : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ

(١) **صحيح/** أخرجه أبو داود برقم (١٤١٦) وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم(٤٥٣).

﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى/ ١١].

• التعبد لله ﷻ باسمه الوتر:

اعلم رحمك الله أن الله وحده هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، الملك الذي تفرد بالخلق والأمر، والعطاء والمنع، والبسط والقبض: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فكما خلقك الله ورزقك وأكرمك بالسمع والبصر والفؤاد، وأفردك بذلك كله ولم يشرك معك أحداً، فأفرِده بالتوحيد والعبادة، وأطعه بأداء ما أوجبه عليك من أعمال صالحة وأخلاق كريمة، واشكره على نعمه التي أنعم بها عليك: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة/ ٥].

وكما تفرد ﷻ بالعظمة والخلق والعزة والكبرياء والجلال والجبروت فأفرِده وحده بالذلة والخضوع له، والحب والتعظيم، والخوف والرجاء، والتوكل والاستعانة، وسائر أنواع العبادة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٢﴾[البقرة/ ٢١-٢٢].

واعلم أن الكريم سبحانه إذا أفردته وحده بعملك أفرد لك عنده نعيماً كاملاً خالداً، سليماً من أي عيب أو نقص، خالصاً من كل كدرٍ ونكد، فصَّل لك بعضه وأجمل لك جُلَّه؛ لأن أحداً من الخلق لا يمكنه أن يحيط بعلمه، ولا تبلغ آمالهم إلى بعضه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة/ ١٧].

فيا بشرى أهل التوحيد والإيمان والطاعات بالنعيم المقيم الذي جمع الله فيه كل نعيم: ﴿وَبَشِّرِ

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزْقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥].

وأفرد الله ﷻ لمن كفر به وعصاه عذاباً أليماً خالداً ، عارياً من أقل راحة ، مسلوباً من أي نعمة، لا يحيط به علم أحد ، ولا يقوم لأدناه صبر أحد : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ ﴾[النساء/ ٥٦].

واعلم أن ربك القادر على كل شيء أفرد لك زوجين ، نعيم وعذاب ، لزوجين ، طاعة ومعصية ، وأفرد لك أسماءها وصفاتها ، وثوابها وعقابها ، فأفرِد له الطاعة يفرد لك النعيم : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٧﴾ ﴾ [الفتح/ ١٧].

وأفرد لك سبحانه الحق من الباطل والخير من الشر فأفرِده بفعل الحق والخير ، واحذر ما يسخطه من الباطل والشر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةٗۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢٤-٢٥].

واعلم أن الله غني عن العالمين كلهم ، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه على ما جاء به رسوله ﷺ : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة/ ٥].

فلا تُوجه عملك لسواه فتخسر نفسك وعملك ودنياك وأخراك: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٢].

واختم أعمالك بالوتر حسب الشرع ؛ لما علمته من بركة الوتر وحب الله له : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ

﴿أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود/ ١١٢].

واعلم أن الله إذا أحب عملاً أعطى عليه ما لا يعطي على ما سواه، وأحب العامل به، فاطلبه واعمل به: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود/ ١١٤-١١٥].

وإياك أن تتقرب إلى ربك بعمل ليس خالصاً له، أو لم يشرعه الله ورسوله، فيرده عليك: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠].

﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة/ ١٢٩].

﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٧].

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أنتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ ». متفق عليه[1].

اللهم أنت الملك لا إله غيرك، ولا رب سواك، أنت الواحد لا شريك له، الأحد لا شبيه لك، الوتر لا مثيل لك، لن تُطاع إلا بإذنك، ولن تُعصى إلا بعلمك، تُطاع فتشكر، وتُعصى فتغفر، فلا إله إلا أنت.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، يا أرحم الراحمين.

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له.

السبوح

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : « سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ » أخرجه مسلم [1].

الله ﷻ هو السبوح المنزه عن كل عيب ونقص وسوء ، البريء من النقائص والآفات والعيوب،المنزه عن الشريك والمثيل والشبيه وكل ما لا يليق بجلاله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

وهو سبحانه السبوح رفيع الذكر والصفات ، الذي سبَّحه الوجود كله ؛ لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان الملك القدوس الذي يقدسه ويسبح بحمده كل من في العالم العلوي وكل من في العالم السفلي ، في جميع الأوقات ، بمختلف اللغات ، وأنواع الأصوات : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور/ ٤١].

وسبحان من له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، السبوح القدوس الذي ليس له مثيل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الموصوف بجميع المحامد، المنزه عن جميع العيوب والنقائص ، الملك الحق الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

هو السبوح الذي يسبح بحمده جميع خلقه ، وبحمده أسبحه وأنزهه عن جميع ما لا يجوز عليه من نقائص البشر وآفات المُحْدث وكل ما يستحيل عليه ولا يليق بجلاله : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٧) .

﴿إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٣-٢٤].

وأسبحه بمحامده مع المسبحين بحمده في السماء والأرض: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة/ ١].

فما أعظم تسبيح الرب ﷻ، وما أيسر أداءه، وما أعظم ثوابه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلتانِ في المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ » متفق عليه[1].

• التعبد لله ﷻ باسمه السبوح:

اعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الله وحده لا شريك له هو الذي يستحق التكبير كله، والتحميد كله، والتسبيح كله، والتعظيم كله؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

فانظر رحمك الله إلى جميع أسماء الله وصفاته فسبحه بها، وادعه بها، ونزهه عن أضدادها: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١٠-١١١].

سبح بحمد ربك العظيم الذي له العزة والعظمة والكبرياء والجبروت، وله الخلق والأمر في الملك والملكوت: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦٨٢)، ومسلم برقم (٢٦٩٤).

وسبح بحمد ربك الأعلى بالقول والفعل ، واملأ الكون بتسبيحه وحمده كما ملأه لك بفضله ورزقه : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى (١) ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ (٥)﴾ [الأعلى/ ١-٥].

واعلم رحمك الله أنه لا يصح لمسبح حقيقة التسبيح حتى يتنزه عن الأوصاف الذميمة ، فينزه نفسه عن الشهوات المحرمة ، ومطعمه من الحرام ، وأعماله من الرياء ، ولسانه عن القبيح، وقلبه عن النفاق والرياء وسيء الأخلاق : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

وإذا صَفَت نفسك وأعمالك من كل سيء ومذموم فقد وصلْت: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٩٨) وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ (٩٩)﴾ [الحجر/ ٩٨-٩٩].

فارفع التحميد والتمجيد والتكبير والتسبيح لربك العظيم في كل حين فإنه لا يستحق ذلك إلا الواحد الأحد ، العظيم الذي شهدت الكائنات بعظمته ، الكريم الذي ملأ الكون بنعمه ، وسبحت جميع المخلوقات بحمده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)﴾ [الإسراء/ ٤٤].

ارفع لربك التحميد مرة مفرداً ومرة مقروناً بالتسبيح ، فهو أهل أن يُحمد ويُسبح بحمده.

فالمفرد مثل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢) ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣) مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ (٤)﴾ [الفاتحة/ ٢-٤].

ومثل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾ [فاطر/ ١].

ومثل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢)﴾ [الكهف/ ١-٢].

ومثل: « اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَمِلْءُ الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ

بَعْدُ ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالمَجْدِ،لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ ». متفق عليه(١).

والمقرون بالتسبيح مثل:(سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ ، عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ) أخرجه مسلم (٢).

ومثل: « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ ، وَتَعَالَى جَدُّكَ » أخرجه أبو داود والترمذي(٣).

فما أعظم شأن التسبيح والتحميد لربنا العظيم ، وما أجزل ثواب ذلك ، وما أنفعه للعبد : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر/ ٣].

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ ، وَالحَمْدُ لله تَمْلأُ المِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ الله وَالحَمْدُ لله تَمْلآنِ – أَوْتَمْلأُ – مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ» أخرجه مسلم(٤).

وتسبيح اللسان إذا صدر عن سكينة الإيمان حسن ، لكنه ليس كتسبيح صادر عن قلب سابح في بحار عوالم الملك والملكوت: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٩٠-١٩١].

فسبحان الملك الحق الذي يسبح بحمده العرش وحملته ومن حوله، وتسبح بحمده السموات السبع والأراضون السبع وما فيهن وما عليهن وما بينهن، وتسبح بحمده كل ذرة في ملكه العظيم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر/ ٧].

واعلم أن الناس في معرفة تسبيح المخلوقات من الجمادات ، والنباتات ، والحيوانات درجات :

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٩٦) ومسلم برقم (٤٧٨) واللفظ له.

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٧٢٦).

(٣) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٧٧٥) والترمذي برقم (٢٤٣).

(٤) **أخرجه مسلم** برقم (٢٢٣).

الأولى: الإيمان بأن كل مخلوق يسبح بحمد ربه، وهذه يعلمها كل مؤمن.

الثانية: شهادتها على نفسها بالنقص ، ولخالقها بالكمال مع التعظيم والتحميد والتمجيد لبارئها ، وهذه يعلمها أولو الألباب : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد/ ١٩].

وللكائنات تسبيح باطن يعلمه ويسمعه منها خالقها الذي: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وقد يُسمع الجبار ﷻ مَنْ شاء من عباده تسبيح بعض مخلوقاته كما أسمع داود ﷺ تسبيح الجبال والطير: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء/ ٧٩].

وكما أسمع سليمان ﷺ منطق الطير والنمل ، وكما أسمع محمداً ﷺ حنين الجذع في المسجد ، وشكوى الجمل، وتكليم ذراع الشاة له، وسلام الحجر عليه بمكة وغير ذلك.

فسبحان الرب المعبود بكل مكان يليق بجلاله ، الذي يسبح بحمده كل لسان ، سبحانه وبحمده لا نحصي ثناء عليه ، إليه نسعى ونحفد ، وله نصلي ونسجد : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين، وحزبك المفلحين، مع الملائكة المقربين المسبحين الذين: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٢٠].

سبحان الله وبحمده، له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، والمثل الأعلى.

هو العليم القدير المنزه عن النسيان والغفلة، وعن العجز والتعب واللغوب .

هو الحي القيوم المنزه عن السِّنة والنوم والموت ، القائم على كل نفس .

هو الحكيم المنزه عن العبث والسفه ، هو الغني المنزه عن الحاجة إلى غيره ، هو الكريم الحق المنزه عن البخل والظلم : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

هو الرحمن المنزه عن الظلم والقسوة.. وهكذا الحال في جميع أسمائه وصفاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٧].

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ أنتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الحَمْدُ أنتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحَمْدُ أنتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، أنتَ الحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ الحَقُّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ .

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أنتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أنتَ » متفق عليه[1].

اللهم لك الملك كله ، ولك الخلق كله ، ولك الحكم كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، علانيته وسره ، لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، وأنت القوي ونحن الضعفاء ، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

الطيب

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ ، فَقَالَ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾» أخرجه مسلم(1).

الله ﷻ هو الطيب الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته، المنزه عن جميع النقائص والآفات والعيوب ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه الطيب الذي هدى عباده المؤمنين إلى كل طيب من الاعتقاد والقول والعمل والخلق ، فأطيبه كلمة التوحيد والإخلاص ، ثم سائر الأقوال والأعمال والأخلاق الطيبة التي يطيب بها العبد ويزكو : ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحج/ ٢٤].

وهو سبحانه الطيب الذي أسماؤه أطيب الأسماء .. وصفاته أطيب الصفات.. وأفعاله أطيب الأفعال .. وكلامه أطيب الكلام .. ودينه أطيب الأديان ، وثوابه أحسن الثواب.

وهوسبحانه الطيب الذي لايقبل من الأقوال والأعمال إلاما كان طيِّباً،وطِيْبه أن يكون خالصاً لله وحده، على ما جاء به رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف/ ١١٠].

وهو سبحانه الطيب الذي لا يصعد إليه إلا الطيب ، ولا يَقْرب منه إلا الطيب: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾ [فاطر/ ١٠].

ودينه الحق كله طيب كامل في عقائده ، وأحكامه ، وآدابه ، وسننه ، وشرائعه : ﴿ٱلْيَوْمَ

---

(1) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥).

﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣].

فعقائده هي الإيمان وأركانه التي تَطِيب بها النفوس وتزكوا ، وتطمئن بها القلوب وتسكن : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

وأحكامه أطيب الأحكام وأحسنها وأعدلها، وآدابه أطيب الآداب التي تصلح بها أحوال الدنيا والآخرة: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة/ ١٥-١٦].

والمؤمن كله طيب قلبه ولسانه وجوارحه بما سكن في قلبه من التوحيد والإيمان، وبما ظهر على لسانه من الذكر والحمد والتسبيح والقول الحسن، وبما ظهر على جوارحه من الطهارة ، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

ولما طاب المؤمن في هذه الدار أكرمه الله يوم القيامة بدخول دار الطيبين: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[النحل/ ٣٢].

ومن طاب قلبه في الدنيا بمعرفة الله ومحبته وخشيته وتقواه ، وطاب لسانه بذكره ، وطابت جوارحه بالعمل الصالح ، أسعده الله في الدنيا، وأدخله الجنة في الآخرة ؛ لأنها الدار الطيبة التي لا يستحقها ولا يليق بها إلا الطيبون: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٧٣].

فسبحان الكريم الذي وعد عباده المؤمنين والمؤمنات بالحياة الطيبة في الدنيا والجنة في الآخرة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل/ ٩٧].

واعلم أن الدور يوم القيامة اثنتان :

دار الطِّيْب المحض وهي الجنة: وهي لكل من جاء بطيب لا يشينه خبث ، وهم المؤمنون الكُمَّل ، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، ثم من اتبعهم بإحسان.

ودار الخبث المحض وهي النار: وهي لكل من جاء بخبث لا طِيْب فيه وهم الكفار والمشركون والمنافقون ، وفي مقدمتهم إبليس وجنوده من شياطين الإنس والجن .

ومن معه طِيْب وخبث وهم عصاة المسلمين ، فهؤلاء من دخلها منهم عُذِّب بقدر ذنوبه ، ثم أُخرج إلى الجنة : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم/ ٧١-٧٢] .

وهاتان الداران موجودتان باقيتان لا تفنيان أبداً ، وأهلهما مخلدون فيهما أبداً.

الجنة دار الطِّيب المحض .. والنار دار الخبث المحض ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء/ ١٣-١٤].

واعلم رحمك الله أن الطيب من كل شيء جوهره ونفيسه ، وهو ما سلم من الخبث كله ، وجمع الطيب كله.

والطِّيب قريب من معنى الطهارة ، وفي الطيِّب معنى زائد على الطهارة .

فالطهارة عبارة عن ذهاب النجاسة، والطيب فيه شيء زائد على الطهارة، وهو في الشم طيباً، وفي الأفعال جودة وحسناً.

فالأعمال الصالحة متى ألْفَت بفاعلها رجساً طهَّرته، وإن لم تجد ما منه تُطهره طيَّبته ؛ ليلقى ربه طاهراً طيباً : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النحل/ ٣٢].

وضد الطيب الخبيث، وفي بني آدم خُبْث كخَبَث الحديد والذهب والفضة، وهو حظ

الشيطان من أحدنا ، يَطْهر بالإيمان ، ويَطِيب ويزكو بالتقوى ، كما يَطْهر خَبَث الحديد بالنار ، فطهر نفسك منه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

واعلم أن مكان الشيطان في الإنسان على موضع الخبث يزينه ويزيده ، ليزداد الإنسان خبثاً بعد خبث ورجساً بعد رجس بالشرك والكفر ، والكذب والكبر ، والحسد والحقد، والبخل والطمع وغيرها من مساوئ الأخلاق: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر/ ٦].

وعن صفية رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج معها فلقيه رجلان من الأنصار فقال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ،وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي أَنْفُسِكُمَا شَيْئاً». متفق عليه(١).

واعلم أن من أراده الله برحمته يسر له أسباب الهداية ، وفتح له أبواب المعرفة ، ونقله من الشرك إلى التوحيد ، ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن الشر إلى الخير ، ومن المعاصي إلى الطاعات : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

ثم يجعل ما كان له من خلق مذموم محموداً على مراد ربه :

فيجعل كبره على أعداء الدين .. وحرصه على طاعة ربه .. وإباءه عن معاصيه .. وبطشه بمن أصر على الكفر .. وحسده على الخير والحكمة وبذل النفس والمال في ذات الله : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾ [الفتح/ ٢٩].

فسبحان الحكيم العليم الذي يبدل عبده بسيئاته حسنات ، ليحييه بذلك حياة طيبة ، ويزيل عنه خبث باطنه ، ورجس أعماله الظاهرة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٣].

والله سبحانه هو الطيب الذي يزكي بالمحامد والمحاسن من يشاء من عباده، ويزكي

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٢٠٣٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٧٥).

قلوبهم بالتوحيد والإيمان والتقوى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور/ ٢١].

هو الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته، الطيِّب القدوس في جميع أسمائه وصفاته، الذي له المثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٦-٢٧].

فسبحان الملك القدوس الطيب الذي لا تلحقه الآفات، ولا يليق به نقص، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

أفمن هو جبار لا نقص فيه كمن هو مجبور لا غناء به! ومن هو كبير لم يزل كمن هو حقير لم يكن! أيستوي المَلك والمملوك! والخالق والمخلوق! والرازق والمرزوق!: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

كل المخاليق أبان بجبروته ﷻ، وأخبر بدوام ملكوته، وشهد بوحدانيته.

والكل يسبح بحمده لطهارة قدسه وطِيْب أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة/ ١].

• التعبد لله ﷻ باسمه الطيب:

اعلم غفر الله لنا ولك أنه يجب على كل من ذكر الله باسم من أسمائه الحسنى أو أثنى عليه بصفة من صفاته العلى أن يطالب نفسه بمقتضى ذلك الاسم، وموجب تلك الصفة، بما يُرضي ربه عنه.

فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته فلا يقف بنفسه على العلم به دون العمل له، والتعبد لجلاله بما يحبه من أسمائه وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فاجهد نفسك أيها المؤمن في العلم بأسماء الله وصفاته ، واستعمل نفسك بمقتضاها.

فإذا ذكرت الرحمن فتذكر ماذا عندك من الرحمة؟ وكم رحِمْت من الخلق؟ وتعبَّد لله بصفة الرحمة لأهل الأرض يرحمك من في السماء.

وإذا ذكرت العليم فتذكر ماذا عندك من العلم ؟ وكم علَّمت من الخلق من شريعة الله ؟ وتعبَّد لله بصفة العلم يورثك التقوى والخشوع له: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٨].

ونزِّه نفسك عن الصفات السيئة، والأفعال المذمومة، وطيِّب نفسك وزكِّها بكل عمل صالح وخلق حسن تسعد وترضى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

ومن أعظم التزكي العمل بطاعة مولاك الحق لتتزكى بذلك عنده وتقرب منه: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [فاطر/ ١٨].

واعلم أن الزكاة استواء ظاهر الشيء وباطنه جودة وحسنا، والنهوض إلى الخيرات صعوداً بكل عمل طيب زكيّ صالح : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى/ ١٤-١٥].

واعلم أنه لا يكون عن الطيب سبحانه إلا كل شيء طيب، ولا يكون عن الخير إلا الخير ، وأفعال الله كلها خير ورحمة وإحسان ، وهو المحمود على أسمائه وصفاته وأفعاله وإنعامه : ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١٠-١١١].

فاجتهد على أن يخرج منك كل عمل طيب يرضى به ربك الطيِّب مِنْ ذِكرٍ وشكر، وحسن عبادة ، وأمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر، وإحسان إلى الخلق : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

واعلم أنك لن تنال البر والمقام الأسنى إلا ببذل كل طيب من الأوقات والأموال والأقوال

والأعمال في مرضاة الله وفي سبيله: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران/ ٩٢].

واعلم أن ما عملته من طيب أو خبيث مثبت في صحائفك، وأنت مرتهن بقولك وفعلك، وأنت عما قليل راجع إلى ربك الذي لا يقبل إلا الطيب من كل شيء.

فاختر رحمك الله من العمل ما طابت ثمرته وسرك رؤيته: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

واعلم أن التزكي المشروع يكون بالتطهر من الأدناس والآثام، والتطيب بطاعة الله وصالح الأعمال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل/ ٣٦].

ومن أراد تمام التزكي فكل خُلُق في القرآن محمود يفعله، وكل خُلُق في القرآن مذموم يحذره: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل/ ٨٩].

واعلم أن التطهر من الخبث الخُلقي ليس من قبيل الاكتساب؛ لأنه تركيب في الخلقة، فاسأل الله أن يطهر قلبك منه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

لكن الكريم سبحانه ما خلق داء إلا جعل له دواء، ولا أغلق غَلْقاً إلا وجعل له مفتاحاً: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢].

وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ الله عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه مسلم[1].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٤).

ومفتاح هذا الغَلْق ودواء هذا الداء الدعاء والتضرع إلى من بيده مفاتيح كل شيء أن يزيله ويبدله بخير منه، والتبري من الحول والقوة، وانتظار الفرج من عند الله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن/ ١٣].

وقُطْب ذلك كله معرفة الرب بأسمائه وصفاته، ومعرفة ما يجب له، ومعرفة النفس وما يجب عليها، ومخالفة الهوى، ولزوم الطاعات، والفرار من المعاصي، والبعد عن مواضع الآثام والفواحش: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

وتوسل إلى ربك بأحسن الوسائل وأحبها إليه، وتحيَّن وقت رقة قلبك، وناج ربك بلسان الافتقار، وتضرع إليه بصدق الانكسار، وقِفْ بين يديه بجلال الاضطرار: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٩-٩٠].

وابك على تقصيرك وجهلك بربك إذا أتاح لك البكاء عند مناجاته: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم/ ٥٨].

واعتذر إليه من عجزك فإنك لا تدري متى تكون الاستجابة، وأفضل العبادة انتظار الفرج مع لزوم الدعاء: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٣-٨٨].

رزقنا الله وإياك والمسلمين حسن هدايته، ولا حرمنا كريم إجابته: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)﴾ [البقرة/ ١٨٦].

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨)﴾ [نوح/ ٢٨].

﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا (٨٠)﴾[الإسراء/ ٨٠].

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُبِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، وَالهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكِّهَا أنتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أنتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا » أخرجه مسلم[1].

اللهم حبب إلينا الإيمان ، وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين.

اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة ، إنك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور.

اللهم أحينا مسلمين ، وتوفنا مسلمين ، غير خزايا ولا مفتونين ، يا رب العالمين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

الجميل

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ » قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ :« إِنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ ، الْكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ ، وَغَمْطُ النَّاسِ » أخرجه مسلم[1].

الله جل جلاله هو الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فأسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها عليا، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

وجمال ذاته عز وجل أمر لا يدركه سواه، ولا يَعْلمه غيره ، وهو محجوب بستر العظمة والعزة والكبرياء والنور .

عن أبى سعيد الخدري وأبى هريرة رضي الله عنهما قالا :قال رسول الله ﷺ : « الْعِزُّ إِزَارُهُ ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ ، فَمَنْ يُنَازِعُنِى عَذَّبْتُهُ » أخرجه مسلم[2].

وهو سبحانه الجميل الحق الذي لا منتهى لجماله ، الجميل الذي لا أجمل منه ، الجميل الذي يملك خزائن الجمال، الجميل الذي خلق الجمال في كل جميل، الجميل الذي وهب الجمال الظاهر والباطن لمن شاء من خلقه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر/ ٢٢-٢٤].

وهو سبحانه الجميل الذي كل جمال في العالم فمن آثار صنعه ، الجميل المحسن إلى عباده بكل جميل ، واهب الجمال والحُسْن والزينة لكل مخلوق: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة/ ٦-٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠).

جمَّل الأرض بكل جميل من المياه ، والنبات ، والأزهار ، والثمار ، والسهول والجبال والبحار ، والأنهار والشجر ، والدواب : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف/ ٧].

وجَمَّل السماء الدنيا بالنجوم والمصابيح ، والشمس والقمر: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾ [الملك/ ٥].

وجَمَّل القلوب بالتوحيد والإيمان، وجَمّل الأجساد بالطاعات والأخلاق: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾

[الحجرات/ ٧-٨].

فسبحان من خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم جَمَّله بالدين: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾

[التين/ ٤-٦].

وهو سبحانه الجميل الذي يستحق أن يُعبد لذاته ، ويُحَب لذاته ، ويُحمد لذاته : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[مريم/ ٦٥].

فكيف إذا انضاف إلى ذلك حسن أسمائه ، وعلو صفاته ، وجمال أفعاله وإحسانه وإنعامه ، وعفوه وبره ، ورحمته وحلمه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه/ ٨].

وهو سبحانه الجميل المحمود على حسن أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[القصص/ ٧٠].

فكل جمال ظاهر أو باطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعه وجماله .

واعلم أن معرفة الله بالجلال والجمال من أعز أنواع المعرفة ، وأعظمها شأناً: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة/ ٩٨].

فسبحان الملك الحق الذي له الكبرياء كله، وله العز كله، وله الجمال كله، وله الإحسان كله، وله

الحمد كله، وله الفضل كله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

واعلم أن الجميل الحق سبحانه بجماله السَّنِيّ البهيّ يراه المؤمنون في الجنة ، فيرون حُسناً لا يُتوهم وصفه ، وجمالاً لا يُقْدر قدْره ، ينسون معه كل جميل ونعيم ، جعلنا الله وإياكم منهم : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

ويرى المؤمنون بالله جلاله وجماله في هذه الدنيا ببصائرهم بواسطة آياته ومخلوقاته الدالة عليه ، وعلى أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى.

فيكاشف قلوبهم مرة بوصف جلاله، ومرة بوصف جماله ، ولحقائق جلاله وجماله سلطان يغلب القلوب فتخضع وتخشع، وتخر وتبكي، وتسبح بحمد ربها العلي العظيم ، كلما نظر المؤمنون في آياته الكونية ، وآياته الشرعية ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء/ ١٠٧-١٠٩].

اتصف جل جلاله بأحسن الأسماء والصفات والأفعال ، وخَلَق الأشياء بحُسنٍ وجمال وزينة.

أوجد الخير كله .. وتنزه عن الشر كله .. وتجمل بالحسن كله : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].

أوجد الشر كله لا لنفسه بل لعلة الابتلاء: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

فكل خير وحق وحسن وجمال في العالم كله أوجده الله من نفسه لنفسه ؛ لأن ذلك كله منه ، وهو يحبه ويرضاه سواء كان في الذوات أو الأفعال ؛ لأنه الجميل الذي يحب كل جميل ، ويأمر بكل جميل ، ويثيب على كل جميل أجمل منه في المقدار والمقام : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥].

وكل جميل خلَقه الله وأحدثه أوجد له ضداً من القبيح ، ليس لكماله وجماله ، بل ليميِّز به

الحَسن من القبيح ، والمحمود من المذموم ، ولينذر بالقبيح عن الشكل والفعل القبيح ، وليدل به على قدرته ﷻ في خلق المتضادات كالخير والشر ، والحسن والقبيح ، والجنة والنار ، والأبرار والفجار : ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور/ ٤٥].

فسبحان من خلق كل جميل ورغَّب فيه وأمر به ، وخلق كل قبيح وحذر منه ونهى عنه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

واعلم أن ما خلقه الله من الجمال ، وما وهب لعباده منه قسمان:

جمال ظاهر.. وجمال باطن.

فالباطن منه: أعظمه التوحيد والإيمان والإحسان، والعلم بالله، والمحبة له، والتعظيم له، والتوكل عليه، والخوف منه، والرجاء له، والزهد في الدنيا ، والرغبة في الآخرة ، وحسن الخلق ، ومعرفة الحق ، وما يدل عليه ويشهد له : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

والظاهر : الطاعات لله ورسوله ، والأعمال الصالحة كلها من صلاة وزكاة ونحوهما : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١].

فالباطن جمال القلوب ، والظاهر جمال الجوارح ، وهذا مراد الله من خلقه : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة/ ١٣٨].

فما تزين به العبد منها على وجهه الشرعي فهو جمال وحسن وزينة عند الله ﷻ ، يقبله ويثيب عليه بأحسن منه: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس/ ٢٦].

ومن ظاهر الزينة حلي الذهب والفضة، والبساتين والأشجار، والأزهار والثمار، وحُسن الصور، وحُسن الأصوات، وهذا ليس بجمال إذا انفرد عن الجمال الباطن، وإنما هو زينة وزخارف ومتاع الحياة الدنيا ، خلقه الله إكراماً لبني آدم ، وجعله دليلاً على ما في الجنة من أنواع النعيم ليشكروه ويعبدوه : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٤].

وأجمل من ذلك كله الإيمان والتقوى الذي ثمرته رضوان الله وجنة المأوى : ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥].

فسبحان جميل الأفعال بعباده ، يطعمهم ويسقيهم ، ويرزقهم ويعافيهم ، ويكلفهم باليسير من العمل ويعين عليه ، ويثيب عليه بأفضل منه: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

وقد خلق الله البشر متفاوتين في الحسن ، والجمال ، والأعمال ، والأخلاق.

فأعطى الجميل سبحانه سيد الأولين والآخرين محمداً ﷺ حظاً وافراً من الجمال والحسن الظاهر والباطن ، فهو أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً ، وأفضلهم سيرة ، وسريرة وكان خُلقه القرآن ، يتأدب بآدابه ، ويعمل بأحكامه ، ويدعو إلى فضائله، ولهذا مدحه ربه وأثنى عليه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤].

وهو ﷺ أسوة لكل مسلم في نيته وأقواله وأعماله وأخلاقه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١].

وهو سبحانه الجميل الذي يحب الجمال والتجمل في غير إسراف ولا مَخِيْلة ولا بَطَر ولا كبر ، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف/ ٣٢].

فسبحان الجميل الذي كل جمال في المخلوقات من آثار جماله.

جَمَّل السماء بالنجوم .. وجَمَّل الأرض بالنبات .. وجَمَّل الجو بالهواء .. وجَمَّل الشمس بالضياء .. وجَمَّل القمر بالنور .. وجَمَّل الملائكة بالطاعات .. وجَمَّل الإنسان بالإسلام.

وجَمَّل القلوب بالإيمان.. وجَمَّل الجوارح بالأعمال الصالحة .. وجَمَّل الدنيا بالدين .. وجَمَّل الآخرة بالجنة .. وجَمَّل الجنة بكل جميل ونعيم : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [غافر/ ٦٢].

ثم أظهر ذاته وجماله لعباده الذين تجملوا له في الدنيا بطاعته: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٧].

فسبحان الجميل الذي جَمَّل الدنيا بالدين ، وجَمَّل الجنة برؤية وجهه الكريم ، الذي إليه منتهى الكمال والجلال والجمال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لا تُضَامُونَ في رُؤْيَتِهِ » متفق عليه[1].

• التعبد لله عز وجل باسمه الجميل:

اعلم وفقك الله لكل خير أن الجمال والحسن من الأقوال والأعمال والأخلاق هو ما رضيه الله وحَسَّنه لا غير : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة/ ٣].

فاعمل عليه ، واجتنب ضده: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر/ ٧].

واعلم أن الله جميل يحب الجمال والتزين ظاهراً وباطناً.

فتزين لربك بالإيمان والطاعات ، وحُسن اللباس والطيب ، وجميل الصفات والأخلاق.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٦)واللفظ له، ومسلم برقم (٦٣٣).

واعلم أن الناس في التجمل الظاهر ثلاثة أقسام:

فمنهم مَنْ حَسَّن ثوبه ، ورَجَّل شعره ، وطيَّب ريحه ، ونظَّف بدنه ، وتجمَّل بذلك باقتصاد لربه الجميل ﷻ ، وهذه طريقة الشاكرين الذين أظهروا نعمة الله عليهم ، وعليها درج الكثير من الصحابة والتابعين ، ولكلٍ منهم ثوابه بقدر نيته.

ومنهم من لزم البذاذة والشَّعث ، واحتمل التفث في الهيئة إلا ما أقام به السنة ولو وجد حلالاً ؛ زهداً في التنعم ، وإيثاراً لشظف العيش ، حتى لا يشغله التنعم عن ربه، وهذه طريقة الخائفين الذين قدَّموا كل شيء إلى الآخرة ، وعلى ذلك دَرَج الخلفاء الراشدون ، وكثير من الصحابة والتابعين ، ولكلٍ منهم ثوابه بقدر نيته.

ومنهم من يتقلب بين هذا وهذا ، إذا وجد تنعَّم، وإذا فقد احتمل ، وهذه كانت سنة إمام المتقين ، وطريقة سيد المرسلين ﷺ.

فقد كان ﷺ يلبس الحلة الحمراء تارة .. ويلبس الرداء الغليظ تارة .. ويركب الفرس تارة .. ويركب الحمار تارة .

وكان يأكل اللحم تارة.. ويأكل العصيد تارة .. ويجوع مرة.. ويشبع مرة.. لا يتكلف في مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه ومركبه ؛ لأنه يعلم أن الله أحق أن يتزين له.

وقد آتاه الله من التقى وحُسن الخلق وحُسن السمة ما لا تبطره به النعمة ، ولا يقعده الفقر عن العمل لربه فصلوات الله وسلامه عليه .

فسَنّ لنا ﷺ بفعله الطرق الثلاث ، والفوز والنجاة بالاقتداء به: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب/ ٢١].

واعلم أن الجمال كله بالاستقامة على أوامر الله فيما بين العبد وربه ، وفيما بينه وبين خلقه ، وتلك حقيقة الزينة العليا ، والحُسن الذي يتجمل به العبد في هذه الدنيا : ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾[آل عمران/ ١٥-١٧].

فجمِّل نفسك وأعمالك وأخلاقك لربك تجد ثوابه يوم القيامة حُسن الوجوه ، وحسن النعيم ، وغاية الجمال ، فالمؤمنون يصورهم ربهم في الحسن على حسب درجات إيمانهم وأعمالهم وأخلاقهم: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس/ ٢٦].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً » متفق عليه[١].

والكفار يصورهم ربهم على حسب درجات كفرهم ومعاصيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يونس/ ٢٧].

واعلم أن الله جميل يحب الجمال فتجمل له بما يحبه ويرضاه.

واعرف جمال ربك بأسمائه وصفاته وأفعاله الجميلة ، وكن كريماً يحبك الكريم ، جميلاً يحبك الجميل ، عفواً يحبك العفُوّ ، وتعبَّد لربك بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

واعبد ربك الكريم بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق.

جَمِّل لسانك بالصدق ، وجَمِّل قلبك بالإيمان والإخلاص والمحبة والتوكل والإنابة ، وجَمِّل جوارحك بطاعة الله ورسوله ، وجَمِّل بدنك بالنظافة وحسن اللباس ، وتجمل لمن خلقك في أحسن تقويم بإظهار نعمة الله عليك:«إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ » أخرجه مسلم[٢].

واعرف ربك بالجمال الذي هو اسمه ووصفه ، واعبده بالجمال الذي هو دينه وشرعه، وذلك من شكره على نعمه، ومن الجمال الذي يحبه ويأمر به : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٧].

وعرِّف الناس بالجميل سبحانه تزداد إيماناً ونوراً ، وانشر جمال هذا الدين بسننه وآدابه

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٩١) .

وأحكامه في العالم تكن ربانياً : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

واعلم أن الجميل سبحانه يحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالزينة والطيب واللباس ، والجمال الباطن بالإيمان وشكر المنعم والتقوى فتجمَّل بذلك كله : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٦].

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر/ ١٠].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لي دُنْيَايَ الَّتِي فيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لي آخِرَتِي الَّتِي فيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الحَيَاةَ زِيَادَةً لي في كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الموْتَ رَاحَةً لي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم[1].

اللهم يا من يملك الجمال كله ، وبيده الأمر كله ، زين قلوبنا بالإيمان واليقين ، وجمِّل ألسنتنا بذكرك وشكرك ، وجمل جوارحنا بحسن عبادتك وطاعتك ، وجمل أوقاتنا بأنواع البر والعمل الصالح.

اللهم يا من أظهر الجميل ، وستر القبيح ، يا عظيم العفو ، يا حسن التجاوز ، يا واسع الرحمة ، يا واسع المغفرة ، يا واسع العلم ، يا سامع كل نجوى ، يا منتهى كل شكوى ، يا كريم الصفح ، يا واسع الفضل ، نسألك العفو والعافية ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أكرم الأكرمين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

النـور

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، هل رأيت ربك؟ قال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» أخرجه مسلم[1].

الله عز وجل هو النور الحق الذي أنار كل شيء ظاهراً وباطناً، فهو النور، ومنه النور، يهدي بالنور الظاهر الأبصار الظاهرة إلى المبصَرات الظاهرة، ويهدي بالنور الباطن البصائر الباطنة إلى المعارف الباطنة: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

وهو سبحانه النور الذي بَصَّر الأبصار والبصائر بالنور، وأنار به الآفاق والأقطار، والعالم العلوي والعالم السفلي: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور/ ٣٥].

وهو سبحانه النور المبين الذي نوره لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه؛ لعظمة نوره الذي لا منتهى له.

والمخلوقات كلها لا تطيق الثبوت لنور وجهه لو تَبدَّى لها: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف/ ١٤٣].

هو سبحانه النور الظاهر بنفسه، المظهر لغيره من ظلمة العدم إلى نور الوجود.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨).

فسبحان النور الظاهر بذاته ، المظهر لكل ما سواه من مخلوقاته وآياته : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٧].

هو سبحانه النور الهادي الذي يرشد بهدايته من يشاء من عباده ، فيبين له الحق ، ويلهمه اتباعه .

هو سبحانه النور الظاهر الذي ظهر به كل ظاهر .

هو سبحانه النور الذي نَوَّر الكون كله بنوره الذي وسع كل شيء ، ونَوَّر المخلوقات الظاهرة بالشمس والقمر والنجوم ، ونَوَّر القلوب بالتوحيد والإيمان .

واعلم أن الله نور إن اتصلت به أعطاك من نوره ما يدلك عليه ، ويعينك على عبادته ، ويهديك إلى سبل مرضاته : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النور/ ٤٠].

ومن ملأ الله قلبه بنور الإيمان أبصر الطريق فوراً ، وأحسن التصرف ، وقال القول الحسن ، وعمل العمل الحسن ، وتخلَّق بالخلق الحسن .

وإذا خلا قلب العبد من نور الإيمان خَبَط خَبْط عشواء ؛ لأنه أعمى فأساء التصرف ، وأساء القول ، وأساء العمل : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

فسبحان النور الذي نُور السموات العلى كلها من نوره، بل نور جنات النعيم التي عرضها السموات والأرض من نوره، بل نور العرش والكرسي وجميع الجنات من نوره ، ونور الشمس والقمر والكواكب من نوره « حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » أخرجه مسلم[1].

وهو سبحانه النور الحق الذي نَوَّر قلوب أنبيائه وأوليائه وملائكته بأنوار معرفته بأسمائه وصفاته وأنوار محبته حتى امتلأت قلوبهم بالأنوار المتنوعة ، والعلوم النافعة ، وخرَّت خاشعة لعظمة ربها ، ونورجلاله وجماله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾[الأنعام/ ١].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

فسبحان من تعَرَّف إلى عباده بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، ونعمه التي لا تحصى ، ليحبوه وحده ، وليعبدوه وحده ، وليعظموه وحده : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فمعاني العظمة والجبروت والجلال والكبرياء والقوة والقهر تملأ قلوب المؤمنين بأنوار الهيبة والتعظيم والإجلال للجبار القوي القهار جل جلاله .

ومعاني الجمال والبر والإحسان والإكرام تملأ قلوبهم بأنوار المحبة والود والشوق إلى مولاهم تبارك وتعالى.

ومعاني اللطف والرأفة والرحمة تملأ قلوبهم بأنوار الحب والحمد والشكر للمولى عز وجل .

ومعاني العلم والإحاطة والمشاهدة والمراقبة والقرب تملأ قلوبهم بأنوار مراقبة ربهم ، والخوف منه وطاعته ، وتوصلهم إلى مقام الإحسان .

وجميع أسماء الله الحسنى وصفاته العلى تملأ القلوب بأنوار التعظيم والحب ، وحسن التعبد لله ، والتعلق التام بالله وحده ، وعدم الالتفات إلى ما سواه : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

واعلم أنه إذا امتلأ قلب المؤمن بنور التوحيد والإيمان واليقين فاض على الوجه فاستنار الوجه ، واطمأن القلب ، وانقادت الجوارح لطاعة الله ، وقيَّدها هذا النور عن معصية الله: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [التغابن/ ٨-٩] .

فسبحان النور الحق الذي أسماؤه وصفاته كلها نور ، وكتبه كلها نور ، ورسله كلهم نور ، وأولياؤه كلهم نور ، ودينه نور ، ودار كرامته نور: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد/ ١٢].

واعلم أن المؤمنين كما يتفاضلون في الدنيا في معرفة هذه الأنوار كذلك يتفاضلون في الآخرة في رؤيتهم ربهم ﷻ بحسب ما حصلوه من النور في الدنيا.

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلةً - يعني البدر - فقال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ» متفق عليه[1].

واعلم أن النور قسمان:

نور ظاهر.. ونور باطن.

فالباطن إذا دخل في قلب العبد انفسح وانشرح واتسع فاتسع العلم، وحصل اليقين، وزاد الإشراق، ونشطت النفس والجوارح للعمل بالطاعات، وكفت عن المعاصي والسيئات.

وكل سبيل يؤدي إلى مقصود ظاهر أو باطن من الخير فهو من هذا النور.

فالله ﷻ نور.. والقرآن نور.. ورسوله نور.. وآيات الله الكونية والشرعية كلها نور: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

ومتى حَلّ نوره ﷻ بمكان طرد عنه كل الظلمات وأبعد عنه الكُدْرة، فإن كان الجسم صقيلاً أشرق وكان سراجاً يضيء به ما حوله كالشمس والقمر: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧﴾ [فصلت/ ٣٧].

واعلم أن الحكيم ﷻ لما أنزل الحق جعل ضده الباطل، ولما أوجد النور أوجد الظلام، فإذا جاء النهار أذهب الليل، وإذا جاء النور طرد الظلام: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥١﴾ [الذاريات/ ٤٩-٥١].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٥٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٦٣٣).

وإذا جاء الحق زهق الباطل: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء/ ٨١].

وقد خلق الله ﷻ الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق آدم من تراب.

فخلق سبحانه الجان من نار السموم ، وخلق آدم من تراب : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحجر/ ٢٦-٢٧].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: « خُلِقَتِ المَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ،وَخُلِقَ آدَمُ مِماَّ وُصِفَ لَكُمْ » أخرجه مسلم[1].

وإبليس من الجان ، أضله الله من بينهم ولعنه حين استكبر وكفر بالله ، وطرده سبحانه من ملكوت السماء هو وذريته : ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحجر/ ٣٤-٣٥].

فلا إله إلا الله ما أعظم خلقه، وما أبين حكمته، وما ألطفه في تدبيره.

مَنْ كان مخلوقاً من خالص النور وهم الملائكة جعله الله خيراً كله ، يعمل بالخير ، ويدعو إلى الخير ، ويعين على الخير: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٠].

ومَنْ كان مخلوقاً من النار وهم الجان جعل على يديه عقاب من كفر وكذب الله ورسوله ، وجعل إبليس وذريته وأتباعه يَدْعون إلى النار: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر/ ٦].

ومَنْ كان مخلوقاً من الممتزج وهو الإنسان المخلوق من ماء وتراب جعل أعمالهم ممزوجة إلا ما رحم ربك.

فمنهم المؤمن والكافر .. والبَر والفاجر .. والكريم والبخيل .. والمحسن والمسيء .. والسعيد والشقي.

وأعمالهم ممزوجة بالخير والشر، والحسنات والسيئات، ومآ لهم يوم القيامة بحسب

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٦).

أعمالهم : ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى/ ٧].

ولو شاء الله لهداهم أجمعين ، وجعلهم أمة واحدة ، لكنه سبحانه الحكيم العليم الذي شرع السنن والأحكام ، ليبين للمعتبرين عظمة ملكه ، وكمال أسمائه وصفاته ، وأصناف مخلوقاته ، وحِكَم الأحكام وفَضْلها على الإضاعة والفوضى : ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام/ ١٤٩].

فسبحان الملك الحق الذي يجري في ملكه العظيم من التصريف والتدبير ما لا يحصيه إلا هو:

من ليل ونهار.. ونور وظلام .. وحر وبرد ..وحياة وموت.. وأمن وخوف .. وبسط وقبض .. وعطاء ومنع .. وخير وشر : ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات/ ٤٩].

أما النور الظاهر فما جعله الله في الشمس والقمر والنجوم والنار والأبصار : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [يونس/ ٥].

واعلم رحمك الله أن ما فوقنا نور ساطع يزداد على التدريج في العلو ، وما تحتنا ظلام مُعْتِم يزداد على التدريج في الأسفل.

فما فوقنا كله نور، يزداد من سماء إلى سماء، ثم يزداد في الكرسي، ثم يزداد في العرش، حتى يصل إلى النور الحق ﷻ الذي كل نور في العالم من نوره : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

فمَنْ عمل بطاعة الله رفعه الله إلى موضع النور في الجنة في السماء في العلو : ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات/ ٢٢].

ومن عمل بمعصية الله سجنه الله في الظلام في طبقات النار في الأرض في أسفل سافلين : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾[التين/ ٤-٨].

واعلم أن أصل النار الظلام واليبس، فمتى حل اليُبْس مع الحر كانت النار، ومتى حل اليبس مع البرد كان الزمهرير ، وكلاهما مفسد بذاته ما لم يجعل الله له ضداً من رحمته يقاومه.

فَمَنْ عَبَد هذه النار في الدنيا يريد النور ساقه الله إلى ظلمات النار يوم القيامة :﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ ۗ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٩﴾ [الأنعام/ ٣٩].

فنار جهنم أعاذنا الله وإياكم منها أصل وجود النار في هذه الدار، ولها أنفاس مؤلمة في هذه الدار من حر شديد ، أو برد شديد ، تذكرة من الرحيم بالنار الكبرى .

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ : رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً ، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ : نَفَسٍ في الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ في الصَّيْفِ ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ» متفق عليه [١].

ونار الدنيا جزء يسير من نار جهنم يُذَكِّر الله بها عباده ليتقوه : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۝٧١ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ۝٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣﴾[الواقعة/ ٧١-٧٣].

وعن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: « نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِى يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ » قَالُوا وَالله إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يا رَسُولَ الله ، قَالَ : « فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا » متفق عليه[٢].

فسبحان الملك الحق الذي ملأت العالم عزته، ووسعت كل شيء رحمته ، وملأ العالم نوره ، وأحاط بكل شيء علمه ، ووسع كرسيه السموات والأرض ، وأحاط جميع مخلوقاته بعرشه العظيم ، وهو الحي القيوم الذي يرى ويعلم كل ذرة في ملكه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم(٣٢٦٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٦١٧) .

(٢) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٥) ومسلم برقم (٢٨٤٣) واللفظ له.

﴿بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

سبحانه لا تُعد مخلوقاته ، ولا تُحصى نعمه، ولا يُحاط بجنوده: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

والنور الحق سبحانه خالق كل شيء ، وبيده كل شيء ، والعالم كله دليل على وجوده ، قائم كله بأمره ، ومقهور بإرادته ، ومستجيب لمشيئته ، ومسرع إلى طاعته : ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود/ ٥٦].

هذا نور من العلم ساطع لأبصار العقول ، وضياء واضح لبصائر الفهوم : ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم/ ١٠].

والعالم كله مشرق بنور الله المشرق فيه ظاهراً وباطناً كالبيت مليء سروجاً ومصابيح فأشرق بالنور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

فاصعد بفكرك لمعرفة جلال أسماء الله الحسنى وصفاته العلى تبصر الهدى بنور الحق المبين : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

فإذا وصَلْت بإيمانك إلى النور الحق ﷻ سطع نوره في قلبك وغلب كل نور ، فأبصرت مَلكاً عظيماً ملأ الكون نوراً وجمالاً وإحساناً .

كلامه نور، وأسماؤه وصفاته وأفعاله كلها نور، وكتبه نور، ورسله نور، ودينه نور: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فسبحان النور الذي يهتدي بنوره من في السموات ومن في الأرض ، الذي بنوره يبصر ذو العماية ، وبهدايته يَرْشُد ذو الغواية ، الذي نور السموات والأرض من نور وجهه ﷻ .

وهو سبحانه النور الذي ملأ الدنيا بنوره ، وملأ الآخرة بنوره ، وملأ الجنة بنور وجهه ، وتشرق الأرض بنوره يوم القيامة عند مجيئه لحساب الخلائق :﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٩].

ويُمنع نوره يوم القيامة عن كل كافر وظالم لم يقبل نوره في الدنيا، ثم يسوق كل كافر وظالم إلى دار الظلام والعذاب واللعنة، نعوذ بالله من سخط الجبار وعذاب النار: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٦٤-٦٦].

فما أشد عذاب هؤلاء : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [البقرة/ ١٧٥].

اللهم لا طاقة لنا بنار جهنم فارحمنا وأنت خير الراحمين ، واغفر لنا يا خير الغافرين .

- **التعبد لله ﷻ باسمه النور:**

احرص هداك الله لنوره على إدراك حقيقة الأنوار ، فبذلك تصل بالفهم إلى النور الحق ﷻ ، وتَنْعم بالنور في الدنيا والآخرة .

واعلم أن مَنْ تعرَّف النور الظاهر من الباطن ومواضعه ومسالكه في العالم يجد أن الله هو النور الحق الذي لا إله إلا هو ، ملأ الكون كله بنوره كما ملأه بإحسانه.

نوَّر السموات والأرض، ونوَّر الظواهر والبواطن ، ونوَّر الآفاق بالشمس والقمر والنجوم، ونوَّر الوجود كله بمعاني أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

ونوَّر سبحانه قلوب المؤمنين وصدورهم بالإيمان والإخلاص والتوحيد ، ونوَّر العقول بأصناف العلوم،وأنواع الدلائل والبينات ، ونوَّر الأبدان بأنواع العبادات وأصناف الطاعات ،

ونوَّر الأسرار بمحاسن الأخلاق وجميل الصفات : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التغابن/ ٨].

ونوَّر ﷻ العالم كله بما نصبه من الدلائل الحسية والعقلية والشرعية الدالة على وحدانيته، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [يونس / ٣-٤].

ويرى ذلك النور العظيم مَنْ صَدَق في الطلب ، ونَـقَّى قلبه من جميع ما تراكم عليه من ظلمات الجهل بالعلم والمعرفة ، ونقاه من الذنوب بالتوبة النصوح والعمل بما يرضي الله ﷻ : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد/ ١٩].

فاجتهد في إزالة ما يَحُول بينك وبين نور الإيمان، ونور القرآن ؛ لترى الحق حقاً وتتبعه، وترى الباطل باطلاً وتجتنبه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج/ ٦٢].

واستعن على ذلك بتقوى الله تزداد إيماناً ويقيناً وعلماً: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٨٢].

والزم الذكر والفكر والعمل بطاعة مولاك يشرق النور في قلبك وجوارحك ، ويَحْتَوِشك نور الإيمان ظاهراً وباطناً ، ويشع النور منك لنفسك ولغيرك : ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور/ ٣٥].

واعلم أن هذا النور المشرق ليس بشيء يُكتسب ، بل هو من قبيل العطايا والمواهب الربانية ، وهو ميراث حُسن التقرب إلى الله بما يحبه ويرضاه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

وذلك أن الله ﷻ جعل لمثل هذه الأمور الرفيعة عن الاكتساب مفاتيح من أمور مكتسبة لا تُنال إلا بها : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

والمفتاح الذي نحتاجه للحصول على هذا النور تقوى الله عز وجل، وتقوى الله ثمرة معرفته بأسمائه وصفاته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحديد/ ٢٨].

فجعل سبحانه النور والرحمة والمغفرة ثمناً للإيمان والتقوى .

وعلى قدر معرفة الله تكون التقوى ، وعلى قدر تقوى الله يكون حُسْن الطاعات ، والتطهر من الأدناس والمعاصي ، والطاعات كلها نور ، والمعاصي كلها ظلام : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥ ﴾ [النساء/ ١٧٤-١٧٥].

وعلى قدر ذلك يقتبس العبد النور فيمتلئ قلبه نوراً ، ثم تضيء الجوارح بالنور الذي يطرد كل ظلام.

فتصبر بالنور.. وتسمع بالنور.. وتفكر بالنور.. وتتكلم بالنور.. وتعمل بالنور.. وتدعو بالنور.. وتتعلم بالنور .. وتُعلِّم بالنور.. وتعيش بالنور.. وتمشي بالنور: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢ ﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :«إن الله تعالى قال : منْ عَادَى لي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ .

فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المؤْمِنِ يَكْرَهُ المَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري [1].

واعلم رحمك الله أنك إن بالغت في الطهارة والعبادة، ولم تتفرغ للنظر والتدبر والتفكر في

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢) .

معاني أسماء الله الحسنى وصفاته العلى والنظر في ملكوت الله لم يتم لك هذا الأمر، ولم ترتفع عن درجة عموم المؤمنين إلى درجة العلماء الربانيين الناظرين في ملكوت مَلك الملوك: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

وإذا أراد الله بك خيراً فتح لك أبواب التعرف عليه والقرب منه فوصَلْت التقوى بالنظر والفكر ، ولم يشغلك ظاهر العلم عن باطنه ، ولم يقعدك علم الحق عن العمل به ، وجمَعْت بين علم الجوارح ، وعلم القلوب ، وأخلصت العمل كله لله الذي ينظر إليك ، وتجنبت ما يسخط الله عليك ، وآثرت ما يرضيه في جميع أحوالك : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٧- ٢٨].

وإذا علمت هذا فحينئذ اتصل بك الحبل واستبان لك السبيل: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف/ ٤٣-٤٤].

وذلك أن صفاء النور يشرق في القلوب بقدر طهارة العبد وتقواه ، وحِدَّة بصره وعقله بقدر تفرغه، وظهور الثمار والفوائد والخشوع لله بقدر التفكر والتدبر: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

واعلم أن إصابة الصواب بقدر اللجوء إلى الله، وطلب المعونة منه في كل صغيرة وكبيرة ، والتبري من الحول والقوة، وعلى قدر الإخلاص والتقوى تكون المعونة والمؤنة وكشف البلوى : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وإذا وصَلْتَ بنوره الحق الذي خلق به السموات والأرض بنوره الحق الذي أنزله على رسله أشرق النور في قلبك، فأبصرتَ به النور الحق المبين ﷻ يدبر ملكه وملكوته، ويفعل ما يشاء،

ويحكم ما يريد: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام/ ١٠١-١٠٢].

وإذا فتح الله لك أبواب معرفته فاسجد له واعبده وحده لا شريك له : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥ ﴾ [مريم/ ٦٥].

وكبِّره واشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١ ﴾ [الإسراء/ ١١١].

وإذا علمت أن ربك أنزل النور وهداك لهذا النور الذي أبصرت به الحق من الباطل ، وعرفت به الخير من الشر ، فانشر هذا النور بين الخلق لتمتلئ القلوب بنور الإيمان ، وتنقاد الجوارح لطاعة الرحمن : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت/ ٣٣].

واستغفر ربك في كل وقت ، وسبح بحمده ما بَقيْت ، واحمده على إنزاله الهداية عليك و على الخلق : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣ ﴾ [النصر/ ١-٣].

واعلم أن أشد الناس حباً لله، وأكثرهم ذكراً له، وأصدقهم مناجاة له، وأحسنهم عبادة له، هم أعرف الناس بالله، وأعلمهم بأسمائه وصفاته وإحسانه: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨ ﴾ [فاطر/ ٢٨].

واعلم أن من أراد الله عز وجل عصمته عاد عليه برحمته فأعانه على طاعته ، وحماه من معصيته ، وردع قلبه عن الفكر فيما سواه ، وأشغل أوقاته فيما يقرب إليه مما يحبه ويرضاه.

فتراه ذاكراً لربه .. مسبحاً بحمده .. مكبراً له .. مستحياً منه .. مُجِلاً له .. مطيعاً له.

قد بهرته طوارق العظمة والكبرياء .. وأذهلته هيبة الجلال والجبروت.. ومَلَكته مظاهر الرحمة والإحسان: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ

﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

وتلك سنة الله في عباده الذين وصلوا إليه بصحيح المعرفة ، وناجوه حباً له ، وكَلَفاً بقربه : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

وأسعد الناس من رجع من معرفة الله بأسمائه وصفاته بالتعظيم والإجلال لربه ، وحمده وشكره على نعمه ، وخشيته والافتقار إليه ، وكثرة التسبيح والتحميد له ، ولزوم الاستغفار ، واتباع السنة ، وحسن الأدب مع الله بحسن عبادته : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

وفي مقدمة هؤلاء الصفوة الأنبياء والرسل، ثم أتباعهم من المؤمنين ، والذين اتبعوهم بإحسان: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

فصلوات الله وسلامه على نبينا محمد الذي بلَّغَ البلاغ المبين ، فأزال الله به الشرك والجهل ، ورضي عنه وصلى عليه فصل عليه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب/ ٥٦].

واعلم أن من قعد على كرسي الجهل والهوى والكبر فلن يبصر الحق أبداً ، ولن يقوم من كرسيه إلا إلى نار جهنم : ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢﴾ [الإسراء/ ٧٢].

وأولئك أضل من الأنعام : ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ

﴿ ... هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التحريم/ ٨].

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ في قَلْبِي نُوراً ، وَفِي بَصَرِي نُوراً ، وَفِي سَمْعِي نُوراً ، وَعَنْ يَمِيني نُوراً ، وَعَنْ يَسَارِي نُوراً ، وَفَوْقِي نُوراً ، وَتحْتي نُوراً ، وَأَمَامِي نُوراً ، وَخَلْفِي نُوراً ، وَعَظِّمْ لي نُوراً » أخرجه مسلم[1].

اللهم يا نور السموات والأرض ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك ، أوينزل بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك.

اللهم إنا نسألك مسألة المساكين ، ونبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، وندعوك دعاء الخائف الضرير ، فا غفر لنا وارحمنا يا أرحم الراحمين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٦٣) .

الرفيق

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: « إِنَّ الله رَفِيقٌ يحِبُّ الرِّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ » متفق عليه[1].

الله ﷻ هو الرفيق العظيم الرفق ، الذي يسهل الأمور وييسر أسباب الخير كلها لعباده كلهم: ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ۝٥٣ ﴾ [النحل/ ٥٢-٥٣].

وهو سبحانه الرفيق الحق في قدره وقضائه وأفعاله، الرفيق في أوامره وأحكامه، الرفيق في دينه وشرعه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٦٥ ﴾ [الحج/ ٦٥].

وهو سبحانه الرفيق الحليم الذي لا يَعْجل بعقوبة العصاة ؛ ليتوب من سبقت له العناية ، ويظهر كمال حلمه فيمن سبقت له الشقاوة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ۝٤١ ﴾ [فاطر/ ٤١].

فسبحان الملك القادر على كل شيء ، الرفيق بعباده ، الذي ليس بعجول على من عصاه ، وإنما يَعْجل من يخاف الموت أو الفوات .

أما الملك القادر القهار الذي في قبضته كل شيء فليس من شأنه العجلة ؛ لأنه القاهر لكل قاهر ومقهور : ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤ ﴾ [الزمر/ ٤].

وهو سبحانه الرفيق في أفعاله ، حيث خلق المخلوقات كلها بالتدريج شيئاً فشيئاً مع أنه قادر على خلق جميع المخلوقات دفعة واحدة بأمر واحد، في لحظة واحدة: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ۝٤٩ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ۝٥٠ ﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

لكنه الرفيق الحكيم في خلقه.. اللطيف في تدبيره.. الحليم في فعله.

هو الرفيق الذي أفعاله كلها على سَنن الحكمة والتدريج .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧) ومسلم برقم (٢٥٩٣) واللفظ له.

يأتي بالليل بعد النهار، ويأتي بالشتاء بعد الصيف ، ويأتي بالحر بعد البرد ، ويأتي بالعافية بعد المرض ، ويُجري الشمس والقمر والنجوم في الفلك : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس/ ٣٧-٤٠].

ويصرِّف سبحانه الرياح في الجو، ويصرِّف المياه بين السماء والأرض: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٧].

وهو سبحانه الرفيق الذي يُخرج المواليد من الأرحام، ويُخرج الثمار من الأشجار، ويُخرج الحب من النبات : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٩٩].

كل ذلك يجري بسنن الحكمة والقدرة والعلم ؛ ليعلم الخلق أن لهذا الكون العظيم رباً يصرِّفه ، ويَحْكمه بأمره ، وليعلموا أن من قدر على هذا قادر أن يذهب بالدنيا ويأتي بالآخرة ، ويعيد الخلق كما بدأه : ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الروم/ ٥٠].

وهو سبحانه الرفيق بعباده الذي رفق بهم في أحكامه وأمره ونهيه، فلم يكلفهم بما لا يطيقون ، ولم يحمِّلهم ما لا يستطيعون ، الرحيم الذي جعل فعل الأوامر على قدر الاستطاعة ، وأسقط عن عباده كثيراً من الأعمال بمجرد المشقة ، وخفف عنهم كثيراً من الأحكام في حال المشقة والحاجة : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٥].

كل ذلك رخصة لهم ، ورحمة بهم ، ورفقاً بهم ؛ لأنه الرحيم الرفيق بعباده .

هو الكريم الذي اجتبى هذه الأمة لتقوم مقام الأنبياء في الأمم إلى يوم القيامة: ﴿ هُوَ

﴿ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾ [الحج/ ٧٨].

فسبحان الحكيم العليم الذي لم يأخذ العباد بالتكاليف والأوامر دفعة واحدة ، بل تدرج بهم من حال إلى حال حتى تألف النفوس ، وتلين الطباع ، ويتم الانقياد: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ ﴾ [الحشر/ ٢٢].

ومن رفقه سبحانه إمهال راكب الخطيئة ، ومقترف الذنب، وعدم معاجلته بالعقوبة ، لعله ينيب إلى ربه ، ويتوب من ذنبه: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ٥٨ ﴾ [الكهف/ ٥٨].

فسبحان الرفيق الرحيم الحق الذي لو يؤاخذ الناس بما كسبوا من الذنوب والكفر والمعاصي لعجَّل لهم العذاب ؛ لشناعة ما يرتكبونه ، ولكنه الحليم الرفيق الذي لا يَعْجل بالعقوبة ، بل يمهل ولا يهمل: ﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ٤٥ ﴾ [فاطر/ ٤٥].

ومن رفقه سبحانه أن دينه كله رفق ويسر، وهدى وشفاء ، ورحمة وسماحة ، وتذكير وموعظة: ﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ ﴾ [آل عمران/ ١٣٨].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يحِبُّ الرِّفْقَ في الْأَمْرِ كُلِّهِ » متفق عليه[1].

فسبحان الرفيق الذي وهب الرفق لكل رفيق ، وخص أولياءه بأحسن الرفق وأجمله، ما أمر بشيء إلا أعان عليه ، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦ ﴾ [النساء/ ٢٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٩٣).

• التعبد لله ﷻ باسمه الرفيق :

اعلم أن الله ﷻ رفيق يحب الرفق في الأمر كله ، ومظاهر رفقه ظاهرة في العالم كله.

ورسوله محمد ﷺ أرفق الناس بالخلق، وشواهد رفقه في سنته ظاهرة، ودلائل حلمه وأناته ورحمته في سيرته واضحة، حتى أثنى عليه ربه بحسن خلقه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس ، فقال لهم النبي ﷺ: « دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنوباً مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ » أخرجه البخاري[1].

فربنا سبحانه رفيق يحب الرفق ، ورسولنا إمام أهل الرفق ، وديننا كله رفق ويسر.

فعليك بالرفق في جميع أمورك ، في عبادتك ، ومعاملتك ، ومعاشرتك وجميع أعمالك ، يحبك الله ورسوله وخلقه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

واعلم أن الرفق زينة الإنسان ، والعجلة من الشيطان.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:« إِنَّ الرِّفْقَ لَايَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ » أخرجه مسلم[2].

واعلم أن من أُعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خيري الدنيا والآخرة.

والله ﷻ يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، ومن حُرِم الرفق حُرِم الخير.

فاحرص رحمك الله أن تكون رفيقاً في أمورك كلها ، بعيداً عن العجلة والسرعة ، والتهور والاندفاع ، والغضب والتكلف ، فالعجلة في الأمور من الشيطان ، والرفق صفة الرحمن ، وحلية أهل الإيمان: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٢٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٤).

ﭐلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة/ ٧١].

وعن جرير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « مَنْ يُحْرَم الرِّفْقَ يُحْرَم الخَيْرَ» أخرجه مسلم[1].

ارفق بنفسك ولا تُحمِّلها ما لا تطيق ، ولا تكلفها ما لم يأذن به الله ، ولا تزد في عملٍ زيادة تقعدك عن غيره ، ولا تخرج عن السنة إلى الشدة والتكلف : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾[النساء/ ٢٨].

وارفق بالخلق كلهم يرفق بك رب الخلق ، وارحم من في الأرض يرحمك من في السماء ، وخالق الناس بخلق حسن تلقى أحسن منه : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

وأحسِن إلى الخلق بما تملك يعطيك الله أحسن منه: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[يونس/ ٢٦].

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾[البقرة/ ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

« اللَّهمَّ اغْفِر لي خَطِيئَتي وجهْلي ، وإسْرَافي في أَمْري ، وما أنتَ أَعلَم بِهِ مِنِّي، اللَّهمَّ اغفِرْ لي جِدِّي وَهَزْلي ، وَخَطئي وَعمْدِي ، وَكلُّ ذلِكَ عِنْدِي .
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَما أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أنتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْت المقَدِّمُ ، وَأنتَ المؤَخِّرُ، وَأنتَ عَلى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه[2].
اللهم يا عظيم الصفح ، يا حسن التجاوز ، يا حليماً على من عصاه ، يا سميعاً لمن دعاه ، يا رفيقاً بمولاه ، نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار.
اللهم ارحمنا وارفق بنا فوق الأرض ، وتحت الأرض ، ويوم العرض ، يا أرحم الراحمين.

---

(١) **أخرجه مسلم** برقم (٢٥٩٢).
(٢) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨)، ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له.

الشافي

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء/ ٨٠].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منَّا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: « أَذْهِبْ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ ، وَاشْفِ أنتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَماً » متفق عليه[1].

الله ﷻ هو الشافي الحق لجميع الأسقام والأمراض الظاهرة والباطنة، لا يشفي أحد من ذلك غيره : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٩].

فهو سبحانه الشافي الكافي الذي يملك خزائن الشفاء، الذي يشفي أبدان خلقه من الأسقام والآفات والأمراض وحده لا شريك له، ويهديها لما يصلحها، ويغذيها بما ينفعها من الطعام والشراب: ﴿ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء/ ٧٧-٨٠].

وهو سبحانه الشافي الحق الذي يشفي الصدور والقلوب من أمراض الكفر والشرك والشبه والشكوك والحقد والحسد وغيرها من أمراض القلوب ، ويعافيها بالهداية إلى الدين القيم والصراط المستقيم الذي يوصل إليه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢].

فسبحان الشافي من كل داء ظاهر أو باطن ، الشافي الذي لا يُدعى بهذا الاسم سواه ، الشافي الذي يشفي بالأسباب ، وبدون الأسباب ، وبضد الأسباب : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرُۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة/ ١٢٠].

هو الشافي الذي خلق الداء والدواء والشفاء، وما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً ، عَلِمه مَنْ عَلِمه ، وجَهِله مَنْ جَهِله.

وجميع الأدوية لا تنفع بذاتها، بل بما قدره الله تعالى فيها من الشفاء : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٢].

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨) ومسلم برقم (٢١٩١) واللفظ له.

وقد أنزل الله القرآن الكريم شفاء من كل داء ، يستشفي به المؤمنون من الجهل والضلالة ، ويبصرون به من العمى، ويعرفون به الحق من الباطل، والحلال من الحرام، والخير من الشر، ويعملون بأحكامه فيسعدهم ربهم في الدنيا ، ويدخلهم الجنة في الآخرة ، وينجيهم من النار: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس/ ٥٧-٥٨].

أما الكفار فلا يزيدهم القرآن إلا خسارا ؛ لأنهم لا يؤمنون به، ولا يعملون به، فخسروا دنياهم وأخراهم : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء/ ٨٢].

واعلم أن المؤمن يعتقد أن الله هو الشافي وحده لا شريك له ، وأن الشفاء من جميع الأسقام بيد الله وحده لا شريك له ، ولكنه مأمور بفعل الأسباب النافعة ، وتناول الأدوية المفيدة ؛ لأن لله على العبد أوامر حال الصحة ، وحال المرض : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

والتداوي وطلب العلاج لا ينافي التوكل على الله، فنأخذ بالأسباب المشروعة ، ولا نتوكل إلا على الله الذي جعل فيها الشفاء ، وهو الشافي الذي يشفي بها ، وبدونها ، وبضدها: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « مَا أَنْزَلَ الله دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً » أخرجه البخاري[1].

والتداوي لا ينافي التوكل على الله الذي يملك خزائن كل شيء : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر/ ٢١].

فكما أنّ دَفْع الجوع والعطش بالأكل والشرب لا ينافي الإيمان بقوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الشعراء/ ٧٩] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨).

فكذلك دَفْع المرض بالدواء النافع، والعلاج المفيد لا ينافي الإيمان بقوله: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء/ ٨٠].

وهذا الحديث أصل عظيم في الشفاء من الأمراض قاطبة.

فهو يدفع الأطباء إلى البحث عن الدواء ، ويدفع العلماء إلى معرفة الأحكام ، ويملأ قلوب المرضى بالأمل بالله في حصول الشفاء ، فما من داء خلقه الله إلا خلق له دواء يشفي بإذن الله ، وما من أمر إلا وله حكم عند الله : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة/ ٣].

والله ﷻ هو الشافي وحده لا شريك له ، والدواء والطبيب أسباب مشروعة قد تشفي وقد لا تشفي : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يونس/ ١٠٧].

ومن أراد الشفاء من كل داء فليتصل بالشافي من كل داء : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

فسبحان الشافي الذي يشفي الأجساد والقلوب من جميع الأمراض والأدواء.

فيجب علينا فقه أحكام الله ، وفعل الأسباب التي نصبها الله مقتضية لمسبباتها قدراً وشرعاً.

فللصحة أسباب ، ولدفع المرض أسباب ، ولكسب الحسنات أسباب ، ولدفع السيئات أسباب ، ولدخول الجنة أسباب ، وللنجاة من النار أسباب .

وقد جعل الله لكل شيء سبباً، ونحن في دار الأسباب : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠].

والأسباب مهما عظمت فهي مخلوقة خاضعة للجبار ﷻ ، لا خروج لها عن أمره ، والله يتصرف فيها بما يشاء، إنْ شاء أبقى سببيتها ، وإنْ شاء أبطلها كما أبطل إحراق النار عن خليله إبراهيم ﷺ : ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٦٨-٧٠].

يفعل ذلك ﷻ ليعلم العباد كمال قدرته في التصرف في مخلوقاته ، ولئلا يعتمد العباد على

تلك الأسباب من دون الله : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[التوبة/ ٢٥-٢٦].

واعلم أن الله في هذه الدنيا أظهر سنته وأخفى قدرته ابتلاء لعباده ، وجعل الأسباب تعمل مرة وتقف مرة ليُظهر لعباده أنه الملك الحق الذي يتصرف في جميع ملكه ومخلوقاته وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان مالك الملك الذي بيده ملكوت كل شيء ، والذي خلق فسوى ، وقدَّر فهدى وأطعم وأسقى ، وأمات وأحيا ، وابتلى وشفى ، وتجاوز وعفى ﴿ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾[الشعراء/ ٧٧-٨٢].

واعلم رحمك الله أن أصل المرض الخروج عن منهج الله ، ومرض الأبدان والقلوب أصله الخروج عن منهج الله ؛ لأن الله ﷻ كامل الذات والأسماء والصفات والأفعال ، فإذا خلق شيئاً خلقه كاملاً سليماً لا عيب فيه : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾[الملك/ ١-٤].

فسبحان الخلاق العليم الذي إذا خلق شيئاً أحسنه وأتقن صنعه : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[النمل/ ٨٨].

أما الإنسان فهو الذي يخطئ ويصيب ، ويستقيم وينحرف ، ويصلح ويفسد ، ويحسن ويسيء ، ويعدل ويظلم ؛ لأنه مخير في أفعاله.

وقد أودع الله في الإنس والجن حب الشهوات ، وحرية الاختيار.

فإذا كان هذا الإنسان متصلاً بالله سائراً على منهج الله سعد في الدنيا والآخرة ، وإذا لم يكن متصلاً بالله ولا سائراً على منهج الله شقى في الدنيا والآخرة : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا

﴿ يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة/ ٣٨-٣٩].

وإذا مشى الإنسان في الدنيا دون مقود ولا ضابط وهو الإيمان والعمل الصالح فالدمار والعذاب صافع له لا محالة : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨﴾ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الطلاق/ ٨-٩].

والذي يحرك الإنسان شهواته ، فإذا تحرك دون اتصال بالهادي ولا توجيه منه هلك وفسد وخسر : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾ ۞أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد/ ٨-١٢].

فكل إنسان فيه شهوات ، وفيه حرية الاختيار ، ومع هذه الحرية أعطاه الله عقلاً بمنزلة الميزان الدقيق ، وأعطاه فوق هذا الميزان الدقيق ميزاناً مهيمناً هو الشرع : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

ومع هذا التكريم للإنسان بالعقل والشرع وضع الإنسان كل شيء وراء ظهره ، وانطلق مع شهواته بلا هدى ولا كتاب منير ففسد : ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

ومن رحمة الله بهذا الإنسان أن هيأ له شفاءين :

شفاء لروحه وهو القرآن الكريم ، وشفاء لجسده وهي الأدوية.

واعلم أن الشفاء لا يكون إلا من مرض ، والمرض في الأصل خروج عن منهج الله ، فإذا أعرض القلب عن منهج الله ظهرت عليه أعراض هذا المرض من الكفر والشرك والكبر والظلم والحسد والغش وغيرها مما يفسد.

وسبب ذلك أنه تعلق بالشهوات ، وأعرض عن منهج الله ففسد : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم/ ٥٩].

ولا شفاء لهذا القلب أبداً إلا بالإيمان والقرآن : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء/ ٨٢].

وكذلك الجسم يصاب بالعلل إذا خالف منهج الله في الأكل والشرب والنوم والعمل ، وما خلق الله داءً إلا خلق له دواءً ، عَلِمه مَنْ عَلِمه ، وجَهِله مَنْ جَهِله .

واعلم أن أمراض القلب أخطر من أمراض الجسم ؛ لأن أمراض الجسم تنتهي بالموت الذي ينهي كل ما له علاقة بالجسم .

أما أمراض القلب فيشقى الإنسان بها قبل الموت ، وتزيد خطورتها بعد الموت : ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء/ ٨٨-٨٩].

والقلب السليم هو الذي سلم من أمراض الشبهات والشهوات.

والقلب محل نظر الرب جل جلاله ، فإن كان متصلاً بربه انفسح وانشرح ، وأشرق بالتوحيد والإيمان والصفات الحسنة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

وإن لم يكن القلب متصلاً بربه ضاق وأظلم بالكفر والشرك والصفات السيئة .

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أَلَا وَإِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ القَلْبُ » متفق عليه[1].

واعلم أن سبب أمراض الأبدان أمراض القلوب ، فكل مرض خارجي سببه مرض داخلي ، وكل مرض داخلي سببه مخالفة منهج الله عز وجل : ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ ﴾ [فصلت/ ٤٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ، ومسلم برقم (١٥٩٩) .

• التعبد لله ﷻ باسمه الشافي:

اعلم وفقك الله أن الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى وبيده الخلق والأمر هو الله وحده لا شريك له: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

فتوسل إلى ربك بأسمائه وصفاته ، واطلب منه أن يشفيك من جميع أمراض القلوب والأبدان ، فلا شفاء لأحد إلا بإذنه ، ولا حول ولا قوة إلا به ، وما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون أبداً: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

واعلم أن العلاج والتداوي إن لم يوافق إذناً من الله بالعافية والشفاء فإنه لا ينفع ولا يجدي : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس/ ١٠٧].

وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ الله عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه مسلم(١).

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الإسلام فاعلم أن أعظم داء انتشر بين البشرية هو داء الكفر والشرك والمعاصي ، فاجتهد في رفع هذا الداء بما أعطاك الله من العلم والهدى ، وبلِّغ دين ربك في كل مكان وزمان ، فلا شفاء للأمة إلا به: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

ولن يقوم بهذا إلا أنت ، فقم به كما قام به نبيك ﷺ ، وشرعه لك ربك بقوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف/ ١٠٨].

وارفع الجهل عن الأمة بتعليم أحكام الله لعباده يكتب الله لك أجرهم ، ويرفع مقامك في الدنيا والآخرة : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٤).

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ﴾ [طه/ ٢٥-٢٨].

« اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ ، أَذْهِبْ الْبَاسَ اشْفِهِ وَأَنتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَماً» متفق عليه[1].

اللهم يسر أمورنا ، واشرح صدورنا ، ونوِّر قلوبنا ، واستعمل جوارحنا بطاعتك، يا أرحم الراحمين.

اللهم أحينا مسلمين ، وتوفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا مفتونين يا رب العالمين ، اللهم يا من لا يشفي من الأسقام إلا أنت ، ولا يعين على الحق غيرك ، ولا يُؤتي الخير إلا أنت ، نسألك عافية نقوى بها على طاعتك ، وعبادة نستحق بها جزيل مثوبتك ، إنك على كل شيء قدير.

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨) ، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٩١) .

الحيي

عن يعلى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يغتسل بالبَراز بلا إزار فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الحَيَاءَ وَالسَّتْرَ،فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ» أخرجه أبو داود والنسائي[1].

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْراً » أخرجه أبو داود والترمذي[2].

الله عز وجل هو الحيي العظيم الحياء، الذي يترك ما لا يتناسب مع سعة رحمته وكمال جوده وكرمه وعظيم عفوه وحلمه : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١١٦].

وحياؤه جل جلاله على ما يليق بجلاله ، فالعبد يجاهر ربه بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه ، وأضعفه لديه ، ويستعين بنعمه على معاصيه ، وربه مع كمال غناه وتمام مقدرته عليه يستحي من هَتْك ستره وفضيحته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج/ ٦٥].

فسبحان الحيي السِّتِّير الذي يستر من عصاه بما يهيئه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه،ويغفر له : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الشورى/ ٢٥].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ ، فَيَقُولُ : أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ، فَيَقُولُ : نَعَمْ ، أَيْ رَبِّ ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ ، قَالَ : سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، فَيُعْطَى

---

(١) **صحيح** / أخرجه أبو داود برقم (٤٠١٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٤٠٦).

(٢) **صحيح** / أخرجه أبو داود برقم (١٤٨٨)، وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٣٥٥٦).

كِتَابَ حَسَنَاتِهِ » متفق عليه[1].

واعلم أن حياء الرب ﷻ من عبده حياء لا تدركه العقول، ولا تحيط به الأفهام، فهو حياءُ كرمٍ وبرٍ وجودٍ وإحسان: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [غافر/ ٦١].

فهو سبحانه حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صِفراً، ويستحي أن يعذب ذا شيبة شاب في الإسلام، ومن استحى من الله استحى الله أن يعذبه.

فاستح الآن من كل فعل تستحي أن تراه غداً حيث لا تنفع المعذرة : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٦-١٠٧].

والله ﷻ يحب أسماءه الحسنى ، ويثني على نفسه بها ، ويحب ظهور آثارها في خلقه.

فهو كريم يحب أهل الكرم.. حليم يحب أهل الحلم .. شكور يحب الشاكرين.. تواب يحب التوابين.. حيي يحب أهل الحياء : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود/ ١١٢].

ولمحبته سبحانه لأسمائه وصفاته أظهرها لعباده ، وأمرهم بالتعبد له بموجبها ومقتضاها: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء/ ١١٠-١١١].

وأحب عباده إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يبغضها: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٦٨).

• التعبد لله ﷻ باسمه الحيي:

اعلم رحمك الله أن الحياء شعبة من شعب الإيمان، والتعبد لله بصفة الحياء من أعظم الصفات التي يحبها الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك/ ١٢].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: « الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ » أخرجه مسلم[1].

والحياء خير كله ؛ لأنه لا يأتي إلا بخير.

عن عمران بن الحصين ﵁ قال : قال النبي ﷺ: « الحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ» متفق عليه[2].

وأعظم الحياء وأحسنه وأجمله وأوجبه الحياء من الله ﷻ ، ثم الحياء من الملائكة الكرام، ثم الحياء من الناس ، ثم الحياء من النفس :

والحياء من الله يكون بإخلاص التوحيد له، وكمال الإيمان به، وإحسان العمل له، والحب له، والخوف منه، والتضرع والافتقار إليه في جميع الأحوال : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس/ ٣].

وأشد الناس حياء من الله هم الأنبياء والرسل ؛ لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته، ثم أتباعهم من المؤمنين : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٢﴾ [المؤمنون/ ٥٧-٦٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٥).

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦١١٧) ومسلم برقم (٣٧).

وأشد الخلق حياء من الله هو نبينا محمد ﷺ ؛ لكمال معرفته بالله وأسمائه وصفاته، ومعرفته بنعمه وإحسانه ، كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه شاكراً لربه مستغفراً من ذنبه .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كَانَ النبي ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ في خِدْرِهَا ، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ في وَجْهِهِ . متفق عليه[1] .

واعلم أن الله يراك ويعلم بحالك في جميع الأوقات فاحفظ السمع والبصر والفؤاد واللسان من جميع المعاصي ، واستعملها في الطاعات : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل/ ٧٨].

واستعمل جوارحك في طاعة مولاك ، واحفظ السمع والبصر والفؤاد من جميع المحرمات ، واحفظ البطن من دخول المحرمات، واحفظ الفرج من غشيان الفواحش : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء/ ٣٦].

ومن علم أن السميع البصير مطلع عليه استحى أن يراه على معصيته .

فاستح من ربك ألا تطيعه فضلاً عن أن تعصيه بما أعطاك وهو يراك : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس/ ٦١].

فسبحان العليم الخبير الذي اتصف بالحياة والحياء، وخَلَق الحياء ومَنَّ به على مَنْ شاء من خلقه، فكل حياء في الملائكة والإنس والجن من فضله وخزائنه: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر/ ٢١] .

واعلم أن الحياء من الملائكة يكون بالاقتداء بهم في دوام الذكر والتسبيح، وعدم إيذائهم بالمعاصي والمنكرات ؛ لأنهم معنا يكتبون ويحفظون: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار/ ١٠-١٢].

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦١٠٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٢٠).

أما الحياء من الناس فيكون باجتناب كل ما يسوء ويقبح من الأقوال والأعمال والأخلاق ؛ حياء من الله والملائكة والناس.

فمَنْ رُزِق ذلك فهو الحيي الذي يحبه الله ، ومن حُرِم ذلك سقط من عين الله.

عن أبي مسعود الأنصاري ﵁ قال: قال النبي ﷺ : « إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى ، إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » أخرجه البخاري[1].

والحياء من النفس أن تحملها على طاعة الله بعدم استعمال نعم الله في معصية الله ، فمن لم يستح صنع ما شاء من الفواحش والمنكرات والقبائح ؛ لأن الحياء هو المانع من فعلها: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال/ ٢٢].

واعلم أن من استحى من الله استحى الله منه ، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه ، فاعبد ربك كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

وعن أبي واقد الليثي ﵁ أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد ، قال : فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً .

فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ ، أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى الله فَآوَاهُ الله ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا الله مِنْهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ الله عَنْهُ » متفق عليه[2].

اللهم إني في هذا المقام استحي منك من التقصير فيما كتبت عنك يا مولاي ، وأستغفرك من هذا العمل الذي يغني عنه كتابك العظيم، وأنت الحكيم الذي بعثت الهمة لكتابته ،

---

(١) **أخرجه البخاري** برقم (٣٤٨٤).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٦)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٧٦).

وسقت اليد لتحريره. فلك الحمد على ما قدَّرت، وأستغفرك وأتوب إليك مما عملت، فلست أنشد إلا رضاك فاغفر لي ولوالدي والمسلمين كافة يا واسع المغفرة والرحمة .

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف/ ١٥].

« اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمَّدٍ وَعَلَى آلِ محمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى محمَّدٍ وَعَلَى آلِ محمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مجِيدٌ » متفق عليه[1].

اللهم لك الحمد كله ، ومنك الفضل كله ، وبيدك الأمر كله ، اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا ، وما أسررنا وما أعلنا، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك. اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك ، وبعفوك من عقوبتك ، وبك منك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٤٠٦).

الستير

عن يعلى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يغتسل بالبَراز بلا إزار، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ ، يحِبُّ الحيَاءَ وَالسَّتْرَ ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ » أخرجه أبو داود والنسائي [1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يَسْتُرُ الله عَلَى عَبْدٍ في الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ » أخرجه مسلم [2].

الله عز وجل هو الستير الحق الذي يستر الكثير من عورات عباده، ولا يفضحهم في المشاهد.

وهو سبحانه الحيي الستير الذي يستر على عباده كثيراً من العيوب والقبائح ، ولا يفضحهم وهو قادر لعلهم يتوبون إليه : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٤].

فسبحان الستير الذي يستر الذنوب، الكريم الرحيم الذي سترها ودعا أهلها للاستغفار منها فقال : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء/ ١١٠].

هو سبحانه الستير الذي يستر عيوب عباده مهما كانت مشينة .

هو سبحانه الستير الرحيم الذي يفرح بتوبة التائب أشد من فرحة الظمآن الوارد ، والعقيم الوالد ، والضال الواجد.

من تاب إليه توبة نصوحاً فرح به ، وأنسى حافظيه وجوارحه وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه.

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَسْقُطُ عَلَى بَعِيرِهِ

---

(١) **صحيح** / أخرجه أبو داود برقم (٤٠١٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٤٠٦).

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٥٩٠).

قَدْ أَضَلَّهُ بِأَرْضٍ فَلاة » متفق عليه [1].

هو الستير الذي يغفر جميع الذنوب مهما عظمت ، ويعفو عن جميع السيئات مهما كثرت : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزمر/ ٥٣-٥٥] .

فسبحان الملك الرؤوف الرحيم الذي أظهر الجميل ، وستر القبيح ، وجبر الكسير ، وشفى المريض ، وأطعم المسكين : ﴿ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء/ ٧٧-٨٢].

وهو سبحانه الستير العليم بكل شيء ، الذي يستر سوآت عباده ، ولا يفضحهم ولا يخزيهم ، ولا يظهر للناس ما يشينهم ؛ لعلهم يتوبون إليه من سيئات النيات والأقوال والأعمال: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

فسبحان الملك الحق الذي يكرم عباده بجميع النعم، ويسترهم إذا أذنبوا، ويستحي من هتك ستر العاصي وفضيحته، وإنزال عقوبته به، ويقيض له من أسباب الستر ما يشكر به ربه، ويوفقه للندم والتوبة، ويعفو عنه، ويغفر له: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الشورى/ ٢٥].

وهو سبحانه الستير الذي يحب الستر على عباده ، ويحب من عباده الستر على أنفسهم وعلى غيرهم إذا زل.

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ قال: « مَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ الله في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » أخرجه مسلم [2].

وقد رغَّب الله عباده في الستر ، وحذرهم من المجاهرة والمفاخرة بالمعاصي ، ومِنْ أبغض

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٩) ، ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له.

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٥٩٠) .

الناس إليه من بات عاصياً لله والله يستره ، ثم يصبح فيكشف ستر الله عليه .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنَ المجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبحَ وَقَدْ سَتَرَهُ الله عَلَيْهِ ، فَيَقُولَ : يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبحُ يكْشِفُ سِتْرَ الله عَنْهُ » متفق عليه[1].

• التعبد لله ﷻ باسمه الستير :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن مقصود الله من عباده في هذه الدنيا عبادته بموجب أسمائه وصفاته : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وإذا علمت أن الله حليم سِتِّير يحب الستر ويأمر بالستر فاستر على نفسك وعلى غيرك كل معصية بين العبد وربه يستر الله عليك في الدنيا والآخرة.

واعلم أن المجاهرة بالمعصية أمام الله والناس ذنب عظيم أعظم من المعصية ؛ لما فيه من الاستخفاف بحق الله ورسوله وصالحي المؤمنين ، وفيه ضَرْب من العناد والاستخفاف بأوامر الله على بساط ملكه وبين خلقه : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [فاطر/ ٨].

وفي الستر بالمعاصي السلامة من الفضيحة والذلة بين الناس،والسلامة من إقامة الحد أو التعزير عليه ، وامتثال أمر الذي يعلم السر وأخفى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود/ ١١٢].

فإن كانت المعصية بين العبد وربه فهو أكرم الأكرمين، ورحمته سبقت غضبه، والعفو أحب إليه من العقوبة ، ومن ستره الله في الدنيا لم يفضحه في الآخرة : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣٠].

فاستر نفسك تسلم ، واستغفر ربك يغفر لك ، فإنه ما سترك إلا ليغفر لك ويصون عرضك.

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٩٩٠).

فبادر بالتوبة إليه فإنه غفور يغفر الذنوب جميعاً ، شكور يبدل السيئات بالحسنات ، ثم يضاعفها: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء/ ١١٠].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُدْنَى المؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُ ؟ فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ ، قَالَ : فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنْيَا ، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ » متفق عليه[1].

واجتنب الذنوب كلها ما ظهر منها وما بطن ، وإذا قارفت شيئاً منها فاستتر بستر الله ، وتب إلى الله منها فهو التواب الرحيم : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة / ٣٩] .

وتجنب جميع أبواب الرذائل، واحذر دروب الفساد والضلال: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام/ ٦٨].

واسأل ربك الحفيظ أن يحفظ عورتك، ويصون عرضك، ويؤَمِّن روعتك ، وأن يستر عيوبك في الدنيا والآخرة.

واستر على عباد الله ، وتجنب هتك أستارهم ، ولا تتبع عوراتهم ، فإنّ مَنْ تَتَبَّع عوراتهم تَتَبَّع الله عورته ، ومن يَتْبع الله عورته يفضحه في بيته .

واعلم أنه كلما زاد إيمان العبد أظهر المحاسن ، وستر القبائح ، وستر العيوب من نفسه ومن غيره.

فاستر رحمك الله على كل مسلم ومسلمة يسترك الله ويستر عليك في الدنيا والآخرة.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ قال: « مَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » متفق عليه[2].

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٥) ، ومسلم برقم (٢٧٦٨) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) ، ومسلم برقم (٢٥٨٠) .

وجاهد نفسك على البعد من جميع الذنوب ومفارقتها، وإذا ألممت بشيء منها فاستر نفسك وبادر إلى التوبة منها وأتْبعها بالحسنة تمحها.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:إن رجلاً أصاب من امرأة قبلة،فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا رَسُولَ الله ، أَلي هَذَا ؟ قَالَ : « لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ » متفق عليه[1] .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [آل عمران / ١٤٧].

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٤١].

﴿ رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [الإسراء / ٨٠].

«اللَّهُمَّ أَنتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أنتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبوءُ لَكَ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري[2] .

اللهم يا خبيراً بفقري وفاقتي ، يا عليماً بضري ومسكنتي ، يا من بيده ناصيتي ، أسألك أن توفر حظي من كل خير تنزله ، ومن كل رزق تبسطه ، ومن كل ذنب تغفره ، ومن كل خطأ تستره ، يا أرحم الراحمين .

اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، واختم بالصالحات أعمالنا ، يا ذا الجلال والإكرام .

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٥٢٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٦٣).

(٢) **أخرجه البخاري** برقم (٦٣٠٦).

المقدم .. المؤخر

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء : « رَبِّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتِي ، وَجَهْلِي وَإِسْرَافي في أَمْرِي كُلِّهِ ، وَمَا أنتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي خَطَايَايَ ، وَعَمْدِي ، وَجَهْلِي ، وَهَزْلي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي ، اللَّهُمَّ اغفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ ، وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ ، وَمَا أَعْلَنْتُ ، أنتَ المُقَدِّمُ ، وَأنتَ المُؤَخِّرُ ، وَأنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال : « اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أنتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحَمْدُ أنتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الحَمْدُ أنتَ الحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمحَمَّدٌ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ.

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنبْتُ،وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أنتَ المُقَدِّمُ وَأنتَ المُؤَخِّرُ ، لا إِلَهَ إِلَّا أنتَ » متفق عليه[2].

الله جل جلاله هو الملك الحق الذي له الملك والملكوت خلقاً وتدبيراً .

يفعل ما يشاء .. ويحكم بما يشاء .. ويقدم من يشاء .. ويؤخر من يشاء .. ويعطي من يشاء .. ويمنع من يشاء .. ويعز من يشاء .. ويذل من يشاء : ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٦** ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

وهو سبحانه المقدم الذي يرفع أولياءه المؤمنين إلى عوالي الرُّتَب والمنازل ، المؤخر الذي يؤخر من كفر به وعصاه عن تلك الرُّتَب والمنازل : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧١٩).

(٢) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (١١٢٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين/ ٤-٨].

وهو العليم بمن يصلح لهذا ومن يصلح لهذا: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة/ ١١].

وهو سبحانه الملك القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، الذي يملك التقديم والتأخير وحده لا شريك له ، والتقديم والتأخير وصفان لله ﷻ يدلان على كمال قدرته ، وكمال مشيئته، وكمال حكمته ، وكمال علمه ، وكمال عدله .

فسبحان المقدم الذي يقدِّم الأشياء ويضعها في مواضعها، المؤخر الذي يؤخر الأشياء ويضعها في مواضعها، وكل ذلك بعلمه وإرادته وحكمته : ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر/ ١٣].

قدَّم المقادير قبل أن يخلق الخلائق ، وقدَّم من أحب من أوليائه بفضله، ورفع الخلق بعضهم فوق بعض بحكمته : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

وأخر سبحانه الشيء عن حين توقعه ؛ لعلمه بما في عواقبه من الحكمة، وأخر من شاء من عباده بعدله ، لا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدم، وهو الحكيم العليم : ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة/ ٢١٦].

وهو سبحانه المقدم والمؤخر بأمره الكوني وأمره الشرعي.

فتقديمه الكوني كتقديم بعض المخلوقات على بعض في الوجود، وتأخير بعضها عن بعض كالليل والنهار والمواليد والثمار ، والتصريف والتدبير في الكون: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ

﴿وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فكل مخلوق له وقت، وله مكان، وله حجم، وله مسار لا يتعداه فيسبق غيره، ولا يزاحمه فيعطل حكمته: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس/ ٣٧- ٤٠].

فسبحان الملك الحق الذي يملك أنواع التقديم والتأخير في الخلق والتقدير: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم/ ٤٠].

وتقديمه وتأخيره الشرعي كما فضَّل الأنبياء والرسل على الخلق، وفضَّل بعض الأنبياء على بعض، وفضَّل بعض العباد على بعض، وفضَّل بعض المؤمنين على بعض، وقدَّمهم في العلم والإيمان والأعمال والأخلاق بفضله، وأخَّر من أخَّر منهم بحكمته وعدله: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٢-١٦٣].

فسبحان من يقدم من يشاء من خلقه إلى رحمته بتوفيقه وفضله، ويؤخر من يشاء عن ذلك بعدله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة/ ١٨-٢٠].

وكما فضَّل سبحانه بعض العبادات على بعض كتقديم الفرض على النفل، وتقديم حق الله على حق غيره، وتقديم الوضوء على التيمم.

وكما فضَّل بعض الأيام على بعض، وبعض الليالي على بعض، وبعض الشهور على بعض، وبعض الأوقات على بعض، وبعض الأماكن على بعض: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص/ ٦٨].

هو سبحانه المقدم والمؤخر ما شاء من البرايا في الزمان والمكان والرتبة، والقرب والبعد، والحب والبغض، والقوة والضعف: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ (١٠) هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ (١١)﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

فسبحان الملك الحق الذي يجري أمره في ملكه حسب إرادته ومشيئته وحكمته، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ (٨٣)﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

- **التعبد لله ﷻ باسمه المقدم والمؤخر:**

اعلم ختم الله لنا ولك بخير أن الله اصطفى آدم ﷺ وذريته على من سواهم.

فقد خلق آدم ﷺ بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها، وجعله وذريته خلفاء الأرض: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا (٧٠)﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وفضَّل هذه الأمة على ما سبقها من الأمم بعبادته والدعوة إليه إلى يوم القيامة، وجعل ما سبقهم من الأمم تذكرة وعبرة لهم: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ (١١٠)﴾ [آل عمران/ ١١٠].

وقدَّمهم في المقام والثواب وختم بهم الأمم، فهم الآخرون في الدنيا، السابقون يوم القيامة في دخول الجنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ» متفق عليه[1].

واعلم أن الله خص هذه الأمة بأحسن دين وأكمله فقال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٧٦) ومسلم برقم (٨٥٥) واللفظ له.

﴿عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة/ ٣].

وكلَّفهم ورغَّبهم وشرَّفهم بأحسن عمل وأشرف وظيفة وهي الدعوة إلى الله ، وظيفة الأنبياء والرسل فقال: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت/ ٣٣].

وجزاهم على الدعوة إلى التوحيد والعمل بالتوحيد بأحسن الجزاء فقال : ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس/ ٢٦].

فلله الحمد والمنة أنْ جعلنا من خير أمة أخرجت للناس ، وهدانا إلى الإيمان ، ووفقنا لطاعته وعبادته: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج/ ٧٨].

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ هو المقدم والمؤخر وحده لا شريك له ، والأمور كلها بيده.

فمن كتب الله له عزاً ورفعة وتقديماً فلن يستطيع أحد حرمانه من ذلك: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾ [فاطر/ ٢].

ومن كتب الله له ذلاً وخذلاناً وتأخيراً لم يستطع أحد عونه للخلاص من ذلك: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾ [الكهف/ ١٧].

فالأمر كله لله من قبل ومن بعد، والعبد ليس إليه شيء من أمر سعادته أو شقاوته، أو خفضه أو رفعه ، أو تقدمه أو تأخره ، أو نصره أو خذلانه : ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

إنِ اهتدى الإنسان فبهداية الله إياه، وإنْ ضل فبصرفه عن الهدى لَمَّا انصرف عنه: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾ [يونس/ ٢٥].

ومن زاغ عن الحق صرفه الله عنه: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥﴾ [الصف/ ٥].

فالقلوب كلها بيد الله يصرفها كيف يشاء، لا يمتنع عليه شيء منها، من شاء أقامه بفضله، ومن شاء أزاغه بعدله، وهو أعلم بمن يصلح لهذا أو هذا ؛ لأنه الملك الحق الذي أقام الحجة بإنزال كتبه ، وإرسال رسله ، وبيان الحق من الباطل : ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام/ ١١١].

وبعد ذلك من شاء هداه إلى الحق ووفقه إليه بفضله ، ومن شاء أضله بعد قيام الحجة عليه بعدله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس/ ٩٦-٩٧].

والعبد مع هذا مأمور من ربه ببذل جهده، وسلوك المسالك الصالحة التي يعرف بها مولاه من النظر والتفكر في ملكوت السموات والأرض، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وغير ذلك مما يكون به تقدّمه ونيل محابّه ورضاه ، والبعد عن المسالك السيئة التي يكون بها تأخره ، والوقوع في سخط الله: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].

وقد بيّن الله ﷻ سبل رضاه ، وبيّن سبل سخطه ، ودعا عباده إلى التقدم إلى سبل رضاه ، ونهاهم عن التأخر عنها بسلوك سبل سخطه ، ثم قال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر/ ٣٧].

والأمور كلها بيد الله وحده لا شريك له ، وهو الكريم الذي بيّن الحق من الباطل، ورغّب في الحق وحذر من الباطل: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان/ ٢٩- ٣١].

فسبحان الرب الكريم الرحيم بعباده ، المقدم من أطاعه ، المؤخر من عصاه : « أنتَ المُقَدِّمُ وَأنتَ المؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أنتَ » أخرجه مسلم [(١)].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١) .

فاسأل ربك الكريم أن يغفر ذنوبك كلها السر والعلانية ، والخطأ والعمد ، والمتقدم والمتأخر : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة/ ٣٩].

فالذنوب تُوْبق العبد وتؤخره ، وغفران الله له يرفعه ويقدِّمه: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾[طه/ ٧٤- ٧٥].

فعليك بعبادة ربك بكمال الحب والتعظيم له ، وكمال الذل بين يديه ، والطمع فيما عنده ، وحسن اللجوء إليه ، وصدق التوكل عليه ، وعدم اليأس من رَوْحه ، وعدم الأمن من مكره : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن/ ١٣].

وقدِّم ما قدَّم الله ورسوله من الأقوال والأعمال والأخلاق،وأخِّر ما أخَّرالله ورسوله ، وأَحِب ما أَحَب الله ورسوله وافعله ، وأَبْغِض ما أبغض الله ورسوله واحذره : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأنفال/ ٢٤-٢٥].

واعلم أن الله يراك حين تتقدم إليه ، ويراك حين تتأخر عنه ، فقدِّم لنفسك ما يسرك أن تراه يوم العرض عليه: ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحجر/ ٢٤].

واسأل من بيده مفاتيح الخيرات كلها أن يهديك إلى ما يحبه ويرضاه، واطلب ممن فتح أبوابه للراغبين والتائبين أن يعينك على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يتوب عليك مما قدمت ومما أخرت، فإنه حي قيوم يجيب من دعاه، ولا يخيب من رجاه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة/ ١٨٦].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران/ ٨].

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [البقرة/ ١٢٧ - ١٢٨].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف/ ١٥].

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي في أَمْرِي ، وَمَا أنتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي جِدِّي وَهَزْلي وَخَطَئِي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أنتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أنتَ المُقَدِّمُ وَأنتَ المؤَخِّرُ ، وَأنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه[1].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لي آخِرَتي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الحَيَاةَ زِيَادَةً لي في كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ المَوْتَ رَاحَةً لي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم[2].

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أنتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أنتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه[3].

« اللَّهُمَّ أنتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أنتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري[4].

اللهم قدِّمنا لما تحبه وترضاه ، وأخِّرنا عما يسخطك ولا ترضاه ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت.

وبهذا تم بفضل الله الكلام على أسماء الله الحسنى.

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري رقم (٦٣٩٨)، ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له.

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٧٢٠).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له .

(٤) **أخرجه البخاري** برقم (٦٣٠٦).

البــاب الخامس

جزاء أهل التوحيد

ويشتمل على ما يلي :

١ - واجبات أهل التوحيد

٢ - جـزاء أهـل التوحيـد

٣- جـزاء أهـل الشـــرك

٤ - دار القـرار : وتشمـل :

١ - صفــة الجنـة

٢ - صفـة النــار

٥ - دعــاء أهل التوحيـد

قال الله تعالى :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾

[فصلت/ ٣٠-٣٢].

جزاء أهل التوحيد

• واجبات أهل التوحيد:

شرَّف الله ﷻ أهل التوحيد بأعمال ، وزينهم بصفات ، وفرض عليهم واجبات ، وأكرمهم بكرامات في الدنيا والآخرة .

ومن أعظم واجبات أهل التوحيد ما يلي :

الأول: الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

١ - قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء/ ١٣٦].

٢- وعن عمر بن الخطاب ﵁ أن النبي ﷺ قال لجبريل ﵇ حين سأله عن الإيمان : « أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » ، قَالَ صَدَقْتَ ، قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ « أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » متفق عليه [١].

الثاني : إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

١ - قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

٢ - وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة/ ٥].

٣- وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١٧٢].

الثالث : طاعة الله ورسوله في كل شيء ، وطاعة اولي الأمر في غير معصية الله.

١ - قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء/ ٥٩].

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري رقم (٥٠)، ومسلم برقم (٨) ، واللفظ له.

٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ» متفق عليه [1].

الرابع: تعلم العلم الشرعي وتعليمه.

١- قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

٢- وقال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩].

الخامس: الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

١- قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل/ ١٢٥].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

٣- وقال الله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

السادس: الجهاد في سبيل الله مع الإمام أو نائبه إذا دعت الحاجة إليه.

١- قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة/ ١٩٠].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦﴾ [التوبة/ ٣٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾ [الأنفال/ ٣٩-٤٠].

السابع: المحافظة على اجتماع النفوس والقلوب في أمور الدين كلها.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١٤٤)، ومسلم برقم (١٨٣٩)، واللفظ له.

١- قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٢-١٠٣].

٢- وقال الله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾

[آل عمران/ ١١٠].

٣- وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾

[الأنبياء/ ٩٢].

الثامن : الاستقامة على الدين ظاهراً وباطناً ، مع لزوم الصبر في كل حال.

١- قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾﴾

[فصلت/ ٦-٧].

٢- وقال الله تعالى : ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾

[هود/ ١١٢-١١٣].

٣- وقال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران/ ٢٠٠].

التاسع : حسن الخلق مع جميع الخلق.

١- قال الله تعالى : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

٢- وقال الله تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾

[آل عمران/ ١٥٩].

٣- وقال الله تعالى : ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾

[القصص/ ٧٧].

العاشر : الاستغفار والتوبة من الخطأ والتقصير في كل عمل في كل وقت .

١ – قال الله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر/ ١-٣].

٢ – وقال الله تعالى : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١﴾ [النور/ ٣١].

٣– وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتوبُ إِلَيْهِ في الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » أخرجه البخاري [1] .

وقد جمع الله ﷻ هذه الواجبات كلها أصولها وفروعها في سورة واحدة من كتابه الكريم بقوله سبحانه : ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر/ ١-٣].

واعلم أنه لا تحصل النجاة والفلاح إلا بامتثال جميع أوامر الله ورسوله حسب الاستطاعة ، واجتناب جميع ما نهى الله ورسوله عنه .

١ – قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝٢٠٨﴾ [البقرة/ ٢٠٨].

٢ – وقال الله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر/ ٧].

٣– وقال الله تعالى : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٨٥﴾ [البقرة/ ٨٥].

فاستقم رحمك الله كما أمرك الله .

بتوحيد كامل .. وإيمان كامل .. وطاعة كاملة .. وأخلاق كاملة .. واستقامة كاملة.

وقد أكمل الله لنا الدين .. وأتم علينا النعمة .. فلنكمل له الطاعة والاستقامة ؛ لنعيش في الدنيا في أمن كامل .. ونخلد في الجنة في نعيم كامل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ۝٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٧).

جزاء أهل التوحيد

جزاء أهل التوحيد السعادة في الدنيا والآخرة ، ورضوان الرب ، والفوز بالجنة، والنجاة من النار : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢].

ويجازي الملك الحق ﷻ أهل التوحيد والإيمان والعمل الصالح بأعظم الكرامات في الدنيا والآخرة ، وأعدَّ لهم الكريم في الآخرة من النعيم المقيم والملك الكبير ما لم تره عين ولم تسمعه أذن ولم يخطر على قلب بشر: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة / ١٧].

ومن أعظم كرامات أهل التوحيد في الدنيا والآخرة ما يلي :

الأولى : الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل / ٩٧] .

الثانية : دخول الجنة .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ [الحج / ١٤] .

الثالثة : الخلود في نعيم الجنة .

قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة / ٢٥] .

الرابعة : رضوان الرب ﷻ .

قال الله تعالى : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة / ٧٢] .

الخامسة : رؤية الرب ﷻ في الجنة .

قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة / ٢٢ – ٢٣] .

السادسة : القرب من الرب جل جلاله في الجنة.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر/ ٥٤-٥٥] .

السابعة : سماع كلام الرب جل جلاله .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس / ٥٥ -٥٨] .

الثامنة : النجاة من النار .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم / ٧١ - ٧٢] .

ولا يسعد بهذه الكرامات العظيمة والعطايا الجزيلة والمنازل العالية إلا من قام بما سبق من تلك الواجبات العظيمة : ﴿ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾[التوبة/ ١٩-٢٢].

ولا يسلم ولا ينجو من غضب الله وسخطه من كتم الحق الذي أمرنا الله بإبلاغه للناس ليسعدوا في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[البقرة/ ١٥٩-١٦٠].

جزاء أهل الشرك

جزاء أهل الشرك العذاب في الدنيا والآخرة، وسخط الرب، والخلود في النار، والحرمان من الجنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة/ ٦].

ويجازي الجبار ﷻ أهل الكفر والشرك والمعاصي بأعظم العقوبات في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ۝٣٤﴾ [الرعد/ ٣٤].

ومن أعظم عقوبات أهل الشرك في الدنيا والآخرة ما يلي:

الأولى: العذاب والشقاء في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ [طه/ ١٢٤-١٢٦].

الثانية: دخول النار.

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧١ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٢﴾ [الزمر/ ٧١-٧٢].

الثالثة: الخلود في عذاب السعير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٦٥ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۝٦٦﴾ [الأحزاب/ ٦٤-٦٦].

الرابعة: سخط الجبار على أهل النار.

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٦٨﴾ [التوبة/ ٦٨].

الخامسة : الحرمان من رؤية الرب جل جلاله .

قال الله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [المطففين / ١٥ – ١٧] .

السادسة : الحرمان من الجنة .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٢].

السابعة : الصغار والذلة .

قال الله تعالى : ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٢٤].

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٩٢-١٩٤].

دار القرار

الدنيا دار الإيمان والعمل ، والآخرة دار الثواب والعقاب .

والإنسان لابد أن ينتقل من دار الدنيا إلى الدار الآخرة ، ثم يُخلَّد حسب العمل في دار القرار في الجنة أو النار كما قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝١٦ ﴾ [الروم/ ١٤–١٦].

وإذا حكم الله بين العباد يوم القيامة حسب إيمانهم وأعمالهم يساق أهل التوحيد والإيمان إلى الجنة وفداً مكرمين،ويساق أهل الكفر والشرك إلى النار أذلاء مهانين كما قال سبحانه : ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٥٦ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥٧ ﴾ [الحج / ٥٦ – ٥٧] .

فأهل التوحيد في الفوز العظيم ، وأهل الشرك في الخسران المبين ، فهل يستويان مثلاً وعملاً وجزاءً: ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠ ﴾[الحشر/ ٢٠] .

فللمؤمنين يوم القيامة دار تليق بإيمانهم وأعمالهم وأخلاقهم ، وللكافرين دار تليق بكفرهم وأعمالهم وأخلاقهم : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ۝١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٠ ﴾[السجدة/ ١٨–٢٠].

والخلق كلهم راجعون إلى ربهم ، ومحاسبون على أعمالهم : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة/ ٦–٨].

وإذا كانت معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم أركان الإيمان ، وأكبر أبواب التوحيد ، فإن معرفة أحوال اليوم الآخر ، وما فيه من البعث والحساب، والصراط والميزان ، والجنة والنار ، أعظم أركان الإيمان بعد الإيمان بالله ﷻ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ۝٧ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٨ ﴾ [الشورى / ٧–٨] .

فالإيمان بالله واليوم الآخر أعظم أركان الإيمان، وعليهما مع بقية أركان الإيمان مدار استقامة الإنسان وفلاحه وسعادته في الدنيا والآخرة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء/ ٨٧].

وإذا كنا بفضل الله قد عرفنا الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرفنا دينه وشرعه، فيجب أن نعرف الدار التي سوف نصير إليها، ونعرف اليوم الآخر وما فيه من البعث والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب؛ ليزيد إيماننا، ويكمل توحيدنا، ونسارع إلى مرضاة ربنا بحسن عبادته، ونبتعد عن الشرك والمعاصي التي توجب سخطه وعقوبته: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ٢٢﴾ [النبأ/ ١٧-٢٢].

لهذا أحببنا الكشف بالتفصيل عن مكان الثواب والعقاب في الجنة والنار؛ ليعلم المؤمن ما أعده الله لأهل التوحيد، وما أعده الله لأهل الشرك، ويزداد المؤمن إيماناً ويقيناً، ويزداد علماً وعملاً وتقوى، ويزداد عطاء وبذلاً، ويزداد صبراً وحمداً وشكراً، ويزداد تعظيماً لربه، ويزداد حباً وذلاً لمولاه العزيز الكريم سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾ [البقرة/ ٢٥].

وإليك ذلك كله مجموعاً ميسراً في ضوء القرآن والسنة.

فأصدق الحديث وأحسنه وأكمله عن الجنة دار الثواب وعن النار دار العقاب نأخذه من كتاب الرب الذي خلقهما، وخلق ما فيهما من النعيم والعذاب، والقصور والسجون: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ونأخذه من سنة من دخل الجنة ووطئت أقدامه أرضها فأحسن وصفها، ومن رأى النار وما فيها من الأهوال وألوان العذاب وأصناف المعذبين نبينا محمد ﷺ.

وليس للعبد بعد هذه المعارف إلا صدق الإيمان، وإخلاص التوحيد، وكمال التسليم، والانقياد والطاعة، والتوبة والاستغفار: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا

تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة/ ٢٨٥-٢٨٦].

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم والمسلمين من عباده المخلصين : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠] .

وإذا اكتملت للعبد هذه المعارف الإلهية ، وقام بموجبها بعبادة ربه وحده لا شريك له فقد ملك الدرر السَّنِيَّة ، وفُتحت له أبواب القصور الملكية في الجنة ، وجنى أحسن الأرباح من أعظم الأسواق : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

أسأل الله ﷻ أن يفتح لنا ولكم وللمؤمنين أبواب الجنة ، وأن ينجينا جميعاً من النار ، إنه رؤوف رحيم .

صفة الجنـة

- **الجنة:** هي دار السلام التي أعدها الله للمؤمنين والمؤمنات في الآخرة.

- سيكون الحديث عن الجنة إن شاء الله تعالى من كتاب من خلقها، وخلق نعيمها، وخلق أهلها وهو الله سبحانه، ومن أخبار من دخلها ووطئت أقدامه أرضها، وهو محمد ﷺ كما ورد في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة.

- **أشهر أسماء الجنة:**

الجنة واحدة في الذات، متعددة الصفات، ومن أشهر أسمائها:

١ - الجنة: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣﴾ [النساء/ ١٣].

٢ - جنات الفردوس: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧﴾ [الكهف/ ١٠٧].

٣ - جنة عدن: قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٩ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠﴾ [ص/ ٤٩-٥٠].

٤ - جنة الخلد: قال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ١٥﴾ [الفرقان/ ١٥].

٥ - جنات النعيم: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾ [لقمان/ ٨].

٦ - جنة المأوى: قال الله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩﴾ [السجدة/ ١٩].

٧ - دار السلام: قال الله تعالى: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

- **مكان الجنة:**

١ - قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [الذاريات/ ٢٢].

٢- وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [النجم/ ١٣-١٥].

٣- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، هَاجَرَ في سَبِيلِ اللهِ، أَوْ جَلَسَ في أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلا نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قال: «إِنَّ في الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ في سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ». أخرجه البخاري[١].

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ حَضَرَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ، فَإِذَا قُبِضَتْ نَفْسُهُ جُعِلَتْ في حَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَيُنْطَلَقُ بِهَا إِلَى بَابِ السَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ مَا وَجَدْنَا رِيْحاً أَطْيَبَ مِنْ هَذِهِ..» أخرجه الحاكم وابن حبان[٢].

- **أسماء أبواب الجنة:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ في سَبِيْلِ اللهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ. يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابَ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ».

فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على مَنْ دُعِيَ من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نَعَمْ؛ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» متفق عليه[٣].

- **سعة أبواب الجنة:**

١- عن عتبة بن غزوان رضي الله عنه قال: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ مَسِيْرَةُ

(١) **أخرجه البخاري** برقم (٧٤٢٣).

(٢) **صحيح** / أخرجه الحاكم برقم (١٣٠٤)، وأخرجه ابن حبان برقم (٣٠١٣).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٨٩٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٢٧).

أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ. أخرجه مسلم[1].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتيَ رسول الله ﷺ يوماً بلحم...- وفي آخره قال-: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى» متفق عليه[2].

• عدد أبواب الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر/ ٧٣].

٢- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «فِي الجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ لا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ» متفق عليه[3].

• أبواب الجنة مفتحة لأهلها:

قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص/ ٤٩-٥٠].

• الأوقات التي تفتح فيها أبواب الجنة في الدنيا:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ يَومَ الإِثْنَيْنِ، ويَومَ الخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً إلا رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا -ثَلاثاً-» أخرجه مسلم[4].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ» متفق عليه[5].

٣- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ (أَوْ فيُسْبِغُ) الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إلا فُتِحَتْ لَهُ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٦٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم (١٩٤)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١١٥٢).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٥).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٧٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٧٩).

أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» أخرجه مسلم[1].

• أول من يدخل الجنة:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي بَابَ الجَنَّةِ يَومَ القِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟، فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ». أخرجه مسلم[2].

• أول أمة تدخل الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَومَ القِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ». متفق عليه[3].

• أول زمرة يدخلون الجنة:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لا يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَتْفِلُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيْهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعاً في السَّمَاءِ» متفق عليه[4].

٢ - وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُون أَلْفاً أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ مُتَمَاسِكُونَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، لا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ» متفق عليه[5].

٣- وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِيْنَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ يَومَ القِيَامَةِ إِلَى الجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفاً» أخرجه مسلم[6].

---

(١) **أخرجه مسلم** برقم (٢٣٤).

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (١٩٧).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٧٦)، ومسلم برقم (٨٥٥)، واللفظ له.

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤٣)، ومسلم برقم (٢١٩)، واللفظ له.

(٦) **أخرجه مسلم** برقم (٢٩٧٩).

- **سن أهل الجنة:**

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَدْخُلُ أَهْلُ الجنَةِّ الجنَّةَ جُرْداً مُرْداً مُكَحَّلِينَ أَبْنَاءَ ثَلاثِينَ، أَوْ ثَلاثٍ وَثَلاثِينَ سَنَةً» أخرجه أحمد والترمذي[1].

- **صفة وجوه أهل الجنة:**

١ - قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المطففين/ ٢٢-٢٤].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الغاشية/ ٨-١٠].

٤ - وقال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [عبس/ ٣٨-٣٩].

٥ - وقال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٧].

٦ - وقال الله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾ [الإنسان/ ١١].

٧ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّمَاءِ إضَاءَةً قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلا تَحَاسُدَ» متفق عليه[2].

- **صفة استقبال أهل الجنة:**

١ - قال الله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٧٣].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٣-٢٤].

٣ - وقال الله تعالى : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى

---

(١) **حسن** / أخرجه أحمد برقم (٧٩٢٠)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٤٥)، وهذا لفظه.

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [الأنبياء/ ١٠٣].

• مَنْ يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب:

١ – عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَأَجِدُ النَّبِيَّ يَمُرُّ مَعَهُ الأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ العَشَرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، هَؤُلاءِ أُمَّتِي؟ قَالَ: لا، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوادٌ كَثِيرٌ. قَالَ: هَؤُلاءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلاءِ سَبْعُونَ أَلْفاً قُدَّامَهُمْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلا عَذَابَ. قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لا يَكْتَوونَ، ولا يَسْتَرْقونَ، وَلا يَتَطَيَّرُون، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» متفق عليه[1].

٢ – وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَعَدَنِي رَبِّي سُبْحَانَهُ أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلفاً لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ، وَلا عَذَابَ، مَعَ كُلِّ أَلفٍ سَبْعُونَ أَلفاً، وَثَلاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه الترمذي وابن ماجه[2].

• صفة أرض الجنة وبنائها:

١ – عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما عُرج به إلى السماء قال: «... ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَتَى بِي السِّدْرَةَ المنْتَهَى، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لا أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيْهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُها المِسْكُ». متفق عليه[3].

٢ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله... الجنة ما بناؤها؟ قال: «لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَمِلاطُهَا المسْكُ الأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَاليَاقُوتُ، وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ وَلا يَبْأَسُ، وَيُخَلَّدُ وَلا يَمُوتُ، لا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ وَلا يَفْنَى شَبَابُهُمْ» أخرجه الترمذي والدارمي[4].

٣– وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن تربة الجنة؟ فقال: «دَرْمَكَةٌ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤١)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٠).

(٢) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٢٤٣٧)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٨٦)، وهذا لفظه.

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٦٣).

(٤) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٢٥٢٦)، وهذا لفظه، وأخرجه الدارمي برقم (٢٧١٧).

بَيْضَاءُ، مِسْكٌ خَالِصٌ» أخرجه مسلم[1].

- **صفة خيام أهل الجنة:**

١ – قال الله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن/ ٧٢].

٢ – وعن عبدالله بن قيس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنَّ لِلْمُؤْمِنِ في الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلاً، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المؤْمِنُ، فَلا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً» متفق عليه[2].

- **سوق الجنة:**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ في الجَنَّةِ لَسُوقاً يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو في وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَرْجِعُونَ إلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ ازْدَادُوا حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً» أخرجه مسلم[3].

- **قصور الجنة:**

خلق الله عز وجل داخل مساكن وقصور الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

- **تفاضل أهل الجنة في القصور:**

١ – قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان/ ٢٠].

٢ – وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ المشْرِقِ أَوِ

(١) **أخرجه مسلم** برقم (٢٩٢٨).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٨٧٩)، ومسلم برقم (٢٨٣٨)، واللفظ له.

(٣) **أخرجه مسلم** برقم (٢٨٣٣).

المغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قالوا يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ». متفق عليه(١).

- **صفة غرف أهل الجنة:**

١- قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨)﴾ [العنكبوت/ ٥٨].

٢- وقال الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠)﴾ [الزمر/ ٢٠].

٣- وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ في الجَنَّةِ غُرَفاً تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا» فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الكَلامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَى للهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ». أخرجه أحمد والترمذي(٢).

- **صفة فُرش أهل الجنة:**

١- قال الله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ﴾ [الرحمن/ ٥٤].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (٣٤)﴾ [الواقعة/ ٣٤].

- **صفة البسط والنمارق:**

١- قال الله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦)﴾ [الغاشية/ ١٥-١٦].

٢- وقال الله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦)﴾ [الرحمن/ ٧٦].

«النمارق» الوسائد، «الزرابي» البسط.

- **أرائك الجنة:**

وهي الأسرة عليها الكلل، أو الكراسي ذات الوسائد.

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣)﴾ [المطففين/ ٢٢-٢٣].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٦)، ومسلم برقم (٢٨٣١)، واللفظ له.

(٢) **حسن** / أخرجه أحمد برقم (١٣٣٨)، وأخرجه الترمذي برقم (١٩٨٤).

٢- وقال الله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الإنسان/ ١٣].

٣- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس/ ٥٥-٥٦].

- **صفة سُرر أهل الجنة:**

١- قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر/ ٤٧].

٢- وقال الله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الطور/ ٢٠].

٣- وقال الله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الواقعة/ ١٥-١٦].

٤- وقال الله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الغاشية/ ١٣].

- **صفة أواني أهل الجنة:**

١- قال الله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة/ ١٧-١٨].

٢- وقال الله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف/ ٧١].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾

[الإنسان/ ١٥-١٦].

٤- وعن عبدالله بن قيس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَومِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إلا رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ» متفق عليه[1].

- **صفة حلي أهل الجنة ولباسهم:**

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحج/ ٢٣].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٤)، ومسلم برقم (١٨٠).

٢ - وقال الله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [الكهف/ ٣١].

٣- وقال الله تعالى: ﴿عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان/ ٢١].

• أول من يُكسى في الجنة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «...وإنَّ أَوَّلَ الخلائِقِ يُكْسَى يومَ القِيَامَةِ إبْرَاهِيْمُ الخَلِيْلُ». أخرجه البخاري[1].

• صفة خدم أهل الجنة:

١ - قال الله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة/ ١٧-١٨].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان/ ١٩].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الطور/ ٢٤].

• أول طعام يأكله أهل الجنة:

١ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عبدالله بن سلام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ ما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ فقال: «زِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ» أخرجه البخاري[2].

٢ - وعن ثوبان رضي الله عنه قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حَبر من أحبار اليهود ... - وفيه -: فقال اليهودي.. فَمَنْ أول الناس إجازة؟ قال: «فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ» قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ» فقال فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «يُنْحَرُ لَهُمْ ثَورُ الجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا» قال: فما شرابهم عليه قال: «مِنْ عَيْنٍ فِيْهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً» أخرجه مسلم[3].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٣١٥).

- **صفة طعام أهل الجنة:**

١ – قال الله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١﴾ [الزخرف/ ٧٠-٧١].

٢ – وقال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد/ ٣٥].

٣ – وقال الله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١﴾ [الواقعة/ ٢٠-٢١].

٤ – وقال الله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤﴾ [الحاقة/ ٢٤].

٥ – وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تكُونُ الأَرْضُ يَومَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتكَفَّؤُهَا الجبَّارُ بِيَدِهِ، كمَا يَكْفَؤُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ في السَّفَرِ نُزُلاً لأَهْلِ الجَنَّةِ».
– وفيه– فأتى رجل من اليهود... فقال: أَلا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قال: إِدَامُهُمْ بَالامٌ وَنُونٌ، قالوا: ومَا هَذَا؟ قَالَ: ثَوْرٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفاً» متفق عليه[١].

٦ – وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيْهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلا يَتْفِلُونَ، وَلا يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ» قالوا: فما بال الطعام؟ قال : «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ المسْكِ ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيْحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ». أخرجه مسلم[٢].

٧ – وعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: يا رسول الله أسمعك تذكر شجرة في الجنة لا أعلم في الدنيا شجرة أكثر شوكاً منها –يعني الطلح–، فقال رسول الله ﷺ: «فإِنَّ اللهَ يَجْعَلُ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ مِثْلَ خِصْيَةِ التَّيْسِ المَلْبُودِ –يعني المخصي– فِيهَا سَبْعُونَ لَوْناً مِنَ الطَّعَامِ لا يُشْبِهُ لَوْنُهُ لَوْنَ الآخَرِ». أخرجه الطبراني في الكبير وفي مسند الشاميين[٣].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٩٢).

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٨٣٥).

(٣) **صحيح** / أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ١٣٠) وفي مسند الشاميين (١/ ٢٨٢)، انظر الصحيحة رقم (٢٧٣٤).

• صفة شراب أهل الجنة:

١ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ٥﴾ [الإنسان/ ٥].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ١٧﴾ [الإنسان/ ١٧].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾ [المطففين/ ٢٥-٢٨].

٤ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الكَوْثَرُ نَهْرٌ في الجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَاليَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ» أخرجه الترمذي وابن ماجه[1].

• صفة أشجار الجنة وثمارها:

١ - قال الله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ١٤﴾ [الإنسان/ ١٤].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢﴾ [المرسلات/ ٤١-٤٢].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ٥١﴾ [ص/ ٥١].

٤ - وقال الله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد/ ١٥].

٥ - وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ٣٢﴾ [النبأ/ ٣١-٣٢].

٦ - وقال الله تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ٥٢﴾، ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ٦٨﴾ [الرحمن/ ٥٢، ٦٨].

٧ - وقال الله تعالى: ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ٥٥﴾ [الدخان/ ٥٥].

٨ - وقال الله تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ٣١ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ٣٣﴾ [الواقعة/ ٢٧-٣٣].

٩ - وقال الله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤﴾ [الحاقة/ ٢٢-٢٤].

---

(١) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٣٣٦١)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٣٣٤).

١٠- وعن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما في قصة المعراج -وفيه-: أن النبي ﷺ قال: «وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ المنْتَهى فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلالُ هَجَرَ، وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الفُيُولِ، في أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ فَفِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النِّيلُ وَالفُرَاتُ» متفق عليه[(١)].

١١- وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ في الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيْرُ الرَّاكِبُ الجَوادَ أَو المضَمَّرَ السَّريعَ مائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا» متفق عليه[(٢)].

١٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما في الجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِلَّا وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ». أخرجه الترمذي[(٣)].

● صفة أنهار الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١﴾ [البروج/ ١١].

٢- وقال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ [محمد/ ١٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

٤- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَنَا أَسيرُ في الجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافتَاهُ قِبابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طيبُهُ، أَوْ طينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ» أخرجه البخاري[(٤)].

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ، وَالفُرَاتُ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٦٢).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٥٣)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٢٨).

(٣) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٢٥٢٥).

(٤) **أخرجه البخاري** برقم (٦٥٨١).

وَالنِّيلِ، كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الجَنَّةِ». أخرجه مسلم[1] .

• صفة عيون الجنة:

١ – قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الحجر/ ٤٥].

٢ – وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الإنسان/ ٥-٦].

٣ – وقال الله تعالى: ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المطففين/ ٢٧-٢٨].

٤ – وقال الله تعالى: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ ﴾، ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الرحمن/ ٥٠، ٦٦].

٥ – وقال الله تعالى: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الإنسان/ ١٧-١٨].

• صفة نساء أهل الجنة:

١ – قال الله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥].

٢ – وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الواقعة/ ٣٥-٤٠].

٣ – وقال الله تعالى: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الصافات/ ٤٨-٤٩].

٤ – وقال الله تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الواقعة/ ٢٢-٢٤].

٥ – وقال الله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الرحمن/ ٥٦-٥٨].

٦ – وقال الله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الرحمن/ ٧٠-٧٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٩).

٧- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَرَوْحَةٌ في سَبِيلِ اللهِ أَوْ غَدْوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قِيدٍ -يَعْنِي سَوْطَهُ- خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلملأَتْهُ رِيحاً، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» متفق عليه(١).

٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَءِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّمَاءِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَمَا في الجَنَّةِ أَعْزَبُ» متفق عليه(٢).

- **عطور وروائح الجنة:**

وذلك يختلف باختلاف الأشخاص، وتفاوت منازلهم ودرجاتهم.

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لا يَبُولُونَ وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَتْفِلُونَ وَلا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ -الأَلَنْجُوجُ، عُودُ الطِّيبِ- وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا في السَّمَاءِ» متفق عليه(٣) .

٢- وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَاماً» أخرجه البخاري(٤).

٣- وفي لفظٍ: «وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفاً» أخرجه الترمذي وابن ماجه(٥).

- **غناء أزواج أهل الجنة:**

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الجَنَّةِ لَيُغَنِّينَ أَزْوَاجَهُنَّ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٦)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٨٠).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٦)، ومسلم برقم (٢٨٣٤)، واللفظ له.

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

(٤) **أخرجه البخاري** برقم (٣١٦٦).

(٥) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (١٤٠٣)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٢٦٨٧).

بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطّ، إنّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ خَيرُ الحِسَانِ، أَزْوَاجُ قَومٍ كِرَامٍ، يَنْظُرْنَ بِقُرَّةِ أَعْيَانِ.

وَإنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ الخَالِدَاتُ فَلا يَمُتْنَهْ، نَحْنُ الآمِنَاتُ فَلا يَخَفْنَهْ، نَحْنُ المقيمَاتُ فَلا يَظْعَنَّهْ» أخرجه الطبراني في الأوسط[1].

• جماع أهل الجنة:

١ – قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس/ ٥٥-٥٦].

٢ – وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ في الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالشَّهْوَةِ وَالجِمَاعِ»، فقال رجل من اليهود: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، فقال رسول الله ﷺ : «حَاجَةُ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جِلْدِهِ، فَإِذَا بَطْنُهُ قَدْ ضَمِرَ» أخرجه الطبراني والدارمي[2]

٣– وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله: هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟ فقال: «إنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ في اليَوْمِ إلَى مِائَةِ عَذْرَاءَ» أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في صفة الجنة[3].

• الولد في الجنة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤْمِنُ إذَا اشْتَهَى الوَلَدَ في الجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ في سَاعَةٍ كَمَا يَشْتَهِي» أخرجه أحمد والترمذي[4].

• دوام نعيم أهل الجنة:

إذا دخل أهل الجنة الجنة تلقتهم الملائكة، وبشرتهم بما في الجنة من النعيم والخلود بشرىً لم يسمعوا بمثلها قط.

١ – قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ

---

(١) **صحيح** / أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٤٩١٧)، انظر صحيح الجامع رقم (١٥٦١).

(٢) **صحيح** / أخرجه الطبراني في الكبير (٥/ ١٧٨)، وأخرجه الدارمي برقم (٢٧٢١)، انظر صحيح الجامع رقم (١٦٢٧).

(٣) **صحيح** / أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٥٢٦٣)، و أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٣٧٣)، انظر الصحيحة رقم (٣٦٧).

(٤) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١١٠٧٩)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٦٣).

عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد/ ٣٥].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُنَادِي مُنَادٍ: إنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبدَاً، وإنّ لَكُمْ أَنْ تَحيَوْا فلا تَمُوتُوا أبَداً، وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبَداً، وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلا تَبْأَسُوا أَبداً» فذلك قوله عزوجل: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أخرجه مسلم[1].

٣- وعن جابر رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله: هل ينام أهل الجنة؟ قال: «لا، النَّوْمُ أَخُو المَوْتِ» أخرجه البزار[2].

• درجات الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء/ ٢١].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه/ ٧٥-٧٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة/ ١٠-١٤].

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقاً عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ في سَبِيْلِ اللهِ، أَوْ جَلَسَ في أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا» فقالوا يا رسول الله: أفلا نبشر الناس؟.

قال: «إنَّ في الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ في سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ»، أراه قال: «وَفَوقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ» أخرجه البخاري[3].

---

(١) **أخرجه مسلم** برقم (٢٨٣٧).

(٢) **صحيح** / أخرجه البزار -كشف الأستار- برقم (٣٥١٧)، انظر السلسلة الصحيحة رقم (١٠٨٧).

(٣) **أخرجه البخاري** برقم (٢٧٩٠).

- **رفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل:**

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١)﴾ [الطور/ ٢١].

- **صفة ظل الجنة:**

١ - قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (٥٧)﴾ [النساء/ ٥٧].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠)﴾ [الواقعة/ ٢٧-٣٠].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤)﴾ [الإنسان/ ١٣-١٤].

٤ - وقال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥)﴾ [الرعد/ ٣٥].

- **علو الجنة وسعتها:**

١ - قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١)﴾ [الغاشية/ ٨-١١].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)﴾ [آل عمران/ ١٣٣].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١)﴾ [الحديد/ ٢١].

- **أعلى منزلة في الجنة:**

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ المؤذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ بِهَا عَشْراً، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا

مَنْزِلَةٌ في الجَنَّةِ لا تَنبْغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ» أخرجه مسلم[1].

• أعلى أهل الجنة منزلة، وأدناهم منزلة:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِن مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الخَامِسَةِ رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ.

قَالَ: رَبِّ فَأَعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُّ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» قال: ومصداقه في كتاب الله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أخرجه مسلم[2].

وفي لفظ في بيان أدنى أهل الجنة: «فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا» متفق عليه[3].

• أعظم نعيم أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة/ ٧٢].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟». قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هَلْ تُضَارُّونَ في الشَّمْسِ لَيْسَ دُوْنَهَا سَحَابٌ؟». قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فَإِنَّكُمْ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٨٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٧١)، ومسلم برقم (١٨٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ» متفق عليه[1].

٤- وعن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه مسلم[2].

- **صفة نعيم الجنة:**

١- قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف/ ٦٩-٧٣].

٢- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ [الدخان/ ٥١-٥٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان/ ١٢-٢٢].

٤- وقال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢)، واللفظ له.

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (١٨١).

وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة/ ١٠-٢٦].

٥- وقال الله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة/ ٢٧-٤٠].

٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللهُ عَزّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» مصداق ذلك في كتاب الله ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾. متفق عليه[1].

- **ذِكْرُ وكلام أهل الجنة:**

١- قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر/ ٧٤].

٢- وقال الله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس/ ١٠].

٣- وقال الله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة/ ٢٥-٢٦].

٤- وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلا يَتْفُلُونَ وَلا يَبُولُونَ وَلا يَتَغَوَّطُونَ وَلا يَمْتَخِطُونَ» قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ المِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ» أخرجه مسلم[2].

- **سلام الرب على أهل الجنة:**

١- قال الله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب/ ٤٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤)، ومسلم برقم (٢٨٢٤)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٥).

٢- وقال الله تعالى: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾ [يس/ ٥٨].

- **لقاء الرضوان:**

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ لأَهْلِ الجَنَّةِ، يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً». متفق عليه[١].

اللهم ارض عنا وعن والدينا وأهلينا والمسلمين أجمعين،وأدخلنابرحمتك في جنات النعيم.

- **مقدار أمة محمد ﷺ في الجنة:**

أكرم الله تعالى هذه الأمة بأن جعلها شطر أهل الجنة، ثم تفضل عليهم بالزيادة إلى الثلثين.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في قُبَّةٍ فقال: «أَتَرْضَونَ أَنْ تكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟» قلنا نعم قال: «أَتَرْضَونَ أَنْ تكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟» قلنا نعم، قال: «أَتَرْضَونَ أَنْ تكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟» قلنا: نعم، قال: «إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الجَنَّةَ لا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّورِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّورِ الأَحْمَرِ» متفق عليه[٢].

- **صفوف أهل الجنة:**

عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَهْلُ الجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ» أخرجه الترمذي وابن ماجه[٣].

- **أهل الجنة:**

١- قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨٢﴾ [البقرة/ ٨٢].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤٩)، ومسلم برقم (٢٨٢٩)، واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢١).

(٣) **صحيح** / أخرجه الترمذي برقم (٢٥٤٦)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٨٩).

٢- وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟» قالوا: بَلَى، قال ﷺ: «كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَو أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ...». متفق عليه[1].

٣- وعن عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «.. وَأَهْلُ الجَنَّةِ ثَلاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيْمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ..» أخرجه مسلم[2].

• أكثر أهل الجنة:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اطَّلَعْتُ في الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ في النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» متفق عليه[3].

• آخر من يدخل الجنة:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنَ النَّارِ: رَجُلٌ يَخْرُجُ حَبْواً، فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ: رَبِّ، الجَنَّةُ مَلأى، فَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَكُلَّ ذَلِكَ يُعِيدُ عَلَيهِ: الجَنَّةُ مَلأى، فَيَقُولُ: إنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشْرَ مِرَارٍ» متفق عليه[4].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم برقم (٢٨٥٣)، واللفظ له.

(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٨٦٥).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤١)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٣٧).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٥١١)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٦).

صفة النـار

- **النار**: هي دار العذاب التي أعدها الله للكافرين والمنافقين والعصاة في الآخرة.
- سنتحدث هنا إن شاء الله تعالى عن النار دار البوار وما فيها من ألوان العذاب؛ ليكون ذلك باعثاً على الرهبة والفرار من النار، واجتناب المعاصي والسيئات.

وإنما يحصل الفوز بالجنة والنجاة من النار بالإيمان والأعمال الصالحة ، واجتناب الشرك والمعاصي، نسأل الله الفوز بالجنة، والنجاة من النار.

وسيكون الحديث عن النار على ضوء ما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

- **أشهر أسماء النار:**

النار واحدة في الذات، متعددة الصفات، ومن أشهر أسمائها:

١ – النار: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٤﴾ [النساء/ ١٤].

٢ – جهنم: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠﴾ [النساء/ ١٤٠].

٣ – الجحيم: قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ١٠﴾ [المائدة/ ١٠].

٤ – السعير: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ٦٤﴾ [الأحزاب/ ٦٤].

٥ – سقر: قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ٤٨﴾ [القمر/ ٤٨].

٦ – الحطمة: قال الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ٦﴾ [الهمزة/ ٤-٦].

٧ – لظى: قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧﴾ [المعارج/ ١٥-١٧].

٨ – دار البوار: قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ٢٩﴾ [إبراهيم/ ٢٨-٢٩].

• مكان النار:

١ - قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ [المطففين/ ٧].

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «...وأَمَّا الكَافِرُ فَإذَا قُبِضَتْ نَفْسُهُ وَذُهِبَ بِهَا إِلَى بَابِ الأَرْضِ يَقُولُ خَزَنَةُ الأَرْضِ: مَا وَجَدْنَا رِيحاً أَنْتَنَ مِنْ هَذِهِ، فَتَبْلُغُ بِهَا إِلى الأَرْضِ السُّفْلَى» أخرجه الحاكم وابن حبان(١).

• خلود أهل النار:

الكفار والمشركون والمنافقون مخلدون في النار، وأما عصاة الموحدين فهم تحت مشيئة الله عز وجل، إن شاء غفر لهم، وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم ثم أخرجهم.

١ - قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٦٨﴾ [التوبة/ ٦٨].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٦٥ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۝٦٦﴾ [الأحزاب/ ٦٤-٦٦].

• صفة وجوه أهل النار:

١ - قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٦٠﴾ [الزمر/ ٦٠].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ۝٤٢﴾ [عبس/ ٤٠-٤٢].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥﴾ [القيامة/ ٢٤-٢٥].

٤ - وقال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ [الغاشية/ ٢-٤].

٥ - وقال الله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [المؤمنون/ ١٠٤].

• عدد أبواب النار:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٣ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝٤٤﴾ [الحجر/ ٤٣-٤٤].

---

(١) **صحيح** / أخرجه الحاكم برقم (١٣٠٤)، وأخرجه ابن حبان برقم (٣٠١٣).

- **أبواب النار مغلقة على أهلها:**

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة/ ٤-٩].

- **مجيء النار في عرصات القيامة:**

١ - قال الله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء/ ٩١].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر/ ٢١-٢٣].

٣ - وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يومَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» أخرجه مسلم(١).

- **ورود النار:**

١ - قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم/ ٧١-٧٢].

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة... – وفيه – فقال: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ» متفق عليه(٢).

- **قعر النار:**

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وَجْبَةً، فقال النبي ﷺ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا» أخرجه مسلم(٣).

٢ - وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أنه سمع نبي الله ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى عُنُقِهِ» أخرجه مسلم(٤).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢)، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٤).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٥).

- **عَظمة خَلق أهل النار:**

١ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ضِرْسُ الكَافِرِ أَوْ نَابُ الكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلاثٍ» أخرجه مسلم(١).

٢ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا بَيْنَ مَنْكِبَي الكَافِرِ في النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ المُسْرِعِ» متفق عليه(٢).

٣ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ضِرْسُ الكَافِرِ يومَ القِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَعَرْضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً، وَعَضُدُه مِثْلُ البَيْضَاءِ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرِقَانٍ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مَا بَيْنِي وَبَينَ الرَّبَذَةِ» أخرجه أحمد والحاكم(٣).

- **قوة حرارة النار:**

١ – قال الله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ [الإسراء/ ٩٧-٩٨].

٢ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: «فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءاً كُلُّها مِثْلُ حَرِّهَا» متفق عليه(٤).

٣ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَينِ، نَفَسٍ في الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ في الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ» متفق عليه(٥).

- **وقود النار:**

١ – قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ

---

(١) **أخرجه مسلم** برقم (٢٨٥١).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٥١)، ومسلم برقم (٥٢)، واللفظ له.

(٣) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٨٣٢٧) وأخرجه الحاكم برقم (٨٧٥٩) وهذا لفظه، انظر السلسلة الصحيحة رقم (١١٠٥).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٥)، ومسلم برقم (٢٨٤٣)، واللفظ له.

(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٦١٧).

غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم/ ٦].

٢ – وقال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة/ ٢٤].

٣- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء/ ٩٨].

• دركات النار:

النار دركات بعضها أسفل من بعض، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار؛ لغلظ كفرهم، وتمكنهم من أذى المؤمنين كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء/ ١٤٥].

• صفة ظل النار:

١ – قال الله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الواقعة/ ٤١-٤٣].

٢ – وقال الله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر/ ١٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾ [المرسلات/ ٣٠-٣١].

• خزنة النار:

١ – قال الله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المدثر/ ٢٦-٣١].

٢ – ومالك خازن النار، كما قال سبحانه: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف/ ٧٧-٧٨].

• بعث النار:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَقولُ اللهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ في يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ

كُلِّ أَلْفٍ تِسْعمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَه يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الوَاحِدُ؟ قَالَ: «أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلاً، وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ» متفق عليه[1].

• كيفية دخول أهل النار النار:

١ - قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر/ ٧١-٧٢].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن/ ٤١].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان/ ١١-١٤].

٤ - وقال الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾﴾ [الهمزة/ ٤-٦].

٥- وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الطور/ ١٣-١٤].

٦- وقال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم/ ٤٩-٥٠].

٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَومَ القِيامَةِ، لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ: إنِّي وُكِّلْتُ بِثَلاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إلَهاً آخَرَ، وَبِالمصَوِّرِينَ» أخرجه أحمد والترمذي[2].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٤٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٢).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٨٤١١)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٧٤) وهذا لفظه.

• **أول مَنْ تُسَعَّر بهم النار:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَومَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعمَهُ فعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟، قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتّى أُلْقِيَ في النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ القُرآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ ، وَقَرأتَ القُرآنَ لِيُقَالَ هُوَقَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَبِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إلا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ في النَّارِ».

أخرجه مسلم[1].

• **أهل النار:**

١ – قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾ [البقرة/ ٣٩].

٢– و قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٦٨﴾ [التوبة/ ٦٨].

٣– وعن عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «..وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لازَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تبَعاً لا يَتْبَعُونَ أَهْلاً وَلا مَالاً، وَالخَائِنُ الَّذِي لا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإنْ دَقَّ إلا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لا يُصْبِحُ وَلا يُمْسِي إلا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ» وذكر البخل أو الكذب «والشِّنْظِيرُ الفَحَّاشُ» أخرجه مسلم[2].

• **أكثر أهل النار:**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «أُرِيتُ النَّارَ، فإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ»

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٠٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦٥).

قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: يَكفُرنَ العَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الإحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيئاً، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيراً قَطُّ» متفق عليه(1).

- **أشد أهل النار عذاباً:**

١ - قال الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾ [ق/ ٢٤-٢٦].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر/ ٤٥ -٤٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل/ ٨٨].

٤- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء/ ١٤٥].

٥- وقال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ [مريم/ ٦٨-٧٠].

٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يومَ القِيَامَةِ، لَهَا عَينَانِ تُبْصِرانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ: إنِّي وُكِّلْتُ بِثَلاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إلَهاً آخَرَ، وَبِالمصَوِّرِينَ» أخرجه أحمد والترمذي(2).

٧- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يومَ القِيَامَةِ المصَوِّرُونَ» متفق عليه(3).

٨- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يومَ القِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيّاً، وَإِمَامُ ضَلالَةٍ، وَمُمَثِّلٌ مِنَ المُمَثِّلِينَ» أخرجه أحمد والطبراني(4).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٩٠٧).

(٢) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٨٤١١)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٧٤)، وهذا لفظه.

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٠)، ومسلم برقم (٢١٠٩)، واللفظ له.

(٤) **جيد**/ أخرجه أحمد برقم (٣٨٦٨) وهذا لفظه، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٠).

• أهون أهل النار عذاباً:

١ – عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَومَ القِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي المِرْجَلُ بِالقُمْقُمِ» متفق عليه[1].

٢ – وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ» أخرجه مسلم[2].

٣ – وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ –وَذُكِرَ عنده عمه أبو طالب فقال–: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَومَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ» متفق عليه[3].

• ما يقال لأهون أهل النار عذاباً:

١ – قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [المائدة/ ٣٦].

٢ – وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَومَ القِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لا تُشْرِكَ بِي شَيْئاً، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِيْ» متفق عليه[4].

• سلاسل جهنم وأغلالها:

١ – قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإنسان/ ٤].

٢ – وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر/ ٧٠–٧٢].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٦٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٣).
(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢١٢).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٦٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٠).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٥٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٠٥).

٣- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ [المزمل/ ١٢-١٣].

٤- وقال الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ [الحاقة/ ٣٠- ٣٤].

• صفة طعام أهل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِى فِى الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان/ ٤٣-٤٦].

٢- وقال الله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ [الصافات/ ٦٢-٦٨].

٣- وقال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ [الغاشية/ ٦-٧].

٤- وقال الله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا الْخَاطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة/ ٣٥-٣٧].

• صفة شراب أهل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم/ ١٥-١٧].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد/ ١٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف/ ٢٩].

٤- وقال الله تعالى: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص/ ٥٥-٥٨].

• صفة ثياب أهل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج/ ١٩].

٢- وقال الله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٤٩-٥٠].

● فُرش أهل النار:

قال الله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأعراف/ ٤١].

● حسرة أهل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٦٧].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يَدْخُلُ أَحَدٌ الجَنَّةَ إلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ لِيَزْدَادَ شُكْراً، وَلا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إلا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ لَو أَحْسَنَ لِيَكُونَ عَلَيهِ حَسْرَةً» أخرجه البخاري(١).

٣- وعَنْ أنسٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنَّ اللهَ يَقُولُ لأهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً: لَوْ أنَّ لَكَ مَا في الأرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ قال: نَعَمْ، قال: فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ في صُلْبِ آدَمَ: أنْ لا تُشْرِكَ بِي، فَأَبَيْتَ إلَّا الشِّرْكَ» متفق عليه(٢).

● كلام أهل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأعراف ٣٨-٣٩].

٢- وقال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٢٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الفرقان/ ١٤].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٦٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٣٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٠٥).

- **أصناف المعذبين في النار :**

١ - الكفار والمنافقون:

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨﴾ [التوبة/ ٦٨].

٢ - قاتل النفس المعصومة عمدا:

١ - قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣﴾ [النساء/ ٩٣].

٢ - وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَاماً» أخرجه البخاري(١).

٣ - الزناة والزواني:

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ من رُؤْيَا؟» - وفيه - أنه قال ذات غداة : « إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي وَإِنَّهُمَا قَالا لِي انْطَلِقْ... فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ، فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ، قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فيْهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكُ اللهَبُ ضَوْضَوْا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا مَا هَؤُلاءِ؟ - وَفِيهِ - فَقَالا: وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ في مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي ...» أخرجه البخاري(٢).

٤ - آكلو الربا:

في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه السابق قال النبي ﷺ: «فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهْرِ وعلى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيْهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ فَقُلْتُ مَا هَذَا؟... قَالَ وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُو الرِّبَا» أخرجه البخاري(٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٦٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٠٤٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٣٨٦).

٥- المصورون:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ مُصَوِّرٍ في النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْساً فَتُعَذِّبُهُ في جَهَنَّمَ» أخرجه مسلم(١).

٢- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وقد سَتَرْتُ سَهْوَةً لي بِقِرَامٍ فيه تماثيل، فلما رآه هتكه وتلوَّن وجهه وقال: «يَا عَائِشَةُ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَومَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ » قالت عائشة: فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين. متفق عليه(٢).

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً في الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يومَ القِيَامَةِ وَلَيسَ بِنَافِخٍ» متفق عليه(٣).

٦- آكل مال اليتيم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء/ ١٠].

٧- أهل الكذب والغيبة والنميمة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة/ ٩٢-٩٤].

٢- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر -وفيه- فقلت يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» أخرجه الترمذي وابن ماجه(٤).

٨- الذين يكتمون ما أنزل الله:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰٓئِكَ مَا

---

(١) **أخرجه مسلم** برقم (٢١١٠).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٤)، ومسلم برقم (٢١٠٧)، واللفظ له.

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٠٤٢)، ومسلم برقم (٢١١٠)، واللفظ له.

(٤) **صحيح/** أخرجه الترمذي برقم (٢٦١٦)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٩٧٣).

﴿يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾
[البقرة/ ١٧٤].

• تخاصم أهل النار مع بعضهم:

١ – مخاصمة العابدين لمعبوديهم: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الشعراء/ ٩٦-٩٩].

٢ – مخاصمة الضعفاء للسادة المستكبرين: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر/ ٤٧-٤٨].

٣ – تخاصم الأتباع مع قادة الضلال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾
[الصافات/ ٢٧-٣٣].

٤ – تخاصم الكافر وقرينه الشيطان: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق/ ٢٧-٢٩].

٥ – ويبلغ الأمر أشده عندما يخاصم الإنسان أعضاءه: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت/ ١٩-٢١].

• طلب أهل النار من ربهم رؤية مَنْ أضلوهم وتضعيف العذاب عليهم:

١ – قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [فصلت/ ٢٩].

٢ – وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب/ ٦٦-٦٨].

- **خطبة إبليس في أهل النار:**

إذا قضى الله الأمر، وفصل بين العباد، خطب إبليس في أهل النار؛ ليزيد من كربهم وندامتهم وحسرتهم.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم/ ٢٢].

- **طلب النار المزيد:**

١ - قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق/ ٣٠].

٢ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلا يَزَالُ في الجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقاً، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الجَنَّةِ» متفق عليه[1].

- **أنواع عذاب أهل النار:**

١ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء/ ٥٦].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف/ ٧٤-٧٦].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب/ ٦٤-٦٦].

٤ - وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر/ ٣٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٨٤٨)، ومسلم برقم (٢٨٤٨)، واللفظ له.

٥ - وقال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود/ ١٠٦-١٠٧].

٦ - وقال الله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ ﴾ [مريم/ ٦٨-٧٠].

٧ - وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [النبأ/ ٢١-٢٦].

٨ - وقال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ ﴾ [الملك/ ٦-٩].

٩ - وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [القمر/ ٤٧-٤٨].

١٠ - وقال الله تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾ ﴾ [الهمزة/ ٤-٩].

١١ - وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجاءُ بِالرَّجُلِ يومَ القِيامَةِ فيُلْقَى في النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتابُهُ في النَّارِ، فَيَدُورُ كَما يَدُورُ الحِمارُ بِرحَاهُ، فَيَجْتَمعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيسَ كُنْتَ تَأْمُرُنا بِالمعرُوفِ وتَنْهانا عَنِ المنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمعْرُوفِ وَلا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المنْكَرِ وآتِيْهِ» متفق عليه[1].

• بكاء أهل النار وصراخهم:

١ - قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [التوبة/ ٨١-٨٢].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٩٨٩).

﴿نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر/ ٣٧].

٣- وقال الله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء/ ١٠٠].

٤- وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان/ ١٣-١٤].

٥- وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان/ ٢٧].

٦- وقال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة/ ١٦٧].

- **دعاء أهل النار:**

إذا دخل أهل النار فيها وأصابهم العذاب الشديد استغاثوا ونادوا لعلهم يجدون من يغيثهم ويجيبهم، فينادون أهل الجنة، وخزنة النار، ومالك خازن النار، وينادون ربهم فلا يجابون إلا بما يزيد حسرتهم، ثم يفقدون الأمل ويأخذون في الزفير والشهيق.

١- قال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف/ ٥٠].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر/ ٤٩-٥٠].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف/ ٧٧-٧٨].

٤- وقال الله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون/ ١٠٦-١٠٨].

٥- فإذا فقد أهل النار الأمل في الخروج من النار ويئسوا من أي خير أخذوا في الزفير والشهيق كما قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود/ ١٠٦-١٠٧].

عياذاً بالله من غضب الله وسخطه وعقوبته، اللهم ارزقنا الجنة.. وأجرنا من النار.. أنت مولانا.. فنعم المولى.. ونعم النصير.

- **ميراث أهل الجنة منازل أهل النار:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلانِ: مَنْزِلٌ فِي الجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، وَرِثَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾» أخرجه ابن ماجه[1].

- **خروج عصاة الموحدين من النار:**

١ - عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوحِيدِ فِي النَّارِ حَتّى يَكُونُوا فِيهَا حُمَماً، ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ، فَيُخْرَجُونَ وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوابِ الجَنّةِ» قال: «فَيَرُشُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ المَاءَ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الغُثَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ ثُمَّ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ» أخرجه أحمد والترمذي[2].

٢ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيْرَةً، ثُمَّ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً» متفق عليه[3].

- **أشد عذاب أهل النار:**

١ - أفضل نعيم في الجنة فرح المؤمنين وسرورهم برؤية ربهم جل وعلا، ورضاه عنهم كما قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة/ ٧٢].

---

(١) **صحيح** / أخرجه ابن ماجه برقم (٤٣٤١).

(٢) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (١٥٢٦٨)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٩٧)، وهذا لفظه.

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٤)، ومسلم برقم (١٩٣)، واللفظ له.

٢ - وأشد عذاب في النار حجاب أهل النار عن رؤية ربهم جل وعلا كما قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۝١٦﴾ [المطففين/ ١٥-١٦].

• خلود أهل الجنة والنار:

١ - قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ۝١٠٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾ [هود/ ١٠٥-١٠٨].

٢ - وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [النساء/ ١٢٢].

٣ - وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٣٦ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٣٧﴾ [المائدة/ ٣٦-٣٧].

٤ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِيءَ بِالموتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَينَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لا مَوْتَ، يَا أَهْلَ النَّارِ لا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحاً إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْناً إِلَى حُزْنِهِمْ» متفق عليه[1].

• أكثر أهل الجنة والنار:

الرجال في الجنة أكثر من النساء، والنساء في النار أكثر من الرجال، والحور أكثر من الرجال في الجنة.

١ - عن عمران رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اطَّلَعْتُ في الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطَّلَعْتُ في النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» متفق عليه[2].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٥٠).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤١)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٣٧).

٢ – وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ : « أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ» قِيلَ :أَيَكْفُرْنَ بِالله؟ قَالَ : «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيتُ مِنْكَ خَيْراً قَطُّ » متفق عليه[١].

٣– وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الجَنَّةِ النِّسَاءُ ». أخرجه مسلم[٢].

٤ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَتْفِلُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ وَمجَامِرُهُمُ الْأَلُوَّةُ الْأَلَنْجُوجُ عُودُ الطِّيبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ الْعِينُ عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعاً فِي السَّمَاءِ» متفق عليه[٣].

- **حجاب الجنة والنار:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمكَارِهِ » متفق عليه[٤].

- **قرب الجنة والنار:**

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ» أخرجه البخاري[٥].

- **احتجاج الجنة والنار وحكم الله بينهما:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تَحَاجَّتِ النَّارُ وَالجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالمُتَكَبِّرِينَ وَالمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: فَمَالِي لا يَدْخُلُني إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجَزُهُمْ، فَقَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٩)، واللفظ له، ومسلم برقم (٩٠٧).
(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٧٣٨).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٤٨٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٢٣).
(٥) **أخرجه البخاري** برقم (٦٤٨٨).

عَذَابي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، ولِكُلِّ واحِدَةٍ مِنْكُمْ مِلْؤُهَا» متفق عليه[1].

- **اتقاء النار وطلب الجنة:**

١- قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران/ ١٣١-١٣٢].

٢- وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» متفق عليه[2].

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى». قَالُوا يَا رَسُولَ الله وَمَنْ يَأْبَى ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» متفق عليه[3].

- اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٨٥٠)، ومسلم برقم (٢٨٤٦)، واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٦٣)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠١٦).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٣٥).

دعـاء أهل التوحيد

- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ١-٧].

- ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾[التوبة / ١٢٩].

- ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[الأنبياء / ٨٧].

- ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف/ ٢٣].

- ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الممتحنة/ ٤-٥].

- ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

- ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [المؤمنون/ ١٠٩].

- ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة/ ٨٣].

- ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾﴾[آل عمران/ ١٦].

- ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم/ ٨].

- ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر/ ١٠].

- ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

- ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس/ ٨٥-٨٦].

- ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾[البقرة/ ١٢٧ - ١٢٨].

- ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا ١٠﴾ [الكهف/ ١٠].

- ﴿رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٍ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [الفرقان/ ٧٤].

- ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ١٢﴾ [الدخان/ ١٢].

- ﴿رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦﴾ [الفرقان/ ٦٥-٦٦].

- ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة/ ٢٠١].

- ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩﴾ [آل عمران/ ٨-٩].

- ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾ [آل عمران/ ١٩٣-١٩٤].

- ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [النمل/ ١٩].

- ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾ [إبراهيم/ ٤٠-٤١].

- ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥﴾ [الأحقاف/ ١٥].

- ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾ [طه/ ٢٥-٢٨].

- ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾ [القصص/ ١٦].

- ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾ [هود/ ٤٧].

- ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي

مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

- ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح/ ٢٨].
- ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران/ ٣٨].
- ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٩].
- ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات/ ١٠٠].
- ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون/ ١١٨].
- ﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون/ ٩٧- ٩٨].
- ﴿رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه/ ١١٤].
- ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء/ ٨٠].
- ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المؤمنون/ ٢٩].
- ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص/ ١٧].
- ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت/ ٣٠].
- «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الحَقُّ، وَقَولُكَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الحَقُّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ.

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِليكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ،وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ،وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه[1].

- « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمَّدٍ وَعَلَى آلِ محمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى محمَّدٍ وَعَلَى آلِ محمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ » متفق عليه[1].

- «اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ وَالبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ» متفق عليه[2].

- «لا إِلَهَ إِلَّا الله العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لا إِلَهَ إِلَّا الله رَبُّ السَّمَوَاتِ، وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ» متفق عليه[3].

- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهَرَمِ، وَالمَغْرَمِ، وَالمَأْثَمِ .

- اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ القَبْرِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وَشَرِّ فِتْنَةِ الفَقْرِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ.

- اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَينَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَينَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ» متفق عليه[4].

- «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً، وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ» متفق عليه[5].

- «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ .

- اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ» متفق عليه[6].

- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّيْ وَهَزْلِيْ، وَخَطَئِي وَعَمْدِي ، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي .

- اللَّهمَّ اغْفرْ لِي ما قدَّمْتُ وَما أَخرْتُ، وَما أَسْرَرْتُ وَما أَعْلَنْتُ، وَما أَنْتَ أَعْلمُ بهِ مِنِّي، أَنْتَ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٤٠٦).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٨٢٣)، ومسلم برقم (٢٧٠٦) واللفظ له.

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٦)، ومسلم برقم (٢٧٣٠).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٧٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٥٨٩) في كتاب الذكر.

(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له.

(٦) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣)، ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له.

المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» متفق عليه[1].

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ» أخرجه البخاري[2].

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ القَبرِ» أخرجه البخاري[3].

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ» أخرجه مسلم[4].

• «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ» أخرجه مسلم[5].

• «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الحيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيرٍ، وَاجْعَلِ المَوتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» أخرجه مسلم[6].

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى» أخرجه مسلم[7].

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَالهَرَمِ وَعَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَولاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا». أخرجه مسلم[8].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨)، ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له.

(٢) **أخرجه البخاري** برقم (٦٣٦٩).

(٣) **أخرجه البخاري** برقم (٦٣٧٤).

(٤) **أخرجه مسلم** برقم (٢٧٣٩).

(٥) **أخرجه مسلم** برقم (٢٦٥٤).

(٦) **أخرجه مسلم** برقم (٢٧٢٠).

(٧) **أخرجه مسلم** برقم (٢٧٢١).

(٨) **أخرجه مسلم** برقم (٢٧٢٢).

- «اللَّهُـمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ» أخرجه مسلم[1].

- «اللَّهُـمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَاعَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَـمْ أَعْمَلْ» أخرجه مسلم[2].

- «اللَّهُـمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عَقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ». أخرجه مسلم[3].

- «اللَّهُـمَّ بَارِكْ لَنَا في مَدِينَتِنَا ، وَفِي ثِمَارِنَا ، وَفِي مُدِّنَا ، وَفِي صَاعِنَا ، بَرَكَةً مَعَ بَرَكَةٍ». أخرجه مسلم[4].

- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي» أخرجه مسلم[5].

- «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ» أخرجه أبو داود والترمذي[6].

- «اللَّهُمَّ إنِّي عَبْدُكَ وابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ في حُكْمُكَ، عَدْلٌ في قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ في كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الغَيبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلاءَ حُزنِي، وذَهَابَ هَمِّي» أخرجه أحمد[7].

- «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» أخرجه أحمد والترمذي[8].

- «اللَّهُـمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي

(١) **أخرجه مسلم** برقم (٢٧٢٥).
(٢) **أخرجه مسلم** برقم (٢٧١٦).
(٣) **أخرجه مسلم** برقم (٤٨٦).
(٤) **أخرجه مسلم** برقم (١٣٧٣).
(٥) **أخرجه مسلم** برقم (٢٦٩٧).
(٦) **صحيح/** أخرجه أبو داود برقم (١٤٢٥)، وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٤٦٤).
(٧) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (٤٣١٨)، انظر السلسلة الصحيحة رقم (١٩٩).
(٨) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (١٢١٠٧)، وأخرجه الترمذي برقم (٢١٤٠).

وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي» أخرجه الترمذي والنسائي[1].

- «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ وَالجُنُونِ وَالجُذَامِ وَمِنْ سَيِّئِ الأَسْقَامِ»أخرجه أبو داود والنسائي[2].
- «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلاقِ وَالأَعْمَالِ وَالأَهْوَاءِ»أخرجه الترمذي[3].
- «رَبِّ أَعِنِّي وَلا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرني وَلا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامكُرْ لي وَلاتَمْكُر عَلَيَّ، وَاهْدِني وَيَسِّرِ الهدَى لِي، وانصُرْني عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْني لَكَ شَكَّاراً، لَكَ ذَكَّاراً، لَكَ رَهَّاباً، لَكَ مِطْوَاعاً، لَكَ مُخْبِتاً، إليكَ أَوَّاهاً مُنِيباً.

رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَاني، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي». أخرجه أبو داود والترمذي[4].

- «اللَّهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ مِنَ الخيرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَ آجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلهِ وَ آجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ .
- اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خيرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ.
- اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الجنَّةَ ومَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَولٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَولٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْراً». أخرجه أحمد وابن ماجه[5].
- «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الغَرَقِ وَالحَرَقِ والهرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِيَ الشَّيْطَانُ عِندَ الموتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ في سَبِيلِكَ مُدْبِراً، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغاً». أخرجه أبو داود والنسائي[6].
- «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ من الفَقْرِ، وَالقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ» أخرجه أبو داود والنسائي[7].

---

(١) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٩٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٥٥).

(٢) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (١٥٥٤)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٩٣).

(٣) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٣٥٩١).

(٤) **صحيح**/ أخرجه أبوداود برقم (١٥١٠)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٥٥١)، وهذا لفظه.

(٥) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٥٥٣٣)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٤٦)،انظر السلسلة الصحيحة رقم (١٥٤٢).

(٦) **صحيح**/ أخرجه أبوداود برقم (١٥٥٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٥٣١).

(٧) **صحيح**/ أخرجه أبوداود برقم (١٥٤٤)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٦٠).

- «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ يَا الله بِأَنَّكَ الوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ». أخرجه أبو داود والنسائي[1].

- «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدُ، لا إلَهَ إلَّا أَنْتَ المنَّانُ بَدِيعُ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ، يَاذَا الجَلالِ وَالإكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ إنِّي أَسْأَلُكَ». أخرجه أبو داود والنسائي[2].

- «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ الله لا إلَهَ إلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ». أخرجه الترمذي وابن ماجه[3].

- «رَبِّ اغْفِرْ لي وَتُبْ عَلَيَّ إنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». أخرجه الترمذي وابن ماجه[4].

- «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيراً لي، وَتوفَّني إذَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْراً لي ، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ في الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ في الرِّضَا وَالغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ القَصدَ في الفَقْرِ وَالغِنَى.

وَأَسْأَلُكَ نَعِيماً لا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَينٍ لا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ القَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ الموْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوقَ إلَى لِقَائِكَ، في غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ». أخرجه النسائي[5].

- «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِن تَحْتِي». أخرجه أبو داود والنسائي[6].

- « اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلا هَادِي لِمَا أَضْلَلْتَ، وَلا مُضِلَّ لمن هَدَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيتَ، وَلا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ ، وَلا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ.

---

(١) **صحيح/** أخرجه أبو داود برقم (٩٨٥)، وأخرجه النسائي برقم (١٣٠١)، وهذا لفظه.

(٢) **صحيح/** أخرجه أبوداود برقم (١٤٩٥)، وأخرجه النسائي برقم (١٣٠٠)، وهذا لفظه.

(٣) **صحيح/** أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٥)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٧).

(٤) **صحيح/** أخرجه الترمذي برقم (٣٤٣٤)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨١٤)، وهذا لفظه.

(٥) **صحيح/** أخرجه النسائي برقم (١٣٠٥).

(٦) **صحيح/** أخرجه أبو داود برقم (٥٠٧٤)، وأخرجه النسائي برقم (٥٥٢٩)، وهذا لفظه.

اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ المُقِيمَ الَّذِي لا يَحُولُ وَلا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يومَ العَيْلَةِ، وَالأَمْنَ يومَ الخوفِ ، اللَّهُمَّ إنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ .

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَينا الإيمانَ، وَزَيِّنْهُ في قُلُوبِنا، وكَرِّهْ إِلَينَا الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ، وَأَحْينا مُسْلِمِينَ ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالحينَ ، غيرَ خَزَايَا وَلا مَفْتُونِينَ .

اللَّهُمَّ قَاتِلِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ ، وَاجْعَلْ عَلَيهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلَهَ الحَقِّ». أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد[١].

- «اللَّهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي». أخرجه أحمد وابن ماجه[٢].
- «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ فَإنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الخِيَانَةِ فَإنَّهَا بِئْسَتِ البِطَانَةُ» أخرجه أبو داود والنسائي[٣].
- «اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي، وَاجْعَلْهُمَا الوَارِثَ مِنِّي، وَانْصُرْني عَلى مَنْ يَظْلِمُنِي، وَخُذْ مِنْهُ بِثَأرِي». أخرجه الترمذي[٤].
- «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّينِ،وَغَلَبَةِ العَدُوِّ،وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ». أخرجه أحمد والنسائي[٥].
- «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَينَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَينا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّتِنَا، مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا في دِينِنَا، وَلا تَجعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لا يَرْحَمُنَا». أخرجه الترمذي[٦].

---

(١) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (١٥٥٧٣)، وهذا لفظه، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧٢٠).

(٢) **صحيح/** أخرجه أحمد برقم (٢٥٨٩٨)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٠).

(٣) **حسن/** أخرجه أبوداود برقم (١٥٤٧)، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٦٨).

(٤) **حسن/** أخرجه الترمذي برقم (٣٦٠٤).

(٥) **حسن/** أخرجه أحمد برقم (٦٦١٨)، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٧٥)، وهذا لفظه.

(٦) **حسن/** أخرجه الترمذي برقم (٣٥٠٢).

- الحمد لله الأولِ قبلَ كل شيء ، الآخرِ بعدَ كل شيء ، الظاهرِ فوقَ كل شيء ، الباطن دون كل شيء .
- الحمد لله الأولِ بلا أَوَّلٍ كان قبله ، الآخرِ بلا آخرٍ يكون بعده .
- الحمد لله الذي ابتدع الخلقَ بقدرته ابتداعاً ، وجعلهم في قبضته أحياءً وأمواتاً، وجعل لكل روح منهم قُوْتاً معلوماً ، ورزقاً مقسوماً ، ثم ضرب له في الحياة أجلاً محدوداً ، ونصب له أَمَداً معلوماً يخطو إليه بأيام عمره ، حتى إذا بلغ أقصى أثره ، واستوعب حساب عمره ، قبضه إليه ، ثم ساقه إلى ما ندبهُ إليه من عظيمِ ثوابه ، أو شديدعقابه ، عدلاً منه وإحساناً : ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ٣١﴾ [النجم/ ٣١].
- والحمد لله الذي عرَّفنا بنفسه وأسمائه وصفاته وآلائه ، وفتح لنا أبوابَ العلمِ بربوبيته وألوهيته ، وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ، وهدانا إلى الإخلاص له في توحيده ، وعَصَمنا من الإلحاد والشك في أمره .
- والحمد لله الذي اختارَ لنا محاسن الخَلْق ، وأجرى علينا طيبات الرزق ، وسخَّر لنا ما في السموات والأرض ، فكلُّ المخلوقات منقادةٌ لنا بقدرته ، وصائرة إلى طاعتنا بعزته.
- والحمد لله الذي أغلق عنا باب الحاجة إلا إليه ، وركَّب فينا أعضاء البسط والقبض، وخلق فينا جوارح الأعمال ، وغذَّانا بطيبات الرزق ، ثم أمرنا ونهانا ليختبر طاعتنا ، وابتلانا بالسراء والضراء ليختبر صبرنا وشكرنا، ثم خالَفْنا أمره ، ورَكِبْنا مُتُون زَجْره ، فلم يعاجلنا بعقوبته، بل أكرمنا بواسع رحمته، وشملنا بحلمه وعفوه ، وانتظر توبتنا ورَجْعتنا إليه برأفته.
- والحمد لله الذي فتح لنا أبوابَ فضله ، وفتح لنا أبواب رحمته ، وفتح لنا أبواب جنته.
- والحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام ، وأرسل إلينا سيد الأنام ، ووضعَ عنا ما لا طاقة لنا به، ولم يكلِّف أنفسنا إلا وسعها.
- والحمد لله بكل ما حَمِدَهُ به خلقه ، وأقرب ملائكته إليه ، وأكرم خليقته عليه ، وأرضى حامديه لديه ، حمداً يَفْضُل سائرَ الحمد.
- والحمد لله حمداً يوافي نِعَمه ، ويكافي مزيده ، عددَ ما أحاط به علمه ، حمداً لا منتهى لحدِّه ، ولا حساب لعدده ، ولا بلوغَ لغايته ، ولا انقطاعَ لأَمَده .

• والحمد لله الذي مَنَّ علينا ببعثة محمد ﷺ دون الأمم الماضية ، فأدَّى الأمانة ، وبلَّغ الرسالةَ ، ونصح الأمةَ ، وجاهد في الله حق جهاده ، حتى أتاه اليقين ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

• الحمد لله الذي خلقَ السموات والأرض ، وأمسكهما بقدرته ، ورفع السماء بقوته ، ودحا الأرض بمشيئته ، وملأ الكون برحمته .

• والحمد لله الذي خلق الليلَ والنهارَ بقوته ، وميَّز بينهما بقدرته ، وجعل لكل واحدٍ منهما حداً محدوداً ، وأمَداً ممدودا ، ونفعاً معلوماً.

• والحمد لله عددَ ما خلقْتَ في الأرض والسماء ، وعدد ما علا في الهواء ، وعدد ما كَنَّ تحت الثرى ، ليس لنا من الأمر إلا ما قضيتَ ، ولا من الخير إلا ما أعطيتَ.

• اللهم إني أُشهدك وكفى بك شهيداً ، وأُشهد ملائكتك وحملةَ عرشك ، وجميع سكان أرضكَ وسماواتك ، وكل ذرةٍ في ملكك ، أني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهدُ أن محمداً عبدُك ورسولُك .

• اللهم يا من لا تنقضي عجائبُ عظمته ، ولا تفنى خزائنُ رحمته ، ولا تنتهي مدة ملكه ، صلِّ وسلم على محمد وآل محمد ، وأصحاب محمد ، وأتباع محمد ﷺ.

• اللهم يا ربي من لي إله غيرك أسأله كشف ضري ، والنظر في أمري ، وقبول توبتي ، وستر زلتي .

• اللهم يا ربي ويا مولاي أجريت علي حكماً اتبعت فيه هوى نفسي ، وغرني فيه عدوي ، فتجاوزت حدودك ، وخالفت أمرك ، فلك الحجة علي ، ولا حجة لي عليك ، وقد وقفت ببابك نادماً ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، إنك أنت الغفور الرحيم .

• اللهم يا من بدأ خلقي ، وساق إلي رزقي ، وشق سمعي وبصري ، ارحم ضعف بدني ، وشدة فاقتي ، يا أرحم الراحمين.

• اللهم يا عزيز يا رحيم ارحم ذلي بين يديك ، وتضرعي إليك ، وشدة حاجتي إليك ، وانكساري بين يديك .

• اللهم يا كريم يا رحمن ارحم وجوهاً خرت لعظمتك ساجدة ، وألسنة نطقت بتوحيدك وذكرك ، ولهجت بحمدك وشكرك ، وقلوباً ذلت لعز ربوبيتك وألوهيتك خاشعة ، وعقولاً

تصاغرت لكبريائك خائفة ، وعيوناً من خشيتك باكية ، وجوارحاً سعت إلى أماكن عبادتك طائعة ، يا واسع الرحمة ، يا سريع الرضا.

- اللهم يا مالك الملك العظيم ، نحن عبادك الضعفاء ، نسألك ألا تحرق أبداننا بنار السموم ، ولا تسلط نار جهنم على وجوهنا ، يا رب العالمين ، يا راحم المساكين ، يا أرحم الراحمين.
- اللهم ربنا أعتق رقابنا من نار جهنم فإنه لا طاقة لنا بها ، ولا قوة لنا على تحمل سعيرها ، ولا صبر لنا على شدة لهيبها ، ولا طاقة لنا بتحمل ضرب زبانيتها ، يا أرحم الراحمين .
- اللهم إنا نسألك برحمتك التي وسعت كل شيء ، وبقوتك التي قهرتَ بها كل شيء ، وبعزتك التي لا يقوم لها شيء ، وبعظمتك التي ذل لها كل شيء ، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء أن تنصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين .
- اللهم أعزنا بعزك الذي لا يضام ، واحفظنا بعينك التي لا تنام ، إنك أنت الكبير المتعال.
- اللهم أنت المنانُ بالجزيل ، الغافرُ للعظيم ، الشاكرُ للقليل ، الجابرُ للكسير ، ارحمنا برحمتكَ يا أرحم الراحمين.
- اللهم يا مَنْ تُحَلُّ به عُقَدُ المكاره ، ولا يستغاث إلا به عند الشدائد ، يا كاشف كل كرب ، يا من ذَلَّت لقدرته الصعاب ، وخضعت لجبروته الشدائد الصلاب ، واستجابت لمشيئته جميع المخلوقات ، وأسرعت إلى إرادته جميع الكائنات.
- لا إله إلا أنت ، أنت المَفْزعُ في الملمات ، وأنت المدعو للمهمات ، لا يندفع منها إلا ما دَفَعْت ، ولا ينكشف منها إلا ما كَشَفْت ، اكشفْ ما بنا من الضر والبلاء ، يا أرحم الراحمين.
- لا إله إلا أنت ، لا مانعَ لما أعطيتَ ، ولا معطيَ لما منعت ، ولا مقدمَ لما أَخَّرتَ ، ولا مؤخرَ لما قدمتَ ، ولا فاتحَ لما أغلقتَ ، ولا مغلقَ لما فتحتَ ، ولا ميسِّرَ لما عسَّرتَ ، ولا ناصرَ لمن خذلتَ ، ولا باسطَ لما قبضتَ ، ولا قابضَ لما بسطت .
- اللهم إني أعوذ بك من شدة الحرص ، وسَوْرَةِ الغضب ، وغَلَبَة الحسد ، وقلة الصبر ، وسوءِ الخُلُق ، ومخالفةِ الهدى ، ومتابعة الهوى ، وحرمان الثواب ، وحُلول العقاب .
- اللهم إنا نعوذ بكَ من سوءِ السريرة ، واحتقارِ الصغيرة ، ومقارفةِ الكبيرة ، ومن معيشةٍ في شدة ، وميتةٍ على غير عُدَّة .
- اللهم لا حول لنا ولا قوة إلا بك ، اهدنا لما يرضيكَ عنا ، ووفقنا لما تحبهُ وترضاهُ من موجباتِ

ثوابك ، حتى لا تفوتنا حسنة نستحق بها ثوابَك ، ولا تبقى لنا سيئة نستوجبُ بها عقابك .

• اللهم لك الخَلقُ كله والأمرُ كله ، إنْ عفوتَ عنا فبفضلك ، وإنْ عذبتنا فبعدلك ، ولا نجاة لأحد منا إلا بعفوك ، فاعف عنا واغفر لنا يا خير الغافرين .

• يا أغني الأغنياء ، نحن عبيدك أفقر الفقراء إليكَ فاجبر فاقتنا من فضلكَ ، ولا تقطع عنا بذنوبنا رزقك.

• اللهم ارحم تضرُّعنا إليك ، وانظر إلى ذلِّنا بين يديك ، يا عزيزَ الملكِ والسلطانِ أغننا إذْ طَرَحْنا أنفسنا بين يديك ، فإنك رحيم بمن دعاكَ ، ومستجيبٌ لمن ناداك.

• اللهم يا من طاعته نجاة للمطيعين ، وذِكْره شرفٌ للذاكرين ، أشْغِل قلوبنا بذكرك عن كل ذكر ، وأشْغِل ألسنتنا بشكرك عن كل شكر ، واستعمل جوارحنا بطاعتك عن كل طاعة .

• إلهي ومولاي أنا عبدك الذليلُ الواقفُ بباب عزك فلا تطردني من جَنَابك ، فإنْ طردتني فلا حول لي ولا قوة إلا بك .

سبحانك ما أرحمك ، لا أيأسُ منك وقد فتحت لي أبوابَ التوبةِ إليك ، وغفرت لي ما يسوؤني بين يديك ؛ لأنك أنت الرؤوف الرحيم.

• اللهم ارحم عبدك الذي تلقَّاك بالإنابة ، وأخْلَص لك التوبة ، وطَأْطَأَ رأسهُ لعظمتك ، وخشع قلبه لجلالك ، وذرفتْ عيونهُ من خشيتك.

• يا من رحمته وسعت كل شيء ، ومغفرتهُ أوسع من عقوبته ، وعفوهُ أكثرُ من نقمته ، ورضاهُ أوفرُ من سخطه ، وإحسانهُ أعظمُ من عدله .

• يا عظيمَ الصفح ، يا جزيلَ العطاءِ ، يا حَسَنَ التجاوز ، يا فعَّالاً لما تشاء ، يا سريع الرضا ، يا باسط اليدين بالعطاء.

• اللهم يا من خزائنه ملأى بكل شيء ، يا من عنده نيلُ الطلبات ، يا من له ملك الأرض والسموات ، ويا من لا يبيعُ نعمَه بالأثمان ، ولا يكدِّر عطاياه بالامتنان.

ويا من يُستغنى به ولا يُستَغنى عنه ، ويُرغبُ إليه ولا يُرغبُ عنه ، يا من لا تُفني خزائنه المسائل ، نسألك الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا عزيز يا غفار .

• اللهم إن تعذبني فبعدلك وأنا لذلك أهل ، وإنْ تعف عني فبفضلك وأنت لذلك أهل ، فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة .

• اللهم اني أسألكَ بأسمائكَ الحسنى ، وصفاتكَ العلى ، ما علمتُ منها وما لم أعلم ، وما أظهرتَه منها وما أخفيته ، أنْ ترحم هذا المخلوقَ الجزوع ، وهذا الإنسان الهلوع ، وهذا المملوك الضعيف ، وهذا العبد الفقير ، فإنه لا يستطيع حرَّ شمسك فكيف يطيقُ حَرَّ نارك ، ولا يستطيع احتمالَ صوت رعدك فكيف يستطيعُ سماعَ صوت غضبك ، وهَبْهُ صَبرَ على بلائك وعذابك فكيف يصبر على فراقك ، فارحمه يا أرحم الراحمين .

• اللهم أنت ربي الغني وأنا عبدُكَ الفقيرُ ، وعذابي لا يزيد في ملكك مثقالَ ذرة ، أنت ذو الملك والملكوت ، وذو العزةِ والجبروت ، وذو الجلال والإكرام ، لا تزيد في ملكك طاعةُ الطائعينَ ، ولا تنقصهُ معصيةُ العاصين ، فاغفر لنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

• اللهم لك الحمد كلهُ ، ومنك الفضلُ كله ، وإليك يُرجع الأمر كله ، وبيدك الأمر كله.

فأهلٌ أنت أن تحُمد ، وأهلٌ أنت أن تُعبد ، وأنت الربُ الرؤوف الرحيم .

لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً ، ملء السموات ، وملء الأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما فوقهما ، وملء ما شئت من شيء بعد .

لك الحمدُ الذي لا نهايةَ لعدده ، ولا انقطاعَ لأمده ، على عظمتكَ وعظمةِ أسمائكَ وصفاتك ، وعَظيمِ إحسانك ، وجزيل عطائك .

• إلهي خلقتني في أحسن تقويم ، وهديتني إلى الصراط المستقيم ، وابتدأتني بالإحسان ، ووفَّرت حظي من كل خير ، وصرفت عني كل شر ، وأقْرَرْتَ عيني بما يسرني .

• إلهي أنت الذي هديتني ، وأنت الذي رزقتني ، وأنت الذي أجبتَ عند الاضطرار دعوتي، وأنت الذي سترتَ زلَّتي ، ودفعتَ عني ما يضرني .

• إلهي أستغفركَ وأتوبُ إليك ، وأسألكَ أن تعفوَ عني وتغفر لي ، فلستُ بريئاً فأعتذر ، ولا قوياً فأنتصر ، ولا مَفَرَّ لي فأفِرّ ، لا ملجأ ولا منجا لي منك إلا إليك .

• إلهي أستقيلُك عَثَراتي ، وأعتذر إليك من هفواتي ، وأفِرّ إليك من ذنوبي التي أوبقتني ، وسيئاتي التي أحاطت بي فأهلكتني ، فاغفر لي وارحمني وتب عليّ .

• إلهي جئتكَ مستجيراً فلا تخذلني ، وسائلاً فلا تحرمني ، ومعتصماً فلا تُسْلِمْني ، وداعياً فلا تردني ، يا أكرم الأكرمين.

• إلهي ومولاي أنا عبدك الضعيفُ العاجزُ الفقيرُ المحتاج ، أسألك أنْ تغنيني بحلالكَ عن حرامكَ ،

وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلكَ عمن سواك .

• إلهي أشكو إليك ضعفَ نفسي عن المسارعةِ إلى الخيرات ، وجُرأتها على الموبقات ، فإنْ تعذبني فأنا الظالم المفرط ، وإنْ تغفر لي فأنتَ أرحمُ الراحمين .

• إلهي أنت الذي تسمع من شكا إليكَ ، وتنصر من توكلَ عليك ، وتخلِّص من الشدة من اعتصمَ بك ، وتفرِّج كر بةَ من لاذ بك ، وتجيب دعاء مَنْ دعاك .

• إلهي أنت الملكُ الحقُ القادرُ على كل شيء ، العليمُ بكل شيء ، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

• إلهي كيف يخفى عليك ما أنت خلَقْتَه ، وكيف يغيب عنك ما أنت تدبِّره ، وكيف لا تُحصي ما أنت صَنَعْتَهُ ، وكيف يهرب منك من لا حياة له إلا برزقك ، وكيف ينجو منكَ من لا مذهبَ له في غير ملكك ، سبحانك لا إله إلا أنت الواحد الأحد المحيط بكل أحد.

• لا إله إلا أنت سبحانك ، أخشى خلقِكَ لكَ أعلمُهم بكَ ، وأخضعُهم لكَ أحسنُهم طاعةً لك ، وأهونهُم عليك مَنْ أنت ترزقه وهو يعبُد غيرك .

• سبحانك ما أعظم شأنك ، وما أعز سلطانك ، وما أوسع حلمك .

لا يَنْقص سلطانك مَنْ أشركَ بك وكذَّب رسلك ، ولا يستطيع مَنْ كَرِه قضاءك أن يردّ أمرك ، ولا يفوتُك مَنْ عَبَدَ غيرك ، ولا يُعَمَّر في الدنيا من كره لقاءك ، والكل صائرٌ إليك ، وموقوفٌ بين يديك ، لا إله إلا أنتَ ، آمنتُ بك ، وكفرتُ بكل معبودٍ سواك .

• إلهي ومولاي أنا عبدك المقر بذنبي ، هذه يديَّ المذنبة مرفوعة إليك ، وهذه ناصيتي الخاطئة بين يديك ، وأنت الرب الرؤوفُ الرحيم ، أَقِلْني عثرتي ، وزلّة قدمي ، وارحم شيبتي وضعفي ومسكنتي ، وقلة حيلتي ، ونفاذَ أيامي ، واقترابَ أجلي .

• مولاي وارحمني إذا خَرَجَت روحي من بدني ، وانقطع من الدنيا أَثَري ، ونسي الأحياء ذكري ، وتغيَّرت حالي وصورتي .

• اللهم فارج الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطر ، أسالك سؤال من اشتدتْ فاقتُهُ ، وعَظُمَت كربتهُ ، وضَعُفَت قوته ، وكثُرَت ذنوبه ، أن ترزقني يقيناً ينفع من استيقن به ، وعملاً تحب مَنْ عَبَدَك به ، وخُلُقاً ترحمُ من اتّصفَ به .

• اللهم إني أسألك خشية العالِمين بك ، وخوف العابدين لك ، وعبادة الخاشعينَ لك ،

ويقينَ المتوكلين عليك .

- سبحانك اللهم وبحمدكَ ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدُّكَ ، ولا إله غَيرك .
- سبحانك العزُّ إزارُك ، والكبرياءُ رداؤك ، والخَلْق خَلْقك ، والأمر أَمْرك ، والملك ملكك.
- سبحان الله وبحمدهِ ، عددَ خَلقه ، ورضا نفسهِ ، وَزِنَةَ عرشهِ ، ومدادَ كلماته .
- سبحانَ العلي الأعلى الذي يسمعُ ويرى ما تحت الثرى ، الشاهدُ لكل نجوى ، العليمُ بكل شكوى ، الكاشف كل بلوى .
- الحمد لله الذي تجلَّى للقلوب بالعظمةِ ، واحتجبَ عن الأبصار بالعزة ، واقتدرَ على الأشياء بالقدرة ، وعلا فوق كل شيء بالكبرياء .
- أنت الرب الذي تَمَجَّد بالعظمة والجلال ، وملك بالعز والكبرياء ، وتَقَدَّس بالحُسْن والجمال ، وتعالى بالمجد والإحسان .
- الحمد لله الأول قبل كل شيء ، والآخر بعد فناء كل شيء ، العليم الذي لا ينسى مَنْ ذَكَرهُ ، الكريم الذي لا يُنْقِص مَنْ شَكَره ، ولا يخَيب من دعاه ، ولا يقطع رجاء من رَجاه ، أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك .
- اللهم ثبِّتْ قلبي على دينك ما أحييتني ، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، وهبْ لي من لدنك رحمةً إنك أنت الكريم الوهاب .
- بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا أرجو إلا فضله ، ولا أخشى إلا عدله ، ولا أتمسك إلا بحبله ، ولا أتوكل إلا عليه ، ولا أطمئن إلا إليه .
- اللهم إني أعوذُ بك رب من همزَاتِ الشياطين ، وأحترزُ بسلطانك من جَوْر السلاطين .
- اللهم إني أسألكَ يا مَنْ يملك الحاجات كلها وهي مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ، ومنقادة لأمره ، أنْ تجعل لي من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيقٍ مخرجاً ، ومن كل بلاءٍ عافية ، وأن تغفر لي وترحمني ، يا مَنْ هو الإلهُ ، ولا يغفر الذنوب سواه .
- الحمد لله رب العالمين ، وأعوذُ به من شر نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم .
- وأعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم ، وأعتصمُ بالله من كل شيطان مارِدْ ، ومن كل جبَّارٍ فاجر، ومن كل سلطانٍ قاهر ، ومن كل عدوٍ ظالم .

• اللهم اجعلني من جندك ، فإن جندك هم الغالبون ، واجعلني من حزبك ، فإن حزبك هم المفلحون ، واجعلني من أوليائكَ ، فإن أولياءك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

• اللهم أصلح لي ديني فإنه عصمةُ أمري ، وأصلح لي آخرتي فإنها دار مَقَرِّي ، وإليك وإليها من مجاورةِ اللئام مَفَرِّي .

• الحمد لله ربِ السمواتِ والأرض ، الحمد لله خالق السموات والأرض .

• بسم الله الرحمن الرحيمِ ، بسم الله خير الأسماء ، بسم الله رب الأرض والسماء ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، أستدفعُ كلّ مكروه أوله سخطك ، وأستجلبُ كلّ محبوب أوله رضاك .

• اللهم لك الحمد حمداً كثيراً لا ينقطعُ أبداً ، ولا يحصي له الخلائق في العالم عدداً .

• اللهم يا رؤوفاً بالعباد اجعل قوتي في طاعتك ، ونشاطي في عبادتك ، ورغبتي في ثوابك ، وزهدي فيما يوجبُ لي أليمَ عقابك .

• اللهم يا أكرمَ الأكرمين أسألكَ توحيداً خالصاً ، ويقيناً صادقاً ، وسلامةً أقوى بها على طاعتكَ ، وعبادةً أستحق بها جزيلَ مثوبتكَ ، وسَعَةً في الحال من الرزق الحلال ، ولساناً على الدوام لك ذاكراً ، وبدناً على البلاء صابراً .

• اللهم يا واهبَ الفضلِ العظيم ، ويا جابرَ العظمِ الكسير ، ويا غافرَ الذنبِ الكبير ، أسألك لذة النظر إلى وجْهك الكريم ، وأن تغفِر لي ذنوبي ، وتستر عيوبي ، يا أرحم الراحمين .

• اللهم يا كاشفَ الضر ، يا مجيبَ دعوة المضطرّ ، يا عظيم البِر ، يا واسعَ المغفرة ، يا جميلَ السِّتر ، يا كريمَ الصفح ، يا حَسَن التجاوز ، لا ملجأ لي منك إلا إليك ، فارحمني يا أرحم الراحمين .

• إلهي بَيِّض وجوهنا يوم تَبْيَضّ وجوه وتسودّ وجوه ، ولا تسوِّدْ وجوهاً خرَّت لعظمتك ساجدةً ، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين.

• اللهم ارحم قلوباً انطوتْ على محبتك ، وألسنةً نطقتْ بذكرك وحمدكَ ، والثناءِ عليك ، وآذاناً تلذذتْ بسماع ذكرك وكتابك ، وأكُفّاً رُفِعَتْ رجاءَ رحمتك ، وأرجلاً سَعَتْ مجاهدةً في سبيلك ، وأبداناً عملتْ بطاعتك ابتغاء مرضاتِك .

• اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، ويسر لنا سبل رضاك ، ولا تَحْجب مشتاقيك عن النظر

إلى وجهك الكريم.

• إلهي ومولاي مَنْ الذي نزل بك ملتمساً قِرَاك فما قَرَيْته ، ومن الذي أناخ ببابك راجياً فضلكَ فما أَوْلَيْتَه ، أنت الملك العزيز الكريم الرحيم.

• إلهي يا من بيده الخير كله ، وإليه يُرجع الأمر كله ، لا مانع لما أعطيتَ ، ولا معطيَ لما منعتَ ، أسألك الفوز بالجنة والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

• إلهي ومولاي ، يا خير مرجو ، ويا أكرم مدعو ، يا من بابُه مفتوحٌ لداعيه ، وحجابُه مرفوعٌ لراجيه ، يا مجيبَ السائلين ، ويا أكرم المعطين ، أَخْلِصْ لي توحيدك ، واجعلني من صفوة عبيدك ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

• إلهي إنْ كان قَلَّ زادي في المسير إليك فلقد حَسُنَ ظني بالتوكل عليك ، وإن كان ذنبي قد عَرَّضني لعقابك فقد آمنني حُسْن ثقتي بثوابك .

• أسألك بأسمائك الحسنى، وبأنوار قُدسك ، وبِلطائف بِرِّك ، أن ترضى عني ، ولا تَشْوي وجهي بالنار يا أرحم الراحمين .

• اللهم يا رب ما بَدَأْتَ به من فضلك عليَّ فَتَمِّمْه ، وما وهبتَ لي من كرمك فلا تسْلُبه ، وما عَلِمْتَه من قبيح فعلي فاغفره ، وما سترته عليَّ بحلمك فلا تَهْتِكه ، يا ولي الإنعام ، يا معروفاً بالإحسان ، لا إله إلا أنت .

• إلهي يا مَنْ عَمَّ إحسانهُ جميعَ خلقه وجَّهتُ إليك وجهي ، ورفعتُ إليك يدي ، طامعاً في إحسانك ، راغباً في غفرانك ، طالباً مرضاتك ، خاشعاً لعظمتك ، مريداً لوجهك ، طارقاً لبابكَ ، فافعل بي ما أنت أهله من المغفرة والرحمة ، ولا تفعل بي ما أنا أهله من العذاب والنقمة ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

• إلهي يا سابغَ النعمِ ، يا دافعَ النقمِ ، لا إله إلا أنت ، لا أحصي ثناءً عليك ، خَلَقت فَسَوَّيت ، وصوَّرْت فأحسنت ، وأنعمتَ وأعطيتَ ، وهَدَيت وأكرمتَ ، وأنت الرؤوف الرحيم البَرُّ الكريم ، بساحتك تُحَطُّ رحال الراجين ، يا من لا يخيِّب قاصديه ، ولا يطرد عن بابه مؤمِّليه ، ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء .

• يا رب تصاغر عندَ عظيم نعمك عليَّ شكري ، وتضاءلَ أمام إكرامك إياي ثنائي .

أنت الذي هديتني للإسلام ، وعلَّمتني السنةَ والقرآن ، وأحطتني بلطائف برك ، وجميلِ إحسانك ،

جَلَّلْتني بنعمة الإيمان ، وقَلَّدتَّني قلائدَ الإنعام ، وطوَّقتني بأطواق المعروف والإحسان .
فلك الحمد حمداً كثيراً يوافي نعمك ، ويكافئُ مزيدكَ ، على عظيم جلالك ، وجزيل عطائك ، وسبوغ نعمائك ، وحُسْن بلائك ، حمداً يوافق رضاك ، ويجلب لي العظيم من برك وتقواك ورضاك.

• اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزيِّنهُ في قلوبنا ، وكَرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ، وألهمنا طاعتك ، وجنبنا معصيتك ، وأذِقنا حلاوة حبك وقربك ، واجعلنا من المصطَفَيْن الأخيار ، وألحقنا بالصالحين الأبرار ، المسارعين إلى الخيرات ، العاملين بالباقيات الصالحات ، إنك على كل شيء قدير .

• سبحانك ما أعز سلطانك ، وما أعظم إحسانك ، وما أوسع غفرانك .

• سبحانك ما أظلمَ الطرق على مَنْ لم تكن دليله ، وما أوضح الحق عند من هديته سبيله ، أسألك أن تدلني على ما يرضيك عني ، وأن تغفر زلتي وتقبل توبتي ، إنك أنت التواب الرحيم .

• اللهم اجعلنا ممن اصطفيته بِقُرْبك ، وأخلصته لمحبتك ، وكتبته من أوليائك ، وخَصَصْته بمعرفتك ، ووهبتَ له من علمك ، وأهَّلْتَه لعبادتك ، واجتبيته لمشاهدتك ، وفرَّغْتَ فؤاده لحبك ، وشَغَلْت جوارحه بطاعتك ، وأوزعته دوامَ شكرك ، وحفظتهُ من معصيتك ، وقَطَعْت عنه كل شيء يشغله عنك ، إنك أنت العزيز الكريم.

• اللهم اجعلنا من أولي الألباب ، المقربين الأخيار الذين جباههم ساجدة لعظمتك ، وعيونهم ساهرة في عبادتك ، وقلوبهم ممتلئة بمحبتك ، وأفئدتهم وَجِلةٌ من مهابتك ، ودموعهم سائلة من خشيتك .

• اللهم اجعل حبي لك قائداً إلى رضوانك ، وشوقي إليك مانعاً لي من عصيانك ، وامْنُن عليّ بالنظر إلى وجهك الكريم ، يا ذا الجلال والإكرام .

• اللهم يا من لا يفد الوافدون على أكرمَ منه ، ولا يجد القاصدون أرحم منه .
يا خير من خلا به العبيد ، يا أرحم من آوى إليه طريد ، إلى سعة عفوك مددتُ يدي ، وإلى عظيم كرمكَ نصبتُ ناصيتي ، فأعطني ولا تحرمني ، وأكرمني ولا تهنِّي ، يا أرحم الراحمين.

• إلهي يا ولي الصالحينَ ، ويا أمان الخائفينَ ، ويا مجيبَ دعوة المضطرين ، ويا غياث المستغيثين ، ويا أكرم الأكرمين ، ويا أرحم الراحمين .

أنا عبدكَ الذليل ، ذو اللسان الكليل ، والعمل القليل ، واقف بباب كرمك ، طارق لِباب رحمتك ، متعرِّض لنفحات بِرِّك ، معتصم بحبلك الشديد ، امنن عليَّ بِطَوْلك الجزيل ، ورضوانك الجميل ، يا كريم يا جميل ، يا أرحم الراحمين .

• اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك ، وجزيل إحسانك.

• سبحانك قَصُرَت الألسن عن الثناء عليك بما يليق بجلالك ، وعجزت العقول عن إدراك كُنْه جمالك ، وانحسرت الأبصار دون النظر الى سُبُحات وجهك ، وخشعت جميع الخلائق لهيبتك، وذَلَّ الأقوياء لقوتك، وسبَّحت جميع الكائنات بحمدك ، اجعلنا من أَخَصِّ عارفيك، وأَصْلَح عابديك ، وأصدق طائعيك ، يا أرحم الراحمين .

• إلهي ومولاي أنت الرحمن الرحيم ، الملك العظيم ، الكريم الحليم ، السميع البصير ، القوي القادر ، الغني الشاكر .

لا تطمئنُ القلوبُ إلا بذكرك ، ولا تأتي النعم إلا من بابك ، ولا تندفع المكارهُ إلا بأمرك ، ولا تزولُ المحن إلا بإذنك .

• إلهي أنت المدعو بكل لسان ، وأنت المعظَّم في كل جَنان ، وأنت المسبَّح في كل مكان ، وأنت المعبود في كل زمان ، أعتذر إليك من كل كلمة بغير ذكرك ، وأستغفرك من كل لذة بغير طاعتك ، ومن كل راحة في غير عبادتك .

• إلهي بقدرتك عليَّ تُب عليَّ ، وبحلمك عليَّ اعف عني ، وبعلمك بضعفي ارفق بي ، يا ولي المؤمنين أنت ربي ومولاي فاغفر لي.

• إلهي هل يَرْجع العبد الآبق إلا إلى مولاه ، وهل يجيره من سخطه أحد سواه ، أنت الكريم الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك سمَّيته باب التوبة ، فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم .

• إلهي إنْ قَبُحَ الذنب من عبدك فلْيَحْسُن العفو من عندك ، يا كاشف الضر ، ويا مجيب المضطر ، لستُ بأول من عصاك فتبتَ عليه ، وتَعَرَّضَ بمعروفك فجُدتّ عليه ، يا عظيم البر ، يا جميل الستر ، يا واسع المغفرة.

• اللهم لك الحمد على ما أكرمتني به من سلامة بدني ، ولك الحمد على ما أصابني من علةٍ في جسدي .

• إلهي ما أدري أي الحالين أحق بالشكر لك ، أَوَقْت الصحة التي هنَّأْتني فيها بطيبات رزقك ،

وقوَّيتني فيها على ما وفقتني له من طاعتك ، وأعنتني بها على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، أم وقت العلة التي محصّتني بها من الذنوب ، وطهرتني بها من السيئات ، ورَفَعْت لي بها الدرجات ، ونبَّهتني بها إلى التوبة ، وذكَّرتني بها النعمة .

● إلهي يا أنيسَ كل مستوحش ، يا فرج كل مكروب ، يا عضدَ كل محتاج .

أنتَ الذي وسِعْتَ كل شيء رحمة وعلماً ، وأنت الذي جعلتَ لكل مخلوق في نعمك سهماً، وأنت الذي سَبَقَتْ رحمتُه غضبَهُ ، وأنت الذي عطاؤه أكثر من منعه .

● إلهي لا تعرض عني وقد أقبلت عليك ، ولا تحرمني وقد رغبتُ إليك ، ولا تخذلني وقد توكلت عليك .

● إلهي أنا عبدك الفقيرُ الذي فاض دمعُهُ من خيفتك ، وَوَجِل قلبه من خشيتك ، وانتفضت جوارحُه من هيبتك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك.

● إلهي لك الحمد ، أنت الغفور الرحيم ، كم من عيب سترته عليّ فلم تفضحني ، وكم من ذنب غطَّيته عليَّ فلم تُشْهِرني ، اللهم وهذه رقبتي أَرَّقَتْها الذنوب فأعتِقْها ، وهذا ظهري قد أثقلته الخطايا فاغفرها ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

● اللهم ارحم شدة مسكنتي ، وذل افتقاري ، وطُول تضرعي ، وضعف قوتي ، وقلة حيلتي.

● اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد.

● اللهم إنا نعوذ بك من نَزَغات الشيطان الرجيم ، ونعوذ بك من اتباع خطواته ، وكيده ومكايده ، ومصائده ومواعيده ، وغروره وأمانيه .

● اللهم اجعل بيننا وبين الشيطان ستراً لا يَهتكه ، وباباً لا يفتحه ، وأشغله عنا بأعدائك ، واكفنا شره ، واسلك بنا من التقوى خلاف سبيله من الردى .

● اللهم لا تجعل للشيطان في قلوبنا مدخلاً ، ولا تسكنه فيما بيننا منزلاً .

● اللهم أشْرِبْ قلوبنا إنكارَ عمله ، وحوِّل سلطانه عنا ، واقطع رجاءه منا .

● اللهم اهزم جنده ، وأبطل كيده ، اللهم إنا نستعين بك عليه ، حتى لا نطيع له أمراً إذا استهوانا ، ولا نستجيب له إذا دعانا ، أنت المستعان ، وعليك التكلان ، ولا حول لنا ولا قوة إلا بك .

• اللهم افتح لنا بركات السموات والأرض ، وأسقنا غيثاً نافعاً ، تحيي به ما قد مات ، وتَرُدّ به ما قد فات ، وتُخرج به ما هو آت ، وتُنبت لنا به الزرع ، وتُدِرّ به الضرع ، وتكمِّل لنا به طيبات الرزق ، إنك على كل شيء قدير .

• اللهم هب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، وزوِّدنا من الإيمان ، ووفقنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق .

• اللهم استعمل ألسنتنا بذكرك ، وجوارحنا بطاعتك ، وأوقاتنا بحسن عبادتك ، وأموالنا فيما يرضيك عنا ، إنك جواد كريم .

• اللهم هب لنا معالي الأخلاق ، ولا تجعل أعمارنا مرتعاً للشيطان ، ولا تدع خصلة تُعاب منا إلا أصلَحْتها ، إنك أنت العزيز الكريم.

• اللهم أبدلني من بغض أعدائي المحبة ، ومن حسد أهل البغي المودة ، ومن عقوق ذوي الأرحام المبَرَّة ، إنك أنت البر الرحيم .

• اللهم وفقني لِحُسْن السيرة ، والسَّبق إلى الفضيلة ، وشكر الحسنة ، والعفو عن السيئة ، والصبر الجميل ، والإعراض عن السفيه ، وكظم الغيظ ، وحسن الصفح ، وأَكمِلْ ذلك بدوام الطاعة ، ولزوم الجماعة ، والعمل بالسنة ، ورَفْض البدعة ، مقروناً بالحكمة والرحمة ، يا خبيراً بضعفي وفقري وعجزي .

• اللهم صُنْ وجهي باليسار حتى لا أسأل أحداً سواك ، ولا أُفْتن بحمد مَنْ أعطاني من دونك وأنت وليُّ الإعطاء والمنع ، وارزقني صحةً أستعملها في طاعتك ، وعلماً أستعمله في عبادتك وأعلِّم به عبادك ، ومالاً أنفقه في سبيلك .

• اللهم لا تَصْرف عني وجهك الكريم ، ولا تمنعني فضلك العظيم ، ولا تطردني عن أبواب رحمتك، ولا تحْظر عليَّ رزقك ، فلا إله لي غيرك ، ولا رب لي سواك ، ولا راحم لي إلا أنت. أنا عبدك الضعيف، ناصيتي بيدك ، وبدني في قبضتك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدلٌ فيَّ قضاؤك، لا أَمْرَ لي مَعَ أمرك ، ولا ملجأ ولا منجا لي منك إلا إليك ، فارحمني يا أرحم الراحمين .

• اللهم خذ بنَفْسي إلى ما يرضيك عني، واحجبها عما يسخطك علي، واملأ قلبي بالإيمان، حتى أعبدك كأني أراك ، وأتقرب إليك بالطاعات شوقاً ، وأبتعد عن معاصيك فَرَقاً ، يا ذا الجلال والإكرام .

• اللهم إني أعوذ بك من شر الشيطان الرجيم ، ومن شر كل شيطان مريد ، ومن شر كل جبار عنيد ، ومن شر كل سلطان مستكبر ، ومن شر كل صغير وكبير ، ومن شر كل قريب وبعيد ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم .

• اللهم اغفر لي ولوالدي ، وارزقني برهما ، والإحسان إليهما ، واجعلني أهابهما هيبة السلطان العظيم ، وأبرّهما بر الأم الرؤوف ، يا غفور يا رحيم يا رؤوف .

• اللهم يا مؤنس كل وحيد ، ويا صاحب كل فريد ، ويا مغني كل فقير ، ويا شافي كل مريض ، يا شاهداً غير غائب ، يا قريباً غير بعيد ، يا صريخ المستصرخين ، يا غياث المستغيثين ، يا ناصر المستنصرين .

• يا من أظهرَ الجميل ، وسترَ القبيح ، يا واسعَ الرحمة ، يا جزيل العطاء ، يا عظيمَ الصفح، يا حَسَن التجاوز ، يا سريع الإجابةِ ، يا با سطَ اليدين بالرحمة .

• يا محيطاً بكل محيط ، يا عالم الخفيَّات ، يا من لا يؤاخذ بالجَرِيرة ، ولا يهتك الستر ، يا سامع جميع الأصوات ، يا بصيراً بكل الذرات .

• يا إله الأولين والآخرين ، يا رب السموات والأراضين ، يا جابر الكسير ، ومطلق الأسير ، ومطعم المسكين .

• يا قاهراً كل قاهر ، يا عالماً بكل عالم ، يا قادراً على كل قادر ، يا مجيبَ كلّ سائل ، يا كريمَ العطاء ، ياسريع الرضا.

• يا من لا تراه العيون ، ولا تخالطه الظنون ، ولا يصفه الواصفون ، ولا تغيِّره الحوادث ، ولا يخشى الدوائر .

• يا من يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وعدد قطر الأمطار ، وعدد ورق الأشجار، وعدد حبات الرمال ، وعدد ما أظلم عليه الليل ، وعدد ما أشرق عليه النهار.

• يا من لا تواري منه سماءٌ سماءً ، ولا أرضٌ أرضاً ، ولا جبلٌ ما في وَعْره ، ولا بحرٌ ما في قعره ، اجعل خير أعمارنا أواخرها،وخير أعمالنا خواتمها ، وخير أيامنا يوم أن نلقاك فيه.

• اللهم فقهنا في الدين ، وارزقنا حقيقة التوحيد والإيمان ، واهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق ، واجعل جميع أعمالنا خالصة لوجهك الكريم ، وِفْق سنة نبيك الرؤوف الرحيم .

• اللهم رب العرش الكريم ، ورب الكرسي الواسع ، ورب النور العظيم ، ورب السقف المرفوع ، ورب البحر المسجور ، ورب الملائكة والروح ، ورب السموات والأرض ، ومُنْزل القرآن العظيم والتوراة والإنجيل والزبور .

أسألك بوجهك الكريم ، وباسمك الأعظم الذي أشرقتْ به السمواتُ والأرضُ أن تغفرَ لنا ما قدَّمنا وما أخرنا ، وما أسررنا وما أعلنّا ، أنت المقدِّم ، وأنت المؤخِّر ، لا إله إلا أنت .

• سبحان ذي العزِّ والكبرياء ، سبحان ذي المجد والجبروت ، سبحان ذي الحِلم والطَّوْل ، سبحان ذي الجمال والجلال والإكرام .

• سبحان من يرى أثر النمل على الصفا ، ويسمع دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصّماء ، في الليلة الظلماء .

• يا من ليس غيره ربٌّ يُدعى ، وليس غيره إله يُخشى ، يا ذا الجلال والإكرام.

يا من لا يزداد على كثرة الأسئلة إلا كرماً ، وعلى كثرة الذنوب إلا عفواً .

أسألك أن تغفر لي ذنبي العظيم ، فإنه لا يغفر العظيم إلا العظيم ، ولا يعطي الكبيرَ إلا الكبيرُ ، يا قويُّ يا عزيز ، لا إله إلا أنت .

• اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، صل وسلم على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .

• سبحان من لا ينبغي التسبيحُ إلاَّ له ، سبحان من أحصى كل شيء عدداً ، سبحان من أحاط بكل شيء علماً ، سبحان من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

• اللهم أنزل علينا من بركاتك ، وأسبغْ علينا نعمائك ، ووفقنا لسبيل الهدى والعفاف والغنى ، واستعملنا فيها بما تحب وترضى .

• اللهم يا شاهدَ كلّ ملأ ، ويا عالم كلّ خفيّة ، ويا سامعَ كل نجوى ، ويا كاشف كل بلوى ، اكشف عنا كل بلاء ، ووفقنا لما تحب وترضى ، يا قريب يا مجيب .

• أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أحدٌ صمدٌ ، لم يلد ، ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أحدٌ صمدٌ ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه .

• اللهم يا ذا العزة والعظمة، يا دائمَ السلطان والقدرة ، يا شديدَ البطش والقوة ، يا نافذَ الأمر والإرادة، يا واسعَ الرحمةِ والمغفرة ، يا رب الدنيا والآخرة ، يا رب الناس ، يا ملكَ الناس ، يا إله الناس ، لك الحمد على كل حال .

• كم أنعمتَ عليَّ بالنعم ، وكم دفعتَ عني من النقم ، كنتُ ضالاً فهديتني ، وعائلاً فأغنيتني ، وعارياً فكسوتني ، وجاهلاً فعلَّمتني ، ومعدوماً فأوجدتني .

• أحمدُك حمداً يبلغُ رضاك ، وأشكرك شكراً يكافئ مزيدك ، يا دائمَ المعروفِ والإحسان ، يا لطيف البر والإكرام .

• لا إله إلا أنت ، أنت الملك الحق الذي خلقتَ السموات السبع ، وملأتها ملائكةً تسبِّح بحمدك وتقدِّسُك ، وتمجِّدُك وتعظِّمُك ، وتأتمر بأمرك .

أَلْبَسْتهم لباسَ التقوى ، وجعلتهم أقرب خلقك إليك ، وأعظم معرفةً بجلالك وجمالك وعظمتك ، وأدومهم لك طاعة وعبادةً وخشوعاً ، فلك الحمد.

• اللهم افتح لنا أبوابَ رحمتك ، وأبواب نعمك ، وأبواب مغفرتك ، وأبوابَ رضاك ، وخزائنَ علمك ، وسبلَ معرفتك .

• اللهم طَهِّر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة ، إنك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور .

• اللهم أنتَ المستعانُ في الأمور كلِّها ، والصاحبُ في الأحوال كلها ، والمنعِم بالنعم كلها ، والواقي من الشرور كلها ، لك الحمد على حسن قضائك ، ولك الشكر على جزيل عطائك .

• لا إله إلا اللهُ إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

• لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير .

• اللهم يا كريمَ العفو ، يا حَسَن التجاوز ، يا عظيم المَنّ ، يا منقذ الغرقى ، يا منجِّي الهلكى ، يا عمادَ من لا عمادَ له ، يا سَنَد من لا سَنَد له ، يا غِياث من لا غِياث له ، ارحم ضعفنا ، واجبر كسرنا ، واختم بالصالحات أعمالنا .

• إلهي أنت العزيز الجبار ، ذلَّت لقدرتك الصعاب ، وأسرعت إلى إرادتك الأشياء ، أنت

المدعو للمهمات ، وأنت المَفْزَعُ في الملمَّات ، لا يَنْدفع منها إلا ما دَفَعْت ، ولا ينكشف منها إلا ما كَشفْت، لا إله إلا أنت .

• اللهم لا فاتح لما أغْلَقت ، ولا مُغْلق لما فَتَحت ، ولا ميسِّر لما عسَّرت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا ناصرَ لمن خذلت ، أسألك أن تفتح لي أبواب الرحمة والفرج ، فأنت وحدك القادر على كَشْف ما أنا فيه ، ودَفْعِ ما وقعتُ فيه .

• اللهم أكرمنا بالهدى والاستقامة ، وسدِّد ألسنتنا بالصواب والحكمة ، واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة ، وطهِّر قلوبنا من النفاق والرياء ، وكُفّ أيدينا عن الظلم والسرقة ، وطهِّر بطوننا من الحرام والشبهة ، وغُضَّ أبصارنا عن الفجور والخيانة ، واحفظ أسماعنا من اللغو والغيبة ، يا سميع الدعاء .

• اللهم يا عظيم العفو والرحمة والإحسان تفضَّل على علمائنا بالزهد والتواضع ، وعلى المتعلمين بالعمل والاستقامة ، وعلى كبارنا بالوقار والسكينة ، وعلى شبابنا بالإنابة والتوبة ، وعلى نسائنا بالحياء والعفة ، وعلى أغنيائنا بالبر والتقوى ، وعلى فقرائنا بالصبر والقناعة .

وتفضّل على الغزاة بالنصر والغلبة ، وعلى الأسرى بالخلاص والحرية ، وعلى المرضى بالشفاء والعافية ، وعلى الأمراء بالعدل والشفقة ، وعلى الرعيةِ بالطاعةِ وحسن السيرة ، يا رب العالمين .

• اللهم يا رحيماً بعبادك اغفر لنا الذنوب التي تهتك العصم ، والمعاصي التي تنزل النقم ، والآثام التي تغير النعم ، والخطايا التي تمنع إجابة الدعاء ، والمحرمات التي تنزل البلاء.

• اللهم يا عليماً بكل شيء ، أنت الذي تعلم ما في نفسي ، وأنت الخبير بأحوالي ، وبيدك لا بيد غيرك حياتي وموتي ، ونفعي وضري .

إنْ حرمتني فمن يعطيني ، وإنْ خذلتني فمن ينصرني ، وإنْ طردتني فمن يؤويني ، أنت مولاي ، فنعم المولى ، ونعم النصير .

• إلهي ما أعظمَ برَّك بي في حياتي ، فلا تقطع عني برَّك في مماتي ، إنك أنت البَرُّ الرؤوف الرحيم.

• إلهي أنت السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، أسألك الأمان يومَ لا ينفعُ مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وأسألك الأمانَ يومَ لا تملكُ نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله .

وأسألك الأمان يومَ لا يجزي والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً.

وأسألك الأمانَ يومَ يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه .

وأسألك الأمانَ يومَ يعض الظالم على يديه ، ويقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا .

وأسألك الأمانَ يومَ لا ينفع الظالمين معذرتُهم ، ولهم اللعنةُ ، ولهم سوء الدار.

وأسألك الأمانَ يومَ يُعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام .

● اللهم يا غافر الذنب الكبير ، ويا جابر العظم الكسير ، ويا راحم العبد الفقير ، بقدرتك عليَّ تب عليَّ ، وبعلمك بي ارفق بي .

اللهم يا عظيم البر ، يا مجيب المضطر ، يا كاشف الضر ، يا جميل الستر ، يا عليماً بما في السر ، اقبل توبتي ، واغفر لي زلتي .

● إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمَّارة ، طويلة الأمل ، كثيرةَ العِلَل ، إنْ مَسّها الشر تَجْزع ، وإنْ مَسَّها الخير تَمْنع ، ميَّالة إلى اللعب واللهو ، مملوءة بالغفلة والسهو .

● إلهي أشكو إليك عدواً يضلني ، وشيطاناً يغويني ، قد ملأ بالوسواس صدري ، وأحاطت هواجسهُ بقلبي ، يدعوني إلى الهوى ، ويبعدني عن الهدى ، ويزيِّنُ لي حب الدنيا ، ويَحُوْل بيني وبين طاعتكَ ، أعوذُ بك منه ومن شروره ومكايده .

● إلهي لا حول لي ولا قوة إلا بك ، ولا نجاة لي من مكاره الدنيا إلا بعصمتك ، أسألك بعظمة جلالك وعز سلطانك أن توفقني لما تحبه وترضاه ، وأن تَحُوْل بيني وبين ما لا تحبه ولا ترضاه يا مولاي.

● اللهم أدخلني الجنة برحمتك ، واجعل دمعي غزيراً في طاعتك ، واسكب عبرتي من خشيتك ، واصرف قلبي عن الحرام ، وأغلق عني أبوابه ، وحبِّب إليَّ الحلال ، وافتح لي أبوابه، ولا تسلبني ما مننت به عليَّ ، ولا تَنْزع مني النعم التي أنعمت بها عليّ ، ولا تسلِّط عليّ أيدي الجبابرة يا إلهي ومولاي .

● اللهم يا عزيز يا كريم وفِّر حظي من كل خير أنزلته ، ومن كل بِرٍّ نشرته ، ومن كل رزق بسطته ، ومن كل بلاء رفعته ، ومن كل عيب سترته .

يا من بيده ناصيتي ، يا عالماً بضري ومسكنتي ، يا خبيراً بفقري وفاقتي ، يا من عليه مُعَوَّلي ، أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وأَقِلْني عثرتي ، واغفر لي زلتي.

• إلهي ومولاي إليك نصبتُ وجهي،وإليك يا رب مددت يدي،فبعزتك استجب لي دعائي، ولا تقطع رجائي ، واكفني شر أعدائي .

يا واسع الرحمة يا سريع الرضا اغفر لمن لا يملك إلا الدعاء ، ورأس ماله الرجاء ، وسلاحه البكاء.

يا سابغ النعم ، يا دافع النقم ، يا مجيب دعوة المضطر ، افعل بنا ما أنت أهله ، ولا تعاملنا بما نحن أهله .

• إلهي أنت كاشف الكرب والبلوى ، وأنت رب الآخرة والأولى ، ونحن عبيدك الفقراء ، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل ، برحمتك يا ذا الجلال والإكرام.

• اللهم إنا نسألك باسمك العظيم الذي إذا سئلت به أعطيت ، وإذا دُعيت به أجبت ، وإذا استُرحمتَ به رحمت ، وإذا دُعيت به على العسير تيسر ، وإذا دُعيت به على كشف البلاء انكشف.

ونسألك بجلال وجهك الكريم الذي عنت له الوجوه ، وخضعت له الرقاب ، وخشعت له الأصوات ، ووجِلَتْ له القلوب .

ونسألك بقوتك التي تمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك ، وتمسك السموات والأرض أن تزولا ، وبكلمتك التي خَلَقْتَ بها كل شيء ، وبمشيئتك التي استجاب لها كل شيء ، وبرحمتك التي وسعت كل شيء ، وبعزتك التي خضع لها كل شيء ، أن تعز الإسلام والمسلمين ، وتنصر عبادك الموحدين ، وتجمع أمة محمد ﷺ على الحق أجمعين ، يا رب العالمين .

• اللهم من أرادنا بسوء أو مكروه من شيطان مريد ، أو سلطان عنيد ، أو حاسد على نعمة ، أو ظالم أو باغ ، فكف عنا يده ، واصرف عنا شره ، وأشغله عنا بنفسه ، واجعل كيده في نحره ، وتدميره في تدبيره ، إنك أنت القوي العزيز .

• اللهم سخر لي قلب من أحوجتني إليه ، واكفني شر من قدر علي ولا أقدر عليه ، وأغنني بفضلك عمن سواك ، يا من بيده ملكوت كل شيء.

• اللهم اكفنا شر الأشرار ، وكيد الفجار ، واطمس على وجوه أعدائنا ، وفرِّق بينهم وبين أسلحتهم، وحيِّرهم في سبيلهم ، واقطع عنهم المدد ، وأنقص منهم العدد ، واملأ أفئدتهم بالرعب، وانصرنا على من عادانا ، أنت مولانا فنعم المولى ونعم النصير .

• اللهم انصر عبادك المجاهدين في سبيلك في كل مكان ، وأمددهم بالملائكة المسوِّمين ،

واملأ قلوبهم بالإيمان ، واستعمل جوارحهم في طاعتك ، وأشغل المشركين بالمشركين ، واضرب الظالمين بالظالمين ، وأخرجنا من بينهم سالمين، برحمتك يا أرحم الراحمين .

• إلهي لا إله إلا أنت ، أنت الواحد الأحد ، لك وحدانية الخلق والأمر ، ووحدانية العبادة ، ومَلَكة القدرة ، وعظمة السلطان ، وعزة الربوبية ، وفضيلة الحول والقوة ، وجمال الإحسان والإنعام ، وعلو الذات والأسماء والصفات .

وكل ما سواك فقير إليك ، مغلوب على أمره ، مقهور على شأنه ، موسوم بسمة الضعفاء والفقراء والعبيد .

• اللهم إنك ابتليتنا في أرزاقنا بسوء الظن ، وفي آجالنا بطول الأمل ، حتى التمسنا أرزاقك من عند المرزوقين ، وطَمِعْنا في آمالنا في أعمار المعمَّرين .

نسألك اللهم أن تَهَب لنا يقيناً صادقاً تكفينا به مؤونة الطلب ، وتقطع طلبه ممن سواك ، فإنك أنت الذي قَسَمت الأرزاق ، وتكفَّلت بإيصالها إلى كل مخلوق .

• اللهم أجْرِ من أسباب الحلال أرزاقي ، ووجِّه في أبواب البر إنفاقي ، وازْوِ عني من الأموال والأشياء ما يشغلني عنك ، واجعل ما أعطيتني عوناً لي على طاعتك ، وما منعتني سبباً لتفرغي لعبادتك ، يا أرحم الراحمين .

• مولاي هذا مقام العائذ بك من كل سوء يرجو رحمتك ، ويخشى عذابك ، تَلَقَّاك بنفسٍ خاشعة ، ورقبة خاضعة ، وظهر مُثْقل بالذنوب والخطايا ، واقف بين يديك بالرغبة إليك ، والرهبة منك، وأنت أولى من رجاه، وأحق من خَشِيَهُ واتقاه ، فاغفر له وارحمه ، يا ولي المتقين.

• أشهد أنك قَسَمت معايش العباد بالعدل ، وأحسنت إلى جميع خلقك بالفضل ، وأشهد أن الشريف من شرَّفَتْه طاعتك ، والعزيز من أعزَّتْه عبادتك .

• مولاي اجعل شكري لك على ما زويت عني أوفر من شكري إياك على ما خَوَّلتني، ولا تشغلني عنك بغيرك ، فإن الغني من أغنيت ، والسالم من وَقَيت .

• لا إله إلا أنت ، تحكم بما شئت على من شئت ، وتقضي بما أردت على من أردت ، فلك الحمد على ما وقيتنا من البلاء ، ولك الشكر على ما خَوَّلتنا من النعماء .

• سبحانك أنت المنعم بكل نعمة، وأنت الذي تدفع كل نقمة ، أَشْكَرُ عبادك عاجز عن شكرك ، وأَعْبَدهم مقصر في عبادتك ، لا يستحق أحد أن تغفر له باستحقاقه ، ولا أن ترضى

عنه باستيجابه، فمن غفرت له فبطَوْلك ، ومن رضيت عنه فبفضلك.
سنتك الإنعام والإفضال ، وعادتك الإكرام والإحسان ، وسبيلك العفو والرحمة ، وثوابك الجنة.

- لا إله إلا أنت ، كل البرية تشهد لك بالفضل على من عافيت ، وأنك غير ظالم لمن عاقبت ، وكلٌ مقر بالتقصير على أداء ما يجب لك ، ولولا أن الشيطان خدع الخلق عن طاعتك ما عصاك عاص ، ولولا أنه صوَّر لهم الباطل في صورة الحق ما ضل عن طريقك ضال.
- سبحانك ما أعظم كرمك في معاملة من أطاعك أو عصاك ، تشكر للمطيع ما أنت أنعمت به عليه ، وتحلم على العاصي فيما تملك معاجلته فيه .

تطاع فَتَشكر، وتُعصى فَتَغفر ، وتفضَّلت على كلٍ منهما بما يَقْصُر عمله عنه .
يرضيك العمل القليل وهو من فضلك ، وتجازي صاحبه بالثواب العظيم ، والمقام الأمين في جوارك ، لا إله إلا أنت ما أكرمك وما أرحمك.

- إلهي يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا أنت ، تباركت أن توصف إلا بالإحسان ، وكَرُمْتَ أن يُخاف منك إلاالعدل، لايُخشى جورك على من عصاك، ولا يُخاف نقصك ثواب من أرضاك .
- اللهم إني أعتذر إليك من مظلوم ظُلِم بحضرتي فلم أنصره ، ومن معروف أُسدي إليّ فلم أشكره ، ومن مسيء اعتذر إليّ فلم أعذره ، ومن فقير سألني فلم أعطه ، ومن عيبِ مؤمنٍ ظهر لي فلم أستره ، ومن كل إثم عرض لي فلم أهجره .
- اللهم اجعل رغبتي في طاعتك ، وأخْلِص محبتي لنفسك ، واكسر شهوتي عن كل محرم ، يا من بيده مقاليد الأمور .
- اللهم كل عبدٍ نال مني ما حرَّمتَ عليه ، وانتهك مني ما حجرتَ عليه ، فاغفر له ما أَلَـمَّ به مني ، وعوِّضني من عفوي عنه عفوك عني ، ومن دعائي له رحمتك لي ، يا أرحم الراحمين .
- اللهم وكل عبد ناله مني أذى ، أو لحقه بسببي ظلم ، فأرضه عني بما تشاء ، وأوفه حقه من عندك ، إنك أنت الكريم الرحيم .
- اللهم إني أستوهبك يا إلهي ما لا يَنْقصك بذله أن تهب لي نفسي، وتعتقها من النار يا ربي، فكم عمَّ عفوك الظالمين ، وكم تكرمت بالتوبة على المجرمين .

أنت الرب العظيم الذي لا يمنع أحداً فضله ، ولا يستقصي من أحد حقه ، تبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك .

• اللهم زدنا من الإيمان والتقوى ، وأكرِمنا في الآخرة والأولى ، واجعل الموت باباً من أبواب مغفرتك ، ومفتاحاً من مفاتيح رحمتك ، أحْينا مسلمين ، وأَمِتنا مهتدين غير ضالين ، تائبين غير عاصين.

• اللهم شرِّف درجتي برضوانك ، وأكمِلْ كرامتي بغفرانك ، واجعلني من عبادك المقربين ، ومن حزبك المفلحين ، واعمر بي مجالس الصالحين ، وأدخلني في زمرة الفائزين ، يا رب العالمين.

• اللهم ارحمنا إذا حان الفراق ، وساقنا ملك الموت إلى يوم التلاق ، وصارت الأعمال قلائد في الأعناق.

• اللهم اجعل قبورنا بعد فراق الدنيا خير منازلنا ، وافسح لنا برحمتك ضيق ملاحدنا ، وارحم بالقرآن يوم العرض عليك ذل مقامنا ، وثبِّت به على الصراط أقدامنا ، وأتِمَّ به نورنا .

• اللهم صل وسلم على محمد وآله ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، وأحينا على سنته ، وتوفنا على ملته ، واحشرنا في زمرته ، وأورِدْنا حوضه ، يا أكرم الأكرمين .

• سبحان من خلق الليل والنهار ، والشمس والقمر ، وجعلهما دائبين في الكون.

آمنت بمن خلق هذا الخلق المطيع ، فهو دائب سريع ، يدور في فَلَك التدبير ، وإلى إرادة ربه سريع ، جعله ربه آية من آيات ملكه ، وعلامة من علامات سلطانه .

اللهم اجعلنا مِنْ أرضى مَنْ طلع عليه ، وأزكى مَنْ نظر إليه ، وأسعد من تعبَّد لك فيه ، إنك على كل شيء قدير .

• اللهم إنا نسألك أن ترزقنا إيماناً صادقاً نكفّ به جوارحنا عن معصيتك ، ونستعملها به فيما يرضيك ، حتى لا نصغي بأسماعنا إلى لغو ، ولا ننظر بأبصارنا إلى لهو ، وحتى لا نبسط أيدينا إلى محظور ، ولا نخطو بأقدامنا إلى محجور ، وحتى لا يدخل بطوننا إلا ما أحلَلْت ، ولا تنطق ألسنتنا إلا بما أمرت ، إنك على كل شيء قدير .

• اللهم ارزقنا الإخلاص في توحيدك ، واستعمل ألسنتنا بذكرك وتحميدك ، وجنبنا الإلحاد في توحيدك ، والتقصير في تمجيدك ، والشك في دينك ، والعمى عن سبيلك ، يا من بيده مقاليد الأمور.

• اللهم يا بصيراً بالعباد ، يالطيف يا خبير استعمل أبداننا في عبادتك ، وزيِّن أوقاتنا بطاعتك ، وإنْ مِلْنا فعدِّلنا ، وإنْ زغنا فقوِّمنا ، وإن أَسَرَنا الشيطان فاستنقذنا ، وإن تسلط علينا

العدو فانصرنا ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

• اللهم يا من لايندم على العطاء ، ولا يرغب في الجزاء ، عقوبتك عدل ، وعفوك إحسان، وقضاؤك كله خير ، ونعمك على خلقك لا تعد ولا تحصى.

تشكر من شكر وأنت ألهمته شكرك ، وتكافيء مَنْ حَمِدك وأنت علَّمته حَمْدك ، وتستر على من لو شئت لفضحته ، وتجود على من لو شئت لمنعته ، وكلٌّ منهما أهل للفضيحة والمنع ؛ لأنك واسع الفضل والرحمة ، عظيم الجود والإحسان ، عظيم المغفرة والحلم .

• إلهي أنت الكريم الذي فتحتَ لعبادك أبواب التوبة ، وأبواب الرحمة ، وأبواب العفو ، وأبواب الخير ، وأبواب الرزق ، وأبواب الدعاء ، وأبواب العمل الصالح .

اللهم أدخلنا أبواب الخير كلها ، وامنعنا من أبواب الشر كلها ، يا رؤوف يا رحيم .

• اللهم لك الحمد على ما هديتنا للإسلام ، وسهّلت لنا سبل الإحسان ، ووفقتنا لحسن عبادتك ، وهديتنا إلى ما يرضيك عنا ، وجنَّبتنا ما يسخطك علينا .

• اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه حتى ترضى وإذا رضيت ، إقراراً بالإساءة ، واعترافاً بالإضاعة .

• لك الحمد من ألسنتنا بصدق الاعتذار ، ومن قلوبنا بصدق الندم ، فَأْجُرنا على ما حمدنا ، واغفر لنا ما قصّرنا ، يا من لا يغفر الذنوب سواه ، ولا يعطي الجزيل غيره .

• اللهم إنا نتوب إليك في جميع أوقاتنا من كل ذنب أذنبناه ، ونحمدك على كل خير عملناه ، ونشكرك على كل رزق أعطيتناه .

• يا أكرم مَنْ رغب خلقه إليه ، وأكفى من توكل عباده عليه ، يا من يرحم من لا يرحمه العباد ، ويا من يقبل من لا تقبله البلاد .

• يا من يشكر اليسير من العمل ، ويجازي بالعظيم من الأجر ، يا من لا يغيِّر النعمة ، ولا يبادر بالنقمة ، يا من يضاعف الحسنات ، ويعفو عن السيئات .

• يا من يَذكر مَنْ ذَكَره ، ويتقرب إلى من تقرب إليه ، ويدعو إلى نفسه من أدبر عنه.

أنت رب العزة والجلال ، وأنت ذو الجبروت والملكوت ، والكبرياء والعظمة.

• أنت الأعلى فوق كل عال ، وأنت الكريم بكل نعمة ، امتلأت بفيض جودك جميع أوعية الطلبات ، فما أعظم شأنك ، وما أعز سلطانك .

بابك مفتوح للوافدين ، وجودك مباح للسائلين ، وعونك شامل للخلق أجمعين ، ورزقك مبسوط على العالمين .

حَلُمت على من عصاك لعله يتوب إليك ، وأمهلت من ناواك ثقة بدوام ملكك ، فمن كان من أهل السعادة ختمت له بها ، ومن كان من أهل الشقاوة خذلته بها.

- سبحانك ما أعدلك وما أرحمك ، هديتنا إلى الدين ، وأظهرت البينات ، وأقمت الحجج ، وتلطَّفت في الترغيب ، وتقدَّمْتَ بالوعيد ، وضربتَ الأمثال ، وأطلت الإمهال ، وأخرت العقوبة وأنت مستطيع للمعاجلة ، لتكون حجتك أبلغ ، وكرمك أكمل ، وإحسانك أوفى ، ونعمتك أتم .
- لا إله إلا أنت الواحد الأحد لا شريك لك ، أنت الأول قبل كل أحد ، والآخر بعد كل عدد ، أنت المحيط الذي أحطت بكل شيء علماً ، وأحصيت كل شيء عدداً ، وجعلت لكل شيء أمداً .
- لا إله إلا أنت ، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، وأنت مَلِك السموات والأرض ومن فيهن ، وأنت الخالق الذي خلق جميع المخلوقات ، وأنت المصوِّر الذي صوَّر جميع المصوَّرات .
- لا إله إلا أنت ، أنت القوي القادر الذي أردت ما كان فكان ما أردت ، وحكمتَ فكان عدلاً ما حكَمت ، وخلقتَ فكان حَسَناً ما خَلَقت ، وقدَّرت فكان حقاً ما قدَّرت ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت .
- لا إله إلا أنت ، ما أجلّ شأنك ، وما أعظم سلطانك ، وما أوسع رحمتك وغفرانك.
- لا إله إلا أنت ، سبحانك بسطت بالخير يدك ، وهديت للإسلام خلقك .
- سبحانك خضع لك مَنْ جرى في علمك ، وخشع لعظمتك ما تحت عرشك ، وانقادت لك كل ذرة في ملكك ، لا راد لقضائك ، ولا مُعقِّب لحكمك .
- اللهم لك الحمد حمداً يليق بعظمتك ، ويكافي إحسانك ، ويليق بعز جلالك .
- إلهي أنت الكريم الحليم الذي يسترضي المسيئين ، ولا يعاجل المذنبين ، ويمهل المخطئين ، ويقيل عثرات المذنبين .

أنا المسيء الخاطىء ، أنا الظالم العاثر ، أنا الذي عصاك متعمداً ، أنا الذي استخفى من عبادك وبارزك ، أنا الجاني على نفسه ، أنا المرتَهَن بذنبه ، أنا القليل الحياء ، أسألك أن تغفر

لي ذنوبي ، وأن تجيرني من النار ، برحمتك يا أرحم الراحمين.

- اللهم يا مولاي لا تعرض عني إعراض من لا ترضى عنه ، ولا ترسلني إرسال من لا خير فيه ، ولا ترم بي رمي مَنْ سقط من عينك ، ولا تطوِّقْني طَوْقاً يحبط الحسنات ، ويذهب بالبركات ، وانزع من قلبي كل شهوة تشغلني عن عبادتك.
- اللهم زيِّن لي التفرد بمناجاتك ، وهب لي نوراً يملأ قلبي بعظمتك ، ويقيناً يدفعني إلى خشيتك ، وعلماً أعرف به عظمتك ، وتمنعني به من ركوب محارمك ، وتعينني به على طاعتك.
- اللهم ما أنزلت من خير وصحة وسلامة وسعة رزق فاجعل لنا منه أوفر الحظ والنصيب، وما أُنزل من شر وفتنة فاصرفه عنا وعن المسلمين ، وارزقنا اللهم غنىً لا يطغينا ، وصحة لا تلهينا ، واجعلنا أفقر عبادك إليك ، وأغنى خلقك بك ، إنك أنت العزيز الكريم .
- إلهي لم أُصب خيراً قط إلا منك ، ولم يَصرف عني سوءاً قط غيرك ، أنت رجائي وملاذي فأغنني بفضلك عمن سواك ، وبطاعتك عن معصيتك ، يا أرحم الراحمين.
- اللهم إني أسألك يا مولاي بأسمائك الحسنى ، وصفاتك العلى ، وبقدرتك التي خَلَقْتَ بها السموات والأرض وما فيهما وما فوقهما ، وحرَّكْت بها كل متحرك ،وسكَّنت بها كل ساكن ، وأحييت بها أموات العباد ، ونشرت بها أقوات البلاد ، ورحمت بها من تشاء ، وعاقبت بها من تشاء ، وأعطيت بها من تشاء ، ومنعت بها من تشاء ، أن ترضى عنا ، وتدخلنا دار السلام ، إنك أنت السلام ، ومنك السلام ، لا إله إلا أنت .
- اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء ، وبقوتك التي قَهَرْتَ بها كل شيء ، وبعزتك التي ذل لها كل شيء ، وبعظمتك التي ملأت كل شيء ، وبسلطانك الذي علا كل شيء ، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء ، وبعلمك الذي أحاط بكل شيء ، وبنور وجهك الذي أضاء له كل شيء ، أن تغفر لنا الذنوب التي تهتك العِصَم ، وتُنْزِل النقم ، وتغيِّر النعم ، وتُنزل البلاء والفتن ، يا أرحم الراحمين.

أسألك يا مولاي أن توزعني شكرك ، ودوام ذكرك ، وحسن عبادتك ، والإحسان إلى خلقك ، أسألك سؤال من اشتدت فاقته ، وعَظُمَتْ فيما عندك رغبته ، فاستجب دعائي.

- اللهم يا قوي أسألك بعزتك أن لا تحجب عنك دعائي بسوء أفعالي ، ولا تعاجلني بالعقوبة على ما عصيتك في خلواتي ، وكن بي في جميع الأحوال رؤوفاً رحيماً ، لا إله لي

غيرك ، أسألك كشف ضري ، ومغفرة ذنبي ، يا غفور يا رحيم .

• اللهم ارحم قلوباً امتلأت بتوحيدك ، وألسنة نطقت بذكرك وتمجيدك ، ووجوهاً خرَّت لعظمتك ساجدة ، وجوارحاً في عبادتك خاشعة .

اللهم صل وسلم على نبينا محمد سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه الغر الميامين ، وعلى خلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلى ، خير الخلفاء بعد الأنبياء ، وأفضل أئمة الهدى ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات.

اللهم إنا دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا ، يا سميع الدعاء.

هذا الدعاء ، ومنك الإجابة ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بك.

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك.

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء/ ٨٧].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة/ ٢٠١].

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة/ ١٢٧].

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

* * * * *

بفضل الله وحده فرغ مؤلفه من مراجعته وتحقيقه يوم الأحد الموافق ٨/ ٦/ ١٤٣٣هـ

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الباب الأول: كتاب التوحيد ، ويشتمل على ما يلي:	
١ - فقه التوحيد	١٩
٢ - أقسام التوحيد	١٩
٣ - دلائل التوحيد	٢٢
٤ - حقيقة التوحيد	٢٨
٥ - فضائل التوحيد	٢٩
٦ - شروط كلمة التوحيد	٢٩
٧ - أركان التوحيد	٣٠
٨ - كمال التوحيد	٣١
٩ - لوازم التوحيد	٣١
١٠ - مكان التوحيد	٣٢
١١ - قيمة التوحيد	٣٣
١٢ - أصل التوحيد	٣٤

١٣- أهل التوحيد.. ٣٥

١٤- إيمان أهل التوحيد.. ٣٦

١٥- ثواب أهل التوحيد.. ٣٧

١٦- نواقض التوحيد... ٣٨

الباب الثاني : توحيد الله بأسمائه وصفاته ، ويشتمل على ما يلي :

١- حكم العلم بأسماء الله الحسنى ٤٣

٢- أسماء الله وصفاته كلها حسنى.. ٤٤

٣- عدد أسماء الله الحسنى.. ٤٥

٤- إثبات أسماء الله الحسنى... ٤٦

٥- أركان الإيمان بأسماء الله وصفاته.. ٤٧

٦- دلالة أسماء الله الحسنى.. ٤٨

٧- أقسام أسماء الله الحسنى... ٤٩

٨- حكم التسمي بأسماء الله الحسنى.. ٥٠

٩- أسماء الله الحسنى من حيث معانيها ستة أقسام.. ٥١

١٠- أسماء الله وصفاته من حيث وصْف الله بها أربعة أقسام................................ ٥٢

الباب الثالث : فقه التعبد بأسماء الله الحسنى ، ويشتمل على ما يلي :

١- حكمة خلق الإنسان... ٥٥

٢- فقه أعمال القلوب ٦١

٣- التعبد بأسماء الله الحسنى : ويشمل :..٦٣

- أركان التعبد بأسماء الله وصفاته...........................٦٣
- طرق الوصول إلى التعبد بأسماء الله وصفاته.........................٦٤
- مراتب المؤمنين في التعبد بأسماء الله وصفاته........................٦٥
- آثار التعبد لله بأسمائه وصفاته...........................٦٨

٤ - فقه التعبد لله بأسمائه الحسنى...٧٢

الباب الرابع : أسماء الله الحسنى بين معرفتها ، وتوحيد الله بها ، والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها ، وتشتمل على ما يلي :

١ - الله .. الإله...٨٩

٢ - الرب...١٠١

٣- الرحمن .. الرحيم...١٢٦

٤ - الملك .. المليك .. المالك...١٣٩

٥ - الواحد .. الأحد..١٦٦

٦ - الصمد..١٨٠

٧- الأول .. والآخر...١٨٦

٨- الظاهر .. والباطن..١٩٠

٩ - الحق..١٩٥

١٠ - المبين..٢٠٧

١١ - الحي...٢١١

١٢- القيوم ٢١٩
١٣- السميع ٢٢٧
١٤- البصير ٢٣٣
١٥- العلي .. الأعلى .. المتعال ٢٣٨
١٦- الكبير .. المتكبر ٢٤٦
١٧- العظيم ٢٥٦
١٨- القوي ٢٦٧
١٩- المتين ٢٧٤
٢٠- القاهر .. القهار ٢٧٨
٢١- العليم .. العالم .. العلام ٢٨٧
٢٢- القدوس ٣٠٧
٢٣- السلام ٣١٢
٢٤- المؤمن ٣٢٣
٢٥- المهيمن ٣٣٠
٢٦- العزيز ٣٣٦
٢٧- الجبار ٣٤٥
٢٨- الخالق .. الخلاق ٣٥٢
٢٩- البارئ ٣٦٥
٣٠- المصور ٣٦٨

٣١- الغني.. ٣٧٤
٣٢- الرزاق .. الرازق ٣٨٢
٣٣- الكريم .. الأكرم.. ٣٩٤
٣٤- الحميد.. ٤١٦
٣٥- المجيد.. ٤٣٧
٣٦- الولي .. المولى.. ٤٤٨
٣٧- الناصر .. النصير.. ٤٥٧
٣٨- القادر .. القدير .. المقتدر.. ٤٦٦
٣٩- اللطيف... ٤٧٦
٤٠- الخبير.. ٤٨٨
٤١- الحكيم .. الحاكم .. الحكم... ٤٩٦
٤٢- الشكور .. الشاكر.. ٥٢٢
٤٣- الحليم.. ٥٣١
٤٤- العفو... ٥٤٣
٤٥- الغفور.. الغفار .. الغافر.. ٥٤٩
٤٦- الودود.. ٥٥٨
٤٧- البر... ٥٧١
٤٨- الرؤوف... ٥٨٢
٤٩- القريب... ٥٨٨

٥٠- المجيب... ٥٩٥
٥١- المستعان.. ٦٠٦
٥٢- التواب.. ٦١١
٥٣- الرقيب.. ٦١٩
٥٤- الشهيد.. ٦٣٤
٥٥- الواسع.. ٦٦٦
٥٦- المحيط.. ٦٧٥
٥٧- الحسيب.. الحاسب.. ٦٨٤
٥٨- المقيت.. ٦٩٠
٥٩- الحفيظ.. الحافظ... ٦٩٧
٦٠- الكافي.. ٧٠٧
٦١- الكفيل.. ٧١١
٦٢- الوكيل.. ٧١٤
٦٣- الفتاح.. الفاتح.. ٧٢٦
٦٤- الوهاب.. ٧٣٧
٦٥- الهادي.. ٧٤٤
٦٦- الصادق.. ٧٦٠
٦٧- الوارث.. ٧٦٩
٦٨- الوتر... ٧٧٣

٦٩- السبوح.......... ٧٧٨
٧٠- الطيب.......... ٧٨٤
٧١- الجميل.......... ٧٩٣
٧٢- النور.......... ٨٠٢
٧٣- الرفيق.......... ٨١٧
٧٤- الشافي.......... ٨٢٢
٧٥- الحيي.......... ٨٣٠
٧٦- الستير.......... ٨٣٦
٧٧- المقدم .. والمؤخر.......... ٨٤١

الباب الخامس : جزاء أهل التوحيد ، ويشتمل على ما يلي :

١ - واجبات أهل التوحيد.......... ٨٥١
٢- جزاء أهل التوحيد.......... ٨٥٥
٣- جزاء أهل الشرك.......... ٨٥٧
٤- دار القرار : وتشتمل :.......... ٨٥٩
١ - صفة الجنة.......... ٨٦٢
٢ - صفة النار.......... ٨٨٥
٥- دعاء أهل التوحيد.......... ٩٠٦
• الفهـرس.......... ٩٤١